الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– قسنطينة -

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قســـم التاريخ

التغلغـــل الاستعمـــاري بوادي ســـوف بين المقـــاومة والتـــأقلم (1854 – 1947م).

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

إعـداد الطـالب :

موسى بن موسى.

إشراف الأستاذ الدكتور :

أحمد صاري.

أعضـــــاء لجنـــــة المنـــــاقشـــــة :

الاسم واللقب	الدرجة	الجامعة	الصفة
أ. د احميدة عميراوي	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
أ. د. أحمد صاري	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفا ومقررا
أ. د. عمار بن خروف	أستاذ تعليم عالي	جامعة البويرة	عضوا
أ. د. علي آجقو	أستاذ تعليم عالي	جامعة محمد خيضر بسكرة	عضوا
أ. د. ميلود عويمر	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2	عضوا
د. علي غنابزية	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد محمد لخضر الوادي	عضوا

السنـــة الجامعية : 1435- 1436هـ / 2014 – 2015م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– قسنطينة -

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسـم التاريخ

التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم (1854 – 1947م).

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

إعداد الطالب :

موسى بن موسى.

إشراف الأستاذ الدكتور :

أحمد صاري.

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الدرجة	الجامعة	الصفة
أ. د احميدة عميراوي	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
أ. د. أحمد صاري	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفا ومقررا
أ. د. عمار بن خروف	أستاذ تعليم عالي	جامعة البويرة	عضوا
أ. د. علي آجقو	أستاذ تعليم عالي	جامعة محمد خيضر بسكرة	عضوا
أ. د. ميلود عويمر	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2	عضوا

د. علي غنابزية	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد محمد لخضر الوادي	عضوا

السنـــة الجامعية : 1435- 1436هـ / 2014 – 2015م.



﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

البقرة 134

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـداء.

إلى كل من اتخذ الكلمة الصادقة أداة

للإفصاح عما يمكن الخلوص إليه للمشاركة

في رفع الغبن عن البشرية قاطبة، والارتقاء

بروحه في مصاف الخالدين عبر الامتداد

البشري في ظل توحيد الله الخالق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مختصرات

مختصرات أجنبية		مختصرات عربية	
A. D. M. EL	Archives de la Direction des Moudjahidines d'El-oued.	جزء	ج
A. N. A	Archives Nationales Algériennes	دون بلد	د. ب
A. N. T	Archives Nationales de Tunisie	دون تاريخ	د. ت
A. O. M	Archives d'autre -mer (Aix - en - Provence)	دون طباعة	د. ط
G. G A	Gouvernement Générale Algérien	دون دار نشر	د. دار
Ibid	نفس المصدر أو المرجع	صفحة	ص
Loc. cit	المصدر أو المرجع السابق ونفس الصفحة	أكثر من صفحة	ص ص
N	Numéro	طبعة	ط
Op. cit	المصدر أو المرجع السابق	مجلد	مج
p	Page	مخطوط	مخ
P. T. T	Poste téléphone télégraphe		
R. T. S. A	Rapports des Territoires du Sud d'Algérie		
T. S. A	Territoires du Sud d'Algérie		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــدمـــة :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تـــوطـــئة :

وادي سوف إقليم صحراوي يقع بالعرق الشرقي بالجزائر، التي شهدت منذ 1830 الاحتلال الفرنسي الذي ما لبث أن عاث بالمستوطنة الجديدة من خلال سياسة الاحتلال الاستيطاني التي لم تستثن فرنسا من خلالها أي إقليم، ووادي سوف من موقعه الجغرافي الممتد ما بين ربوع الصحراء الجزائرية الشرقية والمشكل لنقطة تلاقي بين أقطار ثلاث هي : الجزائر وتونس وطرابلس الغرب "ليبيا"، فالتلاقي مع القطر التونسي في شط الجريد. أما طربلس الغرب فتتقاطع مع الجزائر في وادي سوف واغدامس، وهذا ما زاد في رغبة فرنسا المحتلة من بسط نفوذها بشتى الوسائل كان آخرها الاحتلال العسكري، وجعل منطقة وادي سوف تئن تحت الحكم العسكري منذ 1854.

ومن خلال هذه المنطلقات سنجد أنفسنا أمام موضوع رحب الجوانب، للوقوف على أهم ملامحه على مستوى إقليم لم تختلف السياسة الاستيطانية في التعامل معه، كونه جزءا لا يتجزأ عن المستعمرة الاستيطانية الجزائر، غير أن الموقع الجغرافي، الذي تميز به وادي سوف ساعده في إبراز ملامح مقاومة اقتصادية واجتماعية، وثقافية، أكثر منها سياسية، لكن ذلك لا يعني البتة الاستسلام، والخنوع للمحتل الفرنسي، لكنه استطاع أن يحدث تأثيرات، كان أغلبها ينصب في الميدان الاجتماعي من خلال المراهنة على إبراز الاهتمام بتأهيل اليد العاملة، قصد ربط أبناء المنطقة بالاقتصاد الكولونيالي، دون التفكير في تطوير مهاراتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، لذلك كان عنوان الدراسة :

التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم (1854- 1947).

الإشكالية : جاءت الدراسة، لتلقي الضوء على ملمح من ملامح المقاومة الشعبية، التي أبداها المجتمع الجزائري، ومن بين عناصر المجتمع الجزائري، نجد السكان الجزائريين بوادي سوف، الذين كان لهم موقف تجاه السياسة الكولونيالية، خاصة بعد إقرار فرنسا لسياسة الاستيطان، التي من خلالها استطاعت أن تبقى في الجزائر لمدة قرن واثنان وثلاثين سنة. وإقليم وادي سوف لم يكن بمنأى عن هذه السياسة، والإشكالية التي تدور حولها الدراسة هي :

حجم مقاومة السكان بوادي سوف للاحتلال الفرنسي، ومستوى التأقلم، الذي أبداه السكان بالإقليم من المحتل، هذا بالمقارنة مع حجم السياسة التغريبية، التي مارستها السلطة الفرنسية بالمنطقة.

وحتى نستطيع الإجابة عن الإشكالية لا بد من طرح التساؤلات الموالية :

ما أثر البنية الاجتماعية والثقافية، والقوى المؤثرة على مواقف السكان بوادي سوف؟

ما طبيعة الوضع السياسي بوادي سوف ومواقف السكان من الاحتلال الفرنسي؟

ما حجم مستويات التصدي والتأقلم تجاه سياسة التغلغل الاستعمار الفرنسي على الصعيد الاجتماعي بوادي سوف ما بين (1854 – 1947)؟

ما تأثيرات سياسة تغلغل الاحتلال الفرنسي على الوضع الاقتصادي بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1882 – 1947)؟

ما أثر سياسة التغريب على الوضع الثقافي بوادي ما بين (1854 – 1947)؟

الدوافع والأسباب : ومن المبررات، التي دفعتني لاختيار هذا البحث :

- وجود إرادة لدي لدراسة موقف السكان المسلمين الجزائريين من سياسة التغلغل الاستعماري الفرنسي، لكونها الأكثر تأثيرا في صنع أحداث المنطقة.

- الاهتمام بدراسة التاريخ الجزئي والمحلي لإقليم وادي سوف من خلال الميادين : السياسي والاجتماعي، والاقتصادي والثقافي. وما يمكن أن ينتج عنه من نتائج تفيد الدارسين في بحوثهم.

- محدودية الدراسات الأكاديمية التاريخية السوسيولوجية للمجتمعات،خصوصا إقليم وادي سوف، باعتباره جزءا من المجتمع الجزائري في الفترة الممتدة خلال (1854 – 1947).

- الرغبة في توفير دراسة أكاديمية تتناول الأوضاع العامة، ومواقف السكان المسلمين، مقاومة وتأقلما في منطقة وادي سوف.

- التعريف بالمنطقة، وإبراز دورها ووضعها السياسي والاجتماعي، والاقتصادي والثقافي الصعب، الذي يقابله تحدي حقيقي، رفعه السكان المسلمون بوادي سوف في مواجهة ظروفهم السيئة.

- السعي لجمع أكبر قدر ممكن من الوثائق المحلية أو الرسمية بمؤسسات الأرشيف المحلية والوطنية والأجنبية المختلفة على تاريخ وادي سوف السياسي والاجتماعي، والاقتصادي والثقافي.

- دعم المكتبة الوطنية، والمغاربية، والعربية ببحث أكاديمي يدرس فترة من مراحل تطور إقليم وادي سوف.

الأهداف المرجوة من الدراسة : إن الأهداف المرجوة من مثل هذه الدراسة عديدة من بينها :

- الحفاظ على تراث المنطقة، من منطلق التاريخ العام للجزائر، وما يمكن الوقوف عليه دون تحييد المنطقة، حتى نستطيع الوقوف عن النتائج، وفق رؤية متكاملة، مع ما حدث في الأقاليم الأخرى بالجزائر.

- إبراز أوضاع منطقة وادي سوف السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، ودورها إقليميا ووطنيا.

- إبراز دور السكان المسلمين الجزائريين من خلال المقاومة والتأقلم سياسيا واجتماعيا، واقتصاديا وثقافيا، بإقليم وادي سوف من خلال الموقع الجغرافي، المجاور لكل من تونس وليبيا.

حدود البحث : إن البحث المتناول هو **التغلغل الاستعماري الفرنسي بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم** خلال الفترة الممتدة ما بين 1854 - 1947، هذا لما تمثله هذه الفترة الزمنية من أبعاد تاريخية، حيث يعد النصف الثاني من القرن 19م، مرحلة الاستيطان النهائي للاحتلال على مستوى رقعة واسعة من الجزائر المحتلة، مما ساعد في انتشار وتوسع الاحتلال. ذلك من خلال تواجده بالإقليم سنة 1854، وإبراز ملامح مرحلة جديدة في مسيرة التطورات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، التي غلب عليها طابع التغريب والاستيلاب الغربي، مما أحدث مواقف مقاومة. انطلاقا من الأبعاد الحضارية والهوية الجزائرية. وخلال هذه المسيرة التاريخية تباينت أساليب التعامل مقاومة وتأقلما، هذا ما فرض آلية تنطلق من الشعور بضرورة التخلي عن المقاومة المسلحة، التي تركت آثارا سلبية على المجتمع الجزائري. فكان ذلك إعلان عن بدايات جديدة شهدتها الجزائر، من حيث المقاومة السياسية في إطار تشكل اتجاهات الحركة الوطنية، ومدى حجم المقاومة والتأقلم التي أبدتها.

أما عام 1947، فهو تاريخ نهاية الفترة المدروسة، باعتباره تاريخ بداية تحولات سياسية تمثلت في صدور الإصلاحات الدستورية، المتمثلة في دستور 20 سبتمبر1947 الذي منح المناطق الصحراوية خصوصية البلديات المختلطة بعد أن كانت مناطق عسكرية، إضافة إلى بروز ملامح التأقلم، رغم استمرار روح المقاومة، التي ما لبثت أن تجددت في مواقف سياسية واجتماعية، واقتصادية وثقافية، لذلك كان البحث محصور ما بين (1854 – 1947).

منهج البحث : إن المتتبع للدراسات التاريخية المعاصرة، التي تهتم بالتأريخ الاجتماعي للعالم العربي الحديث والمعاصر، تنم عن مفارقات عديدة تجعل المنشغل بالبحث في وضعية قلقة، تتجاذبه مرجعيات متعاكسة، ولكل منها آليات دفاعها المتينة، غير أن المتأمل، لما صارت عليه حقول المعرفة

في العلوم الإنسانية من أطر نظرية، ومناهج مقاربة، وآليات تحليل، تبرز جوانب أساسية من واقع الاضطرابات، مما يجعل تحديد منهج محدد عملية صعبة المراس في مثل هذه الدراسات، التي باتت تفرض نفسها، حتى نستطيع مواكبة الدراسات التأريخية، وتأثيراتها عن الميادين الإنسانية، هذا ما يمكن الوقوع فيه في مثل هذه الدراسة، مما يضطرني أن أتعامل مع مجموعة من المناهج. ومنهج البحث المتبع خلال الدراسة يرتبط أساسا بالظاهرة التاريخية المدروسة، فهو المنهج التاريخي، لكن هذا لا يمنع من تعدد أدوات البحث والدراسة من مناهج عديدة، كالمنهج الاستقصائي، والأساليب المنهجية المتعددة المتبعة في العديد من الميادين، نتيجة التداخل، الذي بات أمرا يفرض نفسه على الباحثين، إضافة إلى الاستعانة بالروايات الشفوية، لأن الكتابة في مثل هذه المجتمعات، كانت غير مفعلة، لذلك توجب عليَّ الاعتماد على مثل هذه الأدوات المساعدة في مثل هذا البحث.

خطة البحث : إن الخطوات التي تم رصدها وفقا، لما هو مخطط له بحسب السيْر المتتابع في العملية البحثية، هذا تبعا للإمكانات التي توفرت لنا، حيث تم الوقوف عند خمسة فصول هي كالآتي :

الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان : **أثر الانقسامية وتجاذب القوى، والبنية الثقافية على مواقف السكان بوادي سوف،** الذي حوى المبحثين الآتيين :

المبحث الأول - وادي سوف بين الانقسامية وتجاذب القوى.

المبحث الثاني - تأثير البنية الثقافية على مواقف سكان وادي سوف تجاه سياسة التغريب.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان : **الوضع السياسي بوادي سوف، ومواقف السكان من الاحتلال الفرنسي،** ومن خلاله أبرزت ثلاثة مباحث، وقد جاءت كالآتي :

المبحث الأول - الوضع السياسي بوادي سوف ومواقف السكان من الاحتلال الفرنسي خلال فترة (1830 – 1854).

المبحث الثاني - التنظيم الإداري الفرنسي ودور سكان وادي سوف منه.

المبحث الثالث – مواقف السكان تجاه الوضع السياسي بوادي سوف منذ استقرار الاحتلال حتى 1947، ثم ختمته بخلاصة، لما وقفت عليه من مواقف مختلفة على المستوى السياسي بالإقليم.

أما الفصل الثالث فحاولت من خلاله الوقوف على الأبعاد الاجتماعية، والتأثيرات التي أحدثتها سياسة التغلغل، وقد جاء بعنوان : **الوضع الاجتماعي ومستويات التصدي والتأقلم تجاه سياسة**

التغلغل الاستعماري بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1854-1947) ومن خلاله أدرجت ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول - أثار التغلغل الاستعماري على الوضع الاجتماعي بوادي سوف.

المبحث الثاني - دور الهجرة في التصدي لسياسة التغريب بوادي سوف.

المبحث الثالث – تأثير السياسة الاستعمارية على القضاء بوادي سوف، ثم ختمته بخلاصة، لما خلصت إليه من مواقف مختلفة على المستوى الاجتماعي بالإقليم.

أما الفصل الرابع فتناولت فيه : **تأثيرات سياسة التغلغل الاستعماري على الوضع الاقتصادي بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1882 – 1947)**، وهو بدوره يتطلب الوقوف على أنماط المعيشة، بإقليم وادي سوف، وتأثير السياسة الاستعمارية الاستيطانية، هذا من خلال ما يلي :

المبحث الأول - الرعي والزراعة، وحجم تأثرهما بسياسة التغلغل الاستعماري بوادي سوف.

المبحث الثاني - تأثير الاحتلال على الصناعة والحرف بوادي سوف منذ 1882 إلى 1947.

المبحث الثالث - أثر سياسة الاحتلال على الخدمات العامة والتجارة وطرق المواصلات بوادي سوف، ثم ختمته بخلاصة لما وصلت إليه من مواقف مختلفة على المستوى الاقتصادي بالإقليم.

أما الفصل الخامس فخصصته : للوضع الثقافي بوادي بين التردي والتحدي الحضاريين، وأثر سياسة التغريب، وجاء تحت عنوان : **أثر سياسة التغريب على الوضع الثقافي بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1854 – 1947)**، وقسمته إلى ثلاثة مباحث كالآتي :

المبحث الأول - الوضع الثقافي بالـــجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي بين التغريب والتحدي.

المبحث الثاني - التعليـــم العربي بوادي سوف ومستويات التحدي.

المبحث الثالث - التعليم الفرنسي بين الرفض والقبول بوادي سوف، ثم ختمته بخلاصة لما وقفت عليه من مواقف مختلفة على المستوى الثقافي بالإقليم، لينتهي العمل بخاتمة إبرازت الأثر الاحتلالي، ومستوى التحدي الذي مثله السكان المسلمون الجزائريون بوادي سوف خلال الحقبة المدروسة.

مادة البحث : يمكن القول أنها متوفرة إلى حد ما في الجوانب الاقتصادية، لكنها محدودة في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية، كما نلاحظ ضعفا في البيانات الاقتصادية، خاصة لفترات الحربين العالميتين الأولى والثانية، أضف إلى ذلك أن الاستفادة منها يتطلب بحثا كبيرا للعثور عليها بين ملفات مناطق الجنوب الجزائري، خاصة بالأرشيف الوطني الجزائري، والجهد يكون أكبر لما يتعلق الأمر

بفصل معطيات وادي سوف عن مناطق الجنوب، كما أن معظم المصادر بالفرنسية، مما يتطلب وقتا لترجمتها، هذه المصادر الأرشيفية، إما أن تكون تقارير وعروض ونشريات مختلفة، والبعض منها أيضا عبارة عن تقارير، خاصة لم يتم نشرها وأدرجت ضمن الأرشيف، مثل دراسة الدكتور "إسكار" (Escard)، الطبية والبيئية على وادي سوف أرفقت بأرشيف الطب العسكري، ويمكن استعراض طبيعة مصادر ومراجع البحث من خلال ما يلي :

التقارير والعروض والنشريات المختلفة الصادرة عن الإدارة الفرنسية، التي تناولت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة سوف، مثل التقارير الشهرية السياسية والاقتصادية عن مناطق الجنوب الجزائري، والمتواجدة في الأرشيف الوطني الجزائري والأرشيف القومي التونسي، أو تقارير الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والثقافية المتواجدة بمختلف مراكز الأرشيف بالجزائر، منها الوادي من خلال أرشيف مديرية المجاهدين وأرشيف متحف المجاهد. والمصادر العربية أو الفرنسية، التي كتبت عن تاريخ المنطقة مثل محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي " **التقويم الجزائري** " أو دراسة الكابيتان " كوفي " (Cauvet) **زراعة التمور في سوف 1914**، أو دراسة "لوسيان دافيولت" (Lucien Daviault) وتشمل **منطقة من الجنوب القسنطيني سوف**، وهي بحث لمعلم فرنسي لم ينشر، تناول الحديث عن منطقة جنوب عمالة قسنطينة خلال فترة 1940-1941، رغم ما للمصادر الأجنبية من ملاحظات ومعاتبات، إضافة إلى المصادر والمراجع العربية والفرنسية، مثل مؤلفات : إبراهيم العوامر " **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** " و" أندري روجي فوازان " (André Roger Voisin) و"باطايون" (Batallion) وأحمد نجاح...الخ. ومختلف المقالات والندوات المطبوعة، التي تناولت تاريخ وادي سوف الاقتصادي والاجتماعي، كما اعتمدت عن السجلات المدرسية، باعتبارها سجلات رسمية، يمكن الكشف من خلالها على حجم المواءمة، التي أبداها المتمدرسون من أبناء المنطقة، مما ساعد على الوقوف عن كثب على المشهد الثقافي بالإقليم، وحجم المقاومة التي أبداها السكان الجزائريون نخبة كانوا، أو عواما، رغم ضآلة المؤسسات الثقافية الغربية، التي سعت السلطة الاستعمارية إلى انشائها بوادي سوف. والرواية الشفوية، التي تعد المتنفس الفسيح في معالجة، مثل هذه المواضيع البكر الدراسة، رغم تأخر الوقت في استغلالها، إذا ما قارنا إخواننا المشارقة، الذين تخطوا أشواطا عديدة في الاستفادة منها، حيث أصبحت مصدرا من أهم مصادر كتابة التاريخ بالمدارس الغربية، غير أن اعتمادي عليها ظل محصورا

في الاستعانة بها لتحديد تصور عام، ولو نسبي للوضع الاقتصادي والاجتماعي لوادي سوف، من خلال أطراف عايشت الأحداث، أو لامستها عن قرب من خلال ذكريات آبائهم، وكذا لما يحصل هناك من عجز في غياب معلومات في الوثائق عن بعض الجوانب، التي غالبا ما تكون جزئية؛ كالصناعات الحرفية ...الخ، دون نسيان الوضع الذي يسوده انعدام الكتابة، مما يجعل الرجوع إلى الرواية الشفوية ضرورة حتمية على مستوى الوضع السياسي الاجتماعي، والاقتصادي ناهيك عن الوضع الثقافي، الذي كان في غالبه يقوم على الاستماع والإصغاء، بخلاف السنوات الأخيرة من الثلاثينات، حين برزت مشاريع المدارس العربية الحرة، التي حاولت التأسي بالمدرسة الفرنسية من خلال مناهج التدريس.

الصعوبات التي اعترضت البحث : إن أي بحث من البحوث تعترضه مصاعب، والبحث الذي تم انجازه يعد من البحوث القليلة، إن لم تكن النادرة على مستوى البحث الجامعي بالجزائر، مما يجعل الخوض فيه يكتنفه مجموعة من الصعاب، ومن هنا فالمصاعب التي اعترضتني في إنجاز هذا البحث عديدة، ومنطقية، أهمها طبيعة الدراسة، التي هي نوع من الدمج بين التاريخ والسوسيولوجيا، التي تعد من بين الدراسات الحديثة المحدودة الانتشار، خاصة لدى الباحثين الجزائريين. وما اعترضني خلال الدراسة لمنطقة وادي سوف، الذي أخذ مني كل وقتي مصاعب عديدة أبرزها :

- عناء البحث عن المعلومات من مصادرها، مما فرض علي بذل مجهودات مضنية من خلال السفر للأرشيف الوطني الجزائري، والمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، وكذا أرشيف قسنطينة، والأرشيف القومي التونسي، والمكتبة الوطنية بتونس، ناهيك عن المراكز المحلية بوادي سوف، كأرشيف مديرية المجاهدين وأرشيف ولاية الوادي، وآخرها أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفونس.

- صعوبة البحث عن الأرقام والإحصائيات في ظل موضوع سوسيولوجي، عموده الفقري المعطيات، والتفاعلات المادية والمعنوية، ارتكازا على الاحصائيات المختلفة.

- قلة ومحدودية الكتابات في تاريخ وادي سوف، خاصة في جوانبها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية من وجهة نظر أكاديمية، مع صعوبة الاستفادة أحيانا من الوثائق الموجودة، لدى بعض الأشخاص الذين يتحرجون تارة، ويتعذرون عن تقديمها تارة أخرى.

وفي الاخير لا يسعني إلا أن اتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ المشرف أ. د. أحمد صاري، الذي لم يبخل عليَّ بالنصيحة، وتقديم العون المادي. ذلك من خلال بحوثه وتبصيري على بحوث، لم أكن على إطلاع بها، مع حرصه الدقيق لتصحيح كل شائبة بالبحث، كما أشكر أستاذي أ. د. عميرة علية الصغير، الذي كان

لي عونا ومشرفا ثانيا بتونس الشقيقة، خلال المنحة الطويلة المدى، حيث لم يبخل علي بنصائحه فكانت سندا ثانيا، فزاد ذلك من عزمي على البحث، كما أشكر أستاذي وزميلي علي غنابزية من خلال عمله الأكاديمي، الذي تناول المنطقة، إضافة إلى ما قدمه لي من دعم مادي، كما لا أنسى زميلي الأستاذ عثمان زقب، الذي لم يبخل عليَّ بكل الوثائق، التي حصل عليها، خاصة الأجنبية التي كان حريصا على ترجمتها لي. هذا دون أن أتجاهل الدعم الذي مدني به الأستاذ طليبة بوراس كمسير لملحقة متحف ا لمجاهد بالوادي وطاقمه الإداري، دون تجاهل دور زوجتي التي كابدت عناء رعاية الأبناء : وسام، طه، أسامة ووصال، وكل من ساعدني من قريب أو من بعيد في انجاز بحثي المتواضع، كما أتمنى أن يضيف بحثي، الذي بين أيدكم لبنة من لبنات البناء الأكاديمي والثقافي في تأسيس تاريخ متكامل للجزائر الواسعة، كل بحسب الجهد المبذول، دون أن ننسى تقديم اعتذاراتنا عن كل نقص أو نسيان وقع منا لأن الكمال لله وحده.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأول -

أثر الانقسامية وتجاذب القوى والبنية الثقافية في مواقف السكان بوادي سوف.

المبحث الأول : وادي سوف بين الانقسامية وتجاذب القوى.

المبحث الثاني : تأثير البنية الثقافية على مواقف سكان وادي سوف تجاه سياسة التغريب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المجتمعات البشرية وحدات إنسانية متعددة الخصائص، مما يجعلها ذات تمايز مطرد تتحكم فيها آليات وميكانيزمات عديدة متباينة تباين الحاجيات، هذا لكون المجتمعات الإنسانية ليست مجتمعات منعزلة انعزالا انفراديا، بل هي في تطور مستمر، غير أن تطورها مشروط بمجموعة الصِّلات الضرورية مع بعضها البعض لكونها تشكل المجموعات الإنسانية. ومن هنا يصير التاريخ ضربا من الميتافيزيقا، لكون مجاله يمتد إلى ما وراء السببية التاريخية، حتى نلم بالظواهر في غاياتها[1]، هذا ما يجعلنا نتتبع التطورات الحاصلة لمجتمع وادي سوف الذي يعد وحدة اجتماعية من المجتمع الجزائري. والمجتمع بوادي سوف ليس مجتمعا منعزلا انطلاقا من الخصوصية الإقليمية، لأنه يعيش بإقليم يتميز بطابعه الصحراوي، وبموقعه الحدودي الرابط بين الجزائر وتونس من خلال شط الجريد، وبين الجزائر وليبيا من خلال إقليم غدامس. ومنه تعد منطقة وادي سوف معبرا هاما لتواجدها في العرق الشرقي الكبير، هذا ما جعل الإقليم محل توافد العديد من العناصر البشرية عبر المراحل التاريخية المختلفة من ناحية، بالإضافة إلى التغيرات الطارئة على المجتمع بوادي سوف منذ 1854 من ناحية ثانية، والمتمثلة في الاحتلال الفرنسي من خلال انتهاجه سياسة التفرقة التي أشعلت روح الانقسامية المتوارثة نتيجة الصراع القبلي من جهة وتأثير الطرق الصوفية باعتبارها أساسا من أسس البنية الثقافية من جهة ثانية، حيث كان لها مواقف مختلفة باختلاف الأحداث والظروف.

كما نقف عند الأدوار التي لعبها المسجد من خلال النخبة ذات الأثر الواضح في بلورة مواقف السكان، خاصة السكان المسلمين الجزائريين. إذا ما استثنينا اليهود باعتبارهم سكانا حاصلين على الجنسية، وحق المواطنة الفرنسية من خلال قانون كريميو، بخلاف ما كان يعانيه السكان المسلمين الجزائريين من اظطهاد بموجب قانون الأهالي (الأنـــــــــــديجينا). كل ذلك ســـــــــاهم في إنعكاسه على الوضع العام بوادي سوف في مختلف الميادين والاصعـــدة : سياسيا واجتماعيا، واقتصاديا وثقافيا، هذا ما جعل مستوى المقاومة يشوبه الكثير من الضبابية، في حين كان حجم

[1] مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شهاين، دار الفكر، دمشق، 1423هـــ/2002م، ص 25.

التأقلم مرتبطا بحجم التنمية الكولونيالية، وحجم تواجد المعمرين في حد ذاتهم، مما قلل ظاهريا من حجم التأقلم الذي أبداه السواد الأعظم من السكان المسلمين الجزائريين الذين كانوا مشبعين بالمؤثرات الحضارية العربية الإسلامية من ناحية، والابتعاد عن مراكز التأثير بالمدن الداخلية من ناحية ثانية باعتبار وادي سوف إقليم طرفي. ومما سبق نحاول الوقوف على الإشكالية الآتية :

ما حجم التغلغل الاستعماري بوادي سوف؟ وما الآليات المستعملة في ذلك؟ والإجابة عنها تستدعي الوقوف على ملامح التركيبة البشرية التي تعد في الأساس محل الدراسة، لأن المستعمر يشكل مجموعة بشرية تختلف اختلافا متباينا عن سكان الإقليم، كما نحاول ملامسة الأدوات والآليات الأساسية الـــتي اعتمدها المستعمر.

المبحث الأول - وادي سوف بين الانقسامية[2] وتجاذب القوى :

إن طبيعة إقليم وادي سوف الصحراوي يعد متنفسا باعتباره أم الهارب[3] ساهم في تنوع تركيبة أصول السكان الأولى، لكن مع ذلك يمكن الوقوف على العناصر السكانية بالمنطقة التي شهدت تباينا، هذا تبعا لطبيعة الإقليم الحدودية من جهة، والطابع البيئي القاسي المراس من جهة أخرى، يجعلنا نقف على العناصر السكانية الأولى المتمثلة في الأصول الزناتية الامازيغه، بالإضافة إلى العرب الوافدين منذ فترة الفتوحات الإسلامية، حيث برزت عناصر بشرية عديدة، فالمـــــــصادر الإباضية تؤكد على أن قبيلة زنـــــــــاتة الأمازيغـــــــية هي مـــــن كان يسكن وادي ســـوف. وقد تـــــواجدت به منـــــذ جلاء الرومان عنه إلى مجيء الإسلام إلى بـــــــــــــلاد

---

[2] الانقسامية : نظرية النسب الانقسامي أو القبيلة. وتعد أكثر مجالات التنظير الأنثروبولوجي عن العالم العربي. – ينظر ليلى أبو اللغد : " المجالات النظرية في أنثربولوجيا العالم العربي "، ترجمة أبوبكر أحمد باقادر، **مجلة منبر الحوار**، السنة التاسعة، العددان 32-33، بيروت، ربيع وصيف 1994، ص 36.

[3] لأن صعوبة المراس التي يتحلى بها الإقليم جعل العديد من الأفراد والجماعات تجد في وادي سوف ملاذا آمنا، فهي كما قال العدواني : « أم الهارب. » – ينظر محمد العدواني : **تاريخ العدواني**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 117.

المغـــرب، فـــــوادي ســـــــوف القرن 1هـ/7م زناتي أمـــازيـــــغي إسلامي[4]. ذلك بإستقـــــرار جمـــــاعة من الأمـــــازيغ في مكان يدعى "ضـــــواي روحـــــه" في حـــــدود 522هـ/1129م[5]، وهـــــم من قبـــيلة زنـــاتة ليـــستقـــر أغلبهم في وادي الجردانية[6] إلى أن توافد عليهم الإباضيون منذ الإنتكاسة التي عرفتها الدولة الرستمية بتهارت، مما اضطرهم إلى الفرار صوب التخوم، فكان وادي سوف موقع احتماء لتواجده بالعرق الشرقي الكبير الصعب.

هكذا ظل وادي ســـوف موطنا آمنا للإباضيين حـــــتى القـــــرن 3هـ/10م، حيـــــث يصـــف صـــاحب "**الاستبصار**[7]"، أن سوف بلدة عامرة تمتاز بالاستقرار، وقد ذكرها إلى جانب مدينة درجين الكبيرة[8]، هذا ما يدل على الأهمية التي كانت عليها آنذاك، وظل الزناتيون بوادي سوف إلى أن توافد عليهم بنو عدوان الذين زاحموهم، حيث يذكر العدواني : « ...ثم خرجت إلى زمان لوي فأعمرها أربعين عاما، أتوا إليهم (بني مرين فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاما). ثم أتوا إليهم مرداس وعمروها أربعين عاما ثم أتوا إليهم زناتة عمروها أربعين عاما (ثم أتوا إليهم عدوان فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاما)[9].»، ومن خلال النص يتبين أن استقرار قبيلة عدوان في وادي سوف كان عبر مراحل تاريخية متباينة، هذا ما

---

[4] محمد العدواني : نفس المصدر، ص 134. - إبراهيم العوامر : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تعليق الجيلاني العوامر، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 104.

[5] علي غنابزية : " سوف والاستقرار العمراني العدواني والطرودي ضمن تاريخ العدواني "، **ندوة العدواني الأولى**، الوادي، 2000، ص 05.

[6] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 05.

[7] هو كتاب **الاستبصار في عجائب الأمصار**، لمؤلف مجهول (ت. ق 6هـ)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الأسكندرية، 1958.

[8] مؤلف مجهول : **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، (د. د)، الأسكندرية، 1958، ص 159.

[9] محمد العدواني : **تاريخ العدواني**، المصدر السابق، ص 134.

ذكره العوامر في الصروف : « كان توافد العدوانيين أثناء فترات متعددة، وقيل أول وفد منهم بلغ سوف كان منذ بداية الفتح الإسلامي لإفريقية في أواسط القرن 7م، ثم التحق الباقون فيما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاديين[10].». وفي موضع سابق يؤكد العوامر : « بعد أن كان آل عدوان مع بني هلال وسليم بنواحي الكاف والقيروان ضاقت عنهم المجالات لكثرة عددهم، وكانوا أمة عظيمة لا تقاوم ولا تجارى، فانتقل بعضهم يرتدون الفلوات من موضع إلى آخر حتى وصلوا الجردانية فأعجبتهم فأرادوا سكناها مع من فيها من البربر فمانعوهم ووقع بين الفريقين عدة مناوشات كان النصر فيها حليف عدوان وانجلى ساكنوها وتفرقوا في الأفاق وذلك في حدود عام 600هـ/1204م[11]. ».

أما وادي سوف في مابين القرنين الخامس والتاسع الهجريين فقد شهدت اضطرابات وقلاقل نتيجة الزحف الهلالي السليمي، مما جعل الإباضية تنحصر ويفر أتباعها نحو ورجلان وسدراتة، ثم ميزاب. ذلك منذ 624هـ، وهي السنة التي شهدت فتنة " يحي بن إسحاق الميورقي "[12] المكنى بابن غانية الذي ثار ضد الموحدين في القرن 7هـ/13م، لينشئ دولة وسلطانا فأجبره ذلك بالاعتداء على الكثير من الحواضر الإباضية كوارجلان وسدراتة ووادي ريغ ووادي سوف[13]. فكان هذا التصادم من بين التباينات القبلية التي شهدتها منطقة وادي سوف في إطار الصراع من أجل السيطرة والتنفذ، ذلك لاعتباره مقوما من مقومات المجتمع[14]. ووادي سوف لا يختلف عن غيره من الأقاليم الجزائرية الأخرى. ومنذ فتنة ابن غانية ظل وادي سوف يشهد من حين لآخر قدوم عناصر سكانية جديدة

---

[10] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 145.

[11] إبراهيم العوام : نفس المصدر، ص 140.

[12] يحي بن إسحاق المتلثم المعروف بابن غانية ينسب إلى جزيرة ميورقة بالأندلس. - ينظر إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام : **غصن البان في تاريخ وارجلان**، (مخ)، غرداية، ص 210.

[13] إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام : نفس المصدر، ص 210.

[14] حسين عبد الحميد أحمد رشوان : **المجتمع دراسة في علم الاجتماع**، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة-الاسكندرية، 2002، ص45.

متتابعة، ومنها الهجرة الداخلية الناتجة عن سياسة الاستعمار الكولونيالية (محل الدراسة)، التي ما لبثت تضيِّق على السكان بالأقاليم المجاورة لوادي سوف، كما تحاصرهم في معايشهم وأقواتهم.

أولا - وادي سوف والانقسامية[15] :

ملمح السيطرة والجماعة بوادي سوف كان سائدا لاعتباره مقوما من مقومات المجتمع. والذي هو الكيان الاجتماعي المتكون من مجموعة بشر تربطهم شبكة من العلاقات والتفاعلات الدائمة، والمستقرة نسبيا لتسمح لتلك المجموعة من الاستمرار والبقاء، والتجدد في الزمان والمكان[16]. وطابع السيطرة والجماعة بارزا بحدة، هذا ما يؤكده الشيخ محمد الطاهر التليلي في " **الفذلكة التاريخية** " حيث يقول : « سوف فم الصحراء الكبرى، وتأوي قبائل شتى من الأعراب وأوزاعا من البدو الرّحل، وهم في الغالب نصراء كل ظالم، وحلفاء كل ثائر؛ من مدّ إليهم يده يمدون إليه أيديهم، وربما يمدّ كل من المتخاصمين البعداء عنهم يده إليهم فينقسمون هم أيضا على أنفسهم فيتعادون من أجل تعادي البعداء لبعضهم بعضا فينصر كل فريق من هؤلاء فريقا من أولئك وهذه هي شنشنة الأعراب في كل زمان ومكان، فتكثر من جراء ذلك حروبهم وفتنهم الداخلية والخارجية[17].»

ومنذ أن استطاع بنو عدوان تحقيق نصرهم على الزناتيين بدأت ملامح المجتمع بوادي سوف تتضح من خلال مبدأ السيطرة التي كان أساسها التجمع الماثل في مبدأ الجماعة[18] المتمثل في بني عدوان. وبتعاقب الزمن وجد بنو عدوان أنهم زوحموا في موقعهم من طرف طرود[19] القادم الجديد من مواقع

---

[15] نظرية النسب الانقسامي أو القبلية. - ينظر ليلى أبو اللغد : المرجع السابق، ص 36.

[16] غسان سلامة وآخرون : **المجتمع والدولة في الوطن العربي**، منسق الدراسة سعد الدين إبراهيم، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ماي 2005، 37.

[17] محمد الطاهر التليلي : " فذلكة تاريخية عن منطقة سوف بالجزائر "، تقديم أبو القاسم سعد الله، الحلقة 2، **مجلة العرب**، السنة 39، ج7-8، المملكة العربية السعودية، محرم وصفر 1425هـ/مارس أبريل 2004م، ص ص 455 – 456.

[18] حسين عبد الحميد أحمد رشوان : المرجع السابق، ص 46.

[19] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 09.

أخرى بوادي سوف، علما أن كل من طرود وعدوان قد نزلا معا[20]، هذا ما نقف عنده من قول العدواني : « فلما تم لنا أربعين عاما (فهاهم) قدموا إلينا (...)[21] فقتلونا وذلونا، وهذا هو الحال، كما بلغك[22] ...». وقد ذكر العدواني أن وصول طرود إلى وادي سوف أو قصور عدوان كان في سنة 800هـ/1397م[23]، غير أن العوامر ذكر تاريخا آخر هو سنة 797هـ الموافق 1395م[24]، لكن بمرور الوقت أدرك سكان وادي سوف ضرورة التعايش، مما جعله يشهد تطورا مستمرا نتيجة الاستقرار، وتنامي العلاقات الاجتماعية بين الفئات السكانية، التي صارت تتميز بالعوامل الأساسية التي أقرها ابن خلدون لنشأة مجتمع، وهذه الأسس يمكن رصدها في :

1 - الضرورة الاقتصادية التي بدورها تزيد من رابطة الأواصر بين أفراد المجتمع. ذلك انطلاقا من كثرة الجماعة، وتوسع دائرة الأرزاق التي ينتقل فيها المجتمع من الحصول على الضروريات إلى الرغبة الملحة للحاجيات والكماليات.

2 - الدفاع الذي أنتجته الحاجة لحماية ذات المجتمع. انطلاقا من خاصية التجمع، وتشكيل تنظيم يضمن حياة كريمة تحت سلطة تدفع عدوان بعضهم البعض، ويضع حدا للصراع بين أفراد المجموعة المتعاونة، ودون هذا التآزر لا يتم للفرد من أن يوجد قوة أو ينشئ دفاعا، فلا تعتدل حياة.

---

[20] العدواني : المصدر السابق، ص 109.

[21] تعمد المحقق تركها فارغة لأنه وجد في النسخة (ف) المحققة طرود « الكلاب »، Klab (أي من بني كلاب) ومن هذا النص يستكفي المحقق بعبارة طرود فقط. – ينظر العدواني : المصدر السابق، ص 109. (هامش رقم 2.)

[22] العدواني : نفس المصدر، ص 135.

[23] نفسه، ص 94.

[24] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 155.

3 - الميل الفطري الذي يدفع الإنسان إلى تحقيق فكرة التجمع والألفة، فالإنسان يشارك أخاه الإنسان في السراء والضراء، ويهون عليه البلاء إذا ما ألم به ضرر، هذا للمحافظة على النوع البشري[25].

يضاف إلى هذه العوامل الميل الغريزي؛ أي الغريزة الجنسية التي تلعب دورها الأساسي في الحياة الاجتماعية، لأن كل جنس مضطر إلى البحث على الطرف الآخر قصد تحقيق غاية الإنجاب، والمحافظة على النوع البشري[26]. هذه الأسس يمكن أن تبرز لنا معالم المجتمع المتجانس من خلال رؤية المؤرخ الذي يعتبر كل مجتمع من المجتمعات يكوِّن وحدة قائمة بذاتها، كما يرى أن هناك عددا من هذه الوحدات المتباينة تكون لكل مجتمع سماته الخاصة به، بالإضافة إلى تكوينه الخاص وأخلاقه ونظامه المعيشي[27]. والتركيبة الاجتماعية لوادي سوف لا تعدو أن تكون وحدة بشرية ذات أواصر تربط بين فئاتها، قوامها الأول في العائلة التي تعد المؤسسة الأساسية التي تتكون من زوجين، أو عدد من الأزواج، ومعهم الخلف الأحياء، وأقارب آخرون. والعائلة إنتاج اجتماعي تبرز صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه[28]. والمجتمع بوادي سوف لا يشذ في تكاثره عن ما سبق، فهو مجتمع تطوري، وأساس هذا التطور يكمن في ظهور القبيلة والعرش، يربط بينها الود والتآلف، كما يطغى عليها الانسجام لوجود العادات والتقاليد، ومجموعة القيم الضابطة للمجتمع انطلاقا من الدين والعرف المتقَبلان والمسموعان لدى غالبية عناصر المجتمع، لكن هذا لا يبرر انعدام السلوكيات السلبية لدى عامة المجتمع، مما يؤثر في وضع ترابطه من حين لآخر باعتباره مجتمع يقوم

---

[25] عبد الرحمن بن خلدون : **المقدمة للعلامة ابن خلدون**، المطبعة الشرفية،مصر،رجب الفرد 1327هـ، ص ص 45، 46.

[26] إدريس خضر : **التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، 84.

[27] إميل دوركايم : **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، تقديم عبد الرحمان بوزيدة، موفم للنشر، الجزائر، 1990،ص 160.

[28] مصطفى بوتفنوشت : **العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة**، ترجمة أحمد دمرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 14.

على التسلسل الانقسامي أو القبلي انطلاقا من الفرد بوادي سوف على أساس أنه إنسان انقسامي، هذا بدوره ساعد في تنامي روح الفرقة والشقاق، والسبب يمكن حصره في العصبيات القبلية الانقسامية، التي تؤلب نارها بعض التصرفات غير المسؤولة. فمن هذا المنطلق يتبين لنا أن المجتمع بوادي سوف يتكون أساسا في القرن 19م من العنصر العربي وهو العنصر الغالب، إذا ما اضفنا العنصر الزنجي المتمثل في " الوصفان "، وهم مجموعة سكانية محدودة العدد. والعنصر العربي يتمثل في عرب سليم وهلال، وهما العنصران الطاغيان في المجتمع بوادي سوف، وينقسمان إلى عرشين هما : طرود وعدوان[29].

فطرود نسبة لطرود بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ويشمل هذا القسم الأعشاش المنحدرين من فرع بني سليم[30]، ومنهم أولاد أحمد وأولاد جامع، والفرجان والربايع، والقطاطية[31]، والمصاعبة وهم أيضا من بني سليم[32]، غير أن بعض الروايات تقول بأمازيغية أصل المصاعبة من خلال التسمية، وهي من قبيلة مسوفة الأمازيغية[33] الملثمين، غير أن هذه الفئة من المجتمع بوادي سوف تأثرت بعوامل اجتماعية جعلها قبيلة عربية[34]، وهي تتكون من : العزازلة والشبابطة والقرافين.

---

[29] بوجمعة هيشور : " أثنولوجيا وادي سوف ملامح تاريخية لعرشي عدوان وطرود "، **جريدة النصر**، العدد 6349، قسنطينة، الخميس 28 أفريل 1994.

[30] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 270.

[31] القطاطية فئة وافدة إلى وادي سوف خلال القرن 19م. ينظر - علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ / 19 م**، رسالة ماجستير، (مخ)، تحت إشراف عمر ابن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 - 2002، ص 106.

[32] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 307.

[33] عبد الرحمن بن خلدون : **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 6، دار البيان، (د – ب)، (د – ت)، ص198.

[34] André – Roger Voisin : **Le souf Monographie**, Lu et révise par Ali Abid, El-walid Editions, El-oued, 2004, p 96.

أما عدوان فهم يعودون إلى عدوان بن عمرو بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[35] استقروا في بادئ الأمر بقصور عدوان، ثم امتزجوا مع قبائل أخرى فتشكل منهم : أولاد أسعود : وهم سكان تغزوت الذين وقع لهم خلاف مع أحمد الشابي التونسي رئيس البادية التونسية[36] وصل إلى حد العداء والاقتتال، فهُزم أحمد الشابي أمامهم في حدود القرن 9هـ/15م[37] وعلى اثر مشورة أحد شيوخهم يقال له أسعود في تسمية أنفسهم فدلهم على اتخاذ اسمه، وصاروا يدعون منذ ذلك الحين بأولاد أسعود[38]، وهم سكان تغزوت وكوينين، وورماس.

غير أن هذا التقسيم ليس تقسيما ثابتا لأن المناطق المذكورة ليست خالصة لطرود أو أسعود، هذا ما جعل إمكانية التعايش تتباين نتيجة الصراع المتجدد بين الفئتين، كما أن المناطق الأخرى من حواضر وقرى وادي سوف الباقية، وهي : قمار والدبيلة، والبهيمة وحاسي خليفة، وعميش ووادي العلندة، ووادي الترك والرقيبة، وغيرها من التجمعات السكانية الأخرى، فهي مزيج من عرشي طرود وعدوان[39]. وعلى هذا الأساس كان وادي سوف يعيش حالة انقسام لمجرد حدوث أي طارئ، فكان ذلك كافيا لإشعال نار الفتنة باعتبار أن وادي سوف فم الصحراء الكبرى، حيث تجمع قبائل عديدة من الأعراب والبدو الرحل، وهم في غالب الأمر منقسمون إلى قسمين أو أكثر، وهذه هي عادة الأعراب في كل زمان ومكان[40]. ومن هنا فإن الروح القبلية متفشية في المجتمع، وأن التعصب وارد في كل حين لأن الوضع الاجتماعي السائد ينم على بروز ملامح مشتركة مع المجتمعات العربية المسلمة، كما أن هذه الصورة تمثل دينامية صراع في ما بينها لأنها تعمل كقوى

---

[35] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 270.

[36] العدواني : المصدر السابق، ص ص 317-318.

[37] علي الشابي : " مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 7-8، تونس، يناير 1979، ص 57.

[38] العدواني : المصدر السابق، ص 317.

[39] C. Cauvet : **Note sur le souf et les souafas,** Bulletin de la société de géographie d'Algérie, Alger، 1934، p 64.

[40] محمد الطاهر التليلي : **فذلكة**، المصدر السابق، ص 455.

عمق في مجال التوترات والأحداث، باعتبارها ليست على الإطلاق مجال المسؤوليات الفردية[41]، هذا حسب موقع كل فرد من خلال التركيبة الاجتماعية في وادي سوف. ذلك بدوره ساهم في ظهور قوى تجاذب انطلاقا من التشكيلة البشرية المشكلة لمجموع الفئات بوادي سوف، ومنه ينبغي أن نقف على هذه القوى من خلال وادي سوف، وقوى التجاذب.

ثانيا – وادي سوف وقوى التجاذب :

قوى التجاذب المتحكمة في المجتمع بوادي سوف هي عديدة، هذا لوقوع الإقليم تحت عدة أطراف حاولت كل منها ممارسة سلطتها عليه انطلاقا من وازع التسلط، وهذه القوى التي تجاذبته هي سلطة بني جلاب[42] بحكم القرب، والسلطة العثمانية من خلال بايلك قسنطينة، بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي المتمثل في التنوع القبلي رغم عدم التباين في أصول الانحدار العرقي المكون للمجتمع بالمنطقة قبل مجيء المحتل، هذا لما كان لهاتين السلطتين من قدرة في التأثير على ربوع الإقليم، غير أن السيطرة التركية كانت في غالب الأحيان أقل حدة، مما هي عليه سلطة الجلابيين تبعا للموقع الذي عليه الإقليم، فهو بعيد عن نفوذ السلطة في بايلك الشرق بما يزيد عن 450 كلم. أما بالنسبة لتقرت فإن المسافة لا تتعدى 98 كلم، هذا التجاذب يبرز من خلال محاولات فرض الضرائب، وجمع ولاء السكان من حين إلى آخر، لكن ما يميز هذا الصراع هو أن نفوذ كل من السلطتين في القرن 19م كانت آخذة في الضعف والتلاشي نتيجة طابع الصراعات التي كانت سائدة لدى كل سلطة، زيادة على الوضع الذي أصبحت عليه البلاد منذ التواجد الاستعماري الفرنسي الذي قضى على السلطة التركية.

---

[41] وجيه كوثراني : " إشكالية المنهج في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة، **مجلة منبر الحوار**، السنة التاسعة، العددان 32-33، بيروت، 1994، ص 131.

[42] تنحدر أصول بني جلاب من أسرة بني مرين التي حكمت المغرب الأقصى. ينظر – معاذ عمراني : **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 – 20م**، ماجستير، اشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2002 / 2003، ص ص 17 - 19. – Charles Féraud : " Notes Historiques sur la province de Constantine, Les Ben Djellab Sultans de Tougourt ", **Revue Africaine**,Volume 22, Alger, 1878, p 64.

وقد مارس الأتراك سلطتهم على الأقاليم الجنوبية من خلال تنصيب عائلتين إقطاعيتين كانتا تعملان على توجيه مجتمعات الأطراف الريفية، هذا نتيجة الضعف الذي صارت عليه السلطة التركية، حيث نجد صالح باي (1771 - 1792) بقسنطينة استطاع إخضاع هذه المناطق من خلال رؤساء الأسر الكبرى كأولاد بوعكاز بالصحراء[43]، ثم نجد أحمد باي الذي عمل منذ توليته على تقوية عائلة بن قانة لما يربطه بها من رابطة نسب ومصاهرة، باعتبار بوعزيز بن قانة خاله، فكانت عائلتي بوعكاز[44] وبن قانة تتصارعان قصد تجاذب ولاءات المناطق الجنوبية لبايلك الشرق، فعائلة بوعكاز كانت تعتمد على الأسبقية التاريخية في حصولها لموافقة الباي صالح، حيث كانت تمارس سلطتها على المنطقة انطلاقا من منصب شيخ العرب[45]، فتوالت المشيخة بين الأحفاد إلى أن وصلت إلى الشيخ " أحمد بن محمد السخري " المتوفي سنة 1790، ليظل هذا المنصب شاغرا نتيجة الوضع الذي آلت إليه العائلة حتى مطلع القرن 19م، حيث تقدم " فرحات بن سعيد " بن الشيخ "أحمد" لتولي المنصب[46]، فكان لهذا الأخير شأنا كبيرا مع سكان وادي سوف، وما ميز فرحات بن سعيد في علاقته بهم هو التوتر حينا والألفة حينا آخر[47]، ليتولى المنصب ابنه "علي باي"[48].

---

[43] p 257. Paris, 1909, Picquet V : **Les civilisation de l'Afrique du nord**, A, Colin,

[44] وجذور العائلة يعود إلى الحاج علي بن عكاز السخري الذواودي وهي أحدى العائلات الصحراوية، وهي عائلة الذواودة المشرفة على الأقاليم الجنوبية لبايلك قسنطينة. - ينظر موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف النشأة والتطور (1900-1939)**، رسالة ماجستير، تحت إشراف أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 240.

[45] وهو اللقب الذي منحه باي قسنطينة لعلي بن عكاز السخري شيخ الذواودة، خلفا للقب أمير العرب. - ينظر Charles Féraud : " Les descendants d'un personnage des mille et une nuits, à Biskra ", **Revue Africaine**, Volume 19, Alger, 1875, p 113.

[46] محمد خير الدين : **مذكرات**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ت)، ص ص 41-43.

[47] محمد الطاهر تليلي : **فذلكة**، المصدر السابق، ص ص 546، 547.

[48] علي عنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 14.

أما العائلة الثانية التي تزاحم عائلة بوعكاز هي عائلة بن قانة[49]، وقد برز دورها من خلال العلاقة التي ربطت بين " أحمد القلي "، و" سليمان بن محمود بن قانة " إلى أن وصلت هذه العلاقة إلى رابطة المصاهرة، حيث تزوج أحمد القلي الكرغلي، أحد الجند الأتراك بابنة سليمان " مباركة " فأنجبت له "محمد الشريف"[50]، هذا الأخير تزوج من " رقية ابنة الحاج بن قانة "[51] شيخ العرب، فكان ثمار هذه الزيجة ولادة " أحمد باي " آخر بايات بايلك الشرق الجزائري، و لم تتوقف رابطة المصاهرة بين أحمد القلي وعائلة ابن قانة[52]، بل نجدها اشتركت في إحداث علاقة مصاهرة بين عائلتي بن قانة وبوعكاز. ذلك من خلال تزويج أخت زوجة الحاج بن قانة " مباركة " لـــ " ابن عاشور " من أسرة بوعكاز[53]، فصار الحاج بن قانة صهرا لبوعكاز [54]، وعند تنصيـــــب أحمد القلي بـــــايا على قسنطينة (1756 – 1771)، فما كان عليه إلا تنصيب صهره " محمد بن علي بن سليمان بن قانة " المعروف بـــ " الحاج بن قانة " والد رقية زوجة محمد الشريف بن أحمد القلي شيخا للعرب سنة 1762[55]، فكان ذلك كافيا في إحداث صراع بين العائلتين المتصاهرتين والمتنازعتين على المشيخة.

---

[49] اختلفت الروايات في أصل تسمية عائلة بن قانة، حيث تردها بعض الروايات أن قانة هي جدة هذه العائلة. أما أصول هذه الأسرة ترجع إلى أحد أبنائها يدعى محمود الذي هاجر من جبال جرجرة إلى قرية رجاس بالقرب من ميلة وهو حداد الحرفة، كما أنه جد مباركة بنت سليمان زوجة أحمد القلي. - ينظر موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية**، المرجع السابق، ص ص 240،241.

[50] خير الدين : المصدر السابق، ص 64.

[51] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 139.

[52] وهي العائلة المنافسة لعائلة بو عكاز التي كانت تمثل السلطة العثمانية منذ زمن بعيد وعند اعتلاء أحمد القلي منصب الباي رأى أنه لا بد من الزج بهذه العائلى في الجنوب الشرقي من أجل أحداث سياسة التوازنات عن طريق سياسة فرق تسد ابتداء من 1790. - ينظر أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر**، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـــ/2005، ص 11.

[53] احميدة عميراوي : " مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب من خلال وثائق نادرة "، **مدونة ملتقى الشريف محمد بن عبد الله بورقلة**، جمعية الانتفاضة الشعبية التاريخية، بورقلة، فبراير، 1998، ص 36.

[54] يحي بو عزيز : **ثـــورات الجـــزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص 182.

[55] احميدة عميراوي : " مقاومة الشريف "، المرجع السابق، 36.

ليستمر هذا الصراع إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي للجنوب الشرقي الجزائري، فلم يكن أهل وادي سوف في منأى عن هذا الصراع فأنقسم ولاء المجتمع إلى قسمين :

- القسم الأول : وهم الطرود الممثلون في أهل قمار والوادي والبهيمة[56]، والدبيلة[57] يوالون عائلة بوعكاز، ويرتبطون مع تماسين، ويسعون إلى تقوية ربط الوشائج بين قبائل سعيد ولد عامر وأولاد السايح، والشعانبة والمخادمة بورقلة[58].

- القسم الثاني : عناصره هي أولاد سعود وهم من كوينين وورماس وتغزوت يحالفون عائلة بن قانة، ويرتبطون مع بني جلاب في تقرت[59].

وعلى إثر انقسام الولاءات برز طرف ثالث رغم أنه الأسبق في الظهور من العائلتين ألا وهم بنو جلاب[60] الذين كانوا يمثلون سلطة نافذة في ربوع الصحراء. فامتدت وانتشرت بين وادي ريغ ووادي إيغاغار ونواحي الجريد[61]. وهذه الامتدادات الجغرافية تحوي فيما بينها منطقة وادي سوف، حيث كانت بعض قرى وادي سوف تدفع ضرائب سنوية رمزية، بينما امتنعت القرى الأخرى من دفع هذه الضرائب معلنة رفضها لسلطة بني جلاب[62]، مما دفع ببعض سلاطين بني جلاب إلى إعداد حملات تأديب لهذه

---

[56] محمد الطاهر التليلي : **فذلكة**، المصدر السابق، ص 546.

[57] على غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 15.

[58] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 15.

[59] محمد الطاهر التليلي : **فذلكة**، المصدر السابق، ص 546.

[60] محمد العدواني : المصدر السابق، ص ص 139-141.

[61] أحمد توفيق المدني : **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 139.

[62] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 15.

القرى غير المذعنة للامتثال، والعمل على إخضاعها وإجبارها على تأدية ودفع الضرائب بانتظام، ومن بين تلك الحملات[63] حملة الشيخ " أحمد بن عمر الجلابي " (1766-1778)[64]، وحملة الشيخ " فرحات بن عمر بن محمد الجلابي " (1782-1792)[65]، وقد وافق هاتان الحملتان حملة " صالح باي " لتقرت ووادي سوف، وبعد وفاة صالح باي 1792 دخل الجنوب الشرقي في فوضى نتيجة الصراع الذي قام بين أسرتي بوعكاز وابن قانة، ومؤيدوهما في الحكم من ناحية، وتنازع أسرتي ابن قانة وابن جلاب على ولاية تقرت من ناحية أخرى، فلم يمنع هذا الصراع بزج وادي سوف من خلال الطرود في النزاع الذي أثاره " الخازن بن جلاب "[66]، ليستمر هذا الوضع المتوتر حتى سنة 1818، حيث شارك سكان وادي سوف في الثورات القائمة ضد الأتراك في كل من النمامشة والأوراس[67]. فكانت الأوضاع في أواخر العهد التركي متقلبة ومهتزة، نتيجة الضعف الذي أصاب جسد الدولة. وأمام هذا الوضع المتقلب توافدت فلول المحتل، قصد بسط نفوذها، وإزاحة كل ما هو معيق لذلك من جهة، واعتبار الصحراء جزءا هاما لابد من بسط نفوذها عليه من ناحية ثانية، هذا لما تشكله الصحراء من امتداد لبسط نفوذها على باق دول الساحل، والكيانات المجاورة والمحاذية لصحراء الجزائر.

المبحث الثاني – دور البنية الثقافية في تحصين سكان وادي سوف من المؤثرات

---

[63] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 312.

[64] محمد الطاهر عبد الجواد : " عاصمة وادي ريغ (تقرت) أيام بني جلاب "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالث فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص 50.

[65] محمد الطاهر عبد الجواد : نفس المرجع، ص 50.

[66] محمد العربي الزبيري : **التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792 - 1830)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص ص 32، 33.

[67] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 59.

التغريبية:

إن المجتمعات البشرية في تطور مطرد نتيجة الحاجة الماسة للعيش، والتكيف مع الظرف البيئية تارة، والظروف السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية تارة أخرى، هذا ما دفع بالكثير من هذه المجتمعات أن تجمع قدرا كافيا من الإمكانيات والمقومات الحضارية التي تجعلها قادرة على رفع التحدي، والمضي قدما نحو بناء الذات الجماعية، للحفاظ على المكتسبات الحضارية، التي يتمتع بها كل مجتمع إنساني متحضر. ومن هذه المجتمعات، نجد مجتمع وادي سوف الذي لا يتجزأ عن المجتمع الجزائري الكبير، الذي كابد ويلات الاحتلال، وصمد أمام سياسة الطمس والمسخ، حيث استطاع المحافظة على هويته الحضارية القائمة على أسس : الإسلام والعروبة، بالإضافة إلى قساوة البيئة ذات الطابع الصحراوي التي كانت من المعوقات الأساسية لجعل وادي سوف معزولا عن مناطق كثيرة من ربوع البلاد، يضاف إلى ذلك التردي الحضاري الذي يحياه المجتمع بالإقليم منذ النصف الثاني من القرن 19م، لكن رغم ذلك فإن الفرد بوادي سوف تخطى هذه المعوقات، واستطاع أن يشكل لنفسه بيئة متكاملة ثقافيا واجتماعيا، واقتصاديا ذات الملامح المتباينة من خلال الإمكانيات المتوفرة في المنطقة. بل إن تواجده قد تعدى نطاق الإقليم، فبلغ وادي ريغ والزاب، والمناطق الشمالية من ربوع الجزائر مساهما في رفع التحدي في وجه المستعمر، لأنه عنصر فعال في المجتمع الجزائري الكبير.

ومن الفئات التي كان لها الدور في الحفاظ على الأسس الحضارية للمجتمع الجزائري هي في الغالب فئات متدينة منها ما ينتمي إلى الطرق الصوفية، والمناهضة لها، والمحايدة وغيرها، مما ساهم في إبراز وضع ثقافي يترنح بين التردي الحضاري الذي وصل إليه المجتمع نتيجة السلبيات التي قد لا تعود فيها المسؤولية للطرق الصوفية ذاتها، بل قد تعود إلى حالة المجتمع المنغمس في التفاهات والترهات، يضاف إلى ذلك التحدي الحضاري الذي ظل يرفعه بعض الأشخاص ذوي الثقافة المناهضة للاستلاب الغربي، لكونهم يمثلون النخبة المثقفة. أما فئة اليهود فقد تبين موقفها منذ صدور قانون كريميو (La loi Crémieux) الذي يمنحهم حق المواطنة إلى جانب المعمرين، رغم انقسام اليهود في موالاتهم للطرق الصوفية، بين منتمي إلى القادرية، وموال للتجانية[68]. ذلك كله في نطاق المحافظة

[68] هذا الانتماء ليس غرضه ديني، بل غرضه مصلحي، لحماية حقوقهم المادية مقابل أداءات مادية ومعنوية لشيخ من شيوخ الطريقة القادرية أو الطريقة التجانية، فيهود أولاد أحمد وجزء من يهود الاعشاش يوالون القادرية، ويهود المصاعبة وجزء من

على المكتسبات المادية من ناحية، ومن ناحية ثانية اكتساب ود السكان المسلمين الجزائريين[69]. ومن جهة أخرى نجد السياسة الاستعمارية التي ثبّتت وجودها بالاستقرار بالمنطقة منذ الثمانينات من القرن 19م، حيث أعتمدت سياسة الاضطهاد المبنية على : التجهيل، التجويع، التفريق، هذا مما زاد من حدة التأزم للوضع العام، وإلى مواقف الطرق الصوفية، والفئات المثقفة المتباينة في مواقفها من تلك السياسة التغريبية، كما لم يمنع ذلك من سعي بعضها في رفع شيئ من الغبن على السكان المسلمين الجزائريين في الجانب الثقافي.

أما دور الطرق الصوفية المناهضة للسياسة الاستعمارية فقد برز على مستوى الميدان الثقافي من خلال الكتاتيب القرآنية لتحفيظ أبناء المنطقة القرآن الكريم، مما استوجب ذلك الحفاظ على اللغة العربية. أما الفئة المثقفة فقد ركزت في تحصيلها الثقافي على النهل من المؤسسات الثقافية المتواجدة في الحواضر الشمالية كبسكرة وقسنطينة، وغيرها من المدن الجزائرية، بالإضافة إلى الهجرة صوب القطر التونسي في إطار التعلم بجامع الزيتونة، أو الزوايا والمعاهد المتواجدة بالجنوب التونسي المحاذي لإقليم وادي سوف بالجزائر، في حين أن الأطراف المتأقلمة نسبيا، المتذرعة بدافع الحفاظ على مكتسباتها، كانت مواقفها تبرز من خلال مبدأ القدرية. ذلك لاعتبار الاحتلال قدرا مقدرا علينا، ولا طاقة لنا في إزاحته، مما ساهم في تفشي روح الدعة والخمول في أوساط الفئات الاجتماعية في مواقفها تجاه سياسة المحتل، خاصة على الميدانين السياسي والاقتصادي نتيجة تفوقه، بخلاف الميدانيين الاجتماعي والثقافي، الذيّن تميزا بخصوصية الانتماء الحضاري للعالم الشرقي الإسلامي.

أولا ـ مساهمة البنـــــية الثقافية في بلورة مواقف السكان بوادي سوف من الاحتلال:

إن الوضع الثقافي بالأطراف لم يختلف على المدن الكبرى بالجزائر. ووادي سوف لم تشذ عما كان قائما بالجزائر قاطبة منذ احتلالها، لما كان يمارس من اضطهاد في حق المسلمين الجزائريين، لكن مع ذلك وجد تمايز بين المناطق المختلفة كالزيبان ووادي سوف التي تمتعت بوجود طرق صوفية كانت

اليهود القاطنين بحدود الاعشاش والمصاعبة يوالون التجانية. بل وصل الأمر بمنح كبارهم وممثليهم لقب مقدم طريقة، وهذا ما عثر عليه في قمار حينما منح رتبة مقدم على بني جلدته.- ينظر **صدى الصحراء** : العدد 8، السنة الأولى، 7 رجب الفرد 1344هـــ/25 جانفي 1926م.

[69] **حوار** مع الشيخ أحمد خراز يوم 30 صفر 1429هـــ/10 مارس 2008 ببيته.

تسعى لمحاولة الحفاظ على مكتسبات الأمة الحضارية[70]، مختزلة في تحفيظ القرآن الكريم، وبعض مبادئ اللغة العربية. وإقليم وادي سوف صحراوي ساهم في عزلة المنطقة، لكن عزيمة الإنسان لم تفل، بل جعلته يبحث عن سبل كان من أهمها منافذ المناطق الحدودية المحاذية للمنطقة، خاصة إقليم الجريد الذي يعد مركزا ثقافيا طرفيا[71]، حيث يعد مسلكا سهلا للتنفذ لمناطق أخرى من القطر التونسي، هذا ما فتح الباب أمام العديد من أبناء المنطقة للتعلم والتحصيل، يضاف إلى ذلك إقليم الزيبان الذي عاصمته بسكرة، هذا ما جعل الوضع الثقافي بوادي سوف يتميز بحركية فاعلة، ونشطة، بالإضافة إلى الروابط المتينة، التي تربط الكثير من العوائل من الإقليم بمثيلاتها التونسية، ويبرز ذلك من خلال التأثيرات الواضحة على الحياة العامة للفرد بوادي سوف عامة، وبقمار خاصة، رغم ذلك لم يتميز المجتمع بوادي سوف عن غيره من المجتمعات الجزائرية القريبة منه، حيث ظلت العلاقات قائمة بينهم، إضافة إلى محاولة بعض الطرق الصوفية تشييد زوايا تابعة للزاوية الأم بوادي سوف مثل : الزاوية القادرية في كل من بسكرة والأغواط وسكيكدة، وغيرها. والزاوية التجانية وعلاقتها الوطيدة بزاوية تماسين، والعلاقة القائمة بين زاوية طولقة الرحمانية، وزاوية الهامل ببوسعادة مع الزاوية العزوزية (الرحمانية) بوادي سوف، يضاف إلى كل هذا بعض المقومات الذاتية بالإقليم التي كانت ذات تأثير في مسيرة التطور والتأثر. وحتى نستطيع تناول البنية الثقافية ومواقفها من المقاومة والتأقلم يلزمنا الوقوف عند بعض المقومات المشكلة لها.

والبنية الثقافية بوادي سوف لم تختلف في ملامحها من خلال المقومات المحافظة، وتأثيرات التغريب على باقي البنى الثقافية بأقاليم الأطراف بخلاف المدن الكبيرة ذات التأثيرات الاستعمارية نتيجة الاستلاب الغربي. وبالرغم من ذلك فإن منطقة وادي سوف لم تكن بعيدة عن بعض المؤثرات التي حاولت الإدارة الاستعمارية إبرازها، والعمل على تكريسها، ومع ذلك استطاع السكان المسلمون الجزائريون الحفاظ على المقومات الحضارية، والتي ترتكز في الأساس على المساجد والزوايا باعتبارها آليات الحفاظ والممانعة.

أ ـ دور المساجد في الحفاظ على هوية السكان بوادي سوف في ظل التواجد الاستعماري :

---

[70] فاني كولونا : " مثقفون في الاطراف "، من كتاب **الانتلجانسيا في المغرب العربي**، مجموعة بإشراف عبد القادر جغلول، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1984، ص ص 280، 281.

[71] فاني كولونا : " مثقفون في الاطراف "، نفس المرجع، ص ص 241،240.

إن تشييد المساجد ظل على الدوام يرتبط بالحياة الفكرية والروحية للمجتمع منذ قرون بعيدة، فكان مسجد العدواني الذي قيل أنه بني منذ ثمانية قرون، حيث نجد الشيخ العدواني قد عاش حتى منتصف القرن 10هـ/16م؛ أي حوالي 966هـ/1560[72]م، هذا ما يؤكد أنه قد بني قبله، وقد يكون الشيخ العدواني مرمما له، فسمي باسمه في بلدة الزقم[73]، كما شُيد مسجد تغزوت حوالي 988هـ/1580م[74]. أما بقمار فشيد بها مسجد حوالي 1006هـ/1597م[75] لتنشط حركة تشييد المساجد على يد شيوخ الشابية منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي مثل مسجد سيدي مسعود الشابي بالوادي سنة 1009هـ/1600م[76]، وهكذا استمر السعي في إنشاء المساجد حتى وصلت نهاية القرن 18م حوالي عشرين مسجدا[77]، لكن ما يلاحظ على هذه المساجد أنها بسيطة في عمارتها، لبساطة العمران المحلي بوادي سوف.

أما في القرن 19م فقد شهد إنشاء ستة عشر مسجدا نصفها في الوادي المركزي، والأخرى متناثرة عبر قرى ومداشر وادي سوف، وتحتل قمار المرتبة الثانية في احتوائها للمساجد بعد الوادي المركزي، حيث وصل عددها نحو أربعة مساجد[78]. وقد بلغ العدد الإجمالي للمساجد بوادي سوف منذ نهاية القرن 19م حوالي ستة وثلاثين مسجدا[79]، ليتضاعف هذا العدد خلال النصف الأول من

---

[72] مصطفى سالمي : **الدر المصفى من تقاييد سالمي مصطفى**، رتب مادته وصنفه وعلق عليه علي غنابزية، (مخ)، مكتبة سيدي سالم، الوادي، أوت 1999-سبتمبر 2001، ص 15. - André Voisin : op. cit, p 88.

[73] محمد العدواني : المصدر السابق، ص 20.

[74] مصطفى سالمي : **الدر المصفى**، المصدر السابق، ص 15.

[75] مصطفى سالمي : **الدر المصفى**، نفس المصدر، ص 15. - André Voisin : op. cit, p 88.

[76] نفسه، ص 15.

[77] André Voisin : op. cit, p 88.

[78] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 173.

[79] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 173.

[80] نفسه، ص 173.

القرن 20م، حيث شهدت المنطقة استقرار كثير من السكان الرحل[81]، الذين راحوا ينشئون تجمعات سكانية مثل نزلة الحمايدة بالجنوب الشرقي من الوادي محاذية لعميش، التي أنشئت حوالي سنة 1920م حين أستقر بها أولاد " حدى "، وبعض عوائل أولاد " باي " على إثرها أقيم مسجدا[82]، كما شيدت الطرق الصوفية مساجد محاذية لزواياها للصلاة والذكر، وتحفيظ القرآن، وهي كثيرة بتعدد الزوايا، فنجد مسجد زاوية الشيخ " محمد لمام " القادرية بالرباح، ومسجد الشيخ " محمد الهاشمي الشريف " بزاوية عميش، ومسجد الزاوية التجانية بقمار الذي بناه الشيخ " محمد العيد التماسيني " سنة 1261هـ / 1845م[83]، ومسجد سيدي سالم الذي بني بعد إتمام الزاوية العزوزية (الرحمانية) حوالي 1818[84]، ليشيد مسجد مقدم الطريقة العزوزية الرحمانية بقمار سي" سعيد " سنة 1890[85].

وكانت كل حاضرة أو قرية تحتفي بمسجدها العتيق الذي يحظى بالمكانة الهامة المميزة له عن غيره من مساجد البلدة. ذلك بإقبال المصلين عليه لأنه يتميز بهالة العتاقة والبركة، حيث أن الفقه الإسلامي حث على عدم إقامة صلاة الجمعة في غير المسجد العتيق إلاّ إذا ضاق هذا الأخير بالمصلين، لكن هذه الهالة لم تمنع من إقامة بعض المساجد بالقرب من المسجد العتيق مثل ما حدث لقرية كوينين، التي شيد بها مسجدا سنة 1634 من طرف أتباع الطريقة التجانية، وما حصل سنة 1792 أين أقام إخوان الطريقة العزوزية الرحمانية مسجدا آخر يدعى المسجد " القبلاوي "، ولا يفصلها عن المسجد الأول إلاّ الشارع[86].

---

[81] بلغ تعداد سكان وادي سوف في مطلع القرن 20م مائة وثلاثة آلاف نسمة، فالسكان الرحل بلغوا إثنين وخمسين ألف. - ينظر L'annexe d'El – Oued : **Rubrique 3 Habitat**, dans A. D. M El, SD, EL-oued, p 1.

[82] **حوار** مع السيد محمد باي من بمنزله يوم 10 سبتمبر 2003، والسيد من مواليد 1902.

[83] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص ص 173، 174.

[84] A. O. M : 16 H 42.

[85] الشيخ محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، (مخ)، مكتبة النادي السياحي، قمار ، ص 43.

[86] André Voisin : op. cit, p 89.

وأمام العديد من العوامل[87] كان بناء المساجد كثيفا ومتسارعا، خاصة في القرن 20م، هذا كله ظهر في العديد من مناطق وادي سوف، فعلى سبيل المثال نأخذ ثلاثة أحياء من الوادي وهي : حي الأعشاش والمصاعبة، وأولاد أحمد، التي تقع في محيط جغرافي لا يتجاوز بعض الكيلومترات، غير أن عدد مساجدها حتى نهاية القرن 19م بلغ تسعة مساجد، أكثرها بحي الأعشاش الذي يحوي خمسة مساجد، وهي مسجد سيدي سالم التابع للطريقة العزوزية، ليقيم بعض أتباع هذه الطريقة مسجدا آخر هو مسجد الحسيني نسبة إلى الشيخ الحسين بن علي بن عمر الطولقي[88]، وقد استقدمه سي موسى موساوي، ليدرس بالمدرسة القرآنية، كما أرادوا تحويله إلى زاوية عزوزية رحمانية، لكن قايد الأعشاش عارض ذلك ومنعهم لوجود زاوية سيدي سالم[89]، ليظل المسجد على حاله الذي شيد به منذ 1870. أما المساجد الثلاثة الأخرى هي : مسجد العزازلة الذي أقيم هو الآخر سنة 1870[90]، وهو نسبة إلى قبيلة العزازلة، حيث نجد أن أكثر رواده أتباع الطريقة التجانية. أمّا المسجدان الآخران فهما مسجد سيدي المسعود العتيق، ومسجد أولاد خليفة الذي شيد في النصف الثاني من القرن 19م. وهكذا كان حال تشييد المساجد الذي ظل يتزايد انطلاقا من العوامل السابقة الذكر رغبة في الحصول على الأجر أو المباهات. أما بقمار فقد بلغ عدد مساجدها حتى سنة 1900 أربعة عشر مسجدا[91]، كما كان المسجد يلعب دورا ثقافيا، وهو دوما عامرا بالقرآن تدريسا، وتحفيظا في النهار وطرفا من الليل، ومذاكرة من طرف الكبار في إطار حلقة الحزب، وهي حلقة يجتمع فيها حافظوا القرآن وغيرهم قصد تلاوة جزء منه، هذا طوال أيام السنة ليختم القرآن مرة نهاية كل شهر قمري،

---

[87] موسى بن موسى : "إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف في مطلع القرن 20م (قمار نموذجا) "، **العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي 1910-2003 قراءات في سيرته وفكره وآثاره**، تصدير أبو القاسم سعد الله، من إصدارات الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بقمار، الوادي، 2005، ص 42.

[88] المولود سنة 1246هـ / 1830م بطولقة. ينظر - علي الرضا الحسيني : **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره**، الدار الحسينية، تونس، 1997، ص ص 70، 71.

[89] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 174.

[90] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 154.

[91] محمد الطاهر المليلي : فذلكة، المصدر السابق، ص ص 464، 465.

كما كان يقام بالمساجد جلسات لتدريس العلوم الشرعية من قبل الأئمة، وكبار العلماء بالجهة والزائرين لوادي سوف، بالإضافة إلى إقامة الاحتفالات الدينية المعروفة مديحا ونثرا، مما جعل المسجد يمثل المؤسسة الأكثر أهمية لاستقطابها كل فئات المجتمع، واستيعابها لمختلف النشاطات الثقافية، غير أن الملاحظ على رواده هم غالبا ما يكونون من كبار السن، وبعض الكهول، هذا نتيجة عزوف الكثير من السكان للوضع السياسي المزري الذي انعكس سلبا على الحياة العامة بالإقليم، مما دفع الكثير من أبناء المنطقة للهجرة الموسمية للبحث عن العمل بالمدن الداخلية، والأقاليم المجاورة كوادي ريغ والزيبان، أو نحو الجريد بالقطر التونسي، أو حتى تونس العاصمة.

وأمام هذا الوضع المتدهور كان دور المسجد ضعيفا في التأثير على السكان، لكن رغم ذلك حاول شيوخ المساجد وأئمتها من إبداء مواقف تجاه السياسة الاستعمارية. ذلك من خلال دروس الوعظ والإرشاد التي تقدم ما بين المغرب والعشاء مثل ما كان يقوم به الشيخ إبراهيم بن عامر في مسجد النخلة بأولاد أحمد، كما أن تواجد الطرق الصوفية وسيطرتها على غالبية المساجد قلل من دور المسجد في مقاومة السياسة الاستعمارية، وجعل منه مؤسسة تعبدية أكثر منها مؤسسة مؤثرة في مرتديها، علما أن غالبية القائمين عليها شيوخ طاعنين في السن من ناحية، والتباين في التعامل مع الإئمة وقيمي المساجد ورجال الدين المسيحي من ناحية ثانية، هذا ما ساهم في تقزيم دور المسجد تجاه سياسة التغريب. غير أن ذلك لم يثن من عزائم بعض الأئمة والشيوخ الذين تصدوا لسياسة التغريب من خلال منابر المساجد في ربوع وادي سوف.

ثانيا – دور الطرق الصوفية وزواياها في الـــتأثير على مواقف السكان بوادي سوف تجاه الاحتلال :

التصوف ظاهرة دينية انتشرت في العالم الإسلامي خلال القرن 3هـــ/9م كنزوات فردية تدعو إلى الزهد، والتشدد في العبادة، للابتعاد بالنفس عن الانغماس في الترف الحضاري، ثم ما لبثت أن تطورت تلك النزوات، حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الطرق الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة، مع بروز ظاهرة

الغلو، هذا ما جعل الكثير من المتصوفة يجنحون في المسار حتى تداخلت طرقهم مع الفلسفات الوثنية الهندية، والفارسية واليونانية المختلفة. والطرق الصوفية تحتل أهمية كبرى في الحياة الفكرية، وهي من القضايا الشائكة والمعقدة في تاريخنا الثقافي والديني[92]، حيث يقول المستشرق الفرنسي " إريك جيوفروي " (Eric Giovroa) : « إن المستقبل في العالم الإسلامي سيكون حتما للتيار الصوفي، ويرى أن الصوفية قد مارسوا السياسة في أحيان كثيرة، كما مارسوا أدوارا ثقافية واجتماعية[93].». أما مفهوم التصوف فقد تعددت تعاريفه بسبب تعدد المتصوفة الذين اهتموا به كعلم من خلال دراساتهم. وجاء في أدبيات كل من " السراج الطوسي القشيري "، و" عبد القادر الجيلاني "، وما قدمه المستشرقون مثل " ماسنيون " (Massignon)و" ألموند تولدكه " (allemand Toldkh) و"نيكلسون " (Nicholso)، كعرض حال لما شهدته الحركة الصوفية مع محاولات تشويه للفكرة. ذلك بالتحامل على الإسلام الصحيح مقابل التسويق للدروشة والمروق، ومن المفكرين المعاصرين الذين اهتموا بالتصوف نجد " عبد الرحمان بدوي " و"أسعد السحراني"[94]، اعتبروه ظاهرة دينية تتفاعل وفقا للتحولات الحاصلة بالعالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا وثقافيا، من خلال تصويب ما يمكن تصويبه وفقا لمصادر التشريع انطلاقا من أقوال العلماء. وقد جاء

---

[92] عيسى قوراري : " دور الطريقة العمامية أو الإيمانية في مقاومة الشيخ بو عمامة "، **الملتقى 11 حول التصوف الإسلامي والتحديات المعاصرة**، جامعة أدرار، أيام 09-11 نوفمبر 2008.

[93] عيسى قوراري : نفس المرجع.

[94] هنري كوربان،حسين نصر عثمان يحي : **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، ترجمة نصير برون وفييمي حسن، ط2، منشورات عويدات، (د. ب)، 1977، ص 282.

تعريف التصوف في قاموس الحضارة الإسلامية (Dictionnaire de Civilisation Musulmane) أن التصوف أو (le Soufisme) هو ظاهرة دينية اختص بها العالم الإسلامي[95]. والتصوف كلمة عربية الأصل مشتقة من الصوف[96]، كما قام " إبراهيم البسيوني " بتصنيف مجموعة من التعاريف حول التصوف، حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : تصوف الزهد المتمثل في كراهية الدنيا، ومحبة المولى عزَّ وجلَّ.

القسم الثاني : تصوف التزكية (الخلقي) فالتصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء، والتصوف أن لا تملك شيئا وأن لا يملّكك شيئا، التصوف هو قلة الطعام والسكون، والمتصوفة هم الفقراء من الناس.

القسم الثالث : تصوف الهيام والاستغراق أن يكون الصوفي مع الله بلا علاقة، هو استرسال النفس مع الله على ما يريد، والتوصل في الأخير إلى التصوف[97].

والتصوف تيقظ فطري يوجه النفس الصادقة إلى أن تجاهد حتى تحظى بمذاقات الوصول، فالاتصال بوجود المطلق[98]. أما " محمد عابد الجابري " فقد أرجع أصول التصوف إلى الهرمسية بطلمساتها، وعلومها السحرية والسرية[99]، وفي نقده للعقل العربي يرى أن فلسفة ابن سينا قتلة العقل في الوعي العربي، كما يرى أن ابن عربي في كل ما أبعده سوى نتاج يمثل اللامعقول، الوافد عن الإسلام، والثقافات والديانات السابقة[100]. و" محمد أركون " فيفرق بين الصوفية والتصوف من خلال تعريفه للصوفية، حيث يقول : « بأنها تيار فكري يتمتع بأسلوب حياة دينية يستخدم الشعائر والاحتفالات الفردية والجماعية، من أجل أن يجعل الجسد والروح يتواكبان ويساهمان في عملية تجسيد الحقائق

---

[95] p 251. 1995, Paris, Edition Originale, Larousse, Thoval. J : **Dictionnaire de civilisation musulmane,**

[96] أحمد حسن : **قاموس المذاهب والأديان**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998، ص 139.

[97] إبراهيم البسيوني : **نشأة التصوف الإسلامي**، دار المعارف، مصر، 1969، ص.ص 17 – 24.

[98] إسماعيل محمود : **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي التطور والازدهار**، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، مصر، 2000، ص 217.

[99] إسماعيل محمود : نفس المرجع، 217.

[100] علي حرب : **نقد النص**، ط3، المركز الثقافي، مصر، 2000، ص 227.

الدينية، فالتجربة الصوفية موجودة في كل الأديان وليست بالتالي حكرا على الإسلام وحده.[101]»، ليواصل تعريفه للتصوف فيقول : « في مقصده النهائي والأعمق يمثل أولا التجربة المعاشة نتيجة اللقاء الحميمي والتوحيدي بين المؤمن والإله الشخصي؛ أي اللانهائي والمطلق المرتبط بالألوهية بالنسبية لمحمل الأديان، وهذه التجربة محللة وموضحة،بواسطة محاسبة الضمير،وعودة الصوفي على ذاته والتجربة التي تحظى بالتأمل على هذا النحو لكلمة تأمل، ثم توضع كتابة تغذي المريد الذي ينخرط في السلوك الصوفي تحت إمرة شيخ ما[102]. ». والتصوف هو طريقة ونهج في السلوك العبادي، عماده الزهد والتوبة، وقد سبقت التصوف حركة زهد نبعت من جوهر الإسلام. لكن المسار التاريخي للطرق الصوفية عرف مؤثرات دخيلة فيما بعد وردته من مصادر شتى من المسيحية والزرادشتية، واليهودية، ومن الفرس والهند واليونان، لذلك توزع الصوفيون على مذاهب ومدارس، عرفت باسم الطرق الصوفية[103].

أما الطرق الصوفية فلها عدة تعريفات مختلفة تبعا لمكوناتها، وتبعا لوسائلها التربوية والروحية، وللأهداف التي تود تحقيقها، وكذلك لما تملكه من سلطات ونفوذ بين الناس، ومن هذه التعاريف :

أولا - أنها أسلوب عملي لرعاية سلوك المريد، وتوجيهه على طريق اقتفاء أثر طريقة معينة في التفكير والشعور، والذكر والتعلم والعمل تؤدى من خلال تعاقب مراحل المقامات، وتصاعدها في ارتباط متكامل مع التجارب السيكولوجية، أو النفسية المسماة بـــالأحوال. وقد كانت الطريقة تعني أولا ببساطة ذلك المنهج التدريجي للتصوف التأملي، وتخليص الروح من أوحال الدنيا، والذكر المتواصل بالتجمع حول شيخ معترف به طلبا للتدريب خلال الاتصال أو الصحبة[104].

ثانيا - أنها سلطة قوية بما تملك من أتباع وأموال مختلفة، وسلطة روحية معنوية على الناس من خلال

---

[101] محمد أركون : **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، ترجمة وتعليق هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص 153.

[102] محمد أركون : نفس المرجع، ص 153.

[103] عيسى قوراري : المرجع السابق.

[104] سبنسر ترمنجهام : **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، بيروت،ط1، 1997م، ص 26.

مشائخها[105].

ثالثا - أنها اعتراف المريد بالولاء التام، والإيمان الكامل، والانقياد المطلق لشيخ الطريقة، الذي يعد من الأولياء الصالحين في نظر المؤمنين به، والذي يستمد نفوذه على أتباعه من القدرة الخارقة للطبيعة (الخوارق والكرامات)[106]، والإتيان بما يعجز عنه البشر عادة، والاستمداد من العلم اللدني[107].

ومن خلال استقراء هذه التعاريف يتبين أن الطريقة الصوفية تتكون من :

- الشيخ العالم أو المربي، أو المعلم ذي السلطة الروحية التي اكتسبها على طريق اجتهاده وتعليمه، أو لعلو مكانته الاجتماعية بين عشيرته والناس.

- المريد الذي يعد تلميذا وسالكا في الطريق بهدى شيخه، والوسائل التعليمية التربوية والطقوس التعبدية، والتعاليم التي يلتزم المريد بها إيمانا أو قولا، أو عملا[108].

كما نلاحظ أن الطريقة الصوفية سلطة حاكمة تأمر وتنهى، وتتسع صلاحيات هذه السلطة وتقوى بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية، كما تقوى بحسب ما تملك من مريدين وأموال. وبحسب قوة شخصية الشيخ أو المؤسس وأعماله وآثاره، ونلاحظ في التعريف الثالث أنه يجسد الوضع الآني الذي وصل إليه التصوف خلال العهدين العثماني والاستعماري من تصور وجوب وقوع الكرامات وخوارق العادات على أيدي شيوخ التصوف ليكونوا أهلا للمشيخة[109]، والطرق الصوفية على العموم هي شكل من أشكال التنظيم الديني السياسي والثقافي، يغلب عليها طابع الغموض، والسرية وتتصف في علاقاتها بالسلطة بالاضطراب والتمرد في بعض الأحيان، والمساندة

---

[105] محمد الأمين بلغيث : " السلطة في الجزائر وتونس في القرن 17م من خلال تاريخ العدواني "، **الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدواني**، الزقم، الوادي، 01، 02، 03 نوفمبر 2000م، ص 6.

[106] فيلالي مختار الطاهر: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار الفن القرافيكي، باتنة، ص 64.

[107] العلم اللدني هو العلم الذي يحصل بالرياضة والمجاهدة، بحيث تُدرِك النفس من خلاله المعارف الربانية بغير واسطة من العالم العلوي لا من خارج بطريق الحواس، وتنطبع بالفضائل من محبة الحق ومعرفته، والشوق إلى جمال حضرته؛ أي الله جل جلاله، فيصير لها ذلك خُلقا وعادة. – ينظر عبد الرحمان بن محمد بن الدباغ الأنصاري : **كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب**، تحقيق هـــ. ريتر، دار صادر، بيروت، 1959، ص 6.

[108] عبد الرحمان تركي : " نشأة الطرق الصوفية بالجزائر دراسة تاريخية "، **الملتقى 11 حول التصوف الإسلامي والتحديات المعاصرة**، جامعة أدرار، أيام 09-11 نوفمبر 2008.

[109] عبد الرحمان تركي : نفس المرجع.

والمؤازرة في كثير من الأحيان الأخرى، هذا ما جعل الكثير ينظرون للطرق الصوفية على أنها حركات سلبية أكثر منها إيجابية، في التأثير على مواقف المجتمعات تجاه قضايا عديدة من أهمها الحركة الاستعمارية، خاصة في القرن 19م، قرن بدايات تساقط الأقطار العربية في نطاق الاستعمار الأوربي الحديث، مما ساهم في تباين مواقف الطرق الصوفية بالجزائر منذ تواجد الاحتلال الفرنسي، فمنها من رفع راية الجهاد كالطريقة القادرية والرحمانية، وغيرهما من الطرق، في حين نجد بعض الطرق التي ذهبت إلى اعتبار الاحتلال الفرنسي قدرا محتوما، ومجابهته غير ممكنة في تلك الظروف، فكان ذلك ملمح من ملامح المهادنة والدعة بخلاف ما كانت تراه الرحمانية، التي جابهت المحتل في مقاومات عديدة، لكنها في نهاية القرن 19م تأكد لديها أنه من غير الممكن المواصلة في التصادم مع المحتل، والقادرية التي مثلها الأمير عبد القادر، الذي خاض مقاومة شرسة، لكن مستواها تراجع نتيجة عدم التكافؤ المادي والمعنوي، فكان ذلك من العوامل المؤثرة في بناء المواقف المتباينة لدى شرائح المجتمع الجزائري.

ووادي سوف من الأقاليم، التي صار التصوف ملمحا رئيسا بها، كما تميز به المجتمع في غالبه، وقد تجسد هذا البعد الديني منذ تواجد الطرق الصوفية المتعددة بصورة واضحة وجلية، خاصة في النصف الثاني من القرن 19م، التي يمكن حصر أغلب مريديها في ثلاث طرق رئيسية، وهي التجانية، والرحمانية (العزوزية)، والقادرية، وقد أقيم لهذه الطرق زوايا في مختلف أرجاء المنطقة، بالإضافة إلى الطرق الصوفية الأقل انتشارا، والأقل مساهمة في القضايا الاجتماعية، والثقافية، والسياسية بالإقليم.

أما الزوايا فهي المؤسسات الدينية، التي كان لها الدور الهام في حماية المقومات الحضارية، رغم المواقف المتباينة، التي أبدتها الطرق الصوفية تجاه سياسة الاحتلال، هذا لم يمنع الكثير منها القيام بدور التعليم التقليدي المحافظ، رغم ذلك كانت هناك حركة فعالة استطاع من خلالها الكثير من أبناء المنطقة مواصلة مسارهم التعليمي على طريق الالتحاق بجامع الزيتونة، أو بعض المعاهد والزوايا بمنطقة الجريد التونسي، إضافة إلى الزيارات المتعددة للعديد من الشيوخ من خارج الإقليم وبلاد الجزائر قاطبة، وتوافد القضاة والعدول وباش عدول بالمحاكم الشرعية بالإقليم، حيث كان لهؤلاء دور بارز في تفعيل الوضع الثقافي بوادي سوف، هذا ما شكل هاجس قلق لدى الإدارة الاستعمارية، مما جعلها تضطر إلى إحداث تغييرات من حين لآخر قصد تعطيل كل محاولة جادة في مناهضة السياسة الاستعمارية لإبقاء المنطقة تحت طائل التخلف. لكن مع ذلك برزت محاولات

جادة من طرف الطرق الصوفية، غير أن الوضع السياسي والاقتصادي كانا يحولان بين كل محاولة تريد تقديم يد المساعدة، وإسعاف أبناء السكان المسلمين الجزائريين. وهذه الطرق نوعان طرق رئيسية فاعلة نشطة، وهي الطرق الأكثر تواجدا من حيث الأتباع والزوايا. أما الفرعية فهي طرق أقل تأثيرا وأقل مريدين، بالإضافة إلى أن بعضها تحول إلى تراث فلكلوري أكثر من كونها طرق صوفية.

1 - دور الطرق الصوفية الفاعلة في التأثير على سكان وادي سوف :

إن المميزات البيئية الصحراوية والتواجد الطرقي لإقليم وادي سوف جعل منه أرضا خصبة، ومرتعا فسيحا لتواجد الطرق الصوفية، كما شجعها في التوسع والانتشار، ومكنها ذلك من اتخاذ مواقف مختلفة تجاه السياسة الاستعمارية، مما جعل التباين كبيرا بينها ، فمنها من رأت الوقوف إلى جانب الإدارة الفرنسية خيانة عظمى، في حين رأت أخرى اتخاذ موقف الحياد بصورتيه السلبي والإيجابي، من أجل الحفاظ عن المكتسبات الحضارية من ناحية، والأخذ بمبدأ القدرية من ناحية ثانية.

أ - دور الطريقة التجانية في التأثير على السكان بوادي سوف :

تعد التجانية طريقة صوفية محلية النشأة غير وافدة على الجزائر - بخلاف باق الطرق الأخرى - حيث كان ظهورها سنة 1196هـ/1782م بصحراء أبي مسغون بالقطر الجزائري[110] على يد مؤسسها الشيخ " أحمد التجاني " المكنى بأبي العباس أحمد محمد التجاني الشريف، المولود بعين ماضي قرب الأغواط سنة 1150هـ / 1737م[111]، هذا ما يؤكد أن الطريقة التجانية أحدث الطرق الدينية الناشئة في الجزائر بفضل كرامات وأفعال الشيخ احمد التجاني النبيلة، بالإضافة إلى حكمته وورعه، حيث استطاع أن يكسب ودّ المجتمع على حساب حكومة الباشاوات الأتراك[112]. وكان ارتباط أهل وادي سوف

---

[110] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، ط3، مطبعة SIB، كوينين، الوادي، 17شوال 1429هـ/17 أكتوبر 2008م،ص 3.

[111] حرازم الفاسي : **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، ج 1، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 23.

[112] ادوارد نوفو : **الإخوان (دراسة إثنولجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر)**، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة،الجزائر، 2003، ص ص 77 -84.

بالطريقة التجانية مبكرا نتيجة إرسال الشيخ احمد التجاني أحد أتباعه، وهو " محمد الساسي القماري " ليُوصل صوت الطريقة إلى وادي سوف، وبالأخص إلى قمار، فاستجاب له جماعة من أهلها، وقد استطاع أن يقنع مجموعة للذهاب معه للقاء الشيخ أبي العباس لمبايعته وأخذ الورد عليه، وذلك في سنة 1204هـ/1789م[113]، كما رافقهم في زيارتهم إلى الشيخ أبي العباس الحاج " علي التماسيني[114] "، الذي كان له دور كبير في قيادة الطريقة[115]، ونشرها خصوصا بوادي ريغ ووادي سوف[116]، فما كان على الشيخ أحمد التجاني إلا تكليف مريديه بتأسيس زاوية لهم بقمار، فتم ذلك سنة 1204هـ/1789م على يد المقدم محمد الساسي القماري، المشرف عليها في البداية، فكانت زاوية قمار أول زاوية تنشأ بالجزائر قاطبة، ثمّ سلم المقدم محمد الساسي القماري مفاتيحها للشيخ الحاج علي التماسين، وظلت تحت رعاية أبنائه من بعده[117].

أما الشيخ أحمد التجاني فقد لقي معارضة شديدة من الأتراك، هذا ما جعله يعمد إلى مريده بتأسيس الزوايا في كل مكان يحل به، وينصب لهم مقدما يأمره بنشر الطريقة في ذلك المكان، وبعد استقراره بفاس أنشأ زاويته سنة 1215هـ/1800م[118]، وظل هناك ينشر الطريقة إلى أن وافته المنية يوم الخميس 17 شوال 1230هـ/21 سبتمبر 1815م[119]، فكان المريدون يشدّون الرحال انطلاقا من زاويتي قمار

---

[113] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، المرجع السابق، ص 9.

[114] الذي يرجع نسبه إلى بلدة ينبع ببلاد الحجاز، ولد الحاج علي بتماسين في حدود 1180هـ/1767م. وتوفي في الثلاثاء 22 صفر 1260هـ/12 مارس 1844م – ينظر الزاوية التجانية بتماسين، المرجع السابق، ص 178.

[115] محمد الخميس القوراري : **رسالة إلى الشيخ الحافظ التجاني المصري حول الحاج علي التماسيني وأبنائه**، مرقونة، (نصخة مصورة عنها)، ص 05.

[116] C Noellat : **L'Algérie en 1882,** 1882, Paris, Librairie Militaire, p 100.

[117] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 178.

[118] عمار هلال : **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غربي إفريقيا السمراء**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص 127.

[119] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، مرجع سابق، ص 7.

وتماسين نحو فاس، لأداء الزيارة لشيخهم قبل وفاته. وفي آخر حياته استدعى الشيخ أخص أصحابه وأوصاهم بأهله، ومن هؤلاء الأصحاب نجد الحاج علي التماسيني، وبعض مقاديم وادي سوف، وهم : " الطاهر بن عبد الصادق لقماري " و" أحمد سليمان التغزوتي "، وأفراد آخرين[120]. وقد توفي الشيخ الحاج علي التماسيني سنة 1260هـ/1844م[121]، فخلفه نجله الشيخ " محمد العيد " المولود 1230هـ/1815م[122]، والذي عرفت الزاوية التجانية بقمار في فترة خلافته توسعات، فبنى بها مسجدا، وشيَّد منازلا للعائلة التماسينية[123] بقمار، لتبدأ منذ ذلك الحين رحلة الشتاء والصيف بين تماسين وقمار[124]. وكانت وفاته يوم الجمعة 13 شوال 1292هـ/12 نوفمبر 1875م[125]. وقد ولِّي على مشيخة الزاوية بقمار شيوخ كان لهم تأثير في وادي سوف وهم :

الشيخ " محمد الصغير بن الشيخ حاج علي التماسيني " المولود عام 1258هـ/1817م، حفظ القرآن الكريم، ليأخذ عن العلامة " المختار الشنقيطي " عند قدومه عام 1258هـ/1842م إلى تماسين، الذي مكث بها سنة يدرس مختصر الشيخ خليل، وبعض شروح الألفية، كما كان الشيخ محمد الصغير ملازما لأبيه الحاج علي التماسيني، فتربى على يديه وسلك الطريق[126]، فصار مثال العلم والتقى والفضيلة، وكسب ثقة سكان وادي سوف والصحراء[127]، وقد تولى محمد الصغير أمر الزاوية التجانية بتماسين في 12 نوفمبر 1875م خلفا لأخيه محمد العيد، ودام إشرافه على الزاوية حتى وافته المنية يوم الخميس 27 جمادي الثاني 1309هـ/28 جانفي 1892م[128]، ودفن بتماسين. ليخلفه الشيخ

---

[120] عبد الباقي مفتاح : **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، مخ، لدى صاحبه، ص 111.

[121] Gouvion (Marthe et Edmond), **Kitab Aayane El Maghariba,** : Alger, Imprimerie Orientale Fontanot Fréres, 1920, p 53.

[122] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، مرجع سابق، ص 17.

[123] محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 11.

[124] C Cauvet : **Note,** op. cit, p 108.

[125] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، مرجع سابق، ص 17.

[126] محمد الخميس القوراري : المرجع السابق، ص 35.

[127] Gouvion (Marthe et Edmond) : Op cit, p p 61, 62.

[128] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، مرجع سابق، ص 14.

معمر المولود سنة 1241هـ/1826م غير أن خلافته لم تدم طويلا، حيث وافته المنية يوم الأربعاء 6 ذي القعدة 1310هـ/21 جوان 1893م، وعليه فإن تأثيره لم يكن بارزا لقصر مدة خلافته، ليخلفه ابن أخيه الشيخ " محمد العروسي التجاني " المكنى سيدي حم العروسي، وهو محمد العروسي بن محمد الصغير بن الحاج علي التماسيني[129] المولود بقمار سنة 1260هـ/1844م[130]، حفظ القرآن الكريم على يد شيخ شنقيطي اسمه "محمد الطيب"، وأخذ الفقه على قاضي قمار " الأخضر بن أحمد "، والتصوف عن والده الشيخ محمد الصغير[131]، فساعده ذلك على نهل العلوم والمعارف، وتولى منصب مقدم في عهد والده بزاوية قمار، كما كان الشيخ محمد العروسي دبلوماسيا ماهرا له اهتمامات بأتباعه وغيرهم، مما أكسبه ثقة، وأصبحت كلمته مسموعة في وادي سوف وخارجها[132]، خاصة في منطقتي الهقار وغدامس اللتين انتشرت بهما الطريقة التجانية، وعلى إثرها استطاع الشيخ حم العروسي تمتين الصِّلاة مع أهلهما، واستغل ذلك في مساعدة البعثات الفرنسية، كما كان ذو مهارة عالية في فنّ الهندسة والنقش الشرقي، مما جعله يساهم في تطويره بوادي سوف[133]، بالإضافة إلى اهتمامه بالتأليف، وتسجيل الوقائع والأحداث التاريخية في تقاييد خاصة تعرف بالكناش والمخدرة[134]، وخلال فترته وفد على الزاوية العديد من العلماء كالشيخ المكي بن عزوز، ذلك سنة 1896، والشيخ المبارك المازق التغزوتي أصلا الجريدي التوزري منشأ ودارا، الذي درَّس عدة سنوات، وتتلمذ على يده العديد من الطلبة من أهمهم : الخليفة السادس سيدي محمد العيد الثاني، وسيدي السائح حقي، كما درس بالزاوية كل من الحاج علي بن القيم القماري والشيخ السوسي التونسي، والشيخ عبد الرؤوف المهري والشيخ محمد البرية[135]. فكانت زاوية قمار

---

[129] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 231.

[130] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، مرجع سابق، ص 17.

[131] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 180.

[132] p 62. Gouvion (Marthe et Edmond) : op cit,

[133] p 62. Ibid,

[134] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، 336.

[135] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، مرجع سابق، ص 19.

في عهده مدرسة لتلقن العلوم لعدد محدود من أبناء الزاوية وأصدقائها[136]، لتوافيه المنية يوم الاثنين 6 محرم 1310هـ/21 جوان 1912م[137]. وفي يوم وفاة الشيخ محمد العروس خلفه الشيخ البشير الأول المولود 1278هـ/1861م[138]، وقد ورث على سابقه العلم، حيث درَّس بالزاوية رفقة الشيخ محمد بن البرية وغيره[139]، وقد وافته المنية يوم الاثنين 27 شوال 1336هـ/5 أوت 1918م[140]، ليخلفه سيدي محمد العيد الثاني المولود 1309هـ/1892م[141]، وخلال خلافته درَّس بالزاوية كل من الشيخ محمد بن عمارة شوشان الجريدي، والشيخ محمد السائح اللقاني الذي ظل يدرِّس بالزاوية لمدة سبع سنوات، حيث كان له الفضل في وضع خطة تعليم تميزت بأسلوب عصري، وقد شملت دراسته اللغة والأدب، والتوحيد والفقه، والتفسير والحديث، والمنطق والتاريخ[142]. وتوفي الشيخ محمد العيد الثاني يوم الثلاثاء 27 ربيع الثاني 1346هـ/25 أكتوبر 1927م[143]، فخلفه على مشيخة الزاوية سيدي أحمد بن سيدي محمد العروسي (حمه) المولود 1316هـ/1898م[144]، وقد شهدت الزاوية خلال عهدته نشاطا علميا كثيفا، حيث درَّس بالزاوية كل من : الشيخ محمد بن الجديدي والشيخ محمد الطاهر بن عمارة، والشيخ عبد الله اليحياوي التبسي سنة 1928 والشيخ عثمان النفطي، كما كلف الشيخ الخليفة أحمد سيدي الصادق التجاني بمواصلة التدريس بمنهج الشيخ محمد السائح اللقاني.

أما التحول الكبير الذي عرفته الطريقة التجانية فيكمن في اقتناع الشيخ أحمد بضرورة الإلتحاق بالزيتونة لما لهذا الصرح التعليمي من أهمية بالغة. فبعث الشيخ أحمد بإخوته الثلاث إلى الزيتونة وهم

---

[136] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 231.

[137] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، مرجع سابق، ص 17.

[138] **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، نفس المرجع، ص 17.

[139] نفسه، ص 19.

[140] نفسه، ص 17.

[141] نفسه، ص 17.

[142] نفسه، ص 20.

[143] نفسه، ص 17.

[144] نفسه، ص 20.

: سيدي الصغير وسيدي العرابي، وسيدي المحمود الذي لم يحالفه الحظ، حيث وافته المنية، في حين حالف كل من الصغير والعرابي اللذين على شهادة التطويع، ومن ذلك توافد أبناء شيوخ الزاوية التجانية على جامع الزيتونة[145]، رغم اعتباره صرحا إصلاحيا مناهضا للطرق الصوفية، بل كان الكثير من أبناء شيوخ ومريدو الطريقة يتعرضون إلى المضايقة، والتأنيب والضرب. وفي سنة 1920 تولى مشيخة زاوية قمار " محمد السائح بن محمد العروسي " في عهد الشيخ أحمد بن محمد العروسي لكون محمد السائح الأخ الأكبر له، وقد ولد الشيخ محمد السائح عام 1866، وحفظ القرآن على الشيخ سي "محمد الصالح بن الحاج علي بالخوصة" بقمار. أما الفقه فأخذه عن الشيخين الحاج "علي بالقيم القماري"، وسي " مبارك بن المبارك التغزوتي "، كما أخذ علوم اللغة والبلاغة على السيد " محمد بن سويسي " خريج الزيتونة، هذا لمدة عشر سنوات بزاوية قمار، كما أخذ الأدب عن قريبه السيد "الطيب بن الأخضر"، حتى أصبح آية من آيات البيان العربي شعرا ونثرا، وخطابة. أما التصوف فأخذه عن أبيه الشيخ حم العروسي[146]. والدور الثقافي الذي لعبته الزاوية التجانية بقمار يتمثل في مجالس التعليم والتدريس، حيث شملت هذه المجالس تحفيظ القرآن والحديث النبوي، والسيرة المحمدية، والفقه المالكي، واللغة والأدب العربي، ومبادئ الفكر الصوفي على يد العديد من العلماء من وادي سوف وخارجها[147]، وذلك بسبب المنهج الذي سلكه الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني الذي أسس " معهدا مفتوحا " في تماسين[148]، حيث كان يزوره بها أهل العلم، فيطلب منهم المكوث عنده بحسب المدة الزمنية المتفق عليها. إما ستة أشهر، أو سنة، أو سنتين للقيام بعملية التدريس والتوعية، ونشر العلم بالمنطقة سواء أكان في تماسين أو بحاضرة قمار، التي كان يتردد

---

[145] نفسه، ص 17.

[146] مفتاح عبد الباقي : " الزاوية التجانية بقمار "، **الندوة الفكرية للشيخ عبد القادر الياجوري الثانية**، ، قمار، 09 – 11 أكتوبر 2001، ص ص 03 –05.

[147] **الزاوية التجانية بقمار الماضي والحاضر**، ط2، مطبعة SIB، كوينين، الوادي، 17 شوال 1429هـ/17 أكتوبر 2008، ص09.

[148] بخلاف ما كانت عليه مدرسة الزاوية بزاوية قمار، حيث كان الالتحاق بها محدودا من قبل أبناء عائلات محدودة، مما جعل صيتها يخفت في ربوع وادي سوف بخلاف ما جهزت به المدرسة، بالإضافة إلى المؤطرين الذين وفدوا عن وادي سوف، يضاف إليهم معلمي المنطقة، هذا قلل من دور المدرسة العلمي بخلاف ما عليه المدارس التجانية بوادي ريغ.

عليها أبناء الزاوية في رحلة الصيف بداية من أواخر الربيع، وكل فصل الصيف وبداية فصل الخريف مقابل إكرامهم ماديا ومعنويا[149]. وقد كان يقام في زاوية قمار ثلاث حلقات للعلم هي :

- مجلس سيدي حمه العروسي في السطح، أو في (الجنان) بحسب الفصل السنوي، لأنه كان مقيم بزاوية قمار.

- مجلس سيدي العيد بن سيدي محمد الصغير في داره.

- مجلس الشيخ سيدي محمد حمه في الدار" الخضرة "[150].

ولعامة الناس الاختيار بأي حلقة يلتحقون[151]. والطريقة التجانية كانت لها بجانب زاوية قمار، زاوية تغزوت المجاورة لها، وذات النفوذ يتولها مقدم، غير أنّها لم تكن في مكانة زاوية قمار في فترة الشيخ محمد العروسي[152]، فقد بلغت الزاوية بقمار في عهده مبلغا علميا باهرا لنشاطها الدائم بالحيوية والعلمية، واستقبالها للشيوخ الوافدين من تونس، خاصة علماء الشابية الذين قدَّموا دروسا في زاوية قمار، وبهذا تكون الزاوية بمثابة الإشعاع العلمي الذي حافظ على اللغة العربية وآدابها[153].

ومن خلال ما وقفنا عليه عند دور الشيخ محمد العروسي نجد أن الصورة قد زادت اتضاحا في دور وادي سوف الإفريقي الذي كانت تلعبه هذه الطريقة من أجل تقريب وجهات النظر، والربط بين أجزاء البلاد المترامية الأطراف، خاصة الجنوبية المرتبطة بالصحراء الكبرى التي ظلت محل اهتمام بالنسبة للفرنسيين باعتبارها مسلكا هاما للقوافل التجارية. ومن هذا يتضح الدور الهام الذي ظلت تلعبه الزاوية التجانية لمدة طويلة من الزمن. ذلك لاعتبارها مصدر إشعاع وتنوير، وخصوصا من

---

[149] موسى بن موسى : إرهاصات، المرجع السابق، ص 43.

[150] **حوار** بين محمد حناي ومحمد النذير التجاني، بتاريخ السبت 16محرم 1431هـ/02جانفي 2010م على الساعة11 صباحا ببيت محمد النذير التجاني، (مخ).

[151] سليمان موسى : المرجع السابق، ص 108.

[152] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 335.

[153] مفتاح عبد الباقي : " الزاوية التجانية بقمار "، المرجع السابق، ص 05.

خلال دور الشيخ محمد العروسي الذي استطاع تقديم الكثير من التسهيلات للإدارة الفرنسية لتخطي العقبات الكؤودة بالنسبة للرحلات الاستكشافية للفرنسيين، مقابل الألقاب والهدايا المقدمة من طرف السلطات العليا الفرنسية، فما كان عليه إلاّ التقرب أكثر من السلطة الفرنسية، حتى يستطيع تفويت الفرصة على خصومه، خاصة الشيخ محمد الهاشمي الشريف شيخ الزاوية القادرية، الذي لم يكن في حجم معرفة الشيخ محمد العروسي، لكنه كان أكثر حظا في كثرة الأتباع باعتباره كـــان أكثر سعيا في فتح زاويا تابعة لزاوية عميش، كزاوية بسكرة وسكيكدة، والأغواط، بالإضافة إلى العلاقات التي تربطه بتونس.

وفي عموم القول إننا لا يمكن الجزم في طبيعة العلاقات القائمة بين السلطات الاستعمارية، والشيخ محمد العروسي باعتبار الظروف المحيطة، والجو الذي أصبح طاغيا على سواد الأمة، والمائل إلى عدم نجاعة المقاومات المسلحة، وما حصل لكثير من الطرق كان بمثابة عبر وعضات، هذا ما جعل العلاقة تتميز بالحيوية كل بما يستطيع أن يقدمه للأخر، ومبرر الشيخ حمه العروسي من ذلك هو الإبقاء على روح التعليم العربي، وعدم الزجّ به في وسط الصراع، بالرغم مما شاب هذا التعليم من نقائص إلا أنّه ظل حصنا منيعا للشخصية الوطنية[154]، فإن هذه المحاولات تبقى حافلة في ذاكرة تاريخ الأمم، باعتبارها نشاطا علميا تميزت به منطقة وادي سوف عن غيرها من المناطق الأخرى، كما أن النشاط العلمي الذي شهدته الزاوية التجانية كان يعتريه نوع من التحفظ، لكون المتعلمين بالزاوية محدودا[155]، هذا تبعا لمكانة التلاميذ الاجتماعية، وعلاقة أسرهم بالزاوية وشيوخها. في حين نجد الطريقة التجانية في عهد سيدي أحمد بن سيدي حمه فتحت عهدا جديدا مع جامع الزيتونة من خلال بعث العديد من أبنائهم للتحصيل العلمي، فكان ذلك نقلة نوعية للتجانيين. أما على مستوى العامة فإن موقف التجانيين كان موقفا سلبيا نتيجة طغيان مبدأ القدرية، حيث كان غالبيتهم ينظرون لفرنسا على أنها قوة لا تقهر، ومن ناحية أخرى فإنها قد خلصت الجزائر من الوجود

[154] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 32. (ينظر الهامش 01).

[155] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، 226.

التركي، نتيجة العداء الذي ظل قائما بين مؤسس الطريقة، والسلطة التركية. فكان ذلك كافيا لترسيخ العداء بالنسبة للاتراك، في حين كان ينظر للمحتل بمثابة المخلص، غير أن هذه الصورة لم تبق راسخة في الأذهان، خاصة لدى جموع النخبة من التجانيين. ذلك منذ تبلور اتجاهات الحركة الوطنية، خاصة في تياريها الاستقلالي والإصلاحي الذيّـــن أثارا كل منهما تساؤلات حول مواقف السكان المسلمين الجزائريين من فرنسا وإدارتها بالجزائر المحتلة.

ب -دور الطريقة الرحمانية (العزوزية) في التأثير على سكان وادي سوف :

يعود تأسيس الطريقة الرحمانية إلى الشيخ " محمد بن عبد الرحمان الأزهري الزواوي الجرجري " المولود حوالي 1720 من قبيلة آيت إسماعيل، والمتوفى سنة 1208هـــ/1793م والمعروف يومئذ ببوقبرين[156]. وهي الطريقة الرحمانية الخلوتية، هذا ما يدل بأنها تفرع على الطريقة الخلوتية المنحدرة من سلاسل السهروردية، والخلوتية[157]. وعندما توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري لم يترك ولدا من صلبه، وإنما أولاده مشايخ طريقته الرحمانية الأزهرية الخلوتية، وهم كثيرون في بر الجزائر وتونس، والسودان وغيرها، منهم سيدي علي بن عيسى، وتلامذته، وتلامذتهم الكبار كسيدي محمد أمزيان بن الحداد، ومحمد بن أبي القاسم البوجليلي، والشيخ علي، و غيرهم نحو الأربعة

---

[156] أبو القاسم الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991، ص ص 298 –302. – مختار فيلالي : المرجع السابق، 40 –43.

[157] الخلوتية نسبة للشيخ " سراج الدين عمر الخلوتي " المتوفى بتبريز حوالي : 800هـــ/1397م. والذي أخذ الطريق عن خاله، وشيخه " محمد بن نور الخلوتي "، وهو الآخر الذي أخذ الطريق عن "إبراهيم الزاهد الكيلاني" المتوفى بين : (690 -700هـــ/1291-1300م) عن = = "جمال الدين التبريزي"، عن " شهاب الدين محمد الشيرازي "، عن " ركن الدين محمد النجاشي "، عن "قطب الدين الأبهري"، عن " أبي النجيب السهروردي ". وقد لقب عمر وخاله بالخلوتي لكثرة التزامهما بالخلوة، حيث أن منهجية التربية عندهم تتم بذكر سبعة أسماء حسنى لقطع مقامات النفس السبعة في سبع خلوات وهي : (لا إله إلا الله) للنفس الأمارة، ثم (الله) للوامة، ثم (هو) = =للمطمئنة، ثم (حي) للراضية، ثم (قيوم) للمرضية، ثم (حق) للملهمة، ثم (قهار) للكاملة، ثم الاسم الأعظم الجامع للمنتهي، و قد فصل كل هذه المراحل الشيخ مصطفى القسنطيني في شرحه للمنظومة الرحمانية التي نظمها والده الشيخ عبد الرحمان باش تارزي الجزائري. – ينظر مصطفى بن عبد الرحمان باش تارزي : **المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية**،دار البعث، قسنطينة، (د. ت)، ص ص 162- 190.

والعشرين وليا، ومنهم سيدي عبد الرحمن باش تارزي المتوفى سنة 1222هـ[158] شيخ سيدي محمد بن عزوز المولود سنة 1170هـ / 1756م بواحة البرج قرب طولقة، فأسس الطريقة بالجنوب، وأصبحت الطريقة تنسب إليه وصار أتباع الطريقة الرحمانية يعرفون بالعزوزية، وفي سنة 1232هـ / 1817م توفي الشيخ محمد بن عزوز البرجي، ودفن ببرج طولقة[159]، وقد تربى الشيخ سيدي محمد بن عزوز على يد والده الولي الصالح سيدي " أحمد بن يوسف "، وحفظ القرآن الكريم واشتغل بتحصيل العلم، فأخذ منه بغيته حتى تضلع في المعقول، كما ألف تآليف مفيدة، منها : " **رسالة عالية في قواطع المريد** "، و" **شرح على التلخيص** " وغيرهما، ثم اشتاقت نفسه لعلم الباطن، فرحل لزيارة الشيخ الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وأخذ عنه الطريقة وأدخله الخلوة. وفي تلك المدة خفيت عن والدته أخباره، حيث لا برق ولا تلغراف، واشتد شوقها إليه وقلقها عليه، فصعدت سطح دارها، ونادته بثلاثة أصوات، فسمع نداءها وهو في الخلوة، وأخبر شيخه بما سمع فأمره بالرجوع إلى والدته، وقال له : « إن وافتني المنية فعليك بخدمة الشيخ عبد الرحمان باش تارزي تلميذه دفين قسنطينة. »، فكان الأمر كما ذكره، ولازم خدمة الشيخ باش تارزي إلى وفاته، فكان تمام سلوكه على يديه[160].

كما كان الشيخ محمد بن عزوز عالما فذا، مما أهله من أن يبعث الطريقة بروح جديدة، وهي متواجدة بالقطر الجزائري الشرقي والتونسي، وطرابلس الغرب وبنغازي[161]، هذا ما جعل الطريقة الرحمانية تعرف بالطريقة العزوزية نسبة للشيخ محمد بن عزوز. وقد زار الشيخ محمد بن عزوز وادي سوف قبل وفاته، فمكث بالوادي أربعة أيام ناشرا الطريقة[162]، واستمرت مراسلاته إلى مريده في

---

[158] عبد الباقي مفتاح : **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، مطبعة الوليد، كوينين، الوادي، 2005، ص 11.

[159] عبد الرحمان بالحاج : **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وبن عزوز**، مطبعة النجاح، قسنطينة، 13 شوال 1350هـ، ص ص 02 – 20. - عبد الحليم صيد : محمد بن عزوز شيخ العلماء والمجاهدين، **مجلة الثقافة**، العدد 115، الجزائر، 1997، ص ص 97 – 113.

[160] عبد الباقي مفتاح : **أضواء**، المرجع السابق، ص 84.

[161] عبد الباقي مفتاح : نفس المرجع، 84.

[162] أحمد مفتاح : **تقاييد**، (مخ)، مكتبة ابنه عبد الباقي مفتاح المنزلية.

وادي سوف، فكان من أشهرهم الشيخ " علي بالليل " من بلدة الزقم، والحاج " أبو بكر " يذكِّرهم فيها دوما بالوِرد والإكثار من الذكر لبلوغ أعلى المراتب الصوفية[163]. أما رسوخ الطريقة بوادي سوف فكان منذ تأسيس الزاوية على يد سيدي "سالم العايب "، وهو سالم بن محمد بن امحمد بن نصر بن عطية بن الزاير بن المحجوب دفين القيروان، ويعود نسبه إلى "عبد السلام بن مشيش"، ولد بالوادي عام 1182هـ[164]/ 1768م، وهو يتيم الأب منذ ولادته، فعاش حياة فقر، و لم يكن له معيل سوى أمه، وقد أصيب بالعرج في رجله، وهو رضيع في مهده، فعرف بالعرج طوال حياته، وأصبح يدعى بالأعرج أو العايب، و لم تمنعه تلك العاهة من زيارة شيوخه أو السعي في طلب الرزق، فهاجر إلى نفطة ليمتهن حرفة الصباغة، ومداوما لذكر الله بصوت عال بالليل، فصار يزعج الناس، فشكوه إلى الحاكم الذي قام بطرده، فقفل عائدا إلى وادي سوف، ليتصل بزاوية طولقة العزوزية (الرحمانية)[165] آخذا أوراد الطريقة الرحمانية في ذلك الزمان على يد أحد مقاديم الشيخ محمد بن عزوز البرجي، ثم جدد عهده بأخذها عن خليفته الأكبر الشيخ علي بن عمر[166] الطولقي، فدخل في حجر تربيته الروحية، ولازم الرحلة إليه بزاويته بطولقة، وأدخله الخلوة للتبتل بذكر الأسماء الحسنى السبعة وتوابعها اللازمة، لقطع مراحل السلوك وفق المنهاج الخلوتي، غير أن الشيخ سيدي سالم كان أميا، لكنه اتسم بالسمت الصوفي والخلق الفاضل، مما جعل الشيخ علي بن عمر يختاره مقدما على إخوان وادي سوف الرحمانيين، فأمره بإنشاء زاوية لذكر الله، فلبى طلبه ووضع أول نواة لزاويته على شكل كوخ من الخوص تدعى في المنطقة بـــ" الزريبة "، لكنها تطورت إلى زاوية في حدود 1234هـــ/1818م[167]، ليضاف إليها مسجدا بجوارها، وقد سهر سيدي سالم العايب على إعداد أبنائه والارتقاء بهم في منازل العلم، حتى وافته المنية سنة 1277 هـــ/1860م. ودفن بزاويته في وسط مدينة الوادي[168].

---

[163] **رسائل** : رسالة الشيخ محمد بن عزوز إلى سي علي بالليل وسي الحاج أبي بكر، مخ، بالزاوية العثمانية، طولقة.

[164] محمد بن عزوز : **التعريف بزاوية سيدي سالم**، (مخ)، بمكتبة زاوية سيدي سالم، الوادي، ص 4.

[165] أحمد مفتاح : تقاييد، المرجع السابق. – الشيخ محمد بن عزوز : المصدر السابق، 6.

[166] وهو علي بن عمر البرجي، أخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن عزوز البرجي. – ينظر عبد الرحمان بن الحاج : المرجع السابق، ص ص 21، 22.

[167] A. O. M : 16 H 42.

[168] أحمد خراز : **تقاييد**، (مخ)، بمكتبته المنزلية، الوادي.

تولى مشيخة الزاوية بعده ابنه الشيخ " مصباح بن سيدي سالم[169] "، المولود سنة 1839 بالزاوية، فحفظ القرآن في عمر مبكر، كما تلقى مبادئ الكتابة، واللغة العربية، والأحكام الشرعية على يد المؤدب الشيخ " العربي بالغنبازي[170] "، ودرس الفقه على الشيخ " علي بن قديري[171] "، وعليه تمكن الشيخ سيدي مصباح من علم الميراث[172]، كما أخذ الطريقة على الشيخ " مصطفى بن عزوز" بإذن من والده سيدي سالم، هذا لكون الشيخ عالما مربيا، فأراد سيدي سالم أن يأخذ ابنه الطريقة على بيان واضح سليم، وقد وصف الشيخ محمد بن عزوز صاحب التعريف بزاوية سيدي سالم سيدي مصباح قائلا : « كان سيدي مصباح رحمه الله قوام الليل مجتهدا في أعمال البر سخي الدمعة كثير البكاء شفقة على خلق الله، حتى على الدواب، وكان كلما رأى جنازة يقول : لا زِلتَ تسمع بهالك حتى تكون[173]. »، كما كان كاتما للفضائل والكرامات إلا ما ظهر منها على يده دون إرادة منه، حيث يقول إبراهيم العوامر عنه : « جرى على طريق الأشياخ الذين يكتمون أمرهم، وهو مقام عظيم يفتخر به كل من له ادنى مسكة بأحوال القوم ...[174] »، فكان له الفضل في نشر الطريقة في كل من الوادي والزقم، وكونين[175]، وقمار حيث كان سي " سعيد " مقدما للطريقة العزوزية بها[176]، كما

---

[169] أبو القاسم الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، موفم للنشر الجزائر، 1991، ص 231. إبراهيم العوام : مصدر سابق، ص 308. – مصطفى سالمي : مصدر سابق، ص ص 103، 104

[170] شغل مهنة التأديب بالمغرب الأقصى، كما درس هناك مبادئ علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية. - ينظر علي غنابزية : **الشيخ سيدي مصباح بن سيدي سالم ومآثره في الزاوية السالمية بوادي سوف**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2009، ص 7.(الهامش رقم 1.)

[171] يقول عليه محمد بن عزوز بأنه درس وتعلم بالجريد التونسي.- ينظر محمد بن عزوز : المصدر السابق، ص 19.

[172] محمد بن عزوز : نفس المصدر، ص 19.

[173] نفسه، ص 20.

[174] إبراهيم العوامر : **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريقة سيدي محمد الصالح**، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ، ص 36.

[175] Ahmed Nadjah : **Le souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971, p 126.

[176] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 154.

كان الشيخ مصباح بن سيدي سالم تواقا لسماع قصائد العارفين وأناشيد العاشقين، يلبس غليظ الكتان، وينقبض من رؤية الحكام الفرنسيين، وكان ممتازا في جودة الكتابة والخط، قائما بخدمة الزاوية[177] إلى أن توفي ليلة الأربعاء 6 شوال 1327 هـ[178]/20 أكتوبر 1909م عن عمر ناهز 73 سنة، وبعد أن مكث في المشيخة نحو نصف قرن، ومنذ وفاة الشيخ مصباح خلفه أخوه الأصغر سيدي محمد الصالح المولود سنة 1263هـ[179]/1847م وقد تميز سيدي محمد الصالح منذ صباه بشفافية روحية عالية، فكان في صغره كثير المرائي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولشيوخ الطريقة، أخذ الطريقة عن والده سيدي سالم، ثم أكمل تربيته على يد الشيخ سيدي مصطفى بنفطة، فكان يتردد على زيارته[180]. وقد ألفت حول سيرة الشيخ محمد الصالح رسائل، ونظمت في مدحه قصائد، فمن ذلك الرسالة الموسومة بعنوان " **المنهج الصالح في ذكر بعض مآثر الشيخ محمد الصالح** " وهي مخطوطة لمؤلفها ابنه " محمد بن عزوز "، وكذلك الرسالة المطبوعة بتونس عام 1323هـ المسماة " **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح** " تأليف أحد أصحابه الشيخ إبراهيم العوامر، وفيها يقول عنه ما نصه : « ذو المعارف والسر الوارف، والمقام الأسنى والعز الأقنى، غرَّة الزمان ووحيد العصر والأوان، من تحلت برؤيته الأنظار، وتمتعت بفيوضاته الأبرار، وقويت به الأركان وتشرفت بحلوله البلدان، وأنقذ الله به العبيد من كل كرب ونصب شديد، ذو البحر الزاخر والقدر الفاخر، والأسلوب البديع والمنهج الصالح، شيخ الطريق، سيدي محمد الصالح أدام الله به النفع آمين، نجل الولي الكامل المرحوم العامل، السائر في أوضح طرق القوم، ذي المناقب الحميدة والأفعال الجميلة السديدة، الذي طار صيته في كل قطر وبلاد، وأقر بعلو مقامه ذوو الأتباع

---

[177] عبد الباقي مفتاح : **أضواء**، المرجع السابق، ص 129.

[178] علي غنابزية : **الشيخ سيدي مصباح**، المرجع السابق، ص 28.

[179] محمد بن عزوز : المصدر السابق، ص 22.

[180] عبد الباقي مفتاح : **أضواء**، المرجع السابق، ص ص 129، 130.

والانتقـــــــــــاد،وتواضع له أولو المكـــــــــــــــانة والاحـــــــــــترام والتعاظم، شيخ الطائفة الأعرج سيدي سالم ... وأما طريقته فإنه أخذها كأخيه ذي الخير والصلاح الشيخ سيدي مصباح، عن والده سيدي سالم المتقدم ذكره[181].»، وقد شهدت الزاوية خلال مشيـــــــــــخته حركة علمية واسعة، كما ابتكر نظام المدرســـــــــــــــة الداخلية، حيث شـــــــــــــــــيد بالمدرسة مرقدا للطلبة الوافـــــــــــــــدين على الزاوية من ربوع البـــــــــــــــلاد. ذلك سنة 1916، فكانت تلك خطـــــــــــــوة صائبة لتفـــــــــــعيل الزاويـــــــــــــة، والرفـــــــــــــع من شأنها. فالزاوية منذ فترة تولي الشيخ مصباح وأخيه سيدي محمد الصالح أصبحت تمثل منارة من منارات الإشعـــــــــــــــاع العربي الذي ظلت الزاوية تشعه لتحافظ على مقومات الشخصية العربية والهوية الوطنية. وفي سنة 1335هـــ / 1916م توفي الشيخ محمد الصالح، ليتولى مشيخة الزاوية ابن أخيه مصباح[182]، وهو الشيخ "محمد العربي" المولود حوالي 1294هـــ[183]/1877م، الذي تربى في حجر والده وعمه، وأتقن حفظ القرآن الكريم، وغيره من العلوم الشرعية[184]، وكانت خلافته من نفس السنة، التي توفي فيها عمه الشيخ سيدي محمد الصالح، وقد شهد عليه التفطن، كما كان متميزا في علم الفرائض، وذو قدرة فائقة في حفظ القرآن الكريم، وقد كان يتردد على التراب التونسي خاصة نفطة[185]، وقد عثرت على تصريح بالإذن للشيخ محمد العربي بن سيدي سالم لزيارة تونس لمدة ثلاثة أشهر بطلب من شيخ الطريقة الرحمانية بتونس المؤرخ في 9 جوان 1926، ليواصل الشيخ محمد العربي مسيرة أسلافه في القيام بشؤون الزاوية والتعليم والطريقة مدة 28 سنة. وقد وافته المنية عام 1363هـــ[186]/1944م. وفي عهده وعهد سلفه محمد الصالح

---

[181] إبراهيم العوامر : **البحر الطافح**، المصدر السابق، ص ص 30، 31.

[182] إبراهيم مياسي : المرجع السابق، ص 312.

[183] محمد بن عزوز : المصدر السابق، ص 32.

[184] عبد الباقي مفتاح : **أضواء**، المرجع السابق، ص 137.

[185] Document N° 4. Dossier 4/10, A. N. T : Série D, Carton 178, .

[186] عبد الباقي مفتاح : **أضواء**، المرجع السابق، ص 137.

انتشرت الطريقة العزوزية الرحمانية بكثرة في وادي سوف ونواحيها، وامتدّت إلى الجنوب التونسي والجنوب الجزائري. وتذكر الإحصاءات الفرنسية التي وقعت سنة 1900 أن عدد أتباعها بلغ في وادي سوف نحو عشرين ألفا (20000) مريدا، بينما بلغ مجموع أتباع الرحمانية في الجنوب الجزائري ستة وثمانين ألف (86000)[187]، ما نسبته 23.25%. وإثر وفاة الشيخ محمد العربي خلفه ابن عمه الشيخ "محمد بن عزوز" بن محمد الصالح بن سيدي سالم. المولود الشيخ عام 1308هـ[188]/1891م، فأتقن كسلفه حفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة، والعربية والتصوف، وله تأليف حول أبناء الأسرة السالمية[189]، كما كان للطريقة العزوزية الرحمانية دورا هاما في تعليم القرآن بزاوية سيدي سالم التي كانت مقصدا للطلبة من كامل وادي سوف، كما كان يتوافد عليها طلبة من خارج المنطقة، وهؤلاء الطلبة هم من بلاد النمامشة ووادي ريغ[190]، وقد كان لهؤلاء نظاما داخليا[191] يضمن لهم من خلاله الإيواء والإطعام، ولهذا نجدها قد ضمت العديد من الطلبة، حيث نجد إلى جانب طلبة النمامشة ووادي ريغ، طلبة الزاب الشرقي (أولاد عمر) وتماسين[192]، كما أن طلبة وادي سوف هم أيضا من أرجاء عديدة كعميش

---

[187] عبد الباقي مفتاح : **أضواء**، المرجع السابق، ص 137.

[188] محمد بن عزوز : المصدر السابق، ص 36.

[189] عبد الباقي مفتاح : **أضواء**، المرجع السابق، ص 137.

[190] André : **Confréries Religieuses Musulmanes,** 1956, Alger, Edition La maison du Livre, G. P. J. p 277.

[191] محمد بن عزوز : المرجع السابق، ص 37.

[192] إبراهيم مياسي : " الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف "، **حولية المؤرخ**، العدد الأول، الجزائر، 2002، ص ص 312، 313.

والطريفاوي، وتغزوت، بالإضافة إلى أحياء الوادي كالأعشاش وأولاد أحمد، والمصاعبة[193].

وقد كان هؤلاء الطلبة يحفظون القرآن الكريم على أساس طبقات منها : الطبقة الأولى والثانية، والثالثة والرابعة[194]، وكل طبقة من هذه الطبقات الأربع تضم عددا من الطلبة الذين وصل بهم المطاف إلى حفظ القرآن الكريم كاملا، وعلى هذا الأساس استطاعت الزاوية العزوزية الرحمانية تأسيس نظام تعليم يعتمد الأسلوب الداخلي قصد ضمان الراحة والطمأنينة للطلبة الوافدين من أرجاء عدة، وعليه فإن الزاوية كانت مرتعا لكثير من علماء المنطقة مثل : الشيخ "عبد الرحمان العمودي " والشيخ " محمد العربي بن موسى " (موساوي)، والشيخ "إبراهيم العوامر" والشيخ " الطاهر العبيدي "، وشقيقه الشيخ " أحمد العبيدي " والشيخ " محمد بن جديدي "، والشيخ " المداني " بن العربي بن موسى (موساوي)[195]، وغيرهم كثير. أما الزوار الأجانب الذين كانوا يمثلون العلم والصلاح نجد : الشيخ " إبراهيم البحتري " والشيخ "محمد بن حمد النفطي" من علماء الجريد التونسي، والشيخ " العروسي بن عزوز " والشيخ " المكي بن عزوز"، والشيخ " محمد الخضر حسين "[196]، وقد وفد على وادي سوف، هذا من خلال التصريح بالإذن للإمام محمد الخضر بن الحسين لزيارة الزاوية الرحمانية بطولقة مرورا بوادي سوف. وهو مؤرخ في 10 أكتوبر 1904[197]،

---

[193] إبراهيم مياسي : نفس المرجع، ص 313.

[194] محمد بن عزوز : المصدر السابق، ص ص 37، 38.

[195] إبراهيم مياسي :نفس المرجع، ص 313.

[196] ولد بنفطة جنوب القطر التونسي بإقليم الجريد سنة 1239هـ/1837م. أصدر مجلة **السعادة العظمى** حيث صدر العددان الأول والثاني 16 محرم 1322هـ، كما ترأس جمعية " جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية " ثم اختير عام 1952م إماما لمشيخة الأزهر. وقد وافته المنية يوم الأحد 13 رجب 1377هـ/2 شباط 1958م وأقبر في مقبرة التيمورية بالقاهرة. – ينظر محمد الخضر حسين : **السعادة العظمى 1322م**، تحقيق علي الرضا التونسي، الشركة التونسية للتثقيف والترفيه، 1405هـ/1958م، تونس، ص ص 3- 5.

[197] A. N. T : Série D Carton 178، Document N° 4. Dossier 4/34

كمـــــــــــــــــا صاحبـــــه الرد من السلطات الفرنسية بالجزائر، هذا من خلال ما تؤكده برقية أخذ الإذن من الحاكم العام بالجزائر بالسماح له بزيارة طولقة مؤرخة في 22 أكتوبر 1903[198]. والشيخ " محمد الصالح بن عبد الرحمان الغزال" من علماء الأزهر الشريف، وهو من أبناء المنطقة الذين هاجروا قصد الاسترزاق، فوجد نفسه منشغلا بالعلم والتعليم بجامع الأزهر، والشيخ "الصادق بن الهادي[199]" عندما كان قاضيا بمحكمة الوادي الشرعية، وقد درس بالزاوية كتاب "**المرشد المعين**"، والشيخ " عبد المجيد بن حبة " وهما من الزاب. فقد كان لهؤلاء دورا فاعلا في تنشيط الزاوية علميا من خلال إلقاء دروس ومواعظ، لأنهم حين زاروا الزاوية مكثوا بها ضيوفا لعدة أيام[200].

ومن خلال هذا الدور العلمي من تحفيظ للقرآن الكريم واستقبال للعلماء المحليين والزوار نجد أن الزاوية العزوزية الرحمانية كانت في منأى عن الصراع بين الطريقة القادرية التجانية[201]، كما كانت زاوية سيدي سالم العزوزية الرحمانية غير مرغوب في التقرب منها من طرف السلطات الاستعمارية، حيث لا نجد لهذه الزاوية أي مسعى في إقامة علاقات مع المستعمر، بالإضافة إلى كونها امتدادا للزوايا الرحمانية التي قادت مقاومات عديدة بأرجاء البلاد في القرن 19م.

ج- دور الطريقة القادرية في التأثير على السكان بوادي سوف :

الطريقة القادرية أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، كما تعد أقدم طريقة صوفية في الجزائر،

---

[198] Document N° 6. Dossier 4/34, ،A. N. T : Série D Carton 178

[199] هو الصادق بن محمد بن الهادي وأصبح يعرف منذ 1927 بلقب بالهادي. ولد سنة 1292هـــ/1875م ببلدة سيدي عقبة،من تلاميذه الشيخ عبد المجيد بن حبة والشيخ إبراهيم العوامر. – ينظر سليم راشدي و عبد الحليم صيد : **الأستاذ الصادق بالهادي عالم سيدي عقبة ومدرسها الفذ (1875 – 1939م)**، ط2، مكتبة الطالب، بسكرة، 1419هـــ/1998م، ص ص 6- 14.

[200] إبراهيم مياسي : الدور التعليمي، المرجع السابق، ص 316.

[201] حمزة بوكوشة : " الشيخ محمد الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف 1918م "، **محاضرة مرقونة**، ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة، بمناسبة الموسم الثقافي، أفريل 1987، ص 02.

حيث تعود إلى سيدي " عبد القادر الجيلاني " (470هـ/1077م-561هـ/1166م)[202]. ودخولها الجزائر كان مبكرا عن طريق : الحج إلى البيت الله الحرام، خاصة على يد الشيخ " أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي "، الذي التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني بالحرم الشريف[203]، أو عبر تونس من خلال حركة التنقلات، التي تقوم بها بعض الفئات من المجتمع الجزائري، ومنها شاعت بوادي سوف منذ القرن 6ه[204] / 12م. وهكذا تكوّن لها مقاديم؛ أي مريدين مع الارتباط التام بمقرها العام ببغداد، وظلت التقاليد القادرية موحدة، ماثلة في الذكر والحضرة[205]. أما العمل الفعلي للزاوية القادرية بوادي سوف، فقد بدأ خلال القرن 13هـ/19م من قبل عائلة الشريف، التي تسكن الجريد التونسي[206]. وقد شيد النواة الأولى للطريقة القادرية في وادي سوف الشيخ " إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية الشريف "، الذي امتدت حياته فيما بين (1229هـ/1813م - 1292هـ/1875م)[207]، كما أسس الزاوية القادرية بنفطة بالجريد التونسي سنة 1253هـ/1835م، ثم اتجه إلى الجزائر لوضع الأساس الأول لزاوية عميش بوادي سوف، وقد تلقى التصوف على يد الشيخ " أبي بكر بن احمد بن عبد الله الشريف " في زاويته بتوزر[208]، فذكر ذلك في قصيدة تدعى " **النور** " بين فيها معالم التصوف، وآدابه وشيوخه[209].

واستمرت علاقة الشيخ إبراهيم الشريف بأهل وادي سوف، حتى وفاته، وبعدها تولى أمر الزاوية من بعده أبنه الأكبر " محمد

---

[202] ادوارد دونوفو : مصدر سابق، ص 29.

[203] ا بيل : **دائرة المعارف الإسلامية**، مج 1، دار الشرق ،القاهرة، 1933، ص 602.

[204] محمد البهلي النيال : **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، تونس، 1965، ص 204.

[205] مختار الطاهر فبلالي : **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، (د. ت)، ص 37.

[206] عمار هلال : " الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي "، مجلة **الثقافة**، العدد 95، الجزائر، 1986، ص 274.

[207] Gouvion (Marthe et Edmond) : op cit, p 42.

[208] Ibid، p p 42, 43

[209] قصيدة للشيخ إبراهيم الشريف بعنوان " **النور** " خطت بالاغواط بتاريخ 1904 منسوخة على الأصل بزاوية إبنه محمد الطيب الشريف بالرويسات.

الكبير "، الذي وثّـــــق عـــــــــــــــلاقته بالضـــــــابط الفرنسي " دي بـــــــــــــــــورتر " (De Porter)، الذي تولى إدارة الملحقة بوادي سوف سنة 1882، وعمل بعد ذلك في جهاز الاستخبارات بتونس، ليتحصل ديبورتر على رتبة (مقدم) بالطريقة القادرية من الشيخ محمد الكبير. فاستطاع الشيخ استغلاله والعودة إليه كلما احتاج إليه مقابل ما كان يهدف إليه الضابط الفرنسي من تحقيق مآرب استعمارية، حتى ظن العامة أنه مسلم قادري، وكان مقابل ذلك بمنح دي بورتر لإبناء إبراهيم الشريف تراخيص لفتح فروع لزاويتهم بعدة أماكن بالجزائر[210] منها : زاوية الرباح بمنطقة عميش أنشأها الشيخ " محمد لمام بن إبراهيم الشريف[211] "، وهي قلعة لتحفيظ القرآن الكريم، كما كان يعقد بها حلقات الذكر، ويتم فيها إكرام الضيوف وإطعام الفقراء والمحتاجين[212]. وفي قمار أنشئت زاوية قصد التنافس مع التجانية في تلك الجهة، وقام على شؤونها الشيخ " الحسين بن إبراهيم الشريف "[213]. وفي زاوية عميش (البياضة) قام الشيخ " الهاشمي بن إبراهيم الشريف "[214] بالإشراف على شؤونها، حيث كان نائبا يوم ذاك لأخيه محمد الكبير[215]، وقد جاء قادما من نفطة إلى وادي سوف في حدود 1886، فاستطاع أن يكسب ود الأهالي ويقيم له سلطة روحية على معظم أتباع الطريقة القادرية، كما أصبح الشيخ المطاع بوادي سوف[216]، وقد سعى الشيخ محمد الهاشمي الشريف إلى فتح زوايا للطريقة القادرية كلما سنحت له الفرصة، مثل : الزاوية القادرية بأولاد جلال ببسكرة[217] وزاوية الاغواط التي أوصى بتشييد مدرسة

---

[210] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 176.

[211] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص ص 50، 51.

[212]Isabelle Eberhardt : **Mes journaliers,** p 108. 1985, Paris, Edition d'Aujour d'hui, par René Luis,

[213] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 51.

[214] الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف ولد بنفطة سنة 1853. – ينظر عمـــــــــار هـــــــــلال : **أبـــــــحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 –1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 320.

[215] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 51.

[216] حمزة بوكوشة : " الشيخ محمد الهاشمي الشريف "، مرجع سابق، ص 01.

[217] محمد نسيب : **زوايا العلم و القرآن بالجزائر**، دار الفكر دمشق، سوريا، (د – ت)، ص 219.

لها، كما كان يدعو للعلم والنهضة[218]، وقد كانت زاويته بعميش مهتمة بالتعليم الأولي للقرآن الكريم، ليتم إتمام التعلم بزاوية نفطة القادرية، أو زاوية توزر[219] التي يتولى أمرها الشيخ "المولودي بوعرقية" المتوفى عام 1915[220]. واستمرت الزاوية الهاشمية القادرية[221] في نشاطها بوادي سوف، هذا في حياة الشيخ محمد الهاشمي الذي حاول بدهائه وفطنته أن يحتل مكانة معتبرة لدى الحاكم الفرنسي بملحقة وادي سوف والسلطات الفرنسية، وقد ساهم في الكثير من النشاطات الداخلية والخارجية، لينتهي مشوار الشيخ محمد الهاشمي الذي أدرك بأم عينه طبيعة الصراع والآليات التي ينبغي توفيرها للتصدي لدولة فرنسا القوية بالعلم والمعرفة، حيث أنه قرر قبل وفاته حبس كل ما لديه من أقطان وأملاك في سبيل العلم وتحفيظ القرآن الكريم. ذلك موثقا في كراسة مطبوعة في مطبعة جول كربونالي سنة 1343هـ جاءت بعنوان "**هذا نص الحبس الذي حبسه الطيب الذكر المبرور الولي الصالح سيدي محمد الهاشمي بن الشيخ سيدي إبراهيم الشريف على زواياه القادرية بشمال إفريقيا**[222]". وقد ورد في بداية المطبوعة : « وبعد فإن الأستاذ البركة الشيخ سيدي محمد الهاشمي بن سيدي إبراهيم بن أحمد الشريف شيخ القادرية قد أشهد على نفسه في حال الصحة والجواز أنه حبس وابد ووقف أملاكه التي بوادي ريغ ووادي سوف ونفطة على زوايا الست التي ستذكر بحبس جميع ما استقر على ملكه بنفطة يوم الوقفية على زاويته بنفطة وجميع ملكه بوادي سوف على زاويته بها وجميع ملكه بوادي ريغ على زاويته بتغرت (كذا) سوى الجنان الكبير بسيدي عمران فانه مستثنى من أملاك وادي ريغ وقد حبس ثلثه على الشياع على زاويته ببسكرة وثلثه لاخر (كذا)

---

[218] محمد علي دبوز : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 3، المطبعة العربية، الجزائر، 1969، ص ص 254، 255.

[219] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 234 – 235.

[220] أحمد البحتري : **الجديدة في أدب الجريد**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1973، ص 133.

[221] صلاح مؤيد العقبي : **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، لبنان، 2002، ص ص 560، 561.

[222] A. O. M : 16 H 42, op. cit..

كذلك على زاويته بسكيكدة والثلث الباقي على زاويته بالاغواط[223].» ليواصل الكلام مبرزا أهمية الحبس بالنسبة لخدمة العلم والمتعلمين، حيث يقول : « كما حبس على كل زاوية من الزوايا المذكورة جميع ما فيها من الأثاث قاصدا بذلك تعمير الزوايا بقراءة العلم والقرآن العظيم مشترطا أن يؤسس بذلك في كل زاوية مما ذكر عشرون متعلما يتعلمون العلم والقرآن ويكون الإنفاق عليهم جميعهم مما ذكر من الحبس على أن يأخذ كل واحد ما يكفيه كل يوم من الأكل في الصباح والمساء ويؤسس مع ذلك مدرس عالم مأذون بالإقراء من شيوخ نظارة الجامع الأعظم جامع الزيتونة[224]. »، وبعث بأبنائه إلى جامع الزيتونة، موصيا أن يكون خليفته على الزاوية، المتحصل من أنبائه على شهادة التطويع[225]، بل نجده يحاول توضيح حالة الاستخلاف في حال حصول أكثر من ابن على شهادة التطويع، هذا ما يبينه الحبس : « ولا يستحق ابن من أبناء المحبس الشيخوخة بالزوايا المذكورة إلا إذا كان محرزا على شهادة التطويع (بجامع الزيتونة بتونس) ومن حصل على الشهادة المذكورة فان له الحق في ان يختار من الزوايا المذكورة فان تطوع اثنان بأكثر من أبناء المحبس في سنة واحدة بالخيار لمن حاز أكثرية العدد فإن تساويا في العدد بالخيار لأكبرهما سنا ويشترط في من أحرز على شهادة التطويع من الأبناء ويرومهم أن يكون متباعدا من ارتكاب كبائر المعاصي متبعا للشريعة المحمدية في جميع ما تأمر به وتنهى عنه[226] »، وقت أن كان بعض الفقهاء وشيوخ الطرق الصوفية آنذاك ينفرون من الهجرة إل جامع الزيتونة[227] للتحصيل العلمي، باعتباره جامع يناهض الطرق الصوفية، ويدعو إلى حركة التجديد والإصلاح السلفي.

---

[223] محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم الشريف : " **هذا نص الحبس الذي حبسه الطيب الذكر المبرور الولي الصالح سيدي محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم الشريف على زواياه القادرية بشمال إفريقيا** "، مطبعة جول كربونال، الجزائر، 15 رمضان 1343هـ، ص ص 29، 30.

[224] محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم الشريف : نفس المصدر، ص 4.

[225] التطويع : شهادة تقابل شهادة البكالوريا. – ينظر إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان الطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 223. (هامش *.).

[226] محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم الشريف : المصدر السابق، ص ص 7، 8.

[227] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص 07.

وبعد وفاة الشيخ محمد الهاشمي وقع الاختيار على الشيخ " عبد العزيز الشريف[228] " الابن الثالث كونه الحاصل على شهادة التطويع، غير أن هذا الأخير تخلى عن المنصب لصالح أخيه الأكبر "عبد الرزاق"[229]، في حين أن الشيخ عبد الرزاق لم يعمر طويلا في المنصب نتيجة حالته الصحية المتدهورة، و لم تدم خلافته على الزاوية إلا لمدة قصيرة[230]، فما كان من الشيخ عبد العزيز الذي لم يتجاوز سن الخامسة والعشرين من عمره إلا القبول بأمر الواقع، والامتثال إلى حقيقة توليه خلافة الزاوية، غير أن ثقافة عبد العزيز وطبيعته جعلته يصرح برغبته في التخلي عن مشيخة الزاوية[231]. هكذا استمرت حياة الشيخ عبد العزيز رتيبة دون أن يذكر له بأن قام بإصلاحات أدبية أو مادية على زاوية عميش، وفروعها في سيدي عمران وسكيكدة، والأغواط والجزائر العاصمة، بل أنشغل باستثمار أموال عائلته، فكللت مساعيه بالنجاح حتى صار يلقب في مناطق الجنوب بملك التمور[232]. ومع هذا استطاع عبد العزيز الشريف من تنصيب زميله الشيخ " السعيد الزاهري " مدرسا بزاوية الأغواط سنة 1926[233]، كما نصب في نفس السنة

---

[228] ولد عبد العزيز سنة 1898 بعميش. - ينظر أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، (د. ط)، المطبعة العربية، غرداية، 1427هـ/2004م، ص 46. – إبراهيم مياسي : " جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف "، **الثقافة**، السنة العشرون، العدد 109، الجزائر، يوليو – أغسطس 1995، ص 163.

[229] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، المرجع السابق، ص 322. - إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**.، ص 223.

[230] عمار هلال : **أبحاث ودراسات** ، نفس المرجع، ص 323.

[231] عمار هلال : **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر**، نفس المرجع سابق، ص 324. - إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**.، ص 223.

[232] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**.، ص 223.

[233] **الشهاب** : العدد 94، السنة الثالثة، 15 صفر 1345هـ/23 أوت 1926.

الشيخ " مبارك الميلي " بنفس الزاوية[234]، وعين الشيخ " الصديق بن عريوه " مدرسا بزاوية تقرت والشيخ " محمد الشريف المدكالي " مدرسا بزاوية بسكرة[235]. واستمر الشيخ عبد العزيز قائما على مشيخة الزاوية القادرية بعميش، وعلى ملحقاتها إلى سنة 1936، وفي نفس السنة قام الشيخ عبد العزيز بأداء فريضة الحج، فانتهز الفرصة ليطّلع على أحوال الحجاز، مما جعله يمدّد إقامته لبضعة أشهر دارسا ومستفسرا عن أحوال البلدان الإسلامية قاطبة[236]، التي تعجّ بأحداث تاريخية وغليان سياسي يتمثل في مواجهة تلك البلدان للاستعمار الأوروبي، ففي مصر أبرمت معاهدة 1936، حيث أقرت بموجبها بريطانيا اعتبار مصر دولة مستقلة ذات سيادة، وتسندها في الانضمام إلى عصبة الأمم، مع إجلاء القوات البريطانية عن مصر وتمركزها فقط في منطقة السويس[237].

أمّا سوريا فقد عاشت ثورة 1936 لطرد الاستعمار الفرنسي، وفي فلسطين قامت الثورة الكبرى بقيادة الشيخ عز الدين القسام، التي كادت أن تنتصر وتخلص البلاد من الانتداب البريطاني والنفوذ الصهيوني، لولا تدخل بعض الخيانات للأنظمة العربية، كما عرف العراق انقلابا سنة 1936 ألغي على إثره المعاهدات الجائرة[238]. فكان لهذه الأحداث أثرا كبيرا في نفسية الشيخ عبد العزيز، يضاف إلى ذلك مكوثه بمصر مدة. ذلك أثناء رجوعه من أداء فريضة الحج، حيث اتصل بمجموعة من رجال الإصلاح الذين ينهجون منهج جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وعلى رأس هؤلاء مفتي فلسطين الأمين الحسيني وشكيب أرسلان، ورشيد عالي الكيلاني. وعندما رجع الشيخ عبد العزيز إلى الوطن أصبح يفكر في طرح أسلوب جديد يعوض الطرقية والتصوف، فبدأ يقترب من أفكار جمعية علماء

---

[234] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص 08.

[235] عمار هـــلال : **أبحاث ودراسات**، مرجع سابق، ص ص 324 – 326.

[236] **الشهاب الجديد** : "الشيخ الثائر عبد العزيز بن محمد الهاشمي الشريف"، العدد الأول، ربيع الأول، 1427هـــ/أفريل 2006، ص16.

[237] إبراهيم مياسي: " جهاد عبد العزيز الشريف "، **مجلة الثقافة**، العدد 109، الجزائر، جوان1995، ص 166.

[238] إبراهيم مياسي: "أضواء حول الشيخ عبد العزيز "، **الندوة الفكرية الرابعة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 30 أفريل – 01 – 02 – 03 ماي 1991، ص 25.

المسلمين الجزائريين[239]. ذلك نتيجة عوامل عديدة ساعدت في صقل ملامح شخصية الشيخ غير الآبه بالطرقية، وهذه العوامل هي :

1 - اطلاعه الواسع على الثقافة العربية الإسلامية بجامع الزيتونة[240]، عكس ما كان يدرّس بالزوايا. فإن جامع الزيتونة في الفترة التي قضاها الشيخ عبد العزيز ما بين (1913-1923) كان يعرف إصلاحات جعلته متفتّحاً كثيرا على العلوم الحديثة، كما كان يُدرِّس به شخصيات عديدة كانت تدعو للإصلاح[241].

2 - تقرُّب الشيخ عبد العزيز من قيادات الحركة الوطنية التونسية[242]، فإذا كانت تونس قد شهدت خلال فترة الحرب (1914-1918) ركوداً سياسياً نظرا للقوانين الاستثنائية التي فرضتها الدولة الفرنسية الواقعة تحت حمايتها. ذلك لم يمنع الحركة الوطنية التونسية من القيام بنشاط معتبر وملحوظ مستغلة المبادئ التي أعلن عنها الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى[243]، فإن تونس سرعان ما عرفت غلياناً سياسياً، واجتماعياً عقب تلك الحرب، حيث شهدت ميلاد أوّل حزب سياسي حقيقي في بداية سنة 1920، وهو الحزب الدستوري الحر، كما تميّزت الفترة الممتدة من 1920-1923 بنشاط مكثّف للحركة الوطنية التونسية المتمثلة بالخصوص في أعضاء الحزب الدستوري الحر[244] الذين لم يقطع الشيخ عبد العزيز صلته بهم بعد تخرجه من الزيتونة، بل بقي طوال سنوات يراسلهم ويتعاطف معهم في محنهم[245].

---

[239] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 224.

[240] عمار هلال: **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 325.

[241] أحمد صاري: **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 50.

[242] عمار هلال: **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 325.

[243] عبد العزيز الثعالبي : **تونس الشهيدة**، تعريب حمادي الساحلي، مراجعة محمد العروسي المطوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1984م، ص 7.

[244] أحمد صاري: المرجع السابق، ص 50.

[245] عمار هلال: **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 325.

3 - احتكاك الشيخ عبد العزيز بالكثير من زملائه الطلبة الجزائريين، خاصة دفعة سنة 1913، الذين كانوا يدرسون في الزيتونة، فكان ذلك عاملا مسهلا للشيخ عبد العزيز من ربط علاقات مودة وصداقة مع البعض منهم، الذين أضحوا في الثلاثينات من القرن 20م أقطابا للحركة الإصلاحية في الجزائر[246]. ذلك مثل الشيخ: مبارك الميلي، وقد أشارت إلى هذه العلاقة بعض التقارير الإدارية، وأثبتها الوضع بعد رجوعهما إلى الجزائر، حيث عيّن عبد العزيز مبارك الميلي مدرسا لتعليم إخوان الطريقة القادرية بالأغواط[247].

4 - الغليان السياسي والترقب الذي ساد البلاد بما فيها مناطق الجنوب الجزائري، نتيجة انعقاد المؤتمر الإسلامي العام في جوان 1936، وذهاب الوفد الإسلامي بمطالب الأمة الجزائرية إلى باريس لعرضها على الحكومة الفرنسية سبباً من الأسباب التي جعلت الشيخ عبد العزيز يترك أمرا ليحتضن آخرى.

5 - تأثر عبد العزيز تأثّراً بالغاً لاغتيال الشيخ "كحُّول" إمام الجامع الكبير بالعاصمة، واعتبر هذه الحادثة كنتيجة حتمية للإخلاص إلى الإدارة الاستعمارية، والتفاني في خدمتها، وعندما سئل عن هذه الحادثة أجاب باختصار : « هذه عِظة لمن أراد أن يتّعظ.[248] ».

6 - شخصية الشيخ عبد العزيز الشريف الحادة الطباع، التي لم تجعله يرتاح لمشيخة الطريقة، هذا ما أبداه صراحة في سنة 1929، لأتباعه أنه لم يعد يرغب في البقاء على رأس الزاوية[249]، نتيجة التقاليد الهشة التي يعتريها الكثير من الشبهات.

وعلى ضوء هذه العوامل نجد كل من العاملان الأول والثاني قد ساهما في توجّه الشيخ عبد العزيز

---

[246] عمار هلال: " من الشخصيات الجزائرية التي لم ينشر عنها الغبار بعد الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي "، **مدونة محاضرات الندوة الفكرية السادسة للأمين العمودي**، الوادي من 29 أفريل إلى 01 ماي 1993، ص44.

[247] أحمد صاري: المرجع السابق، ص51.

[248] إبراهيم مياسي: "جهاد عبد العزيز الشريف"، المرجع السابق، ص167.

[249] موسى بن موسى: **الحركة الإصلاحية**، المرجع السابق، ص178.

الشريف العقائدي والسياسي، وإن لم يكن لدينا ما يدل على ذلك، فإن الشيخ "محمد خير الدين250" أحد مسؤولي جمعية العلماء، الذي تابع تعليمه بالزيتونة في نفس الفترة التي قضاها الشيخ عبد العزيز بالزيتونة يقرّ بقوله طبيعة النهل الذي جمعهم في الزيتونة251. وقد كتب حول هذا الموضوع مقال بعنوان : " ماذا استفدت من تونس غير العلم " ويقول فيه : « كانت رحلتي إلى تونس ذات أبعاد متعددة في تهيئتي للدور الذي قدّر لي أن أقوم به في حركة الإصلاح الجزائرية فيما بعد، فلم تقتصر فوائد إقامتي بتونس على تحصيل العلم والثقافة العربية والإسلامية فقط، بل أطلعتني على مظاهر النهضة الوطنية، أيضا252. »، ثم يذكر مظاهر هذه النهضة المتمثلة في مختلف الاجتماعات، والمظاهرات، وانبعاث الصحف، وفي تقييمه لهذه الفترة يقول: « إنّها كانت فترة خصبة من حياتنا، عامرة باليقظة والنهضة، رأيت فيها ما لم أشاهده من قبل في الجزائر253. ». كل هذه العوامل أثّرت في شخصية الشيخ عبد العزيز الذي فكّر في أحوال بلاده، وقارن أوضاع الجزائريين بأحوال إخوانهم في المشرق، ورأى أن رسالته الحضارية تقتضي منه أن يناضل باعتباره رجلا من رجال الفكر والثقافة العربية الإسلامية، وأخذ بعين الاعتبار أفكار المصلح الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس ضدّ الطرقية[254].

وعموماً فقد حدّد الشيخ عبد العزيز الشريف مواقفه الواضحة من جمعية العلماء المسلمين، وحركتهم الإصلاحية في شهر أكتوبر 1937، في برقية وجهّها إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس

---

[250] الشيخ محمد خير الدين : ولد في ديسمبر 1902م في بسكرة، حفظ القرآن في مسقط رأسه، ونال شهادة التطويع من جامع الزيتونة في جوان 1925م - ينظر: محمد خير الدين: المصدر السابق، ص ص70-77.

[251] أحمد صاري: المرجع السابق، ص50.

[252] محمد خير الدين: المصدر السابق، ص 79.

[253] محمد خير الدين: نفس المصدر، ص 80.

[254] إبراهيم مياسي: "جهاد عبد العزيز الشريف"، المرجع السابق، ص167.

يبدي له فيها إعجابه وتعاطفه مع أهداف جمعية العلماء[255]. وقد كتب الشيخ ابن باديس في عبد العزيز ما يلي : « وفي السنة الماضية - 1937 - قبل الاجتماع العام كاتبني الشيخ عبد العزيز الشريف يرغب منيّ الانخراط في جمعية العلماء المسلمين، فأجبته بأن الجمعية مفتّحة الأبواب لجميع المسلمين وخصوصاً لأمثاله من العلماء، وأنّ الجمعية تأسست، وفي المؤسّسين لها جمع كبير من شيوخ الطرق، وأنّ القانون الأساسي الذي وضع باتفاق مع الجميع مازال معتمداً هو نفسه، فلمّا كان الاجتماع العام رُشّح للمجلس الإداري بصفته عالماً وشيخاً للطريقة القادرية، فانتخب بما يقرب الإجماع[256]. »، ثمّ طلب الشيخ ابن باديس من الشيخ الطيّب العقبي أن يقدِّم الشيخ عبد العزيز الشريف إلى الحاضرين في المؤتمر السنوي العام لجمعية العلماء المنعقد يوم 1937/09/24، فقال : « الشيخ عبد العزيز الشريف كان من شيوخ الطرق. أما اليوم فيجب أن تعرفوه بأنه جندي من جنود الإصلاح، ومن أعضاء جمعية العلماء[257]. »، لتحال الكلمة للشيخ عبد العزيز الذي أبدى تأسفه لتأخره عن الانضواء تحت لواء الإصلاح، ووعد بأنه سيبذل كل مجهوداته في خدمة الإصلاح، وتبرّع لهم بمبلغ 25000 فرنك، وهو مبلغ هام في ذلك الوقت[258]. وعلى إثر ذلك زادت اهتمامات السلطات الاستعمارية لخبر انضمام الشيخ عبد العزيز الشريف لجمعية العلماء المسلمين اهتماماً كبيراً، واعتبرت ذلك من الأمور الخطيرة التي تهدد الأمن في مناطق الجنوب الجزائري قاطبة. ومهما يكن من النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا الموقف الذي اتّخذه عبد العزيز من حركة العلماء أنه مكنهم من الدخول إلى إقليم وادي سوف معزّزين مكرّمين، ذلك في شهر ديسمبر 1937، أي

---

[255] عمار هلال: "من الشخصيات الجزائرية"، المرجع السابق، ص278.

[256] **البصائر**: العدد123، السنة الثالثة، الجمعة 24 جمادي الأولى 1357هـ - 22 جوليت 1938م.

[257] **البصائر**: العدد123، نفس المصدر.

[258] عاشوري قمعون: " دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية "، **مجلة البحوث والدراسات**، العدد 03، المركز الجامعي بالوادي، جمادي الأولى 1427هـ/جوان 2006م، ص80.

بعد أقل من ثلاثة أشهر عن إعلان الشيخ عبد العزيز على مساندته المادية والمعنوية لحركة الإصلاح في الجزائر[259].

هكذا استطاع كل من الشيخ محمد الهاشمي والشيخ عبد العزيز الشريف أن يستميلا نفوس العديد من السكان المسلمين الجزائريين بالإقليم، وذلك للدور الذي صارت تعرف به طريقتهما رغم محاولات الشيخ محمد الهاشمي من إظهار روح المودة للسلطة الاستعمارية، لكن ذلك كان على مضض، وقد كتب الشيخ عبد الحميد في جريدة البصائر عن كليهما : « كان الشيخ الهاشمي شيخ الطريقة القادرية رحمه الله رجلا ذكيا واسع الحيلة بعيد النظر أدرك بثاقب فكره أن ما عليه الطريقة من الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا وأن المستقبل للعلم لا محالة فولى وجهة شطر العلم، وقدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور وحبس أملاكه كلها على العلم أشترط أن تعمر زواياه بأهل العلم من أئمة ومدرسين ومتعلمين، فكان عمله هذا فريدا لم يسبقه إليه أحد من أمثاله. انتهى أمر الحبس إلى الشيخ عبد العزيز بمقتضى شرط المحبس، وتولى مشيخة القادرية، فلما كان الاجتماع العام رشح للمجلس الإداري بصفة عالما وشيخا للطريقة القادرية[260]. » ومما سبق يتبين أن تأثير الطريقة القادرية كان بالغ الاهتمام لما كان يبديه كل من الشيخ محمد الهاشمي والابن عبد العزيز بخلاف الشيخ محمد صالح الذي أبدى مواقف اذعان للسلطة الفرنسية معتبرا مواقف الشيخ عبد العزيز مواقف متهورة، بل نجده قد ذهب إلى أبعد من ذلك حينما حاول حل الحبس باعاز من أخته من أبه "زهور". ذلك بموجب حكم قضائي يفسخ الحبس الذي أقره الشيخ الأب ووقف على تنفيذه الشيخ عبد العزيز[261]. فكان ذلك بداية تحول في مواقف الطريقة القادرية تجاه السلطة الفرنسية، بخلاف ما كانت عليه الطريقة وأتباعها في العهدين السابقين.

---

[259] عمار هلال: "من الشخصيات الجزائرية"، المرجع السابق، ص278.

[260] **البصائر** : العدد 113 المؤرخ في 24 جمادي الأول 1357هـ / 22 جويليت 1938م.

[261] نسخة من قرار الحكم القاضي بحل حبس للشيخ الهاشمي لصالح الشيخ محمد الصالح وأخته زهور. كشف عليه الشيخ أحمد الخراز خلال اللقاء الذي اجري معه ببيته، المرجع السابق.

2 – دور الطرق الصوفية الفرعية في التأثير على السكان في مجابهة السياسة الاستعمارية :

هي الطرق الصوفية القليلة الأتباع، والمحدودة الانتشار مقارنة بالطرق الصوفية الفاعلة، ذات النشاط المؤثر في السكان بالإقليم، كما لم يكن لهذه الطرق زوايا بالمنطقة، وإنما كان ارتباطها يبرز من خلال بعض المساجد المتناثرة عبر تراب وادي سوف، هذا من خلال تسمية تلك المساجد بها وأبرزها :

أ -الطريقة البوعلية :

هي قادرية الأصل تعود إلى القرن 6هـ/12م ظهرت ببلاد الجريد التونسي، ومؤسسها هو أبو علي، وهو " حسن بن محمد بن عمران الحسيني[262] " المولود سنة 493هـ / 1099م[263] بنفطة، عرف بأبي علي النفطي، كما عرف بالسني لانتصاره لأهل السنة مُنكرا على غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى خاصة الخوارج، فمات على أيديهم سنة 610ه[264]/1213م[265]، ليدفن خارج نفطة في رباط عليه قبة، ويعود انتشار الطريقة البوعلية بوادي سوف إلى الشيخ " محمد بن ناصر النفطي " الأصل المولود سنة 1800، وقد أخذ الطريقة عن شواشي ضريح سيدي بو علي يقال لهم الطواهرية، وقد وفد إلى الوادي فأسس سنة 1850 خلوة أو زاوية صغيرة، ليشيد فيما بعد مسجدا حوالي 1890، يعرف بمسجد سيدي علي الكائن بحي أولاد أحمد. وفي سنة 1895 توفي محمد بن الناصر ليدفن بالمسجد. ذلك بالجنوب الغربي من المسجد[266]، لكن تصرفات أتباع هذه الطريقة

---

[262] حسن بن محمد الحسيني : **وصية الشيخ أبو علي السني (كتاب مناقب سيدي أبو علي السني)**، (مخ)، المكتبة الوطنية التونسية، رقمها التسلسلي A-MSS-23836، ص 57.

[263] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 274.

[264] محمد البهلي النيال : المرجع السابق، ص 213.

[265] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 274. – أحمد البحتري : المرجع السابق، 1973، ص ص 64 –67.

[266] أحمد مفتاح : **تقاييد**، المرجع السابق.

اعتبرت غريبة من رقص شعبي[267] وحضرة بها مظاهر غير مألوفة[268]، كاستعمال مخائط حديدية حادة لثقب الخدود واستعمال شعلة من النار، والقفز على بطن شخص مستلق على مواد حادة، والمشي على الجمر، لكن ما يلاحظ على هذه الأعمال هو أن هذه التصرفات دخيلة عن الطريقة البوعلية التي حاول مؤسسها أن تقوم على ما تقره الشريعة الإسلامية القائمة عن الكتاب والسنة، حيث يعد من المتحمسين لمذهب أهل السنة[269]، لأن المذهب الغالب على منطقة الجريد آنذاك هو المذهب الإيباضي الخارجي[270].

أما تواجدها بوادي سوف منذ استقرار المستعمر كان ينحصر في قلة مريديها، حيث كانوا يفتقدون لأبسط الوسائل التي تربطهم بالطريقة البوعلية، حتى الأوراد التي تقوم عليها الطريقة، بل حتى القصائد المتداولة تكاد تنحصر في كلام غير مفهوم بخلاف ما جاءت به الوصية المنسوبة لسيدي بو علي النفطي السني، التي جاء في أولها البسملة والصلاة على الرسول (ﷺ)[271]، وفي الأخير الدعاء للمسلمين قاطبة[272]. وبالرغم من سنية الطريقة إلا أن ما أصبحت عليه الطريقة البوعلية، فهي طريقة أقرب للشعوذة والدروشة أكثر منها طريقة ذات أصول عقدية متوازنة بخلاف ما أسست عليه من خلال ما ورد عن شيخها المؤسس، هذا ما جعل الطريقة شيئا من الفلكلور الشعبي، كما أنها كانت أداة للتخلف. وعليه لم يكن لهذه الطريقة أي موقف تجاه الاستعمار بل نجد بعض مريديها ساهموا في التحامل على رجال الإصلاح الذين تصدوا لأي محاولة تهدف إلى تصحيح الفهم الواجب أن يكون عليه العامة من المجتمع. ذلك ما جعلها أداة تفرقة بين مجتمع وادي سوف، مما خدم الإدارة الاستعمارية وكرس مبدأ

---

[267] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 275.

[268] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 184

[269] محمد البهلي النيال : المرجع السابق، ص 34.

[270] محمد البهلي النيال : نفس المرجع، ص 211.

[271] حسن بن محمد الحسيني : المصدر السابق، ص 66.

[272] حسن بن محمد الحسيني : نفس المصدر، ص 115.

القدريـــــــــــــــــة من خلال الاستسلام والخضوع والخنوع للاحتلال.

ب -الطريقة المرزوقية :

هي نسبة إلى سيدي مرزوق، وهو رجل أسود زنجي. كان خادما عند سيدي بو علي النفطي، فلمَّ توسم فيه الصلاح، وظهرت على يده الكرمات أمره بالاستقلال عنه، فاستقل سيدي مرزوق[273]. ذلك ما جعل السود الزنوج في بلاد الجريد التونسي ووادي سوف يعلنون له الولاء، وهم يدعون بـــــــ "الوصفان"، فلهم ثلاث قياد واحد في الوادي المركزي، وآخران أحدهما في كونين، والآخر في عميش، لهم احتفال سنوي[274] يجتمع فيه الوصفان قاطبة، ويقام هذا الاحتفال في يوم الإثنين من وسط شهر مارس كل سنة، ويطلق عليه اسم " محفل سيدي مرزوق " أو عرس سيدي مرزوق، فيتم فيه الـــرقص والغناء والموسيقى الخاصة ذات الطابع الزنجي الإفريقي، كما يقوون روابط الصلة والعلاقات الاجتماعية فيما بينهم، حيث يعد موسما للتعارف بين أفراد الأسر الزنجية المختلفة[275]، والمترامية السكن بوادي سوف، لكن مع ذلك فإن الوصفان ينتمون إلى الطرق الصوفية الأخرى حسب انتماءاتهم للعائلات قبل تحررهم من رق العبودية[276]. ومن هنا يتأكد لنا أن المرزوقية تكتل عرقي أكثر من كونها طريقة صوفية. لأن مواقفهم تجاه السلطة الفرنسية لم تكن ذات بال نتيجة الوضع الاجتماعي الذي كان يحياه الوصفان. ومن هنا فهي تكتل جنسي يحاول أن يحافظ على قيمه الحضارية ذات الأصول الإفريقية في منأ عن المواقف والأحداث التي برزت بالإقليم.

ج -الطريقة الشابية :

إن الأصول الدعوية للطريقة الشابية تعود في الأساس إلى مؤسسها الصوفي العارف الشيخ " أحمد

---

[273] إبراهيم العوامر : الصروف ،المصدر السابق، ص 166.

[274] André Voisin : op. cit, p 97.

[275] Roge Leselle : op. cit, p 66.

[276] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 184.

بن مخلوف الشابي " (835 – 898هـ/1431 – 1492م) أصيل بلدة الشابة[277] بالساحل التونسي[278].

أما أصول توافد الطريقة الشابية إلى وادي سوف، فتعود في الأساس إلى جماعة من طرود عاهدوا سيدي "عرفة بن أحمد بن مخلوف الشابي" أثناء قدومهم للقيروان[279]، فكان ذلك بداية انتشار الطريقة بوادي سوف، لكن تجذّر الطريقة الشابية كان على يد الشيخ سيدي " مسعود الشابي " الذي كان يتردد على وادي سوف، وقد توفي ببلدة شار قرب خنشلة، ليدفن بزاويته الشابية سنة 1619[280]، وقد قام سيدي مسعود بإنشاء عدة مساجد بالوادي وقمار، فحملت هذه المساجد اسمه.

وكان الأحفاد يأتون سنويا لجمع التمور خاصة من قمار، وقد نصبوا خيمة شعر غربي قمار وأطلقوا عليها تسمية " بيت الشريعة "، كما أسس أحد أحفاده زاوية شابية بتوزر سميت ببيت الشريعة[281]، لتتحول تلك الخيمة إلى مسجد وجعلوا في مصلاه عصا، ثم خشبة، ثم حجرا ليُخرج هذا الحجر سنة 1354هـ / 1935م يدَّعى أنه صار وثنا يعبد من دون الله[282]، وقد استمرت هذه الصلة بين شيوخ بيت الشريعة من شابية الجريد التونسي، وأهالي وادي سوف لكونه مصدر لجمع التمور، ومن هؤلاء المترددين نجد الشيخ " أحمد عمار[283] ".

وقد كان لهذه الطريقة أوراد وقواعد تسير عليها تشبه أوراد الطرق الأخرى[284]، وهي طريقة

---

[277] الشابة بلدة من ولاية المهدية بتونس الساحلية.

[278] علي الشابي : " مصادر جديدة "، مرجع سابق، ص 55.

[279] إبراهيم العوامر : **الصروف**، المصدر السابق، ص 180.

[280] إبراهيم العوامر : **الصروف** ،نفس المصدر، ص 192.

[281] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 276.

[282] محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 68.

[283] محمد الطاهر التليلي : نفس المصدر، ص 68.

[284] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 276.

محصورة في قمار والدبيلة، حيث توجد زاوية الشابية بقمار[285]، وأتباعها مقتصرون في بعض العائلات التي تحمل اسمها. أما النشاط الثقافي الذي لعبته الطريقة الشابية قد انحصر في زاويتها بقمار[286]. وقد استطاعت هذه الطريقة القيام بنشاطات علمية وثقافية بحاضرة قمار، فقام موريدوها باقتناء بيت (حوش) يسمى حوش سي عبد الغني[287] سنة 1879. ذلك لأجل تحفيظ القرآن الكريم فقط، ثم تطور حتى أصبح عبارة على نادي يلتقي فيه أهل قمار بعد المغرب لقراءت الحزب الراتب من القرآن الكريم، ثم يلتقون فيه بعد صلاة العشاء، حيث ينظم إليهم الكثير من الأئمة والمشايخ، لأجل سماع المناظرات العلمية والمحاضرات بهدف نشر العلم والمعرفة، وخاصة من طرف القادمين من علماء تونس في شتى العلوم كالفقه، والتفسير....الخ، مع تنمية الذوق الروحي من خلال إحياء السهرات الدينية بالقصائد والمديح الديني، خاصة الهمزية والبردة في المولد النبوي الشريف[288].

وتطور هذا البيت وأصبح اليوم مسجدا يدعى مسجد العمامرة، لكن هذه الطريقة كان أتباعها قلة، مما قلل من حجم نشاطها الثقافي. وعليه فالطريقة الشابية بهذا الدور استطاعت أن تحافظ على وجودها للمشاركة في بلورة وضع ثقافي يمكن من خلاله المحافظة على مقومات الهوية العربية والإسلامية، ولو بإمكانيات محدودة ومرضية نسبيا، هذا ما جعلها في منأ عن المحتل من خلال عدم استعمال أسلوب التصادم والاحتكاك العنيف مع الإدارة الاستعمارية والهروب من كل عمل ينتج عنه احتقان، لذلك جاءت النشاطات العلمية والثقافية مسايرة للإدارة الاستعمارية، ومن هنا يتبين لنا أن الطريقة الشابية طريقة مهادنة، وقد يرجع ذلك لقلة أتباعها وموريديها بإقليم وادي سوف.

---

[285] محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، مصدر سابق، ص 42.

[286] Ahmed.Nadjah : Op. cit, p 125.

[287] حوش سي عبد الغني كان مركزا نشطا للطريقة الشابية، لقبه حاليا (عمامرة) .

[288] عبد الفتاح ونيس: **كناش**، مرجع سابق.

د ـ الطريقة الطيبية[289] :

الطيبية طريقة صوفية تأسست بوزان[290] على يد الشيخ عبد الله الشريف المتوفى سنة 1089هـ/1678م، وخلفه في مشيخة الطريقة أبناؤه وأحفاده منهم مولاي الطيب الذي تنسب إليه لكونه ساهم في ازدهارها حتى سنة 1767[291]. أما الزاوية الأم فتتواجد بوزان بالمغرب الأقصى وتدعى بـ "دار الضمانة". أما أورادها فهي شبيهة بالطرق الأخرى، حيث تدعو إلى التقوى والإكثار من فعل الخير، والحفاظ على القيام بالواجبات الدينية[292].

أما تواجد الطريقة الطيبية بوادي سوف فقد ظهر خلال القرن 19م إلى جانب الطرق الصوفية الأخرى، غير أن أتباعها قليلون[293] لهم زاوية تعرف باسم الشيخ سيدي " عبد الله بن أحمد " الذي عاش في القرن 18م[294]، وقد سمي عليها الحي الذي تتواجد به الزاوية، وهو حي سيدي عبد الله. وهي الأخرى لم تسع إلى التصادم مع المحتل، وقد يعود إلى قناعة المريدين بعدم التصادم معه. ذلك نتيجة الإمكانيات المحدودة من جهة، ومن جهة ثانية الاقتناع بالثقافة القدرية تجاه المحتل الذي يعد في

---

[289] إبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص ص 94، 95.

[290] تقع مدينة وزان العريقة فوق ربوة مخضرة على ارتفاع بنحو 325متر عن سطح البحر في مقدمة سلسلة جبال الريف عند سفح جبل أبي هلال، الذي كان يعرف بجبل الريحان والذي يبلغ علوه حوالي 610 متر عن سطح البحر. والمدينة تبعد عن الرباط ب170كلم وعن فاس ومكناس ب 134كلم وعن تطوان ب 130 كلم وهي تعتبر بوابة الشمال من الجهة الغربية وهي تتشابه في خصائصها الاجتماعية والثقافية التاريخية بمدينة فاس وزرهون وتازة نظرا لارتباط هذه المدن العريقة بأوليائها ومزاراتها وللتواصل الذي كان سائدا بين أشياخها وعلمائها وسكانها. – ينظر موقع وزان الإلكتروني : http://tahrimustapha.voila.net/index.html.

[291] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 515.

[292] **Note,** C. Cauvet : Op. cit, p 106.

[293] إبراهم العوامر : **الصروف**، المصدر السابق، ص 308.

[294] مفتاح عبد الباقي : الزاوية التجانية بقمار،**الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري**،قمار، 09 – 11 أكتوبر 2001، ص 10.

أبجديات الطرق الصوفية قضاء وقدر، لهذا فالمواجهة غير مجدية بل ضارة بها، مما يعيق سير عملها والحفاظ على تواجدها.

وبهذه التشكيلة الفسيفسائية نلاحظ فاعلية المجتمع بوادي سوف، ومدى تفاعله بالتأثيرات الخارجية خاصة تونس من خلال منطقة الجريد، هذا ما يبين مدى شغف الفرد بوادي سوف إلى الميل للتدين، فكانت هذه الطرق بمثابة الدرع الواقي للمجتمع، ولا سيما هذه الطرق خاصة الرئيسية منها كان لها أدوار مختلفة التأثير على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي[295]، مما جعلها تؤثر تأثيرا بالغا في قلوب مريدها، ورغبَتهم في تأسيس الزوايا بمختلف القرى والمدن بوادي سوف للذكر والتربية، وتحفيظ القرآن الكريم، كما كانت الطرق الصوفية وزواياها ملجأ لإطعام الفقراء والمحتاجين، هذا ما كانت تقوم به الزاوية التجانية في كل موسم من شهر رمضان، وهذه العملية تدعى بالمونة، وهي سنَّة مواظب عليها كل سنة[296]، كما كانت قلوب أتباعها في شوق مستمر للشيوخ المؤسسين لهذه الطرق خارج المنطقة. هكذا ظل مجتمع وادي سوف يؤثر ويتأثر تبعا للعلاقات القائمة بين الزوايا بوادي سوف والطرق الصوفية داخل الوطن أو خارجه.

ثالثا – دور النخبة في التأثير على مواقف سكان وادي سوف تجاه سياسة التغريب :

إن النخب هي الوقود الأساس لأي حركة تغييرية، لما لها من دور فعَّال في أي مجتمع كان، غير أن الوضع الذي تميز به إقليم وادي سوف لم يختلف عن الوضع العام بالجزائر منذ 1887[297]. والنخبة بوادي سوف تميزت في غالبيتها بتمسكها بالتراث القومي المتسم بملمح العروبة والإسلام،

---

[295] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 163.

[296] **حوار** مع الشيخ العيد غوري - من مواليد العشرينات من القرن 20م -.بمسجد الطلبة بقمار يوم : 26 جمادي الثانية 1424هـ - 24 أوت 2003م.بمسجد الطلبة صباحا.

[297] وهو تاريخ السجال الذي طرحه الكلون من أجل تعطيل قانون 1882 الذي يفرض إجبارية التعليم الإبتدائي على أبناء السكان المسلمين الجزائريين، فكانت مساهمة بعض عناصر النخبة الجزائرية في الدفاع عن المشروع لما له الأثر الحميد عن الناشئة من أبناء الجزائر المسلمين وعلى رأسهم الأستاذ محمد برحال. - عبد القادر جغلول : **تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سسيولوجية)**، ترجمة فيصل عباس، مراجعة خليل أحمد خليل، ط 2، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1982، ص ص 59 – 124.

ومقومات المجتمع الأساسية[298]، باعتبارها جزءا من مجتمع طرفي؛ أي بدوي ريفي. ومن هنا ظل موقف النخبة في غالبها معاديا للسلطة المحتلة[299]. والوضع المتردي الذي كانت تعيشه المنطقة، الذي شمل مستويات عديدة كان له الدور البالغ في التأثير على المجتمع بالإقليم، ومنها نجد الوضع التعليمي الذي ظل يعاني كثيرا نتيجة السياسة الاستعمارية الممارسة في حق السكان المسلمين الجزائريين، رغم محاولات الادعاء بتصحيح مسارات التعليم من قبل الإدارة الاستعمارية، لكن هذه المحاولات كانت كلها تندرج ضمن توجه استعماري يرمي إلى طمس معالم الشخصية الجزائرية، مما جعل غالبية النخبة يقتنعون بفكرة الرفض التي أبداها الشعب الجزائري تجاه المدارس الفرنسية في بداية الاحتلال[300]، لكن رغم ذلك وجدت محاولات عديدة سعت إلى إقامة تعليم يتوافق ومتطلبات الشخصية الوطنية، هذا ردا على السياسة التي اتبعتها فرنسا لتنفيذ وسائلها التعليمية الرامية إلى طمس المعالم الوطنية، والحضارية في الجزائر والقائمة على :

- محاربة التعليم الأصلي الذي يرتكز على التعليم القرآني كمنطلق أساسي لأي متعلم جزائري.

- محاربة الثقافة العربية الإسلامية.

---

[298] مصطفى الأشرف : **الجزائر الأمة والمجتمع**، الترجمة من الفرنسية حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 242.

[299] فاني كولونا : " مثقفون في الأطراف "، مرجع سابق، ص 240.

[300] عبد الله حمادي : **الإيديولوجيا الفركفونية في الجزائر (من خلفيات الصراع)**، المؤسسة الوطنية للنشر والاستثمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 12.

- محاربة اللغة العربية، واعتبارها لغة أجنبية في الجزائر[301].

وكانت المحاولات التي عمل بها أبناء الجزائر في إسعاف السكان المسلمين الجزائريين، والنهوض بهم عديدة قام بتنفيذها مجموعة من الشيوخ والأساتذة الذين كانت لهم مواقف مختلفة تجاه الإدارة الاستعمارية، حيث نذكر من بينهم الأستاذ " محمد برحال[302] " الذي طرح مسألة تعليم الجزائريين المسلمين[303]، وهو أحد الذين ساهموا في إثراء وجهة نظر حول استيطان الجهاز المدرسي الاستعماري. وأمام هذه الوضعية نجد أن منطقة وادي سوف لم تكن في منأ عن هذا الوضع، لكن رغم ذلك نجد شخصيات عديدة مثلت النخبة محاولة الانطلاق من مستويات التعليم وآلياته المختلفة في بناء صرح نخبوي ساهم في دفع حركة التعليم، والإصلاح بالمنطقة. باعتبار أن التعليم هو اللبنة الأساسية للنهوض بالوضع الثقافي بالجزائر اعتمادا على الأساليب التعليمية المتوارثة، أو الحديثة. وعليه فإن محاولات النهوض بالتعليم لم تنقطع، بل ظلت تتخمر قصد الاستمرارية، والحفاظ عن الذات الحضارية للجزائريين، فظلت تلك الروح قائمة بين عناصر النخبة و لم تنقطع، هذا ما ساهم بدوره في إرساء معالم التواصل الثقافي المستمر. وحتى نستطيع تحديد دور كل النخب المحافظة، والمعربة، والمفرنسة لابد من الوقوف عند أساليب التعليم لكل نخبة، وفق الآليات التي أتيحت لها.

---

[301] تركي رابح : **التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931 – 1956)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 125 – 142.

[302] ولد محمد برحال في 03 شوال 1277هـ / 16 أيار 1857م في مدينة ندرومة بتلمسان من أسرة ميسورة الحال. – ينظر عبد القادر جغلول : **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص ص 63، 64 – صبرينة الواعر : **محمد برحال دوره السياسي والثقافي (1857 – 1928)**، رسالة ماجستير، إشراف أحمد صاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، 1424هـ - 2003م، ص 71.

[303] حيث ظل النضال قائما لتحقيق هذه المسألة و في مقدمتها تعليم الأهالي حقبة طويلة من الزمن دامت أربعين سنة من النضال والمطالبة (1886 - 1925). – ينظر عبد القادر جغلول : المرجع السابق، ص 62.

1 - النخبة المحافظة :

النخبة المحافظة هي مجموعة العاملين في الحقل التعليمي بصورة مباشرة، أو غير مباشرة من خلال القيام بنشاطات تعليمية توعوية بالمساجد والزوايا القريبة منهم. خاصة فئة القضاة والعدول والباش عدول بالمحاكم الشرعية بوادي سوف، رغم أن غالبيتهم من خارج الإقليم، هذا لم يمنع العديد منهم من المشاركة في تنشيط الحياة الثقافية بالمنطقة، علما أن العديد من هذه النشاطات لم تكن على نطاق جماهيري واسع، لكن ذلك لم يثن من عزائم هذه الفئة خاصة أبناء الإقليم. ومن هنا يتبين أن دور النخبة المحافظة برز من خلال التعليم العربي الإسلامي، حيث كان لهؤلاء دور في تربية النشء دون التخلي عن وظائفهم الأساسية، إضافة إلى دروسهم الموجهة لتعليم كبار السن المتمثلة في المبادئ الدينية، وأصول العلوم الشرعية واللغوية، هذا من خلال تقديم دروس الوعظ والإرشاد التي تقام في المساجد والزوايا، كما كانت بيوتهم الخاصة مقصدا لطلبة العلم[304]. وعلى هذا الأساس كانت وادي سوف يومئذ مقسمة إلى ثلاث حواضر علمية أساسية هي : قمار والوادي، والزقم. علما أن قمار كانت أكثر نشاطا من غيرها من الحواضر الأخرى، ويتجلى ذلك من خلال أبرز المساهمين في هذا الدور عبر كل حاضرة من بين المناطق الثلاث. فكانت قمار تعج بكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم في الآفاق ومنهم :

الشيخ الحاج " أحمد بن سالم " : وهو الحاج أحمد بن سالم بن عبد الله بن محمد بن خليفة بن عبد الله (قديدة) الملقب بالقايه[305]. والشيخ الحاج " علي بالقيم[306] ". والشيخ أحمد بن عبد الله دغمان المولود بقمار ليشد الرحال لجامع الزيتونة بعد إتمام حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه مع تلقيه بعض المعارف الأولية على شيوخ المنطقة لتعينه الإدارة الفرنسية عدل بمحكمة الوادي الشرعية خلال الفترة الممتدة بين (1864 - 1878)، ليستقيل من القضاء، ويعتكف للتدريس بالزاوية التجانية في كل

---

[304] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 152.

[305] موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية**، المرجع السابق، ص 120.

[306] موسى بن موسى : نفس المرجع، ص 120.

من قمار وتماسين. وقد سجلت بينه وبين الشيخ المكي بن عزوز مراسلات علمية وأدبية، وأسئلة وأجوبة فقهية، ومن بينها رسالة مؤرخة سنة 1307هـ/1889م. وللشيخ دغمان منظومات عدة في البسملة والتجويد[307].

وفي مدينة الوادي المركزي نجد : الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (موساوي) والشيخ " عبد الرحمان العمودي "، والشيخ " علي بن صابر[308] ". أما بحاضرة الزقم فنجد : الشيخ "إبراهيم بن محمد بن معمر" وهو فقيه البلدة وخطيبها، كما كان يعد من علماء زمنه له دراية واسعة في علوم المنقول والمعقول، كما كانت له صلة واسعة بجريد تونس، وبالخصوص بلدة توزر، وقد وافته المنية عام 1257هـ/1841م. والشيخ " بلقاسم بن محمد بن معمر " ويعد من علماء البلدة لمعارفه الواسعة من فقه وغيره، توفي عام 1307هـ/1889م[309]. والشيخ " إبراهيم بن السلمي " الذي لم تقل مكانته في العلم عن أقرانه، هذا لشهرته الفائقة، حيث بلغت أخباره الأفاق في الصحراء وفي التل بسبب فطانته وغزارة علمه[310]، كما كان له دور فاعل في التعليم، مما جعل حاضرة الزقم بلدة عامرة به وبغيره من الشيوخ، توفي إبراهيم بن السلمي " سنة 1333هـ/1914م[311]. وقد اتخذ هؤلاء الشيوخ في تدريس تلاميذهم الطرق التقليدية. وهم يتكيفون بحسب ظروف كل بلدة من إقليم وادي سوف المترامي الأطراف، وقد اعتمد هؤلاء في تدريسهم برنامجا تعارف عليه الجميع دون أن توضع له مناهج محددة، ومضبوطة باعتبار أن التعليم كان في غالبه تعليما حرّا غير موحد المناهج، هذا وفق البرنامج الآتي :

---

[307] نفسه، ص 102.

[308] نفسه، ص 102.

[309] علي غنابزية : " الحركة العلمية بوادي سوف منذ القرن 6هـ وآثارها الفكرية المدونة "، مدونة **وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة**، تقديم أحمد زغب، اعداد عادل محلو، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد سجور، قمار، 2008، ص 95.

[310] محمد الساسي معامير : **التقويم الجزائري العام لسنتي 1345هـ / 1927م**، نشر المكتبة التونسية، مطبعة النجاح بتونس، تونس، 1345هـ / 1927م، ص 346.

[311] محمد الساسي معامير : نفس المصدر، ص 346.

- تحفيظ القرآن وإتقان قواعد تلاوته، ورسمه وضبط قواعد كتابته.

- أما الخطوة الثانية فتقوم على تحفيظ التلاميذ لبعض المتون الخاصة بالرسم القرآني مثل : الدنفاسي وغيره[312].

- أما المرحلة الثالثة فيبدأ التلاميذ (الطلبة) في مرحلة متقدمة لأخذ دروس في مبادئ اللغة العربية أثناء النهار مثل : متن الأجرومية، وغيرها من المتون الدينية واللغوية[313].

- أما الدروس الليلية التي كان يعقدها هؤلاء العلماء ما بين المغرب والعشاء بالمساجد، فهي دروس عامة يستفيد منها طلبة العلم أولا، وباقي عامة المصلين من كبار السن والعامة، وهي في غالبها دروس تندرج في مادة تفسير القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، مما يغلب عليها الطابع الوعظي، في حين تخصص بعض الدروس في مادة الفقه، وهي منتقاة من شروح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أو مختصر خليل في الفقه المالكي[314]. وقد كان هؤلاء يشجعون الطلبة على الهجرة خاصة إلى منطقة الجريد بتونس، باعتبار هذه المنطقة بها زوايا عديدة منها الزوايا القادرية، والرحمانية، ومن بينها زاوية سيدي المولدي بوعرقية[315].

وكان من بين هؤلاء العلماء من ينظر للمحتل على أنه غاز لا ينبغي التعامل معه، بل أن الاختلاط به من السقطات التي ينبغي الابتعاد عنها ما أمكن، لذلك كانوا يتعلمون لغته من باب الدفاع على مقوماتهم الحضارية، كما أنهم كانوا يعتبرون دراسة علومه من الأمور غير المحبذة لحماية النشء قدر ما استطاعوا، إضافة إلى أن غالبيتهم انتموا إلى سلك الوظيف كقضاة وعدول، أو باش عدول أو حتى أئمة مساجد، هذا ما يضعف من مقاومتهم للسياسة الاستعمارية من ناحية، ومن جهة ثانية

---

[312] صالح زبدي : **رسم القرآن في متشابه من كتاب البيان**، نشر شركة آمال للإعلام الآلي والأعمال المكتبية، الوادي، الجزائر، 1998، ص 05.

[313] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 154.

[314] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 155.

[315] ينظر موسى بن موسى : الحلاكة الإصلاحية، المرجع السابق، ص 100.

قد يضعف من آرائهم لدى العامة، كما أن تدريسهم لم يخضع لأي ترتيبات، أو تنظيم معين يضمن للدارسين التسلسل، والارتقاء في العلم، مما جعل التحصيل العلمي غير مستقر ومنظم، هذا بدوره لم يساعد الكثير من إتمام تعلمهم بالمنطقة.

2 ـ نخبة المعاهد الإسلامية :

إن نهاية القرن 19م كان معلما تاريخيا مهما في تحول الصراع بين أبناء السكان المسلمين الجزائريين، والمحتل الفرنسي، هذا بدوره ساهم في زيادة الهجرة للقطر التونسي، وجعلها مسلكا للتملص من التسلط الاستعماري. بدأ من الجنوب الذي يعج بحركية علمية من خلال زوايا الطرق الصوفية المتأثرة بمعاهد جامع الزيتونة، بل وجامع الزيتونة ذاته[316]، لتفكر غالبية هذه الفئة في الهجرة إلى جامع الزيتونة نفسه، لأن الرغبة في التحصيل العلمي لا تتوقف عند الاكتفاء بالدراسة في زوايا ومعاهد الزيتونة بالجنوب التونسي. وأمام هذا الوضع تزايد عدد الطلبة الذين تلقوا تعليمهم بالزيتونة بعد التحصيل الأولي الذي تلقوْه من شيوخ النخبة المحافظة، الذين نفخوا في روحهم رغبة السعي، والبحث الدؤوب على ما هو أفضل من التعليم الذي تلقوه على أيديهم، فكانوا دوما يشجعونهم على الهجرة إلى تونس، لهذا جاء دور جامع الزيتونة لاستيعاب عدد معتبر من طلبة هذه النخبة، رغم محاولات الاحتلال التظاهر بمظهر التسامح، والتودد للسكان الجزائريين المسلمين. انطلاقا من فتح المدرسة الأهلية الفرنسية بالوادي، لكن موقف هؤلاء كان دوما مرتبطا بهاجس الخوف من التنصير والتمسيح، وعليه كان موقفهم صريحا، حيث نلمسه لدى الطالب " حمزة بكوشة "في قوله

---

[316] وفي هذا الصدد عثـــر على ملف يحدد عدد الطلبة الدارســـين بالزيتونة من عمالة قسنطينة للموسم الدراسي (1944 – 1945)، الذين بلغ عددهم واحد وستين (61) طالبا، منهم عشر (10) طلبـــة من ربوع وادي سوف، وهذا ما هو مكشوف لأن طلبة آخرين ألتبس الأمر علينا فيهم، مما لم يمكننا عدهم ضمن طلبة وادي سوف. والعدد المكشوف يمثل سسدس طلبة عمالة قسنطينة. – ينظر A. N. Tunisien :série D, Carton N°35, Dosse N°7, Document N°35.

: « وقد كُنا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لُقِّنا أن قراءة الفرنسية طريق إلى الكفر إن لم يكن الكفر عينه[317]. »، فكان ذلك الموقف عاما لدى غالبية النخبة، بحيث كان السكان المسلمون الجزائريون يتهربون من إرسال أولادهم إلى المدرسة الأهلية الفرنسية، للاعتقاد السائد بأن التعلم بالمدارس الفرنسية كفرا، فكان لا بد من إرسال طفل واحد، والغريب في ذلك أن العديد من المتقربين من الإدارة الفرنسية أنفسهم، ومثال ذلك عائلة حم موسى قايد الأعشاش، التي لم تبعث بأبنائها بصورة منتظمة إلا بعد الأربعينات من القرن 20م، حين أصبح التعليم الفرنسي مطلبا شعبيا، لما يقدمه من تأهيل على الصعيد الاجتاعي، الذي ينعكس على الميادين الأخرى من الحياة.

وأمام هذا الوضع كان الأجدى بكثير من أبناء المنطقة التفكير في سبل أكثر نجاعة لتحصيل العلم، فلم يكن أمامهم سوى الهجرة إلى تونس تأسيا بمن سبقهم، خاصة في أواخر القرن 19م. وهو ما أدى بكثير من أبناء المنطقة إلى الهجرة إلى الجريد بالجنوب التونسي للأخذ على كبار مشائخ[318] الطريقة القادرية أو الطريقة الرحمانية، ثم الانتقال إلى تونس العاصمة لمواصلة الدراسة بجامع الزيتونة، وقد كان ذلك حال العديد من طلبة نخبة المعاهد الإسلامية بالجنوب التونسي التابعة للزيتونة، وجامع الزيتونة. وفي مطلع القرن 20م شهدت الجزائر كغيرها من البلدان العربية حركة ثقافية، خاصة خلال الفترة الممتدة ما بين (1903 - 1911)، وهي فترة حكم " شارل جونار " (Charles Jounart) التي عرفت فيها الجزائر نوعا من الهدوء والاستقرار، والحث على معاملة الجزائريين المسلمين معاملة حسنة. ذلك من خلال التقرب منهم[319]، لكون الجزائر مستعمرة خاصة، حيث دعا الحاكم شارل المعمرين إلى محاولة الحفاظ على تقاليد، وعادات السكان المسلمين الجزائريين، والسماح بنشر التعليم باللغة العربية، واحترام الشريعة الإسلامية، والتخفيف من الضرائب والقوانين الجائرة، وتوظيف بعض العلماء والفقهاء، والقضاة والأئمة. والسعي وراء إقامة

---

[317] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 156.

[318] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 210.

[319] أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 108.

المؤسسات الدينية والتعليمية، وإنشاء المطابع لنشر الأعمال الأدبية والعلمية التراثية[320]، إضافة إلى توسع نطاق هجرة الطلبة للتعلم فرادى، أو في شكل بعثات شملت ربوع البلاد، وبالخصوص ما قام به الشيخ عبد الحميد بن باديس من إرسال بعثة طلابية إلى جامع الزيتونة سنة 1913[321]، قصد مواصلة التعليم. وقد يعود سبب تشجيع الهجرة للتعلم، هو هجرات السكان المسلمين الجزائريين التي سمحت باستقرار عناصر كثيرة مع انتقال عائلاتهم، واستقرارها هناك، وتشكيل تجمعات سكانية ذات كثافة معتبرة، والتواصل الذي ظل قائما بينها، وبين سكان وادي سوف. فكانت موجة الهجرة من أجل العلم خلال العشرينات من القرن 20م في تزايد عدد الوافدين إلى جامع الزيتونة بصورة واسعة، نتيجة الرغبة الجامحة للتعلم في هذا الصرح الحضاري، ودور الطلبة والعلماء العائدين إلى أرض البلاد، وهم كثيرون، حيث زاولوا التدريس رغم انشغالهم بوظائف أخرى كالشيخ إبراهيم بن عامر الذي عُيِّن بالمحكمة الشرعية بالوادي برتبة " باش عدل[322] "، والشيخ الطاهر العبيدي وأخيه الشيخ "أحمد العبيدي"، الذين كان لهم دور فاعل في نشر العلم والتعليم بالمنطقة[323]، والمناطق المجاورة لها. وقد اعتمد هذا التعليم الأسلوب التقليدي الذي انتقده الكثير من طلبة الزيتونة الجزائريين الذين اعتبروا مواده التعليمية قاصرة على المنهج التقليدي المشابه لمواد التدريس بجامع الأزهر سنة 1916، حسب ما جاء بالوثيقة الصادرة عن وزارة الشؤون الخارجية، ومديرية الشؤون السياسية والتجارية الفرنسية، حيث جاء فيها وصفا للتعليم في الجامع الأزهر[324]، إضافة إلى حفظ القرآن الكريم يتلقى الطلبة تدريسا عاليا في المواد الآتية :

- علوم اللغة وفروعها.

---

[320] إبراهيم مياسي : المرجع السابق، ص 211.

[321] محمد صالح الجابري : محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري** للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص 210.

[322] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 210.

[323] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 173.

[324] عمار هلال : " الطلبة الجزائريون في الأزهر "، ص ص 114 – 115.

- المنطق وفروعه.

- العلوم الرياضية.

- علوم الطبيعة وما وراء الطبيعة.

- علوم المجتمع وفروعها : الفقه والتوحيد[325].

وقد كانت غالبية هذه المواد تدرس في الزيتونة، كما أكد لي طالب التحق بالزيتونة سنة 1939، وهو الشيخ " محمود قروي[326] "، غير أن الوضع الذي أصبحت تحياه تونس خلال الفترة الممتدة بين (1920 – 1930) جعلها موطن علوم الدين واللغة، والأدب والسياسة، والفن أيضا. كما كانت الحركة الوطنية التونسية في أوج نشاطها، حيث كان لهذا الجو تأثيرا بالغا في نفوس الطلبة الجزائريين. علما أن حركة الإصلاح بالزيتونة قد بدأت منذ 1910، هذا وفقا لتجديد برامج التعليم سواء من حيث المحتوى، أو من حيث الأساليب التربوية، واستمرت حتى سنة 1925 التي شهد اندلاع أول إضراب عن الدروس بالجامع الأعظم؛ أي جامع الزيتونة، لتليها الفترة المحصورة بين 1928 و1932 تاريخ إلغاء النظارة العلمية، وتعيين أول شيخ مدير على رأس الجامعة الزيتونية، ثم الفترة المحصورة بين 1933 و1939، وهي الفترة الأكثر تفاعلا، والمنادية بالإصلاحات الضرورية لتطور الحركة الزيتونية التي أصبحت عنصرا أساسيا من عناصر الحركة الوطنية[327]، إضافة إلى الصحف التونسية المتعددة والمتنوعة المتناولة للمسائل الدينية والسياسية، والمحلي والقومي[328]، ولو أن الصحف

---

[325] وهذه نماذج العلوم وفروعها كانت تعتمده إلى عهد قريب بعض مؤسسات التعليم في العالم الإسلامي. – ينظر البشير السالمي : "النظام التربوي الإسلامي وصلته بالعلم والتقنية"، مجلة **الثقافة**، السنة العاشرة، العدد 56، الجزائر، ربيع الثاني - جمادي الأولى 1400هـ/مارس – أبريل 1980م، ص 59.

[326] **حوار** مع الشيخ محمود القروي بن محمد القروي بن علي من مواليد العقد الثاني من القرن 20م، بمنزله مساء يوم 04 جمادى الثاني 1424 / 02 أوت 2003.

[327] حمادي الساحلي : **فصول في التاريخ والحضارة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص 412.

[328] محمد الطاهر التليلي : **منظومات في مسائل قرآنية**، تقديم أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 08 – 09.

التونسية تناولها للقضايا القومية كان بنسب متفاوتة مقارنة مع ما كانت تقوم به الصحافة الإصلاحية الجزائرية، رغم كونها كانت تطبع في التراب التونسي، إلا بعد العقد الثاني من القرن 20م. فكان ذلك جوا مفعما بالطموح لدى كثير من الطلبة الجزائريين من بينهم طلبة وادي سوف، حيث استطاع بعضهم المشاركة في التفاعلات الطلابية البارزة والمختلفة التأثير. وعند عودة هؤلاء الطلبة خلال العطلة، كانت تصاحبهم الكثير من التأثيرات، وبعض الصحف التي كانت تلقى صدى واسعا في القراءة والإطلاع من طرف السكان الجزائريين، خاصة قرية الزقم التي كانت تعج بكثير من الصحف التونسية كجريدة " **النهضة** "[329]، وغيرها من الجرائد والمجلات التونسية.

وقد كانت هذه النخبة تجمع بين فئتين فئة ظلت تحافظ على انتمائها للصوفية مثل : الشيخ إبراهيم بن عامر والشيخ الطاهر العبيدي، وأخاه أحمد والشيخ محمد بن البّرية، وغيرهم كثير. وهي الفئة التي هاجرت لجامع الزيتونة في نهاية القرن 19م، والعقد الأول من القرن 20م. أما الفئة الثانية فهي الفئة التي هاجرت للزيتونة منذ سنة 1913 سنة إرسال الدفعة الأولى التي بعثها الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، والتي اضطرت إلى العودة إلى البلاد نتيجة الحرب الكونية الأولى، حيث أوصدت أبواب كل من جامع الزيتونة، وباقي المعاهد المنتسبة له، وحتى المنفصلة عنه أمام الطلبة تماشيا مع القوانين الجائرة التي اتخذها فرنسا نتيجة الظروف التي أملتها الحرب العالمية الأولى[330]. وقد حاول عناصر هذه الفئة في غالبيتها التملص من تبعية الطرق الصوفية، بل راحت تعلن مواجهتها العدائية للطرق من خلال البدع المنسوبة للدين الإسلامي مواجهة مباشرة. ذلك من خلال ما تلقوه من شيوخ وأساتذة الزيتونة، والمعاهد الإسلامية.

كما يوجد بعض الاستثناءات في كلا الفئتين، فالفئة الأولى نجد الشيخ عمار بن الأزعر الذي كان يفصح بالإصلاح ويعادي الطرق الصوفية. وقد كان لأعضاء نخبة المعاهد الإسلامية دورا فاعلا. ذلك من خلال النشاطات الثقافية عند عودتهم في العطلة

---

[329] محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري**، المرجع السابق، ص 189. (هامش 03).

[330] محمد صالح الجابري : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1990، ص (د).

الصيفية لكل سنة، هذا من خـــلال إلقـــــاء دروس عـــــامة في المســـــاجد والكتـــــاتيب، والبيـــــــوت الخاصة[331]، كما كانوا يختارون عن طواعية الارتحال إلى أماكن بعيدة عن موطنهم بوادي سوف لنشر الفكر الإصلاحي، وتبليغ رسالاته، والمساهمة في إحياء روح التعليم بالمناطق التي يغيب عنها معلمو المدارس الرسمية[332]. وما ميز الفئة الثانية عن سابقتها هو التحصيل الذي تميزت به، حيث أصبحت هي الفئة العظمى من الطلبة الزيتونيين الذين أصبحوا يتحصلون على شهادة التطويع التي تستغرق سبع سنوات من الدراسة، هذا بدوره أثر في مستوى التحصيل الذي أصبح ميزة هؤلاء، مما حذا بهم للاستفادة والتأثر بالوضع السياسي والاجتماعي، والثقافي المتشنج بتونس آنذاك. وعليه فإن غالبية طلبة هذه النخبة ساهمت مساهمة مباشرة، وفاعلة في تقوية جانب التعليم والإصلاح بوادي سوف، والجزائر قاطبة، كما تحملت الفئة الثانية أعباء وأوزارا ترتب عنها صادمات بين هذه الفئة والطرق الصوفية، مما أدى بالشيخ عبد العزيز الشريف - المتحصل على شهادة التطويع سنة 1923 - إلى إحـــداث انقـــــلاب عن المنظومة القانونية التي تحارب التعليم الحر عند افتتاح المدرسة الحرة بزاويته بعميش، ثم ما لبث وأن افتتح المـــدرسة العـــصرية الحرة بزاويته بالوادي. معـــــــتمدا في ذلك على أن الزوايا تفـــــتح المـــدارس دون أخذ ترخيص، وبذلك تحـــولت زاويته إلى مـــــركز إشعاع تعليمي إصـــلاحي. دون أن ننسى التعيينات التي أوكلها لشيوخ الحركة الإصلاحية من دفعة 1913 بزواياه كتـــعيين الشيـــــخ مبارك الميلي بـــــزاوية الأغواط، وهو ما يزال لم يعـــــــــــــلن انضمامه الفعلي والعملي بعد لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ومن هنا يتأكد لدينا الاستثناء الذي كانت عليه وادي سوف، رغم موقعها النائي. ذلك نتيجة تضافر الجهود من جهة، والدور الذي قامت به النخبة المحافظة، التي كانت تحرص على حث الناشئة على التعلم في الزيتونة ليكتمل ذلك الدور من خلال نخبة المعاهد

[331] محمد صالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري**، مرجع سابق ص 42.

[332] محمد صالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري**، نفس المرجع، ص 42.

التي وجدت في الموقع الجغرافي المحاذي للقطر التونسي فرصة للتنفذ والالتحاق بسهولة بجامع الزيتزنة وملحقاته بالجنوب التونسي.

3 -النخبة المفرنسة :

إن الاستقرار النهائي للمستعمر بوادي سوف كان سنة 1882، والتعليم الفرنسي قبل هذا التاريخ كان يشهد نوعا من المماطلة من جهة، ومن ناحية أخرى عدم تعميمه في أوساط السكان المسلمين الجزائريين. واعتماد التعليم الفرنسي على أسس تحطيم الهياكل الاجتماعية التي يعتمد عليها الجهاز التعليمي الأصلي[333]، هذا بدوره أخر مسار انتشار التعليم بل نجده وُجه بنوع من التصدي والعداء، لكن ما إن حلت سنة 1881 بزغ ملمح جديد نتيجة الجدل الذي كان قائما في فرنسا ذاتها حول إيجاد قانون خاص بالتعليم الفرنسي بالجزائر المستعمرة. ذلك من خلال قوانين 1881 -1882 التي ترجمت في المفهوم الجمهوري الذي ارتكز على : الخدمة العمومية، المجانية، والإلزامية، والعلمانية، والذي بلوره الوزير " جول فيري[334] " (Jules Ferry). أما جهود فرنسا الأولى في إرساء مدرسة الأهالي الفرنسية بوادي سوف جاء نتيجة الاستقرار، الذي عرفته الإدارة الفرنسية بالمنطقة[335]. ذلك منذ 1882، فكانت أول مدرسة سنة 1886، واستقبلت أول فوج لها في الموسم الدراسي 1886 – 1887، لتلتحق بها مدرسة كوينين في سنة 1893[336]، ثم مدرسة قمار سنة 1907[337]، لكن ما يلاحظ في تلك الاثناء عزوف الكثيرين من أبناء الإقليم عن المدارس الأهلية، وعدم رغبتهم فيها انطلاقا من موقفهم المعاد لها من جهة، واعتبار أن التعليم الفرنسي هو الكفر من ناحية أخرى، لكن في القرن 20م حدث العكس وأصبح السكان المسلمون الجزائريون غير متحفظين من التعليم الفرنسي، بل

---

[333] الطاهر عمري : المرجع السابق، ص 103.

[334] الطاهر عمري : نفس المرجع، ص 106.

[335] Ahmed Nadgah : op cit, p 109.

[336] André Voisin : op cit, p 270.

[337] عبد القادر فكاير : الرجع السابق، 04.

نجد أن تعداد الطلبة أصبح في تزايد مستمر، مما أوجد حالة هلع لدى شيوخ المنطقة، مما جعلهم ينادون للحد من هذه الظاهرة التي أصبحت تهدد اللغة العربية والإسلام، لكون الرجال البيض هم الذين أصبحوا يباشرون العملية التعليمية، فكان ذلك في رأيهم محاولات تنصير وتمسيح أكثر منها تعليم.

ومن هؤلاء نجد الشيخ إبراهيم بن عامر(العوامر) الذي أبدى موقفه الواضح تجاه سياسة الفرنسة الهادفة للتنصير والمسخ للشعب الجزائري. ذلك من خلال تدريسه كتاب " **إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى**[338] " للشيخ " يوسف النبهاني[339] "، هذا لإدراكه دهاء المستعمر الذي يريد القضاء على اللغة العربية، وإضعاف العاطفة الدينية والوطنية[340] لدى الناشئة.

وقد كانت مدة التدريس غير محدودة نتيجة الظروف المتحكمة في التلاميذ، ووضعهم الاجتماعي، فكانت هذه المدة تتراوح بين عام إلى تسع سنوات، كما كان غالبية الطلبة في بداية الأمر لا يتجاوزون العام الواحد، لكونهم أبناء فلاحين، وكبار ملاك للنخيل، فهم مرتبطون ارتباطا وثيقا بوظائف أبائهم، والظروف المحيطة بهم، لكن في القرن 20م أصبح بإمكان التلاميذ مواصلة دراستهم والحصول على شهادة المرحلة الابتدائية، كما أخذت اهتمامات السلطة المحتلة تتزايد، ذلك من خلال توسيع هذه المدارس وتطويرها، رغم عدم الرغبة في زيادة المدارس إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وقد كان التعليم الفرنسي مقتصرا على المرحلة الابتدائية، وعند إنهاء التلاميذ هذه المرحلة كانوا يوجهون إلى التمهين، خاصة مهنة نسج الزرابي، باعتبارها صارت تمثل دورا هاما في التنمية بوادي سوف[341]. علما أن افتتاح أول متوسطة كان خلال الخمسينات، كما نجد أن

---

[338] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 506.

[339] نفسه، ص 506. (هامش رقم 01).

[340] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 212.

[341] Anne 1912, Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine (Enseignement primaire),** p 277. N° 7 –8 – 9 Juillet – Août – Septembre 1912,

اهتمامات المستعمر كانت دوما منصبة على هذا القطاع، هذا من خلال عملية الحركة المستمرة للمعلمين حسب ما كانت تقتضيه الحاجة، بالإضافة إلى أجور المعلمين الذي تحدده القوانين والتعليمات في إطار التشريع المدرسي، ومن بين هذه القوانين قانون المالية المؤرخ في 28 فيفري 1912[342]، الذي من خلاله نقف عند تحديد سنوات التدريس بالمرحلة الابتدائية، حيث حددت بموجب هذا القرار بخمس سنوات فقط، كما أصبح بإمكان السكان الجزائريين إرسال أبنائهم إلى المدرسة بأعداد معتبرة، هذا نتيجة اقتناعهم بضرورة تمكين أبنائهم من المعلومات والمعارف الضرورية للحياة العملية[343]، لكن مع حرصهم على حماية هويتهم التي كانت نتيجة مساعي المساجد والكتاتيب القرآنية، رغم تقييد نشاطها، التي كانت سندا قويا للحفاظ على تعليم القرآن ومبادئ اللغة العربية[344]. هكذا استمر التعليم الفرنسي على أساس أنه عملية انتشال الأطفال من الجهل، وإعدادهم إلى مرحلة العمل، باعتبار أن وادي سوف لم تشهد فتح مراحل تعليم أخرى أكثر من المرحلة الابتدائية، حتى العقد السادس من القرن 20م، لكن الاهتمام بمستوى التمهين تضاعف. ذلك بفتح فرع نسيج الحرير سنة 1925، حيث عين أول معلم له بفتح المنصب يوم 12 ديسمبر 1925[345]، وفي يوم 15 فيفري 1926 عين السيد " عبد الباقي بن سي أحمد " معلما لصنع الحرير بالوادي[346]. غير أن الدور الذي قام به المسجد والعلماء، والنخبة المعربة استطاع أن ينبه النخبة المفرنسة من المشروع الاستيطاني، حتى لا تنخدع، وعليه استطاعت النخبة المفرنسة أن تبرز على مستويات محلية، رغم ضآلة التحصيل انطلاقا من التكوين العصامي الذي ساهم بشكل كبير في رفع تحديات هؤلاء الذين استطاعوا فضح نوايا المستعمر من خلال قوانينه وجرائده، التي لعبت

---

[342] Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine Enseignement primaire),** Année 1912, p 91. 1912, Mars N° 3,

[343] أحمد محساس : " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية "، **مجلة الثقافة**، العدد 85، الجزائر، يناير – فبراير 1985، ص 59.

[344] أحمد محساس : نفس المرجع، ص 59.

[345] **Bulletin de L'Enseignement des indigènes de L'Académie d'Alger**, N°268–269–270–271 Janvier – Décembre 1926, Alger, Ancienne Maison Bastide –Jourdan, 1927, p 67.

[346] Ibid, p 78.

دورا هاما في عرقلة الإصلاح والتعليم العربي، خاصة خلال الفترة الممتدة ما بين 1933 و1938، هذا في إطار الصراع بين جمعية العلماء المسلمين وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر[347].

وأمام هذا الوضع المتردي الذي حاول المستعمر تكريسه، حتى يعيق عملية التنمية الفكرية لدى السكان المسلمين الجزائريين حاولت جمعية العلماء المسلمين، ومن قبلها العلماء والمؤدبين طمس الأكاذيب التي يحاول المستعمر تثبيتها من أجل إنجاح عمليات التلاعب بالهوية الحضارية والشخصية الوطنية المستمرة وفق الفترات المتعاقبة، مما جعل غالبية النخبة تنهل من نبع الحضارة العربية الإسلامية، لهذا انصهرت هذه النخبة في جمعية العلماء المسلمين، والإصلاح بجميع مراحله لمحاربة الغزو الثقافي الممارس في حق السكان الجزائريين. ومن هذه الشخصيات نجد " الأمين العمودي " الذي كان دعامة قوية للجمعية، رغم تشبعه بالثقافة الفرنسية، وغيره كثير بوادي سوف استطاعوا تقديم يد العون والدفاع عن اللغة العربية أيما دفاع، هذا انطلاقا من الشعور بالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى الاحتكاك بالنخبة المعربة التي تمثلت في الطلبة الزيتونيين. وعليه فإن التحصيل المحدود بوادي سوف الذي تلقته هذه النخبة، وطبيعة المواد المدروسة رسخت لدى الكثير منهم مفهوم الاحتقار، الذي مارسه المحتل عليهم من خلال مستوى التدريس الابتدائي دون أن يسمح لكثير منهم تخطي هذا المستوى، رغم ذلك فإن النخبة المفرنسة كانت على قدر عال من الوعي والتفطن، لما يدور حولها، لهذا كان موقف الكثير منها موقف عداء قد لا يصرح به الواحد منهم، لكنه يظل كامنا في نفسه، وعندما تحين الفرصة يحاول اتخاذ موقف يرضيه باعتباره عنصرا يتمتع بكامل الخصوصيات، والخصال ذات الأبعاد الحضارية، التي هي في الأساس نابعة من انتمائه للحضارة العربية الإسلامية.

ومن خلال ما سبق يتبين أن أصناف هذه الفئات التي تمثل النخبة حاولت دوما على اختلاف توجهاتها المضي نحو رفع مستويات التحدي، ذلك انطلاقا من تجاوز العقبات، والإعداد لمراحل

---

[347] تركي رابح : " الصراع بين جمعية العلماء المسلمين وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة الممتدة ما بين (1933 – 1939م) "، **مجلة الثقافة**، العدد 85، الجزائر، يناير – فبراير 1985، ص ص 183 – 202.

متقدمة قصد النهوض بالمجتمع، والوصول به إلى برّ النجاة، هذا من خلال تأصيل التعليم العربي الإسلامي، والتشجيع على حفظ كتاب الله، باعتباره الخطوة الأولى للالتحاق بجامع الزيتونة قصد مواصلة التحصيل العلمي، هذا من خلال النشاط الذي تميزت به المنطقة منذ نهاية القرن 19م، والمتمثل في الهجرة إلى جامع الزيتونة، ثم المرحلة الثانية التي أنتجت النخبة المعربة، التي كانت في غالبها قد تحصلت على شهادة التطويع، وإن أخفق بعض منها، فإننا وجدناهم قد أكملوا التحصيل من خلال تكوينهم العصامي.

كما نجد النخبة المفرنسة التي استوعبت دورها من خلال المستوى التعليمي، الذي كانت تتلقاه، والعراقيل التي كانت توضع أمامها قصد التضييق عليها في مواصلة التعليم في مراحل عليا، هذا ما ساهم في تفطنها واستيعابها دروسا مفادها أن فرنسا غير مستغنية عن سياسة التمييز، رغم قدرة الكثير من الجزائريين المسلمين على الوصول إلى مراتب عالية، هذا انطلاقا من الدور الذي لعبوه خاصة على مستوى التعليم مثل : السيد " محمد العيد هقي " الذي استطاع إفتكاك منصب معلم بقوة فصاحته وإدراكه للغة الفرنسية، رغم أنه لم يتعد المرحلة الابتدائية، وغيره كثير. وأمام هذا الوضع وجدت هذه النخب المختلفة أنه لابد من الوصول إلى نقاط تفاهم للاتفاق حولها، فكانت هذه النقاط متمثلة في معالم الإصلاح الذي ظهر منذ مطلع القرن 14هـ/20م، والذي أكدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال ثلاثيتها " الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا "، كانت هذه الأبعاد الثلاثة محور التقاء غالبية أعضاء النخب الثلاثة، التي عرفتها منطقة وادي سوف خلال الفترة الممتدة بين 1854 و1947.

وخلاصة ما سبق ذكره أن الانقسامية ملمح بارز جعلت من الإقليم أرض خصبة لتنفذ القوى، والأطراف الجاذبة، هذا ما ساعد على تواجد الاحتلال منذ 1954. ذلك من خلال السير الذي اتخذه المحتل من أجل التوسع على مستوى المناطق الداخلية، والصحراء الجزائرية لتأمين تواجده على المستوى المحلي والإقليمي، خاصة دول الساحل الإفريقي، التي تشترك مع الجزائر في حدود طويلة، ومن هنا كان وادي سوف بداية التغلغل على مستوى جميع الأصعدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني -

الوضع السياسي بوادي سوف وموقف السكان من الاحتلال الفرنسي.

المـــبحث الأول : الوضع السياسي بوادي سوف وموقف السكان من الاحتلال الفرنسي خلال فترة (1830 – 1854) :

المبحث الثاني – التنظيم الإداري الفرنسي وموقف سكان وادي سوف تجاه الوضع الجديد.

المبحث الثالث – مواقف السكان تجاه الوضع السياسي بوادي سوف منذ استقرار الاحتلال حتى 1947.

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، حلقة من حركة الاستعمار الأوربي، الذي نشط في العصر الحديث، نتيجة الملامح، التي بدأت تنعكس إيجابا على الدول الأوربية كالتقدم الصناعي، مما جعل تلك الدول تتطلع إلى احتلال الدول الغنية بالمواد الأولية الضرورية للصناعة، والملائمة لاستيعاب الفائض السكاني، وتوظيف رؤوس الأموال، فكانت الجزائر من بين الدول المتنافس عليها. ذلك منذ النصف الثاني من القرن 18م. فكانت فرنسا أوفر حظا في الظفر بالجزائر، لكن ما إن تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر، سارعت إلى إشباع نهمها الاستعماري، فتحول مشروعها من فكرة غزو، إلى مشروع استيطان. علما أن من بين أهداف الاستيطان الاستعماري، السعي

وراء توفير المواد الغذائية، وعلى الخصوص الحبوب، حيث كان ذلك يشكل هدفا استراتيجيا، للدول الأوروبية في ظروف الحرب والسلم[348]، هذا ما كانت تلح عليه الأوضاع، التي عاشتها فرنسا في أواخر القرن 18م، وأوائل القرن 19م. وللوقوف على أهم ملامحه على مستوى إقليم وادي سوف، فالسياسة الاستيطانية لم تختلف في التعامل معه، نتيجة كونه جزء لا يتجزأ عن المستعمرة الاستيطانية الجزائر، غير أن الموقع الجغرافي، الذي تميز به الإقليم، محل الدراسة ساعده في إبراز ملامح مقاومة اقتصادية واجتماعية، وثقافية، أكثر منها سياسية، لكن هذا لا يعني البتة الاستسلام، والخنوع للمحتل الفرنسي.

المـــبحث الأول : الوضع السياسي بوادي سوف ومواقف السكان من الاحتلال الفرنسي خلال فترة (1830 – 1854) :

إن الوضع السياسي بوادي سوف خلال الحكم التركي، لم يختلف على الكثير من الأقاليم البعيدة من مراكز القرار، مما أحدث في كثير من الأوقات فراغا سياسيا، جعل الإقليم يعيش حالات من الانفلات، والتسيب السياسي، ما شجع على جعل المنطقة محل تنازع، وتجاذب لأطراف عديدة. وهو ما كان كافيا لزعزعة الوضع السياسي بالمنطقة، رغم بقائها بعيدة عن المؤثرات الاستعمارية، خلال الحقبة الممتدة ما بين 1830 و1854. والإقليم خلال ذلك الوضع لم يكن في منأى عن حركة الاكتشافات، التي عملت الإدارة الفرنسية على إنجاحها، قصد التعرف على خبايا المناطق المترامية للجزائر المحتلة، لبسط سياسية تضمن الاستقرار الاستيطاني، الذي سعت فرنسا إلى تكريسه منذ تنصيب الجنيرال " بيجو " (Bugeaud) سنة 1841، لكن هذا القرار الذي وصلت إليه الإدارة الاستعمارية، لم يكن نتاج وضع مستقر بالجزائر، بل جاء نتيجة محاولات عديدة للبحث على وضع نهائي، للتواجد بالمستعمرة الحديثة. ومن خلال هذا الموقف المتردد، شهد الوضع السياسي بوادي

---

[348] عبد المالك خلف التميمي : **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي – فلسطين – الخليج العربي) دراسة تاريخية مقارنة**، سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم71،الكويت، 1983، ص 15.

سوف في الفترة الممتدة ما بين (1830 – 1854) حالة من التميز السياسي، ساهمت المنطقة من خلاله في إبراز مواقف جادة، تجاه حركات المقاومة المسلحة. ذلك انطلاقا من الموقع الاستراتيجي، الذي تتمتع به المنطقة، رغم قساوة الطابع التضاريسي، وكذلك صعوبة المناخ الصحراوي اللذان كانا عاملين مساعدين للفرد بوادي سوف التمرس عليهما، حيث كانا من أهم المعوقات لامتداد الحركة الاستعمارية.

أولا – الاحتلال الفرنسي بين مشروعية البقاء، وسياسة الاستيطان بالجزائر، ومواقف سكان وادي سوف تجاهه :

ما إن تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر نجدها قد راهنت في تواجدها بها على ضرورة تجسيد مصطلح الجزائر الفرنسية ميدانيا، وجعلها حتمية تاريخية، وأمرا واقعا من الصعب إسقاطه من قاموس الاستعمار الأوروبي بوجه عام، والفرنسي بوجه أخص، لهذا فإن التواجد الاستعماري الفرنسي بالجزائر ظل لفترة معتبرة يبحث على مبررات البقاء. ذلك من خلال مراحل عديدة هي كالآتي :

المرحلة الأولى وتعرف بمرحلة التردد التي انتابت فرنسا، والأحوال السيئة التي عصفت بالعاصمة الفرنسية اثناء ثورة جويلية 1830، وما ميَّز هذه المرحلة هو امتدادها من 1830 إلى 1833، وبرز فيها ملمح التردد من خلال سعي الإدارة الاستعمارية في الاحتفاظ بالجزء الشمالي المحتل من الجزائر، وبالخصوص الجزائر ووهران، حيث كانت بعض القوى تدعو إلى العودة، والتراجع عمَّا شرع فيه نظرا لبسالة المقاومة الشعبية[349].

[349] بوعزة بوضرساية وآخرون : **الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث،منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 39.

أما المرحلة الثانية فتبدأ من تاريخ زيارة اللجنة الإفريقية[350] 6 سبتمبر 1833 إلى الجزائر[351]، و ما ميَّز هذه المرحلة هو أن أغلبية أعضاء البرلمان الفرنسي طالبوا بضرورة الانسحاب أمام إصرار المعارضة الممثلة للمنادين بالمضي في تنفيذ مشروع الاحتلال الشامل للجزائر[352]، غير أن الاتفاق أقرّ مبدأ الاحتفاظ بالأراضي التي أُحتلت، ورفض سياسة السير وراء المجهول، دون الاعتبار لهيبة فرنسا أوروبيا لتنتهي سنة 1840، لتأتي المرحلة الثالثة وهي التي عرفت بمرحلة الاحتلال الشامل، و لم تتوقف إلا بعد احتلال الصحراء[353].

1 –أصداء احتلال الجزائر، ومواقف سكان وادي سوف من الحملة الفرنسية :

وادي سوف كغيره من أقاليم الجزائر، التي هالها وقع شنِّ الحملة الفرنسية على الجزائر دار السلطان. ذلك من خلال الأصداء، التي تناقلها بعض العاملين المهاجرين في المدن الساحلية من سكان الإقليم من جهة، والأخبار التي تناقلها بعض التجار من الإقليم المتعاملة مع المدن الداخلية كقسنطينة وبسكرة التي كان يرتادها، حيث كان سوقها نقطة اجتذاب سكان منطقة وادي سوف[354]، كما حدثت معارك بالقرب من بسكرة وأحوازها خلفت خسائر فادحة في الأرواح خلال الفترة الممتدة ما بين (1830 – 1842)، خاصة المعركة التي وقعت في " مراح جازية " بالقرب من بسكرة في جانفي 1831 شارك بها أحمد باي إلى جانب محمد بالحاج بن قانة[355]، فلا شك في وصول أصداء هذه الأحداث لمنطقة وادي سوف، بل أنه كانت هناك علاقات في اطار الصراع

---

[350] للاستزادة حول اللجنة الإفريقية وحقيقة إنشائها، وما يخصها. – ينظر أبو القاسم سعد الله : **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 97 - 113.

[351] أبو القاسم سعد الله : **محاضرات**، نفس المرجع،ص 98.

[352] في خصوص معارضة الاحتلال. – ينظر إسماعيل العربي : **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 79 – 86.

[353] بوعزة بوضرساية وآخرون : نفس المرجع، ص 40.

[354] عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837 – 1939)**، ج 1، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 79.

[355] عبد الحميد زوزو : نفس المرجع، ص 78..

بين الأطراف، لمناصرة فئة على أخرى، بالإضافة إلى أصداء الرسائل، التي كان يبعث بها قادة الحملة الفرنسية للأقاليم المجاورة لدار السلطان، داعين فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا، إضافة إلى الأصداء الوافدة من القطر التونسي، بحكم الجوار والعلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية[356]. كل ذلك كان كافيا لإحداث هلع وقلق أضجعا سكينة سكان الإقليم من خلال الأخبار المفزعة، نتيجة الخراب والتقتيل المرتكب في حق السكان[357]. ومن هنا صار لزاما على الكثير من أبناء منطقة وادي سوف التفكير في دعم المقاومة من منطلق الجهاد، وهناك من فضل التريث في عدم اتخاذ أي موقف، لكون الخطر الصليبي ما يزال بعيدا عن حدود الإقليم، إضافة إلى الطابع التضاريسي العائق لأي متنفذ جديد للإقليم، لكن مجريات الأحداث كانت مغايرة لما كان ينظر إليه أصحاب الرأي غير الآبه بخطورة الوضع المحدق بالبلاد برمتها، وليس فقط ما حدث لدار السلطان، لأن الحملة الفرنسية لم تكن حدثا عارضا، بل طامة كبرى وقعت على البلاد برمتها، دون استثناء، هذا ما تجسد خلال المرحلة الأولى، وبالأخص بعد مرور أربع سنوات من الاحتلال، حيث استطاعت فرنسا تثبيت وجودها الاستعماري بموجب مرسوم 24 جويلية 1834، الذي أصدره الملك " لويس فليب "[358]، وراح الفرنسيون يواصلون توسعهم على طريق الاستيطان من خلال توظيف أساليب عدة، كان من بينها الدعاية الاستعمارية[359]، كما تقرر في عام 1840 احتلال البلاد كلها. ذلك بتعيين الجنرال بيجو حاكما سنة 1841، فاستهل حكمه بتطبيق سياسة الاستيطان الرسمي في مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجنوب، ليتسع هذا الاستيطان ويتضح. خاصة خلال الفترة الممتدة بين 1848 و1852[360]، فكان بمثابة عاصفة زعزعت الوضع القبلي[361]. وأمام هذه الوضعية زادت رغبة القوات

---

[356] جوليا كلنسي سميث : " بين الأوراس والجريد وورقلة "، ترجمة أبي القاسم سعد الله، **آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر**، مج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 2005، ص 255.

[357] عبد الحميد زوزو : المرجع السابق، ص 78.

[358] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ط 6، دار البصائر، الجزائر، 2002، ص ص 30، 31.

[359] احميدة عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائر**، مطبعة البعث، قسنطينة، 2000، ص ص 133 – 150.

[360] جوان غليسبي : **الجزائر الثائرة**، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 15.

[361] عبد المالك خلف التميمي : المرجع السابق، ص 19.

الفرنسية في الزحف شرقا وغربا وجنوبا، فاصطدمت بمقاومتين أخرتها عن الوصول إلى الجنوب حوالي عشرين سنة وهي :

- مقاومة الأمير عبد القادر (1832 – 1847).

- مقاومة الحاج أحمد باي (1836 – 1848).

لكن رغم هذه المحاولات الجادة المفعمة بروح الجهاد، التي أبدتها قيادة المقاومتين لم تكن في صالح المقاومة المسلحة ضد المحتل، لعدم التكافؤ على مستوى الإمكانات العسكرية من ناحية، وعلى مستوى العمل السياسي، الذي استطاعت فرنسا من خلاله استمالة الرأي العام الدولي لصفها من ناحية أخرى، فكانت نتائج المقاومة غير مجدية، بل كانت في صالح المحتل الفرنسي، مما شجّعه على إحكام قبضته على منطقة الزيبان في نهاية النصف الاول من القرن 19م، لتستمر القوات الفرنسية في توغلها نحو مناطق الجنوب المتاخم للزيبان، ومنها إقليمي وادي ريغ ووادي سوف.

2 – مواقف سكان وادي سوف من المقاومة الشعبية، وحجم الدعم خلال مرحلة التردد :

تواجد الاحتلال الفرنسي خلال الفترة الممتدة ما بين 1830 و1840 واجهت حالة من التردد، كان نتيجة عدم وجود سياسة واضحة تجاه المرحلة الموالية لغزو الجزائر، لهذا تباينت الآراء، مما جعل القادة العسكريين يسارعون في التفكير لدخول مرحلة جديدة، فكانت مرحلة مشروعية البقاء. وسياسة الاستيطان في حقيقة الأمر تخص شمال البلاد، لكن ذلك الوضع لم يقبله الشعب الجزائري، مما دفع بعجلة ردود فعل المقاومة الشعبية، حيث لم يترك مجالا لأي إقليم أن يبقى على الحياد اللهم إلا أقاصي الجنوب، فما كان على جميع الأقاليم إلا احتضان المقاومة الشعبية في صورتيها : مقاومة الجماعة التركية التي كان يمثلها الحاج أحمد باي، والمقاومة الشعبية الممثلة في الأمير عبد القادر.

كما أن تواجد الاحتلال كان ذو أهـــداف عديدة، منها الأهداف العقائدية التي نلمسها من خطـــاب الجنـــــــــــيرال " دوبـــــــــــــورمون " (De Bourmont) لجنوده بعد الاستيـــــــــــــلاء على مديـــــــنة الجزائر قـــــــــائلا : « لقد جددتم عهد الصليبيين[362] .»، لنجد تأكيدا آخـــرا على صدقيـــــة الأهداف العقديـــــة عنـــد الـــرحـــالـــة الفـــرنـــســـي" بوجولا " (Boujoulât) الوثيـــــــــــق الصـــــــــلة بالماريشـــــــــــــــال بيـــــــجـــــــــــو، وبـــأســـــــــــــقف الجـــزائر" أنطوان ديبيش " (Antoine dépêche)، حـــــــيـــث أكد في مذكراته سنة 1844 الصبغة التبشيرية التي جاءت فرنسا لإرسائها بالجزائر. ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين بيجو، حيث يقول : « قال لي المريشال بيجو يوم قابلته منذ سنتين في منزله بمدينة الجزائر : (ماذا جئنا نعمل في إفريقيا؟) فأجـــــــابه : (لكي نـــــــواصل العمـــــــــــــل الذي بـــــــــــدأه " غـــــــــــــودفروا" (Godefroy) و" لويس السابع " (Louis VII)، و"سان لويس" (Saint Luis).)[363] .»، وأمام هذا الإقرار، وجد السكان المسلمون بوادي سوف أنفسهم أمام حتمية شرعية، لمساندة المقاومة الشعبية تفرضها متطلبات الوقت لدى الكثير منهم، رغم عدم توحد الرؤية وانقسام الولاء. ذلك انطلاقا من مبدأ الانقسامية من جهة، واختلاف الولاءات تبعا لكل عرش من عرشي طرود وسعود من جهة ثانية.

أ – سكان وادي سوف بين المشاركة الفاعلة، والدعم غير المباشر لمقاومة الأمير عبد القادر (1832 – 1847) :

أثناء توسع الغزو الفرنسي والتوجه نحو الغرب الجزائري انتفض السكان وقاوموا الغزاة، ثم ما لبثوا أن فكروا في تنظيم قيادة تتولى شؤون الجهاد، فوقع اختيارهم على الأمير عبد القادر بن محي الدين،

[362] مصطفى الأشرف : المرجع السابق، ص 51.

[363] مصطفى الأشرف : نفس المرجع، ص 51.

وبعد مبايعته وجه نداء بتاريخ 22 نوفمبر 1832 للقبائل والأعراش، طالبا منهم تقديم يد العون في الكفاح المسلح ضد المعتدين الفرنسيين، هذا ما يؤكده المقطع الآتي من البيان : «... ولذلك ندعوكم في هذا العهد بيننا وبينكم سارعوا إذن، لإعلان ولائكم وطاعتكم، والله يجازيكم في الدنيا والآخرة، إن هدفي الأساسي هو الإصلاح وفعل الخير ما دمت حيا، إن ثقتي بالله ومنه هو وحده أرجو الجزاء والنجاح[364].». كما وجه دعوة للاجتماع في مدينة معسكر في ربيع 1833، وقد رحب بالدعوة عددا كبيرا من القبائل الهامة في التل والصحراء[365]، فلبى من جملتهم في الحين جماعة من تقرت ووادي سوف[366]، هذا ما أكده صاحب الصروف بأن العمالة الأميرية تشمل منطقة وادي سوف[367]، رغم أن الأمير يؤكد في مذكراته أن سلطته لم تبسط على المنطقة : «... وليس سوى أربعة مراكز لم تصلها بعد سلطتي وهي ميزاب وورقلة وتقرت ووادي سوف[368]... ». وما يلاحظ على هذا النص هو كون هذه المناطق كانت بعيدة عن سلطة الأمير، لكن مقاطعة " الزيبان " والصحراء الشرقية وعاصمتها بسكرة كانت تابعة لسلطة الأمير[369]. وقد كانت منطقة الزيبان أكثر تفاعلا مع تلك المناطق، التي لم تصلها سلطة الأمير، ومن بينها وادي سوف، علما أن هذه المنطقة كانت في السابق تمثل الخط الرابط بين بايلك الشرق ووادي سوف، كما أن الخلفاء الذين ولاهم الأمير كانوا ذا صلة مع أطراف من وادي سوف، ومنهم فرحات بن سعيد الملقب بـــــــــــــ " ثعبان

---

[364] شارل هنري تشرشل : **حياة الأمير عبد القادر الجزائري**، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 60.

[365] شارل هنري تشرشل : نفس المصدر، ص 62.

[366] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 230.

[367] إبراهيم العوامر : نفس المصدر، ص 230.

[368] شارل هنري تشرشل : المصدر السابق، ص 136.

[369] كما عرفت هذه الولاية بولاية الزيبان والصحراء الشرقية. – يحي بوعزيز : " مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن 19م "، **الأصالة**، العدد 79، الجزائر، 1980، ص 89. – شهرزاد شلبي : **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، ماجستير، اشراف علي آجقو، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008 – 2009، ص 18.

الصحراء "[370] الذي كان حليف " الطرود " بالمنطقة، الذي استنجد بالأمير، فلبى بأمر خليفته على المدية " ابن البركاني[371] " أن يجمع قواته، وأن يزحف على بسكرة، وقد استقبله فرحات بن سعيد بصدر رحب، وهاجما معا أحمد باي الذي فرّ أمامهما، ونجا بنفسه نحو الصحراء[372] في أواخر شهر ماي 1838[373]، وعليه آلت الأمور إلى فرحات بن سعيد، حيث أسندت إليه الخلافة على بسكرة بأمر من الأمير فاستلم أمورها، ورتب العمال في أعمالها[374]، لكن مدة خلافة فرحات بن سعيد على الزيبان كانت قصيرة، وهي من أواخر 1837 إلى أوائل 1838[375]، هذا لاكتشاف الأمير خيانته له من خلال مراسلات بينه وبين الفرنسيين، فأمر بالقبض عليه وإرساله إلى تاقدامت[376] مكبلا بالقيود[377]، فخلفه " الحسن بن عزوز البرجي " فصار خليفة للأمير منذ 1838 - الكاتب السابق لفرحات - وكلفه بالتصدي للفرنسيين وأعوانهم بالمنطقة. خاصة بوعزيز بن قانة خال أحمد باي[378] الذي إلتحق بالفرنسيين منذ سقوط قسنطينة، وعند انهزام الحسن بن عزوز البرجي في مارس 1840 أمام الفرنسيين لجأ منسحبا إلى المسيلة، مع بقاء شيء من الأمل يراوده في العودة إلى الزيبان، واستئناف جهاده، قبل أن يتمكن العدو الفرنسي من القبض عليه سنة 1841، وعلى إثرها عين الأمير فرحات بن سعيد خليفة له على الزيبان[379] شريطة ملاحقة أولاد بن قانة، وترك أفراد عائلته لدى الأمير

---

[370] عبد الحميد زوزو : **الأوراس**، ج 1، ص 108.

[371] رغم أن في نسخة خليفة على مليانة. – ينظر شارل هنري تشرشل : نفس المصدر، ص 164.

[372] شارل هنري تشرشل : نفس المصدر، ص 164.

[373] إسماعيل العربي : المرجع السابق، ص 171.

[374] محمد بن عبد القادر الجزائري : **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج1، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964، ص 300.

[375] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ط 6، مرجع سابق، ص ص 198، 199.

[376] تاقدامت : مدينة تقع جنوب شرق وهران بناها الأمير عبد القادر واتخذها عاصمة له لإمارته (دولته). - ينظر شارل هنري تشرشل : المصدر السابق، ص 163.

[377] شارل هنري تشرشل : نفس المصدر، ص 164.

[378] يحي بوعزيز : **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 48.

[379] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ط 6، مرجع سابق، ص 283.

كرهائن، حتى يضمن ولاءه وعدم استسلامه للفرنسيين مرة أخرى، لكنه في هذه المرة أخلص فرحات ولاءه للأمير وأبلى البلاء الحسن، واستطاع مضايقة القبائل الموالية لأولاد بن قانة، إلا أن البوازيد[380] غدروا به وقتلوه بأولاد جلال في سبتمبر 1841[381].

إثر قتل فرحات بن سعيد سارع الأمير إلى إسناد خلافة مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية إلى "محمد الصغير بن عبد الرحمان" الملقب بأحمد بلحاج، فأبلى البلاء الحسن ضد القوات الغازية، والحاج أحمد باي وأتباعه، كما لعب دورا سياسيا من أجل تدعيم سلطة الأمير في الناحية الشرقية، فراسل رجال الحكم في تونس، وكان على رأس الوفد، الذي بعث به الأمير برفقة " محمد كانون[382] "، فكان محمد الصغير بن عبد الرحمان متحمسا لربط الصلات والعلاقات الحسنة بين الأمير وبايات تونس[383]، لأن مقاطعته متاخمة لدولتهم. ووادي سوف، تمثل الحدود الجنوبية الشرقية الجزائرية معها، لكن رغم ذلك لم يستطع وقف الزحف الفرنسي المآزر لبن قانة، فدخلت القوات الفرنسية بسكرة في 24 مارس 1844[384]، وفي 23 ماي 1844 أصدر الدوق " دومال " (Doumale) أمرا تنظيميا عاما، تم بمقتضاه تعيين الـــــــرائـــــــد "تـــــــومـــــــاس" Thomas) (قائدا أعلى لدائرة بسكرة، ووضع أربعة مسؤولين من السكان المسلمين تحت إدارته يعملون في نطاق محدد بمنطقة الزيبان، منهم شيخ العرب بوعزيز بن قانة المنصب خليفة في الصحراء[385]، ليظل محمد الصغير يقاوم، لكنه في الأخير اضطر إلى اللجوء إلى منطقة وادي سوف[386] مع عـــــدم توقف

---

[380] البوازيد قبيلة كانت تقطن المناطق الممتدة بين فوغالة وبسكرة. - ينظر إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 56.

[381] إبراهيم مياسي : نفس المرجع، ص ص 56، 57

[382] احميدة عميراوي : **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، (د ت)، ص ص 83، 84.

[383] يحي بوعزيز : **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السابق، ص 48.

[384] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ط 6، مرجع سابق، ص 57.

[385] إبراهيم مياسي : المرجع السابق، ص ص 70، 71.

[386] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 247.

المقاومة تحت لواء الأمير، حتى بعد استسلام هذا الأخير عام 1847، وظل محمد الصغير بن عبد الرحمان يجوب المناطق المتاخمة للزيبان، وهي وادي سوف والجريد التونسي. وعند وقوع مقاومة واحة الزعاطشة أواخر عام 1849[387] وصلت أصداؤها إلى

وادي سوف والجريد التونسي[388]، مما اضطر مجموعة من مقاومي وادي سوف لنجدة إخوانهم المحاصرين بواحة الزعاطشة[389]، ولا يستبعد التنسيق بين السكان المسلمين بوادي سوف، وبين محمد الصغير بن عبد الرحمان الذي كان يومها في نفطة التونسية قادما لنجدة الشيخ بوزيان شيخ واحة الزعاطشة، الذي كان تابعا فيما سبق لسلطة الأمير عبد القادر[390]، لكن رغم هذه المحاولات الجادة المفعمة بروح الجهاد جاءت النتائج سلبية، ولصالح الفرنسيين. ذلك بإحكام قبضتهم على منطقة الزيبان مع نهاية النصف الأول من القرن 19م، لتستمر القوات الفرنسية في توغلها نحو مناطق الجنوب المتاخم للزيبان، ومنها منطقة وادي ريغ ووادي سوف. إن مقاومة الأمير عبد القادر النابعة من رحم السكان الأصليين جعل الكثير من الجزائريين يهبون إلى نصرته، هذا ما جعل دور منطقة وادي سوف يبرز من خلال مساندة مقاومة الأمير. ذلك ما أكده صاحب الصروف بأن العمالة الأميرية تشمل منطقة وادي سوف[391]. انطلاقا من الوازع الديني الذي يفرض على السكان المسلمين بالمنطقة المشاركة في جهاد النصارى المحتلين، دون أن يكون وادي سوف مسرحا لأي عمل مسلح. ذلك لطبيعة المنطقة المكشوفة غير أنها كانت تأوي قبائل كثيرة من الأعراب وبطون من البدو

---

[387] يحي بوعزيز : **كفاح الجزائر**، مرجع سابق، ص 56.

[388] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ط 6، مرجع سابق، ص 357.

[389] إبراهيم مياسي : المرجع السابق، ص 85.

[390] يحي بوعزيز : **كفاح الجزائر**، مرجع سابق، ص 56.

[391] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 230.

الرحل، وهم في غالب الأحيان يناصرون كل ثائر مد إليهم يده[392]، فكان ذلك مشجعا لمناصرة الأمير عبد القادر باعتباره المبايع بيعة شرعية من طرف السكان الجزائريين.

ب - مواقف سكان وادي سوف من مقاومة الحاج أحمد باي (1830 - 1848)، وطبيعة دعمهم لها :

إن مواقف السكان المسلمين بوادي سوف من مقاومة أحمد باي لم يكن واضحا، باعتبار أن الحاج أحمد باي كان يمثل سلطة الأتراك، ورغم ذلك فإن دور وادي سوف برز بعد سقوط قسنطينة في يد المحتل الفرنسي، من خلال مؤازرة أولاد سعود للحاج أحمد باي باعتباره حليفا سابقا، فمقاومة الشرق، التي مثلها الحاج أحمد باي الكرغلي، كانت نابعة من رغبته الجامحة للتصدي لمحاولات التشويه، التي اعتبرت الحاج أحمد باي عنصر من الجماعة التركية، التي كانت السبب الرئيسي في سقوط دار السلطان في يد المحتل، هذا ما دفع بالحاج أحمد للاهتداء إلى فكرة الاعتماد على العنصر الجزائري، والتخلي عن الحامية التركية، لما أبدته سلطة الجماعة التركية في الجزائر من موقف متخاذل، لم يمنع الجزائر من السقوط في يد المحتل الفرنسي. فكان لزاما على الحاج أحمد باي المراهنة في اعتماده على السكان الأصليين، لسقوط النظام المركزي بدار السلطان، الذي كان يمكن أن يموله بالدعم العسكري، وبعد المسافة بينه، وبين الباب العالي، وتعدد خصومه المنادون برأسه، والساعون إلى منصبه[393]، مما جعله يسعى إلى إعلان المقاومة باعتباره رمزا للسلطة المركزية، انطلاقا من تجديد إمكاناته العسكرية. ذلك من خلال الاعتماد على السكان المسلمين الجزائريين. كسكان قسنطينة والقبائل المحاذية لها، التي كانت تحت سيطرة بايلك الشرق.

استمر الحاج أحمد باي يحقق بعض الانتصارات ضد صفوف العدو، لكن عند استيلاء الفرنسيين على قسنطينة في الهجوم الثاني أكتوبر 1837 توصل إلى فكرة إنشاء "زمالة"، هذا بعد طرح الفكرة

---

[392] محمد الطاهر التليلي : " **فذلكة** "، مصدر سابق، ص 455.

[393] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ط 6، المرجع السابق،ص ص 140- 191.

على رفاقه لمحو الهزيمة، وتظم هذه الزمالة جميع من خرجوا من المدينة لتقتاد إلى مكان في الجنوب تحت حماية المشاة، غير أن خاله بوعزيز بن قانة عارضه في ذلك بدعوى ضرورة التوجه نحو الصحراء من أجل حماية عائلاته ومن معهم[394]، لأن فرحات بن سعيد يهددهم في معاودة مقاومتهم[395]، فقبل الباي الاقتراح على مضض، لكنه ندم عندما تفطن إلى هدف خاله بوعزيز المعادي، هذا حسب ما جاء في مذكرات الحاج أحمد باي نفسه[396]. وفي شهر ديسمبر 1837 اصطدمت قوات الحاج أحمد باي، وفرحات بن سعيد في معركة ضارية بواحة الصحيرة[397]، مما اضطر بالحاج أحمد باي إلى الانسحاب من بسكرة والالتحاق ببلاد النمامشة عن طريق وادي سوف، ومن هناك راسل باي تونس المشير " أحمد باي " (1837–1855) طالبا منه الرأفة برفاقه الذين اضطرهم الظروف إلى اللجوء إليه، مع تقديم أعذار عن عدم قدرته في المجيء إليه. كما راسل السلطان العثماني " محمود الثاني " ليذكره بوعوده السابقة، وبتأخر نجدته[398]. فظلت أحوال الباي بين مد وجزر مع استمرار تلاحق الخسائر في صفوف جيشه، مما اضطره إلى الاحتماء بأحد القبائل التي بقيت تربطه بهم صلات قديمة لكونه باي "بايلك الشرق الجزائري"، ومنها بنو جلاب بوادي ريغ، فإليهم انسحب وقضى عندهم فصل الشتاء[399] (1838–1839)[400]، كما لجأ إلى المنطقة الجنوبية وادي ريغ مرة ثانية في ربيع 1840 وأقام بها عاما كاملا[401]، لكن بعد ذلك صارت المنطقة غير آمنة بعد استيلاء المحتل على الزيبان، فانتقلت مقاومته نحو الأوراس، وفي الأخير استسلم الحاج أحمد باي معلنا إنهاء مقاومته ضد

---

[394] محمد العربي الزبيري : **مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 76.

[395] يحي بوعزيز : " معارك للحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية "، **مجلة الثقافة**، العدد 90، الجزائر، نوفمبر – ديسمبر، 1985، ص ص 125، 126.

[396] محمد العربي الزبيري : **مذكرات**، المصدر السابق، ص ص 76، 77.

[397] وهي واحة من النخيل بقرية الصحيرة إحدى قراء الزاب ببسكرة.

[398] يحي بوعزيز : " معارك الحاج أحمد باي " المرجع السابق، ص ص 127 – 129.

[399] محمد العربي الزبيري : **مذكرات الحاج أحمد باي**، المصدر السابق، ص 77.

[400] يحي بوعزيز : معارك الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 129.

[401] محمد العربي الزبيري : المصدر السابق، ص ص 89 – 90.

الفرنسيين في شهر جوان عام 1848[402]. ومما سبق يتبين أن المساندة كانت ضعيفة بالمقارنة، لما لقيته مقاومة الأمير عبد القادر، هذا يعود إلى كون أحمد باي يمثل السلطة التركية، وعليه فإن حجم المساندة لم تكن بالقدر الكافي، هذا ما قد أقره الباي حينما خضع لمشورة خاله بالاتجاه إلى الصحراء، حيث كانت تلك المشورة خيانة لم يتوقعها الحاج أحمد باي، حيث يصرح قائلا : « لم استحسن هذه النصيحة[403]، ولكنه لم يكن لي أهل، عدا أبنائي، أقرب من بوعزيز فلم أكن أعتقد أنه يستطيع أن يقترح علي ما من شأنه يضرني ... ولكن إذاحكم القدر على شخص عمي بصره وبصيرته وصار يعتقد الخير فيما يؤدي إلى الخراب[404].»، كما أن وادي سوف كانت ملجئا لفرحات بن سعيد[405]، هذا ما قلل من مساندة المنطقة لمقاومة الحاج أحمد باي.

ثانيا – وادي سوف بين الاستكشاف والغزو الفرنسي خلال (1837 – 1854) :

إن التوسع الفرنسي بعد سقوط مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق سنة 1837 كان حتميا، على إثرها بدأت فرنسا تفكر في مواصلة الزحف نحو الجنوب الشرقي، والتوسع في أطراف الصحراء، ومنها منطقة وادي سوف بالخصوص. ذلك لتوفر دوافع وعوامل عديدة منها اعتبارات إستراتيجية وأخرى سياسية، وثالثة أمنية وعسكرية يمكن حصرها فيمايلي :

- إعداد الفرنسيين لعملية التوسع والاكتساح الكلي قصد بسط نفوذهم في بقية أرجاء الجزائر، لإنجاح سياسة الاستيطان. علما أن هذه العملية تعوَّدوا على تسميتها بالاستكشاف، لمعرفة هذا المحيط من الرمال الصفراء بواحاته الخضراء المتناثرة هنا وهناك، فارتبط ذلك العامل باستغلال

---

[402] يحي بوعزيز : **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص 50.

[403] نصيحة خاله بوعزيز بن قانة.

[404] محمد العربي الزبيري : **مذكرات الحاج أحمد باي**، المصدر السابق، ص 77.

[405] محمد العربي الزبيري : نفس المصدر، ص 81.

ثروات الصحـــراء الاقتصادية والبشـــرية مع القيام بدراسة المجموعات السكانية، وتقاليدها وعـــاداتها، وتاريخها السياسي والحضـــاري، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية[406].

- بروز فكرة إنجاز مشروع السكك الحديدية التي تربط أجزاء واسعة من صحراء الجزائر الشرقية منها والغربية بمناطق ودول إفريقية يصاحبها مدّ الطرق البريّة، وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل التحرك في ظروف آمنة، تخدم التوسعات العسكرية[407].

- اهتمامات فرنسا بإيجاد مشروع بحر داخلي صحراوي[408]، لإحداث تغيرات طبيعية مناخية للصحراء، فكانت أحواض الجريد التونسي، وأحواض وادي ريغ ووادي سوف، والزيبان محل اهتمامهم، لربطها بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق شط الفجيج إلى خليج قابس[409]، ثم إلى البحر المتوسط.

- اعتبار إقليم " وادي سوف " منطقة عبور إلى تونس وطرابلس، وهو مجال مواصلات مفتوحة يسهّل التنقلات بمختلف أشكالها، ويوفر الأمن للحدود الجنوبية الشرقية في نظر المحتل الفرنسي.

- إثارة رجال المقاومة الشعبية، والقادة المحليين بالصحراء مخاوف بايات تونس تجاه فرنسا، من خلال طلب يد العون ماديا ومعنويا، مثلما فعل الحاج أحمد باي سنة 1838، وسلطان تقرت سلمان الجلابي سنة 1853[410].

---

[406] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 64.

[407] يحي بوعزيز : نفس المرجع، ص ص 64، 65.

[408] G. Desire Vuillemin : " Les premiers projets du transsaharien et l'Afrique du nord 1878 –1881", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977, p p 107 - 121.

[409] Jacques Valette : " Les projet de " Mer Intérieur " du colonel ROUDERE et la politique coloniale de la III^{e} république ", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977, p p 251 – 258

[410] سلمان بن علي الكبير الذي فر من أرملة عمه الشيخ عمر، والتي قتلت أبوه بالسم لوضع ابنها عبد الرحمان بن عمر سلطانا على تقـــرت عوضا عنه.- ينظر محمد الصغير دبابي : " حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص ص 42، 43.

– اعتبار مناطق الجنوب خاصة " وادي سوف " مراكز هامة، لتقديم الدعم المادي والمعنوي للمقاومين ضدّ فرنسا. ذلك بتزويدهم بالمؤونة والرجال.

- المساعي الحثيثة للفرنسيين في إطار الصراع مع القوى الأوروبية المتنافسة في السيطرة على تونس وليبيا، فكان هذا حافزا قويا من أجل احتلال الجنوب الجزائري، حتى تكون القوات الفرنسية على مقربة من أي تحرك من حدود تلك البلدان، واستغلالها في وقت الحاجة.

وانطلاقا من هذه العوامل والدوافع شرعت فرنسا في إنجاز مخططاتها الاستعمارية الاستيطانية في الجنوب الصحراوي، تباعا لسياسة المراحل التي دامت أكثر من أربعين سنة، التي يمكن حصرها فيما يخص إقليم وادي سوف في المراحل التاريخية الهامة الآتية :

1 -الحملات الاستطلاعية والاستكشافية لوادي سوف :

إن خاصية التواجد الغربي بالبلدان العربية سبقتها موجة من التحركات، كانت قائمة أساسا على مشروعية التجسس، التي مهدت لها كتابات الغربيين المتنوعة بجميع مستوياتهم من قناصلة وأسرى، وتجار ورحالة خلال الفترة العثمانية، هذا بالإضافة إلى الترجمات العديدة لكتب الرحالة والجغرافيين، الذين ساهموا في تحديد ملامح العالم الإسلامي والعربي، فكان ذلك الرصيد المتراكم عاملا مساعدا في معرفة الكثير من خبايا هذا العالم، فجاءت مرحلة الكشوفات الجغرافية، التي فتحت المجال واسعا للأوروبيين، للاطلاع على خبايا العالم بنوعيه القديم والجديد، فنتج عن ذلك حركة استعمارية نشطة ساهمت في فتح الباب أمام حركة الاستعمار الأوروبي[411]، إلى أن جاءت الحملات الاستكشافية والاستطلاعية، لتمكن الدول الأوروبية من تنفيذ مخططاتها الاستعمارية.

والحملات الاستكشافية هي المراحل الاستطلاعية، التي كانت تقوم بها البلدان الغربية المحتلة، وعلى رأسها كل من بريطانيا وفرنسا من أجل بسط نفوذها على المناطق المختلفة بإفريقيا. ويمكن

---

[411] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود جمال الدين : **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، 1419هـ/1999، ص ص 51-82.

الوقوف عند الرحلات الاستكشافية الفرنسية منذ أن أنشئت لجنة الاستكشاف العلمي من قبل الدولة الفرنسية سنة 1837، حيث صدر القرار الوزاري رسميا سنة 1839، الذي دعا إلى تشكيل لجنة تظم 21 عضوا من أكاديمية العلوم، وأكاديمية الآداب والفنون، والكليات العسكرية[412]، هذا ما يؤكد تنوع الاختصاصات العلمية من آثار وجغرافيا، وأثنوغرافيا وتاريخ، وطب واقتصاد، وغيرها من الاختصاصات[413]، حتى تستطيع هذه اللجنة تحقيق أهدافها الاستعمارية. ومن هنا يتضح الدور الهام لاحتلال الصحراء، باعتبارها المنفذ الأساسي للتوغل في صحراء إفريقيا، كما أن احتلال الجزائر مرهون باحتلال الصحراء[414]، فكان الصراع على أشـــده بين الدول الاستعمارية من أجل الاستحواذ على أكبر مساحة من بلدان الساحل الإفريقي، هذا ما شجع الفرنسيين على روح الاستكشاف، ودفع بفرنسا إلى السعي وراء تحقيق توسعاتها، وجعلها تكثّف رحلاتها الاستكشافية في الصحراء من أجل التصدي للتنافس الاستعماري الأوروبي على رأسه بريطانيا خلال النصف الثاني من القرن 19م، ومن هذه الاستكشافات رحلة الشاب الهاوي "هنري دوفيرييه" Henri) (Douvirih التي عرفت محطات عديدة، وفي فترات متقطعة منها رحلته إلى بسكرة في أول فيفري 1860، ثم التوجه إلى وادي سوف، ومنه إلى الجريد التونسي[415]، وبعد هذه الرحلة كلف الوالي العام للجزائر الرحالة " دوفيرييه " بالقيام برحلة إلى التوارق، كانت وادي سوف أحد ممراته في جوان 1860، ومنها إلى غدامس[416]، كما نجد رحلة "هنري بارث" (Henri Baret) الذي كتب مقالا في **نشرية الجمعية الجغرافية** بباريس في شهر جانفي 1865 يحث فرنسا على العمل بسعي جبار، وواسع

---

[412] احميده عميراوي : " رحلات استكشافية في الجنوب الجزائري "، **مجلة دراسات أدبية وإنسانية**، العدد 01، قسنطينة، صفر 1425هـــ/ أفريل 2004،ص 35.

[413] وقد أحصى أبو القاسم سعد الله كل التخصصات العلمية فبلغت 19 تخصصا. - ينظر أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 82.

[414] احميده عميراوي : " رحلات استكشافية "، المرجع السابق، ص 35.

[415] إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 - 1911)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 54.

[416] إبراهيم مياسي : **توسع الاستعمار**، نفس المرجع ، ص 55.

في الصحراء الإفريقية، كي تستطيع أن تستحوذ على هذه المناطق، وتربطها بالجزائر[417]، كما أن اهتمامات فرنسا بالصحراء الجزائرية كانت حاضرة من خلال مراسلات الجنرال "ديفو" (Desvaux) للعديد من المناطق الجنوبية، وقد جاءت هذه الاهتمامات بعد فشل مقاومة الزعاطشة سنة 1849، ومراسلة سكان وادي سوف من خلال الرسالة المحررة يوم الثلاثاء 25 رجب 1274 هـ الموافق 10 مارس 1858م، التي جاء فيها : « من المعظم ديفو لكافة ناس وادي سوف. ويليه إعلامكم به أنه منذ قَدَّم سوف وأذعن لطاعة الدولة المنصورة الفرانسوية نزلت عليكم النعمة الجميلة والعافية فانقطعت من بين دشركم الأفتان ... وانحلت لكم الأسواق لبيع تجارتكم[418]...»، وهو يذكّر السكان بموجب الإذعان لفرنسا وعدم السعي وراء مساعدة المتمردين في قتل أعوانها من السكان الجزائريين. علما أن هناك رحلات استكشافية كثيرة قامت بها السلطات المستعمرة انطلاقا من اللجنة العلمية الفرنسية منذ 1839، والتي شملت علماء وضباط جيش انحصرت مهامها في دراسة الطرق التجارية التي سلكها العرب في الصحراء[419].

وقد اتضح الأمر جليا حينما استطاعت القوات الفرنسية احتلال بسكرة سنة 1844، ليتأكد لفرنسا رغبة الإطلاع أكثر على المسالك، والطرق السهلة لعمليات التوغل، وعليها جاءت الرحلة الاستكشافية التي قام بها " دي شوفارييه " (Die Chovarie) و" ماريوس قاري " (Marius Garew) عام

---

[417] نفسه، ص ص 48، 49.

[418] احميدة عميراوي : **بحوث تاريخية**، دار البعث، قسنطينة، 2001، ص ص 150، 151.

[419] أبو القاسم سعد الله : "المترجمون الجزائريون وإفريقية"، **مجلة الثقافة**، عدد 113، الجزائر، مارس-أفريل، 1996، ص 35.

1847[420]، وبعد عام؛ أي سنة 1848 أمرت وزارة الحربية والتجارة "براكس" (Prax)[421] القيام برحلة سرية نحو الجنوب الجزائري، فزار وادي ريغ[422]، وأصدر دراسة عام 1848 بعنوان " تقرت وسوف " نشرت في مجلة " **الشرق الجزائري** " في الجزء الرابع من نفس السنة، ليقوم بنشر رحلة ثانية سنة 1849 بعنوان " **تجارة الجزائر مع مكة والسودان** "، إضافة إلى كتابه المتضمن معلومات هامة ساعدت الجيوش الفرنسية في تحركاتها نحو وادي سوف وغيرها، كما نجد رحلة الباحث الفرنسي " أدريان بربروجار " (Adrian Berbrugger) سنة 1850 لاكتشاف الواحات التونسية والجزائرية، فقد مر عبر المنطقة من سوق أهراس إلى تونس، وتجول في بلاد الجريد، ثم انتقل منها إلى وادي وسوف[423]، وقد ذكر أنه حصل بتاريخ 28 نوفمبر 1850 من أحد شيوخ طرود بكوينين على نسخة من تاريخ العدواني معلقا على ذلك بأنه مخطوط يتناول تاريخ المنطقة[424]. هكذا استمرت الرحلات ذات الطابع العسكري الاستطلاعي قبيل احتلال وادي سوف؛ إذ قدم إليها الملازم "روز" (Rose) من الفيض[425] واتجه نحو قمار رفقة مجموعة من "القُومِيَّة"[426] في سنة 1852، وكانت هذه المعلومات، وغيرها كثيرة في متناول يد الجيش الفرنسي حينما توغل في منطقة وادي ريغ ووادي سوف ما بين سنتي 1854 و1855 بقيادة الجنرال ديفو[427].

---

[420] عبد المجيد بن نعيمة : " مواقف شيوخ بني جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854 "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص ص 122، 123.

[421] André Voisin : op. cit, p 80.

[422] عبد المجيد بن نعيمة: المرجع السابق، ص 123.

[423] André Voisin : op. cit, p 80.

[424] Charles Féraud : **Le Sahara de Constantine et de Tunisie**, Paris, 1868, p 659.

[425] تقع جنوب شرق بسكرة تابعة إداريا إلى زريبة الوادي.

[426] القُومِيَّة : يراد بها رجال الحركة، وقد كانت اللفظة في بداية المقاومة أكثر استعمالا من عبارة " حركة ". – ينظر عبد الملك مرتاض : **المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954 – 1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 91، 92.

[427] احميدة عميراوي : " مقاومة الشريف بن عبد الله "، مرجع سابق،ص ص 43، 44.

ومما سبق يتبين لنا أن مرحلة التحسس والاستطلاعات، كانت من أهم الخطوات التي ساعدت فرنسا على بسط نفوذها على أوسع رقعة من البلاد الجزائرية، فكانت الرحلات الاستكشافية ما هي إلا خطوة من خطوات التوسع والاستيطان، كما كانت بمثابة التعبيد للمسالك التي اتخذت مسارات لمواصلة مسيرة بسط الوجود الاستعماري، بالإضافة إلى ضمان أوسع شبكة للمراقبة والسيطرة قدر ما أمكن.

2 -الغزو الفرنسي لوادي سوف :

إن مناطق الجنوب الجزائري لم تكن في منأى عن الأطماع الاستعمارية، ولا خالية من المقاومة، بل كانت ميدانا ملائما للثائرين المقاومين، وخاصة " الشريف محمد بن عبد الله " الذي وجد مناخا مناسبا وعددا من الثوار المسلحين، هذا ما ساعده على توسيع إقليم نفوذه على مستوى عدة مدن، وقرى ابتداء من الأغواط إلى ورقلة، ليصل في الأخير إلى تقرت ووادي سوف. ذلك ما أعاق سير جيوش المستعمر الفرنسي إلا بعد تطويق المناطق المتاخمة لها، والسيطرة على الأغواط وورقلة، وتحييد وادي ميزاب، ثم احتلال تقرت، فالأغواط شهدت هجومات الشريف محمد بن عبد الله في أوائل عام 1852، مما دفع بالفرنسيين إلى إرسال جيش بقيادة " بيليسي " (Pillisser) بداية من شهر أكتوبر، غير أن الشريف ابن عبد الله تمكن من الدخول إلى الأغواط في نوفمبر 1852.بمساعدة المقاوم بن ناصر ابن شهرة، ليستمر القتال على أشده منتهيا بمعركة عنيفة بين الطرفين في 04 ديسمبر 1852[428]، أرغمت محمد بن عبد الله وأعوانه على الانسحاب، فاستولى الفرنسيون على الأغواط[429]، ووضعوا بها حامية عسكرية دائمة، واتخذوها قاعدة حربية لتوسعاتهم نحو الجنوب[430].

---

[428] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص ص 37، 38.

[429] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ط 6، ص ص 358، 359.

[430] ج. إيفر : **دائرة المعارف الإسلامية**، مج 3، دار الشرق القاهرة، 1933، ص 576

أما ميزاب فقد استطاع الفرنسيون تحييدها، هـــذا بموجب الاتفاق المبرم مع الميزابيين في 19 أفريل 1853[431]، في حين نجد ورقلة التي كانت موقعا هاما للشريف محمد بن عبد الله، وصديقه ابن شهرة قد جند لها الفرنسيون قوات كبيرة قدمت من البيض في 03 نوفمبر 1853، فاشتبكت مع المقاومين في نقوسة والرويسات، انتهت بهزيمة الشريف ورفاقه، تاركين ورقلة للفرنسيين في أواخر عام 1853[432]، و لم يبق أمام الفرنسيين حينئذ إلا إمارة بني جلاب القلعة الحصينة، والدرع الواقي الذي تحتمي خلفه "وادي سوف" فحاصرها الفرنسيون[433]. ويعود هذا إلى كون حاكم تقرت "سلمان الجلابي" رفض التعاون مع الفرنسيين عام 1854، وفتح الباب أمام المقاومين خاصة الشريف محمد بن عبد الله، وابن شهرة، فكان عمله استفزازا في نظر فرنسا، مما دفع المستعمر إلى احتلال تقرت. فقد تجمعت قوات عديدة منها جيش قدم من بوسعادة بقيادة الجنرال ديفو، والقائد " بيري " (Pirie) الذي قدم من الأغواط[434]. كما لحـــــق بها جيش بقيادة " بان " (Pein)، والثاني بقيادة " باراي " (Barai)، والثالث بقيادة " مرمي " (Marmies)[435]، فالتقى هذا الجيش مع جيش سلمان والشريف محمد بن عبد الله وصديقه، وجيش النجدة القادم من " وادي سوف " تلبية لنداء سلمان لهم، لتحدث المعركة في نواحي المقارين في المكان المعروف ببو رخيص[436] يوم 29 نوفمبر 1854[437]، ويرى أهل المنطقة أن السبب في الخسارة وإلحاق الهزيمة بالمقاومين يرجع إلى تسرع أحد السكان المسلمين بوادي سوف يدعى "كرباع"[438]، الذي قام باستنفار أصحابه قبل أن يستعد المقاومون. فكان ذلك

---

[431] أبوالقاسم سعد الله : الحركة الوطنية، ج 1، ط 6، ص ص 359، 360.

[432] يحي بوعزيز : ثورات الجزائر، ص 127.

[433] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 38.

[434] يحي بوعزيز : ثورات الجزائر، ص 128.

[435] Mohamed Elkebir Miadi : **Tableau Chronologique de l'histoire de roi de Touggourt et Oued Righ**, C.N.E.H, Alger, Octobre 1986, p 3.

[436] بورخيص : تقع شمال تقرت وتبعد عنها بحوالي 15 كلم.

[437] عبد الحميد إبراهيم قادي : **التعريف بوادي ريغ**،منشورات جميعة الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص 19. - Souad Salami : **Touggourt esquisse historique**, Les imprimeries du sud, Ouargla, 1998, p 66.

[438] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص ص 247 – 248.

فرصة للفرنسيين للفتك بقوات سلمان. وأمام هذه الهزيمة لجأ سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله مضطرّين إلى تقرت والاعتصام بها، لتقع المدينة في حصار شديد. وفي يوم 02 ديسمبر 1854 غادر كلا من الشيخ سلمان، والشريف محمد بن عبد الله تقرت التي دخلها الجيش الفرنسي يوم 05 ديسمبر 1854 بقيادة الجنرال ديفو قائد ناحية باتنة[439] معلنا نهاية "مشيخة بني جلاب " التي دام حكمها بتقرت أكثر من أربعة قرون، فكانت " وادي سوف " المرحلة القادمة للاحتلال.

أ ـ احتلال وادي سوف، وردود فعل السكان :

بعد احتلال الجيش الفرنسي لإمارة بني جلاب بتقرت قام الجنرال ديفو بترك بعض قواته بالمدينة من أجل الحفاظ على الأمن، مواصلا بالقوات القادمة من باتنة والأغواط، وبوسعادة الاتجاه نحو وادي سوف[440]، لكن انعدام الطرق المعبدة حال دون سهولة سير الجيش، مما جعل القوات تتخذ طريق الطيبات القبلية، وهي موطن أولاد السايح[441]، وبعد تمهل قليل واصلت الطوابير الفرنسية طريقها حتى شارفت حدود أول بلدة من قرى وادي سوف تدعى تغزوت[442]، فتوقف الجيش الفرنسي، ودخل ديفو في مفاوضات مع وجهاء المنطقة أمام الطابور العسكري، لتنتهي المفاوضات بالاتفاق، عندها دخلت القوات الفرنسية إلى وادي سوف في 13 ديسمبر 1854، فتم استقبالهم من طرف السكان بحذر وترقب، والجدير بالذكر هو عدم تكافؤ القوة بين الطرفين كباقي المناطق الأخرى من الجزائر، وطبيعة السكان الذين يعيشون حياة قبلية بدوية، مع انعدام وحدة الصف نتيجة الصراعات القبلية، لتتقدم القوات نحو "كوينين"، ومنها انتقلت إلى عاصمة وادي سوف الوادي، يوم 13 ديسمبر 1854[443]، ثم رجعت إلى تقرت يوم 22 ديسمبر 1854، لتقوم بتنظيم الإقليم

---

[439] André voisin : op. cit, p 74.

[440] Ibid, p 47.

[441] C. Couvet : op. cit, p 49.

[442] تبعد عن مدينة الوادي بـــ 13 كلم بالشمال الغربي، كما كان لأهلها علاقات طيبة مع القائد العسكري ديفو، فما كان عليه إلا اتخاذ تغزوت المرتع الأول لدخول الجيش الفرنسي لوادي سوف.

[443] André voisin : op. cit, p .74

وضبط شؤونه الإدارية تتبعها منطقة وادي سوف، فبادر الجنرال ديفو بتعيين " علي باي " ابن فرحات بن سعيد "قايد" على تقرت، ووادي سوف باسم فرنسا منذ 26 ديسمبر 1854م[444]، لكن عودة القوات الفرنسية لتقرت دون ترك حامية عسكرية بوادي سوف كان كافيا لجعل المنطقة محل صراع مرير ومقاومة متواصلة دامت قرابة 30 سنة[445]، لم تتمكن السلطات الفرنسية من فرض وجودها على أهل وادي سوف إلا في بداية الثمانينات من القرن 19م عندما تفرغت لتلك المقاومات وإزاحة زعمائها. كما أن الموقع الذي يتميز به الإقليم جعل فرنسا تجد صعوبة في توطيد الاستيطان، بالإضافة أن الملامح التضاريسية المتمثلة في طغيان الطابع العرقي لكثافة الكثبان الرملية من الجهة الشرقية الجنوبية والجهة الجنوبية، هذا ما جعل القوات الفرنسية تقف عاجزة عن ضبط هذه الحدود المفتوحة على الجريد التونسي من الشرق، وغدامس الليبية من الجنوب، مما جعل وادي سوف يشهد محاولات تمرد، وخروج عن دائرة السيطرة، والتنفذ الاستعماري، لهذا كان وادي سوف منعة الهارب والخارج عن السيطرة الاستعمارية. ذلك من خلال اتخاذ المنطقة معبرا أساسيا لاستيعاب الكثير من المقاومين الجزائريين، بل حتى التونسيين والليبيين عند مقاومة الاحتلال الفرنسي في تونس، والايطالي في ليبيا، لذلك ظلت وادي سوف من أهم المناطق التي بقية تمثل قاعدة خلفية للمقاومة، ولرفع الغبن الممارس على الجزائريين عبر فترات زمنية متعاقبة دون أن ننكر وجود أصناف من سكان الإقليم كانت تقدم خدمات معتبرة للمحتل انطلاقا من الدور الذي تلعبه بعض الشخصيات للحصول على بعض الامتيازات للمحافظة على الاستمرارية والبقاء.

ب – مـــــــــوقف سكان وادي سوف ودورهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي ما بين (1854 - 1882) :

إن التواجد الاستعماري بالزيبان كان كافيا للتشجيع عن مواصلة التوسع، فكان دور تقرت للأهمية الإستراتيجية التي اتبعها المستعمر، انطلاقا من المقومات الميدانية، والتي تتمثل في شبكة

[444] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 40.

[445] André voisin : Loc. cit

المواصلات الرابطة بين الزيبان، ووادي ريغ، لذلك كان على الزحف الاستعماري البدء بتقرت عاصمة إقليم وادي ريغ، وبعد سقوط تقرت سنة 1854، وهيمنة الجنرال ديفو على تقرت ووادي سوف أقام حفلا في قصبة تقرت يوم 26 ديسمبر 1854، حيث قدم لعلي باي بن فرحات بن سعيد برنوس تولي قيادة وادي ريغ، ووادي سوف[446]، بينما كثف الجنرال ديفو جهوده لإحكام السيطرة على وادي سوف قصد القضاء عن كل محاولات المقاومة من طرف المقاومين الذين لجئوا إلى التراب التونسي. كما أرسل رسائل عديدة إلى سكان وادي سوف لاستمالتهم، كالرسالة المؤرخة في 12 ديسمبر 1855، بالإضافة إلى رسالة 25 ديسمبر 1855 على شكل أمر عين.موجه " علي بن عمر بن سعيد " خليفة[447] على كافة وادي سوف، تحت إشراف القايد علي باي، لتظل رقابة الجنرال ديفو قائمة إلى أن راسل كافة سكان وادي سوف برسالة يوم 10 مارس 1858[448] حول مقتل الشيخ " عون بن صنان "، فارضا على عرش أولاد أحمد ضريبة قدرها 20 ألف فرنك، وأمر بأخذ 20 رجلا رهينة ناصحا السكان بالعمل تحت إمرة علي باي[449]، غير أن الوضع الذي كانت تحياه المنطقة ينبئ بحركة فاعلة، ونجاح كبير لحركات المقاومين[450] من أهمها :

---

[446] إبراهيم مياسي: " الاحتلال الفرنسي لوادي سوف "، **جريدة الشعب**، الجزائر، الخميس 15 جانفي 1998.

[447] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 43.

[448] حررت يوم الثلاثاء 25 رجب 1274. – ينظر احميدة عميراوي : **بحوث تار**يخية، مرجع سابق، ص ص 150، 151.

[449] احميدة عميراوي : " مقاومة الشريف محمد بن عبد الله "، مرجع سابق، ص 49.

[450] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 250.

حركة سي النعيمي[451]، ومحمد بو علاق اليعقوبي[452]، وابن شهرة، ومحمد بن عبد الله، وتجددت المقاومة عند عودة الأخيرين – ابن شهر وابن عبد الله - من تونس، وإعلان مباركتهما لثورة أولاد سيدي الشيخ في 1864، وعندما وقع سوء تفاهم بين أولاد سيدي الشيخ ومحمد بن عبد الله، توقف الأخير عن المقاومة، ثم لجأ إلى تونس، ليمكث بها سنوات عدة[453]، بينما بقي ابن شهرة يقاوم[454] بالتعاون مع الطيب ابن عمران الشعنبي[455]، الذي جمع 264 رجلا من المحاربين من الطرود والشعانبة بوادي سوف، وعسكر بهم في جنوب ورقلة في فيفري 1868 لمناوشة القوات الفرنسية، لكنه فشل في ذلك ليلجأ إلى تونس كغيره من المقاومين[456].

هكذا ظلت القوات الفرنسية تبحث عن سبل لتفرض من خلالها استتباب الوضع الأمني بوادي سوف، فلجأت إلى تشييد عدة أبراج للمراقبة في الجهات الأربع للمنطقة، لتأمين وحماية القوافل والحفاظ عن الأمن بالطرق الرئيسية بين تقرت ووادي سوف، وهذه الأبراج هي :

- برج الحاج قدور في الجهة الشرقية.

---

[451] سي النعيمي هو من أولاد سيدي الشيخ، اختلف مع أخيه سي حمزة الموالي للفرنسيين فانضم النعيمي إلى الشريف محمد ابن عبد الله وبن ناصر بن شهرة – ينظر يحي بو عزيز : **ثورات الجزائر**، مرجع سابق، ص 127.

[452] محمد بوعلاق : ثائر تونسي وهو زعيم عرش أولاد يعقوب المتمردين عن السلطة التونسية – ينظر يحي بو عزيز : **ثورات الجزائر**، مرجع سابق، ص 128.

[453] يحي بوعزيز : نفس المرجع، ص 128.

[454] نفسه، ص 179.

[455] الطيب بن عمران : ثائرا كان يقطن وادي سوف لكنه هاجر إلى تونس عام 1868، وارتبط بالثوار في زاوية نفطة الرحمانية – ينظر يحي بو عزيز : نفس المرجع، ص 179.

[456] André voisin : op.cit, p 76

- برج بوشحمة في الشمال.

- برج الفرجان، ومولي القايد شيدا في الجهة الغربية[457].

لكن هذه الإجراءات والتحصينات العسكرية لم تمنع تجدد المقاومة من حين لآخر في مجال جغرافي يبدأ من عين صالح إلى ورقلة وتقرت، ووادي سوف وتبسة، ونقرين بالشرق وبلاد الجريد، ونفطة بتونس، وقد قاد هذه المقاومة بوشوشة ومحي الدين بن الأمير عبد القادر.

ج - وادي سوف ومشاركته في مقاومة محمد التومي بوشوشة :

استطاع محمد التومي بوشوشة تنسيق الجهود مع ابن ناصر بن شهرة خلال سنتي 1870-1871 للهيمنة على مناطق عديدة في الصحراء، ليستوليا في مارس 1870 على المنيعة، ثم على عين صالح في ماي من نفس السنة، لتصل مقاومتهما ضواحي متليلي وورقلة[458]، وتقرت ووادي سوف، خاصة بعد انطلاق ثورة المقراني، ومن أهم العمليات بوادي سوف :

- اتصال جماعة من الشعانبة بوادي سوف ببوشوشة لتقديمهم مساعدة ضد ظلم علي باي طالبين منه الإجهاز على

[457] Ibid, p 76.

[458] يحي بوعزيز : **ثورات الجزائر**، مرجع سابق، ص 85.

عائلـــــــــــــته، وزمالتـــــــــــــه التي أودعـــــــــــــها ببلـــــــــــــدة قمـــــــــــــار بوادي سوف[459].

- هجوم بوشوشة على قمار يوم 8 مارس 1871 [460] بقوة قدرت بـــ 900 مقاتلا[461]، إلا أن الزاوية التجانية بقمار قدمت الحماية لعائلة علي باي وعياله، فسلمت الزمالة.

- استيلاء بوشوشة على تقرت في 13 ماي 1871، حينما كان علي باي في حاسي الناقة[462]، وتعيين بوشمال بن قوبي اغا[463]، وبعد سقوط تقرت كان ذلك نهاية حتمية لحكم علي باي، ووقوع منطقة وادي سوف التابعة لتقرت تحت حكم بوشوشة.

وأمام هذا الوضع حاول علي باي الاحتجاج لدى المحاكم الفرنسية ببسكرة، شاكيا أولاد بن قانة باعتبارهم حسب ظنه مؤازرين لبوشوشة على غزو ورقلة وتقرت، غير أن الحاكم الفرنسي اتهمه بالإهمال والتقصير، وتواعده بتقديمه للعدالة، فتوجه إلى تقرت، لكنه فشل في مقاومة بوشوشة، ليعود إلى بسكرة يوم 13 جويلية 1871[464]، مسلما في مقاطعته وادي ريغ والمنطقة الجنوبية لها؛ أي وادي سوف، و لم يكتف بوشوشة بهذا بل حاول تأديب قبيلة أولاد زكري التي كانت أكبر مساند لعلي باي مرسلا إليهم ناصر بن شهرة يقود جيشا من الشعانبة، و لم يكد يوم 13 جويلية 1871 ينقضي حتى صار بوشوشة متحكما في الصحراء الجنوبية من نفطة إلى تقرت[465]، لكن ما يلاحظ هو عدم اكتراث محمد التومي لبعض الأعمال المقترفة في حق بعض الأطراف التي ناوأته وآزرت غيره بوادي سوف، هذا ما جعل من المقاومة تفتح ضدها جبهات عديدة، مما أضعفت الجهود

---

[459] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 253.

[460] Louis Rinn : **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie**, Alger, 1891, p 486.

[461] André Voisin : op. cit, p 75.

[462] يحي بوعزيز : **ثورات الجزائر**، مرجع سابق، ص 187.

[463] Louis Rinn : op. cit, p 488.

[464] بوعزيز يحي : **ثورات الجزائر**، مرجع سابق، ص 185.

[465] Louis Rinn : op. cit, p 612.

وجعل القوة الفرنسية تكون أكثر المستفيدين، لأن الصدام الذي وقع بين بوشوشة وبعض الأطراف من وادي سوف قلل من قيمة النجاحات التي حققها أمام القوات الفرنسية، هذا قد يعود إلى شخصية محمد التومي. ذلك من خلال عدم اكتراثه عند تخريب نخيل أهل قمار، علما أن النخيل مراث يعود إلى أجيال. كما يُعد ركيزة من الركائز الأساسية لسكان وادي سوف دون استثناء. وعليه فإن مثل هذه الأعمال تضعف من قيمة الشخص، خاصة إذا ما كان قائد مقاومة.

د ـ مقاومة محي الدين بن الأمير عبد القادر ودور وادي سوف فيها :

إن ظهور محي الدين بن الأمير عبد القادر[466] بالجهة الشرقية من تونس في شهر أكتوبر 1870، جعله يستقبل استقبالا حافلا مع تكريمه يوم 18 نوفمبر 1870 من قبل الباي التونسي، فاغتنم محي الدين الفرصة ووجه رسائل إلى زعماء جزائريين يدعوهم فيها إلى تنظيم الصفوف، والاستعداد لمحاربة العدو عند قدومه إليهم من تونس[467]، ثم غادر تونس إلى مالطا، ومنها توجه إلى طرابلس التي انطلق منها نحو الجنوب الجزائري، فاتصل بالمقاومين، ومنهم : ابن ناصر بن شهرة، وإبراهيم بن هبة الله فاتجهوا جميعا إلى وادي سوف[468]، ومنها شرع محي الدين في تنظيم كفاحه ليلتف حوله كل من سلطان تقرت سلمان الجلابي، وإبراهيم بن عبد الله مقدم القادرية بورقلة، ومحمد العشابي البسكري، الذي التجأ إلى نفزاوة، ومحمد بن أحمد الصغير ابن الخليفة السابق للأمير

---

[466] محي الدين ابن الأمير عبد القادر ولد سنة 1837، وعاش مع والده في الجزائر والشام وفي عام 1870. قدم إلى تونس ومنها إلى الجزائر لمقاومة المحتل الفرنسي وتجديد الجهاد – ينظر يحي بو عزيز : **ثورات الجزائر**، مرجع سابق، ص 185

[467] يحي بوعزيز : ثورات الجزائر، نفس المرجع، ص 250.

[468] عبد الجليل التميمي : **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر – تونس – المغرب - ليبيا) 1816 – 1871**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 29. – علي غنابزية : المرجع السابق، ص 46

عبد القادر بالزيبان، ومحمد بوعلاق زعيم أولاد يعقوب، وأولاد البطل الشعانبي السوفي بوطيب بن عمران[469].

وأمام هذه التحركات شعرت السلطة التونسية بشيء من الحرج، وزاد ذلك في توتر العلاقة بينها وبين السلطة الفرنسية، مما جعل الباي " محمد الصادق " يطلب من ولاته توقيف ومتابعة محي الدين وجماعته، وسجنهم وإرسالهم إلى تونس، غير أن محي الدين تفطن للأمر ولجأ إلى الجنوب الجزائري[470]، فدخل في صراع مع أعوان فرنسا خاصة حاكم تقرت ووادي سوف علي باي في بداية 1871[471]. وعند اندلاع ثورة المقراني حاول محي الدين التعاون والتنسيق مع المقراني، لكن الصعوبات التي اعترضته في التوجه نحو الداخل، جعلته يتجه إلى الجهة الشرقية، فنزل بنقرين في 19 ماي 1871، غير أنه أخفق في الاستيلاء على تبسة، وعند نهاية الحرب بين بروسيا (ألمانيا)، وفرنسا رجعت القوات الفرنسية إلى الجزائر لقمع المقاومات الشعبية التي ظهرت بالبلاد، فأدرك محي الدين أن المقاومة غير مجدية[472]، فغادر البلاد فارا إلى سوريا في شهر جويلية 1871[473].

هكذا كانت وادي سوف تشارك في كل المقاومات السابقة بأشكال مختلفة، بالإضافة إلى أنها كانت الملجأ الآمن للمقاومين ليس الجزائريون فحسب، بل حتى المغاربة كالثائر الليبي غومة

---

[469] يحي بوعزيز : " ثورات بن ناصر بن شهرة (1850 – 1875) من أبطال المقاومة الشعبية بالجنوب "، **مدونة الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب**، الأغواط، 23 – 25 ماي 1998، ص 33.

[470] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص ص 30، 31.

[471] يحي بوعزيز : كفاح الجزائر، مرجع سابق، ص 275.

[472] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص 31.

[473] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 560.

المحمودي[474]، الذي انتهى صراعه مع الوالي علي باشا عام 1841 بالانهزام والتراجع إلى الجنوب[475]، فاحتضنته المنطقة، هذا لكونها تقدم الدعم للمقاومين. ذلك من خلال تمرير السلاح من ليبيا وتونس نحو المقاومات الشعبية بالجزائر، حتى أن السلطات التونسية شجعت اليهود على بيع السلاح لتجار وادي سوف[476] حسب ما أشارت إليه بعض التقارير للأيالة التونسية في تجارة السلاح، خاصة من قبل الشعانبة بوادي سوف[477]، غالبيتهم من قبيلة الشعانبة، ذات النشاط واسع في المتاجرة بالأسلحة، وتوفير الذخائر وجلبها من الجريد التونسي عبر وادي سوف، لتكون وقودا لمعارك المقاومة الشعبية[478].

وأمام هذا الوضع المتردي، الذي يشكل باستمرار قلق للسلطة الفرنسية. كان من الضروري على فرنسا إنشاء مراكز عسكرية بالإقليم للقضاء على كل محاولات التمرد المستمرة، وعدم التهاون في إحكام القبضة عليها، فأسس مركز بالدبيلة، وعيِّن الضابط "ديبورتي" (Deporter)[479] مشرفا عليه، فأقام علاقات اتصال مع مركز نقرين[480]، ثم تم تأسيس برج صغير للحراسة بقي ثابتا بالدبيلة،

---

[474] غومة المحمودي : ولد عام 1795، وينتمي إلى قبيلة المحاميد الذين موطنهم الزاوية وصرمان بليبيا، وهو ابن عون شيخ المحاميد، وبعد موت الشيخ عون خلفه ابنه غومة المحمودي عام 1831، وقد لجأ إلى وادي سوف لأنه كان معارضا ومحاربا لحكام الأسرة القرمانلية ببلاده، كما حارب بايات تونس من الأسرة الحسينية. – ينظر - عز الدين إسماعيل وآخرون : **غومة المحمودي فارس الصحراء**، دار العودة، بيروت، 1975، ص ص 65، 66.

[475] محمد امحمد الطوير : **مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب(1835 ــ 1858)**، منشورات مركز دراسة جهاد اللـــيبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ليبيا، 1988، ص.280. - عز الدين إسماعيل وآخرون : نفس المرجع، ص 66.

[476] Louis Rinn : op. cit, p 612.

[477] عبد الجليل التميمي : مرجع سابق، ص 29.

[478] يحي بوعزيز : " تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحابر جيش الاحتلال "، محاضرة، (مخ)، **الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر 1954**، الوادي، 19 – 20 مارس 1999، ص ص 2 – 4.

[479] ضابط بالمكتب العربي ببسكرة، كان على اتصال باستمرار بمصلحة الاستخبارات بالجريد. – ينظر علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 53.

[480] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 53.

واستمر إلى سنة 1887، رغم تراجع عدد أفراده حين ذاك[481]، لكن المعلوم هو أن الإدارة الفرنسية بدأت عملية استقـــــــــــــــــرارها تثـــبت بقـــــــــــــــــوة في الوادي عـــــــــــاصمة الإقـــــــــــليم منذ سنة 1882[482]. ويعـــد النقيب " آبال فرجاس" (Abel Farges) (1886 – 1887) ثاني حاكم عسكري لملحقة الوادي خلفا للضابط "جانين " (Janin) المثبّت للحامية الفرنسية بمركز الدبيلة في المحلات التي أعدت لها بالوادي قرب البناء الخاص بمكتب الشؤون الأهلية، في شكل ثكنة عسكرية بوسط المدينة مركز الإقليم[483].

3 –الاستيطان والسياسة الاستعمارية في وادي سوف :

الحديث عن الاستيطان يجرنا إلى تحديد طبيعة المنطقة، وسياسة التواجد الاستعماري لذلك. فإن طبيعة التواجد الاستعماري الفرنسي لم تختلف في وادي سوف عن غيرها من مناطق الجزائر الأخرى، غير أن المنطقة ذات طابع العسكري، لانتمائها للأقاليم الجنوبية ، وعلى هذا الأساس كانت مناطق الجنوب دوما عبارة عن قواعد عسكرية في شكل محميات تؤمن طرق المواصلات للقوافل التجارية بين الشمال والجنوب، ومع إفريقيا، لذلك فإن السياسة المتبعة، هي محاولة إبادة كل حركة تمردية قد يسعى لها السكان المسلمون الجزائريون، هذا عبر الفترات التاريخية المختلفة. ذلك راجع إلى قوة المحتل وقدراته العسكرية الضخمة، مع غياب القيادة الموحدة للمقاومات، واقتناع غالبية قادتها بعدم جدوى الكفاح المسلح، هذا كله جعل فرنسا تنتهج أساليب تنفيذ المراسيم والقوانين الصادرة التي أقرت بموجبها طبيعة السياسة التي ينبغي أن تسود.

ووادي سوف منذ العهد العثماني تعرف تمردا دائما، يجعل المنطقة غير منصاعة تماما، رغم محاولات قبائل المخزن تأديب السكان عند استخلاص الضرائب، أو الحملات التي كان يقوم بها سلاطين

---

[481] C. Couvet : op. cit, p 50.

[482] Gaid Zobidi Si Hocine : **Histoire succinct de l'administration du Souf dans les deux derniers siècles avant l'arrivée des Françaises**, 1952, A. D. M. El, El-oued.

[483] C. Couvet : op. cit, p 51.

تقرت الجلابيين لجباية الضرائب[484]، مع ذلك فإن شؤون وادي سوف كانت أكثر تنظيما من طرف الجماعة، التي يتم اختيار أفرادها من الشيوخ الأكثر حظوة، ومكانة لدى قبائلهم[485]، كما كانت تدار كل قرية من طرف كبير الوجهاء[486]، وعند حدوث أمر جلل، أو بروز قضايا هامة يلتقون في اجتماع في مدينة الوادي مركز الإقليم[487]، وبهذا يشكلون " **مجلس الوجهاء** "، الذي يطلق عليه بالميعاد ينظر في مختلف القضايا السياسية، أو القضائية كالخصومات بين القبائل[488]، وظل هذا النظام قائما إلى زمن الاحتلال الفرنسي للمنطقة، فاستبدل بنظام " القياد " و" الخلفاء "، وهو شبيه بما كان معمول به في العهد العثماني[489] في بعض الجوانب، ويختلف عليه في جوانب أخرى.

المبحث الثاني – التنظيم الإداري الفرنسي ومواقف سكان وادي سوف منه :

إن الملامح العامة للتنظيم الإداري لوادي سوف أملتها طبيعة التواجد الاستعماري بالجنوب، حينما استطاع المستعمر احتلال الزيبان بوابة الصحراء الشرقية اتضح الأمر جليا، وبرزت الصورة المكتملة للسياسة الاستيطانية، والتي تأكدت منذ تعيين المرشال بيجو سنة1841، فمنذ ذلك الحين صار لزاما على الساسة الفرنسيين التفكير في وضع مخطط يتم من خلاله رسم ملامح التنظيم الإداري الواجب إتباعه، حتى يضمن للمحتل تواجده في المنطقة، هذا لعدة اعتبارات كان من أهمها الامتداد الجغرافي الشاسع، مما صعب عملية السيطرة والتحكم من جهة، وكون وادي سوف إقليم من المناطق الحدودية مثيرة للقلاقل، وزعزعة الاستقرار الأمني في هذه المناطق الصحراوية، هذا بدوره فرض على

---

[484] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، ص 54.

[485] Gaid Zobidi : Si Hocine : op. cit.

[486] Le colonel Nollat : **L'Algérie en 1882**, Librairie Militaire, Paris, 1882, p 70.

[487] André Voisin : op. cit, p 93.

[488] Le colonel Nollat : op. cit, p 70.

[489] شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص ص 377 – 378.

السلطات الفرنسية أن تقر تنظيما إداريا استعماريا، زاوجت من خلاله بين النظام العسكري والإداري، والدعائي والتنصيري، وغيره[490]، مما جعل المنطقة جزءا هاما ضمن سياسة تثبيت ركائز الاحتلال الاستيطاني بكامل تراب الجزائر المستعمرة، وقد عرفت هذه السياسة التنظيمية أشكالا متعددة يمكن الوقوف عليها انطلاقا من الفترة الممتدة بين 1855 و1859، حيث أسندت السلطة الفرنسية النظام الإداري إلى أبناء البلاد باعتبارهم أكثر دراية بشؤون العرب والمسلمين. وكان من أهم المشرفين على هذا النوع من النظام الجنيرال ديفو الذي حقق بعض التطورات لصالح الإدارة الاستعمارية. ذلك من خلال مجموعة مراسلات، كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل والشيوخ، وشيوخ الزوايا من أجل استمالتهم ووضعهم في خدمة المصالح الفرنسية الاستعمارية[491]، التي تميزت في مجملها بالتناقضات من جهة وتلميع صورة الاحتلال دون إعطاء الاعتبار لمشاعر السكان المسلمين، مما فوّت على هذا الأخير الكثير من النجاحات، التي كان بإمكانه تحقيقها، ليواصل ديفو مشروعه الاستعماري، ويراسل سنة 1858 سكان وادي سوف، لكن هذه المرة يحاول التركيز على الجانب التجاري، حيث يسعى إلى إيهام السكان بضرورة الانصياع لفرنسا، وأن أي محاولة غير مرغوب فيها قد تعرض أصحابها للمتابعة، فكان ذلك تضييقا صريحا للتحركات التجارية، وربطها بالمحلات والمراكز التجارية الداخلية. وحتى تستطيع السلطة الاستعمارية المراهنة والتحكم في مصير هذه المناطق من الصحراء نجدها قد قامت بتقسيمها إلى عدة دوائر عسكرية[492]، وقد عرف النظام الإداري أثناء الاحتلال الفرنسي التقسيم الآتي :

أولا - نظام التسيير الموكل للسكان المسلمين :

---

[490] محمد السعيد قاصري : " السياسة الاستعمارية في الصحراء الجزائرية "، **مجلة دراسات أدبية وإنسانية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، العدد 01، قسنطينة، صفر 1425 / أفريل 2004، ص 48.

[491] محمد السعيد قاصري : نفس المرجع، ص ص 48، 49.

[492] عبد الحميد زوزو : **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1982، ص ص 190، 191.

عرف نظام التسيير الموكل للسكان المسلمين نظامين يمكن الوقوف عليهما من خلال ما سيأتي، غير أن ما ميّز هذا التسيير تفضيل نظام القياد على نظام الخلفاء والشيوخ، هذا نتيجة التغيرات الطارئة على السياسة العامة، التي ما لبثت تتغير من حين إلى آخر، لتثبت نظام القياد تثبيتا نهائيا. والذي أفصحت عنه إصلاحات 04 أفريل 1919[493] التي حاولت فرنسا من خلالها إيهام الرأي العام بأن الجزائر تمثل رقعة جغرافية من حقها التمتع بإصلاحات حقيقية ترفع من خلالها الغبن على السكان المسلمين مقارنة بما يتمتع به الكولون واليهود على السواء.

1 -نظام القياد والخلفاء (1854 – 1873) :

عمد هذا التنظيم على تكريس نوعين من المناصب قصد تخفيف حدة المسؤولية من ناحية، وضمان الولاءات من جهة أخرى، من خلال تقسيم الأعباء وتنويع الموالين قصد تقزيم القياد، وعدم تجميع الهيمنة لدى شخصية واحدة، مما يجعلها تفكر في تأليب السكان الواقعين تحت سلطتها ضد سلطات الاحتلال، هذا التنظيم المتبع هو كالآتي :

[493] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية(1900 – 1930)**، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 273.

ز- ***نظام القياد :*** اعتمـــــــــد هذا النظـــــــام منذ أن تم الإطاحة بالإمارة الجلابية بتقرت سنة 1854، فجاء هذا بديلا عن السلطان، حيث يعد فيه القايد ممثلا للسلطة الفرنسية على تقرت ووادي سوف، باعتباره يمثل همزة وصل بين الإدارة الفرنسية والسكان الجزائريين، وهو أشبه ما يكون منصب مدني لأن المواقع التي يتواجد فيها هذا النظام هي مناطق عسكرية، وعليه فهو يمثل السلطة الصورية لمعالجة وتنفيذ، وتلبية حاجيات السكان، وفقا للإمكانيات المتاحة. ذلك من خلال تواصل القايد مع شريحة واسعة من أعيان المنطقة وعلى رأسهم شيوخ الطرق الصوفية، وبعض الأعيان، بل حتى بعض الوجهاء من فئة السكان اليهود. هذا بدوره يمكّن القايد من لعب دور هام في الأوساط السكانية. وأمام هذا التناغم حاولت الإدارة الفرنسية تنصيب قياد من مناطق أخرى، لأن القياد الذين كانوا يعينون من السكان كانت مناطقهم تعرف حالة من الانسجام والتناغم. ومثال ذلك فترة تولي القايد محمد بن موسى المعروف بحم موسى قايد الأعشاش، حيث كان سكان قمار يتطلعون لقايد مثله فأنشد شاعر من قمار يتغنى بصفات هذا القايد لمواقفه النبيلة[494]، مقارنة بقايدهم في قمار الذي كان يعرف عنه الظلم والاستبداد تجاه السكان المسلمين الجزائريين.

ومن خلال ما سبق يتبين أن منصب القايد منصب إداري أكثر منه منصب ذو سلطة فاعلة. ذلك لكون القائد العسكري هو السلطة الفعلية الممثلة لفرنسا. أما القايد فيعد أداة تنظيمية الغاية منها تخفيف حدة التصادم التي يحاول القايد السعي لتحقيقها انطلاقا من الولاءات التي يعمل لأجل تكريسها على أرض الواقع انطلاقا من علاقاته الاجتماعية وفق شبكة العلاقات، حتى أنه في بعض الأحيان نجده يمثل أداة تأقلم للنفوذ الذي يكتسبه من خلال العلاقات. خاصة مع العائلات المرموقة، هذا ما مثلته عائلتي بن موسى بالأعشاش بالوادي المركزي، وعائلة زبيدي بكونين حتى أن بعض التقارير تحذر القادة العسكريين من قياد هاتين العائلتين لتواصلهما الحميمي مع السكان المسلمين الجزائريين[495]. وعلى هذا الأساس فسلطة القـــــــــــــــايد في غالب الأحيان سلطة هشة غير

[494] محمد الطاهر التليلي : فذلكة، ج 1، مصدر سابق، ص 456.

[495] A. O. M : 21 H 66.

موثـــــــــــــــــــــــوق بها، رغم ما قدمه بعضهم من ولاء فاق أحيانا حدة القادة العسكريين أنفسهم في التعامل مع بعض القضايا، وعلى هذا الأســـــــــــــــاس فإن القـــــــــايد لا يمكنـــــــــــــــــــه البت في الأمـــــــــــــور المصـــــــــــــــــيرية مـــــــــــــــــا عـــــــــــــــــدا الأمـــــــــــــور التوبيخية المتخذة في حق السكان المسلمين الجزائريين[496]. ومقر القايد في غالب الأحيان وقبل التواجد الرسمي بوادي سوف قبل 1882 كان تقـــــــــــــــــرت، وقد أبطل نظام القياد، وتحول القياد إلى خلفاء إلى عهد الاستقـــلال؛ أي منذ 1884[497] إلى 1962. يعاون القايد نـــــــــــــــــــواب يدعون بالخلفاء[498]. ومن أهم هؤلاء القياد :

القايد علي بن فرحات بن سعيد (1854 – 1871)، وهو من الصف المؤازر لبوعكاز، تولى المنصب على تقرت ووادي سوف منذ ديسمبر 1854، وكان مقر حكمه متنقلا بين تقرت ووادي سوف، وله خلفاء في وادي سوف ينصبون باتفاق مع السلطة الفرنسية[499]. وقد خلفه القايد العربي المملوك، وهو إيـــطالي الجنســـــية اعتنق الإســـلام، وسمي بالعـــربي الممـــلوك، حيث كـــان ضابـــــــطا بالجـــــــيش الفرنسي بفـــرقة الصبايحـــية. وكان يحـــسن اللغـــــــة العربية، مما أهله لهذا المنـــصب، فعـــــــــين قـــــايد على وادي ســـوف سنـــة 1872[500]، لكـــنه لم يدم في منصبه طويـــــلا لظلمـــه، وتهكمه على السكـــان المسلمين، فشـــكل بذلك أعـــــــــــداء كثـــــــــر، لذلك تصدى له أحد أعدائه الألداء، وهـــــــو "

---

[496] والمقصود به نظام الأهالي. - محفوظ قداش : **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ترجمة أحمد بن البار، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 32-34.

[497] Gaid Zobidi : Si Hocine : op. cit..

[498] علي غنابزية : مجتمع وادي سوف، مرجع سابق، ص 54.

[499] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 248.

[500] أبو القاسم سعد الله : " المترجمون الجزائريون "، مرجع سابق، ص 62.

حميد الجامعي " فقتله[501] سنة 1873[502]، وتولى من بعده محمد بن موسى المعروف بحم موسى[503] في 24 فيفري 1874 لمدة تسعة أشهر[504]، وقد كان ينافسه على منصب القايد أحمد بن التواتي[505]، ثم العابد بن محمد بن إدريس، حيث كان آغا على ورقلة منذ 1872، ولما نجح في القبض على بوشوشة كافأته فرنسا بتوليته أمر تقرت ووادي سوف[506] سنة 1874، وكان خليفته هو محمد بن تواتي، ودامت ولايته سنتين وأربعة أشهر[507]. وعند تعاظم الاحتجاجات ضده عزل وأبطل نظام القياد، وتحول القياد إلى خلفاء منذ 1884[508].

ج- ***نظام الخلفاء*** : نظام الخلفاء نظام شبيه إلى حد كبير بنظام القياد، غير أن الخليفة يخضع لسلطتين سلطة القائد العسكري، الذي يمثل السلطة الفرنسية مباشرة، والقايد. وهو بذلك منصب يأتي في الرتبة الثانية من حيث الوظائف المرموقة. كما أنه يوسع من رقعة الولاء للسلطة الفرنسية من خلال شبكة العلاقات. انطلاقا من عائلة الخليفة، وعلاقاته مع أعيان المنطقة التي يستخلف عنها، وبذلك تتوسع أدوات التواصل بين السكان الجزائريين، والفئات الممثلة للسلطة الفرنسية، رغم الطابع

---

[501] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 259.

[502] Gaid Zobidi : Si Hocine : op. cit.

[503] نيكو كليسترا : " تدهور التنظيم القبلي في سوف (القيادات القبلية والجهوية والفرنسية / والطرق الصوفية / والتجار والسياسيون)"، ترجمة أبو القاسم سعد الله، من كتاب **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج5، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1426هـ/2005م، ص 18.

[504] مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 12.

[505] نيكو كليسترا : المرجع السابق، ص 18.

[506] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 260.

[507] مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 12.

[508] Gaid Zobidi : Si Hocine : op. cit.

الاجتماعي الذي يبدو عنه الرفض المطلق للتواجد الاستعماري. أما الخلفاء الذين تولوا قبل 1884 فهم : سي مسعود بن محمد من عرش المصاعبة وبلقاسم بعرة[509].

2 - نظام الخلفاء والشيوخ (1854 – 1885م) :

إن بعد المناطق الجنوبية جعل السلطة الفرنسية تبحث عن أساليب أكثر نجاعة في إحكام قبضتها في تثبيت دعائمها خاصة بالجنوب الشرقي، هذا ما جعلها تتردد في تثبيت ملمح محدد للنظام بهذه المناطق النائية عن مراكز السلطة الفاعلة، فكان الخليفة هو الذي يخلف القايد على حكم وادي سوف عند غيابه في تقرت، أو بعد وفاة القايد، كخلافة محمد بن موسى (حم موسى) للقايد العربي المملوك عند وفاته، ومنذ 1871 كان هناك نظام الشيوخ، وهم ممثلو القبائل، ويتبعون مباشرة للخلفاء الذين بدورهم يأتمرون بأمر القياد، واستمر الحال إلى عام 1877 عندما تحول الشيوخ الثلاثة إلى خلفاء مستقلين مرتبطين مباشرة ببسكرة[510].

3 - نظام القياد منذ 1885 :

إن نظام القياد لم يغب طويلا عن الإقليم. ذلك منذ إنشاء ملحقة الوادي في جانفي 1885، فأصبح هؤلاء الخلفاء يتعاملون مباشرة مع السلطات الفرنسية بالملحقة، وتحولوا إلى قياد وهم :

1 – قايد الأعشاش. 2 – قايد المصاعبة. 3 – قايد الدبيلة والبهيمة. 4 – قايد قمار وغمرة. 5 – قايد أولاد سعود في كوينين وتحت حكمه سكان ورماس وتغزوت، وسيدي عون والزقم[511]، بالرغم من أن سكان سيدي عون ليسوا من أولاد سعود فهم أولاد سيدي عون بن المهلهل الطرودي[512]، ليظل نظام القياد سائدا

---

[509] مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 12.

[510] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، ص 55.

[511] André Voisin : op. cit, p 77.

[512] وهذا حسب ما جاء على لسان سيدي عون في رسالته لباي قسنطينة يقدم ولاءه له معترفا ومعرفا بنفسه من خلالها. –. ينظر علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، ص 58.

بالمنطقـــــــــــة، حيث كان أكثر نجـــــــــــاعة في تمكين المحتل، وإنجـــــــــــاح مخطـــــــــــطاته الاستعمـــــــــــــــارية. ودام نظـــــــــــام القياد حتى الاستقـــلال، لكن ما يلاحـــــظ على هـــــــــــؤلاء القيـــــــاد هـــــــو فقدانهم للـــــــــسيطرة الحقيقـــــــــــية نتيجة منـــــــــــــافسة الطـــــــــــــرق الصوفية لهم من جهـــــة، والإهمال الذي كانت تـــبديه الإدارة الاستعـــمارية تجاهـــهم[513] من ناحية أخرى، لكون البعض منهم لم يكن محل ثقة مطلقة[514].

ثانيا - تأسيس ملحقة الوادي :

إن أول نواة لحامية وادي سوف وضعت في الدبيلة، لتنقل إلى الوادي[515] سنة 1882، ويعد الضابط "بلاشير" (Blachére)[516] أول حاكم لملحقة الوادي[517]، وكانت الملحقة تابعة لبسكرة بموجب القرار الحكومي الصادر في 01 مارس 1885[518]، لكن عند إنشاء دائرة في تقرت بموجب قرار إداري في 01 جانفي 1893 حولت ملحقة الوادي، وصارت تابعة نهائيا لدائرة تقرت[519]. وقد شهدت المنطقة منذ 1893 تغيرات مستمرة في حكامها العسكريين الفرنسيين، وقد وصل عددهم خمسة حكام كان آخرهم (Commandant Cauvert) الذي تولى شؤون الملحقة سنة 1900[520]. فكان على القادة العسكريين استتباب الأمن، وتنظيم أمور السكان المسلمين الجزائريين، وضبط شؤونهم

---

[513] نيكو كليسترا : المرجع السابق، ص 29.

[514] A. O. M : .21 H 66, op. cit.

[515]. D. Escard : op. cit, p 33.

[516] ضابط في الجيش الفرنســـي برتبة ملازم، كان رئيسا للمكتب العربي بالدبيلة. – ينظر علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، ص 56. (هامش 3).

[517] C. Cauvet : op. cit, p 50.

[518] جستون كوفي : **غراسة النخيل في سوف مذكرات 1900 – 1901**، ط 1، ترجمة عبد القادر ميهي، إصدارات دار الثقافة، الوادي، 2013، ص 68.

[519] C. Cauvet : op. cit, p 51.

[520] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، ص 56.

الإدارية، لتسهل عملية مراقبتهم، وإنشاء المنشآت العمرانية والمرافق التي تساعدهم على التحكم في السكان، واستمالتهم لهم بالملحقة، لكن قانون 24 ديسمبر 1902 أدخل تغييرا في التقسيم الإداري بالجنوب، فصارت وادي سوف بموجبه تابعة لإقليم الصحراء[521]، كما صدر مرسوم خاص في 14 أوت 1905 يحدد صلاحيات الوالي العام، وينظم تسيير إدارة الأقاليم الجنوبية، حيث أبقى الإقرار على أن الجزء الجنوبي من البلاد منطقة ذات حـــــــــكم عسكري مقسمة إلى أربعة أقاليم هي :

1 – إقليم عين الصفرة.

2 – إقليم الواحات.

3 – إقليم غرداية.

4 – إقليم تقرت. ووادي سوف ملحقة بهذا الإقليم العسكري.

وبقرار صادر في 25 ماي 1923 تم إلغاء دائرة تقرت، لتصبح ملحقة الوادي مستقلة خاضعة مباشرة للحاكم العسكري في تقرت، وبقرار حكومي في 4 أفريل 1934 تم تحويل المنطقة الأهلية بالوادي إلى منطقة مختلطة بداية من 1 أفريل 1934[523]. أما عن تسيير المنطقة المختلطة للوادي، فيتم من طرف لجنة محلية مكونة من رئيس الملحقة كرئيس، في حين أن الأعضاء الآخرين فيتشكلون من الضابط المساعد الأول، وعضـــو فرنسي منتخب للجنة بالوادي وآخر في قـــمار، إضافة للقياد الخمس الذين يمـــثلون أعراش وادي سوف (الأعشاش، الدبيلة والبهيمة، قمار وغمرة، والشعانبة[524]

[521] André Voisin : op. cit, p 77.

[522] جمال قنان : **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1993، ص 148.

[523] A. N. A : Boite 371, dossier : **Rapport sur l'Annexe d'El-oued 1938**, p1.

[524] أدمج الشعانبة سنة 1934 مع عرش المصاعبة. – ينظر André Voisin : op. cit, p18.

والمصاعبة، أولاد سعود). والجدول الآتي يوضح قائمة بأسماء الحكّام الفرنسيين الذين تولوا على وادي سوف ابتدءا من 1881 إلى غاية 1947. كما جمعها الشيخ أحمد خرّاز كما يلي[525] :

جدول الحكام الذين ترأسوا ملحقة الوادي منذ 1881 حتى 1947 :

حاكم الملحقة	الفترة الزمنية	حاكم الملحقة	الفترة الزمنية
دوبرتيل (Debortel) (الدبيلة)	1881 – 1883	بيســـي (Bessie)	1902 – 1907
بلاشير (Balachire) (الوادي)	1883 – 1885[526]	ميطـــرة (Amitrh)	1907 – 1911
حبـــــا (Haba)	1885 – 1886	فـــورني (Forney)	1911 – 1914
فـــورج (forger)	1886 – 1887	بـــردريو (Prederao)	1914 – 1918
ريـــكو (Rico)	1887 - 1893	بـــــواز (Boaz)	1918 – 1919
نيجـــه (Najh)	1893 - 1894	مـــارس (Mars)	1919 – 1923
روبير (Robert)	1894[527]	بوالفليت (Bualflet)	1923 – 1931
ابريدار (Abredar)	1894 - 1897	مـــريو (Mrio)	1931 – 1937
كـــوفي (Kofi)	1900 - 1902		

المبحث الثالث ـ مواقف السكان تجاه الوضع السياسي بوادي سوف منذ استقرار الاحتلال حتى 1947 :

[525] السعيد ديـــــدي : **وادي ســـوف كنـــوز من الجـــزائر " نظرة عامة حول وادي سوف"**، ج1، (د.ط)، (د.ب)، (د.ت)، ص14.

[526] قبل 10 مارس 1885 لم تكن وادي سوف ملحقة، بل كانت حامية. ـ ينظر جستون كوفي : **غراسة**، مصدر سابق، ص 68.

[527] لم يدم تسييره للملحقة إلا لبضعة أشهر، ليستخلف بابريدار (Abredar).

السياسة الاستعمارية سياسة تعمل دوما على كسب رهانات الوقت قصد التمكن والتنفذ، لذلك كان المحتل حريصا على تنفيذ محاور السياسة الاستعمارية التي تقوم أساسا على نشر الثقافة الغربية في إطار التأثير على السكان، وجعلهم أداة طيعة لخدمة الإدارة. ذلك لا يمكن انجازه إلا على مستوى التعليم بنوعيه التربوي والمهني، قصد تكوين نشء يُستغل في تنفيذ المشروع التغريبي، ولو لم تكن هاته الفئة متحكمة بالثقافة الغربية. أما المحـــور الثاني فيتمثل في سيـــاسة تفكيك البنية الاجتمـــاعية. ذلك من خـــلال تنفيذ مبدأ فرق تسد، وقد استطاع المحتل أن يستغلال الطرق الصوفية، والعروش من خلال النعرات القبلية، والاتجاهات العصبيـــة باعتبار الانتماء إلى قبيلة أو العـــرش، مما يذكي روح الانقسامية، إضافة إلى اعتمـــاد سياسة التجويع والتجهل، وسياسة التضييـــق على السكان المسلمـــين، وتوسيع أنواع الضرائب تعويضـــا على سلب الأراضي الخصبة بالشمال، لكون المنطقة صحراوية، وليست سهبية، مما ساهم في بروز حـــــركة هجرة دائمـــة نحو الشـــرق، خاصة نحو تونس لارتباط العلاقات المتعددة والمتنوعة، خاصة الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، من خلال الحدود الجغرافية. لهذا كانت طبيعة المقاومة والتأقلم غير واضحة، فالمقاومة محدودة تبعا للإمكانيات الضعيفة. في حين التأقلم لا يمكن الحكم عليه بالإيجاب، أو السلب لمحدودية توافد المعمرين، حتى بعد الحرب العالمية الثانية، لكن مع هذه المحدودية نجد نوعا من التواصل، ولو بنسب مختلفة، كما كان للطرق الصوفية دور بارز في اتخاذ مواقف متعددة، ومتنوعة بين التنافر، والاصطدام، والمداهنة، بل حـــتى التعاون من أجل القضاء على أي تمرد، أو حـــركة مناوئة للمحتل، هذا ما ترك صورة قاتمة، لما تمثلـــه من استـــسلام، واستلاب للمقومـــات الحضـــارية، التي تنازلت عليها بعـــض الشخـــصيات، قصد إشباع رغبـــة مادية محدودة، بالمقابل إلى مواقف أخرى أكثر رفضـــا لأي شـــيء تقره الإدارة الاستعمـــارية، لذلك كان للطرق الصـــوفية دور هام في هذه المرحلة.

أولا - مواقف الطرق الصوفية بوادي سوف تجاه سياسة الاحتلال:

الطرق الصوفية بجميع اشكالها كانت طرفا فاعلا في التأثير على السكان بوادي سوف من منطلق مريديها وأتباعها. خاصة منذ أواخر القرن 19م، لاكتمال تشكلها على مسرح الوضع العام بالإقليم من ناحية، ومساهماتها في ارساء ملامح تناغم مع الوافد الجديد. ذلك منذ التواجد النهائي للمحتل بالمنطقة، رغم تباين المواقف السياسية من طريقة لأخرى، حيث تموقعت كل طريقة في جانب محايد، أو مقاوم، أو مهادن تارة، أو مساند تارة أخرى.

1 – مواقف الطريقة القادرية تجاه الإدارة الاستعمارية :

إن تواجد الطريقة القادرية بوادي سوف تمثل في زاوية الرباح وزاوية قمار، وقد جاءت هذه الأخيرة في إطار التنافس مع الزاوية التجانية في تلك الجهة[528]، إضافة إلى زاوية عميش (البياضة) التي قام الشيخ " محمد الهاشمي بن إبراهيم الشريف "[529] بالإشراف على شؤونها[530]، فاستطاع أن يكسب ودّ السكان، ويقيم له سلطة روحية على معظم أتباع الطريقة القادرية، كما أصبح محمد الهاشمي الشيخ المطاع بوادي سوف[531]، مما قلل من قيمة زاوية الرباح التي ما لبثت أن هادنت المحتل، وقد سعى الشيخ الهاشمي إلى فتح زوايا للطريقة القادرية، كلما سنحت له الفرصة، مثل : الزاوية القادرية بأولاد جلال ببسكرة[532]، وزاوية الاغواط[533].

---

[528] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ط 1، مرجع سابق،ص 51.

[529] الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف ولد بنفطة سنة 1853م – ينظر عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 320.

[530] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 51.

[531] حمزة بوكوشة : " الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف 1918م "، **محاضرة مرقونة**، ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة، بمناسبة الموسم الثقافي، أفريل 1987، ص 01.

[532] محمد نسيب : **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر دمشق، سوريا، (د – ت)، ص 219.

[533] محمد علي دبوز : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 3، المطبعة العربية، الجزائر، 1969، ص ص 254، 255.

واستمرت زاوية سيدي محمد الهاشمي القادرية[534] في نشاطها بوادي سوف، عملا بأفكار الشيخ نفسه، الذي حاول بدهائه وفطنته أن يحتل مكانة معتبرة لدى الحاكم الفرنسي لملحقة وادي سوف، والسلطات الفرنسية، كما ساهم في الكثير من النشاطات الداخلية والخارجية، منها نداءه إلى كافة إخوان طريقته في زاويتي تقرت وعميش، لمساندة فرنسا في الحرب العالمية الأولى، حيث جاء في هذا النداء «.....فلا نفرط في خدمة دولتنا الفرنسوية العزيزة ولا في إعانتها[535]...»، لكن الملاحظ على هذا النداء هو أن الشيخ محمد الهاشمي لم يكن وحده داعيا لنصرة فرنسا، بل كان مع مجموعة من شيوخ الزوايا، والطرق الصوفية بالمغرب العربي، كما جاء ذكر اسمه في قائمة من أرسل إليهم المنشور الأول للثورة العربية الكبرى لكافة أعيان شمال إفريقيا سنة 1916[536]. وانطلاقا من هذين الحدثين يتضح أن مكانة الشيخ كانت هامة، جعلت الضباط الفرنسيين بوادي سوف ينقسمون إلى فئتين : فئة تؤيد الزاوية التجانية المناوئة، لزاوية الشيخ محمد الهاشمي بالمنطقة، وفئة تؤيد الزاوية القادرية نفسها[537]، هذا كله من أجل محاولة إحداث التفرقة بين مريدي الطريقتين من جهة، وإرضاء السكان المسلمين من جهة ثانية باعتبارهم يولون اهتمامهم بالالتفاف حول شيوخ الطرق. تلك المواقف تعد مواءمة للإدارة الاستعمارية، للضرورة التي تلح عليها الظروف السائدة بالمنطقة حتى تستطيع الطريقة القادرية أن تحافظ على وجودها، وفقا للتوازن الذي تفرضه الحالة السائدة في ظل انتعاش الطريقة التجانية، هذا ما تؤكده العلاقة التي قامت بين الشيخ محمد الهاشمي، و" إيزابيل إيبرهارد " التي جاءت للتحقيق في قضية اغتيال الارستقراطي " المركيز دي موريس " (Marquis De Morris) الذي قتل

---

[534] صلاح مؤيد العقبي : **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، لبنان، 2002، ص ص 560، 561.

[535] **جريدة خالص صدق مسلمي إفريقيا لأم أوطانهم الأمة الفرنسوية**، جلالة مولاي يوسف سلطان المغرب الأقصى، حضرة محمد الناصر باي، الدين النصيحة، 5 محرم 1333هـ / 10 نوفمبر 1914م.

[536] سليمان موسى : " المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 7 – 8، تونس، جانفي 1977، ص 108.

[537] حمزة بوكوشة : " الشيخ الهاشمي الشريف "، ص 02.

من طرف الطوارق في المنطقة الحدودية لتونس، والجزائر وطرابلس (ليبيا)[538]. وقد اتهم الشيخ محمد الهاشمي في شخصه من خلال قيامه بعلاقة عشق جنسي بينه وبين إيزابيل، هذا ما يندرج ضمن التأقلم الذي أبدته الطريقة القادرية في مواقفها تجاه السلطة الاستعمارية، لكن هذه العلاقة الحميمية سرعان ما كانت تهتز من حين إلى آخر. ذلك مثل قضية مقتل إيزابيل. أما الزاوية القادرية بقيادة الشيخ "محمد الإمام بن إبراهيم الشريف" فكانت في انصياع تام للمحتل، هذا يعود في الأساس إلى شخصية محمد الإمام المهتزة، والضعيفة تجاه السياسة الاستعمارية، إضافة إلى انبهاره بقوة المستعمر، والتسليم بمقولة الاحتلال قضاء وقدر، لا يمكن التخلص منه إلا بمشيئة الله، فكان ذلك نوعا من التأقلم.

أما مقاومة الطريقة القادرية بقيادة الشيخ محمد الهاشمي الشريف، نجدها قد برزت من خلال الشعور القومي والإسلامي بالقضايا العربية والإسلامية، حيث كانت له مراسلات عديدة مع السيد "سليمان الباروني[539]"، وفق ما تصفه بعض الدراسات، التي تقر بالعلاقة القائمة بينهما، فقد ساهم الشيخ محمد الهاشمي في دعم مقاومة سليمان الباروني ضد التواجد الإيطالي، نتيجة مراسلات الأخير للشيخ مشيدا بدوره ومستنجدا به ماديا ومعنويا. أما التأييد المعنوي فهو الفاتحة والبركة الصوفية[540]، والتأييد المادي لم يعثر له عن دليل إثبات ضمن الرسائل المتبادلة بينهما غير أن بعض الروايات تقر بأن الشيخ محمد الهاشمي الشريف، قد أرسل إليه فرقة من المجاهدين ضمّت العشرات من خيرة شباب وادي سوف في حدود 1916، وقد تسترت هذه الفرقة بزي القوافل التجارية، حتى

---

[538] نيكو كليسترا : المرجع السابق، ص ص 25، 26.

[539]- سليمان الباروني : قائد الجهاد بليبيا ضد الغزو الايطالي قام بزيارة إلى الجزائر في افريل 1914م، وقد زار الكثير من المدن الجزائرية وتمّ استقباله بحرارة خاصة بمدينة غرداية. - ينظر: حسان الجيلاني: **ملحمة الشيخ الهاشمي الشريف (1853-1923)**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص32.

[540] أبو القاسم سعد الله : " سليمان الباروني أضواء وملاحظات "، **مجلة الثقافة**، العددان 110 – 111، الجزائر، سبتمبر – ديسمبر، 1995، ص ص 240، 241.

تستطيع الوصول إلى مبتغاها، وقد قدر عدد القافلة بـــــــــــــ 350 رجلا مجهزين ببنادق[541]، و لم يعودوا من ساحة الجهاد بليبيا الشقيقة، إلاّ بعد موافقة سليمان الباروني[542]، كما عارض منع الفرنسيين للتجارة مع غدامس التي كانت تخوض المقاومة ضد التواجد الاستعماري الإيطالي[543]، باعتبار أن فرنسا في حاجة ماسة لهذه البضائع من غيرها، وهو بهذا العمل يعارض سياسة التقنين المفروضة من أجل كسب ما أمكن من موارد وتوظيفها لصالح فرنسا وحلفائها، فكان ذلك العمل بمثابة تشويش لكسر مهابة السلطة الاستعمارية الفرنسية. ومن مواقفه أيضا أنّه انطلق من البياضة ليلتقي بوفد الطوارق الذي زوّدته فرنسا بالمال والسلاح، ليمهد لفرنسا الدخول لمنطقة الهقار، حيث اعترض الشيخ محمد الهاشمي الوفد بحدود تقرت، فكان ذلك حلقة تضاف للدور الذي قام به الشيخ لمجابهة الاستعمار الفرنسي، كما أعتبر طرفا مناوئا بامتياز لدى السلطات الفرنسية، هذا ما تقره التقارير العديدة المحذرة من شخصية الشيخ محمد الهاشمي الشريف[544].

وأمام هذه الأدوار التي لعبها الشيخ محمد الهاشمي زادت حالة التوتر بينه وبين الإدارة الفرنسية، خاصة بعد صدور قانون جويلية 1917، الذي أدخل فيه قانون التجنيد الإجباري حيز التنفيذ على السكان المسلمين بالجنوب[545]. وعلى إثر ذلك حاول الشيخ محمد الهاشمي الاتصال بالقائم بشؤون ملحقة الوادي الضابط " بواز " من أجل التراجع عن قرار تجنيد شباب وكهول المنطقة، لتعويض اليد العاملة التي استنفذت في ساحات المعارك خلال الحرب العالمية الأولى محذرا إياه مغبّة الصنيع،

---

[541] احميدة عمراوي : **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، دار للهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، (د. ت)، ص 39. في حين يذكر الأستاذ محمد السعيد عقيب أن القافلة تألفت من 160 مجاهدا. هذا حسب التصريح الذي أقره السيد ليمام الشريف للأستاذ. – ينظر : محمد السعيد عقيب : " أضواء على مشاركة أهل سوف في المقاومة الشعبية للاحتلال الإيطالي بليبيا "، **مجلة العهد الثقافي**، العدد 2، السنة الثانية، معهد العلوم القانونية والإدارية، المركز الجامعي بالوادي، الوادي، جمادي الأولى 1426هـــ/جوان 2005م، ص 70. (الهامش 18.)

[542] علي بوصبيع العايش: " الشيخ عبد العزيز المصلح الثائر "، **الندوة الفكرية السادسة، محمد الأمين العمودي**، 29 - 30 أفريل و01 ماي، دار الثقافة، الوادي، ص33.

[543] نيكو كليسترا : المرجع السابق، ص 28.

[544] A. O. M : 16 H 42.

[545] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 321.

الذي سيقّدم عليه منذرا باعتداءات السكان المسلمين على الملحقة إذا ما نفذ هذا القرار في حقهم، فكان رد الحاكم بواز بأن الدولة الفرنسية مهابة الشأن، وقادرة على حماية رعاياها وحدودها[546]. لكن الشيخ محمد الهاشمي لم ييئس في محاولة إرغام الحاكم بالعدول عن هذا الأمر فراح يوعز إلى مقاديمه بالقيام بمظاهرة شعبية تنطلق من عميش ليلا صوب مقر الحاكم، فما كان على المقاديم إلا العمل بما أمرهم به الشيخ محمد الهاشمي، وفي يوم 15 نوفمبر 1918 خرج السكان المسلمون ليلا محدثين ضجيجا وصياحا مع إطلاق البارود والرصاص انطلاقا من البياضة التي كانت مقر انطلاق لكل قرى عميش، لذلك عرفت هذه الحادثة بهدة[547] عميش، مما أزعج الحامية الفرنسية بالوادي، وجعل الحاكم بواز يتجه صوب منزل الشيخ محمد الهاشمي بزاويته بعميش من أجل طلب تهدئة السكان المسلمين، لكن الشيخ أنكر معرفته للأمر دون أن يرفض التدخل مقابل وضع شروط تقدم للحكومة الفرنسية من قبل السلطات العسكرية الحاكمة بوادي سوف[548]، بالإضافة إلى صمود السكان المسلمين وتمسكهم بمطالبهم المتمثلة في إطلاق المجندين، وبالفعل استطاع الشيخ محمد الهاشمي إقناع السكان المسلمين بالتراجع، وعدم الاستمرار في التظاهر، لكن الشيخ لم يسلم من الوشاة الذين جاءوا إلى الحاكم صبيحة يوم 16 نوفمبر 1918 يثبتون له تورط الشيخ محمد الهاشمي في المظاهرة، والتأكيد على أنه المحرض لها، فاستدعي الشيخ إلى تقرت، حيث الدائرة عن طريق بواز حاكم الملحقة بوادي سوف، فاعتذر الشيخ عن الحضور لأن الاستدعاء وافق الأيام الأولى من شهر ربيع الأول، والشيخ محمد الشريف من عادته يشرف على إقامة احتفالات المولد النبوي بزاويته، هذا ما جعل حاكم الملحقة بوادي سوف يبلغ حاكم الدائرة بتقرت بتأخر الشيخ محمد الهاشمي عن الالتحاق به، فكان لهذا التأخر معنا لدى الشيخ حتى يستطيع جسّ نبض السلطات الاستعمارية، فهي غير مستعدة لأحداث حالة توتر أخرى، كون الشيخ ذو أتباع كثر بوادي ريغ وورقلة، وغيرها

---

[546] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص ص 02 – 05.

[547] هدة : وهي صوت شديد يسمع من سقوط ركن أو جدار. وهذا يتماشى مع اللهجة المحلية لاعتبار كونها حدث مفاجئ لم يدبر سابقا. – ينظر ابن منضور : **لسان العرب**، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، مج3، (د. ط)، دار لسان العرب، لبنان، (د- ت)، ص885.

[548] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 321 – 322. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 222.

من أرجاء البلاد، وبعد سفر الشيخ محمد الهاشمي الشريف إلى تقرت بيوم استقدمت فرنسا الجنود الزنوج "الهجانة[549]" من أجل دعم حاميتها استعدادا لكل طارئ قد يقع مع حشر أتباع الشيخ من مقاديم وشواش في بطحاء وهي ساحة دودي[550] دون غطاء أو فراش تحيط بهم أسلاك شائكة في ليالي الشتاء[551]، فكانت تلك الهدة بمثابة وقود أيقض في نفوس الكثير الكره الدفين للإدارة الاستعمارية تعبيرا عن مواقفهم المعادية لهذه السياسة الاستعمارية.

فكانت هذه المواقف المختلفة عامل إثارة السكان المسلمين ضد الإدارة الاستعمارية، في مقابل ذلك نجد البعض من شيوخ المساجد يحاولون إيهام المصلين بضرورة احترام الأمن والهدوء، بل حتى الدعوة للسلطة الفرنسية بالتوفيق والسداد، جراء الخوف على أنفسهم من أن يطولهم طائل قد يعكر صفو حياتهم العادية، التي تنم عن رخاء نسبي لحصولهم على أجر ثابت، الذي يمثل عامل ارتقاء يجعل من هؤلاء يكتسبون مكانة اجتماعية مرموقة نسبيا بالمقارنة مع باقي السكان المسلمين، كما كان هناك من يدعو بالتوفيق للسلطان العثماني في غالبية المساجد والزوايا، باستثناء زاوية سي محمد العروسي التجانية[552]، لكن بمجرد وصول الشيخ محمد الهاشمي إلى تقرت أبلغ انه مستدعى من الولاية العامة بالجزائر، فاستنطق وألزم بالإقامة الجبرية بالجزائر لمدة سنة مع منعه من دخول التراب العسكري بعد انقضاء مدة الإقامة الجبرية، ليظل الشيخ محمد الهاشمي يتردد بين عين البيضاء، وسكيكدة، وبسكرة، وبعد عامين استطاع العودة إلى تراب وادي سوف في شهر جويلية 1920، متخذا الصمت والحياد أسلوبا في حياته، مع محاولة إزاحة كل أسباب النزاع بين الطريقتين القادرية

[549] وهم من أصول سنغالية. – ينظر محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 1، مرجع سابق، 113.

[550] وهي الساحة التي أقيم عليها مقام الشهيد حاليا بالوادي.

[551] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص ص 05، 06.

[552] L'Annexe d'El-oued : **Rapport Nommé Classe Dirigeante**, SD, dans A. D. M. El, SD, El-Oued, p 4.

والتجانية[553]، لكنه قبيل وفاته أوصى أولاده بربط علاقتهم بالتجانيين، ومحاولة نبذ كل معالم النزاع معهم، لتتوفاه المنية يوم 23 سبتمبر 1923[554].

وبعد وفاة الشيخ محمد الهاشمي وقع الاختيار على الشيخ الشاب " عبد العزيز الشريف" الابن الثالث له لكونه الحاصل على شهادة التطويع، غير أن هذا الأخير تخلى عن المنصب لصالح أخيه الأكبر " عبد الرزاق الشريف "[555] الذي لم يعمر طويلا في المنصب نتيجة حالته الصحية المتدهورة، و لم تدم خلافته على الزاوية إلا ستة أشهر[556]. فما كان على الشيخ عبد العزيز الشريف الذي لم يتجاوز سن الخامسة والعشرين من عمره إلا القبول بأمر الواقع، والامتثال إلى حقيقة توليه رئاسة الزاوية، غير أن ثقافة عبد العزيز وطبيعته جعلته يصرح برغبته في التخلي عن مشيخة الزاوية[557]. فكان دور الطريقة القادرية دورا فاعلا باعتباره استمرارية لمناهضة الاستعمار بشتى الوسائل، لكن هذا لا ينفي بعض المواقف التي كانت الزاوية القادرية تبديها للإدارة الاستعمارية في إطار النكاية بالطريقة التجانية، التي لم تنته إلا عندما أصيب الشيخ محمد الهاشمي الشريف بالمرض الذي أقعده الفراش إلى أن توفته المنية سنة 1923، هذا ما تؤكده الوصية التي تقر نهاية هذا الخصام.

2 – *مواقف الطريقة التجانية تجاه السياسة الاستعمارية :*

إن الطريقة التيجانية لوحظ عليها عدم الاكتراث للوضع، مما جعلها تنحاز لملمح التأييد للسياسة الاستعمارية، هو الصورة الغالبة على السواد الأعظم لمريديها. ذلك من خلال المواقف الأولى التي أبدتها الطريقة التجانية تجاه اسقاط السلطة التركية بالجزائر، واعتبار الوجود الفرنسي قضاء وقدرا. أما المواقف الرسمية المؤكدة على هذا التأقلم السلبي، الذي فرضته الظروف، التي كان يراها شيوخ

---

[553] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 322. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**.، ص 222.

[554] عمار هلال : نفس المرجع، ص 323.

[555] نفسه، ص 322. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**.، المرجع السابق، ص 223.

[556] عاشوري قمعون : المرجع السابق، ص 79.

[557] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، المرجع السابق، ص 324. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، المرجع السابق ص 223.

الطريقة نتيجة التجربة، التي خاضتها الطريقة التجانية ضد الحكام الأتراك، وفشل المقاومات الشعبية الذريع، الذي لم يترك أدنى شك في كون السلطة الفرنسية قوة لا تقهر، إلا بخارقة أو معجزة إلهية، ومن هنا يمكن الوقوف على هذا الملمح من خلال دور الشيخ " محمد العروسي التجاني " المكنى بسيدي حم العروسي الذي تولى منصب مقدم في عهد والده بزاوية قمار، حيث كان الشيخ محمد العروسي دبلوماسيا ماهرا مهتما بأتباعه وغيرهم، مما اكسبه ثقة، وأصبحت كلمته مسموعة في وادي سوف وخارجها[558]. خاصة في منطقتي الهقار وغدامس اللتين انتشرت بهما الطريقة التجانية، وعلى إثرها استطاع تمتين الصلات مع أهلهما، واستغل ذلك في مساعدة البعثات الفرنسية، هذا ما جاء في رسالة الجنرال " فورو "[559] (Foro) إلى الشيخ محمد العروسي بتاريخ 12 جوان 1895 يطلب منه إخبار الطوارق عن غزو جيش بوعمامة لهم[560]، كما اعتمد عليه الضابط " بيجار " (Béjart) رئيس ملحقة وادي سوف، لتسهيل وتذليل عقبات الصحراء للمستكشفين، وقد ساهم في تسهيل مهمة بعثة " لامي " (Lamy) خلال سنتي 1898 - 1899[561]، فكان مقابل هذا الجهد يتلقى باستمرار رسائل الشكر والتقدير من السلطات الفرنسية العليا، مما يبقي الباب مفتوحا أمام التأويلات العديدة، مع أننا يمكن أن نعذر الشيخ على ما قام به لإدراكه بعدم جدوى المقاومة المباشرة، والحفاظ على المكتسبات، ولو كانت محدودة، لأن الحفاظ على استمرارية نشاط الزاوية يساهم في الإبقاء عليها والتصدي لكل عارض من العوارض، خاصة منافسيها من الطرق الصوفية الأخرى، وعلى رأسهم الطريقة القادرية بزعامة الشيخ محمد الهاشمي الشريف.

أما الشيوخ الذين استخلفوا الشيخ محمد العروسي فهم أقل مهابة وشأنا، هذا للضعف الكامن في شخصياتهم، مما أفقدهم هيمنتهم السياسية. انطلاقا من بروز ملامح سياسية جديدة. ذلك منذ الثلاثينات حينما صارت المبادرة السياسية في أيدي الوطنيين الجزائريين والمشكلين من فئات عديدة

---

[558]. Gouvion (Marthe et Edmond) : Op cit; p 62

[559] فورو : مكتشف فرنسي يحسن العربية ويتظاهر بأنه من إخوان الطريقة التجانية.

[560] أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1986، ص 395.

[561] Gouvion (Marthe et Edmond) : op. cit, p 62.

من المجتمع الجزائري، هذا ما جعل بعض الشخصيات البارزة في الطريقة ترفض سياسة الخضوع والخنوع. خاصة لبعد الأحداث التي تسببت فيها جمعية العلماء المسلمين أفريل 1938، فكان بعض المقـــــــــاديم يقـــــــــتنون صحـــــــــف الجمـــــــــعية بسرية تامة[562]، رغم وجود متحاملين على المصلحين، مما يجعل الطريقة التجانية غير مسؤولة مسؤولية مباشرة.

3 – مواقف الطريقة العزوزية الرحمانية تجاه الاحتلال :

إن الطريقة العزوزية الرحمانية كانت في نهاية القرن 19م أكثر الطرق انتشارا في وادي سوف، وهي أخف الطرق الصوفية حدة في الضغط على مريديها، هذا ما ترك الباب مفتوحا أمام الكثير من الذين لا يحرصون كثيرا على إبداء تأييدهم لشيوخهم، إضافة إلى الخلاف على الزعامة بين أفراد العائلة السالمية جعلها منشغلة بنفسها، كما أن الطريقة الرحمانية قد خاضت مقاومة شرسة ضد فرنسا منذ تواجدها بالجزائر. وهو ما كان كافيا لإقناع مريدي الطريقة بعدم جدوى الاستمرار في التصادم مع السلطة الاستعمارية. وأمام هذا الوضع وجدت الطريقة الرحمانية نفسها في منأى عن الصراعات، وغيابها التام على مسرح الأحداث السياسية. ومن هنا وجدت الطريقة نفسها بوادي سوف أمام خيار محدد هو النأي عن ساحة الصراع السياسي، كما أن قايد الأعشاش كان يكن الولاء غير المحدود لهذه الطريقة. ذلك للتجاور في المكان، حيث يعد مسجد الزاوية وكتّابها هو نفسه المسجد، والكتّاب الذي يتردد عليه القايد وأبناء عائلته من جهة، بالإضافة إلى المصاهرة القائمة بين عائلة قايد الأعشاش وعائلة سيدي سالم المؤسس الأول للزاوية، هذا أيضا جعل الطريقة تبتعد عن ممارسة النشاط السياسي.

4 – مواقف الطرق الفرعية :

إن مواقف الطرق الصوفية الفرعية تجاه السياسة الاستعمارية لم تكن واضحة، هذا يعود في الأساس إلى انحصار أتباعها، واضمحلال تعاليمها وأورادها، حتى أن البعض منها لم يبق لها سوى بعض

[562] **حوار** مع الشيخ أحمد الخراز يوم 30 صفر 1429هـ/10 مارس 2008 ببيته الكائن بحي المصاعبة الوادي.

الأعمال التي تحولت بمرور الوقت إلى أعمال فلكلورية كعرس[563] بابا مرزوق الذي يقام ليلة أول اثنين ومساء الاثنين نفسه من بعد الظهر من فصل الربيع من كل سنة. ومن هنا يتضح أن هذه الطرق لا تستطيع في أي حال أن يصدر منها أي موقف تجاه المحتل.

ثانيا - الأوضاع السياسية بوادي سوف منذ مطلع القرن 20م حتى سنة 1939 :

الوضع العام بوادي سوف خلال مطلع القرن 20م لم يختلف عن الوضع السائد بالجزائر خلال هذه الفترة، حيث كانت الجزائر تحيا حالة سياسية غير مستقرة نتيجة التوترات والأحداث المضطربة. وقد اكتملت سلطة المعمرين أكثر بصدور قانون19 ديسمبر 1900،حيث طبق نظام الحكم الذاتي في الجزائر،من خلال إعطاء صلاحيات واسعة للحاكم العام،إلا أن وجوده واستمراره كان متوقف عن إتباع سياسة ترضي المعمرين الكولون. والعمل على الاستفادة من القدرات البشرية الجزائرية في تدعيم المجهود الحربي الفرنسي في الحرب العالمية الأولى،من خلال إصدار مرسومي31 جانفي و3 فيفري 1912[564]، والمتضمنين إجبارية تجنيد الشبان الجزائريين الذين تتراوح أعمارهم مابين 19 و20 سنة، لم يمنحوا حقوقهم السياسية، التي تصاحب عادة أداء الواجب العسكري، زيادة على ذلك نجد أن السلطة الاستعمارية دخلت في صراع مع الكثير من مناطق البلاد المترامية، كتعويض ضريبي عن مطالبة السكان المسلمين بتنفيذ الوعود، التي قضتها فرنسا على نفسها، فكان ذلك بمثابة

---

[563] وهو عرس سنوي يعد له الوصفان العدة من خلال جمع بعض المساعدات. ذلك بالحصول على تيس أسود وعد به شخص، أو يقتنى وتضع على ظهره قطعة قماش خضراء اللون مشففة بدبلة حمراء وبيضاء، مربوطة بخيط على بطنه ويدار به أحياء كثيرة من ربوع مناطق وادي سوف. يرافقه أشخاص يحمل أحدهم، أو أثنين على الكثير "بنقة"؛ وهي اداة اقاع غالبا ما تجلب من تونس، وآخر يحمل أو أخرون قد يصل عددهم الثلاثة على الأكثر زوج من " الشكشاكة "؛ وهي آداة حديدية أو نحاسية تمسك باليد عن طريق خيط يمر بالجزئين، فيحركها الأصابع ، فتحدث صوت شك شك فأطلق عليها بالشكشاكة، تجلب من تونس.

[564] محفوظ قداش : تاريخ الحركة الوطنية، ج 1، ص 34.

الصفعة، التي جعلت الكثير من أبناء الجزائر المحتل يسعون جاهدين لتغيير أساليب التعامل مع هذه الإدارة الاستعمارية، لذلك بدأ التفكير الجاد في إيجاد سبل أكثر جدية، حيث فكر الأمير خالد في صياغة عريضة توجه إلى " ويلسن "من خلال الدعوة لعقد اجتماع سنة 1919 بالجزائر[565]، فكان ذلك دافعا لتغيير مجريات الأحداث التي بينت ضرورة السعي لإيجاد إطار سياسي، يكون قادرا على تمثيل السكان المسلمين الجزائريين، فكانت فكرة الإحجام عن المقاومة، والإقدام على المقاومة السياسية قصد ربح الوقت من جهة، وعدم الزج بالمزيد من المقاومين إلى حافة الموت، فكانت نهاية الحرب العالمية الأولى منطلق تغيير لوسائل المقاومة التي اعتمدت أسلوب المطالبة.

1 -*أصداء الحركة الوطنية* بوادي سوف :

إن الوضع السياسي بوادي سوف خلال نهاية الحرب العالمية الأولى؛ أي منذ سنة 1919 لم يختلف عن الوضع العام بالجزائر، والذي تميز ببروز ملامح سياسية ساهمت في بلورة وضع أكثر تأزما، رغم الانفراج النسبي. ذلك انطلاقا من القيام بإصدار بعض القوانين والإصلاحات الإغرائية لامتصاص غضب السكان الجزائريين من السياسة العنصرية المطبقة حيالهم، فبدأ بقانون الإصلاحات الصادر في 04 فيفري 1919، الذي يحدد الوضعية القانونية للمسلمين الجزائريين لغاية 1947[566]، كما تضمن منح حق التصويت والانتخاب لبعض السكان الجزائريين، مما أحدث تباينا في وسط المجتمع الجزائري، وهؤلاء كانوا من الفئة المساندة للإدارة الاستعمارية، وقد مثلت في فئة " بني وي وي "؛ أي الفئة التي لا تقول لفرنسا لا، مهما كان الأمر، ومنحها بعض الامتيازات التي يتمتع بها كل شخص يحمل الجنسية الفرنسية، ولكن ذلك بشروط لا بد لهذه الكتلة أن تتخضع لها :

- أن لا يقل سن أي مصوت عن25سنة.

- أن يكون أعزبا أو متزوجا من امرأة واحدة.

---

[565] محفوظ قداش : نفس المرجع، ج 1، ص 132.

[566] نفسه، ص 41.

- أن لا يكون قد ارتكب مخالفة، أو قام بعمل معاديا لفرنسا.

- أن يكون قد خدم في الجيش الفرنسي.

- أن يأتي بشهادة حسن السلوك.

- أن يعرف القراءة والكتابة بالفرنسية.

- أن يملك أرضا أو عمارة أو مسجلا يدفع الضرائب.

- إذا كان شخصا لديه وسام شرف فرنسي،أو عنده منحة تقاعد، أو حاملا للشهادة الأهلية، أو دبلوم أعلى[567].

يتضح من خلال هذه الشروط التعجيزية أن فرنسا قد انتهجت بهذه الإصلاحات الوهمية سياسة ذر الرماد في العيون، ولتجاوز الضغوط الداخلية والخارجية، نجد الشيخ إبراهيم بن عامر الذي كان يجمع أتباعه بعد كل صلاة عشاء في منزل له بحي أولاد احمد أُتخذ ناديا، وكان الشيخ ذا كرم لا تخلو جلسة من هذه الجلسات من الإكراميات، وبعض ما جاد عليه، ليمتد اللقاء إلى نصف الليل، فيُذكر الشيخ الجماعة بأهم الأحداث والمجريات السياسية المحلية والإقليمية والعالمية مثل : حرب تركيا في بلاد البلقان، ومقاومة المجاهدين الليبيين بطرابلس ضد الطليان، والهجوم الفرنسي على المغرب الأقصى[568]، إضافة إلى حركة الأمير خالد من خلال توسيع نشاطها عن طريق الصحافة المكتوبة، وخصوصا جريدته " **الإقدام**[569] "، التي صدرت باللغتين الفرنسية والعربية، التي عدت من أشد الصحف تجاه التشهير بالسياسة الاستعمارية، وقد بدأت في الصدور منذ 1919، واستمرت

---

[567] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية**،ج2، المرجع السابق، ص ص 273-278. - عمار بوحوش : **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962** ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص ص 216 - 218.

[568] علي غنابزية : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر مؤرخ الصحراء وسوف "، مرجع سابق.

[569] الإقدام جريدة تأسست 10 سبتمبر 1920. كان خالد رئيس تحرير النسخة العربية. وأصبح في العام الموالي المدير السياسي ورئيس تحرير الجريدة. – ينظر محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، مرجع سابق، ج 1، ص 155. (هامش رقم 102.).

حتى سنة 1923، حيث كان لكثير من أبناء المنطقة دور في تنشيطها من خلال المشاركات النثرية والشعرية. ذلك من خلال قصيدة للشيخ محمد السائح اللقاني، حينما كان يدرِّس بالزاوية التجانية بعنوان " إلى الشعب الجزائري " في عددها الصادر في 26 جمادي الثانية 1341ه[570]. وبالوقوف عند هذه القصيدة، والصدى الذي لقيته محليا وعربيا، وإسلاميا يدل على قدرة الرجل على العطاء من جهة، وتواصل وادي سوف مع غيرها من أرجاء العالم الإسلامي من جهة أخرى، لكن الشيخ طاله الكثير من ظلم الطرقية، والسلطة الاستعمارية أجبره على مغادرة قمار إلى تونس[571].

إن صدى حزب نجم شمال إفريقيا[572] لم يكن ذو تأثير بالغ لدى غالبية الشعب، بخلاف النخبة السياسية في الساحة الجزائرية، لكونه حزب تأسس في الخارج في المتروبول، وهو يسعى إلى الدفاع عن حقوق العمال المغاربة، لذلك كان صداه غير مؤثر لدى سكان وادي سوف باعتباره إقليم طرفي، لكن ذلك لم يمنع من وصول أصداء النجم، ومن هنا فإن تواجد النجم بالإقليم لم يكن ممثلا بأشخاص بعينهم، وإنما الشعور لدى الكثير من عناصر النخبة، الذين يجدون في مثل هذه المواقف متنفسا للتعبير على العداء ضد الاحتلال الفرنسي[573].

أما تمثيل حزب الشعب الجزائـــري، فهـــو الآخر لم يبرز نتيجة الأوضاع التي كانت سائدة، خاصة أمام الزخم، الذي كانت تحدثه جمعيـــة العلماء المسلمين الجزائريين، لكن ذلك لم يمنع من وصول أصداء الحزب اباعتباره الوريث الشرعي للنجـــم. ذلك من خلال الصحـــــــافة المكتوبـــــــة والمتمثلة في جـــريدة " **الأمة** " التي كانت لسان حال الحزب، ومن هنا يتأكد أن حضور الحركـــــة الوطنيـــة كان ظاهرا باعتبار الحيوية، التي يتميز بها سكان الإقليم من خلال النشاط التجاري والهجرة الداخلية، كل ذلك ساهم في تقريب التصورات التي كانت تسعى لتكريسها الحركة الوطنية بمختلف اطيافها، حتى الحـــــــــــــــزب

---

[570] نفسه، ص 36 (هامش 1).

[571] محمد الطاهر التليلي : **منظومات**، ص 08.

[572] للنظر في خلفيات تأسيس النجم ينظر : محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 1، مرجع سابق، ص ص 234 – 254.

[573] **حوار** مع السيد محمد باي، مرجع سابق.

الشـــــــــــــــيوعي الذي وجـــــــــــــــد له تمثـــــــــــــــيلا بـــــــــــــــارزا مـــــــــــــــن خـــــــــــــــلال المشـــــــــــــــاركة، التي قـــــــــــــــام بهـــــــــــــــا التـــــــجار الذيـــــن كانوا يتخذون مـــــــــــــــن بطـــــــاقات الاشـــتراك بالحزب، بطـــاقات مرور عـــــــــــــــند نـــــــــــــــقاط المراقبة[574].

2 – *ظهور ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف* :

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931 بنادي الترقي بالعاصمة بحضور اثنان وسبعون (72) عضوا صادقوا على القانون الأساسي للجمعية[575]، وكان هدفها الإصلاح الديني، ونشـــــــــــــــر التعليم وفتح المدارس[576]، وقد شاركت المنطقة في المؤتمر التأســـــــــــــــيسي بحضـــــــــــــــور عـــــــــــــــدد من الشخـــــــــــــــصيات منهم :

---

[574] **حوار** مع السيد عبد الرحمان سالمي بزاوية سيدي سالم، صبيحة يوم 10 مارس 2007، وهو من مواليد الثلاثينات من القرن 20م.

[575] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية (1930 – 1945)**، ج 3، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 81 – 102. Ahmed Sarri : **L'Association des Ulama musulmans Algériens et l'administration française en Algérie de 1931 à 1956**, Doctorat de l'Université de Provence, Aix - Marseille I, 1990, p p 40 -69.

[576] La défense : 16 Mars 1934 – ينظر محفوظ قداش : تاريخ الحركة، ج 1، ص ص 439، 440.

الأمين[577] العمودي[578]، عمار بن الأزعر[579]، حمزة بوكوشة[580]، رغم الوضع السياسي الصعب، الذي كانت تعيشه المنطقة بسبب خضوعها للحكم العسكري، إلا أن أفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجدت صداها بعد عودة طلاب المنطقة من جامع الزيتونة ابتداء من سنة 1933[581]، علما أن الأفكار الإصلاحية بدأت في وقت مبكر بقمار بسبب تواجد الطرق الصوفية، وانتشار بعض البدع، ومن رواد الإصلاح عمار بن الأزعر[582]، وبتوسع حركة الإصلاح بالمنطقة تشكلت شعبة لجمعية العلماء من : عمار بن الأزعر، حمزة بوكوشة، عبد الكامل بن عبد الله النجعي، الهاشمي دراجي، الهاشمي بن حميدة (حسيني)[583]. وأول من مثل جمعية العلماء بالوادي هو عبد الكامل النجعي وهو تاجر[584].

تأسست أول شعبة بالوادي في شهر مارس 1937[585]، وكان نشاطها بوادي سوف يعتمد على مجهودات الأفراد دون الاعتماد على النوادي، أو مقرات ذات صبغة قانونية[586]. بل كان محل السيد

---

[577] يعد من بين الشبان المثقفين المؤمنين بقضية الإصلاح وكانت بدايته الصحافية في بسكرة مع جريدتي " **صدى الصحراء** " و"**الاصلاح**" ثم انتقل للإقامة في مدينة الجزائر. – ينظر محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 1، المرجع السابق، ص ص 286، 287.

[578] ولد سنة 1890 بالوادي أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، وأول أمين عام لها، وهو أديب صحفي، توفي سنة1957، **ينظر:** محمد الأخضر عبد القادر السايحي: **محمد الأمين العمودي الشخصية متعددة الجوانب**، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص ص 25-27.

[579] ولد سنة 1898 بالوادي أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين وأول ناشر للفكر الإصلاحي بمنطقة سوف توفي سنة 1968، **ينظر:** علي غنابزية: "الحركة العلمية بوادي سوف منذ القرن السادس هجري وآثارها الفكرية المدونة"، **وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2008، ص96.

[580] ولد عام 1907 بالوادي، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، وهو أديب، وصحفي، وشاعر، وباحث في الفكر والتاريخ، توفي عام 1994. - **ينظر** علي غنابزية : المقال نفسه، ص95.

[581] أحمد صاري : **شخصيات**، مرجع سابق، ص47.

[582] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، مرجع سابق، ص174.

[583] موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف**، المرجع سابق، ص168.

[584] أحمد صاري : **شخصيات وقضايا**، المرجع السابق، ص38.

[585] عمار هلاّل : **أبحاث ودراسات** ، مرجع سابق، ص327.

[586] موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف**، رجع السابق، ص171.

عبد الكامل النجعي هو مقر اللقاءات. وكان انضمام عبد العزيز الشريف[587] إلى جمعية العلماء في شهر أكتوبر 1937[588]، مما زاد في تدعيم الجمعية بالجنوب، حيث رتب الشيخ عبد العزيز الشريف زيارة لوفد من علمائها بقيادة عبد الحميد بن باديس في ديسمبر 1937، لتكريس أفكار الحركة الإصلاحية في المنطقة[589]. وكان ضمن أعضاء الوفد : الشيخ مبارك الميلي، لمين العمودي، محمد خير الدين[590]، العربي التبسي، حمزة بوكوشة[591]، وكان لهذه الزيارة أثر في تقوية ساعد الشيخ عبد العزيز[592]، وبث الوعي في المجتمع بوادي سوف، وكسر حاجز الخوف المضروب على المنطقة من جراء الحكم العسكري، وإبراز هيبة العلماء وربطهم بسكان الإقليم[593]، فكانت المحاولات الأولى تبرز على المستوى الإعلامي الذي كانت له أصداء حسنة لدى السكان المسلمين الجزائريين، فكان لهذا الإعلام الفتي دورا فاعلا في محاولة جس النبض من حين لآخر بشكل متوار عن الأنظار، لكن ذلك لم ينطلِ على الإدارة الاستعمارية، فكان ذلك بمثابة العامل المهيج للكثير من فئات المجتمع الجزائري، هذا ما انعكس على المجالات الأخرى، فكان ذلك مبعثا للقلق رغم تباين الآراء في أواسط المعمرين حول سياسة الحكومة الشعبية من جهة، ومشروع بلوم فيوليت من جهة ثانية، غير أن السياسة الاستعمارية ألفت المراوغة والكيل بمكيالين، وعلى إثر ذلك الوضع المتأزم شهدت الجزائر خلاله تطورات كانت من نتائجها بروز أحداث عديدة في ربوع البلاد خلال الثلاثينات من القرن 20م[594]، تم بموجبها تقديم الجزائريين مطالب للسلطة الفرنسية في كل المناطق ذات الاحتجاجات

---

[587] ولد سنة 1898 بقرية البياضة بالوادي، من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، توفي سنة 1965. - **ينظر** إبراهيم مياسي : "جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف"، مرجع سابق، ص ص: 163-182.

[588] عمار هلاّل: "من الشخصيات الجزائرية "، المرجع السابق، ص45.

[589] عاشوري قمعون: "دور عائلة "، مرجع سابق، ص81.

[590] محمد خير الدين: **مذكرات**، مصدر سابق، ص280.

[591] عاشوري قمعون: المرجع السابق، ص81

[592] عمار هلال: **أبحاث ودراسات**، المرجع السابق، ص327.

[593] علي غنابزية: "النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف 1931-1938"، المرجع السابق، ص35.

[594] وذلك خلال سنتي 1933 – 1934. - ينظر Ahmed Sarri : Op cit, p p 127 -138.

من البلاد الجزائرية قاطبة[595]. و لم تكن وادي سوف في منأى عن التطورات خاصة من الناحية الاقتصادية السيئة التي يعيشها السكان المسلمين بهذه المنطقة؛ أي الذين كانوا يعانون من الجوع إذ سمي عام 1938 بعام " الروز "، لأن السكان لم يعرفوا غير هذه المادة قوتا لهم بعد تأزم أوضاع المنطقة الاقتصادية، وتدهورها نتيجة زيادة السكان، وتراجع زراعة النخيل، فلم يبق لديهم خيارا إلا الهجرة إلى عدة مناطق، لكن أغلبهم اتجهوا نحو تونس، وأمام هذا الوضع لم تسع السلطة الفرنسية لتحسين الأوضاع، بل ظلت متجاهلة لها مما نتج عنها أحداث أفريل 1938 بوادي سوف التي جاءت نتيجة مؤثرات عديدة من أهمها الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال هذه العشرية كأحداث قسنطينة سنة 1934، وغيرها في ربوع عديدة من الجزائر. وأحداث 9 أفريل 1938بتونس[596]. وأمام هذا التأزم وجدت إدارة الاحتلال نفسها مضطرة إلى طمأنة السكان المسلمين الجزائريين بالقيام ببعض الإجراءات من بينها قيام المسؤولين بزيارات تفقدية لمناطق عديدة، كان من بينها إقليم وادي سوف، حيث برمجت زيارة عملية لمدير الشؤون الأهلية وأقاليم الجنوب. إن تأزم الوضع بوادي سوف، جعل الحركة الإصلاحية تستغل الظرف بالإعلان عن مطالب الاستنكار والغضب، مما ساعد على التصادم والمواجهة بين الحركة الإصلاحية والإدارة الاستعمارية بالتعاون مع الطرق الصوفية، فكان كل طرف يتوجس من الآخر. وما كان أعضاء جمعية العلماء المسلمين، يسعون إلى تحقيقه من رفع الغبن على السكان، والوصول بهم إلى برِّ النجاة. انطلاقا من محاربة الجهل،ونبذ البدع والخرافات التي يستغلها ضعاف النفوس من مريدي الطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية التي تسعى دوما إلى تكريس سياسة الاستيطان، وإفشال كل محاولات التحرر من هذه السياسة من طرف السكان، مستغلة الطرق الصوفية في تثبيت سياسة فرق تسد، وذلك لتفتيت البنية الاجتماعية

[595] عبر عنها المؤرخ محفوظ قداش بـــ " الأزمة الجزائرية 1932 – 1935 ". ينظر محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج1، المرجع السابق، ص ص 359 – 402.

[596] A. N. T : Carton N°0038, Dossier N°0002.

للسكان المسلمين، وهو ما كان كافيا لوقوع تصادم حاد عرف بأحداث أفريل 1938، ولهذه الأحداث ظروف وأسباب يمكن حصرها في :

1 – تعاظم نشاط الحركة الإصلاحية، حيث تعتبر الفترة الممتدة ما بين (1937 – 1938) من أهم فترات النشاط الإصلاحي المتأجج بوادي سوف. ذلك منذ إعلان الشيخ عبد العزيز الانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان ذلك مشجعا للشيخ عبد العزيز، الذي اتخذ من جمعية العلماء غطاء سياسيا، فسارع إلى اتخاذ موقف اعتبره البعض تصرفا فرديا يمكن القول بأنه عمل خالف من خلاله الشيخ عبد العزيز جمعية العلماء في معالجة قضايا السكان المسلمين بوادي سوف بنوع من الشدة والعصبية.

2 - اعتماد الشيخ عبد العزيز الشريف المنهج الراديكالي في معالجة الأمور والاحتياجات التي تخص سكان وادي سوف من خلال ربط علاقاته مع الحركة الوطنية التونسية، التي شهدت في هذا الشهر مجموعة من التفاعلات والتصادمات مع سلطة الحماية الفرنسية، وقد تمثلت هذه الأحداث في أحداث 9 أفريل 1938، حيث كان لبعض الجزائريين دور في تفعيلها، خاصة النقابيين الجزائريين بتونس، وعلاقة الشيخ عبد العزيز بالحركة الوطنية التونسية يعود إلى فترة تمدرسه، حين كان طالبا بالزيتونة[597].

3 - عودة الطلبة الزيتونيين وتعاظم العمل الإصلاحي، لأن حركة الإياب التي يقوم بها الطلبة الدارسون بجامع الزيتونة نحو وادي سوف، هي حركة طبيعية تفرضها الروابط الأسرية باعتبار هؤلاء الطلبة لا يستطيعون تجاهل هذه الروابط التي يحتمها عليهم الدين الإسلامي الحنيف، وعلى إثر هذه العودة التي يقوم بها الطلبة الزيتونيون مثل : علي بن سعد، والحفناوي هالي وعبد القادر

[597] علي غنابزية : " نشاط فكري وسياسي "، **جريدة الشعب**، الجزائر، الاثنين 27جويلية 1998.

الياجوري، وغيرهم من الطلبة[598]، شجع على توسيع حركة التعليم التي أدت إلى فتح العديد من المدارس. خاصة بحاضرتي الوادي وقمار.

4 – زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين لوادي سوف، رغم ما جاء في حقها من تحفظات من طرف السلطة الاستعمارية[599]، في حين أن الأثر الجانبي للزيارة ساهم في توغل الفكر الإصلاحي بوادي سوف، حيث عرَّفت هذه الزيارة سكان المنطقة بالعلماء العاملين، فازداد إقبال الناس على أفكار الجمعية وصحفها. ونقل الإصلاح إلى القرى المعزولة، وتمكين سكانها من الجلوس إلى العلماء، والسماع إليهم مباشرة، والأخذ من كلامهم العلمي، وأفكارهم الإصلاحية الجديدة[600].

5 - زيارة الأستاذ الفضيل الورتلاني لوادي سوف[601]، مما زاد في تدعيم، وتكريس الأفكار الإصلاحية، حيث كانت الزيارة بإيعاز من الشيخ عبد العزيز الشريف، رغم معارضة الحاكم العسكري لهذه الزيارة، وذلك لمعرفته بتصلب أراء الورتلاني، فكان لهذه الزيارة صدى عند الناس، لما طرحته من مواضيع معادية للسلطة الاستعمارية. ذلك ما أغضب الحاكم العسكري الذي بدأ يترصد لإلقاء القبض على الشيخ عبد العزيز الشريف[602] بعد تحوله من الطرقية إلى إصلاح، حاملا على عاتقه زعامة نشر الأفكار الإصلاحية بتنقله الدائم بين القرى والمداشر، لبثِّ الوعي السياسي، والتنبيه إلى دسائس الاستعمار ومكائده. ومن أهمها محاربة الدين الإسلامي، ونشر الفساد، وترويج الجهل وتشجيعه[603].

6 - إرسال الشيخ عبد العزيز الشريف برقية في 26 فيفري 1938 إلى السلطات العليا الفرنسية يحتج فيها بكل شدة ضدَّ أي مساس مباشر، وغير مباشر بالأحوال الشخصية للسكان المسلمين

---

[598] علي غنابزية : " نشاط فكري وسياسي "، نفس المرجع.

[599] A. O. M : 10 H 88.

[600] هذا ما أقره الشيخ عبد العزيز في خطابه لسكان المنطقة. – **البصائر** : العدد ، 21 جانفي 1938.

[601] **البصائر** : العدد 102، السنة الثالثة، 1 محرم 1357هـ/4 مارس 1938م.

[602] علي غنابزية : " نشاط فكري وسياسي "، المرجع السابق.

[603] إبراهيم مياسي : " جهاد الشيخ "، مرجع سابق، 174.

الجزائريين، وذلك لتذكير السلطات الاستعمارية بالتزاماتها التي قطعتها على نفسها منذ أن وطأت أقدام المحتل التراب الجزائري.

7 – شنَّ الشيخ عبد العزيز حملة ضد القياد، وأعوان السلطة الاستعمارية، وذلك في شهر مارس من سنة 1938، حيث حمل على عاتقه مشروع التشهير بالقياد وأعوان السلطة الاستعمارية خاصة أعوان الإدارة الفرنسية من السكان المسلمين الجزائريين[604].

8 - وما زاد في توتر العلاقات بين عبد العزيز الشريف، والسلطة الفرنسية، هو رفضه لغلق المدارس العربية الحرة بموجب مرسوم 8 مارس 1938[605]، مما أزعج فرنسا، وحينما طولب بغلق مدرسته رد الشيخ عبد العزيز بأن الزوايا من قديم الزمان تعلم بدون رخصة[606]، وفي هذا الصدد خطب عبد العزيز بن محمد الهاشمي في الناس وقد احتشد بزاويته 10000 محتج[607] قائلا : « إذا قالت فرنسا ادفعوا الضرائب أو أرسلوا أبناءكم للقتال معها وافقوها، وإذا أمرتكم بعدم تعليم أولادكم فحاربوها وارفضوا طلبها[608].».

وفي ظل هذه الظروف والأسباب لم يكن أمام الشيخ عبد العزيز الشريف إلا العزم على مجابهة السلطة الفرنسية جراء الأوضاع المتردية، لذا حاولت الإدارة الاستعمارية أن تتظاهر بسياسة التعاطف مع الجزائريين. ذلك من خلال إرسال مدير الشؤون الأهالية وأقاليم الجنوب إلى وادي سوف، فكانت تلك الزيارة فرصة سانحة لكشف زيف الإدارة الاستعمارية من خلال الإفصاح عن سياسة الاحتلال[609].

---

[604] عمار هلال : **من الشخصيات الجزائرية**، المرجع السابق، ص ص 281-282

[605] **البصائر** : العدد 105، السنة الثالثة، 23 محرم 1357 هـــ/25 مارس 1938م.

[606] هذا ما تضمنه مقال الشيخ عبد الحميد ابن باديس. – ينظر **البصائر** : العدد 113، 24 جمادي 1357ه / 22 جويلية 1938.

[607] البصائر : العدد 105، السنة الثالثة، 23 محرم 1357 هـــ/25 مارس 1938م.

[608] علي غنابزية : "نشاط فكري وسياسي "، المرجع السابق.

[609] موسى بن موسى : " الشيخ عبد العزيز ودوره في أحداث 18 أفريل 1938 "، المرجع السابق.

3 ـ أحداث أفريل 1938 بوادي سوف، وانعكاساتها على وادي سوف :

إن الوضع العام الذي ساد الجزائر في مختلف الأقاليم خلال الثلاثينات لم يختلف عنه بوادي سوف، حيث شهد الإقليم اضطرابات كان لها أثرها على الحركة الإصلاحية بالمنطقة، وقد عرفت هذه الأحداث بأحداث أفريل 1938. والسبب الرئيسي في إحداثها يتمثل في الزيارة التي قام بها ممثل الحكومة العامة لتراب وادي سوف، وهو مدير الشؤون الأهلية وأقاليم الجنوب السيد " لويس ميلليوت" " Louis Milliot "[610]، ليصرح الشيخ عبد العزيز الشريف خلالها بموقفه المعارض لمرسوم 08 مارس 1938، ويفصح عن الحالة الاقتصادية السيئة التي يعيشها سكان المنطقة[611]. علما أن الشيخ عبد العزيز الشريف كان يحضر نفسه للسفر إلى باريس قصد إجراء عملية جراحية نتيجة حالة مرضية، غير أن تأخر منحه رخصة السفر إلى فرنسا من الوالي العام بالجزائر اضطرته للمعالجة، ولو بشكل جزئي ببسكرة، ليتحصل على التأشيرة يوم 12 مارس 1938، لكنه فجأة ألغى السفر، وعاد إلى الوادي يوم 10 أفريل 1938، هذا لإطلاعه بأمر زيارة مدير الشؤون الأهالية وأقاليم الجنوب يوم 12 أفريل 1938، فعزم الشيخ عبد العزيز الشريف على تنظيم مظاهرة، قصد الإفصاح عن مواقفه تجاه الإجراءات المجحفة في حق السكان المسلمين الجزائريين. ذلك من خلال الإقدام على القيام بتظاهرة أمام مكتب الملحقة بالوادي. وعلى هذا الأساس استدعي الشيخ عبد العزيز الشريف من طرف حاكم الملحقة محذرا إياه من مغبة الإقدام على تنظيم المظاهرة، غير أن الشيخ عبد العزيز ردّ عليه بالرفض، وأفصح له عن عزمه بتنظيمها[612].

وما إن حل مدير الشؤون الأهلية وأقاليم الجنوب بوادي سوف صبيحة يوم 12 أفريل 1938، حتى أحتشد حوالي 1200 متظاهرا خلال ظهر نفس اليوم[613] يتقدمهم الشيخ عبد العزيز الشريف، ليظل

---

[610] A. O. M : 10 H 88, op. cit

[611] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، **المجلة المغاربية**، العددان 99 - 100، تونس، ماي / ايار 2000، ص 569.

[612] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 331. – إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 234.

[613] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 234.

المتظاهرون قابعين بأماكنهم عند مقر الملحقة إلى ساعات متأخرة من الليل، مما اضطر مدير الشؤون الأهالية وأقاليم الجنوب إلى استقبال الشيخ عبد العزيز الشريف، والتحاور معه. وقد دارت بينهما مفاوضات عسيرة استغرقت حوالي ثلاث ساعات تمحورت حول عريضة السكان[614]، التي شملت مطالب خصت الجزائريين عامة، وسكان وادي سوف خاصة، ويمكن إجمال ما جاء في عريضة السكان في النقاط الآتية :

- رفض تدخُّل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية للسكان المسلمين الجزائريين.

- رفض غلق المساجد والمدارس العربية الحرّة دون مبرّر.

- التذمر من الاضطهاد الاستعماري الذي يئن منه السكان المسلمين الجزائريين.

- رفض رعاية البعثات التبشيرية من قبل الحكومة الفرنسية، وتسهيل مهامها على حساب الدين الإسلامي.

- رفض التباين بين أجور الأئمة من السكان المسلمين الجزائريين الموظّفين في السلك الديني، وأجور الإداريين والأعوان في الجزائر.

أمّا القسم الثاني من مطالب الشيخ عبد العزيز، فقد تمحور حول سوء سلوك القياد، وأعوان السلطة الاستعمارية، تجاه السكان المسلمين الجزائريين. متهما إياهم بتعطيل مصالح السكان المسلمين، وتحميلهم أعباء أكثر من طاقاتهم، خاصة من حيث الضرائب، والإهانات الاجتماعية، هذا كان كافيا لتحامله وبشدة أمام الأعمال الدنيئة، التي يحاول هؤلاء القيام بها، لإرضاء المحتل. أمّا القسم الثالث من المطالب، فكان حول الأوضاع المتدهورة للسكان المسلمين الجزائريين، والبؤس الذي يعانيه السكان المسلمون الجزائريون بصفة عامة، والسكان الجزائريون بمناطق الجنوب

[614] إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، المرجع السابق، ص221.

خاصة[615]. ومن ضمنها مطالبته بمساعدة الفقراء والمحتاجين بالحبوب، مع تقديم تموين من الغذاء، حيث طالب بتزويدهم بـــ 10 آلاف قنطار من القمح[616]، فما كان على السيد لويس ميلليوت، إلا التظاهر بإبداء استعداده، لرفع هذه المطالب للوالي العام بالجزائر العاصمة، مع وعده بتقديم مساعدات[617]. غير أن الطرفين لم يتفقا حول الإمدادات الغذائية، التي ستقدمها السلطة فرنسية بالجزائر،التي قدرها مدير الشؤون الأهالية وأقاليم الجنوب بستة آلاف قنطار من القمح، في حين ألح الشيخ عبد العزيز الشريف على أن تكون عشرة آلاف قنطار، فما كان على لويس ميلليوت إلا قبولها، والإقرار بما تم الاتفاق عليه.

ومن خلال ما سبق يلاحظ أن الشيخ عبد العزيز الشريف، كان مدركا لما اقره من مطالب، كانت في بادئها عامة تخص البلاد برمتها، ثم تناول المطالب التي تخصّ وادي سوف، فهو بهذا يشعر السيد ميلليوت بإطلاعه عن أحوال السكان المسلمين في كامل أرجاء الجزائر المستعمرة، ثم خرج الشيخ وطمأن الحاضرين، وأطلعهم عن مجريات الحوار، مما جعل السلطة تطمئن للوضع، غير أنه وفي اليوم الموالي؛ أي يوم 13 أفريل 1938 فوجئت الإدارة باكتظاظ المتظاهرين، وتصاعد الاحتجاج حتى أن المحتجين لم يكتفوا برفع أصواتهم، بل استعملوا الحجارة، وذلك برشق مقر الملحقة[618]. وما كان من السلطة إلا استدعاء القوات الخاصة من بسكرة، وتقرت لمحاصرة المتظاهرين، وربوع وادي سوف بكامله مع محاولات فك الحصار على مقر الملحقة. كما تم اعتقال حوالي 32 شخصا من المتظاهرين، أودعوا الحبس، لتعود السلطة الاستعمارية للتفاوض مع وفد من السكان كان يقوده الشيخ عبد العزيز الشريف، ليقدم هذا الوفد عريضة مطالب تمحورت نقاطها حول ما شملته نقاط اللقاء الأول،

---

[615] عمار هلال: "من الشخصيات الجزائرية"، **الندوة الفكرية**، المرجع السابق، ص48.

[616]- إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص235.

[617] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، 332.

[618] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 332 – 333. – إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص ص 235– 237.

لكن كانت أكثر اهتماما بالمنطقة – أي مطالب خاصة بالجهة – وقدمت هذه المطالب مرة أخرى للسيد لويس ميلليوت[619].

ومرة أخرى يخرج الشيخ عبد العزيز الشريف من اللقاء ليعرب عمّا توصل إليه أمام الحشد الغفير من السكان. لكن الشيخ عبد العزيز الشريف راح يتوعد السلطات بأنه سيعمل جاهدا على التشهير بما ترتكبه الإدارة الاستعمارية في حق السكان المسلمين بوادي سوف على نطاق واسع، وبمجرد عودة الهدوء النسبي، والاستقرار نتيجة تفرق المتظاهرين، بعث عبد العزيز برقية ثانية إلى السلطات العليا الفرنسية في كل من الجزائر، وباريس يحتج فيها على السياسية التعسفية التي اتخذتها السلطات الاستعمارية ضد الدين الإسلامي، والمؤسسات التعليمية العربية في الجزائر، هذا في نفس الوقت الذي بعث فيه برقية إلى زعماء الحزب الدستوري التونسي تضامنا معهم في كفاحهم ضد الاستعمار الفرنسي في بلادهم تونس[620]. وعلى إثر ذلك تحولت منطقة وادي سوف إلى منطقة محظورة قرابة الأسبوع؛ أي من 13 إلى 18 أفريل 1938، حيث تعرض السكان المسلمون خلالها إلى سيارات المعمرين، والعسكريين في الطريق الرابط بين وادي سوف وبسكرة، بالإضافة إلى العمليات التخريبية التي مست أعمدة الهاتف، وكل ما يخص المعمرين، والإدارة الاستعمارية. مما جعل وادي سوف في معزل عن الخارج[621]. لكن رغم الوضع المتأزم عاد الشيخ عبد العزيز الشريف إلى تنظيم مظاهرة أخرى، وذلك يوم 17 أفريل 1938، وعلى إثرها راح الشيخ عبد العزيز يجوب، ويتنقل بين أطراف وادي سوف وضواحيها، ومنها تكسبت، كوينين، قمار، الرقيبة، سيدي عون، دريميني، وغيرها من المناطق بوادي سوف يدعو الناس للالتحاق به في اليوم الموالي بالوادي، فمن خلال ذلك ثارت ثائرة السلطة الاستعمارية ضد الشيخ عبد العزيز الشريف فألقت القبض عليه مع تصديها المظاهرات. ذلك لم يجعل الأمر يتوقف عند حبس الشيخ عبد العزيز، بل طال مجموعة من

---

[619] موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية**، المرجع السابق، ص ص 183، 184.

[620] موسى بن موسى : نفس المرجع، ص 184.

[621] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 336.

أصحابه ذوي الصلة بالحركة الإصلاحية وهم : الشيخ علي بن سعد والسيد عبد الكامل النجعي[622]، حيث رحلوا يوم الأثنين 17 صفر 1357هـ / 18 أفريل 1938م ليلا إلى سجن بسكرة، ثم إلى سجن الكدية بقسنطينة[623]، ثم ألقي القبض على الشيخ عبد القادر الياجوري يوم الثلاثاء 18 صفر 1357هـ / 19 أفريل 1938م رفقة الشيخ الهاشمي الدراجي، وعدد معتبر من مناطق مختلفة من وادي سوف، وزج بهم في سجن الوادي، فوضع الشيخ عبد القادر في السجن الانفرادي، ليبدأ استنطاق السجناء يوم الجمعة 21 صفر 1357هـ / 22 أفريل 1938م، وانتهى التحقيق يوم السبت بحضور لجنة لتقصي الحقائق، والوقوف عند الأسباب التي أدت إلى هذه الأحداث، وكان ذلك من خلال التعاون مع القياد الذين أخذوا في جمع الشهود، وجلبهم للجنة قصد الإدلاء بشهادتهم، وغالبيتهم يريدون توريط الشيخ عبد العزيز، وأصحابه " العصريون "، فطرحت مجموعة من الأسئلة على الشهود بخلاف الأسئلة التي طرحت على المساجين، وكانت أهم الأسئلة التي طرحت عليهم هي :

- هل تعرف الشيخ عبد العزيز ؟

- ماذا يقول لكم في الاجتماعات ؟

- ألا يدعوكم للجهاد والثورة ؟

- هل أنتم مشاركون في البصائر ؟

- ما تستفيده من مطالعتها ؟[624]

وفي صبيحة يوم الاثنين 24 صفر 1357هـ / 25 أفريل 1938م نقل الشيخ عبد القادر الياجوري إلى سجن الكدية قسنطينة، حيث كان يقبع الشيوخ الثلاث[625]، الشيخ عبد العزيز، والشيخ علي بن

---

[622] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 336 – 337.

[623] **البصائر** : العدد 164، السنة الثالثة، الجمعة 15 ربيع الأول 1358هـ – 05 ماي 1939م.

[624] **البصائر** : العدد 165، السنة الثالثة، الجمعة 22 ربيع الأول 1358هـ - 12 ماي 1939م.

[625] **البصائر** : العدد 165، نفس المصدر.

سعد، والسيد عبد الكامل، ليصبح عدد مساجين أحداث أفريل 1938 أربعة شيوخ، كما زجّ بكل من : الشيخ عبد الرحمان معمري والشيخ مسعود عباسي، وغيرهم كثير بسجن تقرت[626]، وعلى هذا الأساس لم تخل أي شعبة من شعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف، إلا وأعتقل عضو أو أكثر، يكون على رأسهم رئيس الشعبة بالضرورة. وقد جاء في احد التقارير لقائد ملحقة الوادي يقر فيه بأن « عقوبات تأديبية قد اتخذت ضد عشرين من مؤيدي عبد العزيز[627]. »، وقد تمثلت الأحكام الصادرة في حق الموقوفين، والذين جلبهم الحاكم صباح يوم الثلاثاء 25 صفر 1357 هـــ / 26 أفريل 1938 لمقره فأدخلوا عليه واحدا تلو الآخر، وأصدر على كل واحد منهم حكما حسبما رآه مناسبا له، رغم أن البحث لم يثبت إدانة أي أحد من هؤلاء المساجين، فحكم على خمسة مساجين من عميش بشهرين سجن، وغرامة قدرت بـــ 200 فرنك، وهم كالآتي :- محمد لقماري بن العربي. - إبراهيم بن محمد الغولي. - علي بن سعد. - بلقاسم بن مسعود الواسع. - أحمد بن العبيدي لقبج معاق[628].

وحكم على ثمانية من المعتقلين بالسجن شهرا واحدا، وغرامة مالية قدرت بـــ 100 فرنك وهم: - عبد الحفيظ بن العيد (صالحي) رئيس شعبة تكسبت، والبشير بن البردي، والحسين بن الهامل، وهما من تكسبت، وعبد الرحمان معمري رئيس شعبة الزقم[629]، والمسعود بن محمد عباسي أمين المال لشعبة الزقم، وعبد الرحمان نوار، والعربي بن الغريبي، وعلي بن خليفة، وهم من قمار، إضافة إلى السيد العيد بن عبد القادر بن عمر من العقلة، لكن عفي عنه بعد يوم لهرم سنه. وحكم على سبعة معتقلين بالسجن لمدة 15 يوما وغرامة مالية قدرت بـــ 50 فرنكا، وأسماؤهم كالآتي : الطالب عبادي بن عبد القادر، والطالب الصغير بن أحمد موسى، والطيب بن أحمد غريسي، وأحمد بن خليفة بوراس، وعبد القادر بن داحة، وهم من عميش. وأحمد بن ساعي أمراح، ويوسف بن المكي

---

[626] محمد المولدي سيشي : المرجع السابق، ص 18.

[627] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، مرجع سابق، ص 570.

[628] **البصائر**، العدد 165، مصدر سابق.

[629] **النجاح** : العدد 2135، 5 ربيع الأول 1357ه/6 ماي 1938.

بلخضر، وهما من الزقم. وحكم على البشير بن غربي من عميش بـــ 08 أيام سجنا، وأبقي السيد محمد حامد بدير كاتب شعبة الزقم في إيقاف رهن البحث. وأطلق سراح السادة : الهاشمي الدراجي والطيب بن حميدة، والعربي بالحاج ومحمد البوليسي، والصادق بوكوشة، وهم من الوادي. والطالب البشير بن عبد القادر وأحمد الشيحي، والطالب الصالح بن الحاج احمد والبشير بن بكار بن ميدة، والبشير بن البكوش، وهم من عميش، وعون بن صالح من الرقيبة[630]. وفي يوم الأربعاء 26 صفر 1357 هـــ / 27 أفريل 1938 جلب إلى السجن السيد الطاهر النزلي رئيس شعبة كوينين الذي بات ليلية، ثم أخلي سبيله[631]. إن هذه الإجراءات المتبعة في حق المتهمين هي صورة توضح المعاناة التي تلقاها السجناء، جراء السياسة الاستعمارية، هذا ما يؤكده صاحب مقال من " ذكرى مرور الحول حوادث سوف الأليمة " : « وبعد زوال يوم الحكم – الثلاثاء أخرج المحكوم عليهم للعمل كالمجرمين العاديين واستمروا على ذلك صباحا ومساء. فيخرجون صباحا عند الساعة الخامسة فأكثرهم يرفع الرمل على ظهورهم في قفة من بستان الحاكم ويلقيه خارجه على مسافة 250 ذراعا ولا يفوتنا أن نلاحظ أن فيهم العاجز والهرم ومن لم يتعود بذلك حتى في أملاكه ... ولكن هو التراب العسكري يا أخي،. وكل هذا من بركاته ...!!!.

والباقي يديرون الآلات التي تخرج الماء من الآبار إلى الساعة 11 أي قبل الزوال بساعة فيرجعون إلى السجن ويتسلم كل منهم قوته الذي يتألف من رطل ونصف من خبز الفرينة الرديئة ورطل من تمر تقرت والجزء العشرين من ليترة الزيت كل هذا للغذاء والعشاء. وبعد الغذاء يخرجون عند الساعة الأولى بعد الزوال إلى عملهم كالعادة حتى الساعة السادسة فيعودون للسجن وتغلق خلفهم الأبواب ويجلسون للاستراحة. وبعد أكلهم العشاء وأدائهم العِشاء ينامون متفرشين الغبراء وملتحفين الزرقاء حتى يأتي الله بخير صباح فيقومون للصلاة.

---

[630] **البصائر**، العدد 165، نفس المصدر.

[631] نفسه.

وإن أنس فلا أنس منظر تلك الصفوف المتراصة وقت الصلاة يجمعها عقد واحد ويحدو بها حاد واحد إلى رب واحد. ثم هي في تلك المحنة وذلك الابتلاء يجتمع منها القلب واللسان – عن فهم وإيمان – على كلمة واحدة فتردد الله أكبر. الله أكبر. إنه لمنظر يملأ الجنان ويطلق اللسان. ولو اتسع ببصائرنا الميدان.

وعند الساعة الخامسة يخرجون للعمل كما تقدم وهكذا دواليك وشاء ربك أن ينمي أجورهم فكان الحر شديدا لا يطاق في اليومين ونصف اللذين بقوهما في الواد. وكان طريقهم أثناء العمل أكمة من الرمال تزيد نار الشمس اشتعالا. فتحرق أبدانهم وتشوى على الأخص أرجلهم. كل هذا والويل لمن تباطأ قليلا في العمل أو لم يملأ قفته كل الملء فذلك يصب عليه الشتم واللعن انصبابا ويهدد بالزيادة في مدة العقاب.

وفي صباح يوم الجمعة 28 صفر قبل الساعة الخامسة استدعاهم الحاكم لمكتبه وطلب منهم الاستعداد للسفر لأن ثلاثة عشر منهم سيسافرون و لم تبين لهم الجهة التي سينقلون إليها. فاستعدوا ووقفوا أمام مكتبه فنادى على ثلاثة عشر منهم بأسمائهم – وهم المحكوم عليهم بشهرين وشهر – وأخذوا إلى الثكنة العسكرية التي هي بجوار إدارة الحكومة واركبوا في سيارتين كبيرتين من المخصصة لنقل الجنود. ومعهم أربعة عشر من جنود القومية شاكي السلاح. وسارت بهم إلى وجهة لا يعلمونها لهم لكنهم في النهاية وصلوا إلى سجن تقرت.

وعلة نقلهم هي أن متصرف حوز تقرت طلبهم ليشتط في تعذيبهم. فلاقوا منه فور وصولهم الأمرّين. فقد كلفهم بتعبيد أحد الطرق. بالمكدام ومع وجود الطريق تحت قرص الشمس الوهاج وصعوبة العمل وطول مدته فجنا به يمنع عنهم منعا باتا شربة الماء التي يبلون بها اللهاة. ولا يفتأ يتردد عليهم لصب وابل من الشتم والسب من غير سبب ولولا أن تداركهم طائف من رحمة ربك فأنزل

عليه سقما أعيا الأطباء علاجه واستوجب نقله بالطيارة إلى قسنطينة، لقضوا نحبهم عنتا وعطشا[632].

»

هذا الجزء من الحلقة الثالثة من مقال مرور الحول يبين كيف كان يقضي السجناء أيامهم دون أن تفوتهم أوقات الصلاة للإفصاح عن كبريائهم، خاصة عند صلاة الصبح، وهم في تجمعهم الحاشد دون أن يأبهوا لما سيلقونه من عناء منذ الساعة الخامسة صباحا إلى فترة الغسق من كل مساء. ذلك كل يوم. أما أثناء العمل كان السجناء يتسلون ببعض الأهازيج من خلال بعض القصائد، والأشعار للتخفيف عن الأعباء الملقاة على كواهلهم، كما كان بعضهم يدندن بالقرآن الكريم في إطار الورد اليومي الذي يقوم به لختم القرآن. أما في فترة اللقاءات الجماعية كان السجناء يتناولون أطراف الحديث حول القضايا الهامة مع التطلع على مجريات الأحداث بالمنطقة والجزائر. هكذا كان السجناء يقضون أيام مدة سجنهم، وعند كل نهاية فترة حبس لكل سجين كان يخلى سبيله، وعند عودته إلى أهله يتحول الأمر أشبه ما يكون السجين قادما من سفر مهم، كالحج على سبيل المثال. ذلك من خلال الحشود الغفيرة المهنئة بانقضاء مدة الحبس، فكان ذلك عبارة عن إعلان غير صريح بتمجيد العمل البطولي الذي قام به السجين[633]. فما كان من المتحاملين عليهم إلا التحسر لأن آمال هؤلاء لا تقف عند هذه العقوبة، هذا للحقد الكامن نتيجة العداء التقليدي الذي كان قائما بين العصريين والطرقيين، كما أن فترات الحبس لم يحترم فيها الآجال المحددة، هذا ما أكده صاحب المقالات المفصحة على حقيقة الأحداث وما تخللها من تجاوزات الإدارة الاستعمارية بإمضاء محب لقومه، في حق المساجين في مقال ذكرى مرور الحول : « وفي آخر ربيع الأنور أطلق سراح السادة الثمانية المحكوم عليهم بشهر ومائة فرنك بعد أن قضوا شهرا كاملا بسجن تقرت واثنتا عشر يوما بين سجن الواد والطريق. ونلاحظ أنهم في إيابهم أرجعوا على إبل ألزموا بدفع كرائها من جيوبهم كأنهم هم الذين طلبوا تنقلهم إلى تقرت للتفسح ... آخر ربيع الثاني خرج من بقي بسجن تقرت

---

[632] **البصائر**: العدد 167، السنة الرابعة، الجمعة 06 ربيع الثاني 1358 هـ - 26 ماي 1939 م.

[633] **حوار** مع الشيخ العيد غوري،مرجع سابق.

وهم الخمسة المحكوم عليهم بشهرين ومائتين وفعل معهم كإخوانهم من زيادة اثنتا عشر يوماً في أمد السجن ودفعهم كراء الإبل...[634]»، هذا ما يؤكد الحقد الاستعماري لمثل هؤلاء الذين حاولوا مصارحة الإدارة الاستعمارية، وتذكيرها بما يجب القيام به تجاه السكان المسلمين، علما أن صاحب المقالات، هو الشيخ محمد الطاهر التليلي. ذلك من خلال إمضائه المعرف بالفذلكة، وهذا ما تقره الفقرتان الآتيتان من الحلقة الخامسة من مقال مرور الحول : « هذه فذلكة عن حوادث جسيمة حطت بكلكلها عن ناحية مهمة من هذا القطر المسكين جلوناها على الناس لأنه لا يجدر بها أن تبقى مدفونة وهي صفحة ذات بال من سجل تاريخ الجزائر الفتاة.

فان أطلتُ في سردها فما الذنب ذنبي بل ذنب الذين أطالوا أيامها وأوسعوا دائرتها. وذكرتُ الحوادث في الغالب مجردة من التحليل والتعليق ورغبتُ في الاختصار. وأن في نفس الحوادث ما هو أبلغ من كل تحليل وتعليق ولعل أن تسنح لي الفرص – وقليلا ما تفعل – للكتابة فيها في ميدان آخر وإني اعتذر سلفا لإخواني الذين يرغبون في معرفة اسمي أن بضعة عوامل خاصة هي التي اضطرتني إلى عدم التصريح – وفيهم من يعرفها – وقد اتخذت سبيلا وسطا... فتسترتُ بحجاب لعله شفاف.. وزادني ترغيبا في عدم التصريح علمي بأن بعض الجهات ستجتهد في البحث عني فقلت لأتعبنَّها في التنقيب ولا أدلها على نفسي بسهولة. وإن كنت جازما بأن نظرها يقع أول وهلة عليّ وبعد البحث والتنقيب لا يستقر إلا علي ولكني لا أبالي بعلمها أو جهلها:

(خوف الورى شرك بخا * لقهم وصولتهم صنم.) **الإمضاء : محب لقومه**[635]. ». وما يمكن الوقوف عليه عند هذا المقال الذي جاء في خمس حلقات تبعا للأعداد الآتية : العدد 164[636]، العدد 165[637]،

---

[634] **البصائر :** العدد 168، السنة الرابعة، الجمعة 13 ربيع الثاني 1358 هـ- 02 جوان 1939م.

[635] **البصائر :** العدد 169، السنة الرابعة، الجمعة 20 ربيع الثاني 1358 هـ - 09 جوان 1939م.

[636] **البصائر** : العدد 164، السنة الرابعة، 15 ربيع الأول 1358 هـ - 05 ماي 1939م.

[637] **البصائر** : العدد 165، السنة الرابعة، 22 ربيع الأول 1358 هـ - 12 ماي 1939م.

العدد 167[638]، العدد 168[639]، العدد 169[640]، هو الدقة المتناهية في تتبع مجريات الأحداث خاصة خطوات التحقيق، وما انجر عليها من أحكام وردود أفعال من أصحاب القرار بكل من ملحقة الوادي وحاكم دائرة تقرت، حيث حاول صاحبها نقل ما حصل بكل موضوعية، وإن كان قد تحامل على حاكم تقرت، فهذا لا يقلل من دقة التتبع الدقيق لكل كبيرة وصغيرة، مما يدل على الوعي الكامل بأحقية القضية، وغياب عدالة السلطة الحاكمة. و لم تكن هذه المقالات دالة على عدالة المتهمين، بل نجد من حاول تبرئة ساحتهم، هذا ما قد جاء وصفه لهذه الأحداث على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال بعنوان " حول كارثة سوف الأليمة : ثم..سكوت.. " حيث يقول : « عجَّ وادي سوف يوم 18 أفريل بالجنود والعتاد، ورصعت رباه بالمدافع الرشاشة وأرعدت أجواءه بأزيز الطائرات، فأوشك أهله ونساؤه وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء، فذهلت المراضع ووضعت نحو الثلاثين امرأة حملها.

أصبح الوادي على حين بغتة، وقد عطِّلت أسواقه، وسدّت طرقاته، ومنع عنه الداخل والخارج، وضرب عليه نطاق شديد محكم من الحصار.

ألقي القبض على الشيخ عبد العزيز الشريف الهاشمي والشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري والسيد عبد الكامل بن الحاج عبد الله، وسيقوا إلى السجن بقسنطينة، وحشرت جماعات من الناس إلى المركز الإداري وزجَّ بهم في سجن لإيقافهم هنالك، ثم حكم على عدد وفير منهم بالنفي والسخرة، كل هذا والنّاس معتصمون بالصبر ومنتظرون للفرج[641].».

وفي مؤتمر عام للجمعية وقف الشيخ عبد الحميد عند هذه الحادثة مذكرا بما ذاقه الكثير من العلماء والعاملين في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خطاب يوم السبت 29 رجب 1357هـ

---

[638] **البصائر** : العدد 167، السنة الرابعة، 06 ربيع الثاني 1358 هـ - 26 ماي 1939م.

[639] **البصائر** : العدد 168، السنة الرابعة،13 ربيع الثاني 1358 هـ - 02 جوان 1939م.

[640] **البصائر** : العدد 169، السنة الرابعة،20 ربيع الثاني 1358 هـ - 09 جوان 1939م.

[641] **البصائر** : العدد 121، السنة الثالثة، الجمعة 10 جمادي الأولى 1357هـ - 08 جوليت 1938م.

بنادي الترقي جاء فيه : « ... وهؤلاء أهل " سوف " قد ذاقوا من التغريم والنفي والسجن ما ذاقوا، وروعوا في ديارهم وأهليهم أفظع ترويع ثم لم يثبت عليهم شيء مما رموا به إلا رغبتهم في العلم وطرحهم لسربال الطرقية الوسخ الثقيل. وهذا الشيخ عبد العزيز الشريف والشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري والسيد عبد الكامل في ظلمات السجن إلى اليوم، وقد رمي الشيخ عبد العزيز الشريف بالثورة ضدَّ أمن الدولة وبالصلة الأجنبية فلم يثبت لدى البحث النزيه إلا أنه عقد مظاهرة بدون رخصة، وطلب النّاس فيها حرية التعليم والإعانة بالخبز، وشكوا من ظلم بعض القادة[642]. »، هذا ما يؤكد رغبة الجمعية في الدفاع على الأطراف المتهمة، حيث نجد جريدة البصائر قد أخذت الشطر الكبير في تناول القضية من جانب دفاعي، بالإضافة إلى جريدة الدفاع الناطقة بالفرنسية التي تناولت القضية في بعض الأعداد على لسان رئيس تحريرها السيد الأمين العمودي، هذا قصد التعريف بحقوق المتهمين السجناء، والتذكير بضرورة العمل بمبدأ العدالة والمساواة، التي نادت بها الثورة الفرنسية، لأن ما أفصحت عليه التحقيقات النهائية، لم يثبت إدانة أي طرف من الأطراف المتهمة، مذكرة الإدارة الاستعمارية بضرورة التحلي بروح المسؤولية، لكن هذه المحاولات لم تثن من عزيمة الإدارة الاستعمارية، بل نجد أن السلطات الاستعمارية لم تكتف بما قامت به فقط، ليصل الأمر بالحاكم العام بالجزائر العاصمة إلى إصدار منشور إلى رؤساء المناطق الجنوبية يأمرهم فيه بتوقيف، وحبس كل شخص ينتمي إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويقوم في هذه المناطق وينادي لها[643]. وقد أكد الشيخ عبد الحميد في مقال بعنوان : "ماذا في الجنوب ؟ أنديجينا جديدة!" : « بعد مائة سنة وثمان سنوات منشور من سمو الوالي العام إلى رؤساء الأوطان الجنوبية.

وجَّه سمو الوالي العام الرئيس الأعلى للأوطان الجنوبية يأمرهم بإلقاء القبض وسجن كل طالب منسوب إلى جمعية العلماء حال جولانه بمناطقهم، وقيامه بالدعاية لهذه الجمعية[644]. ».

---

[642] **الشهاب** : مصدر سابق.

[643] A. O. M : 9 H 59.

[644] **البصائر** : عدد 113، السنة الثالثة، الجمعة 13 ربيع الأول 1357هـ - 13 ماي 1938م.

أما الانعكاسات المنجرة على أحداث أفريل 1938، فيمكن تصنيفها إلى نتائج من بينها :

- إعلان حالة الطوارئ بالإقليم.

- التضييق على الإقليم من حيث الدخول والخروج.

- رفع أهبة التدخل في كل حين إذا ما اقتضى الأمر.

- ملاحقة أي طرف داع إلى مناهضة الوضع.

أما الانعكاسات البعيدة، فقد تزامنت مع الوضع الذي آلت إليه البلاد برمتها، نتيجة الحرب الكونية الثانية، التي بموجبها فرضت فرنسا حالة سياسية كانت تتسم بأحكام السيطرة، وتعطيل نشاطات الحركة الوطنية بجميع أطيافها، وعلى رأسها جمعية العلماء المسلمين، حيث رفعت الإدارة من حدة المراقبة، والمتابعة الشديدة، خاصة في المناطق الجنوبية[645]. أما على مستوى الحياة العامة، فقد شددت الرقابة على المناطق الحدودية، مما عطل مسار الحركة التنقلية، خاصة لدى الفئة المهاجرة العاملة بمناجم الفوسفات بتونس، مما انعكس سلبا على مستوى الجانب الاقتصادي، خصوصا التبادل التجاري. ورغم هذا التعسف والاضطهاد، إلا أن رغبة المواصلة في مسيرة الإصلاح ظلت قائمة لدى الكثير من الشخصيات، حيث نجد الشيخ عبد العزيز الشريف يراسل مؤتمر الطرق والزوايا بالجزائر المنعقد أيام 25 - 26 – 27 – 28 أفريل 1938[646] من داخل سجن الكدية من خلال الخطاب الذي ألقاه بالنيابة عنه أخوه الشيخ محمد الصالح الشريف، الذي تضمن الإشادة بالعنوان الذي حمله المؤتمر " جامع اتحاد الزوايا "، لكنه مع ذلك انتقد الطرقية، لما تمثل من ركود وتخلف، وقد جاء الخطاب كاملا في حلقتين بجريدة " **البصائر** " في عدديها 112[647]، و113[648]،

---

[645] **النجاح** : العدد 2134، 3 ربيع الأول 1357ه/4 ماي 1938.

[646] وهو المؤتمر الثاني المنعقد بالجزائر أفريل 1938باسم " جامع اتحاد الزوايا والطرق الصوفية " حضرته شخصيات عديدة من تونس والمغرب الأقصى والجزائر. - ينظر **جريدة الوفاق** : العدد 7، السنة الأولى، الخميس 12 ربيع الأول 1357هـ/12 ماي 1938م.

[647] **البصائر** : العدد 112، السنة الثالثة، الجمعة 06 ربيع الأول 1357هـ - 06 ماي 1938م.

[648] **البصائر** : العدد 113، المصدر السابق.

للتأكيد على حضوره المستمر في هذه المحافل، رغم العوائق العديدة التي يصطنعها الطرقيون والإدارة الاستعمارية. ومما جاء في دباجة الخطاب بالحلقة الأولى : « الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أيها الإخوان المحترمون : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحيّة من عند الله وبركاته تحيّة طيّبة، شرعها الله لتكون عنوانا على الأخوة ودليلا على الأمان. ومجلبة للبشر والإيناس وطاردة للوحشة والوسواس. واستئذانا من القلوب على القلوب بعد ما تلاقى الأجسام بالأجسام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. شعار الإسلام الصادق. وعلمه الخافق. ورمزه الناطق. أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بإفشائه بيننا لتفشو الرحمة والمحبة. وبتعميمه ليعم التعاون وتتحقق الحكمة. فالسلام عليكم أيها الإخوان ورحمة الله وبركاته عودا على بدء. [649]»، وهو هنا يحاول تذكير الحاضرين بضرورة السعي للوحدة ونبذ كل ما هو مجلب للخلاف لأن الوضع الذي عليه الجزائر يستدعي الوحدة والتعاون، انطلاقا من أمر الرسول (ﷺ) لجميع المسلمين. ثم نجده يواصل حديثه ليؤكد على حقيقة العلاقة القائمة بين جميع الأطراف الفاعلة والمثقفة بالجزائر، التي ينبغي أن تكون عليه، من خلال قوله : « أيها الإخوان : ليس العجيب من أمركم أن تجتمعوا وإنما العجيب أن تتفرقوا. وليس الغريب أن يتفق المسلمون على الخير بل الغريب أن يختلفوا على الشر. ولقد – والله – اختلفنا وتفرقنا وتقطعت روابطنا وتباعدت قلوبنا وتشتت شملنا فأبدل الله قوتنا ضعفا وعزنا ذلا وكثرتنا قلة.وأصبحنا سخرية الساخر. ولعنة الأول والأخر. وما ظلمنا الله ولكن الحجة البالغة لله علينا. [650]»، وهو هنا يؤكد أن الاحتلال لا يميز بين إصلاحي وطرقي، فكلاهما يمثل لدى الإدارة الاستعمارية "أهلي" لا يرقى، ليضيف تأكيده على البلاء، الذي لا يمكن مواجهته، إلا من خلال الموازنة بين العاطفة والعقل للوصول بالأمة إلى بر النجاة، وهذا يبدو من خلال : « أيها الاخوان : أنا طرقي وراثة وابن زاوية عريق في نسبه الزاوية والطرقية الى

[649] **البصائر** : العدد 112، المصدر السابق.

[650] **البصائر** : العدد 112، نفس المصدر.

بضعة أجداد في التاريخ. وعندي من العلم ما أفرق به بين الحق والباطل على الاقل. أومن بلقائه بان لا طرقية في الإسلام ولا زاوية في الإسلام ولا طائفية في الاسلام. وبانه إن كان في هذه الزوايا وهذه الطرق خير فان شرها يذهب بخيرها وبان من آثارها النفسية التي لا ينكرها الا أعمى البصيرة أنها فرقت كلمة المسلمين لا أتكلم عن غائب ولا عن مجهول وإنما أتكلم عن مشاهدة وعيان وأعبر عن وجدان لا تزال آثاره في نفسي التي بين جنبي لو لا أن عصمني الله بما وفقني إليه من العلم وإنني أدين الله أيضا بان هذه الحركة القائمة إنما هي ضد البدع المحدثة في الدين وإنها إن أتت بإذن الله محفوظ بحفظ الله.

وإني فهمت ولا زلت أفهم من أفول القائمين بها وأعمالهم ومراميهم أنها ليست موجهة لهدم الزوايا وإنما هي موجهة لإصلاحها.[651]»، وفي آخر الخطاب نجد الشيخ عبد العزيز يفصح على مخططات المستعمر التي تود تحقيقه من جهل وطمس للمعالم الحضارية، وليس التجويع والتفقير لأن هذه الملامح يمكن مقاومتها إذا ما استطعنا المحافظة على مقومات الهوية، والانتماء الحضاريين، هذا ما تؤكده الفقرة الأخيرة من الخطاب في قوله : « أيها الإخوان إن موقف الأمة الجزائرية في حاضرها موقف الممتحن المرهف. لم تبتل من قرون بمثل البلاء الذي تعانيه الان – لا أقول العسر والمجاعة والقحط والغلاء وإنما أريد مضايقة الحكومة لها في دينها ولغتها فانتم تعلمون سلسلة هذا البلاء من اقفل المساجد في وجوه العلماء الى قرار 8 مارس الماضي فهل أنتم مدركون لمغزى هذه القرارات؟ إنها حرب لدينكم ولغتكم. وإنها فتنة ستقضي على التعليم الديني والعربي بهذا الوطن. وانه لا تخص فريقا دون فريق. وان الامة من ورائكم ترقب أعمالكم في هذا الاجتماع وموقفكم من هذه المسألة الخطيرة التي هي مسألة الامة كلها. وكلمتكم الفاصلة فيها. فانظروا ما أنتم فاعلون فيها وما أنتم قائلون.

[651] **البصائر** : العدد 113، المصدر السابق.

إنه لا دافع لهذا البلاء النازل الا بتضامن الجهود على دفعه واجتماع الكلمة لتفريقه وتناسي الأغراض والحزازات. وإحياء سنة السلف في الاتحاد وتراص الصفوف إذا نزلت بالإسلام كارثة أو حز به أمر.

أيها الإخوان إن الآية المرفرفة على اجتماعكم هذا هي قوله تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[652]. وإنها فصل الخطاب في هذا الباب فانظروا هل هي حجة لكم أو عليكم. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.[653]»، هذا خطاب دال على حقيقة الوضع الذي كانت عليه الجزائر انطلاقا من الخلافات بين الإصلاحيين والطرقيين، الذي تحاول الإدارة الاستعمارية تفعيله قصد كسب الرهانات السياسية والثقافية، التي تضمن لها أحقية البقاء في الجزائر المستعمرة، هذا من جهة أخرى يفصح على الفطنة التي كان عليها الشيخ عبد العزيز، وهو نموذج من بين عناصر عديدة تعج بها الجزائر المستعمرة انطلاقا من الثقافة السياسية التي تشبع بها جيل العشرينات من القرن 20م.

أما عن أصداء الخطاب بوادي سوف، فكانت ذات أبعاد فاعلة، لكون الخطاب شاملا وجادا لم يكن من خطابات التزلف والتقرب، بل هو خطاب ينم عن الوعي السياسي، الذي ما فتئ الشيخ عبد العزيز يفصح عنه، إضافة إلى الاستعدادات الكامنة لدى الكثير من الأشخاص المتابعين للأحداث، بل حتى بعض أعلام ورموز الطرق الصوفية، وعلى رأسهم التجانيين. ذلك للوعي والحس الكامن لدى النخب، حتى أننا وجدنا تلاؤما تاما بين العناصر المشكلة لكل الفئات : الإصلاحيين والطرقيين، وبعض القياد وموظفي الإدارة الاستعمارية، التي ذهبت إلى تشكيل جمعية عرفت بالجمعية الدينية الإسلامية بالوادي (سوف). ذلك بموجب التاريخ المقيد بسجل الجمعية

---

[652] **سورة النساء** : الآية 59.

[653] **البصائر** : العدد 113، المصدر السابق.

بتاريخ 20 ديسمبر 1948[654]، ومن أبرز أعضائها الشيخ الأخضر الإمام قادري رئيسا للجمعية،والشيخ لخضر شبرو رئيسا سابقا لشعبة جمعية العلماء، وهو أمين مال الجمعية، الشيخ حسين زبيدي أحد موظفي الإدارة الاستعمارية، والشيخ محمد الطاهر بن محمد الصالح بن سيدي سالم شيخ الزاوية الرحمانية بالوادي، والعيد بن يامة مقدم بالزاوية التجانية، وغيرهم من الطرق الأخرى، فكان ذلك تعبيرا على تكييف العمل حسب ما تقتضيه الظروف[655]، كما كان الخطاب بمثابة المتنفس للوضع البائس، مما سمح لغالبية المنتسبين للحركة الإصلاحية أن يسترجعوا حالة من الانتعاش من خلال دارسته والوقوف على أفكاره بالتحليل والمناقشة، هذا ما جعل الإدارة الاستعمارية تنظر إلى الحركة الإصلاحية بوادي سوف على أنها حركة سياسية أكثر منها إصلاحية اجتماعية، وعليه بات من الضروري التضييق على أعضائها بشتى الأساليب والوسائل، حتى يتلاشى وجودها بالمنطقة من خلال نبذ السكان المسلمين لها جراء المضايقات التي أصبحوا يخضعون لها.

وأمام هذه الأوضاع نجد الدور الفاعل الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين من خلال المقالات التي تصدرت في معظمها جريدة البصائر بلسان الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، كما عين الشيخ خير الدين مكلفا بمتابعة المساجين والقيام على تلبية حاجياتهم[656]، إضافة إلى موقف جمعية العلماء المسلمين المساند والمدافع عن الشيخ عبد العزيز ورفاقه، فإنه قد وفدت عدّة برقيات احتجاج، وتضامن مع الشيخ عبد العزيز من طرف مسلمي العالم، ومن بين هذه البرقيات برقية بعنوان: "صوت الجزائر من فرنسا : برقيات احتجاج وتضامن مع الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي" جاء فيها :

---

[654] **سجل الجمعية الدينية الإسلامية بالوادي (سوف)**، مكتبة سيدي سالم، الوادي.

[655] موسى بن موسى : " الجمعية الدينية الإسلامية بالوادي (سوف) ودورها الاجتماعي والديني "، **مداخلة**، ندوة مشروع بحث بعنوان الجمعيات الأهلية بالجزائر خلال (1854 – 1945)، نوفمبر 2008، قسم التاريخ بمعهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالمركز الجامعي، الوادي، 2008.

[656] للوقوف على تلك المقالات ودور الجمعية في مناصرة القضية. - ينظر موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية**، مرجع سابق، ص ص 188 – 190.

.« إن المسلمين مجتمعون في باريس يوم 30 مارس من مختلف البلدان يشاطرونك الآلام ويعدونك بالتضامن التام، الإمضاءات: محمد الخصيري عبد الله "عن مصر"، الدكتور عبد الله اخشاتي " عن الهند"، الفضيل الورتلاني، سعيد البيباني، المصلح بن عتيق، محمد الزاهي " عن الجزائر، " لحساسنة " عن تونس، " بن فضيل " عن المغرب الأقصى، "محمد المهدي اسكاليطوا" و"محمد علي اليوس" عن فرنسا[657]. »، ومع هذا مكث الشيخ عبد العزيز الشريف ورفاقه بسجن الكدية بقسنطينة حوالي أربع سنوات، وفي أوائل عام 1942 أطلق سراحه[658]، رغم أنَّ الشيخ عبد العزيز ورفاقه قد حصلوا على حريتهم، إلا أنهم منعوا من الرجوع إلى إقليم وادي سوف برمته، ولو بصفة مؤقتة، فقد كانت السلطات العسكرية بالمناطق الجنوبية متخوفة من هؤلاء الأشخاص، مما يظهر من خلال أحد التقارير التي تحذّر من أن هؤلاء الأشخاص، كانوا ومازالوا غير مرغوب فيهم، لأنهم يشكلون خطرا على الأمن العام[659]. ويضاف إلى هذا كله التطورات الحاصلة على مستوى العالم، من خلال قيام الحرب العالمية الثانية، التي كان لها بالغ الأثر على الأوضاع السياسية، التي بدورها أثرت على الميادين الأخرى، حيث كان أهمها الميدان السياسي، الذي شهدت من خلاله الحياة العامة نوعا من التكتم، فكيف يمكن لمنطقة صحراوية ذات بيئة طاردة، أن تتواصل فيـــــــــها الأعمال السياســـــــــية.

ثالثا - أوضاع وادي سوف السياسية خلال الفترة الممتدة بين (1939 – 1947) :

إن أحداث أفريل 1938 يضاف إليها التوتر العالمي، الذي نتج عنه قيام الحرب العالمية الثانية جعل الجزائر كمستعمرة تدخل حالة ركود وسبات سياسي عطل العمل بمنظومة الأحزاب، مما أحدث نوعا من الفراغ السياسي، هذا بدوره أوجد وضعا سياسيا مهتزا، لم يسمح للحركة الوطنية التفاعل، لكن ذلك لم يمنع من حدوث مواقف كان لها الأثر في بلورة الصورة المكتملة للحركة

---

[657] **البصائر** : العدد 109، السنة الثالثة، الجمعة 21 صفر 1357هـ/22 أفريل 1938م.

[658] عاشوري قمعون : "دور عائلة الشيخ إبراهيم الشريف"، المرجع السابق، ص83.

[659] أحمد صاري : **شخصيات**، المرجع السابق، ص60.

الوطنية التي ما لبثت أن عملت جاهدة في إعادة ترتيب بنيانها السياسي. وفي هذه الأثناء كانت منطقة وادي سوف تترقب الجديد، لما كان لها من خصوصية جغرافية لم تجعلها بمعزل عن الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر قبيل صدور قانون 20 سبتمبر 1947. وأثناء الحرب العالمية الثانية شهدت الجزائر نشاطا لعدة أحزاب أبرزها حزب الشعب المنحل، الذي ظل يعمل في السرية، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وما انبثق عنها من منظمة سرية، وجدت بوادي سوف استعدادا ماديا وبشريا، رغم صعوبة الوضع الذي ظلت وادي سوف تتميز به، وهو النظام العسكري، حتى بعد إعلان نهاية هذا النظام في سنة 1947، إضافة إلى إقرار العمل بنظام البلدية المختلطة، الذي تأخر حتى الخمسينات، والحزب الشيوعي الذي وجد فيه الكثير من السكان المسلمين منفذا للحصول على بطاقة العضوية، خاصة التجار، لما تقدمه هذه البطاقة من تسهيلات أمام نقاط المراقبة، كما استغلته الفئة التي تحصلت على مستوى تعليمي فرنسي للدفاع عن العمال من جهة، والمضطهدين السياسيين من جهة أخرى، وحركة أحباب البيان والحرية من خلال نشر وتوزيع صحفها كصحيفة " **المساواة** "، وصحيفة " **الجمهورية** ".

1 – نشاط حزب الشعب خلال المرحلة السرية[660] بوادي سوف :

إن حزب الشعب المنحل من خلال القرار، الذي أصدرته السلطة الفرنسية منذ إعلان حالة التأهب للمشاركة في

[660] محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ترجمة أحمد بن البار، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 888 – 891.

الحرب العالمية الثانية سنة 1939 ضد دول المحور، غير أن هذا الوضع لم يمنع من بروز تحركات سرية للحزب، لكن تواجده يرجع إلى أول محاولة لإنشاء خلية بمنطقة وادي سوف سنة 1940، بفضل جهود مناضلي المنطقة، كأحمد ميلودي[661]، الهاشمي ونيسي[662]، عبد القادر العمودي[663]، محمد بلحاج ميهي[664]، حيث تأسست في أواخر 1943[665] بتشجيع من المناضل سعيد ادريس المقيم بقسنطينة[666]، إثر اجتماع سري بمنزل الهاشمي ونيسي تحت إشراف المناضل أحمد ميلودي[667]، ويعود الفضل في تأسيس هذه الخلية إلى الهاشمي ونيسي، الذي كانت تربطه علاقة صداقة ببعض مناضلي حزب الشعب الجزائري في بسكرة، من بينهم يوسف العمودي، وبفضل هذا

---

[661] ولد سنة 1919 بالوادي، أسس أول خلية لحزب الشعب1943، وشارك في انتخابات 1948، كلّف بشراء الأسلحة من طرف محمد بلوزداد، توفي سنة 2002. - **ينظر** علي عون : "المناضل الوطني الكبير أحمد الميلودي"، **أربعينية المناضل الوطني الكبير الفقيد أحمد ميلودي**، 3 فيفري2003،ص 2.

[662] ولد خلال 1925 بالوادي كان عضوا بارزا في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، انضم للنظام المدني تحت إشراف بشير غربي، وألقي عليه القبض، وأعدم في أفريل 1957. - **ينظر** سعد العمامرة ، الجيلاني العوامر : **شهداء حرب التحرير بوادي سوف**، (د.ط)، مطبعة النخلة، الوادي، (د.س)، ص 92.

[663] ولد سنة 1925 بالوادي، أحد مجموعة 22 ومسؤولاً لمنظمة السريّة بجنوب قسنطينة، وادي سوف، بسكرة، الأوراس، النمامشة ومازال على قيد الحياة. - **ينظر** سعد العمامرة : " المجاهد عبد القادر العمودي أحد 22 مفجرّي الثورة التحريرية "، **مجلة القباب**، عدد خاص، الوادي، 2005، ص ص 46، 47.

[664] ولد سنة 1919 بالوادي كلّف بمهمة جلب السلاح للمنطقة للتحضير للثورة، توفي سنة1962، واسمه الحقيقي البشير ميهي. - **ينظر** علي بوصبيع العايش : " الرجل الذي مكّن ثورة التحرير من أول دفعة سلاح "، **جريدة الشعب**، العدد 13919، الجزائر، 23 مارس 2000، ص ص 10، 11.

[665] خضراء بوزايد : " الطريق إلى نوفمبر 1954"، **مجلة المصادر**، العدد 4، الجزائر، 2001، ص 195. – سعد العمامرة : " المجاهد عبد القادر العمودي "، مرجع سابق، ص46.

[666] محمد عباس : " من رواد الحركة الثورية بالوادي"، **جريدة الشروق**، العدد 671، الجزائر، 31 جانفي 2003، ص 7.

[667] سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 18.

الأخـــــير تم الاتصال بحزب الشعب الجـــــزائري، فوصله التكليف الرسمي بتأسيسها، وضمت الأشخاص الآتي الأسماءهم[668] :

الهاشمي ونيسي رئيسا.

والأعضاء هم :

محمد بلحاج ميهي، البشير بن موسى[669]، أحمد ميلودي، عبد القادر العمودي، بلقاسم العمودي، الشافعي قدادرة، المولدي[670] ونيسي[671].

ويـــــــذكر أن محـــــــــــمد بلـــــــــحاج ميـــــــــــهي كان مســـــــــــــــؤولا عن الشؤون المالية، وجمع الاشتراكات والتبرعات[672]،[673]، وعبد القادر العمودي نائبا له[674]، وبمجرد تأسيس هذه الخلية اتصل أحمد ميلودي بقسمة بسكرة لإطلاعهم على ذلك[675]، هذا وقد توسعت الخلية بانضمام عدد من المناضلين من بينهم[676] :

---

[668] علي بوصبيع العايش : " قصة مجاهد "، **مجلة وردة الرمال**، الوادي، 2004، ص 13

[669] ولد سنة 1917 بالوادي كان عضوا بارزا في المنظمة الخاصة بالمنطقة توفي في أفريل 1957، **ينظر:** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص91.

[670] ولد سنة 1924 بالوادي كان من الأعضاء البارزين للمنظمة الخاصة، ساهم في عملية التسليح للثورة.- **ينظر:** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : نفس المرجع ، ص 91.

[671] علي بوصبيع العايش : " الحركة الوطنية بوادي سوف "، **مدونة المحاضرات، الندوة الفكرية الرابعة للأمين العمودي**، أيام 30 أفريل إلى 03 ماي 1991، ص 8.

[672] علي بوصبيع العايش : " الرجل الذي مكن ثورة التحرير من أول دفعة سلاح "، المقال السابق، ص 10.

[673] يذكر أن رئيس الخلية هو أحمد الميلودي والاعضاء يضيف عبد السلام الشابي، مصباح سالمي. - **ينظر:** علي عون : " مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة بالسلاح والعتاد والرجال "، **مدونة محاضرات الندوة الفكرية الخامسة للأمين العمودي**، أيام 29 أفريل إلى 2 ماي 1999، ص 23.

[674] خليفة قعيد : " ظروف انبعاث ثورة نوفمبر 1954 بالوادي "، **جريدة النهار**، الجزائر، 1نوفمبر 1994.

[675] محمد عباس: المرجع السابق، ص7.

[676] علي بوصبيع العايش : "الحركة الوطنية بوادي سوف"، المرجع السابق، ص8.

الكيلاني الأرقط[677]، بلقاسم عدوكة، محمد سلطاني[678].

أمّا عن المهام الموكلة للخلية فتمثلت في :

- استقبال المناشير التي تحمل الأفكار الواجب نشرها في الأوساط الشعبية.

- التكوين السياسي، وتجنيد المناضلين الجدد في الحزب، وتأطيرهم ضمن خلايا جديدة عبر تراب المنطقة، وتوعيتهم من خلال الاجتماعات السياسية المنتظمة.

- مكافحة الاستعمار، وتفسير كلمة " الاستقلال "، التي تعني الحل الوحيد، الذي يخرجهم من الحالة المزرية التي يعيشها الوطن[679]. فكانت هذه الأهداف كفيلة برفع وتيرة التعبئة الشعبية نتيجة الكبت، والاضطهاد السياسي[680]، حيث استطاعت الخلية أن تزيد من عدد المتعاطفين والعاملين في مساندة القضية، هذا ما سرَّع في نشر الوعي السياسي، الذي زاد في عدد المناضلين، وجعل إقليم وادي سوف من الأقاليم، التي يراهن عليها لتقديم خدمات للحزب خلال نشاطه السري.

2 -الحزب الشيوعي بوادي سوف :

الحزب الشيوعي الجزائري نتاج الحزب الشيوعي الفرنسي، وهو ذو ميل نقابي[681] أكثر منه سياسي، وأســـــــــــس إثر قرار مؤتمر فيلاربان (Villeurbane) سنة 1935 القاضي بإنشاء فرع للحزب الشيوعي الفرنسي بالجزائر، وعليه أخذ الحزب استقلاليته، وصار يعرف بالحزب الشيوعي الجزائري، وتشكلت له فروع بالجزائر، منها ما كان أعضاءه جزائريين، وفروع

---

[677] ولد سنة 1920 بالوادي من أعضاء المنظمة الخاصة توفي 1956. - **ينظر:** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص64.

[678] ولد سنة 1914 بالوادي، ويدعى شوشان سلطاني، من أعضاء المنظمة الخاصة استشهد في أفريل 1957. - **ينظر** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : نفس المرجع، ص 108.

[679] علي بوصبيع العايش : "قصة مجاهد"، المرجع السابق، ص 13.

[680] محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ص 888..

[681] شارل أندري جوليان : **إفريقيا الشمالية تسير**، ترجمة محمد مزالي وآخرين، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 155.

مختلطة[682]، ليبدأ العمل سنة 1936، منذ أن عوض الشيوعيون مطالبتهم باستقلال الجزائر، بالدعوة إلى التعاون الفرنسي الجزائري في إطار إتحاد فيدرالي بين فرنساوالجزائر[683]، ليبرز تأثيره جليا على الطبقات الشغيلة، عمالا وفلاحين، خاصة أثناء إضراب 1937، الذي قام به العمال الزراعيون في كل من عنابة وسكيكدة. لتزداد أهمية الحزب حينما وثق صلاته مع العلماء المصلحين، وبنشاطه في إطار النقابات و في لجان الواجهة الشعبية[684]، فكان ذلك مشجعا للعديد من الناشطين بوادي سوف التقدم لتشكيل فرع للحزب بالإقليم، رغم التحفظات التي كان يبديها الجزائريون للشيوعيين[685]. أما على ممثليه في المنطقة نذكر منهم : ميسة محمد، السروطي العبسي[686]، عمار ميسة، بوهلال محمد الصادق، وهذا الحـــــــــزب لم يكن له نشاط سياسي واضح، وإنما اقتصر عمله على تحقيق العدالة الاجتماعية بين السكان، وتحسين أوضاعهم المعيشية. ذلك من خلال ما كان يقوم به السيد العبسي في مراسلة الصحف، وطرح المشاكل خاصة ما كان يتعرض له العمال والتجار، فكان الحزب بمثابة المدافع عن الحقوق، حتى أن غالبية المنخرطين كانوا يتخذونه وسيلة للاحتماء به، هذا لم يمنع من وجود أعضاء كانت لهم ميول حزبية نابعة من قناعات فكرية. ذلك للثقافة التي كانوا قد تأثروا بها نتيجة تتبعهم للتطورات الحاصلة بالجزائر منذ اعتلت الجبهة الشعبية سدة الحكم، فكان ذلك منفذا هاما للعديد من هؤلاء للانخراط بالحزب الشيوعي، يضاف إلى ذلك أدبيات الحزب الداعية، لمناهضة كل أشكال الاضطهاد الاجتماعي، فكان ذلك مسلكا هاما للتنفذ، والمشاركة في رفع الغبن والاضطهاد. وكان مقـــــــــر الحزب بساحة اليهود بالوادي[687] بمثـــــــــابة

---

[682] Notes : **Centre d'Informations et d'Etudes, N°** 1016,C. I. E au Prefe 04 November 1941, Archives Historiques, Willaya de Constontine. – ينظر عبد الكريم بو صفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1401 هـــ/1981 م، ص 243.

[683] شارل أندري جوليان : **إفريقيا**، المرجع السابق، ص 156.

[684] عبد الكريم بوصفصاف : المرجع السابق، ص 243.

[685] عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون : **الكفاح** القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الثانية 1936 – 1945، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 190 – 192.

[686] سعد العمامرة، علي عون : المرجع السابق، ص5.

[687] وتعرف عند العامة برحبة اليهود، وهي الآن تدعى ساحة فلسطين.

الملاذ، مما كان يشكل بـــــــؤرة توتر للسلطـــــة، حيث كان من الصعب المجاهرة بمثل هذه المـــواقف، لكن مع ذلك ظل المقر لمدة طويلة يمثل هاجسا يحدث قلقا مستـــــمرا للسلطة ومواليها مـــــن السكان المسلمين الجزائريين. أما عن طبيعة وظـــــــــــــــائف القائمين فكانوا متـــــنوعي الوظائف، فمنهم العامل الحـــــــرفي والفلاح كغالبية الأعضاء في قمـــــــــار، التي كان ينشـــــــــــــط بها الحزب، وبعض الإداريين، لكن ما كان يميز أعضاء الحزب هو مزاولتهم التعليم بالمدارس الأهلية، هذا كان مؤهلا لمقدرة العديد منهم، لمواجهة السلطة مواجهة الند للند، من خلال لغة الخطاب، التي يوظفها أعضاء الحزب، وهي اللغة الفرنسية ذاتها. كما أن الحزب يمثل وسيلة من وسائل المواءمة النسبية، لمجارات السلطة الاستعمارية، قصد تمرير وحل بعض المشاكل لصالح السكان المسلمين الجزائريين. وعليه فإن الحزب شكل من أشكال التأقلم، الذي من خلاله ظهرت فئة واسعة النطاق، مما يمكن اعتبار الحزب الشيوعي، الحزب الأكثر انتشارا بين الأوساط السكانية، لما كانت تقدمه بطاقة العضوية لكثير من التجار المتنقلين[688].

3 – *صدى حركة أحباب البيان والحرية :*

تأسست حركة أحباب البيان والحرية في 14 مارس 1944[689] برئاسة فرحات عباس[690]، ومن أبرز أهدافها الدفاع عن البيان كمهمة عاجلة وأكيدة للحركة، ونشر الأفكار البجديدة للحركة[691]،

---

[688] **حوار** مع السيد عبد الرحمان سالمي بزاوية سيدي سالم، مرجع سابق.

[689] عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق، 264.

[690] محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ص ص 883، 884.

[691] فرحات عباس : **ليل الاستعمار**، ترجمة فيصل الأحمر، سلسلة الترجمات، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، لمستك، الجزائر، 2010، ص 141.

فجاءت الحركة جامعة لكل التيارات المراهنة على فكرة الاستقلال والمثقفين الجزائريين من النخبة وحزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين والكشافة والشباب وغيرها من المظمات والشخصيات الوطنية[692]، فكان ذلك مشجعا لتواجد هذه التشكيلة تبعا لما تصدره من جرائد كجريدة **"المساواة"**، وهي تصل باستمرار لوادي سوف، وكان السيد "مسعود خونه[693]" المسؤول عن توزيعها، هذا في إطار التعاون الذي كان قائما بين أفراد الحركة الوطنية من جهة، وأبناء المنطقة التي تربطهم علاقة الجوار، لكن ما يلاحظ على الصلة بين العاملين في الحركة الوطنية، وأحباب البيان هي في غالبها علاقة تعاطف.

4 -أثار وانعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على وادي سوف :

مجازر 8 ماي 1945 المنعرج الحاسم في تاريخ الحركة الوطنية عبر التراب الوطني[694]، بما في ذلك منطقة وادي سوف، إذ غداة تلك المجزرة قام الحاكم العسكري بالمنطقة باعتقالات عديدة ومداهمات، وألقى القبض على العديد من مناضلي التيارات السياسية من بينهم : الهاشمي ونيسي عن حزب الشعب، والشيخ البشير بن بردي عن جمعية العلماء، والسيد محمد ســـــروطي (العبسي)[695] عن الحزب الشيوعي، والسيد لخضر قدوري من الأعيان[696]، فأبعدوا إلى الزاوية الكحلة[697]، وعين صالح في أقصى الجنوب بالقرب من غدامس، كترهيب وإخماد لأي حركة

---

[692] عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق، 264.

[693] **حوار** مع السيد مسعود خونة، وهو مسعود لمسقم، كان يشغل وظيفة نادل بمقهى بوجمعة مقر حزب الشعب بالوادي، تم الحوار بمتحف المجاهد بالوادي صبيحة يوم : الأحد 07 ربيع الأول 1429هـــ الموافق 13 أفريل 2008.

[694] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 2، مرجع سابق، ص ص 223 – 252. – محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ص 953.

[695] ولد في 1914 بالوادي، انظم لحركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1948، توفي في أفريل 1957.- **ينظر** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 85.

[696] علي عون : "مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة بالسلاح والعتاد والرجال"، المرجع السابق، ص 24.

[697] وهي برج عمر إدريس حالياً بإليزي.

متوقعة[698]، ونتيجة للضغط الاستعماري على المناضلين اضطر أحمد ميلودي إلى اللجوء مؤقتا إلى تونس نظرا لظروفه السيئة[699].

5 - حركة انتصار الحريات الديمقراطية بوادي سوف :

إثر إجراءات العفو العام، التي أقرتها السلطات الفرنسية بالجزائر، لمحاولات امتصاص الغضب، كان لابد على السلطات الفرنسية أن تسارع إلى تبني إجراءات سياسية، ظاهرها السعي وراء ارساء سياسة تخدم الجزائريين، وباطنها يقر بمبدأ المماطلة، وتفويت الفرصة عليهم أمام موجة حركات التحرر، المناهضة للسياسات الاستعمارية، خاصة فرنسا وما تتلقاه من ضربات موجعة بالهند الصينية، فما كان على فرنسا إلا المسارعة ابتداء من مارس 1946 بتطبيق اجراءات سياسية. كان من أهمها إطلاق سراح العديد من المناضلين المسجونين[700] في ربوع البلاد، كما استفاد الكثير من المهاجرين هربا بأنفسهم من بطش الاحتلال من الرجوع إلى الجزائر، كان من بينهم أحمد ميلودي، الذي عاد لمواصلة نضاله، غير أن الوضع تغيَّر، حيث سمح لمناضلي حزب الشعب المنحل أن يبعثوا بحزبهم تحت تسمية جديدة عرفت بحركة انتصار الحريات الديمقراطية في ديسمبر 1946. وقد تأسست حركة انتصار الحريات الديمقراطية كواجهة سياسية لحزب الشعب الجزائري المنحل بقيادة مصالي الحاج[701]، فكان لزاما على القيادة أن توسع من انتشار الحركة، وعلى إثرها قدم محمد بلوزداد[702] إلى وادي سوف لتأسيس فرع لها[703] برئاسة أحمد ميلودي في نفس السنة، حيث عقد اجتماع بحضور محمد بلوزداد

---

[698] تقرير الأمانة الولائية للمجاهدين بالوادي : **الملتقى الأول لولايات الحدود**، ولاية الطارف، (د. ت)، ص 7.

[699] محمد عباس: **فرسان الحرية شهادات تاريخية**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 7.

[700] محمد عباس : **ثوار عظماء شهادات 17 شخصية وطنية** ، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 257.

[701] محمد العربي الزبيري: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج1، (د.ط)، منشورات اتحاد كتّاب العرب، دمشق، 1999، ص 150.

[702] ولد سنة 1923 بالجزائر، التحق بصفوف حزب الشعب سنة 1943، ونظرا لكفاءته تزعّم النظام السرّي للحزب توفي سنة 1952 بمرض السل. - **ينظر** محمد عباس : **فرسان الحرية**، المرجع السابق، ص 11.

[703] سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 19.

في مقهى " بوجمعة[704] "، فأنظم إليه محمد بلحاج ميهي، البشير بن موسى، عبد القادر العمودي، المولدي ونيسي، بشير غندير بن بدادة[705].

6 –المنظمة السرية بوادي سوف :

أنشئت المنظمة السرية من خلال تعبئة الفئة الشبانية من حركة الانتصار(حزب الشعب)، فكان عملا استراتيجيا للإعداد للثورة[706]، لأن موجة التحرر صارت الملمح الرئيسي لدى غالبية الشعوب المحتلة. ذلك ما شجع تلك الفئة إلى التفكير بتأسيس المنظمة، وقد كان ذلك خلال المؤتمر السري المنعقد يومي 15 و16 فيفري 1947، فجرت أشغال اليوم الأول في بيت مهدي عوماري ببوزريعة، واليوم الثاني بمصنع للمشروبات الغازية لمالكه مولود ملاين ببلكور[707]، هذه السرية اقتضتها الأوضاع التي سادت البلاد[708]، فكانت وادي سوف من المناطق، التي تواجد بها، نتيجة البلاء الذي أبداه مناضلي الحركة من خلال توسيع رقعة نشاطها[709]، حتى إمتدت صوب وادي ريغ وورقلة، إضافة إلى الدور التاريخي الذي لعبته المنطقة في دعم المقاومات الشعبية بالسلاح والذخيرة المجلوبة من القطر التونسي. ووادي سوف منطقة حدودية ذات مميزات تجعلها منطقة موفرة للموارد الأولية، التي تحتاجها المنظمة عند الضرورة، لأن الإقليم ذو مقومات تضاريسية، جعلت الفرد بوادي سوف يستغله لصالحه، كما أن حركة التجارة المحدودة المراقبة والتقنين نشطة، رغم العراقيل المتخذ من قبل الإدارة الاستعمارية. كل ذلك جعل مؤسسي المنظمة يراهنون على توسيع تواجد المنظمة،

---

[704] مقها شعبي يتواجد بزقاق البير مقر الملحقة. وما يزال المقهى يؤدي عمله حاليا.

[705] خليفة قعيد: المرجع السابق، ص 9.

[706] محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، المرجع السابق، ص ص 1043 – 1044.

[707] مصطفى سعداوي : **المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر**، مكتبة الخورزمي، متيجة للطباعة، الجزائر، 2009، 47.

[708] مصطفى سعداوي : نفس المرجع، ص ص 21 – 38.

[709] مسعود كواتي : **تاريخ الجائر المعاصر وقائع ورؤى**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 175 - 186.

خاصة في الأقاليم الطرفية. وفي سنة 1947 عاد محمد بلوزداد مرة ثانية، لتأسيس المنظمة السرية الشبه العسكرية بوادي سوف، نتيجة لهذا العمل تكونت أول خلية كشفية بالمنطقة سنة 1947، لتكون كغطاء ودرع للإعداد للثورة بإيعاز من العربي بن مهيدي[710]، الذي أطلق عليه اسم "فوج الرمال"[711]، ومؤسسه أحمد ميلودي[712]، والأعضاء هم :

عبد القادر العمودي، العروسي ميلودي، علي عيادي، العروسي نوبلي، كيلاني الأرقط، البشير بن موسى، صالح علوي، قروي عبيدي[713]، وكان أول اجتماع للفوج في ربيع 1947 بمنزل بشير بوزيان، الذي أتخذ أول مقر للفوج[714]، وفورا بادر أحمد ميلودي بالسفر إلى العاصمة لاستخراج ترخيص للفوج[715]. أمّا تشكيلة الفوج وفقا للأدوار فكانت كالآتي : علي عيادي قائد الفوج، صالح علوي مرشدا ومدربا للفوج[716]، العروسي نوبلي قائد وحدة الأشبال، الكيلاني الأرقط قائد وحدة الجوالة، قروي عبيدي قائد الفرقة[717].

ومن أهم نشاطات الفوج العديدة نذكر منها :

- إقامة المخيمات في الشمال، والجنوب، والشرق، وكانت مسبوقة بحملة توعية بإشراف محمد بلحاج ميهي، وبمساعدة الهاشمي حساني.

---

[710] عبد القادر العمودي : " أهداف الكشافة الإسلامية الجزائرية "، **الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الإسلامية**، الجزائر، 1999، ص 95.

[711] علي عون : "المناضل الوطني الكبير أحمد الميلودي"، المرجع السابق، ص2.

[712] بن سالم بلهادف : **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة الوليد، الوادي، 2008، ص 168.

[713] عبد القادر العمودي : المرجع السابق، ص 97.

[714] واتخذ سكن عبد الرحمان مياسي مقراً للفوج أيضا. - **ينظر** عبد القادر العمودي : نفس المرجع، ص 8.

[715] نفسه، ص ص 95 - 103.

[716] علي عون : " مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة بالسلاح والعتاد والرجال"، المرجع السابق، ص 24.

[717] عبد القادر العمودي : المرجع السابق، ص 103.

- تدريب الكشافة على مختلف الرياضات، والأناشيد، إضافة إلى التدريب السري على استعمال السلاح[718].

- إنشاء فرق المسرح، تقوم بتمثيليات دينية، ووطنية.

- زرع روح الأمل، والوطنية في نفوس الشباب، وكره الاستعمار وأعوانه.

- القيام بالتعليم في المساجد لحفظ القرآن الكريم، وفي المدارس الحرة لتعريفهم بتاريخ الوطن.

- جعل صندوق توفير لعائلات المشاركين في الفوج، لتفادي بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وفقا لما تقتضيه الإمكانيات.

هذا وقد تعرض الفوج إلى مضايقات من طرف إدارة الاحتلال، حيث سجن بعض قادته[719]. وكان لقانون 20 سبتمبر 1947[720] الصادر في عهد الجمهورية الرابعة أثر بالغ على منطقة وادي سوف، الذي نص على إلغاء الحكم العسكري في الجنوب، وإخضاعه للإدارة المدنية[721]، الذي طبق على المنطقة بداية من 14 أوت 1950[722]، ونتيجة لذلك منحت فرنسا للمنطقة جملة من الإصلاحات أبرزها :

---

[718] علي عون : " مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة بالسلاح والعتاد والرجال"، المقال السابق، ص ص 24، 25.

[719] عبد القادر العمودي : المرجع السابق، ص ص: 98 - 104.

[720] وهو القانون العضوي للجزائر. – ينظر محفوظ قداش : **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، مرجع سابق، ص 1027.

[721] محفزظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، نفس المرجع، ص 1027. - شوقي الجمل : **المغرب العربي الكبير**، ط2، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، مصر، 1997، ص390.

[722] محمد المولدي سيشي : "مقتطفات من تاريخ بني عدوان وعمارة سوف"، **مدونة محاضرات الندوة الفكرية الأولى للشيخ العدواني**، الزقم من ديسمبر 1996 إلى جانفي 1997، ص4. - Leonard Roger : **Les**

- وضع إدارة مختلطة بالمنطقة التي أسست بقرار 21 ماي 1950[723]، وعين أول حاكم مدني لها "شالمون" (Chelmon)[724]، وكاتبها بشير بن محمود.

- حق الانتخاب لأهالي المنطقة.

وبموجب هذا الدستور أجري بالمنطقة انتخابات المجلس الجزائري أفريل 1948. أما الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي أعلن عن ميلاده فرحات عباس في أفريل 1946، قد ضم المنتخبون والأعيان، مع تفادي أي تدخل من حزب الشعب الجزائري[725]، مما جعل السياسيين العاملين بوادي سوف يمتنعون عن تقديم المؤازرة للحزب الفتي، لأن غالبيتهم ينشطون في حركة الانتصار (حزب الشعب الجزائري)، إضافة إلى كون أعضاء الاتحاد نخبة يقل تواجدها بالإقليم، وعليه فإن مثل هذا التكتل لا يستطيع التواجد بإقليم طرفي.

وخلاصة القول أن السياسة الاستعمارية منذ الاحتلال عمدت إلى جعل السكان المسلمين الجزائريين ينصاعون لها عن طريق وسائل الترغيب والترهيب. ذلك وفق ما كان يخطط له وبحسب الظروف المتاحة، لكن في الغالب كانت تتميز بالشدة والعنف، نتيجة المواقف العدائية التي تغلب في بروزها على مستوى موقف السكان المسلمين الجزائريين. ذلك من خلال مواكبة مسيرة الكفاح والتصدي الوطني من خلال كفاح الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، وغيرهما من المقاومين إلى العمل على اختيار المقاومة السياسية من خلال تتبع التطورات السياسية بالجزائر، أو حتى الأقطار العربية والإسلامية من خلال الهجرة الموسمية، أو الإعلام المقروء والمسموع. وخاصة التطورات السياسية الحاصلة بتونس باعتبارها بلدا حدوديا مجاورا ، كما أنه قطر يرتبط به الجزائريون اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. علما أن المحتل قد استغرق مدة تزيد عن العشرين سنة في احتلاله للمنطقة، وهو

---

territoire du sud d'Algérie (compte rendu de l'œuvre accomplie de 1947-1952), Imprimerie officielle, Alger, 1954, p 14.

[723] Ibid, p 15.

[724] **حوار** مع السيد أحمد خراز، مرجع سابق

[725] محفوظ قداش : تاريخ الحركة، ج 2، ص ص 964، 965.

يحاول جس النبض، فكان ذلك ماثلا في شكل رحلات استكشافية استطلاعية، حتى سنة 1854، مما سمح له بالتقدم نحو احتلال وادي سوف، لكن الاستقرار النهائي تطلب أكثر من ثلاثين سنة. ومحاذاة إقليم وادي سوف للحدود التونسية، والليبية شجع بعض المقاومين اتخاذ المنطقة، كمأوى وانطلاق لما كان أهل وادي سوف يقدمونه من دعم ومؤازرة. أما على مستوى الوضع الإداري، فقد حاولت السلطات الفرنسية سن نظام القياد والخلفاء، والشيوخ إلى سنة 1885، حينما أنشأت ملحقة الوادي، واستقرت بها الإدارة العسكرية الفرنسية، لتبدأ في تنظيم شؤون السكان الإدارية، والقضايا الهامة، بالرغم من الوضع العسكري السائد. كون المنطقة تقع في الجنوب، هذا ما جعل الوضع السياسي يظل في حالة قلق وحرج دائمين، لكن مع ذلك شهد الوضع السياسي بالإقليم تأقلما ملحوظا. ذلك من خلال النظام الإداري الذي أصبح أمرا محبذا لدى السكان المسلمين الجزائريين، لما يؤمن لهم من انضباط يضمن للفرد الحصول على بعض الحقوق في إطار سياسة قانون الانديجينا، إضافة إلى الوضع الطرقي السائد الذي حاول من خلاله الكثير من موريدي بعض الطرق الصوفية، الذين حاولوا جاهدين بقصد، أو حتى عن غير قصد تثبيت فكرة الاحتلال "قضاء وقدر"، وأن فرنسا بلد قوي، لا يمكن قهره، بل أن الجزائريين كغيرهم من المجتمعات، التي تعيش على هامش الحضارة لا تستطيع أن تستغني عن الدولة الفرنسية، فكان ذلك عاملا مثبطا لكثير ممن يحاول مجابهة الوضع السياسي السائد. كما أن التأقلم قد يتخذه البعض على أساس التحايل على الإدارة الاستعمارية للحصول على المبتغى المنشود، هذا ما تؤكده إحدى الروايات أن أحد المهاجرين المقيمين بفرنسا بعث لوالده بالوادي يقول له في الرسالة أن الجهة الوصية، التي يعمل عندها قالت له أنه حينما "يطورس"؛ أي يتجنس بالجنسية الفرنسية، فإنه سيستفيد بامتيازات كثيرة من بينها زيادة الأجر، فرد عليه والده قائلا : طورس... طورس... طورس. ذلك نموذج من بين النماذج العديدة التي اختارت التأقلم أسلوبا ناجعا للتخفيف من حدة التصادم، بالإضافة إلى أن التأقلم التام، الذي يجعل من المجتمع يتملص من هويته، غير ممكن، ليس لكون إرادة السكان المسلمين الجزائريين بوادي سوف أقوى من الإغراءات، التي يمكن أن تقدمها السلطة الاستعمارية، بل لكون التواجد

الاستعماري من خلال المعمرين غير قوي مقارنة ببعض المناطق المجاورة، والمدن الشمالية من جهة، وصعوبة المنطقة من خلال الميادين المختلفة. ذلك ما يجعلنا ننفي بروز ملامح التأقلم، خاصة الملامح الإيجابية الحاثة عن القيم الأخلاقية التي هي في الأساس قيم حضارية حثت عليها الحضارات الإنسانية، والحضارة الإسلامية بالخصوص. أما عوامل المقاومة فتواجدها طبيعي تفرضه طبيعة المنطقة القاسية، التي ساعد فرنسا في حد ذاتها على إذكائها من خلال عدم النظر لهذه المناطق على أنها امتداد جغرافي لبلد مستعمرة، رغم التمييز العنصري الذي يشهده السكان الجزائريون في المدن الشمالية. إلا أن هذه المناطق كانت أكثر بؤسا من غيرها، فهي تعيش اضطهادا طبيعيا، وقهرا استعماريا، لذلك كانت ملامح المقاومة تطفو على السطح بصورة كبيرة، هذا في غالبية ربوع البلاد، تبعا للسياسة الاستعمارية الاستيطانية، مما جعلها تؤثر سلبا على الوضع الاجتماعي بوادي سوف، والذي لم يكن في منأى عن المؤثرات الغربية.

الفصل الثالث :

الوضع الاجتماعي ومستويات التصدي والتأقلم تجاه سياسة التغلغل الاستعماري بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1854–1947)

المبحث الأول – أثار التغلغل الاستعماري على الوضع الاجتماعي بوادي سوف.

المبحث الثاني – دور الهجرة في التصدي لسياسة التغريب بوادي سوف.

المبحث الثالث – تأثيـــر السيـــاسة الاستعماريـــة على القضاء بوادي سوف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مجتمع وادي سوف هو جزء من المجتمع الجزائري، الذي مورست في حقه سياسة التهميش قصد استغلاله من جهة، وتفكيك بنيته الاجتماعية من جهة أخرى، غير أن عوامل الانتماء الحضاري التي يتمتع بها حالت دون المساس بالقيم الثابتة التي يعتزُّ بها كل شخص ينتمي إلى هذه الوحدة الاجتماعية، وما تمثله من قيم حضارية ضاربة في التاريخ، يجعله يتمسك بها لمواجهة التحديات، وعليه سنحاول قدر الإمكان الإجابة عن التساؤلات الآتية :

ما حجم المقاومة الاجتماعية التي أبداها المجتمع بوادي سوف؟ وفيم تمثلت مستويات التأقلم مع المدنية الغربية؟ وإلى أي مدى أثرت سياسة التغريب في القيم الاجتماعية، والصحة والقضاء بمجتمع وادي سوف؟

المبـــحث الأول ـ أثار التغلغل الاستعماري على الوضع الاجتماعي بوادي سوف :

سارعت الإدارة الاستعمارية منذ الوهلة الأولى من تواجدها بالجزائر إلى فرض وضع اجتماعي تستطيع من خلاله العمل على تثبيت دعائم التواجد الاستيطاني، الذي برزت ملامحه مع تعيين المريشال "بيجو" سنة 1841، فكان ذلك تأكيدا صارخا بضرورة العمل على تكييف الأوضاع الاجتماعية بربوع البلاد قاطبة، غير أن هذه الرؤية لم تمكن فرنسا من فرض وضع اجتماعي، يكون لها الدور الفاعل في صياغة مميزاته. انطلاقا من أثر المسيحية الداعي إلى تمدين المجتمعات، خاصة البدائية، والمراهنة على القضية المتمثلة في التمركز العرقي حول الذات الأوربية بما فيها الفرنسية، قد استبدلت المسيحية عن الرؤية الكلاسيكية الممثل للصراع العرقي الحضاري بين الإغريق والبرابرة[726] بمقياس الإيمان، الذي كان أتباع المسيحية يحاولون نشره دائما، ومع ذلك فإن صورة التبشير المسيحي، مثلها مثل النظرة الإغريقية، التي تنفي كل ما هو غير إغريقي من حيزها، لا تشكل ركيزة تشجع على الاهتمام المتعاطف، أو الموضوعي بصفات الإنسان، أو ثقافته إن كانت تلك الصفات

[726] والبرابرة كلمة تطلق على كل من ليس من العرق الأوربي.

خارج الدائرة المسيحية[727]، ذلك ما جعل البعض من السكان يعتقدون جازمين أن هذه السلوكات والمواقف نابعة من رحم المدنية الغربية، هي النجاة بعينها لما أصبح عليه الوضع من استقرار، خاصة في فرض الأمن النسبي، والتخفيف من حدة النزاعات ذات الطابع الانتقامي. فكان ذلك كافيا في تفعيل مبدأ الاحتلال قضاء وقدر لدى الكثير من السكان الجزائريين، واعتبار الأوروبي الرجل المنقض، لكن رغم هذه الروح الانهزامية، إلا أن المجتمع حاول أن يحافظ على مقوماته الحضارية، ذلك لكون إقليم وادي سوف منطقة صحراوية من جهة، وأن السياسة الاستيطانية، لم تكن بارزة بوضوح، هذا لضآلة المعمرين الذين تواجدوا بالإقليم. ومنذ الاستقرار النهائي للمحتل بوادي سوف، لم يحدث تغيرا بارزا على الوضع الاجتماعي، ذلك نتيجة حيوية النشاط الاقتصادي بالمنطقة، مما انعكس على الوضع الاجتماعي بمختلف طبقاته الاجتماعية، زيادة على تميز الحياة الاجتماعية بأسس متشابكة العناصر، ذات الروابط البشرية المتعددة، والفئات الاجتماعية المتوازية، وأشكال الحياة المعيشية المزدوجة، جعلت جزءا هاما من السكان يفضلون حياة البداوة، بينما اختار الجزء الآخر من السكان العيش المستقر في مراكز حضرية، وقرى متعددة ظلت تتزايد بصفة مستمرة، مما أثر على تراجع عدد البدو الرحل، الذين صاروا يفضلون حياة الاستقرار، هذا لصعوبة العيش في الصحراء، وتزايد مستويات القحط والجفاف بها، حيث نجد الصحراء الشمالية الشرقية، كانت معشوشبة قبل العشرينات من القرن 20م، لكن بعد ذلك بدأ التصحر يتوسع فيها[728]، هذا ما جعل الوضع البيئي ينعكس سلبا على الوضع الاجتماعي، رغم ما بدا عليه من ايجابية في العمل على إنهاء حياة الترحال لدى البدو الرحل، وعلى هذا الأساس ساد مختلف هذه الأوساط الاجتماعية مستوى معيشي متقارب، وحالة صحية طبيعية حسنة عموما.

---

[727] أشلي مونتاغيو : **البدائية**، ترجمة محمد عصفور، كتاب عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكتاب 53، الكويت، مايو 1982، ص 206.

[728] **حوار** مع السيد محمد باي، مرجع سابق.

أما الأواصر التي تربط بين فئات المجتمع بوادي سوف، فقوامها الأول كان العائلة[729]، ثم الفرقة، وبعدها العرش، التي يربط بينها الود، ويطغى عليها الانسجام لوجود " **العرف** " المسموع لدى غالبية السكان، لكن هذا لا ينفي وجود المظاهر السلبية لدى عامة أفراد المجتمع، مما أثرت في وضع ترابطه من حين إلى آخر، وساعد في انتشار روح الفرقة والشقاق، والسبب يكمن حصره في الممارسات البسيطة، والعصبيات القبلية التي تشعل نارها العادات، والتقاليد البالية التي يحيكها بسطاء الفكر، أو المشعوذين والسحرة، أو أصحاب التعصب القبلي[730]، يضاف إلى ذلك الأساطير، وحجم تأثيرها على الأوساط الاجتماعية، التي كانت معوقا من المعوقات، لإبراز ملامح تسمح للسكان مجابهة السياسة التغريبية مواجهة حقيقية، لكن بمجرد ظهور مؤشرات التغيير، التي بدت على الأفق في ربوع الجزائر منذ العشرينات من القرن 20م، هذا ما جعل المنطقة تبدي محاولات جادة للدفع بالسكان نحو التمَيُّز. أما الوضع المعيشي فطغت عليه البساطة، وحميمية العلاقات الاجتماعية خلال النصف الأول من القرن 20م، حيث ينتشر المرح والسرور، والاستمتاع بالتسلية، واللعب في الأوساط الصبيانية، والتقاء الرجال بالمنتديات المسائية خارج حدود البيوت للسمر، ومناقشة الشؤون العامة، التي تحتاج إلى معالجة، وانغماس النسوة بالعمل الدءوب غير المنقطع صباحا ومساء، ومن هذه التفاعلات المتأصلة في المجتمع بوادي سوف نمت المودة بين أفراده، دون التغاضي عن الوضع العام السائد في ربوع البلاد، الذي ميزه البؤس والفاقة بالنسبة للسكان المسلمين الجزائريين.

أولا – تأثيرات سياسة التغريب على البنية الاجتماعية، وشبكة العلاقات للسكان بوادي سوف :

[729] مصطفى بوتفنوشت : مرجع سابق، ص 37.

[730] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 105.

البنية الاجتماعية هي منظومة اجتماعية منسجمة تقوم أساسا على العنصر البشري، المشكل للمجتمع. والمجتمع هو الكيان الاجتماعي، المتكون من مجموعة العناصر البشرية، المشكلة لنسق اجتماعي تربطه شبكة من العلاقات، والتفاعلات الدائمة، والمستقرة نسبيا، لتمكن تلك المجموعة المشكِّلة للكيان الاجتماعي من الاستمرار والبقاء، والتجدد في الزمان والمكان[731]. تلك الشبكة هي شبكة العلاقات الاجتماعية، التي من خلالها تبرز الملامح الرئيسة، للانسجام والتنافر. وللمجتمع الإنساني نوعان من القواعد السلوكية، التي تضبط مسار أطراده، الفئة الأولى من هذه القواعد السلوكية، هي قواعد مظهرية شعبية، تظهر في مجموعة السلوكات اليومية المتكررة، التي صارت من الأفعال المألوفة، لدى جميع أفراد المجتمع الإنساني، وهي مثل : اللباس ومنظومة الكلام، والتعامل مع الآخرين، وأسلوب الأكل، واستعمال الأدوات، والتصرف في المواقف المختلفة، هذه القواعد المظهرية، تمثل اهتمامات المجتمع الإنساني برمته، وليس انشغالات فئات خاصة منه[732]. أما الفئة الثانية هي القواعد السلوكية الخلقية، وتبرز في قوة الشعور، وعمق العواطف التي يثيرها التفاعل بين مجموعة عناصر المجتمع الإنساني، وهي قواعد ضرورية، لصلاح المجتمع. تلك القواعد تنظمها ضوابط أمنية، وقانونية يعاقب كل من يخالفها بشدة وصرامة، ومنها السلوك الجنسي، الذي تضبطه عدة قواعد سلوكية خلقية في جميع المجتمعات، كما أنه يؤثر في بناء العائلة، التي تعد الركيزة الأساسية، لبناء المجتمع عليها[733]. هكذا نجد أن الفئتين من القواعد السلوكية (المظهرية الشعبية، والخلقية) تعدان أقصى طرفي سلسلة متواصلة من القواعد، تقع معظم قواعد السلوك الاجتماعي وسطا بينهما[734].

---

[731] غسان سلامة وآخرون : المرجع السابق، ص 37.

[732] بيتر فارب : **بنو الإنسان**، ترجمة زهير الكرمي، كتاب عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكتاب 67، الكويت، يوليو 1983، ص 258.

[733] بيتر فارب : نفس المرجع، ص 259.

[734] نفسه، ص 259.

والمجتمع بوادي سوف لا يشذ على هذا النطاق المحدد لطبيعة، وشكل المجتمع، غير أنه لا يمكن تجزئته عن المجتمع الجزائري، إلا من خلال بعض الخصائص، التي تفرضها عوامل، من أهمها العوامل البيئية، التي تمثل المكان، في حين أن الزمن عامل مشترك بين جميع عناصر الأمة الجزائرية. وعليه فإن مجموع السكان في المجتمع بوادي سوف ينتسبون إلى العنصر العربي مع تواجد العنصر الأمازيغي[735]، ذلك لطغيان الهجرات العربية من قبائل هلال وسليم، مما جعل غالبية السكان ينتمون إلى عرشين كبيرين هما : طرود وعدوان[736]، كما تتباين التركيبة السكانية بوادي سوف من خلال التنوع الريفي - البدوي – والحضري، ذلك ما يجعل من هذا التنوع مصدر ثراء للمجتمع. وقبل الحديث عن التركيبة الاجتماعية نحاول أن نقف عند العائلة، ومجموعة العناصر المشكلة لها.

1 - العائلة ومكانة الأطراف المتشاركة بها :

العائلة من عالَ يُعِولُ إذا كَثُر عِيالُه[737]، ونقصد بها الأسرة التي تعد اللبنة الأولى لدى المجتمعات البشرية، فالعائلة ابتكار تفرد به بنو الإنسان. ونشوءها كان أمرا ملحا لاعتبارها أفضل حل لحاجة بني البشر المزدوجة والتي تتمثل في[738] :

أ – العائلة الوعاء الأمثل للعناية بالأطفال، لفترة طويلة نسبيا، وكسب الغذاء من خلال توزيع العمل بين الرجل، والمرأة وتعاونهما.

ب – العائلة توفر المحيط الذي تنشأ في إطاره المؤسسات الاجتماعية المعقدة التي تمثل العلامة المتميزة لحياة بني البشر.

و لم يكن من الممكن أن تتطور العائلة بوادي سوف في غياب الأبعاد الإنسانية، لو لا سيطرة العقل الواعي على الشهوة الجنسية، والأنانية والنزعة العدوانية، بالإضافة إلى وجود رابطة الحب، التي

---

[735] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 105.

[736] بوجمعة هيشور : المرجع السابق.

[737] ابن منظور : **لسان العرب**، ج 13، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر،(د. ت)، ص 510.

[738] بيتر فارب : المرجع السابق، ص 292.

تسمح بنمو العلاقات الدائمة ضمن العائلة ذاتها، مع شبكة الأقارب الواسعة[739]، كما يظهر أيضا بالأسرة الاهتمام الأكثر بالفرد والمبادرة الفردية[740]، مما يجعل أي فرد خاصة الذكور أكثر اهتماما ورعاية من طرف العائلة، هذا ما ينمي روح التعاون بين جميع أفرادها، كما أن العائلة تتميز عادة بوحدة الأصل والمكان الجغرافي، وثقافة تتكون فيها هذه الوحدة السكانية المجموعة الاجتماعية الأساسية، التي تقوم بوظائفها على مستويات أساسية مترابطة هي :

- النشاط الإيديولوجي السائد؛ أي الدين.
- الوحدة الاجتماعية السائدة، العائلة الكبيرة؛ أي شبكة العلاقات.
- النشاط الاقتصادي السائد[741].

والأسرة في وادي سوف لا تختلف عن الأسرة الجزائرية، وهي نفسها العائلة الجزائرية، ذات الخصائص العديدة، ومن أهمها : عائلة موسعة تحوي عدة عائلات زواجية، تستظل بسقف الخيمة الكبيرة عند البدو الرحل، والدار الكبيرة عند الحضر، كما أنها عائلة " بطريكية " للأب والجد القيادة الروحية للجماعة العائلية[742]، كما أنها عائلة إكناتية الانتماء الأبوي، والنسب فيها ذكوري، إضافة إلى كونها عائلة لا منقسمة؛ أي أن الأب له مسؤولية على مختلف الأمور[743]. ومتوسط تعداد الأسرة خمسة أفراد[744]. أما الأطراف المشكلة للعائلة ومكانتها، فهي تتمثل في العناصر الآتية :

أ ـ الجد أو الأب :

لهما القيادة الروحية، والمسؤولية الكاملة، لتسيير شؤون العائلة، فهما قد يمثلان العنصرين الناظمين للأسرة، كما يمكن أن يكون أحدهما قاض في النزعات داخل العائلة في حالات كثيرة أخرى بين العائلات، وهو هنا يقوم بواجبات لها طبيعة سياسية وقضائية[745]، إضافة إلى القيام بواجبات اقتصادية، كأن ينظم توزيع المؤونة من خلال التحكم في مفتاح دار الخزين، أو الخابية. أما اجتماعيا

---

[739] بيتر فارب : نفس المرجع، ص 292.

[740] ب. س. لويد : **إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي**، ترجمة شوقي جلال، كتاب عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكتاب 28، الكويت، أبريل 1980، ص 163.

[741] أشلي مونتاغيو : المرجع السابق، ص ص 143، 144.

[742] مصطفى بوتفنوشت : المرجع السابق، ص 37.

[743] مصطفى بوتفنوشت : نفس المرجع، ص 37.

[744] L'annexe d'El-oued : **Rubrique 3 Habitat**, op. cit, p 3.

[745] أشلي مونتاغيو : المرجع السابق، ص 144.

فيتمثل في نسب الأسرة، الذي يعود لهما، باعتبار النسب فيها ذكوري، هذا كله يخول كل منهما تحمل المسؤولية في حماية العائلة، إضافة إلى كون الحقوق الاقتصادية تحمي العائلة من خلال النسب الذي يمنحه الأب، واكتسابه من جد لجد، ومنه فإن مسؤولية كل منهما تتنوع وتتوزع بين المسؤولية الاجتماعية، والاقتصادية.

ب -الأم :

هي المرأة التي تلقى احتراما كبيرا من جميع أطراف الأسرة، لاعتبارها تشكل منظومة الحريم[746] في المجتمع، خاصة لدى سكان الحضر، للخصائص الاجتماعية، التي يتميز بها الوسط الحضري، بخلاف البدو الرحل، الذين تختلف لديهم هذه الخاصية، حيث نجد المرأة تتوارى عن الأنظار عندما تكون في محضر رجال من عرشها، بعكس ما تبديه أمام رجال من غير عرشها، أو قبيلتها. والأم لها مكانة مزدوجة، حيث ترعى زوجها وأبناءها، وهي في الأساس الوالدة، التي تعتبر مصدر النمو الديمغرافي، حيث تمنح أبناء خلفا لزوجها. ومن هنا تتموقع الأم في العائلة، وتحضى باحترام أكثر، كلما أنجبت عددا كبيرا من الأبناء الذكور بخلاف الإناث[747]. والأم في الأساس امرأة تنحدر في غالب الأحيان من نفس عائلة الزوج؛ أي ابنة العم، ونادرا ما تكون من عائلة أخرى، وهي لا تستطيع أن تحتل موقعا هاما، إلا بعد أن تكشف على قدراتها، ومهاراتها في أشغال البيت من طبخ ونسيج، وغيرها من الوظائف المختلفة، كما يمكن أن تزيد من قوة رابطة المصاهرة بين العائلتين. العائلة القادمة منها، وعائلة زوجها[748]. وعلى هذا الأساس نجد أن المرأة تشكل جزءا هاما في المجتمع بوادي سوف، لما تمثله من وظائف، فهي الأم والجدة، والأخت والبنت، والعمة والخالة، فهذا التنوع يجعلها تحتل مكانة معتبرة، رغم ما تعانيه من إهمال، وتجاهل من طرف العديد، كما أن تعليمها ظل لفترة طويلة ينظر إليه من الأمور المحظورة، لاعتبار التعليم وسيلة قد تمكن الكثير من الفتيات من ربط علاقات عاطفية غير مسموح بها، بدءا من تعلم الكتابة[749].

---

[746] ليلى أبو اللغد : المرجع السابق، ص ص 42-47.

[747] مصطفى بوتوفنوشت : المرجع السابق، ص 70.

[748] مصطفى بوتوفنوشت : نفس المرجع، ص ص 70، 71.

[749] وقد وقفت على هذا التصرف، حيث أبلغت من خلال مساءلة قدمتها للسيدة سعدية العبيدي بنت الشيخ أحمد العبيدي، أن والدها أمرها بعدم مواصلة الدراسة كونها استطاعت أن تحرر رسالة قدمتها له ظنا منها أنه سيكافئها، لكن الأمر كان عكسي، حيث عوقبت بعدم مواصلتها للدراسة، وعندما سألتها عن السبب الرئيس فردت، هو الخوف من الوقوع في مغبة العلاقات الغرامية

أما المرأة الأم فتقضي يومها في ترتيب البيت، والاشتغال بالنسيج، ذلك لتلبية حاجة الزوج، والأبناء من الألبسة الصوفية، أو حياكة بعض مستلزمات البيت، والفائض من النسيج يذهب إلى السوق، خاصة بعد ظهور نشاط الأخوات البيض، واستغلالهن للنساء، مما جعل الكثير من النسوة يتعاملن بسلاسة مع الأخوات البيض، ومن ذاك بدأت المرأة تنظر لاحتياجاتها من منطلق الضرورة الواجب المراهنة عليها، خاصة بالمناطق الحضرية، خصوصا كل من حواضر الوادي وقمار وكوينين، التي شهدت تحولات نسبية من خلال فتح أقسام لتعليم الفتيات وتمهينهن، ذلك منذ العقد الرابع من القرن 20م. أما بالريف فبإمكانها الاشتغال ببعض أجزاء النخيل كالسلال في صنع الأطباق والكسكاس، وأواني الشرب، كالقنينة والسلال بأنواعها، ذلك كله في إطار المساهمة في تلبية حاجيات، ومستلزمات البيت المادية، هذا ما يقودنا إلى بروز ملمح التأقلم النسبي في إطار مشاركة المرأة بشكل يحافظ لها عن حرمتها وفق نظرية الحريم المتبعة في مثل هذا المجتمع المحافظ.

ج -الأبناء :

هم مجموعة الأولاد الذين يمثلون نتاج العلاقة الجنسية القائمة بعقد الزواج الذي يعد الرباط الغليظ، من خلاله تضبط العلاقات بين جميع أطراف عقد الزواج، وعلى رأس هذا العقد الأبناء الذين يتشكلون من الذكور، الذين يستمرون في العيش مع أبائهم تحت سقف واحد، إلى أن يستطيعون الاستقلال، والإناث إلى أن يغادرن أسرهن، ليسكن مع أزواجهن[750]، كما أن طاعة الأبناء للوالدين أمر تفرضه الشريعة الإسلامية، هذا ما تقره الآيات العديدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، كما أن العلاقة بين الابن وأبيه تتميز بعدم التساوي. والأبناء يبدون خضوعا صريحا لأبائهم، هذا يعود في الأساس إلى :

- السن، فالأب أكبر من الابن.
- الأب حافظ القيم التقليدية.
- الأب هو المتسلم والوكيل للإرث العيني، والمنقول المتمثل في العقار بجميع أشكاله.

لكون المجتمع مجتمع محافظ. – **مراسلة** للسيدة سعدية حرم بشير جبالي، وقد تجاوزت سن الثمانين من عمرها. بتاريخ 20 ديسمبر 2004.

[750] L'annexe d'El-oued : **Rubrique 3 Habitat**, op. cit, p 4.

- الأب احترامه واجب ديني مقدس[751].

هذه الخصائص بدورها ساهمت في تماسك المجتمع بوادي سوف، أمام سياسة التغلغل الاستعماري التي لم تستطع زعزعة البنية الاجتماعية، ذلك نتيجة البناء الاجتماعي المتماسك، بدءا من الأسرة، التي تعد النواة الأساسية لبناء المجتمعات، كما أن البناء العائلي، الذي يشكل لبنة من لبنات العرش، أو القبيلة، ظل هو الآخر يتمتع بتماسك وترابط، هذا ما يعود في الأساس إلى طبيعة المجتمع، التي يغلب عليها الطابع البدوي، إضافة إلى المقومات الحضارية، التي يتمتع بها جميع أفراد المجتمع، وهي تنبع من المؤثرات، والرواسب الحضارية المتوارثة، التي تعود أساسا إلى الموروث الإسلامي، دونما أن نتجاهل التواصل الحضاري للسكان مع كل من منطقة الجريد التونسي، وواحات اغدامس، التي تعد أقل تأثيرا، خاصة بعد الاحتلال الإيطالي للقطر الليبي. من هنا يبدو أن التماسك القبلي بين جميع أفراد القبيلة، أو العرش الواحد، كان أقوى من سياسة التغلغل، دون أن نتجاهل حجم تواجد المعمرين الضئيل[752]، الذي يشكل عاملا ايجابيا بالنسبة لقلة التأثير، والتغلغل بمجتمع وادي سوف.

2 – التركيبة السكانية بين الانسجامية الاجتماعية والانقسامية العدائية :

التنوع في الانتماءات العرقية خاصية تتمتع بها كل المجتمعات الإنسانية، هذا ما يجعلنا نتأكد بأن التركيبة المجتمعية بوادي سوف، لا تختلف عن باقي المجتمعات البشرية الأخرى، التي تتباين فيها مستويات الانسجام والانقسام، التي تنتاب المجتمعات، خاصة إذا ما كانت واقعة ضمن دائرة الاحتلال، هذا ما سعت الإدارة الاستعمارية لتنفيذه منذ تواجدها بالجزائر، ذلك بعد شروعها في تنفيذ سياسة الاستيطان، وقد تكرس ذلك منذ المحاولات الأولى لاحتلال إقليم وادي سوف، حيث صار مجتمعه مجتمعا ذا مصدر توتر كامن أو ظاهر[753]. هذا لم يمنع المجتمع أن يشكل بيئة اجتماعية تتخللها مواصفات الانسجامية تارة، والانقسامية تارة أخرى. وعليه فإن هذا التنوع لم يكن محل تميُّز للمجتمع بالإقليم، ومنه فإن التركيبة هي كالآتي :

---

[751] مصطفى بوتفنوشت : المرجع السابق، ص ص 66، 67.

[752] حيث لم يتعد العشرون بمافيهم رجال الدين، والاخواة البيض قبل 1947، بل يذهب أحمد خراز إلى كونهم لم يتجاوزوا سبعة أشخاص. - ينظر أحمد خراز : **تقاييد**، مصدر سابق، ص 21.

[753] غسان سلامة وآخرون : المرجع السابق، 40.

أ -عرش طرود :

وهم في الأصل ينتمون إلى طرود بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقد وصلوا سوف في القرن 8هـ/14م[754]، وهم يتوزعون إلى قبيلتين أساسيتين عمرتا مدينة الوادي، وضواحيها، وهما :

١ - *الأعشاش* : وهم ينحدرون من فرع بني سليم[755]، منهم أولاد أحمد وأولاد جامع، والفرجان والربايع، أما قبيلة القطاطية، فهي الوحيدة التي قدمت إلى وادي سوف في القرن 19م[756].

٢ - *المصاعبة* : وهم أيضا من بني سليم[757]، غير أن بعض المؤرخين يرون أن "المصاعبة" ذوو أصول أمازيغية في التسمية من قبيلة " ماسوفة " الأمازيغية، لكن عوامل التأثير الاجتماعية جعلتهم عربا متمسكين بعروبتهم[758]، وهم العزازلة والشبابطة والقرافين، في حين نجد الشعانبة القادمين في وقت متأخر في حدود 1886، هم عائلات مهاجرة من ورقلة وأولاد عمران[759].

ب -عرش علدوان :

---

[754] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 270. – André Voisin : op. cit, p 67.

[755] إبراهيم العوامر : نفس المصدر، ص 307.

[756] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 106.

[757] André Voisin : op. cit, p 96.

[758] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، ص 107.

[759] C. Cauvet **: Notes**, p 63.

وهم ينتمون في الأصل إلى عدوان بن عمرو بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[760]، توطنوا بادئ الأمر الزقم، ثم امتزجوا مع قبائل أخرى فتشكل منهم :

١ - ***أولاد سعود*** : وهم سكان تغزوت في بادئ الأمر، الذين حدث بينهم وبين أحمد الشابي التونسي، رئيس البادية التونسية خلافا [761]، وصل إلى حد العداء والقتال، فهزم هذا الأخير أمامهم في حدود القرن 9هـ/15م[762]. اثر مشورة أحد شيوخهم يدعى سعود في التصدي لأحمد الشابي، فصاروا يدعون باسم أولاد اسعود نسبة للشيخ[763]، وهم سكان : تغزوت وكوينين، وورماس والزقم. أما سكان سيدي عون، فينتسبون لأولاد سعود إداريا، هذا ما تؤكده المراسلة التي بعث بها سيدي عون لباي قسنطينية، حيث نقرأ في إمضائه بأنه عون بن المهلهل الطرودي السوفي[764]، كما يمكن أن نجد في هذه القرى سكان من الطرود إلى جانب عدوان.

أما سكان القرى والمدن الباقية، وهي قمار والدبيلة والبهيمة، إضافة إلى عميش والرقيبة ووادي العلندة، وغيرها من التجمعات الإنسانية هي مزيج من عرشي طرود وعدوان[765]، وإلى جانب ذلك نجد أن كثيرا من العائلات تتباهى بانتسابها إلى الأشراف من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام، حيث توجد لهذه العائلات شجرات النسب المتصلة بالرسول (ﷺ)، وهم عائلات كُثر وعديدة[766]، وهي في غالبها ترتبط

---

[760] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 270.

[761] العدواني : المصدر السابق، ص ص 315 – 318.

[762] علي الشابي : مرجع سابق، ص 57.

[763] العدواني : المصدر السابق، ص 317.

[764] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، 105..

[765] C. Cauvet : **Notes**, p 64.

[766] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص ص 287 – 326.

بالتصـــــــوف، كما تـــلعب أدوارا هـــــامة في توجيه السكان وكسب ودهم[767]. ومن بين هذه العائلات عائلة إبراهيم الشريف، والد الشيخ محمد الهاشمي، وعائلة سيدي سالم وعائلة الشيخ محمد العروسي التجاني، والكثير من العائلات، التي تدعي هذا النسب، لكن مع هذا نمت بين هذه القرى عداوات، وحروب مثلما وقع بين الزقم والبهيمة، وبين تغزوت وقمار[768]، ولم تتوقف هذه العداوات حتى القرن 20م.

3 -تطور التركيبة السكانية، وتوزعها بين البدو والحضر :

التـــطور الســـكاني للمـــجتمع بـــــــوادي ســـــوف ظـــل يتـــــــسم بحالة مـــن التدهور، لكن في أواخـــــر القن 19م شهـــد تـــــزايدا، حـــــسب إحـــــصائيـــات تقـــــريبيـــة قـــــامت بها الإدارة الاستـــــعمارية مـــنذ اتصـــالها بالجـــهـــة مـــــن أجـــل خدمة أغـــــراضها، والتي منها :

1 - معـــرفة المقومات البـــشرية، ودراســـــة طبـــيـــعة السكان، وتقدير إمكانـــــيـــاتهم، هذا لطبيعة الصراع الذي يتطلب ذلك، حتى يتمكن المستعمر من وضع الخطط الاستعمارية لمواجهتها.

2 – الـــظهور أمام السكان المســـلمين الجزائـــــريين .بمظهرالحريـــــص عـــلى مصـــــالحـــهم، خـــــاصة من خلال ضبط أمورهم الإدارية.

3 – معرفة القدرات البشرية من أجل الاستعانة بها، واستثمار بعضها لخدمة الاستعمار عسكريا واقتصاديا.

4 – التحكم في التـــــحركات، الـــتي يـــقوم بها الســـــكان في الصحراء الواسعة.

والتـــواجد السكاني في منطقة وادي ســـوف تأثر بالعديد مـــن المؤثـــــرات، الطبـــــــيعية مـــــنها والبشـــــرية، مما جعـــل المجتمع ينـــــقسم إلى بدو رحل

---

[767] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 107.

[768] إبراهيم العوامر : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، (مخ)، ج 2، نسخة أحمد مفتاح، ص 44.

وحـــــضر، غيـــــــر أن المـــــلمح الأول – البـــدو الرحل – أخـــــــذ يتضاءل، منـــذ الثلاثيـــــــنات من القرن 20م، نتـــــــيجة ركـــون الكثـــير مـــن البدو الرحل إلى الاســـــــتقرار، خـــاصـــة لدى الجـــيـــل المـــحـــتك بالمســـتعمر ومـــدنيته، الذي بات يتأثر بالمـــــلامح الحضـــرية، التي أخـــذت تـــتزايد من خـــلال الانـــــــتـــشار بين أبناء سكان الحضر. وللوقوف على تـــلك الصـــورة لا بـــد لـــــنا أن نـــــتتـــــبع مـــســـار النمو الديـــمغـــــرافي بوادي ســـوف مـــنذ 1854 حتى 1948، وهو ما يـــوضحـــه الجدول الآتي :

جدول تطور سكان وادي سوف وكثافتهم مابين 1854 – 1948.

السنة	1854	1887	1900	1931	1936	1948
عدد السكان	18000	21018	32700	67591	78476	91060
الكثافة ن/كلم²	0.21	[769]0.25	[770]0.39	[771]0.82	[772]0.94	[773]1.09

من خلال الجدول نلاحظ أن تطور السكان عرف تزايدا مستمرا، ذلك يبرز على مستوى ثلاث مراحل هي كالآتي :

المرحلة الأولى (1854 - 1900) **:** هي مرحلة النمو البطيء، حيث يقدر النمو بـــ 14700 نسمة؛ أي بمعدل 319 نسمة في السنة، وهي زيادة بطيئة، ذلك عائد إلى الظروف السياسية المضطربة، وتوسع المقاومات الشعبية المسلحة، إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية الصعبة، كانتشار الأمراض والأوبئة، وفتكها الشديد بالسكان. والطابع السكاني، الذي يغلب عليه الترحال، حيث كان يفوق النصف من عدد السكان، مما أثر سلبا على طبيعة الكثافة السكانية العامة، كما أثر على الكثافة

[769] ريمون فيرون : المرجع السابق، ص 104. – C. Cauvet : **Notes**, Op. cit, p 64.

[770]. C. Cauvet : **Notes**, p 64.

[771]L'annexe d'El-oued : **Le souf** : op. cit, p 01.

[772] C. Ferry : **Notes sur la situation économique de la population musulmane de la commune Mixte d'El-Oued**, Année 1948, dans A. D. M. El, El-oued, p 02.

[773] **Recensement générale du population de 1948** , op.cit , p26.

الحقيقية، إذا ما نظرنا إليها من خلال التجمعات القليلة السكان، بالإضافة إلى طبيعة المجتمع البدائية، التي كان عليها، ذلك ما أثر سلبا في تطوير سيرورة النمو، والاطراد الاجتماعي المحدود، الذي بدوره عاق عملية التسريع في النمو.

المرحلة الثانية (1900 - 1936) **:** هي مرحلة الانتعاش النسبي، نتيجة الزيادة المتطورة نسبيا، ذلك لحدوث تحول اجتماعي، وبروز ملامح الاستقرار، الذي فرضته آليات التأقلم، التي أحدثها المحتل. انطلاقا من ضبط الحالة المدنية، والعمل بسجلاتها المبتدئ به مع عرش أولاد سعود منذ 1921، لتتم العملية سنة 1937 مع عرش طرود، وبقية العناصر السكانية الأخرى، بل زيادة على ذلك بدأت الإدارة الاستعمارية تصدر بطاقات تعريف للأشخاص ذكورا وإناثا، قصد ضبط الأحوال الأمنية، وتكييف المجتمع، وفق الآليات المدنية الغربية، ذلك يعود إلى انعدام تواجد المصورين في مثل هذه الظروف، وليس الأمر عائدا إلى رفض السكان لذلك، إضافة إلى حالة الاستقرار السياسي الناتج عن القضاء على المقاومات الشعبية من جهة، وتمكن المحتل من بسط نفوذه، الذي انعكس إيجابا في استتباب الأمن والزيادة السكانية، حيث نجد أن متوسط الزيادة في السنة الواحدة قدر بـــ 1271 نسمة.

المرحلة الثالثة (1936 - 1948) : مرحلة التراجع النسبي، حيث يلاحظ خلالها التراجع النسبي للتزايد في النمو، ذلك راجع إلى أسباب كثيرة من أهمها، الحرب العالمية الثانية، وما خلفته من أثار، وانعكاسات سلبية على مختلف ميادين الحياة، خاصة الوضع الاجتماعي والاقتصادي للسكان المسلمين الجزائريين. زيادة إلى تفشي الأوبئة الفتاكة، خاصة في سنة 1939، وفي سنة 1941، حيث أصيب السكان الإقليم.بمرض التفويد والكوليرا، الذي عرف.بمرض التيفيس عند العامة، فكان فيه الموت أشبه بالزلزال المدمر، نتيجة الوفيات العديدة، حيث كان الدفن لا ينقطع في المقابر[774]، وقد قدر متوسط الزيادة في السنة بـــ 1049 نسمة، ذلك مع تراجع نسبي يقدر بـــ 222 نسمة. لكن مع

[774] **حوار** مع الشيخ العيد غوري، مرجع سابق.

ذلك بقي العدد محدودا قياسا بالمساحة الواسعة للإقليم التي مقدارها 82800 كلم²، حيث نجد الكثافة السكانية بقيت بسيطة فهي لم تتعد في عمومها 1.09 ن/كلم².

وعليه فإن السكان بوادي سوف كانوا مرتبطين ارتباطا تاما بما يحدث من تأثيرات اجتماعية واقتصادية، وسياسية وثقافية تبعا للأوضاع، التي كانت عليها الجزائر المحتلة، وفرنسا المستعمِرة مع التفاوت الواضح في التعامل بين السكان المسلمين الجزائريين (الأنديجان)، والكولون المعمرين. أما تركيبة السكان اجتماعيا بوادي سوف، فهي تتحدد تباعا، وحسب نمط حياة الفئات الاجتماعية المشكلة للمجتمع بالمنطقة، ذلك وفقا للملامح الآتية :

١ - *سكان البدو الرحل :* البداوة هي الحياة الأصلية للقبائل العربية، التي استوطنت المنطقة في أزمنة متفاوتة، ذلك لحاجتهم الماسة للحياة الطبيعية، لأن المجتمع البدوي مجتمع محلي يعيش حياة تقليدية، تتميز بالبساطة وعدم التعقيد، وهو مجتمع يتمتع بحالة حضارية أقل تقدما مقارنة بحالات حضارية أخرى متقدمة[775]، وتتميز البداوة في المجتمع بوادي سوف بعدة خصائص، ومميزات يكون للعنصر البشري دورا في إحداثها، وفقا لما تتطلبه الحياة من جهة، والتكيف مع البيئة الصحراوية من جهة ثانية، ومن هذه الخصائص والمميزات نجد :

[775] محمد السويدي : **بدو الطوارق بين الاستقرار والتغير « دراسة سوسيو-انثروبولوجية في التغير الإجتماعي»**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 31.

- حياة البدو تقوم أساسا على العيش في الصحراء خارج الواحات مع قطعان الماشية والإبل، خلال فترة معينة من السنة، رغم امتلاك هؤلاء البدو للنخيل التي تلبي احتياجاتهم الغذائية، ذلك يضطرهم للاستقرار بواحاتهم، لمدة ثلاثة أشهر في كل سنة. تبدأ هذه الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر، لكن في السنة الوفيرة تمتد إلى جانفي أو فيفري[776].

- وجود نوع من البداوة التي تقوم حياة أفرادها على التنقل المحدود، وهم "شبه الرحل"، حيث ينتقل بعض أفراد القبيلة بمعية قطعانهم، ولكنهم يعودون إلى مناطقهم الأصلية[777]، هذا خاصة في سنوات القحط والجاف، فهم بذلك يتبعون العشب، والكلأ، حتى أنه يمكن أن نطلق عليهم بالعشابة.

- اشتغال بعض البدو بالرعي، ذلك بوضع سكان الحضر قطعان من الإبل، أو من الماعز والضأن تحت تصرفهم، فيتحول هؤلاء البدو إلى رعاة يسهرون على رعاية هذه القطعان الموكولة إليهم، لمدة ستة أشهر، أو عام مقابل أجرة من الطعام (التمر والقمح) والملابس كل سنة (قندورة وبرنوس وسروال وشاش وعفان)[778].

- أما التركيبة الاجتماعية للبدو فتقوم على " القبيلة "، التي ينتمي إليها البدو مهما كان تواجدهم، وتمثل " الأسرة " قاعدتها الأساسية[779]، ومناطقهم تخضع للعرف السائدة والعادات، التي انتشرت بينهم.

- عناصر البدو في وادي سوف، هم من الطرود والشعانبة، ومايتعبهم كالربايع[780].

---

[776] Claude Bataillon : **Le souf,** Étude **de la géographie humaine**, Éditions Institut de recherches Sahariennes, Alger, 1955, p p 62. 63.

[777] محمد السويدي : **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 166.

[778] André voisin : op. cit, p 106.

[779] Ahmed Nadjah : op. cit , p 36.

[780] L'annexe d'El-ued : **Rapport sur la population du souf**, SD, dans A. D. El, El-oued .

٢ - *سكان الحواضر، والقرى بوادي سوف :* طابع التحضر مرتبط أساسا بشرط الاستقرار البشري، هذا الاستقرار توجبه ضرورة الارتباط بأنماط معشية، كالزراعة والصناعة، ومن هنا كان عامل الاستقرار حادثا، لا محالة عند سكان وادي سوف، حتى قبل الاحتلال، لكن منذ التواجد الاستعماري بدأ ملمح الاستقرار السكاني في تزايد مستمر، نتيجة التأقلم مع الوضع، الذي أخذ يبدو عليه حال التطور النسبي، ذلك لم يكن وليد رغبة المحتل، بل هو نتاج وضع أصبح في حاجة إلى الحثّ على الاستقرار، حتى يستطيع المستعمر ضبط الوضع الأمني للمنطقة، لاعتبارات عديدة أهمها، الشريط الحدودي الرابط بين وادي سوف والقطر التونسي. وقد برز ذلك في أواخر القرن 19م، حيث ظهر هذا الاستقرار في نشوء مدينتين هامتين هما، عاصمة الإقليم، حيث قدر تعداد سكانها سنة 1883 بـــ 5000 ساكنا، ومدينة قمار وصل تعداد سكانها في نفس السنة إلى 3000 ساكنا[781]، وتتواجد حول هاتين المدينتين، مجموعة من القرى هي : كوينين وتغزوت، وعميش، التي هي عبارة عن مجموعة من القرى، والبهيمة والزقم، والدبيلة وسيدي عون[782].

والعامل الأساسي في التوسع العمراني، هو البحث المستمر عن المكان الجيد الصالح، لإنجاز بساتين النخيل (الأهواد)، بحيث تقل بها الرمال، وتتواجد بها المياه القريبة من السطح، وقد كانت هذه الخصائص تتوفر خاصة في المنطقة الشمالية، والشمالية الغربية من وادي سوف. وبعد زمن من إنجاز الأهواد تغادر العائلات مركزها الأصلي في المدينة، أو القرية، وتستوطن بالهود الجديد، أو قربه فتبني مساكنها ومسجدها، وهكذا يأخذ المركز الجديد يتطور إلى أن يتحول إلى قرية صغيرة[783]، وهي بدورها تتزايد.

4 - التركيبة الاجتماعية حسب الفئات :

---

[781] C. Cauvet : **Notes**, p 64.

[782]. D. Escard : **Etude médicale et climatologique sur le pays d'El-oued souf**, publiée dans les archives de médecine militaire en 1886, p 38.

[783] L'annexe d'El-oued **: Rapport Nommé République 3-Habitat**, SD, dans A. D. M. El, d'El-Oued.

وهي من خلال تنوع الفئات تتجسد بصورة محتشمة، نتيجة طرفية الإقليم، مما ينعكس سلبا، لأن تجسد التنوع الاجتماعي ينحصر في المجتمع الحضري، هذا لكونه بيئة تسمح للتنوع بالظهور، باعتبار سكانه، هم القسم المشكل للمجتمع، الذي يتميز على غيره من المجتمعات بطابع الاستقرار، والتشابك في العلاقات، والنظم الاجتماعية المتعـــــــددة الوظـــــــــــائف، لكن رغم ذلك فإن المجتمع بوادي ســـوف يتألف من عدة فئـــــــــات اجتماعية، لطغيان ملمح الاستقرار، الذي بات أمرا ملحا، خاصة في الثلاثينات من القرن 20م، ومن هنا يمكن تحديد الفئات بحسب مركزها الاجتمـــاعي، ومـــكانتها المادية السلطـــوية، ومنزلتها الدينية، أو الجهد المبذول في المجال الاقتصـــــادي المحلي، ويمكن تقسيم الفئات :

أ - فئة الأعيان والنخبة والمرابطين :

وهي بدورها تبرز في أصناف عديدة مثل ما صنفها أحد التقارير عنون بقسم ارشادي[784] هي :

1 - القياد ومختلف رجال الحكم : ويقصد بهم الفئة المتعاونة مع الإدارة الفرنسية من السكان المسلمين الجزائريين وهم : القياد ومختلف رجال الحكم الذين عينوا على رأس قبائلهم بحسب الوضعية التي وضعتهم إياهم الإدارة، لهم نصف الاستقلال بالمقارنة مع السكان المسلمين الجزائريين، وهم محل اهتمام من قبل المحتل لما يقدمون من دور للإدارة الاستعمارية. واخلاصهم، حيث نجد الآغا " مانامانى[785] " (Manamanai) الذي لا شك في وفائه إلى جانب قايد قمار وقايد أولاد سعود، وقايد الدبيلة والبهيمة الذين يأتمرون بأوامر الآغا ومنه يمكن أن نقر أمانة قادة السكان المسلمين الجزائريين. بخلاف قايد الاعشاش وقايد الشعانبة فكلاهما أصيل السكان التابعين لهما، فهما محل ريب لما يقدمانه من دعم للسكان على حساب الإدارة الاستعمارية[786].

---

[784] L'annexe d'El-oued : **Rapport Nommé Classe Dirigeante**, op. cit, p 1..

[785] نقيب قديم للقناصين. – ينظر Ibid, p1.

[786] Ibid, p1.

٢ - أفراد المحاكم : القضـــاة وعدولهم وشواشيهم، وهم يتمتعون بالثقة والأمانة لدى الإدارة، وأشخاص المحكمة الشرعية لا يشكلون أي خطر، وأغلب قضاة المحاكم الشـــــــــــرعية ليسوا أصلاء المنطقة، مما زاد من الاعتماد عليهم[787].

٣ - المثقفون المستقلون : وهم من السكان المسلمين الجزائريين، حيث يعدون أخطر عنصر لقدرتهم في إثارة القلاقل والاضطرابات، فهم يستطيعون تأليب الرأي المحلي، وذلك من خلال تتبعهم للأخبار من خلال الصحف. يجتمعون في بعض المحلات، لكن بمجرد الاقتراب منهم يركنون للصمت، كما يشعرون ببعض الضيق والحرج، لكن مع ذلك يتصنعون الولاء للإدارة الاستعمارية[788].

٤ -*العاملون بالمساجد* : وهم القائمون على المساجد من أئمة وقيمون، وهم محل قلل لدى السلطة الاستعمارية لارتباطهم بالعالم الاسلامي، خاصة الدولة العثمانية قبل سقوط الخلافة فهم يدعون للسلطان العثماني باسطنبول باستثناء الزاوية التجانية. وتسييرهم للمساجد يقوم على النمط المتوارث من قديم[789].

٥ -*المرابطون* : وهم شيوخ ومقاديم الطرق الصوفية، وأثرهم فعال حتى خارج حدود الملحقة، وهم في غالبهم يهادنون فرنسا لاتقاء شرها من ناحية، ويحافظون على بعض المكتسبات الحضارية، إضافة إلى الاستعانة بهم من قبل رئيس الملحقة من حين لآخر لتسوية الأمور، كما يحملهم زمام المبادرة، ولهم علاقات متوترة مع القياد، خاصة الشيخ سي العروسي مع قايد قمار، والشيخ سي الهاشمي مع القياد الآخرين خصوصا التابعين لطرود. وهم يحبذون الظهور في كل مناسبة[790].

---

[787] Ibid, p 3.

[788] Ibid, p p 3, 4.

[789] Ibid, p p4, 5.

[790] Ibid, p p 5, 6.

ب ـ *فئة العامة* :

وهي تتكون من فئتين هما :

١ ـ *فئة العمال* : وهم في أغلبهم السكان الفقراء، أو متوسطي الأحوال، وعادة ما يشتغلون في بساتين النخيل، حيث يخصص لكل عامل نخلة في فصل الخريف يأكل منها كلما كان في عمله[791]، ويدعى هؤلاء " بالخماسة "، أو الأجراء حسب الاتفاق، وهو النظام الأكثر شيوعابالإقليم، بالإضافة للعمال المتواجدين في السوق، لوظيفة الحمل، ومنهم من يجوب أطراف المنطقة لصيد الحيوانات من غزلان[792] أو نعام[793]، أو جمع الجلة أو للاحتطاب[794]، لبيع ما يحصلون عليه قصد توفير قوت عيالهم، أو السقاية، إضافة إلى الحرفيين.

٢ ـ *فئة الزنوج (الوصفان)* : وهم من أصول زنجية جلبوا من اغدامس، عن طريق الشراء، وهم من إفريقيا جنوب الصحراء، كما يطلق عليهم محليا بالوصفان، أو " الأحرار "، وكان عددهم في تزايد، حيث قدر سنة 1850 بحوالي 5000 شخص، والعدد الكبير منهم كان بحوزة الطرود من قبيلتي المصاعبة والأعشاش[795]، لكن في أواخر القرن 19م أخذت هذه الفئة في التناقص، نتيجة عوامل عديدة، خاصة منها الأمراض الفتاكة، التي حصدت الآلاف منهم[796]. وهؤلاء الوصفان يرتبطون

---

[791] C.Cauvet : La culture, p 53.

[792] Claude Bataillon : op. cit, p 59.

[793] أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، مرجع سابق، ص 261.

[794] أحمد مفتاح القماري : **القول المعروف في عمران سوف**، (مخ)، مكتبة ابنه عبد الباقي مفتاح المنزلية، ص 20.

[795] André Voisin : op. cit, p 97.

[796] Roget Lesselle : op. cit, p 41.

بالعائلات الغنية والزوايا، ويمارسون عملهم بولاء وإخلاص[797]، لكنهم بمرور الزمن صاروا يعتبرون أنفسهم جزءا من المجتمع بوادي سوف، حتى استطاعوا الحصول على ألقاب العائلات التي كانت تمتلكهم. أما أعمالهم، فهي متنوعة حسب الرجال والنساء، فكل فئة لها مجال نشاطها[798].

ج -*اليهود* :

وهم الفئة المتميزة عن غيرها من الفئات الأخرى في المجتمع بوادي سوف، يعتبرون سكانا قدامى بالمنطقة، حيث لا يمكن تحديد وجودهم من حيث الزمن، لكن ما يميز هذه الفئة، هو الانسجام الحذر بينهم، وبين بقية الفئات الاجتماعية الأخرى، رغم أنهم كانوا أكثر اندماجا في مجتمعاتهم، لكونهم يتقنون اللغة العربية[799]، والإبداع الفني، كما يعرفون معتقدات وأفكار شركائهم المسلمين[800]، لكن بقدوم المحتل تغيرت العلاقة، وأصبح الحذر سيد الموقف، غير أن النشاط الأساسي لهذه الفئة هو نشاط الحرف خاصة الصياغة والحدادة، والجزارة وصناعة الأحذية وترقيعها، وصناعة الصفائح (Ferblanterie)، كما يمارسون نشاط التجارة. وقدر عددهم في الثلاثينات من القرن 20م بحوالي 391 يهوديا[801]. وتواجدهم يكون دوما في شكل أحياء خاصة بهم، حيث يتواجدون في حي كرحبة اليهود بالوادي المركزي، وما جاورها من مساكن وحناويت، ولهم مواقع عبادة، حيث كان في الوادي مقران الأول يتخذه الحاخام " الربي " مكان

---

[797] Claude Bataillon : op. cit, p 32.

[798] Isabelle Eberhardt : **Mes journaliers**, p p 108, 109.

[799] صبرينة الواعر : **مدينة ندرومة في مواجهة الاستعمار والتأثير الأوربي** (1842 – 1954)، دكتوراه العلوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، اشراف أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012-2013، ص ص 73، 74.

[800] صموئيل أتينجر : **اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950**، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، مراجعة رشا عبد الله الشامي، كتاب عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكتاب 197، الكويت، مايو 1995، ص 10.

[801] فوزي سعد الله : **يهود الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 117.

التقاء بينه، وبين بقية اليهود، بالإضافة إلى أداء بعض الأعمال كالذبح[802]. أما الثاني فهو البيعة، والمكانان يتواجدان في حي واحد هو رحبة اليهود بالأعشاش. أما بقمار فتواجدهم كان بالسوق. وعلاقتهم بالسكان كانت متباينة من فئة لأخرى، ذلك تبعا للوضع الذي كان عليه هؤلاء من السكان، رغم أن اليهود فئة غير اجتماعية تتعالى بجنسها عن الآخرين. فهم بهذا يريدون الاحتفاظ بهما أينما كانوا، أوحلوا بغض النظر على عادات ومقومات سكان تلك الأماكن[803]. وعلى تلك الأسس تجدهم عنصر غير مرغوب فيه في كل من الوادي وقمار، لما يتميزون به من خصال وعادات سيئة يشمئز منها من حولهم، كما أن عقائدهم تجاه السكان غير صادقة، مما يجعل التعامل معهم حذر. أما في حاضرة قمار فإن التعامل معهم كان أكثر حذر، لكون اليهود يغالون في الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم[804].

كما أن اليهود في حاجة دائمة للمسلمين، خاصة مساء يوم الجمعة، وبالضبط بعد العصر، أين يتوقف اليهود عن النشاط، لاعتبار أن التوقف عن العمل أمر تعبدي، لذلك تجدهم يستعينون بالمسلمين في أشغالهم من طهي وتنظيف، وغيرها من الأعمال الأخرى. أما تقاليدهم الدينية فهي محكمة ومقيدة، ذلك من خلال وجود حاخام، حيث تتعدى خدماته إلى ضبط العلاقات بين أفراد الجماعات اليهودية. أما علاقتهم بالسكان المسلمين فيشوبها كثير من الحذر، ومع ذلك نجد اليهود يعقدون أحلافا مع شيوخ الطرق الصوفية، خاصة القادرية والتيجانية، ليحصل بعض اليهود على

---

[802] والذبح من اختصاص الحاخام أو من يوكله لأن الذبح طقس من الطقوس المميزة، فلا يجوز لغير الحاخام أو من يوكله أن يذبح وإن وقع فإن تلك الذبائح غير جائزة الأكل.

[803] طارق بوزلماط : **الصراع بين المعمرين واليهود في أواخر القرن 19م في الجزائر**، رسالة ماجستير، اشراف شاوش حباسي، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر،2008–2009، ص 16.

[804] طارق بوزلماط : نفس المرجع، 16.

رتبة مقدم[805]، للاحتماء بهذه الطرق تحسبا لأي طارئ قد يلم بهم، كما يضفي ذلك التقرب تلطيف الأجواء بينهم، وبين عامة السكان. فذلك يؤكد أن العلاقة بين اليهود والمسلمين تربطها المصلحة، وحاجة كل منهما للآخر، وفق ما تقتضيه متطلبات الحياة.

أما الوضع الاجتماعي لليهود، فهو لا يختلف في مواصفاته عن الوضع الاجتماعي للسكان المسلمين الجزائريين. انطلاقا من العائلة وجميع خصائصها، ومنذ صدور مرسوم 24 أكتوبر 1870، والمعروف بمرسوم "كريميو"، صار اليهود يتمتعون بالجنسية الفرنسية، والتمتع بجميع الامتيازات التي يخولها قانون الإجراءات المدنية للمواطنين الفرنسيين، دون أن يتخلى هؤلاء اليهود عن عقيدتهم، وحقوقهم المدنية[806]. أما وضع المرأة اليهودية، فكان متدنيا جدا على مستوى جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية، وعدم مشاركتها في الحياة الدينية والاجتماعية للمجتمع اليهودي، مما جعل دورها ينحصر في التدابير المنزلية[807]، ورعاية الأطفال، كما أن المرأة اليهودية لم تحظ بأي قدر من التعليم[808]، فهي لم تكن أكثر حظا من المرأة المسلمة.

أما النشاط الاقتصادي لليهود فينحصر في بعض المهن المحدودة، وذلك يعود إلى بعض التشريعات اليهودية، أو بسبب موقف السكان المسلمين تجاههم، و لم يتوسع حجم أنشطتهم الاقتصادية في البلدان الإسلامية[809] بما فيها الجزائر، إلا بعد تعاظم حجم التدخلات الأجنبية في القرن 19م، التي ساهمت في تحسن أوضاع اليهود[810]. وعلى هذا الأساس كان التواجد اليهودي بوادي سوف مرتبطا بالإباضية اللاجئين إلى المنطقة منذ سقوط الدولة الرستمية علي يد العبيديين الشيعة عام 296ه،ـــ

---

[805] **حوار** مع الشيخ أحمد خراز، مرجع سابق.

[806] Charle André Julien : **Histoire de l'Algérie contemporaine (la conquête et les débuts de la colonisation (1871-1872)**, Alger, Casbah, 2005, p:467.

[807] صموئيل أتينجر : نفس المرجع، ص 65.

[808] نفسه، ص 67.

[809] نفسه، ص ص 27، 28.

[810] نفسه، ص 28.

ليفر الإباضيون بمذهبهم إلى الواحات طلبا للمنعة والنجاة، فولوا نحو وادي سوف ووادي ريغ، وورجلان[811]، حيث لم يجد الإباضية إلا أن يتعاملوا مع اليهود، باعتبارهم من أهل الذمة، فكان ذلك عاملا مشجعا لنشاط اليهود، الذي كان حاضرا بقوة، لكون الإباضية يرون في اليهود عنصر يمكن أن يوفر لهم نوع من الرخاء، لتعاملهم السهل مع غيرهم من المذاهب الإسلامية السنة والشيعة. لهذا فإن الوجود اليهودي بالبلاد قديم منذ فرارهم من خيبر أمام رسول الله (ﷺ) قبل الفتح الإسلامي، حيث تواجدوا بالجنوب الجزائري بمنطقة قصور توات، وورجلان، وتقرت وجانت[812].

د -المعمرون :

ظل تعداد المعمرين محدودا، حيث كان عددهم سنة 1931 خمسين شخصا[813]، ليتعدى المائة سنة 1942[814] من بينهم الفرنسيين، والأوروبيين. وهم في غالب الأحيان ضباط مكلفون بتسيير الملحقة، أو جنود من الهجانة السنغاليين، حيث وصل عدد هؤلاء 50 سنغاليا، حتى سنة 1938، وهم موزعون على 15 فوجا[815]، ومن بين المعمرين المعمر " باو " (.Bae) المشتغل بتجارة التمور وبعض المنتوجات المحلية الأخرى، والمعمر " شيكا " (Chika)، ولم يزداد عدد

---

[811] نصر الدين وهابي : " سوف في المصادر الإباضية"، من كتاب **وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة**، تقديم أحمد زغب، ط1، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2008، ص 18.

[812] طارق بوزلماط : الرجع السابق، ص 49.

[813] Lucien Duvioault : **Le Souf (Sud Cons tantinois)**, Imprerie Egitna, France,15 Novembre 1947, p 7.

[814] André voisin : op. cit, p 100.

[815] André voisin : op. cit, p 78.

الكولـــون، إلا بعـــــد الحرب العـــالمية الثـــانية. خـــصوصا منـــذ 1947، حـــين شـــرع المحتل في توســـيع مشاريع التنمية الاجتماعية والثقافية، مع أن هذه التنمية هي في حقيقة الأمر، تنمية محتشمة مقارنة بحجم الزيادة السكانية للجزائريين المعتبرة، التي أصبح عليها سكان وادي سوف، لذلك فإن الحديث عن فئة الكولون تظل غير مطروحة بقوة.

ثانيا – أثار سياسة التغريب على المستوى المعيشي والصحي بوادي سوف :

المجتمع بوادي سوف مجتمع عربي يغلب عليه طابع البداوة، رغم بروز ملامح التمدن، غير أن الطبيعة الصحراوية، التي يتميز بها الإقليم، جعلت المحتل منذ الوهلة الأولى يدرك مدى تأقلم السكان والوضع المعيشي. انطلاقا من المقومات المتاحة للسكان بالمنطقة، لذلك تأخر في تقديم خدمات اجتماعية على مستوى البنى التحتية، وكل ما يتعلق بالتنمية الاجتماعية، بخلاف الميدان الصحي، الذي يمكن الوقوف عليه بدءا بما قدمه المحتل لحاميته بالدبيلة، ثم ما لبث أن أنشأ مستوصفا قريبا من المستشفى، إضافة للطابع الصحراوي القاسي، إلا أنه ساعد على صفاء البيئة، كما أن الطبيعة الاقتصادية البسيطة ساعدت المجتمع بالإقليم في حصوله على مستوى معيشي مقبول، مما انعكس إيجابا على المستوى الصحي، باستثناء بعض الكوارث الطبيعية والصحية.

1 – المستوى المعيشي للسكان بوادي سوف :

ثروة الفرد بوادي سوف وغناه الحقيقي، يتمثل في امتلاكه للتمر خاصة الغرس، الذي يستطيع أن يحفظه كعولة[816]، وأفضل التمور هي، التي تكون " بعلا " ؛ أي التي لا تسقى نخيلها، بل يشرب مباشرة من المياه الجوفية، لطول جذورها واتصالها بالماء الباطني، هذا ما يرفع من قيمة وجودة التمور، ويزيد من مدى صبرها مخبأة، ذلك كان دافعا لحماية المجتمع من الكوارث، التي تتسبب في المجاعات، أو الحروب المدمرة؛ لأن التمر هو الغذاء الرئيسي، وقد قال رسول (ﷺ) : ﴿ لا يجوع

[816] C. Cauvet : **Notes**, p 66.

أهل بيت عندهم التمر[817]. ﴾. وقد حدثت مجاعات عديدة منها مجاعة 1869، التي تضرر منها أصحاب المواشي، والمزارعين في بلاد النمامشة، فالتجأوا إلى أرض وادي سوف، فرق أهل سوف لحالهم وبسطوا لهم يد العون، بل مدوهم بالتمر، والنقود والثياب، والخضر والفواكه[818]، كما سجلت لنا الوثائق التجاء مجموعة من "التوارق" في حدود 1897، فوجدوا كرم الضيافة من سكان وادي سوف[819]. ورغم هذا إلا أن الإقليم قد أصيب في بعض الأحيان بآفات طبيعية أثرت على منتوج التمر مثل، مجيء الغلة "صيش"، كما تعفنت الغلة سنة 1885، فأطلق على تلك السنة بعام الخموري الأول، والثاني كان سنة 1887[820]، فأحدث ذلك المجاعة في وادي سوف، كما نزلت به كارثة الجراد، لكن قدومه كان علامة بشر، حيث يتباشر بها السكان، ويخرجون جماعات إلى الصحراء من أجل صيده وطهيه ليخزن، ويؤكل في أوقات أخرى، فكان تاريخ مجيئه سنة 1892[821]، فسمي بعام الجراد الأول، وكذلك عام 1897[822]. والجراد حشرة تتسبب في إتلاف بعض المزروعات، لكونه يأتي في شكل أسراب، لكن غلة التمر تكون قد جنيت؛ لأن قدومه يأتي في الربيع عادة، مما يخفف من حجم أضراره، كما أن مقاومة الجراد لم تكن منظمة، لكن بعد تواجد المحتل بدأت الإدارة الفرنسيـــة تتولى ذلك الأمر، وتشرف عليه وتنظم شؤونه[823]. أما مستوى حياة السكان في الغذاء واللباس، فتختلف بين البدو والحضر، هذا لارتباط كل منهما بحياته حسب ما يلي :

---

[817] حديث رقم 2046 من كتاب الاشربة. – ينظر مسلم بن الحجاج : **صحيح مسلم**، ج 3، ط 1، دار الحديث، بيروت، 1412ه/1991م، ص 1618.

[818] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 251.

[819] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 116.

[820] محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 51. – مصطفى سالمي : المرجع السابق، ص 20.

[821] محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 51. – الشيخ محمد العزوزي بن محمد الصالح : التعريف **بزاوية سيدي سالم**، مصدر سابق، ص 20.

[822] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 117.

[823] M. CH. Lutaut : **Situation général des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1909**, Edition Jordan, 1910, p 93.

أ ـ الغذاء عند سكان وادي سوف، ومؤثرات التغريب عليه :

الغذاء مطلب بشري، لما يشكله من حاجة بيولوجية لدى مختلف المجتمعات البشرية، ومن هنا صار توفيره ضرورة اجتماعية تفرضها الحياة بمختلف مستوياتها حضرية كانت أو ريفية، أو بدوية، ذلك ما تؤكده الدراسات الإنسانية والاجتماعية. انطلاقا من استيعاب كل فئة لمتطلباتها، واحتياجاتها اليومية من ناحية، ولمستوى الإمكانيات المتاحة من جهة ثانية. ومن هنا كان التباين مطلبا اجتماعيا فرضته التطورات الحاصلة، لكل صنف من المجتمعات الإنسانية. ووادي سوف لم يشذ على غيره من المجتمعات البشرية، حيث برز فيه التباين، ولو بصورة محدودة، ذلك راجع لطبيعة المجتمع الحضري والبدوي المتقاربة، إضافة إلى أن صفة البداوة هي الأصل في تكوين المجتمع بوادي سوف. ومع ذلك هناك تباينا نسبيا نلحظه من خلال الآتي :

١ ـ *غذاء الحضر* : يعتمد الحضر في غذائهم على ثلاث وجبات أساسية، ففي الصباح يحتسون كأسا من الشاي، أو القهوة مع شيء من الخبز المعد يدويا إن وجد، كما يتناول البعض التمر وحده. أما في الضحى فيتناولون التمر مع شيء من الحليب المنزوع الزبدة. أما الغداء فبحسب الظرف، وغالبا ما يكون وجبات خفيفة، مثل الشربة (الدشيشة[824]) شعيرا كانت أو مرمزا، أو فريكا أو قمحا يطحن بالرحى قبل أن يصير دقيقا، ثم يطبخ مع بعض التوابل. أما في الصيف فغالبا ما يكون رضخة[825] أو مرسة[826]، أو دوبارة، وهي من الفول أو الحمص، الذي يمزج مع الفلفل والرمان الحامض، أو الخل والطماطم، بالإضافة إلى وجبة المطبقة (المحجوبة)، حيث يوضع في وسطها الفلفل والبصل، والطماطم والرمان، والفرماس والشحم[827]، كما توضع بها مكونات أخرى بحسب المواسم، كما يتناولون بعض الفاكهة المتواجدة، حيث يقطفونها طازجة من بساتينهم، وهي

---

[824] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 79.

[825] وهي شيء من الطماطم والفلفل الحار الأحمر مضافا لها الرمان المدكوك وكمية معتبرة من اللبن، أو الماء إن افتقد اللبن.

[826] وهي وجبة تقوم على الكثير من الطماكم الطازجة، حيث تقطع قطعا صغيرة يظاف لها كمية من الفلفل الحار الأخضر فتدك جميعا مع شيء من الملح والزيت.

[827] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 79.

الفقوس والبطيخ والدلاع. أما وجبة الليل، فهي الأساسية الكسكسي، حيث يخلط بمرق من الخضر المحلية، أو يكون في شكل مفور يعرف عند غالبية السكان بـــ "السفة"، إضافة إلى مشروب الشاي، الذي يتناول في غالب الأحيان بعد الغداء، أو بعد العصر. أما احتساء القهوة فقد كان محدودا، خاصة قبل الحرب العالمية الثانية.

٢ ـ ***غذاء البدو*** : إن طعام البدو، رحلا كانوا أو شبه مستقرين، يقوم على التمر وحليب النوق، خاصة في فصل الصيف. أما الفصول الأخرى فيؤخذ التمر مع حليب الماعز، يضاف إليه الطعام المكون من القمح والشعير، وبعض الخضر الجافة. أما اللحوم فتمدهم به قطعان الماشية والإبل، ويكون تناوله عند إصابة أحد الحيوانات، أو يحل بديارهم ضيوف. ومن أهم المأكولات نجد خبز الملة، الذي يتكون في الأساس من الدقيق، يوضع بها ما جاد من خضر، أو لحم ماعز أو ضأن، وفي الغالب ما تكون دقيق لوحده، وتطهى في الرمل، حيث النار الموقدة من حطب الصحراء، ذلك بحفر التراب، وابعاد الجمر لتوضع الخبزة، ثم تطمر بالتراب الساخن، والجمر، وتترك للمدة تقارب الساعة، وعند طهيها تفرك بالرمل النظيف، وتقدم للأكل بعد مسحها جيدا. أما الأطفال فغذاؤهم الاساسي هو حليب أمهاتهم مع تدريبهم على تناول مشروب التمر، ذلك عن طريق مرس التمر في الماء وتصفيته من العوالق المتبقية. أما المشروبات المفضلة فهو الشاي باعتباره المشروب المفضل عند البدو[828]. أما الأطفال الصغار فيتناولون إلى جانب حليب أمهاتهم المريسة، وهي عبارة عن خليط من الحمص المطحون مخلوط بالحليب، وقد يضاف لها شيئ من الزبدة[829].

فيوم المرأة الحضرية يغلب عليه اعمال الطهي إلى جانب الأعمال الأخرى، ويبدأ منذ بزوغ الفجر، حيث تؤدي المرأة اعمالها التعبدية كالصلاة، ثم تتوجه إلى عجن الدقيق لإعداد الخبز، ذلك تبعا لنوعية الدقيق. أما الغداء فيقوم الشعير أو القمح المطحون، لطهي الدشيشة، وهي في غالب الأحيان. أما في المساء فيبدأ الاعداد للعشاء منذ الانتهاء من صلاة العصر، حيث يطحن القمح دقيقا، ثم يفتل

[828] Ahmed Nadjah : Op. cit, p 100.

[829] Ibid, p p 98, 99.

ليصبح كسكس، ليجهز ويعد للأكل مع اعداد المرق الذي يصاحبه، كما أن اعداد الكسكسي له عدة تحضيرات. أما البدو الرحل فإن المرأة تلجأ إلى الطحن كلما توفر لها الوقت، لأن غالبية غذائهم وعشائهم يقوم على خبز الملة[830] المحشي ببعض البهرات والطماطم والشحم، وعندما يتوفر اللحم يستعمل في مواد الحشو دون الاستغناء عن الحلبة المعدة للأكل بعد تغميسها في الماء لمدة، حتى تنتفي عنها صورة اليبس. إلى جانب ذلك تقوم المرأة في الحضر بأعمال كالنسيج أو القيام بصناعة بعض المعدات من خوص النخيل، للمساهمة في رفع وتحسين المستوى المعيشي، إضافة إلى خض الحليب، لاتستخراج الزبدة، أو بعض المشتقات الأخرى. أما المرأة البدوية فقد تشترك في بعض الأشغال، التي تقوم بها النسوة في الحضر، كما تساعد الرجل في جمع الحطب للطهي وجلب الماء. أما معدات الطهي فهي الأواني الفخرية، أو النحاسية، وهي محدودة التناول، في حين نجد المواقد تتمثل في غالبها في مداخن معدة تبعا لبناء البيت لدى الحضر، والوقود المستعمل الحطب المجلوب من الصحراء. أما المواقد المتطورة نسبيا، فكانت محدودة جدا.

أما المؤثرات الغربية التي طرأت على الغذاء، فيمكن حصرها في مجموعة من المواد، التي أدخلها المعمر من خلال سياسة التأثير، المتمثلة في المعونات التي يقدمها الآباء البيض من ناحية، كاستعمال الحليب الجاف والجبن، وبعض العجائن المصنعة كالمقارونة، إضافة إلى المطاعم المدرسية، وما تقدمه من وجبات متنوعة، كأنواع السلطة، وبعض الوجبات غير المعتادة، لدى غالبية فئات المجتمع بنوعيه، يضاف إلى ذلك المشروبات بجميع أنواعها على رأسها الشاي والقهوة، التي صارت تعرف رواجا كبيرا، حيث كان سوق البياضة أهم مركز لترويجها، خاصة التاي، ذلك لكثرة المهربين "الكناترية"[831]، بالإضافة إلى المشروبات الكحولية المتنوعة، علما أنها كانت محصورة في النبيذ

---

[830] الملة هي خبز يعد بعد اعداد نار خفت لهيبها وسخن التراب الذي اعدت عليه ثم يزاح الجمر لتوضع الخبزة المعدة وتدفن في التراب ليوضع عليها الجمر وتترك لمدة حتى تطهى فتنزع من التراب وتنظف من العوالق التي علقت بها بالتراب من خلال مسحها جيدا.

[831] **حوار** مع المجاهد الحاج الهادي بوغزالة حمد، وهو من " الكناترية " المهربين بالعرق الشرقي، حيث كان يتعامل مع تجار غدامس كأبعد نقطة تبادل بنسبة لإقليم وادي سوف. يوم 10 أفريل 2010م.بمتحف المجاهد.

المخمر من بعض المواد المتاحة بالمنطقة، كالشعير والدقلة البيضاء واللاقمي، ومنذ استقرار المحتل صار الخمر المصنع في متناول العديد من الناس، لأنه من السلع المستوردة إلى جانب العديد من البضائع، لكن بكميات محدودة أخذت تتزايد بمرور الزمن خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، يضاف إلى ذلك تفشي ظاهرة المقاهي، وتعددها مما زاد في طلبية المواد الضرورية، خاصة الشاي والقهوة.

والسؤال الذي يطرح هو مدى قابلية المجتمع لذلك؟ إن القابلية لتلك المواد كانت تتزايد من حين لآخر لدى السكان الحضر، ذلك لما تقدمه هذه المواد الدخيلة من نشوة واستحسان، بخلاف البدو الرحل، الذين لم يتمكنوا من التأقلم مع الكثير منها، لكونها تحتاج في إعدادها معدات هم في غنى عنها، لطبيعة حياتهم القائمة عن الترحال. ومما سبق فإن القابلية كانت كبيرة، لما وفرته تلك المواد من خيارات تسعى غالبية المجتمعات إلى الوصول إليها.

ب ـ لباس المجتمع بوادي سوف، والتأثيرات الغربية :

إن حاجة الناس للباس ضرورة، هذا باختلاف الجنس، ومن هنا كان التباين واضحا، مما جعله يتنوع ويختلف بين الرجال والنساء بوادي سوف.

١ ـ لباس النساء : اللباس عند النساء يتمثل في الملحفة، وهي فستان واسع يتدلى إلى الكعبين، منسوج من حرير أو صوف، وذو ألوان متعددة، لكن عند المرأة البدوية يكون أضيق شيئا ما، وأقل طولا[832]، كما يلبسن " البخنوق [833]" من الصوف، ويوضع على الرأس[834]، ويشد في البطن بحزام من الصوف[835] خاصة عند تنقلهن، ولون البخنوق يكون أحمر أو أصفر، ويوضع عليه في الغالب لون السواد، ويقوم مقام الحائك في مناطق أخرى، كما يلبسن الحولي، وفوقه الملحفة ، حيث توضع

[832] [832] Ahmed Nadjah : op. cit, p p 96, 97.

[833] البخنوق هو حائك من الصوف الخشن.

[834] C. Cauvet : **Notes**, p 70.

[835] André Voisin : op. cit, p 243.

على الكتفين[836]. أما لباس الفساتين كان محدودا، لدى نسوة الحضر من الفئات المرموقة، حيث يغلب عليها القماش المستورد، بالإضافة إلى الحرير. وكانت كل هذه الألبسة (الفساتين) مستوحاة من الطراز المحلي المحتشم، حيث أن نسوة المعمرين كانت ألبستهن غير مرغوب فيها لانعدام ملامح الحياء عليها من ناحية، وطابع الإقليم طرفي لا يرقى إلى أن يحاك نساءه نساء المعمرين، ويضاف إلى هذه الألبسة المجوهرات من الفضة غالبا. أما حلي الذهب فعند الأغنياء من الحضر.

٢ -***لباس الرجال*** :لباس الرجال يتمثل في عدة قطع هي : القندورة (القدوارة) من الصوف واسعة عند رجال الحضر. أما البدو فتكون ضيقة وقصيرة، لكن عند استيراد الكتان المالطي من تونس صنعوا القميص (السورية)، وهو لباس داخلي في الغالب، كما يلبسون حولي من الصوف (الحايك) وهو معلم بالقطن، ويرتديه الرجل فوق اللباس، لكن في القرن 20م عوض ببرنوس الصوف[837]، في فصل الشتاء. أما رؤوس الرجال فتغطى بالشاش (العمامة)، وألوان هذه الألبسة، خاصة منها ألبسة الصيف، فيختار لها اللون الأبيض[838]. أما ألوان ألبسة فصل الشتاء يختار الألوان الداكنة، كما يتمنطقون بالمحازم المصنوعة من شعر الماعز الأسود، والصوف الأبيض، وعليها صور مختلفة الأشكال.

أما الأحذية فهي مصنوعة محليا من شعر الماعز ويعرف " بالعفان[839] "، وهذا لمقاومة كل شـــيء ماعـــدا الرطوبة، مع كونه خفيف ودافئ يساعد على السير بسهولة، وراحة في الرمال. ويستغل غالبا في الشتاء[840]. أما مواد التنظيف فيغلب عليها الجبس أو الطين، أو الرماد الأسود المستعمل مع

---

[836] Ahmed Nadjah : op. cit, p 96.

[837] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 80. - Ahmed Nadjah : op. cit, p 96.

[838] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 119.

[839] يحاك العفان من شعر الماعز عن طريق ملقط من الحديد حاد الرأس شبه بالإبرة الكبيرة السمك.

[840] Ahmed Nadjah : Op. cit, p p 95, 96.

الماء وحده[841]. أما الصابون فلم يظهر استعماله إلا في الثلاثينات، حيث كان يتمثل في صابون القوالب المجلوب من تونس[842].

والتأثيرات الغربية على اللباس لم تبرز إلا في العقد الرابع من القرن 20م، حيث عرف الرجال لباس القميص وسروال بوشكبون، بالإضافة إلى المعاطف كالبردسو، والجليكة، في حين عوض الشاش بالطربوش التونسي. أما اللباس عند النساء ظل يحافظ على نوعه نتيجة انعدام التأثيرات الغربية من ناحية، وانحصار تواجد النساء الغربيات من جهة أخرى. دون أن ننسى عدم تقبل النسوة المحليات للباس الغربيات الفاقد لأبعاد الحياء بجميع أنواعه، بالإضافة إلى الألبسة التي يجلبها رجال الدين المسيحيين لتقديمها للسكان المسلمين، وهي إما قديمة مستعملة، أو تلاشى نوعها في الأسواق الأوربية فهي في شكل ألبسة قديمة غير مستعملة. وعليه فالتأثير الغربي على اللباس كان محدودا، وذلك لطبيعة المنطقة.

ج -المسكن بوادي سوف :

مجتمع وادي سوف كغيره من المجتمعات البشرية التي تركن في أطراف النهار إلى مساكنها، لأخذ قسط من الراحة، لكن المسكن يختلف باختلاف الظروف، والأوضاع التي يعيشها من حل وترحال، هذا وفقا لحياة البداوة أو الريف، أو الأوساط المدنية، وهي في أغلب الأحيان تكون مؤقتة، مما جعلها بسيطة في شكلها، ومتواضعة في بنائها، لكنها رغم بساطتها إلا أنها ساهمت في تطوير العمران الحضاري باستمرار وتواصل. والمسكن بدوره يختلف تبعا للسكان البدو والحضر.

١ -المسكن عند الحضر (الحوش[843]) : مساكن الحضر في القرى والحواضر بمنطقة وادي سوف ذات أبواب صغيرة تبنى أسقفها بالجبس، وأجزاء من جذوع النخيل، وتقام هذه المساكن حول

---

[841] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 80. - Ahmed Nadjah : op. cit, p 96.

[842] **حوار** مع الشيخ العيد غوري، مرجع سابق.

[843] الحوش هو البيت برمته من غرف تتوزع بانتظام في شكل مربع أو مستطيل وباحة تتوسط البناء. بخلاف التسميات التي تعني الإسطبل أو الساحة.

المسجد، وعلى أطرافه تنتشر وتتوسع بالبلدة " النزلة " مع إقامة بئر في سط الرحبة[844]، التي تتفرع منها شوارع حلزونية تغطي أرضيتها الرمال كلية[845]، بالإضافة إلى وجود زرايب أو خيام تسكن بها العائلات الفقيرة في ضواحي الحواضر، خاصة الوادي[846]، ويراعى في هذه المنازل الجوانب الأخلاقية من حشمة وحياء، لتجنيب المرأة من الأنظار من ناحية، والظروف المناخية المتكيف معها من جهة ثانية، إضافة إلى الجوانب الصحية المناسبة[847]، وقد أخذت أحجام الحجرات بالمنزل تعرف تغيرات مستمرة، حسب المتطلبات والاحتياجات الأساسية للسكان، كما عرف المنزل بوادي سوف منذ زمن " بالحوش " نسبة للفضاء الواسع في وسط المنزل، محاطا بالحجرات والجدران (الأسوار) في الأطراف، كما يوجد وسط هذا الفضاء بئر في الجهة الشرقية، ويمكن تحديد مرافق المنزل فيمايلي :

- **السقيفة :** هي مدخل البيت، وتكون مفصولة عن البيت بحائط حتى لا يتكشف الأجانب على البيت ونسائه، كما يمكـــن استعمالهـــا في استقبال الضيوف[848]، وتشيد بقربها حجرة يفتح بابها بالسقيفة تعرف بدار "السقيفة"، وهي لاستقبال الضيوف المهمين الذين يحتاجون إلى رعاية أكثر[849].

- **دار الخزين :** هي حجرة يخزن فيها أهل البيت مؤونتهم، وموادهم الغذائية خاصة التمر.

- **المطبخ :** هو حجرة خاصة بالطهي تجهز بمدخنة حتى تخرج الدخان المحترق[850].

- **السّباط :** هو حجرة مفتوحة على فناء الحوش، وبه أقواس يدخل إليها الهواء بكثرة، يقام بالجهة الجنوبية مفتوحا على الشمال، ويدعى الصباط الظهراوي، ويخصص للجلوس في فصل الصيف،

Ahmed Nadjah : op. cit, p 76.

[845] Isabelle Eberhart, Victor Barrucand : **Dans l'ombre chaude de l'islam**, Imprimer P et A Diary, Paris, 1926, p 258..

[846] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 84.

[847] Ahmed Nadjah : op. cit, p 92.

[848] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 124.

[849] Ahmed Nadjah : op. cit, p 92.

[850] Ibid; p 92.

كما يقام آخـــر في الجهة الشمالية باتجاه الجنوب، ويدعى بالصباط القبلاوي، ويخصص لفصل الشتاء[851]، وهو مهم في البيت خاصة بالنسبة للنساء اللواتي يستغلّنه لأشغال عديدة.

كما تقام به الحمّارة[852] التي تحمل قربة الماء أثناء النهار، كما يمكن أن توضع في السقيفة إذا كانت متسعة، أو بالقرب منها لوجود تيار الهواء المتحرك ، ويستغل الثرى الذي تحتها لتخبئة بعض الخضروات الطازجة، كالجزر أو اللفت، أو الفلفل...إلخ من الخضر التي تحتاج لجو رطب، والتي لا تتلف عند طميها بالتراب المبلل.

- **دار النوم :** يخصص بالمسكن أكثر من حجرة للنوم، هذا حسب عدد أفراد العائلة، والعائلات المتواجدة بالبيت الواحد من أزواج متعددين، وفي بعض هذه الحجر تقام المقصورة، وهي بيت صغير داخل الحجرة، كما يشيد بالمقصورة " دكانة " من الجبس هي بمثابة السرير[853].

- **البئر :** هي خاصة ببيوت الأغنياء، ذلك من أجل استغلالها في الماء المستعمل للطهي والغسل. أما ماء الشرب فيجلب من الآبار العذبة الموجودة خارج القرية، أو من الغيطان[854] من طرف الفتيات الصغيرات بواسطة القرب[855]، أو العاملين السقاة.

أما الجهة الشرقية والشرقية القبليَّة من البيت، والتي هي أكثر عرضة للشمس تقام بها كل من بيت الخلاء؛ أي بيت قضاء الحاجة، والإسطبل[856]. ومن هنا يتبين أن طبيعة تصميم البيت بوادي سوف تدل على فطنة الفرد، وتأقلمه مع الظروف المحيطة به، مع إدراكه إلى مخططات الاستغلال والاستفادة منها، لتوفير الشروط الضرورية من جوانب اقتصادية، وأخلاقية وصحية تساهم في

---

[851] Ibid; p 92.

[852] Isabelle Eberhardt, Victor Barrucand : **Dans l'ombre**, p 251.

[853] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 125.

[854] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 126.

[855] Isabelle Eberhardt, Victor Barrucand : **Dans l'ombre**, p 322.

[856] Ahmed Nadjah : op. cit, p92.

استمرارية حياته بدون تكلُّفٍ، ومن خلال هذه المنطلقات الأساسية للمسكن نجد المحتل قد عمل على تثبيتها، لما توفره من خصائص إيجابية، غير أنه أضاف إلى جانب ذلك الخرسانة المسلحة في أسس ودعائم البنايات، خاصة المنشآت العمومية، ومنازل المعمرين، هذا ما يؤكد محافظة المساكن على خصائصها، إلى أن بدأ المحتل يسعى إلى احداث تنمية محلية محدودة الأثر نتيجة المشاريع التنموية الهزيلة منذ سنة 1947.

٢ -*مساكن الحضر الريفية* : هي منازل من خوص النخيل في شكل زرايب، ثم صارت تبنى من الجبس أقامها سكان القرى، والحواضر في بساتينهم، ليسكنوها أثناء تنقلاتهم الموسمية، بدء من جوان إلى سبتمبر، تاركين بيوتهم الساخنة في الحضر، أو القرى الكبيرة لشدة الحرارة، ملتجئين إلى هذه البيوت الثانوية لبرودتها نهارا[857]، من أجل أداء أعمالهم خاصة سقي الخضر، والغلال الموسمية، مع تمكنهم من معاينة النخيل ومراقبتها، وتوفير كل ما تحتاج له، بالإضافة إلى جني التمور بعد نضجها.

٣ -*المساكن الريفية (مساكن الغيطان)* : هي مساكن متنوعة تقام داخل البساتين (الغيطان)، أو على أطرافها. ويستغلها البدو والحضر، وهي للاستعمال المؤقت في أغلب الأحيان ومنها :

- **دار الكاف** : هي عبارة عن كهوف تتخذ مخبأ أثناء النهار، للاحتماء بها من الجو الحار، كما يحفظ بها المنتوج الزراعي، حتى يبقى طازجا[858].

[857] André Voisin : op. cit, p 168.

[858] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 121.

- **الزريبة** : وتدعى أيضا " بالسقيفة " وهي تسمى بهذه التسمية غالبا في الغيطان الجنوبية، وهي أكواخ من خوص النخيل[859]، كما يستغلها الفلاحون من سكان البدو والحضر لمدة معينة، ثم يرتحلون عليها إلى أماكنهم الثابتة[860].

- **دار الخزين** : وتشيد من طرف أشباه البدو المستقرين بخيامهم بالقرب من غيطانهم الصغيرة في فصل الخريف أثناء موسم جني التمور، وعند انتهاء موسم الغلة ترجع هذه القبيلة إلى الصحراء[861]. وقد تحولت تسمية دار الخزين، فيما بعد إلى " دار الحوش "، خاصة في منطقة عميش[862]، وكانت نواة "النزلة"، حيث نجد عددا كبيرا من النزالي؛ أي التجمعات السكانية أو القرى، التي تتواجد على جنبات الطريق الرابط بين الوادي[863] والعقلة[864].

٤ -***مساكن البدو الرحل :*** يسكن البدو والبدو الرحل في بيوت خفيفة الحمل عند تنقلهم، وهي الخيمة أو " بيت الشعر "، وهي ذات خصائص نسيجية، من أهمها قدرة الخيمة على مقاومة الأمطار لكونها منسوجة من الوبر وشعر الماعز، لكن عند فصل الحرارة، يقام بالقرب منها كوخا للاحتماء به من شدة الحرارة، كما يستقبلون فيه الضيوف، وهو من خشب الأشجار الصحراوية[865].

وقد تميَّز كل عرش من البدو الرحل بلون معين، وأشكال مميزة، ترتسم على خيمهم، للتمييز بينها، بالإضافة إلى الحفاظ على خصائص كل عرش اجتماعيا، كما أن هذه المميزات تبرز معالم كل نجع من النجوع المتوزعة على الصحراء الفسيحة. والبدو الرحل يفتخرون ببيت الشعر، ذلك من خلال قول الشاعر :

---

[859] Ahmed Nadjah : op. cit, p 50.

[860] إبراهيم العوامر المصدر السابق، ص 84.

[861] Ahmed Nadjah : Op. cit,p 50.

[862] .Claude Bataillon : Op. cit, p 64.

[863] J. Scelles Millie : **Contes Sahariens du Souf**, Maisonneuve et La Rose, Paris, 1964, p 22

[864] العقلة وتبعد عن الوادي بـــ 25 كلم، وهي بالجنوب من عميش.

[865] C. Cauvet : **Notes**, p 71.

الخير في بيت الشعر وطنابه ولا خير في حوش[866] مسكر بابه[867]

د ـ مميزات الخيمة حسب العروش :

الخيام لدى البدو الرحل المأوى الحصين، الذي يؤويهم عند الحر والصرِّ، وعند هطول المطر، أو هبوب الرياح. فهي المسكن الذي يؤوي جميع أفراد الأسرة، كما تصون حرمة المرأة، إذا ما احتاجت لذلك. وهي في كل حال من الأحوال، تمثل رمز العفة وصون العِرض، ومن هنا برزت الحاجة لتمييز الخيام، تبعا لانتماء البدو لعرش أو فرقة، وبذلك تتضح العلاقات بين عناصر البدو باختلاف انتماءاتهم، وعلى جميع اصعدة الحياة. وهذه المميزات تتخذ بحسب العروش.

- **خيام بدو الأعشاش :** تتميز الخيمة عند البدو الرحل المنتمين لعرش الأعشاش بلون بني وبري فاتح، بها خطان أبيضان، يمتدان أفقيا أعلى الخيمة، كي يراه القادم إلى النجع، وبذلك يتخذ التدابير اللازمة، حتى لا يقع في محذور من المحاذير الاجتماعية والدينية.

- **خيام بدو المصاعبة :** وتتميز خيام البدو الرحل للمصاعبة بلون بني وبري داكن، يعرف عند البدو الرحل بوادي سوف باللون الأحمر[868]، وخطان أبيضان يمتدان أفقيا أعلى الخيمة.

---

[866] الحوش ويقصد به البيت.

[867] **حوار** مع السيدة عائشة عوين، ببيتي يوم 14 جمادي الثانية 1430هـ/08 جوان 2009 مساء.

[868] André Voisin : op. cit, p 111.

- **خيام بدو الشوامس :** وتمتاز خيامهم باللون الأسود، بها خطان أبيضان[869]. وهناك من يملك خيمة حمراء اللون، ووبر أبيض مـــلون باللون الأحمر، خـــــــاصة الذين يعيشون في الظهرة بالقرب من النمامشة.

- **خيام بدو الربايع :** خيامهم سوداء، بها خطان أبيضان ممزوجة بخطوط سوداء[870]، ومن بين الربايع نجد القطاطية، فخيمهم بنية داكنة، ذات ثلاثة خطوط حمراء[871].

- **خيام بدو الفرجان :** خيمهم بنية فاتحة، بها شرائط في الوسط بنية، أو صفراء شديدة الصفرة، ونجدها سوداء اللـــون، ذات أشكال ثلاثية بيضاء اللون في جوانبها[872]. وهذا التنوع يبرز ملامح التنظيم الاجتماعي وفق المتعارف عليه ضمن منظومة القيم الاجتماعية بوادي سوف.

ثانيا – التأثيرات الغربية على الوضع الصحـــي بوادي سوف :

البيئة الصحراوية، والتغذية القائمة على التمور ساهمت في إبراز مستوى صحي حسن، باستثناء بعض الطوارئ التي تجلب معها كوارث، هذا ما ساهم في بروز ممارسات علاجية متنوعة يمكن حصرها في :

1 - الطب الشعبي :

---

[869] **حوار** مع السيدة عائشة عوين، مرجع سابق.

[870] **حوار** مع السيد خليفة الريغي موال بمتحف المجاهد بالوادي يوم السبت 19 رجب 1430هـــ/11جويلية 2009 صباحا.

[871] André Voisin : op. cit, p 111.

[872] Ibid, p 111.

وهو طب عام مستعمل في جميع الأمراض العادية، والحوادث الطارئة، والإصابات الخطيرة، ويتم من طرف الأفراد داخل الأسرة، حسب ما تعارف عليه من أدوية مجربة عند الخاص والعام، وهي في شكل أعشاب طبية. أما الامراض المستعصية، فيراجع فيها المختصون داخل القرية، أو خارجها[873]. والطرق العلاجية المستعملة من أهمها :

- الكي بالنار والفصد والحجامة، والكحل لأمراض العين، هذا بناء على حـــديث رسول الله ﷺ : « الشفاء في ثلاث شربة عسل، وشلطـــة محجم، وكية نار. وأنهي أمتي عن الكيِّ » رواه البخاري[874]، وفق الطب النبوي، والحجامة هامة، حث عليها حسب قوله صلى الله عليه وسلم « خير ما تداويتم به الحجامة » رواه النسائي[875]. أما الاكتحال فقد ورد في الحديث : « عليكم بالأثمد[876] فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » رواه الترمذي[877].

- حمام الرمال : المعروف بالتعريق، وهو لمعالجة الروماتيزم، ويقام ما بين 15 جويلية إلى 15 أوت من كل سنة، ذلك بدفن المريض في الرمال الساخنة الرمضاء[878]، مع إبقاء رأسه عاريا يغطى عن الشمس، ويجبذ في التعريق إطعام المريض كسكسي بمرق اليقطين، والبهرات المساعدة في التعرق، كما يقدم له فاكهة الدلاع، والماء، حتى يتعرق.

---

[873] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 128.

[874] الحديث رقم 5680 من كتاب الطب. - ينظر محمد بن اسماعيل البخاري : **صحيح البخاري**، ط 1، دار ابن كثير، دمشق بيروت، 1423ه/2002م، ص 1441. - ابن القيم الجوزي : **الطب النبوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1957، ص 38.

[875] ابن القيم الجوزي : نفس المصدر، ص 41.

[876] الأثمد : هو حجر الكحل الأسود.

[877] الحديث رقم 1757، من كتاب الليباس. ينظر محمد بن عيسى الترمذي : سنن الترمذي، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ت)، ص 408. - ابن القيم الجوزي : المصدر السابق، ص 217.

[878] André Voisin : op. cit, p 290.

- الرقى والتمائم : هي إما من القرآن الكريم، والأدعية المأثورة، أو بعض العزائم السحرية[879]، والرقى تكون من لدغ العقرب والحية، والعين[880]، وتعلق التمائم لمنع المرض، وعلاجه حسب كتب الفقه المالكي المتواجدة بالمنطقة مثل الرسالة، فقد ورد بها : « ولا بأس بالمعاذة تعلق وبها القرآن.»[881].

- الأعشاب الطبية : هي عديدة يتناولها السكان لتسكين آلام الأمراض وعلاجها، كما تستعمل عن طريق الفم، أوالسحق للبلع والسف، أو تقام كجبائر وكمادات. ويعتمدون في ذلك على كتب القدامى من أطباء العرب كابن سينا[882]، أو تذكرة[883] داود الأنطاكي[884]، أو كتاب السيوطي[885] أو غيرها. والحالات التي تنجم عليها أمراض عديدة منها :

- الإصابة بشوك خوص النخيل الأخضر، فتعالج بعدة أعشاب[886].

- اللسع العقربي وهو راجع للانتشار الواسع لحشرة العقرب، ويعالج بتمرير اليد على العضو المصاب[887]، كما يجرح العضو المصاب عند مكان اللسع، وربطه في مكان أعلى من الاصابة، حتى

---

[879] وهو اعتقاد سائد لدى غالبية المرضى، حيث يلجؤون إلى الطالب لكتابة حجاب أو تممية عند فشل المداواة بالأعشاب الطبية، أو لاعتقاد أن المرض روحاني. – ينظر Yvonne Turin : **Affrontements culturels dans l'Algérie Coloniale écoles, médecines, réligion, 1830 – 1880**, Editions Distrubution Houma, Alger, 2004, p 144.

[880] ابن أبي زيد القيرواني : **الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، تحقيق الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، مطبعة المنار، تونس، (د - ت)، ص 710.

[881] ابن أبي زيد القيرواني : **متن الرسالة لأبي زيد القيرواني**، مكتبة رحاب، الجزائر،(د. ت)، ص 169.

[882] D. Escard : op. cit, p 52.

[883] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 53.

[884] داود الأنطاكي : **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجبي والعجاب**، المنطبعة الأميرية، القاهرة، 1282 هـ.

[885] جلال الدين السيوطي : **كتاب الرحمة في الطب والحكمة**، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1323هـ.

[886] Ahmed Nadjah : op. cit, p 104.

[887] Ibid, p 106.

لا ينتقل السم، ثم يقوم المعالج بامتصاص كمية من الدم بمقدار ما يشعر المعالج أنه حفظ المصاب من الخطر المحدق به.

- الكسور وهي تحدث جراء أحداث عديدة، وعلاجها يتم على طريق التجبير، ذلك باستعمال شيء من خوص النخيل، أو قصب الديس يربط بخيوط على الطرف المكسور، مع تثبيت المريض حتى لا يتحرك، كما يستعمل " زهم النعام "، وهو سريع في جبر الكسور[888].

أما الختان فهو العملية الجراحية الأكثر انتشارا، ويجرى للأطفال في سن مبكرة بواسطة المقص من طرف خبير يدعى " الطهار " ويلتئم الجرح طبيعيا[889]. في حين تتولى معالجة أمراض النساء امرأة عجوز متمرسة تصف الأدوية العشبية، وتقوم بعملية التوليد[890].

2 - الطب الحديث[891] :

أعتمد الطب الحديث منذ تأسيس أول مركز للقوات الفرنسية المستقرة في منطقة الدبيلة، حيث رافقهم مستوصف متنقل للاهتمام بشؤون الحامية العسكرية منذ 1883، وعين به رئيسا للأطباء في صائفة 1884[892]، لكن الاهتمامات الأكثر بهذا القطاع كانت منذ تأسيس الملحقة، حيث تم

---

[888] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 130.

[889] André Voisin : op. cit, p 282. – D. Escard : op. cit, p 52.

[890] André voisin : op. cit, p 290.

[891] منذ التواجد الأول للاحتلال الفرنسي للجزائر واجه صعوبات في توفير سياسة صحية ناجعة لم يمنع منها الأوربيون، هذا ما عجل الإدارة الفرنسية تلجؤ إلى سياسة ظلت تتغير من الحين إلى الآخر، فكان من جملة الإصلاحات التفكير في دمج فئة من المسلمين الجزائريين لممارسة التمريض وتقريب السكان من الإطار الطبي لتسهيل الاتصالات وتمكين كل من السكان المسلمين الجزائريين والطاقم الطبيي من التفاهم بينهم. – ينظر Yvonne Turin : op. cit, p p 142 – 155.

[892] D.Escard : op. cit, p 33.

استقـــــدام مجموعة من الأطباء العسكريين، لمعالجة السكان المدنيين إلى جانب العسكريين الفرنسيين[893]. أما النواة الأولى للمستشفى العسكري بحاضرة الوادي، فقد تم إنشاؤها بعد انتقال الحامية العسكرية من الدبيلة، واستقرارها نهائيا بالوادي، وقد توفر بهذا المستشفى سنة 1900 غرفا متعددة وأسرة، كما جُهز بمختلف المعدات الطبية الأولية الحديثة، إضافة إلى غرفة العـــــــمليات الجراحـــية[894]، لكن ما كان باديا آنذاك، هـــو عدم إقـــــبال السكان على هذا المستـــــــشفى، لاعتقادهم الديني القائم على عدم التـــعامل مع النصارى الكـــفار[895]، لكـــــن عنـــــــــــد اشـــــــــــتداد المـــــرض، وأمام يـــــــــــــأس الطبـــــــــيب الشعبي يلجأ المريض، وأهله إلى المستشفى العسكري الفرنسي الفتي[896]. وقد حاولت الادارة الاستعمارية التأثير على المجتمع من خلال رفع مستوى الخدمات الصحية، غير أن موقف السكان ظـــــــل غير آبه بتلك الســـــــــــياسة، وهذا ما يمكن الوقوف عليه من خلال الخدمة الصحية، وفقا للجدول الآتي :

جدول تطور العلاج الصحي ومصاريفه بوادي سوف 1910 – 1915 : (وحدة المصاريف بالفرنك الفرنسي.)

السنة	عدد أسّرة التمريض	عدد الرجال	عدد النساء	عدد الأطفال	عدد الوصفات المجانية	المصاريف
1910	18	70	15	11	1005	5460,00 [897]
1913	30	81	47	53	4000	6310,00

[893] Bulletin de liaison saharienne : **Dix ans de réalisation communal dans l'annexe d'El-Oued**, Immeuble Mauritanie, Alger, 1958, p 372.

[894] Isabelle Eberhardt : **Mes journaliers**, p 115.

[895] Yvonne Turin : op.cit, p 143.

[896] André Voisin, op. cit, p 282.

[897] M. CH. Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1910**, Edition Jordan, 1911, p p 28, 29.

[898]						
6315,50 [899]	2000	24	24	97	20	1915

الجدول يوضح مستوى الخدمات الصحية، الذي لم يرق للمستوى المطلوب، كما أن مستوى التقبل لهذه الخدمات، ظل لفترة طويلة ينظر إليه على أنه عمل غير محمود، لاعتبارات دينية من ناحية، ومن ناحية ثانية لا ينبغي التعامل مع المستعمر، لأنه يظل يمثل العنصر المحتل، مما يوجب التخوف منه. وأمام هذه المواقف بقي الوضع الصحي للمنطقة يشهد الكثير من الأوبئة كالتفيس والجذري اللذان أهلكا العديد من الناس، حتى أن تعداد الموتى وصل لدرجة أن حفاري القبور يعملون دون توقف لدفن الجثث[900]، وتظهر التقارير الفرنسية أن وادي سوف شهدت في شهر مارس 1910 لوحده 50 حالة تيفيس خلفت 6 موتى من بينهم قايد أولاد سعود، وكذلك الدكتور "مينال" (Minel) [901]، الذي تلقى عدوى المرض أثناء علاجه لأحد المرضى بالتيفيس[902]، هذا ما جعل الإدارة الاستعمارية تسارع للقيام بمجهودات لمواجهة الموقف من خلال عمليات التلقيح بالوادي، التي شهدت تهربا واسعا للنساء، والفتيات الشابات من الطبيب العسكري، مما تطلب الأمر إسناد المهمة لموظفات من النساء بإدماج ممرضات من السكان المسلمين الجزائريين، ما سمح بتلقيح عدد واســـــــع من النساء[903]، كما قامت الإدارة الاستعـــــمارية بتكريم الأشـــــــخاص الذين قاموا بأدوار في محاربة الأوبئة بالوادي[904]، وفي أكتوبر 1911 قامت بوضع احتياطات صحية لمنع

[898] M. CH. Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1913**, Edition Jordan, 1914, p p 22, 23.

[899] M. CH. Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les années 1914-1915**, Edition Jordan, 1916, p p 36, 37.

[900] André Voisin : op.cit, p .289.

[901] طبيب مساعد في الفرقة الأولى بالوادي.

[902]. A.N.T : Série A , Carton N° 278 , Dossier 14/1.

[903] Lutaud : année 1910, Op.cit, p31.

[904] **El-Mobacher** : N°5236, année 62 Samedi 2 avril 1910, p1.

انتقال عدوى الكوليرا إلى الوادي، التي لوحظت في تونس[905]. وإلى جانب هذه الأوبئة عرف وادي سوف انتشار العديد من الأمراض خاصة أمراض العيون (التراكوم، والتهاب الملتحمة الحبيبي)، وأمراض الجهاز الهضمي، كالإسهال، خاصة الطفولي القاتل بسبب الجفاف الذي يحدثه للأطفال، والحمى الغديرية، وهذا المرض يأتي بعدوى من واد ريغ يعرف بـــ " التهم " والتهاب الكبد[906]. ولتقييم ما تقدمه الإدارة الفرنسية في ميدان الصحة بوادي سوف، يمكننا القول بأن مستوصفا من 20 سريرا وطبيبا واحدا، غير كاف لتغطية حاجيات السكان من معاينات، ودورات تلقيح، هذا النقص يزيد تعقيدا، لما نعرف أن الطبيب المنتدب في الملاحق كان مكلفا بخدمة الحامية والفرقة العسكرية، ولديه واجبات لإنجازها، مما يجعله يتعذر عن الخدمات الطبية للسكان المسلمين الجزائرين. وقد ظل الوضع الصحي بوادي سوف مستقرا، دون تغيير ملحوظ على المرافق الصحية، التي أنشأتها إدارة الاحتلال إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث سارعت الإدارة إلى تطوير المستشفى العسكري، من حيث الاطار، خاصة من خلال توظيف ممرضات من الراهبات المنتميات لتنظيم الأخوات البيض، بالإضافة إلى رفع مستويات الاهتمام، ذلك في اطار التنمية التي أوجبها قانون 20 سبتمبر 1947، الداعي إلى انهاء التعامل بنظام المناطق العسكرية. فكانت نهاية الأربعينات من القرن 20م، بداية اهتمام نسبي قصد استمالة السكان المسلمين الجزائريين.

المبحث الثاني : - دور الهجرة في التصدي لسياسة التغريب بوادي سوف :

الهجرة حركة تنقل للأفراد والجماعات، ترتبط عادة بتغيير مكان الإقامة، وهي فصلية أو مؤقتة، أو نهائية بلا رجعة، وتكون داخلية أو خارجية[907]. والأهمية التي تلعبها الهجرة في حياة المجتمعات، تبرز من خلال التأثر والتأثير المتبادل، لأن حياة الفرد الجزائري منذ الاحتلال، أصبحت لا تطاق

---

[905] A.N.T : Série A , Carton N° 278 ,Dossier 14/1, op.cit.

[906] Escard : op.cit, p p 53 - 57.

[907] والهجرة الخارجية إما أن تكون إلى خارج البلاد فيطلق عليها الهجرة النازحة، أو تكون إليه وهي الهجرة الوافدة. – ينظر ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلوم : **معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام**، ط1، دار التقدم-موسكو، بيروت،1992، 283.

نتيجة الوضعية، التي آلت إليها البلاد، هذا ما حمل الكثير من الجزائريين على التفكير في الهجرة، حيث كانت تمثل شكلا من أشكال المقاومة، التي اتخذها الجزائريون، لكنها في حقيقة الأمر، هي مقاومة سلبية[908]. لهذا كان نشاط الهجرة واسعا جدا، رغم محاولات فرنسا لتعطيلها[909] في نهاية القرن 19م.

أولا – دوافع وأسباب الهجرة :

السياسة الاستبدادية الممارسة في حق المسلمين الجزائريين، كانت من أكبر الدوافع، لجعل الهجرة ضرورة حتمية، بالإضافة إلى حالة الاستيطان، التي ما لبثت أن زاحمت الجزائريين في أقواتهم وممتلكاتهم، لأن النفوذ الذي كان يتمتع به الكولون. انطلاقا من الاحتماء بمظلة الكولونيالية، بالإضافة للحملات الدعائية المشجعة على الهجرة إلى الجزائر المستعمرة الحديثة. وإلى جانب ذلك ما كان يمتلكه المعمرون الفرنسيون والأوروبيون من جرائد ناطقة باسمهم، تدافع عن مصالحهم منذ منتصف القرن 19م بالجزائر مثل : جريدة " **الاستعمار** "، التي تصدر بالجزائر، وجريدة " **المعمر الجزائري** " التي تصدر بباريس[910]، وإلى جانب هذا كله نجد الدوافع والأسبـــاب، التي يمكن أن نلمسها، من خلال تصريحات أدلى بها الكثير من المفكرين والمؤرخين المعمرين، ومن بينهم " دي توفيل " (De Touville)، الذي يعد أفضل مترجم لحياة بيجو : « إن الفضل الأكبر الذي ينبغي أن نعترف به لبيجو هو أنه أدرك بأننا لا نواجه جيشا حقا. بل نواجه السكان أنفسهم، وأنه لابد، ولكي نستقر في مثل هذا البلد، أن لا يقل الجيش في حالة السلم عما هو عليه في حالة الحرب من

---

[908] أبو القاسم سعد الله : خصوصيات الحركة الوطنية الجزائرية، **محاضرة**، مخبر العلوم التاريخية والفلسفية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الأحد 25 صفر 1424هـــ / 27 أفريل 2003م.

[909] عمار هلال : " أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية "، **مجلة الثقافة**، العدد 88، الجزائر، يوليو – أغسطس 1985، ص 165.

[910] عبد اللطيف بن أشنهو : **تكوين التخلف في الجزائر**، ترجمة نخبة من الأساتذة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979، ص ص 93، 94.

حيث العدد والعُدة[911]. »، إضافة إلى أسباب كثيرة دفعت بالجزائريين إلى الهجرة نحو المشرق، أو حتى نحـــو فرنـــسا نفســـها بلاد المحتل، حيث يلاحـــظ الزيادة المفرطة في هـــجرة العمال الجزائريـــــين إلى فرنسا، التي بلغت سنة 1912 خمســـة آلاف (5000) عـــاملا مهاجرا، ليقـــــفز عددهم سنـــة 1923 إلى اثنـــين وتسعين ألف (92000) عاملا[912]، مما يمـــكن إرجاع الهجرة إلى دوافـــع وأسبـــاب هي :

1 - الدوافع والأسباب العامة للهجرة :

الدوافع والأسباب المؤدية للهجرة عديدة، ومتنوعة، منها ما هو ذاتي لدى المجتمع الممارس للهجرة، ومنها ما هو خارجي تفرضه إملاءات، نتيجة الوضع الجديد، والمفروض على شريحة واسعة من المجتمع محل الدراسة، هذه الدوافع يمكن حصرها فيمايلي :

١ - الدوافع الاقتصادية[913] : تتمثل في وضع الممارسة الاضطهادية، التي ووجه بها السكان المسلمون الجزائريون. انطلاقا من سلب الأراضي، ومنحها إلى المعمرين، نتيجة الضرائب الهائلة تارة، أو سياسة الاقتراض والاستلاف الربوي تارة أخرى، مما يجعل السكان المسلمين الجزائريين يضطرون إلى فقدان ممتلكاتهم[914]، خاصة الأرض باعتبارها الركيزة الأساسية، التي يعتمد عليها الفرد في ارتزاقه، إضافة إلى البطالة، التي أصبحت تزيد في حجم الأعباء الملقاة على كاهل غالبية السكان المسلمين الجزائريين، ذلك كله كان مساعدا في رفع مستوى الرغبة في الهجرة، قصد كسب القوت، والحصول على شغل يؤمن موارد أساسية، يعول بها المهاجر أفراد أسرته. وهو الطابع الذي

---

[911] مصطفى الأشرف : المرجع السابق، ص 299.

[912] عبد القادر جغلول : **تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية**، ترجمة فيصل عباس، بيروت، 1981، ص 150.

[913] عبد الحميد زوزو : **الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 –1939)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص 35 – 46. - تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900 – 1940)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د – ت)، ص ص 29، 30.

[914] L'annexe de l'El-Oued : **Rapport sur le souf (Ethnographique Situation Economique Moyens D'organisation Touristique)**, Art et Métiers indigènes, 1926, dans A. D. M. El, El-Oued, p 01.

غلب على المهاجرين من خلال الهجرة الموسمية[915].

٢ ـ *الدوافع التعليمية*[916] : طبيعة السياسة التعليمية، التي انتهجتها فرنسا، رغم صدور قانون " جول فيري " (Jule Ferry) بتاريخ 13 فبراير 1883[917]، لقي معارضة شديدة من طرف الكولون، الذين اعتبروا أن هذا المرسوم سيرفع من مستوى السكان المسلمين الجزائريين ، ويجعلهم يطالبون بحقوقهم، كما سيرفعون أصواتهم عالية من خلال شعار " الجزائر للعرب "، إذا ما انتشر فيهم التعليم[918]، فكان هذا سببا ملحا إلى الهجرة. وقد كانت أقوى هذه الهجرات، هي هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق.

٣ ـ *الدوافع الاجتماعية* : تكمن هذه الأسباب في الشعور بالمهانة والذّلة، التي أصبح يعيشها السكان المسلمون الجزائريون جراء الفقر والحاجة، التي أضحت هاجسا يؤرق كل جزائري، فكانت الهجرة الملاذ الأوحد، خاصة فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، لكونها أسهل المناطق المهاجر إليها، بالإضافة للتسهيلات التي أقرتها فرنسا في حق الهجرة إليها[919].

٤ ـ *الدوافع النفسية*[920] : التبادل في الرسائل، وعودة المهاجرين، خاصة من فرنسا. كان يصحبه الانبهار بثقافة الآخر، وتعامله تجاه العمال المهاجرين، ذلك زاد في رغبة السكان المسلمين الجزائريين، الذين أصبحوا يتناقلون أخبار ذويهم العائدين من فرنسا، هذا ما شجع على الهجرة خاصة إلى فرنسا[921].

---

[915] Jean Pigoreau : **L'émigration dans l'Annexe d'El – Oued** , (manuscrit), 1955, p 02.

[916] عبد الحميد زوزو : المرجع السابق، ص ص 47 – 51.

[917] عبد الحميد زوزو : نفس المرجع، ص 48.

[918] نفسه، ص 48.

[919] تركي رابح : المرجع السابق، ص 30.

[920] تركي رابح : نفس المرجع، ص 30.

[921] عبد الحميد زوزو : المرجع السابق، ص 46.

٥ - *الدوافع العسكرية*[922] : ويعبر عليها بالدوافع السياسية، وهي التي تجعل الهجرات اضطرارية قسرية هروبا من البطش والتنكيل، بالإضافة إلى الهروب من القوانين الجائرة مثل : الهروب من الخدمة العسكرية[923]، التي أقرها قانون التجنيد الإجباري.

2 - الأسباب الخاصة بالهجرة :

شملت الهجرة ربوع البلاد بكاملها، نتيجة السياسة الاستعمارية، فكانت وادي سوف من بين المناطق، التي عرفت عبر فترات مختلفة موجات هجرة متعددة. انطلاقا من الحدود التونسية والليبية، و لم تختلف أسبابها عن الأسباب العامة، التي عرفتها الهجرة في أرجاء عديدة من الجزائر، رغم محاولات بعض أبناء المحتل التقليل من حدة السياسة الاستعمارية، لكن مع ذلك تظل السياسة الاستبدادية، هي الأساس في تحريض السكان المسلمين الجزائريين على اختيار الهجرة طواعية، أو اضطرارية، لكن ما أقرته بعض الدراسات الفرنسية في دوافع، وأسباب الهجرة قد نلمسه خلال الإجراءات الشديدة، التي اتخذها فرنسا حسب ما جاء في تقرير السيد " لويسياني " (Luciani)، الذي حمل تاريخ 4 ديسمبر 1899، المتضمن أسباب ودواعي هجرة السكان الجزائريين من الوسط الجزائري : المدية، وعين الدفلة، ووادي الفضة، وكريمية، والأصنام (الشلف حاليا)، وبو قدير، وتنس، وسيدي عكاشة، وأبو الحسن لسنتي[924] (1898 – 1899)، كما حدد جذورها وأهميتها[925]، مع ذكر أسباب، ودواعي حركة الهجرة، والمقصود بها الهجرة المشار

---

[922] عبد الحميد زوزو : نفس المرجع، ص 46.

[923] L'annexe de l'El-Oued : **Rapport sur le souf (Ethnographique Situation Economique Moyens D'organisation Touristique)**, op cit, p 01.

[924] دائرة أبو الحسن : دائرة في ولاية الشلف تضم كل من بلديات أبي الحسن – تلعصة – تاجنة، ، الموقع الإلكتروني ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D8%A9_%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%86.

[925] عمار هلال : أصداء الهجرة، المرجع السابق، ص ص 150 –153.

إليها أعلاه، التي حددها :

- تصرفات المهاجرين الجزائريين في سوريا، حيث حاول الجزائريون من هناك دعوى الجزائريين للهجرة.

- الصحافة العربية وهجرة الجزائريين، حيث لعبت هذه الصحافة دورا هاما في تنشيط الهجرة إلى أراضي السلطنة العثمانية؛ أي الولايات العربية، بين الناس في كل من الجزائر وتونس خاصة.

- علاقات السكان الجزائريين بسوريا.

- تصرفات المعمرين في أورليان فيل (Orléans ville) (الشلف حاليا).

- التدخلات غير السلمية للإدارة المحلية[926].

علما أن هذا التقرير قد خص هجرات (1898 – 1899)، حيث يمكن تعميمها على مناطق كثيرة من القطر الجزائري، كما يواصل صاحب التقرير في سرد الأسباب، حيث يشير إليها دون ما أن يضعها ضمن الأسباب الحقيقية منها :

- شكاوى السكان الجزائريين، وقد ضمنها أنواعا عديدة منها :

حالة الخمّاس المؤسفة.

قيود القرض والاستلاف[927].

ليضع في نهاية تقريره الإجراءات التي يجب اتخاذها من طرف السلطة ضد الهجرة، وهي تتمثل في :

- عدم منح جوازات السفر للأهالي الجزائريين.

---

[926] عمار هلال : نفس المرجع، ص ص 153 – 160.

[927] نفسه، ص ص 161 –165.

- منع دخول صحيفتي " **المعلومات** " و" **ثمرة الفنون** " إلى الجزائر، وهاتان الصحيفتان عثمانيتان ناطقتان باللغة العربية، لخطورتهما، ليس فقط على فرنسا وعلى أوروبا قاطبة.

- منع دخول المطبوعات باللغة العربية[928].

هذا واحد من آلاف التقارير، التي حاولت التطرق إلى الهجرة، مع حصرها في مناطق محدودة، كي لا تؤلب الرأي العام الفرنسي، ولا تحدث هلعا في أوساط المسؤولين الفرنسيين، لكن رغم تلك السياسات، التي طالت السكان المسلمين الجزائرين، ظلت محاولات قائمة قصد التخلص من كل التبعات، فالسيد لوسياني يحاول رصد دوافع وأسباب، يُحمل من خلالها الجزائريين تبعية مغبة الهجرة، دون أن يحدد المسؤول الحقيقي في دفع الجزائريين إلى الهجرة، فهنا لا يتخلى عن ذاتيته الفرنسية الاستعمارية.

أما بوادي سوف، فقد تعددت أسباب الهجرة، واختلفت عن غيرها من الهجرات في مناطق أخرى من الجزائر، هذا حسب ما أكدته احدى التقارير الفرنسية للسيد " جون بيقرو " (Jean Pigoreau) حول الهجرة في ملحقة الوادي، وهذه الدوافع هي :

- الوضع الطبيعي لمنطقة وادي سوف، ومحاذاتها للحدود التونسية من خلال منطقة الجريد، والحدود الليبية عن طريق غدامس، بالإضافة إلى ضعف المراقبة الحدودية، نتيجة الطابع الصحراوي الصعب[929].

- الدوافع الدينية التي تشجع سكان وادي سوف للهجرة إلى بلاد المشرق. انطلاقا من تونس بخلاف السكان الجزائريين في الشمال، الذين أصبحوا يفضلون الهجرة إلى فرنسا، خاصة بعد

---

[928] نفسه، ص ص 165 – 168.

[929] Jean Pigoreau : Op ci , p03.

الحرب العالمية الثانية[930].

- الرغبة في تحصيل العلم، باعتبار أكثر المهاجرين من الطلبة، ومثقفي المنطقة[931].

- الوضع الاقتصادي والاجتماعي، الذي حذا بأغلبية السكان، خاصة المالكين للحيوانات، دون النخيل، وضعف دخل هذه الحيوانات على توفير بعض متطلبات الحياة، خاصة الماعز، الذي هو اقل قدرة على إنتاج الحليب[932].

- الوضع السياسي الذي أصبح يسود المنطقة، شجع الكثير على الهروب، دون مواجهة الإدارة الاستعمارية، كي لا يضطهد[933]، خاصة منذ صدور قانون التجنيد الإجباري.

وقد تميز سكان وادي سوف بحيوية التنقل والهجرة، نتيجة الوضع الاقتصادي، الذي وصلت إليه المنطقة مع صغر المجموعات السكانية، كان كافيا لتشجيع الفرد بوادي سوف على الهجرة، حيث تذكر بعض التقارير الفرنسية، أنه وجد فرد من المنطقة مهاجر في الأرجنتين[934]، كما نجد أن أغلبية المهاجرين من الإقليم يفوقون سن الخامسة عشر من العمر[935]. وعلى أساس الوضعية الاقتصادية، التي تميز بها إقليم وادي سوف، جعل سكانه يضطرون إلى طلب العيش خارج حدودهم، فأتجه كثير منهم إلى تونس في فترات مختلفة[936]، فالوضع المتردي كان سببا قويا لدفع السكان للبحث عن حياة أفضل، فكان اتفاق معظم الباحثين الاجتماعيين على أن الهجـــــــرة من بلد إلى آخـــــــــر، لابد أن تقوم على أساس سببين أساسيين هامين :

---

[930] Ibid, p 03.

[931] Ibid, p 03.

[932] L'annexe de l'El-Oued : **Rapport sur le souf (Ethnographique Situation Economique Moyens D'organisation Touristique)**, op. cit , p 01.

[933] Ibid, p 01.

[934] Ibid, p 01.

[935] Claude Bataillions : **Le souf**,Op. cit, p 101.

[936] أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة، مرجع سابق، ص 172.

السبب الأول : أن تصبح الحالة في الوطن الأصلي لا يطيقها الفرد، أو يبدو له على الأقل أنها تفوق درجة احتماله.

السبب الثاني : يبدو لطالب الهجرة بلدا آخرا، يتخذه موئلا له، مزمعا بينه وبين نفسه، أنه سيجد فيه ما عزّ عليه وجوده في موطنه الأصلي[937].

ثانيا - الهجرة الداخلية :

طبيعة الوضع العام، الذي عرفه وادي سوف فرض على كثير من سكانه تحبيذ الهجرة، تعبيرا عن رفضهم، وعدم رضاهم عن الوضع السائد[938]، الذي آلت إليه البلاد، نتيجة غياب مصداقية تطبيق القوانين، التي ظلت الإدارة الاستعمارية، تتغنى بها من أجل ذر الرماد على العيون، حيث كانت الغاية منها في كل مرة التماطل من جهة، وربح الوقت من جهة ثانية، والتظاهر بملمح التحضر أمام الرأي العام، خاصة فئة الكولون، الذين كانوا يتصدون باستمرار، لكل اجراء يُشتم منه شيء من التساهل مع السكان المسلمين الجزائريين ، فكانت كل المحاولات يائسة، لأن إرضاءهم كان مقدما على حساب السكان المسلمين الجزائريين، لذلك كانت مناطق التل تبدو للسكان الجزائريين بوادي سوف ملاذا، يمكن أن يحقق من خلاله بعض الأطماع. أما المناطق المجاورة للإقليم، خاصة مناطق وادي ريغ والزاب، وورقلة، فهي مناطق حكم عسكري باستثناء بسكرة، لكن رغبة الفرد بوادي سوف في الهجرة لها، تكمن في سهولة التعامل مع النخيل. إما مالكا أو أجيرا، بخلاف ما يمكن أن يستنفذه من جهد في ربوع المناطق الغربية والجنوبية، والشرقية ذات الكثبان الرملية الكثيفة بالإقليم، لكونها تمثل امتدادا جغرافيا للعرق الشرقي الكبير. وقد حبذ الكثير من سكان وادي سوف الهجرة إلى العديد منها، بالإضافة إلى المدن الداخلية الواقعة في نطاق عمالة قسنطينة[939]. وقد شملت

---

[937] لوثروب ستودارد : **حاضر العلم الإسلامي**، نقله للعربية أ. عجاج نويهض، ط 4، المجلد الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 323،1973.

[938] Jean Pigoreau : op cit, p 01.

[939] Ibid , p 07.

هذه الهجرة أصنافا عديدة من المهاجرين، خاصة الشباب، الذين كانوا يشعرون بالقوة، كما يغلب على هؤلاء المهاجرين ارتفاع نسبة عدد أرباب البيوت، الذين يبحثون عن قوت أسرهم، واستعمل سكان وادي سوف سياسة الترقب؛ هذا من خلال الاعتماد على استقرار العائلة المهاجرة، ومدى تحقيقها للنجاح في تلك المنطقة، حتى يتسنى للعائلات الأخرى الهجرة، والالتحاق بها قبل الحرب العالمية الأولى، وعند استقرارهم في المناطق المُهاجر إليها يحاولون إيجاد مأوى في ضواحيها[940]، للمحافظة على علاقاتهم فيما بينهم، والحفاظ على تقاليدهم وعاداتهم، حتى يحافظواعلى علاقاتهم بموطنهم الأصلي وادي سوف.

والهجرة إلى المناطق الداخلية، قد تكون طواعية، مثل هجرة الحرفيين، للبحث على أسواق أكثر استيعابا لمنتجاتهم، مثل الخياطين والنساجين، وغيرهم من أصحاب الحرف إلى بسكرة وبريكة، بالإضافة إلى سرعة بداهتهم في حفظ أسرار المهن، مما يؤهلهم في النجاح بتلك المناطق، كما نجد الأغنياء الذين يودون توظيف أموالهم، كشراء الواحات المسقيـــة في وادي ريغ و تماسين، وورقلة والزيبان، حيث النخلة هناك لا تتطلب كلفة كبيرة[941]. هكذا نجد أن المهاجرين، هم أصناف عديدة، فهم يشكلون تجمعات. إما على مستوى التجارة في محلات صغيرة أو حرف، أو حتى عمال مستقلين متواجدين في مختلف القطاعات[942]. أما الطلبة فنجد هجرتهم محدودة، باستثناء بعض المدارس، التي استوعبتهم، ولبت بعضا من رغباتهم، كالمدرسة الرسمية الشرعية بقسنطينة لتخريج القضاة والوكلاء، المترجمين، ورجال المحاكم الشرعية، وأعوان الإدارة الأهلية[943]، كما نجد أن الكثير من المغضوب عليهم من قبل السلطات المحتلة، فضلوا الهجرة إلى بعض المناطق القريبة من وادي سوف، ومن أهم هذه المناطق الزيبان، حيث نجد عبد القادر الياجوري، وعلي بن سعد قد

---

[940] Ibid , p 07.

[941] Ibid , p 07.

[942] Claude Bataillions : op. cit, p 102.

[943] محمد الأخضر عبد القادر السائحي : " الأديب الشهيد محمد الأمين العمودي شهادات و نصوص من الأدباء الشهداء "، وقائع **الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د – ت)، ص 78.

بادرا إلى نشر مبادئ جمعية العلماء بطولقة[944]، كما نجد الأمين العمودي، الذي فضل الاستقرار ببسكرة والعروسي ميلودي، والهاشمي الدراجي في بسكرة، حيث ظلوا يسعون إلى تنشيط الوضع الثقافي بهذه المنطقة، تحت راية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[945]، إضافة إلى الهجرة الإجبارية، التي فرضت على الشيخ إبراهيم بن عامر (العوامر)، إثر موقفه المساند للحكم القضائي المقر بإرجاع الدية للأرامل اللواتي قتل أزواجهن في الحدود اللبية من طرف القوات الإيطالية[946]، التي تم اختلاسها من قبل بعض العسكر من الجيش الفرنسي، كما عرفت الجزائر قيودا جديدة بعد الحرب العالمية الأولى ضمن ما يعرف بوعود كليمونصو سنة 1919، التي تكافئ الجزائريين على مساعدتهم لفرنسا، والوقوف إلى جانبها وقت الشدة، في مقابل تنفيذ هذه الوعود جاءت القيود المجحفة، لذلك اختلقت السلطات الاستعمارية في المنطقة عدة تهم ضد الشيخ، منها القضية السابقة. هذا ما جعلها تحكم عليه بالنفي من مدينة الوادي، وإبعاده إلى بلدة أولاد جلال، حتى تقطع كل صلة بينه، وبين أتباعه وتلاميذه، وعلى إثر ذلك ظل الشيخ ماكثا مدة طويلة في منفاه[947]. وعند محاولات الشيخ في التقرب من السلطة الحاكمة، أجازت له حق الانتقال إلى تقرت، حيث تجاور مع صديقه الشيخ العلامة الطاهر العبيدي، الذي كان له خير جليس، فنشطا معا في حقل العلم والمعرفة بتقرت. هذا ما جعل ابن باديس يقدم لهما دعوة لحضور اجتماع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، غير أنهما اعتذرا واكتفيا بحضور تلاميذهم، كحمزة بكوشة و نعيم النعيمي وغيرهما[948]. هكذا نجد العديد من الشخصيات التي فضلت العمل بالمهجر، مثل الشيخ " الهاشمي حسني بن حميدة

---

[944] محمد العيد مطمر : **العقيد محمد شعباني و جوانب من الثورة التحريرية الكبرى**، ط 1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999، ص 27.

[945] محمد العيد مطمر : نفس المرجع، ص 26.

[946] علي غنابزية : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر (سيرته و مآثره) "، **مقال**، (مخ)، الوادي، أكتوبر 1996، ص 07.

[947] إبراهيم مياسي : **قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 214.

[948] إبراهيم مياسي : نفس المرجع، 214

" الذي هاجر إلى مدينة الجزائر، واشتغل بشركة نقل الترومواي (T[949]. A[950]. TROMWAY)، حيث كان يقدم دروسا بمدرسة الشبيبة الإسلامية بصالومبي (المدنية حاليا)، كما كان يقدم دروسا بالمنازل للبنات باللغة العربية[951]. وعلاقة المهاجرين بالإقليم لم تنقطع، ذلك من خلال العودة الموسمية، التي يقوم بها هؤلاء لأهاليهم، قصد الاطمئنان عنهم ومراعاتهم، فكانوا كلما عادوا أقاموا اتصالات بشيوخ المنطقة، وأقرانهم قصد اطلاعهم على الأحوال السياسية والثقافية، كما كانوا يجلبون معهم أعدادا من الجرائد والصحف، للاطلاع عليها، ومتابعة الأحداث من خلالها. هكذا فإن العلاقة القائمة بين المناطق المجاورة لوادي سوف بالجزائر علاقة تأثر وتأثير. بل نجد الكثير من أبناء وادي سوف فضلوا البقاء بتلك المناطق، التي هاجروا إليها، لما لقوه من تجانس، وتوافق مع قدرة تكيفهم، وبداهة تأقلمهم مع تلك المناطق، كما نجد أن فرنسا قد أخطأت تجاه الكثير من أبناء المنطقة، الذين فرضت عليهم الهجرة، فمنهم الشيخ " محمد الطاهر التليلي "، الذي اختار أحد مناطق جبال جرجرة بقرية " كمبـــــــيثة "[952]، فراح ينشر أفكار الحركة الإصلاحية، مما جعله يقلق السلطات الاستعمارية، التي فرضت عليه العودة من جديد إلى بلدته قمار، رغم محـــاولة سكان تلك المنطقة من التقرب من السلطات المحتلة قصد إبقائه بينهم، لكن دون جدوى[953].

وعليه فإن الدور الذي لعبته الهجرة الداخلية، هو زيادة رغبة المهاجرين في التفاعل، والمشاركة في رفع مستواهم الاقتصادي والثقافي المنعكس على المستوى السياسي والاجتماعي، دون انقطاعهم عن أهاليهم والإبقاء على الاتصال المستمر، حتى يستطيعوا تحسين الوضع، ما أمكن مع رفع مستوى التصدي بمنطقة وادي سوف، التي ظلت وقتا طويلا تقاوم الاحتلال وسياسته التعسفية الاستبدادية. هكذا نجد أن اتجاهات الهجرة تعددت، وكان أهمها ما ذكرنا سالفا، لكن ذلك لم يمنع

---

[949] Transport.

[950] Association.

[951] **حوار** مع السيد رشيد حسني، الابن الأكبر للشيخ الهاشمي حسني يوم 12 رجب 1424هـــ / 08 سبتمبر 2003 ببيته مساء.

[952] محمد الحسن فضلاء : **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج 2، دار هومه، الجزائر، 2000، ص 35.

[953] محمد الطاهر التليلي : **منظومات**، ص 09.

من وجود اتجاهات أخرى، كفرنسا، التي هاجر إليها، خصوصا بعض ساكنة ضاحيتي تكسبت والوادي المركزي[954]، حيث كان تمركز هؤلاء " بالرون " (RHONE)[955]، كما هاجر بعض السكان أفرادا إلى المغرب الأقصى، مثل الشيخ " محمد الصالح ميسة " الذي انخرط بالجيش الفرنسي، ليتحصل على رتبة ضابط أهلي، وظل هناك بالمغرب الأقصى[956]. كل ذلك يعود لرغبة السكان المسلمين الجزائريين بوادي سوف الجامحة للسفر والهجرة، إضافة للوضع المزري الذي حال دون بقائهم في المنطقة، ما عدا المسنين العاجزين عن التنقل، أو المترددين الخائفين الفاقة بالمهجر[957]، كما نجد مراسلات بين مريد شيخ الطريقة التجانية، وهو السيد " أحمد بن أبي الضياف التغزوتي " من خلال رسائل يناشد شيخه " محمد العيد بن محمد البشير التجاني "، للسماح له بالهجرة إلى بعض المناطق الداخلية، ثم ما لبث أن أشاد بشيخه من خلال السماح له بالهجرة، ذلك من خلال رد الشيخ عليه بإذن التنقل من وادي ريغ إلى القل، والرسالة مؤرخة بتاريخ 4 فيفري 1923 بزاوية تماسين[958]، مما يؤكد حقيقة أن الطرق الصوفية لم تكن عائقا أمام الهجرة، لكن ما يشهد على الطرق الصوفية، أنها كانت في تلك الأثناء؛ أي خلال العشرينات تُنفِّر الناس وتزهدهم في الهجرة إلى جامع الزيتونة، لأن المتخرجين منه ينكرون على عامة المريدين اعمالهم المتسمة بالأفكار والمعتقدات الزائفة، وإصرارهم على البدع والضلالات، التي تتعارض مع الكتاب والسنة[959]، ذلك ما أقر به شيوخ الطرق العلماء العارفين، مما يؤكد لنا عدم تعميم حكم معارضة الطرق وشيوخها على الهجرة لدى السيد " لوسياني "، لكن ما قد وقفنا عليه هو أن الطرق الصوفية بوادي سوف، لم تكن عائقا أمام هذه الهجرة في شتى الاتجاهات، مثل الهجرة

---

[954] Claude Bataillions : op. cit, p 105.

[955] Jean Pigoreau : op. ci, p 01.

[956] Ibid, p 01.

[957] Ibid, p 01.

[958] **رسالة** السيد أحمد بن أبي الضياف التغزوتي إلى الشيخ محمد العيد بن محمد البشير التجاني مؤرخة بتاريخ 04 فيفري 1923 (لدي نسخة منها).

[959] حمزة بوكوشة : الشيخ الهاشمي الشريف، ص 07.

إلى جامع الزيتونة، أو حتى إلى فرنسا.

1 – الهجرة إلى وادي ريغ والزيبان :

الهجرة إلى وادي ريغ والزيبان تحكمت فيها الحاجة الملحة للارتزاق، نتيجة الوضع الاقتصادي المزري، الذي تميز به الإقليم، تبعا لندرة المهن من جهة، وصعوبة الكسب من زراعة النخيل، التي تعيقها عوامل طبيعية قاسية، تجعل منها مهنة شاقة، مقارنة بنظيراتها في نطاق كل من وادي ريغ والزيبان،مما يقلل من الرغبة في العمل بها، ما دفع العديد من المزارعين للانتقال إلى وادي ريغ والزيبان، لسهولة زراعة النخيل، التي توفر لكل من المالك والفلاح الكثير من العناء. خصوصا منطقة جامعة، التي استوعبت نسبة معتبرة من المهاجرين من وادي سوف، حيث طاب بهم المقام وأصبحوا يشكلون قوة من المزارعين الملاك، خاصة مهاجري كونين.

والهجرة إلى وادي ريغ عادة ما تكون هجرة موسمية نحو الواحات[960]، ومعظم سكان وادي سوف، الذين يهاجرون لهذه المناطق، هم من المصاعبة والأعشاش[961]، وغالبا ما تكون الهجرة من وادي سوف نحو وادي ريغ خلال موسم جني التمور للعمل كأجراء[962]، كما أن هناك عائلات عديدة كانت تنتقل في فصل الصيف إلى هذه المناطق، خاصة في مواسم انتشار الملاريا أو التهاب السَّحَايا[963]. ونظرا لتشابه الخصائص الاقتصادية بين وادي سوف ووادي ريغ بقي التعامل الاقتصادي ضعيفا ومحدودا جدا، مما انعكس على محدودية الهجرة من المنطقة إلى وادي ريغ.

2 - الهجرة إلى المناطق الداخلية :

الهجرة إلى المناطق التلية شمال الجزائر، سواء كانت الموسمية منها، أو الدائمة، تستقطب نسبة معتبرة من مهاجري وادي سوف خارج المنطقة، خاصة في المواسم التي يصبح فيها الوضع الاقتصادي

---

[960] André Voisin : op. cit, p101.

[961] Claude Bataillon : **Le souf,** op.cit, p103.

[962] L'annexe d'El-oued : **Note sur l'habitat**, op. cit, p3.

[963] Ahmed Nadjah : op. cit, p103.

راكدا، فينعكس سلبا على المداخيل، مما يجعلها غير كافية لحاجيات السكان بالإقليم، فتكون الهجرة في هذه الأثناء في غالبها نحو المناطق الساحلية، أو الداخلية بالشمال[964]. وقد أصبحت الهجرة إلى المدن الجزائرية الشمالية أكثر أهمية منذ 1930[965]، والدليل على تعاظم عدد المهاجرين نحو تلك المناطق بحثا عن العمل، يكفي أن نذكر عينة قدر تعدادها بـــ 835 شخصا طلبوا رخصا للذهاب إلى المناطق المذكورة آنفا حصولا عن العمل من 1جانفي إلى 31 مارس من سنة 1938[966] من بين 1000 طلب، كما أن هذه الهجرة غالبا ما تكون طواعية، كهجرة الحرفيين للبحث عن أسواق لاستيعاب منتوجاتهم مثل : الخياطين والنساجين، ويكون مقصدهم بسكرة وبريكة[967]، وجـــل الذين يقصدون المنـــاطق التليـــة عمال حرفيين[968]، وعندما لا يكون لديهم مال كاف، أو معرفة بهذه المناطق، التي وفدوا إليها، فهم يلجأون إلى مهنة العتَالة[969]، حيث يشكل عمال وادي سوف في الموانئ الأغلبية، خاصة في عنابة وسكيكدة، كما يتواجدون أيضا في ميناء الجزائر، ويمارس قسما منهم تجارة المواد الغذائية، والقماش في عمالة قسنطينة[970].

أما مواقع الهجرة، فكانت تبعا للقرية والمنطقة، فسكان قمار يتجهون نحو عنابة وسوق أهراس. وسكان كوينين نحو خنشلة، وبسكرة وقسنطينة. وسكان لبهيمة نحو المسيلة، وبرج بوعريريج. وسكان تغزوت نحو تقرت و باتنة. أما سكان عميش خاصة المنتمين لفرقة المصاعبة، فيشكلون ثلثي مهاجري وادي سوف في الوانزة، فكل تمركز صغير بالمهجر يجمع عناصر سكانية متجانسة، كأن يكونوا من قرية ما، أو قريتين، ومن الصعب تفسير أسباب تمركز بعض التجار من قرية ما هنا،

---

[964] J.Scelle Millie : op.cit, p23.

[965] ابو القاسم سعد الله، **" تدهور التنظيم القبيلي "، أبحاث وآراء**، ج 5، المرجع السابق، ص 9.

[966] A.N.A : Boite 371, **Rapport 1938** , op. cit, p 45.

[967] Jean Pigoreau : op. cit, p 2.

[968] بن الحاج محمد الساسي، المصدر السابق، ص 337.

[969] العتالة وتتمثل في حمل البضائع من السفن إلى الشاحنات في الموانئ، أو حمل البضائع ونقلها لأماكن أصحابها بالأسواق.

[970] Régence de Tunis : **Dénombrements (1921 – 1926)**, op. cit, p 100.

وليس هناك، كما يدخل ضمن هذه الهجرة، ولو بشكل محدود جدا هجرة الطلبة لبعض المدارس بالمناطق التلية كالمدرسة بقسنطينة[971].

ثالثا - الهجرة الخارجية :

الموقع الجغرافي، الذي يتمتع به إقليم وادي سوف، ومحاذاته لكل من القطر التونسي والليبي. بالإضافة إلى الطابع التضاريس، يجعل عملية الهجرة في متناول العديد من الراغبين، رغم السياسة الرقابية، مما جعل الهجرة إلى المشرق مطلبا حضاريا، حتى قبل الاحتلال، لما كان يمثله المشرق من أهمية بالغة لدى الكثير من أبـــــــناء الإقليم.

أ - الهجرة إلى المشرق العربي :

المشرق العربي هو الملاذ الفسيح، لما يحتويه من مقومات حضارية، تجعل الفرد الجزائري يسارع دون هوادة، للظفر بموقع جديد في ربوع بلاد المشرق الإسلامي، حتى يستطيع مواصلة حياته وحياة باقي أفراد أسرته. وعليه ارتبطت الهجرة إلى المشرق العربي بحضور العامل الديني، الذي كان سببا قويا، لدفع سكان وادي سوف، لاختيار تلك المناطق ملاذا للهروب من السياسة الاستعمارية. والهجرة إلى المشرق قديمة، تعود ما قبل الاحتلال، حيث عثر على وثائق رسمية تؤكد أن الهجرة إلى المشرق كانت قائمة، وهي مستمرة غير منقطعة، منها هجرة 15 رجلا مشيا على الأقدام إلى بيت المقدس، مرورا بقفصة فالإسكندرية، ثم العريش سنة 1908، وفي ذلك دلالة على رغبة الجزائريين في الهجرة إلى بلاد المشرق العربي[972]، كان من أهمها هجرات الطلبة، الذين كانوا في شغف كبير للتعلم والكسب، حيث نجد من بين هؤلاء الطلبة الطالب " محمد العربي ستو " المولود بوادي سوف

---

[971] Jean Pigoreau : op. cit, p 13.

[972] عمار هلال : " الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (1898 – 1915) "، **مجلة الثقافة**، العدد 84، الجزائر، نوفمبر – ديسمبر 1984، ص ص.98 – 99.

خلال 1870[973]، هاجر إلى مصر حوالي 1908[974] بعد حفظه للقرآن، فأشتغل مؤدبا للصبيان بالأزهر بمصر، ثم ما لبث أن زاول دراسته بالأزهر سنة 1916[975]، وقد ثبت اسمه في قائمة الطلبة الجزائريين بالأزهر من نفس السنة، ذلك تحت اسم محمد العربي السوفي، وقد احتل الرتبة الرابعة من المصنفين في هذه القائمة. هكذا ظل المشرق العربي، يمثل المقصد الهام للهجرة، لما يمثله هذا الركح الواسع من العالم العربي الإسلامي من أهمية بالغة في مستوى العلم والتعليم، لتستمر هذه الهجرة في فترات متعددة، دون انقطاع، انطلاقا من البقاع المقدسة، من خلال رحلة الحج الموسمية، وقد ازدادت الهجرة صوب الحجاز، خاصة خلال الفترة الممتدة بين 1930 و1939[976]، حيث كانت تعد اتجاها جديدا من اتجاهات الهجرة[977]، اعتبارا من فريضة الحج، التي هي ركن من أركان الإسلام، وقوفا عند قول رسول الله (ﷺ) حيث جاء فيه : عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :« بني الإسلام على خمس شهادة أن إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة إيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » رواه البخاري ومسلم[978]. بالإضافة إلى الأهمية الاجتماعية، التي يمثلها الحج لدى الكثير من الجزائريين، باعتبار الاقتدار على أداء فريضة الحج هو دلالة على الوضعية الاجتماعية، التي عليها الحاج، وهذا مصدا لقول الله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ[979] ﴾، غير أن

---

[973] **حوار** بين علي غنابزية والسيد العيد ستو أخ الشيخ محمد العربي ستو - الساكن بالمدينة المنورة – بالوادي، سبتمبر 1998، مسجل كتابة.

[974] علي غنابزية : " المعالم الثقافية والمظاهر الفكرية لوادي سوف خلال القرنين التاسع عشر والعشرين للميلادي "، **مقال**، (مخ)، الوادي، جوان 1999، ص 25.

[975] عمار هلال : الطلبة الجزائريين في الأزهر عام 1916، **مجلة الثقافة**، العدد 74، الجزائر، يناير – فبراير 1984، ص146.

[976] Jean Pigoreau : op. cit, p 06.

[977] ذلك من خلال عدد المهاجرين المتزايد، حيث لوحظ أن هذه الهجرة تتمثل هي هجرة أسر عديدة دفعة واحدة، غالبا ما تكون من تونس أو طرابلس الغرب بشكل غير شرعي، وبتصريحات نحو تونس، دون الإفصاح عن المناطق المهاجر إليها حقيقة. وهم بذلك يحاولون التهرب من الإدارة الاحتلال ومساءلاتها. – حوار مع الشيخ أحمد خراز، 2008، مرجع سابق.

[978] الإمام أبو زكرياء يحي بن شرف النووي : **كتاب الأربعين نووية**، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1423هـ/2002م، ص 05.

[979] **سورة آل عمران** : الآية 97.

السياسة الاستعمارية المتمادية في التضييق على الجزائريين، جعلهم يتخذون من فريضة الحج ذريعة للتخلص من الاحتلال، كتعبير للرفض لكل ما هو دال على سياسة التسلط الاستعماري، هذا ما جعل أغلبية المهاجرين إلى بلاد المشرق يغلب عليهم تحبيذ البقاء في هذه البلدان، لما لقيه هؤلاء من راحة، وطمأنينة، خاصة المهاجرين إلى البقاع المقدسة (مكة والمدينة)، ففي مكة يتواجد بها مهاجري حاضرة قمار. أما المدينة فاستقر بها مهاجري الضواحي الأخرى كالوادي المركزية، وتكسبت وغيرها.

وعليه فإن الهجرة إلى بلاد المشرق، كانت في كثير من الأحيان طموح يأمل الجزائري في تحقيقه، نتيجة التعسف والاضطهاد الممارس عليه، بموجب السياسة الاستيطانية، التي تخول الإدارة الاستعمارية إباحة حقوق السكان المسلمين الجزائريين، وممارسة السلطة المطلقة عليهم، حتى تستغلهم أبشع استغلال، خاصة تطبيق سياسة التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي[980]، رغم عدم خضوع إقليم وادي سوف لهذه السياسة، غير أن السكان ظلوا لا يأمنون مكر المحتل، فالبريد الوافد على منطقة وادي سوف من هؤلاء المهاجرين، كان دوما يمثل مبعث أمل، وتواصل يربط الكثير من الماكثين بالمنطقة، وأولئك المهاجرين، الذين فضلوا البقاء في تلك المناطق، لما كانت تتمتع به من رخاء أفضل بكثير من موطنهم الأصلي، كما يلاحظ على كثير من هؤلاء المهاجرين، مساهمتهم في نشر العلم والتعليم، ومواصلة الإصلاح انطلاقا من قدرتهم الفائقة في التحصيل، حيث نجد أكثر من شخصية استطاعت أن تبرهن على دورها الفاعل، مثل الشيخ عمار بن الأزعر، الذي نفته السلطات الاستعمارية، فاستقر بالمدينة المنورة في 05 ربيع الأول 1354هـ / 1935م، حيث يقول عن نفسه : « دخلت مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية ثم حصلت على وظيفة التدريس في المسجد النبوي، ثم انتقلت إلى مدرسة العلوم الشرعية وإلى مدرسة الحديث[981].»، كما نجده يتحدث عن سيرة حياته، حيث يذكر أنه : « سنة 1353هـ قد وجدت أنا ومن هاجر معي من التلاميذ من

---

[980] عبد المالك خلف التميمي : المرجع السابق، ص 30.

[981] الشيخ محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 86.

جلالة الملك المعظم إمام المسلمين الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه وأسكنه فراديس الجـــــنان مع الصالحين الأبرار ووجدنا منه كل مساعدة وإكرام إلى أن وصلنا المدينة المنورة في الخـــامس مـــــن الربيع الأول 1354 هـــ[982] »، وهو هنا يذكر أن هجرته لم تكن هجرة فردية. بل كانت مع عدد من تلاميذه، كما يوجد بعض المهاجرين الذين ساهموا في نشر الطرق الصوفية، مثل الشيخ الحاج محمد العيد البارئ (التونسي) القماري الأصل، حيث هاجر إلى تلمسان مع أسرته، فتتلمذ على يد الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمان العزاوي الملقب بالهبري، وبعد وفاة شيخه الهبري هاجر إلى بلاد الشام، وأصبح من مستوطنيها، فمنحته السلطة التركية مرتبا شهريا مكافأة له على تلاوة القرءان الكريم[983]، هذا ما يؤكد حاجة المهاجرين بوادي سوف إلى تحسين المستوى الاجتماعي خارج نطاق الإقليم، فكانت الهجرة سبيلا يؤهلهم لذلك، كما أن الهجرة إلى المشرق العربي، كانت فسحة ثقافية، قد ساهم من خلالها مهاجري المنطقة، خاصة النخبة المثقفة في رفع لواء الإصلاح عن طريق التعليم أكثر من المساهمة بالمنطقة نفسها، لكن هذا لم يمنع عامل التواصل، الذي ضمن استمرارية مساهمة هؤلاء في ترقية الوضع الثقافي بالمنطقة، كما شجع استقرارهم هناك على تحريض العديد من أبناء الإقليم على الهجرة قصد تحسين المستوى الاجتماعي.

2 - الهجرة إلى تونس :

تونس هي الوجهة الأولى لمهاجري وادي سوف، ذلك لأن تونس تعد وجهة هامة لسكان الإقليم بالنظر لعدة عوامل، أبرزها القرب الجغرافي، والمحاذاة الحدودية لمنطقة الجريد بالجنوب التونسي، ووجود علاقات تاريخية تمثل امتدادا حضاريا سابقا للاحتلال. إضافة إلى تقبل الساكنة بالقطر

---

[982] محمد سعيد دفتردار : " من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عليه رحمة الله) "، **مجلة المنهل**، ج 8 السنة 35، مكة المكرمة، العربية السعودية، شعبان 1389هـــ / أكتوبر 1966م، ص ص 1105، 1106.

[983] الحاج مصطفى العشعاشي : **السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية**، تحقيق و تحرير مصطفى يلس شاوش بن الحاج محمد، مطبعة سقال، تلمسان، الجزائر، (د – ت)، ص 54.

التونسي للمهاجرين من وادي سوف، وعدم اكتراث السلطات التونسية لهذه الهجرات[984]، رغم محاولات فرنسا التحكم في حركة تنقل الجزائريين عبر الحدود التونسية من خلال قرارها الصادر في 7 فيفري 1898[985]، وإلى جانب هذه العراقيل، التي بدأت فرنسا تبديها، إلا أن ذلك لم يمنع سكان وادي سوف من الهجرة نحو تونس[986]، وتعد مدينة تونس، ومناطق الفوسفات وجهتين هامتين لمهاجري الإقليم، فســـــكان وادي سوف، الذين يقيمون بمدينة تونس عادة ما يكون مكوثهم محدود لستة أشهر في غالب الأحيان، ويرجعون لموطنهم في الأشـــــــــهر المتبقية من السنة، وأحيانا تطول الإقامة إلى عامين، أو ثلاثة، لكن بشكل عام، فالرجوع لم يكن دائما قـــاعدة يُلتزم بها[987]، فتـــواجد المهاجرين من وادي سوف يفوق في الغالب بقية الجالية الجزائرية المتواجدة بمديـــنة تونس العاصمة. والجدول الآتي يبرز هذا التفوق في تعداد المهاجرين من وادي سوف :

جدول تطور تعداد الجالية الجزائرية في مدينة تونس (1921 – 1939)

السنة	1921	1926	1939

[984] عبد الكريم الماجري : **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس (1881 – 1937)**، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2010. وقد حوى 661 صفحة، لكن صاحب الكتاب خص مهاجري ورقلة وميزاب من الجنوب الشرقي الجزائري دون التطرق لمهاجري وادي سوف، لهذا نجد أن الاستفادة من العمل غير مؤسسة.

985 يوسف جفالي : الجالية الجزائرية **بجهة الكاف (1881-1929)** رسالة الكفاءة في البحث، تحت إشراف الكراي القسنطيني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، السنة الجامعية (1992 – 1993)، ص ص 33 - 50.

[986] حينما سألت الدكتور عبد الكريم الماجري عن سبب الاحجام عن تناول الحديث عن مهاجري وادي سوف في العمل المنجز أعلاه رد الدكتور أن مهاجري وادي سوف سأخصهم بدراسة خاصلة لكثافة تواجدهم بتونس. – **حوار** مع الدكتور عبد الكريم الماجري، مساء يوم 11 نوفمبر 2013، على هامش الملتقى الدولي الأول حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس بنزل لوس بالوادي.

[987] Haggui Jamal : **les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque coloniale (1881-1956),(mozabite, Soufis, Ouarglias)**, Mémoire de DEA, Université de Monouba, Tunis, Année Universitaire 2003-2004, p p 17-19.

السكان			
سوافى	2668	2431	2300
مزابية	395	205	765
وراقلة	1127	1343	2000
تواتيه	575	1044	2100
جزائريون (عاصميون)	1022	1078	1350
قسنطنيون	2205	2630	3800
وهارنة	680	[988]646	[989]500

يلاحظ على الجدول التفاوت العددي بين المهاجرين الجزائريين. إما من حيث أوضاعهم، فالمهاجرون من وادي سوف، هم الأكثر بؤسا، لهذا كانت مدينة تونس تعد بالنسبة لهم بلاد النَّعيم والعمل والسعادة، والمهاجر من وادي سوف، يأتي بمفرده دون اصطحاب عائلته، إلا نادرا. فمهاجرو وادي سوف يهاجرون مجموعات من 10 إلى 12 فردا، وفي السابق؛ أي قبل إجراءات الرقابة المفروضة من قبل الإدارة الاستعمارية على حركة التنقل بين الجزائر وتونس، كانوا يهاجرون في مجموعة تتراوح بين 40 إلى 50 فردا. أما المهن التي يشتغل بها مهاجرو وادي سوف بمدينة تونس عديدة، لكن ما يميز هذه المهن كونها مرهقة، كحمالين وعمال رصيف، وكناسين وفحامين،

[988] Régence de Tunis : **Protectorat français**, Direction de l'Intérieur, dénombrement de la population civile Tunisien le 20 avril 1926, Imprimé 1926, Tunis, p100.

[989] G. Marty : " Les Algériens à Tunis ", **Revue I.B.L.A**, N°43 et 44, Tunis, 11ème anneé, 3ème et 4ème trimestres, 1948, p 302.

وبائعي مياه ومنظفي مجاري، ومساحي أحذية[990]. أما الأقل بؤسا منهم، فيشتغلون في سوق الحبوب، كحمالين للحبوب، والقليل منهم من الميسورين الذين يمارسون تجارة التمور والقماش والحرير، وهم من سكان تغزوت وكوينين[991]، كما كان جامع الزيتونة مقصدا لطلبة وادي سوف، لمواصلة تعليمهم، خاصة بعد زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوادي سوف وربوعها، ذلك خلال أيام 29 و30 و31 ديسمبر 1937 و1 جانفي 1938، حيث كان أولئك الطلبة يزاولون أعمالا أخرى لكسب القوت، قصد مواصلة مسيرة التعليم، وحصولهم على الشهادات العلمية[992]، كشهادة التطويع، لكن ما ميز الهجرة إلى القطر التونسي، هو هجرة طلبة العلم إلى الزوايا كالزاوية القادرية بتوزر لسيدي المولدي بوعرقية، وبعض معاهد ومدارس الزيتونة، والمدرسة الصادقية[993] إلى جانب جامع الزيتونة، كما يضطر الطلبة إلى تأمين حاجياتهم من خلال الاستئجار، الذي عادة ما يكون اكتراء بيت بصورة جماعية لعدد من الطلبة.

وكان عدد الطلبة يزداد من سنة لأخرى بعد رجوع الطلبة من المراكز العلمية، وما تتركه من أثر في الأوساط من أقرانهم[994]. وقد شكل طلبة وادي سوف في جامع الزيتونة تنظيمات طلابية، مثل جمعية "الشباب السوفي الزيتوني" التي أنشئت في 12 ماي 1937، وكانت تظم 12 عضوا يرأسهم عبد الرحمان أحمد بن لخضر[995]. علما أن طلبة قمار أنشأوا جمعية خاصة بهم في الزيتونة تدعى "جمعية الرابطة الثقافية القمارية[996] ". أما عن طبيعة تواجد مهاجري وادي سوف بتونس كانت تحكمها

---

[990] عبد الكريم الماجري : " السوافة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية : الأهمية العددية وإسهاماتهم في الحياة الإقتصادية والإجتماعية(1860-1960) "، **محاضرة**، (مخ)، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881 -1954 م، يومي 10-11 نوفمبر 2013، جامعة الوادي، ص ص 13، 14.

[991] G. Marty: op. cit, p p 315, 316.

[992] Jean Pigoreau : op. cit, p 03.

[993] **حوار** مع الشيخ محمد باي، مرجع سابق.

[994] Haggui Jamal : op.cit , p87.

[995] A.N.T : Série E , Carton 509, Dossier 252 **(Echabab Essoufi Ezzeitouni).**

[996] عثمان زقب : **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف** 1918-1947 **وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير، (مخ)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، ص 202.

ضوابط، تعارف عليها المهاجرون، بحيث لا يستطيع أحد منهم تجاوزها، أو تجاهلها، إلا في حالات استثنائية، هذه الضوابط تتمثل في :

أولا – لا يمكن لأي مهاجر من وادي سوف أن يتجاهل ضرورة تسجيل نفسه في قوائم المهاجرين من وادي سوف المطبق عليهم الضريبة، ذلك من خلال قائمة محدد عليها الأسماء، وسنة الاستيطان بتونس، والمنطقة الأصلية المنحدر منها، ورقمه في قائمة الضرائب، وتحت أي اسم، حيث نجد فيها السيد " عمر بن الحاج محمد " الذي استوطن تونس منذ سنة 1869 تحت رقم 59 في قائمة الضرائب، وهو من قرية الزقم[997]. وكان لمهاجري وادي سوف شيخ يُعرف بشيخ السوافي، وهو معيَّن بقرار رسمي. ويكلف بمهمة جمع الضرائب، ويقوم بدور الشرطة الإدارية، كما يقدم كل الوثائق الضرورية لكل مهاجر في مدينة تونس، فهو أداة الاتصال الرسمي مع المراقب المدني، ومن أهم من قُلدوا هذا المنصب سي " محمد بن الحاج أحمد الفاسي " نهاية القرن 19م، ثم " علي بن سلطان بن بلقاسم " من الفرقة الأولى من مهاجري وادي سوف بمنطقة الجريد بتوزر، وذلك بموجب القرار المؤرخ في 01 جويلية 1891[998]، ثم " أحمد بن محمد بن سعد " في 08 ديسمبر 1923، وبعد وفاته عين بدلا منه " محمد الأخضر بن الحاج العيد بن محمد بن حاج عثمان "، ثم سي " محمد القادري بن الحاج سالم " في 10 جانفي 1938[999].

ثانيا – كما كان لكل عرش من وادي سوف وكالته، التي تعد المنزل المشترك، ويطلق عليها "بدار السوفي"، حيث يشترط على الفرد المهاجر من وادي سوف، زيادة على انتمائه للعرش، أن يكون من نفس الطريقة الصوفية، فمهاجرو قمار كانوا يتواجدون بحي 46 شارع زاوية بوكريه، ومهاجرو كوينين يسكنون بحي طريق " حمام الرميمي "، ومهاجرو ورماس، فسكناهم بحي 6 طريق صاحب الطّابة؛ أي الطابع، كما أن مهاجري وادي سوف، كانوا أكثر الجاليات ترددا على

[997] A.N.T : Série E , Carton 509, Dossier 252, Op. cit.

[998] A.N.T : Carton 278, Dossier 07.

[999]. A.N.T : série A, Carton 1, Dossier 20/4.

المستشفى المدني الفرنسي، مما يوحي بتدهور أوضاعهم، فمن بين 60 جزائريا، يتم معالجتهم يوميا في مدينة تونس، نجد 50 مهاجرا من وادي سوف، وكان المهاجرون من وادي سوف في مدينة تونس أكثر حرصا في توفير المال قصد شراء بعض النخيل بوادي سوف[1000]، مما يفسر العدد الأكبر من المترددين على المستشفى الفرنسي المدني للحصول، ليس فقط على العلاج. بل حتى على بعض المعونات، التي يقدمها المستشفى للمرضى في إطار الدعم للفئات المعوزة.

ثالثا – استعداد المهاجر من وادي سوف في أداء الخدمة العسكرية بتونس.بمجرد مرور سنة على تواجده بها، عندما لا يعود إلى وادي سوف في موسم جني محصول التمور، وحسب وصف " مارتي " (Marty) على أن المهاجر من وادي سوف، لا يتهرب من أداء واجب الخدمة العسكرية بتونس باستثناء القليل، فالخدمة العسكرية تعد بالنسبة لأبناء مهاجري وادي سوف فترة تسمح لهم بالحصول على قوتهم، وتقيهم من المجاعة[1001].

وقد شهدت الهجرة إلى تونس فترات متعددة تعرف تفاوتا في العدد[1002]، ذلك منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث شهدت تونس هجرة قوية رغم بساطة الوسائل المستغلة، وهي المشي على الأقدام، واستعمـــال الحيوانات، التي من أهمها الجمال[1003]، كما أن الهجرة في هذه الفترة، هي هجرة الأفراد دون عـــــــائلاتهم، لذلك كان طابعها موسمي، حيث كان هؤلاء المهاجرون يعودون إلى أهاليهم في موسم الخريف، أو لزيارة الوالدين، حيث يمثل غالبيتهم أرباب عائلات[1004]، كما تعد هجرة الطلبة في غالبها هجرة موسمية يحاول من خلالها هؤلاء التواجد بتونس خلال فترة الدراسة، وعند انقضائها سرعان ما يعاودون الرجوع إلى وادي سوف.

أما الفترة الثانية، فهي محصورة ما بين 1918- 1930، وقد تزايدت خلالها الهجرة إلى تونس بشكل

[1000] G. Marty : op. cit, p 319.

[1001] Ibid, p 319.

[1002] عبد الكريم الماجري : " السوافة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية "، مرجع سابق، ص 16.

[1003] Jean Pigoreau : op. cit, p 05.

[1004] Ibid, p 11.

مكثف، كما شوهد هجرة عائلات بشكل جماعي، و لم يكن ذلك الأمر يخص مهاجرو وادي سوف لوحدهم، بل نجد ذلك ماثلا لدى مهاجري قسنطينة والجزائر العاصمة، بالإضافة إلى سهولة الهجرة خلال هذه الفترة، نتيجة استعمال وسائل النقل المتطورة[1005]. وبقيت خلالها هجرة سكان وادي سوف إلى تونس طاغية على هجرتهم إلى الاتجاهات الأخرى، لكن خلال الفترة الثالثة، والتي بدأت منذ 1930 عرفت فيها الهجرة إلى تونس نوعا من التوازن مع الهجرة إلى الشمال الجزائري، بالإضافة إلى ظهور اتجاهات أخرى نحو البلدان العربية، كالحجاز. علما أن المهاجرين لم يكونوا فرادى. بل كان الكثير منهم يهاجرون مع عائلاتهم[1006]. والمميز للهجرة نحو تونس هو التقارب الثقافي، وسهولة الانتقال نتيجة غياب وضعف الرقابة الأمنية على مستوى الحدود، كما كان لهذه الهجرة تأثير تبادلي من وادي سوف إلى تونس، أو من تونس إلى وادي سوف، ذلك من خلال هجرة الطلبة، حيث نجد البعض منهم، قد حصل على رتبة من التعلم أهلته إلى التدريس بكثير من المدارس بتونس، أو حتى الزيتونة في حدّ ذاته مثل الشيخ " محمد السايح اللقاني "، ومع ذلك ظل هذا الأخير يتردد على بلدة قمار[1007]، والشيخ "العربي صالحي" من أهل قرية سيدي عون، الذي استقر في الجنوب التونسي، وكان مدرسا وشاعرا ومفسرا للقرآن الكريم[1008]. وبقيت تونس أكثر المناطق المهاجر إليها، نتيجة استيعابها لعدد كبير من المهاجرين من وادي سوف. وعليه لا غرابة أن تتماثل الخصائص الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية بين سكان المناطق المجاورة لوادي سوف من القطر التونسي، خاصة إقليم الجريد. أما مع بداية افتتاح شركة الفوسفات قفصة في مطلع القرن 20م، بدأت الشركة تسعى لإيجاد عمالة، نتيجة الاحتياجات الكبيرة، كما أن التشغيل يعتمد في الأساس على الأجانب بنسبة كبيرة، فكان المهاجرون الجزائريون من بين أهم العمالة الوافدة، ذلك لما تحضى به اليد العاملة من الجزائريين، باعتبارهم مسلمين فرنسيين، فكان وجودهم مهما، ومن

[1005] Ibid, p 05.

[1006] Ibid, p 06.

[1007] الشيخ محمد الطاهر التليلي : **منظومات**، مرجع سابق، ص 08.

[1008] علي غنابزية : المعالم الثقافية والمظاهر الفكرية، ص 24.

بين هؤلاء نجد اليد العاملة من مهاجري وادي سوف، للارتباط الحدودي بين الإقليم والقطر التونسي من خلال منطقة الجريد، التي كانت تلعب دور العبور بين المنطقتين، وهي منطقة تعبئة العمالة من وادي سوف[1009]، كما كانت العمالة الأولى التي بدأت مع انطلاق استغلال منجم الرديف، حيث بقي هذا المركز من أهم مناطق استقرارهم إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، وعليه فإن نسبة ما تشكله عمالة وادي سوف من إجمالي اليد العاملة بشركة الفوسفات، هي 25%، وهي موزعة على منجم الرديف ومنجم أم العرايس، ومنجم المتلوي، وهي المراكز الثلاثة التابعة للشركة، كما كانت عمالة وادي سوف تشكل الأغلبية في منجم المظيلة، حيث بلغ تعدادهم سنة 1914 في المناجم الأربعة 400 شخص، ليصل إلى 1204 شخصا في سنة 1922، لتظل اليد العاملة في تزايد إلى أن وصلت 2083 شخصا سنة 1924، باستثناء عمال منجم المظيلة في هذه السنة. وفي سنة 1937 انخفض عدد العمال من وادي سوف إلى 856 شخصا[1010]، وتفسير ذلك عائد إلى تراجع مبيعات منتوجات الشركة منذ 1927، خاصة سنة 1930، حيث عانت الشركة من تقلص أسواقها[1011]. واستقر تعداد العمال من وادي سوف في 837 شخصا سنة 1948، لكن ما يلفت الانتباه هو توجيه العمال الوافدين من وادي سوف إلى الأعمال الشاقة، مثل تجفيف الفوسفات[1012]، كما أن الشركة لم تكن تهتم لسكنهم واحتياجاتهم الأساسية، حيث كانوا في الغالب يتخذون الخيام أو الاكواخ كمساكن، و لم يكتف العمال بذلك بل نجد بعضهم قد حفروا كهوفا في سفح جبل الخنفوس بالرديف نهاية 1928[1013]، رغم ذلك الوضع فإن الشركات المنجمية لم تكن مكترثة

[1009] Damette groupe 8 :" Les migration dans la région minière du sud ", **Revue Tunisienne des sciences sociales, N° 23**, Décembre 1970, p 191.

[1010] حفيظ طبابي : **الحركة النقابية بمناجم قفصة (1936-1956)**، شهادة التعمق في البحث، تحت إشراف علي محجوبي، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، السنة الجامعية (1992-1993)، ص ص 33 - 35.

[1011] Noureddine Dougui : **Monographie d'une grande entreprise coloniale (La compagnie des phosphates et du chemin de fer de gafsa (1897-1930))**, Thèse de doctorat, Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, 1991, p p 397 – 402.

[1012] Leonard Roger : op. cit, p 154.

[1013] بن الحاج محمد الساسي : المصدر السابق، ص339.

بالوضع[1014]. وأمام تلك الحالة المزرية كان عمال وادي سوف يتحَدُّون كل الصعاب، نتيجة الحيوية التي كانوا يتميزون بها من جهة، والروح الاجتماعية العالية، هذا ما أهل البعض منهم لتقلد مناصب نقابية بالنقابات العمالية لشركات الفوسفات، حيث نجد السيد " عبد المجيد بن الأخضر " يشغل رئيس نقابة العمال في أم العرائس، وذلك سنة 1936، كما كان السيد " عمر بن الهاشمي " أمين المال لنقابة العمال بالرديف، فعناصر العمالة المهاجرة من وادي سوف، والتونسيون هم المسيطرون على تشكيلة النقابات العمالية بمناجم الفوسفات بتونس[1015]. ومع هذا فإن عامل الانضباط، والسلوك الحسن، هو السمة السائدة لدى أغلبية العمال المهاجرين من وادي سوف في مناجم صفاقس وقفصة[1016]. ليستمر ذلك الوضع طوال الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانت تونس من أسهل البلدان، التي يلوذ إليها المهاجرون من وادي سوف، مما ساهم في رفع مستوى العلاقات، التي ظلت مستمرة بين المناطق التونسية ووادي سوف[1017]. وعليه فإن الهجرة إلى تونس، كانت قديمة جدا، بل أن أكثر المهاجرين الجزائريين إليها، هم أغلبية من وادي سوف[1018].

3 ـ الهجرة إلى فرنسا :

الهجرة إلى فرنسا لم تكن وجهة مرغوب فيها، لكون سكان وادي سوف، كانوا ينظرون إلى فرنسا بلد بعيد يشق الشفر إليه، كما أنها بلاد كفر، الهجرة إليها فيها شبهة، إلا بعد صدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912، والتأكيد عليه بالمرسوم التكميلي لسنة 1917، مما ساهم في تزايد عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا. أما سكان المنطقة فلم يهاجروا إلى فرنسا، إلا في فترة الخمسينات، خاصة بعد غلق الحدود مع تونس، والسبب في ذلك قد يعود في الأساس إلى ارتفاع تكاليف السفر،

[1014] J. Scelle Millie : op. cit, p23.

[1015] Leonard Roger : op. cit , p 210.

[1016]. Ibid, p 210.

[1017] عبد الكريم الماجري : " السوافة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية "، مرجع سابق، ص 18.

[1018] Claude Bataillions : Op. cit, p 102.

مع محدودية إمكانيات السكان، مقارنة بتونس والمناطق التلية، زد على ذلك المهن الممنوحة في فرنسا، تتطلب اختصاصات معينة، غير متوفرة لدى العمالة في وادي سوف[1019]، كما أن الشخص بوادي سوف، وبشكل عام لا يذهب لأي مكان دون تفكير، فالارتباط الوثيق بالمنطقة يقلل من التفكير في الهجرة لفرنسا من جهة، والمسافة البعيدة بين فرنسا والموطن الأصلي. لكن هذا لم يمنع من وجود هجرات، ولو محدودة إلى فرنسا قبل هذه الفترة، حتى أن تقرير ملحقة الوادي في سنة 1926 أشار إلى أن السكان المسلمين بوادي سوف لا يتراجعون أمام السفر إلى فرنسا، أين يتمنون إيجاد عمل ذا قيمة مادية، كما أن تقرير مناطق الجنوب لشهر ماي 1940 أشار إلى أن هناك فوجا من العمال بوادي سوف يتكون من 40 شخصا يتهيئون للذهاب إلى فرنسا[1020]، وبدأت حركة الهجرة نحو فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية في التزايد، خاصة من سكان الوادي و عميش[1021]، غير أن الأمر كان في هذه الأثناء يتعلق بهجرة وقتية، ونادرا ما تكون نهائية[1022] إلى فرنسا، إلى غاية 1952، حيث أن فرنسا لم تكن محل جذب للكثير من المهاجرين من وادي سوف مقارنة بتونس والمدن الداخلية كبسكرة وقسنطينة[1023]. وخلاصة القول أن الهجرة لها تأثير على المقاومة والتأقلم، فهي سبيل للهروب من الوضع المتأزم، كما أنها مسلك نقل للتجارب والثقافة الجديدة، رغم ما للعودة من فوائد ومحاذير.

المبحث الثالث ـ تأثير السياسة الاستعمارية على القضاء بوادي سوف :

[1019] عثمان زقب : **الأوضاع**، مرجع سابق، ص 206.

[1020] L'annexe d'El-oued : **Le Souf,** Rapport Sommaire sur l'évolution de la Situation Economique Commerciale Et touristique d'El-Oued Souf, dans A. D. M. El, El-Oued, SD, p 01.

[1021] Claude Bataillon : op. cit, p 105.

[1022] Leonard Roger : op. cit, p 154.

[1023] عثمان زقب : المرجع السابق، ص 207.

القضاء بوادي سوف، مستمد من طبيعة النظام القضائي السائد في البلاد الجزائرية في أواخر العهد العثماني، حيث نجد نفوذ شيوخ القبائل والمرابطين، وأهل الرأي[1024]، كما كان الفقهاء وأهل العلم يفصلون في القضايا الهامة، والنزاعات المختلفة[1025]، وعند استحالة فض النزاع يستفتى في الأمر علماء من خارج المنطقة. أما المسائل العظمى الخاصة بالجنايات والدماء، فيحكم فيها " **الميعاد** "، وهو مجلس قضائي تختار عناصره من بين أعيان، ووجهاء القرى، والقبائل، فيصدرون الأحكام المختلفة من دفع دية الميت، أو المقتول إلى تنفيذ حكم الإعدام[1026].

والامتثال أمام مجلس الميعاد يجسد فكرة القانون، التي تشتمل على ما هو أكثر من فكرة الخضوع والاستسلام، لكن الطاعة والخضوع، هي الآلية الحاسمة، ومن هنا يتوجب على الدارس أن ينظر لهذه الطاعة باعتارها أحد خصائص العلاقة القانونية[1027]، التي من خلالها تضبط العلاقات الاجتماعية، لأن القانون هو إحدى الأجهزة الجوهرية في حياة الإنسان الاجتماعية، لولاه لأصبح الإنسان مخلوقا، يختلف عما هو عليه، ومنها فالقانون هو إحدى القوى، التي تساهم في تحضر المجتمع الإنساني[1028].

[1024] ناصر الدين سعيدوني : **الجزائر في التاريخ، العهد العثماني في الجزائر**، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 23.

[1025] الشيخ محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 127.

[1026] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 57.

[1027] دينيس لويد : **فكرة القانون**، تعريب سليم الصويص، مراجعة سليم لسيسو، الكتاب رقم 47، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر، 1981، ص26.

[1028] دينيس لويد : **نفس المرجع**، ص 07.

أولا – التغيرات الحاصلة على القضاء بالجزائر منذ الاحتلال :

منذ الاحتلال سعت الإدارة الاستعمارية جاهدة إلى إعادة هيكلة القضاء، حتى تستطيع من خلاله إحكام قبضتها على التراب الجزائري، الذي لم يعد يتمتع بالاستقلال، حيث قسمت الجزائر المحتلة إلى قسمين : القسم الأول يخص منطقة السهول الخصبة من أجل الاستحواذ والسطو على الأراضي. أما القسم الثاني فيتمثل في منطقة القبائل الجبلية، وجنوب الأطلس التلي، التي أخضعتها الإدارة الاستعمارية إلى المحاكم الشرعية[1029]. وقد تميز التنظيم القضائي الاستعماري منذ الاحتلال بثلاث مراحل هي :

1 - مرحلة التردد (1830 – 1834)[1030] :

تميزت هذه المرحلة بصدور قرارات مؤقتة، لم تتبلور فيها القواعد القانونية للنظام القانوني الفرنسي، لكون الجزائر مستعمرة تحت سلطة عسكرية، يخول لقائد الحملة العسكرية اتخاذ التدابير اللازمة، والضرورية في المناطق، التي يتم احتلالها بالتعاون مع مقتصد مدني، هذا في ظل فقدان قائد الحملة صلاحية إنشاء المحاكم، أو تعديل التنظيم القضائي المحلي[1031].

2 – مرحلة التنظيم الأولى للفترة ما بين 1834 إلى 1848[1032] :

تميزت هذه المرحلة بخاصية اعتبار الجزائر ممتلكة من الممتلكات الفرنسية، وعليه صار العمل بالأوامر عوض القرارات بموجب الأمر الصادر في 22 جويلية 1834، الذي نظم قواعد إدارة الأملاك الفرنسية في شمال إفريقيا، وفي ما يخص العدالة صدر أمر 10 أوت 1834، الذي كان من أهم ما جاء

[1029] الطاهر ملاخسو : " التوثيق في ظل الاحتلال الفرنسي من سنة 1830 إلى 1962 "، **مدونة الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر،2007، ص 17.

[1030] فارح رشيد : " التنظيم القضائي إبان الاحتلال بين المبدأ العام والتمييز "، **مدونة الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر،2007، ص ص 27-31.

[1031] فارح رشيد : " التنظيم القضائي إبان الاحتلال بين المبدأ العام والتمييز "، **نفس المرجع**، ص ص 27، 28.

[1032] نفسه، ص ص 31-35.

به، تحديد المحاكم من حيث الموضوع والاختصاص، وهي محاكم درجة أولى، وقد حددت في البداية بثلاث محاكم :

- محكمة الجزائر.

- محكمة عنابة.

- محكمة وهران.

بالإضافة إلى محكمة تجارية، ومحكمة عليا مقرهما بالجزائر[1033]، لتواصل الإدارة الاستعمارية إقرار محاكم من الدرجة الأولى في العديد من المناطق بالبلاد.

3 – مرحلة الاستقرار على ازدواجية القضاء بدءا من 1848[1034] :

مرحلة أقر العمل بها منذ صدور قرار 20 أوت 1848، حيث تم الفصل بموجبه بين القضاء الفرنسي، والقضاء المحلي الخاضع للشريعة الإسلامية. فالأول من اختصاص، وتحت سلطة وزير العدل الفرنسي. أما القضاء المحلي فيه أقضية من اختصاص وزير الحربية الفرنسي[1035]. وإذا ما وقفنا على الاحتلال الفرنسي لمنطقة وادي سوف، فإن الاحتلال لم يتم إلا في غضون 1854، ومن هنا يتبين أن الحديث عن القضاء، وطبيعته في إقليم وادي سوف يدخل ضمن التدابير والقرارات، التي تناولت التشريعات القضائية، الخاصة بمنطقة القبائل ومناطق الصحراء؛ أي أن القضاء بوادي سوف يدخل ضمن المرحلة الثالثة من مراحل تطور القضاء في الجزائر المحتلة، هذا ما جعل العمل بالمحاكم الشرعية الرسمية النظامية ضرورة ملحة، حتى تستطيع السلطة الاستعمارية التباهي أمام السكان المسلمين الجزائريين، ذلك ما أكدته

[1033] فارح رشيد : نفس المرجع، ص ص 31، 32.

[1034] فارح رشيد : نفس المرجع ، ص ص 35، 36.

[1035] نفسه، ص ص 35، 36.

المراسلات، التي بعث بها الجنيرال ديفو لسكان ربوع وادي سوف داعيا إياهم التعاون مع الإدارة الفرنسية في سنة 1854، حتى تستطيع أن تؤمن لهم الأمن المفقود. أما إذا ما أردنا تناول الحديث على القضاء بإقليم وادي سوف فإننا نجد أن هذه المنطقة تندرج ضمن الأقاليم العسكرية، التي يكون فيها النظام القضائي المزدوج، ففي ما يخص الجوانب الأمنية والأمور السياسية، والجنائية، فتعرض على القضاء الفرنسي، بينما الأحوال الشخصية والمعاملات المالية، فهي من اختصاص القضاء الشرعي.

ثانيا - آليات القضاء الإقليمي بوادي سوف :

آليات القضاء الإقليمي بوادي سوف، تتمثل أساسا في : قضاة الصلح العسكريون بباتنة، والمحكمة العسكرية بقسنطينة، حيث ترفع لهاتين الهيئتين القضايا المدنية والجنائية. وكل منها له مجال اختصاص.

1 - محكمة الصلح :

العمل بمحاكم الصلح كان قائما، لكن توسيع نطاقها تحدد منذ 1886، لأن محكمة الصلح أصبحت هيئة القانون العام، للفصل في المنازعات المدنية بين السكان المسلمين الجزائريين عملا بالمرسوم 10 سبتمبر 1886، الذي بموجبه قلل من اختصاص المحكمة الشرعية، التي صارت مختصة استثناء، وفي مسائل محددة، هي الأحوال الشخصية؛ المواريث بالخصوص. ولمحكمة الصلح الولاية الكاملة للفصل في القضايا المطروحة على المحاكم الشرعية مادام الأطراف متفقون على عرض النزاع أمامها، و لم يدفع بعدم الاختصاص قبل الدفاع في الموضوع، ومنه فإن محكمة الصلح تنظر في الدعاوى الشخصية والعقارية، والدعاوى المدنية والتجارية. وقاضي الصلح في فصله في الدعاوى يقضي وفقا لقواعد المحكمة الشرعية، إذا كانت الأطراف من السكان المسلمين

الجزائريين، والمقيمين بالجزائر، ويطبق الشرع الإسلامي، ويطبق القانون الفرنسي فيما عدا ذلك[1036].

وملحقة الوادي، التي تتمتع بوجود ثلاث محاكم شرعية، حتى سنة 1921، حينما حلت المحكمة الشرعية بكونين، وعليه ظلت الملحقة تابعة قضائيا لدائرة باتنة القضائية، وظلت المحاكم الشرعية بوادي سوف تتبع محكمة الصلح بباتنة إلى سنة 1947، حيث تم استحداث محكمة صلح بدائرة تقرت[1037].

ووادي سوف منطقة صحراوية، فهي في الأساس تخضع للنظام العسكري، الذي يتميز بنظام قضائي، فقد بدأ العمل به منذ أوائل الخمسينيات من القرن 19م حسب تاريخ سجلات المحاكم الشرعية بوادي سوف، حيث كان أقدمها محكمة الوادي منذ 1851[1038]، التي سبق العمل بها قبل الاحتلال للمنطقة.

2 -المحكمة العسكرية بقسنطينة :

المحكمة العسكرية، هي في الأساس نابعة من مجالس الحربية، التي أقرت بالجزائر، وهي في أربعة مجالس واحد في الجزائر، واثنان بوهران، وواحدة بقسنطينة، وتشكيلتها مماثلة لنظائرها بفرنسا، مع بعض الاختلافات. أما اختصاصها، فيتمثل في الفصل في الجنايات والجنح المرتكبة، من قبل السكان الجزائريين في الإقليم العسكري، يستثنى منها الجنايات والجنح، والمخالفات المعاقب عليها في حق الأوربيين، واليهود بالإقليم العسكري من سلطة

[1036] فارح رشيد : نفس المرجع، ص 49.

[1037] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية** 1300-1374هـ/1882-1954م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف عمر بن خروف، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، 1428-1429هـ/2008-2009م، ص 139.

[1038] **سجل المحكمة الشرعية** بالوادي (1851)، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

المجالس الحربية بموجب مرسوم 15 مارس 1860[1039].

وعليه فإن المجالس الحربية تعد محاكم جزائية عادية في الأقاليم العسكرية، رغم أنها في الأصل محاكم استثنائية. وهي بمعنى أوضح، فإنها موجهة لقمع السكان الجزائريين في الأقاليم العسكرية، لأن أحكامها تتميز بالتشدد، وموجهة بالدرجة الأولى، لقمع التظاهرات والانتفاضات[1040].

ثالثا ــ الهيئات القضائية المحلية بوادي سوف :

هيئات القضاء بالإقليم عديدة، هذا دون تجاهل طبيعة الإقليم العسكرية، مما يفرض وضعا قضائيا، لا يختلف على بقية المناطق، والأقاليم العسكرية الأخرى من الجزائر المحتلة. والغاية من هذه الهيئات هو ضبط حالة الاستقرار والأمن، حتى تستطيع الإدارة الاستعمارية إحكام قبضتها على السكان، وعليه فإن الهيئات القضائية هي :

1 - اللجان التأديبية :

صلاحيات قانونية منحت للجنرال الرئيسي، ثم الحاكم العام، لاتخاذ الإجراءات الضرورية لأمن البلاد. فكان ذلك بمثابة الذريعة، التي مكنت الحاكم العام، والضباط من توقيع عقوبات الغرامة الفردية أو الجماعية، والحبس والنفي،

[1039] فارح رشيد : المرجع السابق، ص ص 55.

[1040] فارح رشيد : نفس المرجع، ص 56.

والمصادرة في حق السكان المسلمين الجزائريين[1041].

واستخدمت هذه الصلاحيات بصورة تعسفية، بل أخذت الغرامات أبعادا اقتصادية للكثير من هؤلاء أصحاب السلطة، الذين صارت هذه العقوبات المالية ثروة للكثير منهم.

وأول تنظيم للجان التأديبية أقره منشور الجنرال بيجو بتاريخ 12 فيفري 1844، الذي حدد بموجبه الأسباب التي تقر العقوبات، وكذا حدودها القسوة بالنسبة للقادة العسكريين، ورؤساء السكان الجزائريين. وصنف أربعة فئات للجرائم، ثم توالت نصوص أهمها مقرر وزير الحرب في 25 فيفري 1855، وقرار وزير الجزائر والمستعمرات في 05 أفريل 1840، وقرار 26 فيفري 1872، ثم قرار الحاكم العام 14 نوفمبر 1874، لتستمر هذه القرارات في صدورها لتحدد الاختصاصات وتنظيم اللجان التأديبية[1042].

واختصاص اللجان التأديبية النظر في أفعال الحرب والجنايات، والجنح المرتكبة في الأقاليم العسكرية من قبل السكان الجزائريين، التي لا يمكن عرضها على المحاكم المدنية والعسكرية، وهو اختصاص واسع ومطاط سمح بالتعسف، وقد صدرت عدة نصوص بفرض حصر الاختصاص،

[1041] نفسه، ص 56.

[1042] فارح رشيد : نفس المرجع، ص ص 56، 57.

يمكن أن نقف عليه في عدة مناشير أهمها : منشور 14 يناير 1868. ومنشور 01 أكتوبر 1875، منشور 24 يناير 1876، وغيرها من المناشير، التي تم من خلالها حصر تلك الاختصاصات في 16 فئة، وتتمثل في : الاعتداءات بشرط عدم التسبب في الوفاة، السرقات، النصب، خيانة الأمانة، الشروع في القتل، تشويه الحيوانات، الوشاية الكاذبة، استخدام موازين وقياسات خاطئة، قطع الأشجار، تخريب النباتات، الحرق، المشاجرات، الفرار والتشرد، السلوك غير السوي، الأداب العامة...إلخ[1043]. ووادي سوف كإقليم عسكري، كانت اللجان التأديبية فيه من مهام رئيس الملحقة، الذي يؤدب السكان الجزائريين بعد الانتهاء من البحث والتحقيق، فيحدد حجم المخالفة، فإن كانت بسيطة تبت فيها اللجنة التأديبية المحلية[1044].

[1043] نفسه، ص 57.

[1044] وللمزيد ينظر – علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من الاحتلال**، المرجع السابق، ص 137..

2 – القادة العسكريون والقياد والشيوخ :

القادة العسكريون، ورؤساء السكان الجزائريين منحوا سلطة قضائية حددها لهم إياها قرار 14 نوفمبر 1874، الذي يبين الحدود القصوى للعقوبات، التي يمكن أن يوقعها القادة العسكريون، ورؤساء السكان الجزائريين، كما يمكنهم توقيع عقوبات من أجل مخالفات الشرطة، والأخطاء المقترفة في الخدمة العسكرية أو المدنية، والجنح والأفعال، التي تتجاوز قيمة 50 فرنكا فرنسيا قديما[1045]. والجدول الموالي يوضح اختصاصات القادة العسكريين، وحجم العقوبة الموقعة من خلال الحبس والتغريم.

جدول يوضح اختصاصات القادة العسكريين في توقيع العقوبات[1046] :

القادة	الحبس	الغرامة المالية
قادة الأقسام العسكرية	شهرين حبسا	300 ف قديم
نيابات قادة الأقسام	شهرا حبسا	100 ف قديم
قادة الدوائر أو الملحقات	15 يوما	50 ف قديم
ضباط المكاتب العربية[1047]	08 أيام	30 ف قديم

[1045] نفسه، ص ص 57، 58.

[1046] فارح رشيد : نفس المرجع، ص 58.

[1047] ضباط المكاتب العربية يفوضون من طرف قادة الدوائر والملحقات العسكرية حينما يكونون خارج مركز الدائرة أو الملحقة العسكرية. – ينظر فارح رشيد : نفس المرجع، ص 58.

علما أن العمل بالمكاتب العربية قد ألغي منذ سنة 1871، ليعوض بالملاحق. أما القياد والشيوخ فقد حدد القرار الوزاري المؤرخ في 05 أفريل 1860 صلاحياتهم العقابية، لتنزع منهم الكثير من الاختصاصات بموجب قرار 27 فيفري 1872، ليعاد جزء منها بموجب قرار 14 نوفمبر 1874، حيث يخول لهذه الفئة المتمثلة في القياد والأغوات والبشاغات توقيع عقوبات شريطة، ألا تتجاوز ما يوقعه العسكري الفرنسي، وبإمكانهم توقيع عقوبة الحبس في حالة التلبس بالجنحة، أو لأسباب تهم النظام العام على شرط أخطار السلطة الفرنسية فوريا، واقتياد الأشخاص أمامها.

وبإمكان القياد والشيوخ توقيع غرامة لا تتعدى 20 فرنكا فرنسيا قديما بالنسبة لمخالفات الشرطة؛ أي الاختلالات البسيطة، ولا تفرض الغرامة، إلا بعد التأشير بالموافقة من السلطة الفرنسية، التي يتبعها حكم العقوبة من القياد أو الشيوخ[1048]. وعندما يود حاكم قائد الملحقة الوقوف على خلفيات، وطبيعة المخالفة يشكل ما يشبه لجنة تتكون من قايد الجهة، وعدل من المحكمة الشرعية، فيرصدان الحالة في تقرير مفصل، ليرفع إلى السلطة الوصية[1049].

3 ـ المحاكم الشرعية :

الوضع القضائي بوادي سوف، لم يكن في منأى عن التحولات التي عرفها القضاء في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، حيث تمثلت الإجراءات الأولية، التي قامت بها السلطة الفرنسية من أجل تثبيت

[1048] فارح رشيد : نفس المرجع، ص 58.

[1049] للمزيد. ينظر - علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من الاحتلال**، المرجع السابق، ص ص 138، 139.

دعائم المحاكم الشرعية، كان بموجب أمر 28 فيفري 1840، وأمر 26 سبتمبر 1842[1050]، ثم مرسوم 01 أكتوبر 1854، ومرسوم 13 ديسمبر 1866[1051]، وغيرها من الأوامر والمراسيم، التي توالت تباعا، لتوضح وتبين اختصاص المحاكم الشرعية[1052]. واختصاص المحكمة الشرعية يقوم على مبدأ الاختصاص الشخصي؛ أي الفصل فيما بين السكان المسلمين. أما مبدأ الاختصاص النوعي صار بمرور الوقت استثنائي واختياري. أما في الاختصاص الشخصي نجد القاضي الشرعي يفصل في منازعات السكان المسلمين الجزائريين ، وإن كان أحد الأطراف غير مسلم أو متجنس، فإن القاضي الشرعي لا اختصاص له، ويعود الاختصاص إلى محكمة الصلح، التي تتبعها المحكمة الشرعية. أما الاختصاص النوعي، الذي أصبح استثنائيا واختياريا مع مرور الوقت، فهو في الأساس من اختصاص محكمة الصلح، باعتبارها هيئة القانون العام، ولا يكون اختصاص القاضي الشرعي، إلا في المسائل المخولة له خصيصا؛ أي مسائل الأحوال الشخصية والمواريث، والعقارات التي لم تثبت ملكيتها طبقا لقانون 26 جويلية 1873، ولم تكن ذات سند فرنسي إداري، أو توثيقي أو قضائي، وفي ما عدا ذلك يعود للجهات القضائية الفرنسية، التي تنفذ القانون الفرنسي، ثم حصر الاختصاص فيما بعد في الأحوال الشخصية والمواريث فقط[1053]، بالإضافة إلى أن اختصاص القاضي الشرعي أصبح اختياريا، حتى في المسائل الشخصية والمواريث. إذ بإمكان السكان المسلمين الجزائريين رفع النزاع أمام محكمة الصلح، ويتعين على الخصم الذي يتمسك باختصاص القاضي أن يدفع بذلك قبل الجواب في الموضوع. والأحكام

[1050] فارح رشيد : نفس المرجع، ص 47.

[1051] **قوانين دولية مؤرخة في سنة 1859 و1866 وسنة 1867 و1868 وسنة 1870 وتحرير الأصول في الشرع الإسلامي بالإقليم الجزاير وعدة رسائل وأوامر ومسائل متفرقة**، ص 01.

[1052] فارح رشيد : المرجع السابق، ص 47.

[1053] فارح رشيد : نفس المرجع، ص ص47، 48.

الصادرة عن القاضي الشرعي، محل استئناف أمام المجالس الإسلامية المؤسسة خصيصا، ولا مجال للأحكام الغيابية في المعارضة، وتكون الأحكام قابلة للاستئناف أمام المحكمة الابتدائية الكبرى[1054].

ومنذ سنة 1886 صار من الممكن تقديم الطعن عن طريق التماس إعادة النظر، والاعتراض غير الخارج عن الخصومة ضد الأحكام الصادرة على المحاكم الشرعية، ويتبع في مثل هذه الحالة الإجراءات المدنية الفرنسية، كما أن للقاضي الشرعي اختصاصات نوعية كإبرام عقود التصرف المحددة قانونا بسبعة وعشرين عقدا[1055] بين السكان المسلمين الجزائريين كأي موثق، باستثناء العقود التي تخص العقارات، التي تخضع للقانون الفرنسي[1056]. والمحاكم الشرعية بوادي سوف لم تشذ عن ما حدد للمحاكم الشرعية في الجزائر برمتها، علما أنها محاكم في إقليم عسكري. وقد بدأ العمل بالمحاكم الشرعية كمحاكم رسمية نظامية منذ الاحتلال الفرنسي لوادي سوف في 1854 حسب تاريخ سجلات المحاكم الشرعية بوادي سوف، و أقدم محكمة شرعية محكمة الوادي المركزي. أما محكمة قمار الأولى، وهي شبه رسمية، فقد ظهرت بعهد الشيخ القاضي أحمد دغمان 1281هـ / 1864م، بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة[1057]، لتنشأ سنة 1873 محكمة في كوينين، خاصة بأولاد سعود وهم سكان كوينين وورماس وسيدي عون والزقم، ذلك حسب السجلات المطلع عليها[1058]، غير أن المحكمة الشرعية بكوينين أوقف العمل بها، وضمت إلى محكمة الوادي سنة 1921[1059].

[1054] فارح رشيد : نفس المرجع، ص 48.

[1055]. **قوانين دولية**، المصدر السابق، ص ص 58 – 68.

[1056] فارح رشيد : المرجع السابق، ص 48.

[1057] الشيخ محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 27.

[1058] **سجل المحكمة الشرعية** بكوينين (1873)، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

[1059] **حوار** مع السيد العربي مصباحي كاتب ضبط بمحكمة الوادي متقاعد. يوم 21 شوال 1424 هـ الموافق لـ 15 ديسمبر 2003.

وموظفو المحكمة الشرعية يتكونون من قاضي ونائبه (باش عدل)، ويشترط فيهما المستوى الثقافي، ويؤهلان لهذه الوظائف بعد امتحان خاص[1060]. أما العدول وعددهم اثنان، وهم بمثابة الشهود على إجراءات وأعمال القاضي سواء في الأحكام، أو توثيق العقود بين الناس[1061]. أما شروط توظيفها ينبغي أن يكون الباش عدل على معرفة بالقراءة والكتابة، وحسن السيرة[1062]، بالإضافة إلى أنه يساعد القاضي أثناء عمله، ويقوم بتسجيل كل ما يدور في الجلسة، كما يحضر مع القاضي في كل جلسة يعقدها، شاوش مهمته السهر على الانضباط في قاعة الحكم، ويستدعي المتحاكمين للجلسات[1063].

ومن خلال تتبع قائمة القضاة الطويلة منذ 1854، حتى 1947 ظهر أن أغلب رجال القضاء، خاصة القاضي والباش عدل يتم تعيينهم من خارج وادي سوف سواء من بلاد الزاب، وهم الأكثر، أو النمامشة، ويعود ذلك إلى طبيعة القياد الذين ينحدرون من تلك المناطق من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإدارة الفرنسية ترغب في ذلك، حتى تستطيع الاعتماد عليهم كثيرا[1064]. بخلاف ما تكون عليه علاقة قضاة وباش عدول أبناء المنطقة أكثر تحيزا لأهاليهم، بحسب ما تراه السلطات الفرنسية، ذلك مثل الحكم في دية الأرامل اللواتي قتل رجلهن خطأ من قبل الجيش إيطالي بالحدود الجزائرية الليبية في عهد باش عدل إبراهيم العوامر، الذي حكم عليه بالنفي إلى أولاد جلال[1065]؛ لأن هناك بعض الضباط الفرنسيين قد استحوذوا على جزء من الدية، فحكم بضرورة ما أخذوه اغتصابا، فكان ذلك مقلقا للسلطة الفرنسية. وعلى ذلك الأساس، فإن القضايا الهامة والخطيرة تحول إلى محكمة

[1060] أحمد توفيق المدني : **كتاب الجزائر**، ط 2، نشر دار الكتاب، البليدة، الجزائر، 1963، ص 323. - Gouvernement Général de l'Algérie : **Les territories du Sud de l'Algerie (L'organisation judiciaire)**, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930, p 06.

[1061] مولاي ملياني بغدادي : **المحاماة في الجزائر**، ج 1، المطبعة الجزائرية دحلب، الجزائر، 1993، ص 42.

[1062] أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص 223.

[1063] مولاي ملياني بغدادي : المرجع السابق، ج 1، ص ص 42، 43.

[1064] L'annexe d'El-oued **: Rapport Nommé Classe dirigeante**, op. cit, p 5.

[1065] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر**، ص 214.

باتنة، غير أن الدراسات الفرنسية تشيد بانحصار القضايا في النزاعات حول الأراضي بين السكان المسلمين الجزائريين ، وهي أيضا قليلة، لذلك كان الحكام العسكريون يستعينون بالفلاحين الكبار، الذين يعدون بمثابة خبراء بهذه القضايا من أبناء الجهة[1066]، يضاف لها قضايا السرقة، التي يكون لفراسة الخبراء معرفة، وتقفي الجرة والآثار الدالة عنها[1067]، فكان الاعتماد عليهم كبيرا من طرف السلطات الفرنسية[1068]، لتوظيفهم في مهام تتبع الخارجين عن القانون، بالإضافة إلى المهام السابقة.

وخلاصة القول أن تأثير التغلغل الاستعماري على المستوى الاجتماعي، برز من خلال السياسات المتعددة، التي حاول المحتل جاهدا على اعتمادها، فقد عمد منذ الوهلة الأولى على التظاهر بملمح الاهتمام بظروف سكان الإقليم الصحية والاجتماعيـــة، ذلك قصد التقرب منهم أكثر، والتعرف عليهم عن قرب، من أجل إحكام سيطرتهم عليهم، فذهب إلى محاولات تنظيم شؤونهم الاجتماعية من خلال رصد الإحصائيات، التي تخص التعداد السكاني، كما كان أول إنجاز قام به المحتل هو إنشاء ملحقة استشفائية بالدبيلة، لكن بعدما تحول إلى الوادي، أقام مستشفى بالقرب من الملحقة، غير أن السكان المسلمين الجزائريين، ظلوا لفترة طويلة ينظرون إلى الخدمات الصحية بنظرة مزدرية، وعند الضرورة، يلجأ الواحد منهم إلى مقابلة الطبيب، وقد ذكرت الإحصائيات أن عدد المرضى أخذ في التزايد رجـــالا ونساء وأطفالا، ذلك حسب العلاقات التي بدأت تقوم بين الغازي والسكان الجزائريين بوادي سوف، هذا ما جعله يتظاهر بروح التسامح من أجل تكريس وجوده الاستعماري، وقد وظف خلال العشرينات من القرن 20م الآباء والأخوات البيض، حتى طغى على هذا العمل الجانب الإنساني والديني البحت، كما نجده في العشرينات من القرن نفسه بدأ بضبط

[1066] C. Cauvet : op. cit, p 53.

[1067] الجرة : هي معرفة أثر الأقدام على الرمال، أواثر أسنان الشخص على قشرة البطيخ الأخضر، حيث يستطيع الخبير تحديد الشخص من خلال أقدامه وبعض أوصافه مثل : طول قامته، وحالته من حيث الإعوجاج والبدانة، وزمن حدوث السرقة أهو بالليل أم بالنهار أو قبل الزوال – ينظر علي غنابزية : مجتمع وادي سوف، ص 58 (هامش 6)، وقيل أن أول من عرف الأثر – أي الجرة – هو احمد العياط جد العيايطة بالبهيمة وقيل قبل ذلك – ينظر مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 17.

[1068] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 143.

الحالة المدنية منذ سنة 1921[1069] بالنسبة لأولاد اسعود، لكن التسجيلات الأكثر توسعا هي تسجيلات 1937[1070]، حيث عمت هذه العملية كل أرجاء وادي سوف، هذه التسجيلات تتم حسب العروش والقبائل، مع ظهور الألقاب، التي لا يزال العمل سار بها، وهي تخضع لاعتبارات عائلية، حسب أوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والغرض منها تقسيم العروش، ومحاولة تطبيق سياسة فرق تسد، التي يعتمدها المحتل من أجل إحكام قبضته، وتقزيم القبائل والعروش. فمهمة التمدين، التي تدعيها فرنسا الاستعمارية، لم تكن تشكل في حقيقة الوضع المعاش آنذاك، إلا مظهرا ثانويا من نشاطها حيث كتب " مورنياك " (Mauriniac) في سنة 1912 معرفا الاستعمار بأنه : « الارتبـــاط بدول جديـــدة للانتفاع بثروتها واستغلالها في مصلحة وطنه[1071]. ». انطلاقا من هاته الشهادة يتبين أن الدور الذي لعبه المحتل تجاه الوضع الاجتماعي والقضائي، ما هو إلا عملية تمويهية القصد منها استغلال ما أمكن استغلاله، كما أنه راعى مبدأ العمل على استتباب الأمن، ومحاولة تهدئة الوضع، ذلك بالقضاء على كل محاولة للتمرد، باعتبار وادي سوف نقطة تلاقي حدودي بين قطرين : تونس وليبيا، لهذا فإن مصالح فرنسا، لا يمكن أن تتحقق إلا ضمن دائرة كسب ود السكان بوادي سوف، ومحاولة ربح كل الرهانات الاستعمارية، هذا للطبيعة الصعبة المراس للإقليم، لكن مع ذلك استطاعت فرنسا أن تستفيد، مما أمكن الاستفادة منه، خاصة على المستوى الاجتماعي، حينما تظاهرت بضرورة الإبقاء على طبيعة الوضع الاجتماعي من خلال ترك المجال فسيحا للسكان المسلمين، في حين أن الأمر يعود في الأساس إلى تضاؤل تواجد المعمر، الذي كان وجوده الكثيف بالمناطق الساحلية والمناطق السهلية، بل حتى المناطق الداخلية، قد أحدث تغيرات كثيرة وجذرية في عمق الوضع الاجتماعي، كما أن التنمية الاجتماعية، التي باشرت الإدارة الاستعمارية في إنجازها جاءت متأخرة، حيث شرع في انجازها في الموسمين الأخيرين من سنة 1947، هذا كان عاملا من عوامل التنافر بين السكان المسلمين الجزائريين، والإدارة

[1069] **سجلات الحالة** المدنية لسنة 1934 بلدية الوادي.

[1070] **سجلات الحالة** المدنية لسنة 1937 بلدية الوادي.

[1071] محمد حسنين : **الاستعمار الفرنسي**، ط 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 78.

الاستعمارية، ما جعل من طبيعة التأقلم تضمحل بخلاف، ما قدمته على مستوى الخدمات العامة، التي كانت هي الأخرى قد بوشر في العمل بها، إلا في العشرية الثالثة من القرن 20م. أما على مستوى القضاء، فهو الآخر شهد نوعا من الاستقرار النسبي، هذا لتعقد العلاقات الاجتماعية، التي يعجز القانون المدني الفرنسي على حل القضايا المدرجة في نطاق الأحوال الشخصية، وهذا ما سيؤثر على الوضع الإقتصادي الذي لم يكن في منأى عن تأثيرات السياسة الاستيطانية المتبعة بوادي سوف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع :

تأثيرات سياسة التغلغل الاستعماري على الوضع الاقتصادي بوادي سوف خلال (1882 – 1947)

المبحث الأول – مـــؤثرات سياسة التغلغل الاستعـــماري على الرعي والـــزراعة بوادي ســـوف.

المبحث الثاني – تأثيرات المستعمر على الصناعة و الحرف بوادي سوف.

المبحث الثالث – أثر سياسة التغريب على الخدمات العامة والتجارة وطرق المواصلات بوادي سوف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن سياسة الاستيطان، التي سعت فرنسا إلى تكريسها بالجزائر المستعمرة منذ تعيين الماريشال "بيجو"، جعل الوضع العام تكتنفه سياسة كولونيالية، تبرز ملامحها في جميع أصعدة النشاط الاقتصادي بالمستعمرة الجديدة، حتى تستطيع فرنسا تثبيت دعائمها الاستعمارية، هذا ما لوحظ منذ أن احتل الفرنسيون كلا من الجزائر سنة 1830، وتونس سنة 1881، ومراكش 1912. والإيطاليون ليبيا سنة 1911، فسعى الاستعمار الغربي إلى تغيير البنية الاقتصادية التقليدية في المغرب العربي[1072]. وقد لعب الاستيطان دورا بارزا في التغيير، الذي أثر مباشرة، وبصورة جوهرية على المجتمع، ووضعه الديمغرافي، وتشكيله الطبقي[1073]، فكان ذلك واضحا من خلال سياسة التهجير، وتفكيك البنى الاجتماعية بربوع الجزائر، قصد الظفر بشيء من الولاء، الذي تسعى فرنسا لتحقيقه. انطلاقا من تحطيم الأسس الذاتية للسكان الجزائريين عن طريق الاستيطان بالدرجة الأولى[1074]، فكان تجربة ونموذجا في الجزائر، حاولت فرنسا تعميمه في المناطق التي احتلتها، وذلك من خلال استيطانها للجزائر بكاملها[1075]. ومن هذا المنطلق، فإننا سنقف على السياسة الاستعمارية، ومحاولاتها في التغلغل، قصد توجيه الوضع الاقتصادي بوادي سوف، رغم الطابع الصحراوي السائد، الذي قد يجعل الاستعمار الفرنسي يغض عنه الطرف، لكن الموقع الحدودي الذي كان عليه الإقليم، جعل المحتل يبسط سياسته من أجل ضمان الاستقرار، والتحكم في الجميع.

[1072] عبد المالك خلف التميمي : المرجع السابق، ص 15.

[1073] عبد المالك خلف التميمي : نفس المرجع، ص 15.

[1074] مغنية الأزرق : **نشوء الطبقات في الجزائر**، ترجمة سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980، ص 67.

[1075] المنجي الصياد : " من ملامح التطور الفكري في المغرب العربي"، **مجلة المستقبل العربي**، العدد 12، بيروت، فبراير 1980، ص ص 28، 29.

فكان التغلغل الاستعماري على المستوى الاقتصادي واضحا وجليا، ذلك انطلاقا من ربط اقتصاد الجزائر باقتصاد فرنسا، بل جعل الإمكانيات الاقتصادية المتوفرة بالجزائر، مقومات أساسية للاقتصاد الفرنسي، لأن التواجد الاستعماري في الأساس لم يكن من أجل نشر الحضارة، والقيم الحضارية، بل من أجل السيطرة والتنفذ على مستوى مجالات النفوذ الحيوي، باعتبار الساحل الجزائري ساحلا طويلا، والإمكانيات الاقتصادية من جهة ثانية، وشساعة الامتداد الجغرافي للجزائر من ناحية ثالثة، حتى تستطيع فرنسا بناء مجدها السياسي، الذي فقدته، نتيجة سياسة نابليون الداعية لإقامة إمبراطورية افرنجية على حساب القارة الأوروبية، من خلال الحروب التي كان آخرها معركة " واترلو "، التي نجم عنها انهزام فرنسا أمام القوى الأوروبية المتحالفة، وإرغامها على توقيع وثيقة صلح باريس الأول سنة 1814، التي أقرت ضرورة عودة فرنسا لمجالها الجغرافي الأصيل[1076]. فتواجدها بالجزائر يضمن لها ما فقد في مستعمرات العالم الحديث. والتغلغل الاستعماري الفرنسي ترك أثرا واضحا وبيّنا على الميدان الاقتصادي، لكن مستوى المقاومة والتأقلم تباين من نمط معاش إلى آخر، ذلك تبعا لطبيعة الحياة الاجتماعية السائدة بكل إقليم من أقاليم الجزائر المترامية الأطراف. ووادي سوف أحد هذه الأقاليم، رغم الطابع الصحراوي، الذي كان الميزة الأساسية، مما يقلل من قيمة التفاعل الاقتصادي، لكن ما يمكن ملاحظته هو الموقع الحدودي، الذي رفع من مستوى الاهتمام الاستعماري الاستيطاني. والنشاط الاقتصادي، الذي يتمتع به الإقليم، يتمحور في الأساس حول أنشطة معهودة يمارسها الفرد بوادي سوف، كباقي الأفراد من المجتمع الجزائري الريفي وهي :

الرعي والزراعة، والصناعة الحرفية والتجارة. تلك الأنشطة متوارثة عبر تعاقب الأجيال، مما ينعكس على الوضع الاجتماعي، الذي يتباين طابعه بين الريف والحضر، حيث يتوجب على الفرد اختيار نشاط معين، يساعده في تنمية قدراته المادية، وفق المهارة المكتسبة لديه، فهو بطبعه يمارس

[1076] شوقي عطاء الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة**، الكتاب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2000، ص 159.

حياته ويطوع إمكانياته مهما كانت مستوياتها، بسيطة كانت، أو معقدة. وعليه فإن الأنشطة تنوعت من رعي للإبل، باعتبارها أداة طيعة لمساعدة الإنسان في التنقل عبر الكثبان الرملية، وقدرتها على التكيف مع هذه الطبيعة؛ أي طبيعة وادي سوف الصحراوية، بالإضافة إلى رعي الماعز والأغنام. أما الزراعة، فهي محصورة في النخيل، باعتبارها الثروة الهامة والأساسية، حيث تعد " النخلة " مصدر العطاء والغذاء الأساسي للسكان بوادي سوف، إلى جانبها الزراعة المعيشية الضرورية للسكان، فالمجتمع بوادي سوف، مجتمع لا يختلف عن باقي المجتمعات الأخرى بالجزائر، فهو بطبعه مجتمع ريفي، استطاع المحافظة على مقوماته الحضارية، باعتبارها عوامل المقاومة ضد السياسة الاستعمارية. وكذلك ضد المنتهزين، وحيدي التكسب على عاتق المجتمع[1077]، رغم ضآلة تواجدهم، مما خفف العبء على المشتغلين بالرعي والزراعة من سكان وادي سوف. والحرف انطلاقا من أجزاء وعناصر النخلة، التي توفر الاحتياجات الضرورية من أدوات، ومعدات مختلفة، يحتاجها الفرد بوادي سوف في نشاطاته المختلفة، و" المنسج " الذي يعد رمز الصناعة النسيجية، لأنها أساس الألبسة، والأدوات المختلفة، التي يكون الفرد في حاجة إليها خلال حياته اليومية بالمنطقة. وأمام السياسة الاستعمارية، واصل المزارعون عملهم قصد تحقيق أهداف، رغم محاولات المحتل التضييق عليهم، انطلاقا من فرض الضرائب من جهة، والتحكم في النظام المصرفي المحدود التعامل من جهة أخرى، والاحتكار الاقتصادي الممارس من طرف يهود المنطقة والمعمرين، كل ذلك شكل معوقات اقتصادية، جعلت من المردود الاقتصادي للسكان المسلمين الجزائريين بوادي سوف لا يزيد عن 35% من الاحتياجات الأساسية للسكان بالإقليم، ذلك ما يبرز من خلال الأنشطة الآتية :

المبحث الأول – الرعي والزراعة وحجم تأثرهما بسياسة التغلغل الاستعماري بوادي سوف :

[1077] مصطفى الأشرف : المرجع السابق، ص 38.

الرعي والزراعة نشاط اقتصادي يرتكز أساسا على العنصر البشري، الذي يعد المقوم الضروري أمام مجموع المقومات الأخرى، التي تتمثل في الثروة الحيوانية، والأراضي الزراعية، غير أن هذه المقومات يلاحظ عليها البساطة والطابع التقليدي، ذلك لكون إقليم وادي سوف، إقليم صحراوي ذو مناخ وظروف طبيعية صعبة، جعلت المنطقة تتميز بوضع اقتصادي تباين من خلاله عن غيره بالجزائر، كما أن وادي سوف يختلف عن بقية الأقاليم الجزائرية الأخرى، التي تتولى القبيلة فيه إدارة الأرض، غير أن الطابع الصحراوي، لم يكن مشجعا على بروز هذه الملامح الاجتماعية والاقتصادية، كما أن الملامح الرعوية والزراعية، كانت تختلف عن الأقاليم الجزائرية الأخرى، خاصة وادي ريغ والزيبان، رغم وجود عناصر تشابه من خلال الموارد، التي يدرها نشاطي الرعي والزراعة. انطلاقا من المناخ الصحراوي الحار صيفا، والشديد البرودة، مع ندرة الأمطار شتاء، لكن الوضع المعاشي بوادي سوف يعد بسيطا، لارتباطه بالطبيعة، يضاف إليها متطلبات الفرد بالإقليم المحدودة، والبسيطة المتمثلة في الضروريات من الغذاء والكساء، وعمل متواصل يشغل حياته، ويكسر الوضع الروتيني، الذي يعيشه. والهدف في الأخير تحقيق الاكتفاء الذاتي، وفق الإمكانيات المتوفرة، وفي إطار الجهود المبذولة، والطاقة المستنفذة، لتنمية المجتمع بوادي سوف اقتصاديا.

أولا – الـــــــــــــرعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي :

الرعي وظيفة متوارثة، وهي ملمح اقتصادي، لا يمكن الاستغناء عنه، لما توفره هذه الحرفة من حاجيات ضرورية للمجتمعات البشرية في أي بيئة من بيئات العالم. وحرفة الرعي، هي نتاج تعاقب زمني، تعودت عليه المجتمعات من بني البشر. والرعي، هو الوظيفة الأولى، التي ما فتئ الإنسان احترافها، لما تدره من موارد أولية أساسية للعيش والتكسب. ووادي سوف بطابعه الصحراوي، كان ميالا إلى الرعي، لما يدره هذا النوع من أنماط المعيشة من فوائد جمة، حيث قدر في إحصائية

لسنة 1926 أن تعداد السكان بلغ 67891[1078]، وهم يتوزعون إلى نصف مستقر، والنصف الآخر رحل، مما يجعل من هذا النمط الاقتصادي، حرفة يشتغل بها نصف السكان بوادي سوف.

وللرعي أعراف تنظمه، حتى يضمن كل طرف مشارك في العملية حقه دون نقصان. وهذه الأعراف تكمن في تربية الماشية، وحركة الرّحّل في الصحراء، والمراعي وآبار المياه، والعلاقة ما بين الرعاة والملاكين[1079]، هذا كله يشكل نسغا اجتماعيا، يؤثر ويتأثر تبعا للتطورات، والمستجدات، التي قد تلم بالمنطقة. وأهم هذه الأعراف، هي الحقوق والواجبات، التي ينبغي ضمانها للرعاة، حتى يستطيعون أداء عملهم دون عائق. والحقوق تختلف من راع لأخر، ذلك بحسب الحيوانات الخاضعة لكل منهم، فراعي الماشية نشاطه يختلف، عن راعي الإبل.

1 – واجبات وحقوق رعاة الإبل :

[1078] L'annexe d'El-oued : **Le Souf,** op. cit, p 01.

[1079] عثمان زقب : **الأوضاع**، الرجع السابق، ص 76.

يطلق على راعي الجمال، بالراعي الإبل، وهو راع لقطيع لا يتعدى كحد أقصى 60 رأسا، وأجره يحدد من خلال كميات من المواد الغذائية، كتمور وغذاء مقابل الأجر النقدي، وبعض الملابس، مع إبقاء قسم منه، يدفع نقدا، لما يحتاجه الراعي من احتياجات ضرورية، تدخل ضمن الحاجيات الأساسية له، ولأفراد عائلته، كما أن الدفع بالنقود يتحول إلى مكافأة مباشرة، تدفع من حساب القطيع، عندما يتعلق الأمر " بسرحة "[1080]، بحيث يتحصل الراعي على رأس من القطيع، ذلك تعويضا للمكافأة المالية، التي يستحقها، كتعويض على الجهد المبذول من طرفه، ذلك لرفع مستوى التفاني، الذي يتوجب على الراعي، لتنمية القطيع، وحمايته من أي ضرر قد يلحق به. ويتم تشغيل راعي الإبل لعام أو ستة أشهر، وأجرة عمله مع بعض الحاجات الضرورية كغذاء ولباس العام (قندورتين، برنوس صوف، سروال، شاش، زوج عَفّان[1081])، وحيوان فتي لكل 25 رأسا محروسة[1082]، ومن خلال الحيوان الفتي يحاول الراعي الاهتمام به قصد تنمية ثروته الخاصة. ومقابل ذلك فإن الراعي يسهر على القطيع لحمايته من أي تأثير يكون بإمكانه حمايته منه، باستثناء القوة القاهرة، التي يتعذر عليه تفاديها، هذا ما تمليه واجباته تجاه القطيع الخاضع له.

[1080] والمقصود بالسرحة هو الخرجة التي يقضيها الراعي مع قطيع الإبل لفترة طويلة تصل إلى الأشهر أو حتى السنة، ذلك من خلال جولة كبيرة في أراض واسعة قد تتواجد في أكثر من إقليم واحد. ينظر - André Voisin : op. cit, p 106.

[1081] العفان هو الحذاء المحلي الصنع، حيث يصنع من وبر الإبل الممزوج مع شعر الماعز الأسود، ويصنع يدويا بأداة تعرف بالإشفة أو المخيط.

[1082] G.H. Bousquet : **Du droit coutumier et ses rapports avec la vie économique et la techniques agricole dans le souf**, travaux de l'institut de recherches Sahariennes, Tome XII, 2éme trimestre, Université d'Alger, Imprimerie Alger, Alger, 1954, p 105.

2 – واجبات وحقوق رعاة الماشية :

يطلق مصطلح راعي في وادي سوف على " راعي البيض والسود "، ويقصد بالبيض الغنم نسبة لصوفها الأبيض، والسود الماعز لشعرها الأسود[1083]، كما تعرف هذه الثروة الحيوانية بالسّعي[1084]، ويتم تجنيد الراعي لستة أشهر على أساس أن له الحق في حيوان فتي، و20 كلغ تمرا على كل 15 حيوانا من القطيع المحروسة؛ أي التي يرعاها. أما الذي يشتغل لعام كامل، فله الحق في نعجة فتيّة، و20 كلغ تمرا لكل 10 حيوانات محروسة[1085]، كما له الحق في قندورة وبرنوس صوف، وشاش وعَفّان[1086]، بالإضافة لشـــــــــــــــرب حليبها بحـــــــــــرية[1087]، كما يمكنه أن يأخذ جزء منه، لاستغلاله الخاص، كاستخراج الزبدة والدهان[1088]، أو استخرج "الكليلة[1089]"، كما يستخرج الجبن من استعمال بعض من " الدوث " وهو منفاح[1090] الجدي الرضيع، أو الخروف الرضيع، أو حتى صغير الأرنب أو صغير الجرذ[1091]؛ أي كل صغار الثديات الرضيعة المباحة الأكل، وهو أول جزء من المعدة، يكون قد علق به الحليب، فيعرض للتجفيف فييبس، فيؤخذ منه جزءا، ويوضع مع شيء من القطن أو الصوف، ويفرك في الحليب ويترك لمدة زمنية، فيتشكل منه الجبن،

[1083] L'Annexe d'El-oued : **Le souf**, op. cit, p10.

[1084] Ahmed Nadjah : op. cit, p115.

[1085] André Voisin : op. cit, p 106.

[1086] Bousquet : op. cit, p 105.

[1087] Ahmed Nadjah : op. cit, p 115.

[1088] الدهان مادة دسمة تستخرج من الزبدة عن طريق تعريض كمية منها على النار لدرجة الغليان وتركها مدة فتتحول إلى دهان قصد تخزينه لأن عملية تخزينه تجعله لا يتعرض للتلف والفساد كالزبدة.

[1089] ويتم إنتاجها بعد استخراج الزبدة عن طريق الخض للحليب فالحليب الرائب يعرض للنار فيشكل تكتلات تجمع بوضع قطعة من الشاش لفصلها عن السائل المتبقي من اللبن المغل، وتعرض للشمس فتتصلب وتصبح كليلة تباع تستعمل في بعض الأكلات، كما يستعملها الحمارة عند تنقلهم في طريقهم الطويل. - **حوار** مع مجموعة من الأشخاص أهمهم : الشيخ أحمد السايح، علي بن عمارة، إبراهيم بولعراس، وغيرهم يوم 11جمادي الثانية 1430هـ/05 جوان 2009م، مساء وهم جلوس محتمين بظل بجدار مسجد صهيب الرومي في حي النور الشمالي بالوادي.

[1090] المنفاح هو الجزء الأمامي للمعدة؛ أي المنطقة ما بين البلعوم والمعدة.

[1091] الجرذ هو فأر الصحراء وهو حيوان ثدي يؤكل.

مع العلم أن هذه المستخرجات تصفى باستعمال قطع من شاش الكتان[1092]. وهذه بعض المستخرجات من الحليب المستغل من طرف الراعي، فإذا زادت هذه المستخرجات عن حاجته سلم الفائض للمالك، أو باعها، ليقدم أثمانها للمالك نفسه.

3 - القواعد العامة للرعي :

الرعي حرفة متوارثة، ذات أسس وقواعد ثابتة، تنظم صيرورة العمل بالرعي، حتى يضمن توفير الحاجيات الضرورية للسكان، هذا ما يفرض ضرورة وجود قواعد عامة، يتعارف عليها الرعاة والملاك، مما يضمن استمرارية التوافق بين مجموعة الأطراف المشتركة في حرفة الرعي. أما القواعد العامة للرعي، فهي عديدة تعارف عليها الناس، نتيجة التعامل الدائم للحاجة الملحة، لهذه الوظيفة، باعتبارها موردا هاما للعديد من الحاجيات الأساسية للفرد والمجتمع، وهذه القواعد يمكن حصرها في :

١- الراعـــي ليس مســـؤولا على الحوادث، التي تصيب الحيوانات في كلفته[1093]، ولا يطـــالب بتعويض سعر الحيوان المفقود، إلا إذا ما تكررت الحادثة ثلاث مرات، فعد ذلك تقصير من الراعي.

٢- إذا ما اختفى حيوان من القطيع على الراعي الإسراع في البحث عنه، ويعوضه المالك على حراسة القطيع، وإذا ما تم العثور عليه من طرف المستخدم خلال وقت معين، فتكون غير محسوبة من العدد، الذي على أساسه حدد للراعي أجره[1094].

٣ - إصلاح الأضرار، التي تسببت فيها الحيوانات على الفلاحة ترجع لمالك القطيع، حتى ولو أن هذا الأخير ربطها أو حرسها[1095].

[1092] **حوار** مع عائشة، مرجع سابق.

[1093] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 106.

[1094] Ahmed Nadjah : op. cit, p 115.

[1095] Bousquet : op. cit, p 106.

٤ - الراعي ملزم بالقيام بكل ما يتعلق بجز الصوف، والشعر للماشية، والوبر للإبل المحروسة[1096].

٥ - من حق المالك الحصول على صوف الغنم، وشعر الماعز، والزبدة، مع ذلك يسمح للراعي بأخذ جزء من الزبدة، لاستهلاكه الشخصي، وكذا الحليب[1097].

٦ - عند الآبار، هناك قواعد يجب احترامها بأن تملأ " القِرَب " أولا، ثم يتم السماح للأغنام والماعز بالشرب، وفي آخر المطاف الإبل[1098]، وفي كل صنف يجب احترام ترتيب الوصول إلى البئر.

٧ - في حالة غياب الراعي، فالغياب المصرَّح به من طرف الراعي، أو وقت مرضه، لا يحسب من الأجر، والمالك هو الذي يعود إليه أمر حراسة القطيع[1099].

هذه القواعد بدورها ساهمت في تنشيط حركة الرعي من جهة، كما حافظت على حقوق المتعاملين، دون هضم الحقوق، لكل من الراعي والمالك، وهذا ما توفره الواجبات من ضمانات لكل منهما، كما أن هذا التعامل ينم على وضع إنساني يؤمن بضرورة التعاون من أجل التغلب على الأعباء الملقاة على كواهل أرباب الأسر، والمتعاملين في إطار شبكة علاقات اقتصادية، تضمن لكل طرف حقوقه، مقابل ما يؤديه من واجبات ضمن المعادلة الجدلية التي تظل تحافظ على صيرورتها، انطلاقا من الحاجة الملحة على كل طرف من الأطراف المتعاملة ضمن هذه الشبكة. ومن أهم حيوانات المنطقة، نجد الماعز والغنم، التي تعد أهم الثروات الحيوانية، التي تعرف اهتماما بالغا من طرف الرعاة، لكن ما يميز هذه الحيوانات، هو سهولة التحكم فيها من خلال إسطبلات واسعة، أو عن طريق الرعي المتحكم فيه في إطار حركة العشابة، وحرفة رعي الماعز والغنم، حرفة متوارثة تباعا للحاجة الملحة لمثل هذه الحيوانات، باعتبارها مصدرا أساسيا، لتوفير موارد غذائية، وأخرى تدخل ضمن بعض الحرف. كالنسيج والجلود، لهذا فإن حاجة الفرد بوادي سوف، لهذه الثروة

[1096] André Voisin : édition 2004, op. cit, p106.

[1097] Bousquet : op. cit, p 106.

[1098] عثمان زقب : **الاوضاع**، المرجع السابق، ص 77.

[1099] Ahmed Nadjah : op. cit, p115

مستمر لدى الحضر والرحل لسهولة رعايتها، فهي تربى في الإسطبلات في الأرياف، وخارج المواقع السكانية بالحواضر لدى سكان الحضر.

أما الرحل فإن رعايتهم لهذه الثروة، تتم على طريق تتبعهم للمناطق العشبية، وتعرف حركتهم بالعشابة، وهم يمارسون الرعي بالصحراء، حيث يتنقلون بقطعانهم في معظم اتجاهاتها، نحو الشمال والجنوب، والشرق بحثا عن الكلأ لاستغلال الحد الأقصى من مناطق الرعي، ولهم حقوق الترحال، والرعي في أجزاء من مناطق " العلوان " (دوار فركان، نقرين، المنطقة الإدارية المختلطة لتبسة) وفي"أولاد رشايد" بالمنطقة المختلطة لخنشلة[1100]، كما أن الرحل بوادي سوف، لهم حقوق الرعي بالشرق الجزائري الممتدة ما بين الشطوط، و" بئر رومان "[1101].

وتقسيم مناطق الرعي بين أعراش البدو الرحل (الأعشاش والمصاعبة) في إقليم وادي سوف، غير منتظم، لكون الأمر يرتبط بوضعية المراعي[1102]، مع أن مناطق ترحال كل قبيلة، يتم توضيحه عن طريق العرف، والرعي الذي يتم الاتفاق عليه بين القبائل[1103]، رغم أن توزيع المراعي بين عرشي الأعشاش والمصاعبة بوادي سوف، لم يتم إعداده بصورة نهائية إلا في 02 سبتمبر 1931 بإشراف الضابط المساعد المكلف من طرف رئيس ملحقة الوادي، إلا أن البدو الرحل لكل من الأعشاش والمصاعبة، كانوا يمتلكون مراع مشتركة[1104]. وهذه العملية عملية تقليدية، مما يجعل نمو هذه الثروة رهينة بما تجود به الطبيعة، إذا ما كانت السنة ممطرة، وغير جافة. أما إذا ساد الجفاف فإن هذه الثروة تتعرض للاستهلاك، لتعويض نقص المواد الغذائية، كما أن أنثى الضأن تلد مرة واحدة على أن

[1100] Lieutenant. Boulland : **Rapport au sujet de la plantation de palme rie des indigènes de tribu des ouled rechaid a bir Belgardane et à Bounegueur (El-oued),** 21 Novembre 1932, A. M. M. El, El-oued, p p 1-3.

[1101] A.N.A : Boite 371, **Rapport annuel 1938**, op. cit, p 44.

[1102] Lieutenant. Boulland : op. cit, p 106.

[1103] Annexe d' El-oued : **Note sur l'habitat**, p 20.

[1104] A.N.A : Boite 373, Dossier **(Agricole, élevage, la séchresse) territoires du sud d'Algérie (1931-1935)**.

تكون الولادة مقتصرة على حمل واحد. وفي حالة الرخاء الطبيعي، فإن النعجة قد تلد مرتين، كما يمكن أن تلد حملين في بطن واحدة. والفصائل المتوفرة بوادي سوف من الضأن هي :

أ - الفصيلة التونسية، غير أنها كانت في تناقص إلى أن انقرضت.

ب - الفصيلة الخنشلية، وهي كثيرة،ووفيرة الموارد.

ج - فصيلة الزيبان، وهي الأفضل، خاصة في ما يخص لحومها[1105].

أما الماعز لا تخضع لمثل هذه الظروف، فهي أكثر تحملا لقسوة الطبيعة، والإنجاب الأوفر، الذي لا يرتبط بالظروف الطبيعية، ذلك ما أكدته الإحصاءات المدونة، كما أن الماعز يستغل في الغالب لإنتاج الحليب بخلاف الضأن، التي يكثر استهلاكها من حيث اللحوم، والماعز بوادي سوف صنفين هما :

- **النوع الأول :** يسمى بماعز "النمامشة"، وهو معتاد على الصحراء[1106]، وهي قليلة الحليب تتحمل المناخ الصحراوي[1107]، وتفضل المراعي على الإسطبلات[1108]، لها شعر طويل، حيث تربى بالأساس لأجل شعرها، لاستخدامه في

[1105] عثمان زقب : **الأوضاع**، الرجع السابق، 75.

[1106] عثمان زقب : نفس المرجع، 75.

[1107] A.N.A : Boite 371, **Rapport 1938**, op. cit, p38.

[1108] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، 75.

النسيج خاصة الخيام، ذلك بمزجه مع وبر الإبل.

- **النوع الثاني** : ماعز متعودة على الإسطبلات، حيث تفضلها على المراعي[1109]، وهي الماعز السودانية بشعر لونه فاتح وأذن متدلية، تنتج الكثير من الحليب، ويكفيها بعض العشب، وجلودها مرغوب فيها[1110]، للصناعة الجلدية. وتلك الثروة الحيوانية يمكن الوقوف عليها من خلال الجدول الآتي :

جدول تطور عدد رؤوس الماعز والغنم (1915 – 1947). (الوحدة رأس)

السنة	1915[1111]	1921	1924	1926	1928	1929	1930[1112]
الماعز	40147	49239	48853	51495	45337	45389	46263
الغنم	33808	43492	4391	4517	34264	3488	3623

السنة	1931	1935	1938	1945[1113]	1946[1114]	1947[1115]

[1109] عثمان زقب : **الأوضاع**، نفس المرجع، 75..

[1110] André Voisin : édition 2004, op. cit, p235.

[1111] M. CH Lutaud : **les années1914 et 1915**, op. cit, p 55

[1112] Le capitaine Mariaud : **Tableau de les élevage en 1921 à 1930 de l'annexe d'El-Oued**, le 19 Mars 1931, dans A. D. M. El, El-oued.

[1113] Cap. Ferry : **Rapport sommaire sur l'évolution de la situation économique aux points de vue agricole et élevage dans l'annexe d' El-oued (1930-1945)**, Mars 1946, Archives Musée du Moudjahede d' **El-oued**, p4.

[1114] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، 78.

[1115] L'annexe d'El-oued : **Note sur la situation économique de la population musulmanes de la commune mixte d' El-oued, année 1951**, Archive Muséedu Moudjahede d' **El-oued**, El-oued, p **3.**

الماعز	45000	55010	34959	47313	49000	4931
الغنم	29957	46032	27314	35288	36000	33044

تربية هذين النوعين من الحيوانات يلاحظ عليها الاضطراب في معدلات الزيادة، فهي متباينة من سنة إلى أخرى، ذلك تبعا للظروف الطبيعية والإمكانيات البشرية، التي يطرأ عليها اهتزازات، نتيجة الظروف التي يعيشها كل من الراعي الأجير، أو صاحب المال. ومن هنا نلمس غياب دور المحتل في المساعدة على تطوير هذه الثروة الحيوانية، إلا من خلال تقسيم مناطق الرعي بين القبائل المنتمية لعرشي الأعشاش والمصاعبة، ذلك في 2 سبتمبر 1931 بإشراف الضابط المساعد المكلف من طرف رئيس ملحقة الوادي. لأن نشاط الرعي يغلب عليه التملص من نفوذ، ورقابة الإدارة الاستعمارية، حتى تخف الضرائب المسلطة والواجب دفعها.

كما أن الرعي في مثل هذا الإقليم الصحراوي الصعب المراس حال دون قدرة تدخل الإدارة لانعدام الوسائل الأكثر قدرة على السيطرة على حرفة الرعي، كانعدام وسائل النقل المتطورة، التي يمكن أن تسيطر على الوضع، كما أن الإمكانيات الحديثة في تربية، وتنمية الثروة كانت شبه منعدمة، ذلك كله جعل من حرفة الرعي تشهد حالة من المقاومة المطلقة، دون وجود لملمح التأقلم، الذي حاولت الإدارة الاستعمارية فرضه. كما أن استغلالها غير ممكن وصعب المراس، فهي ثروة محلية دورها ينحصر في المنطقة، لكن ما توفره من موارد مختلفة كالصوف والشعر والجلود، فهي الأخرى محدودة، لا تكاد تلبي الاحتياجات الأساسية من المواد الأولية، لكثير من الحرف اليدوية، لكون هذه الحرف لوحظ عليها الزيادة والانتشار والتوسع، مما زاد في ارتفاع نسب انتاجها، فهي

تتطور وفق الظروف الطبيعية، وإمكانيات الرعاة، لكن ما يلاحظ على الرعي هو الطابع التقليدي، الذي يتبعه الرعاة، حيث يعود أساسا إلى وضعهم البدوي، الذي يعتمد على الوسائل البسيطة التقليدية.

ولأعداد القطيع تسميات بحسب عدد الرؤوس، فنجد من يملك مائة رأس يقال لديه عصا، وإذا ما كان قطيعه يبلغ الخمس مائة رأس، يقال له مالك خمس عصي، كما تدعى المائة بالمطرق، والقطيع الأقل من خمسين يدعى بالسلبة[1116]، كما توجد تسمية " الصرعوفة "، وهي غير محددة العدد، لكنها أقل من 25 رأسا. أما ثروة الإبل، فهي الأخرى شهدت ملامح تطور متباينة، تبعا للظروف الطبيعية من جهة والمؤثرات البشرية من جهة أخرى، وتلك الثروة شهدت تطورا في تعدادها، وفق سنوات متعددة كالآتي :

جدول تطور عدد الإبل 1915 – 1947. (الوحدة رأس)

السنة	1915[1117]	1921	1925	1927[1118]	1930[1119]	1933	1935
عدد الرؤوس	8610	9587	8826	8067	8188	8446	8761

[1116] **حوار** مع السيد محمد الصالح تومي، مرجع سابق.

[1117] M. CH Lutaud : **les années1914 et 1915**, op. cit, p 55.

[1118] Le capitaine Mariaud : op. cit.

[1119] Ibid.

السنة	1936	1938	1939[1120]	1945[1121]	1946[1122]	1947[1123]
عدد الرؤوس	8440	7100	7145	8487	8400	8162

يتضح من خلال الجدول أن تعداد الإبل معتبر في وادي سوف نسبيا، خاصة مع بداية العشرينات، ذلك راجع لتساقط الأمطار، التي هطلت بالإقليم خلال (1921 – 1923 – 1925)، مما زاد في وفرة الكلأ بالمراعي[1124]. أما التناقص المسجل سنة 1927، فسببه الجفاف، الذي لم يدم طويلا[1125]، غير أن المراعي استعادت اخضرارها بفضل أمطار سنتي 1934 و1935، ليعم بعد ذلك المنطقة سنوات جفاف دامت من 1938 إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، ذلك ما جعل من تعداد الإبل يتناقص، رغم الانتعاش النسبي مع نهاية الحرب العالمية الثانية[1126]، كما أن العاصفة الرملية لشهر ماي 1947 تسببت في هلاك 50 رأسا من الإبل[1127]، كما توجد أسباب أخرى أدت إلى تناقص تعداد الإبل عما كانت عليه في بداية العشرينات، ويمكن حصر هذه الأسباب في تدهور تجارة القوافل، رغم انتعاشها نسبيا خلال الحرب العالمية الثانية، لاضطراب النقل عبر الشاحنات، نتيجة صعوبة التحرك المفروض على طريق الرقابة المشددة من طرف جيوش الحلفاء المتواجدة بربوع مناطق واسعة من

[1120] Le capitaine Ferry : **Rapport sommaire sur l'évolution du la situation economique que ou point de vue agriculture et élevage dans l'annexe d'El-oued pour le période en 1930 à 1947**, le 6 Mars 1946, A. D.M. El, El-oued, p 4.

[1121] Ibid, p 4.

[1122] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، 80.

[1123] L'annexe d'El-oued : **Note sur la situation économique**, op. cit, p3.

[1124] Gouverneur générale de l'Algérie : **Commissariat générale du centenaire les territoires du sud de l'Algérie**, Alger, 1929, p21.

[1125] A.N.A : Boite 508 , Dossier 1.

[1126] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، 81.

[1127] A.N.A : Boite 759, Dossier, **Rapport mai 1947**.

بلاد المغرب العربي عامة، والجزائر خاصة، بالإضافة إلى دخول وسائل النقل الحديثة فترة الثلاثينات والأربعينات، كمنافس للجمل في نقل السلع، مما قلل من الاهتمام بها والسعي الحثيث على تطويرها[1128]، كما أن تربية الإبل في وادي سوف، لم تعد تجلب فائدة كبيرة للمربين، لقلة استخدامها داخل الملحقة مع عدم توفر مصرف أو عمل لها خارج المنطقة، لكون عمليات التصدير نحو تونس وطرابلس أصبحت مراقبة ومشددة الحراسة، كما أن الفرق الصحراوية الفرنسية، التي اعتادت على اقتناء مهاري وادي سوف، لتدعيم وحداتها، تخلت عن ذلك وأصبحت تعتمد في تموين فرقها على مهاري التوارق، وشعانبة ورقلة، فلم يعد يقبلون على شراء المهاري من وادي سوف، رغم نوعيتها الجيدة[1129]. ويضاف إلى ذلك ظاهرة الاستقرار والتوطن، التي بدأت تظهر تدريجيا لدى البدو الرحل[1130]. أما الانتعاش النسبي، الذي حصل منذ منتصف الحرب العالمية الثانية، واستمر لنهايتها في تعداد الإبل يعود أساسا لحدوث مشاكل في النقل بين وادي سوف وبسكرة، نتيجة نقص العجلات والبنزين، وقطع غيار الشاحنات، مما عطل حركة المواصلات، فأجبر السكان في الاعتماد على الإبل، خلال فترة الحرب العالمية الثانية، كوسيلة نقل ناجعة، لكن هذا الاهتمام بهذه الثروة سرعان ما زال مع حل مشكلة النقل[1131]. وأمام هذا الوضع حاولت الإدارة الفرنسية بوادي سوف تقديم منح تشجيعية، لمربي الإبل حفاظا على توازنها، حيث وصلت سنة 1928 إلى 2500 فرنكا جزءا منها، كان مخصصا لتربية المهاري، لأجل تسهيل توفيرها للفرق الصحراوية[1132]، التي تحاول السلطة الاستعمارية ضبط وتكثيف دوريات المراقبة من أجل القضاء على حركة التهريب، والتجارة غير المقننة خاصة على الحدود الليبية، لكونها مستعمرة إيطالية، وقد زادت هذه المراقبة بصورة مكثفة، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، نتيجة ما أصبحت عليه السياسة الإيطالية من ضعف سمح لليبيين من أن يتحرروا، ولو نسبيا، لترتفع المنح التشجيعية لمربي الإبل إلى

[1128] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 81.

[1129] A.N.A : Boite 371, **Rapport 1938**, op. cit, p p 40, 41.

[1130] André Voisin : édition 2004, op. cit, p234.

[1131] A.N.A : Boite 499, Dossier 4.

[1132] Gouverneur générale de l'Algérie : **Commissariat,** op. cit, p p 214, 215.

4000 فرنكا في 3 ديسمبر 1938[1133]، لترتفع مجددا في 12 ماي 1948 إلى 25000 فرنكا للإبل، وكذا الأغنام[1134]، هذا بدوره جعل الإدارة الاستعمارية تتدخل في حرفة الرعي، ولو بنسبة محدودة، لكن مع ذلك كان هناك تجاوب نسبي للفاقة، التي كان عليها المجتمع بوادي سوف. وقد يعد هذا الصنيع من الإدارة الفرنسية، هو الضغط على السكان بالإقليم، حتى يتقبلون التعامل مع الإدارة في إطار التأقلم، الذي يحاول المحتل فرضه على كل فئات المجتمع بوادي سوف، بما فيهم الرعاة وملاك الماشية عامة، ورعاة وملاك الإبل خاصة، ذلك لما تمثله هذه الثروة الحيوانية من أهمية اجتماعية واقتصادية.

أما الأهمية الاجتماعية، التي تبرزها هذه الحرفة، فهي تتمثل فيما تقدمه هذه الثروة من قيم، لكل من الرعاة الذين يحاولون إيجاد مكانة اجتماعية، تضمن لهم التواجد بصورة كريمة بين فئات المجتمع. أما الملاك فإن تزايد عدد القطيع، يزيد من ثرائهم المالي، مما يضمن لهم مكانة اجتماعية تليق بمقامهم بين فئات المجتمع بالمنطقة، ذلك بدوره يساعد أولئك على احتلال مواقع اجتماعية مؤثرة. أما الدور الاقتصادي، فيكمن في ما يمكن أن توفره هذه الثروة من رخاء مالي لأصحابها، وما تقدمه من احتياجات، وخدمات عديدة، لم يكن المجتمع بوادي سوف في غناء عنها، لذلك كانت الإدارة الاستعمارية تحاول التضييق على السكان، قصد استمالتهم والتأثير عليهم، وجعلهم يتفاعلون مع السياسة الفرنسية، رغم محاولات التهرب من الضرائب المستحق على رؤوس الماشية والإبل.

4 – وسم الإبل ودوره في حماية الثروة[1135] :

الوسم عملية متعارف عليها لدى الرعاة، وتظهر في رعي الحيوانات الكبيرة، كالإبل عند العرب، والبقر، وغيرها من الحيوانات المجترة عند الأفارقة والغربيين. والوسم معروف بوادي سوف بالطابع، وهو وسيلة هامة للحفاظ على عناصر القطيع من الإبل، وهو وسيلة مستخدمة منذ القدم،

[1133] A.N.A : Boite 37 , Rapport 1938, op. cit, p 41.

[1134] L'annexe d'El-oued : **Note sur la situation économique** : op. cit, p 3.

[1135] موسى بن موسى : " طابع (وشم) الإبل بين المحافظة على ملكية الثروة والتأسيس للهوية والتراث (وادي سوف نموذجا) "، من **كتاب التراث الثقافي**، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2011، ص ص 58 – 65.

بحيث تعود إلى القبائل الأمازيغية، ذلك للرموز ذات الدلالات الأمازيغية. وبمرور الوقت صار الوسم يتأقلم، والوضع الطبيعي الذي يفرض على الراعي، ومالك القطيع اتخاذ وسيلة، تكون أكثر حماية، لكل عنصر من قطيع الإبل من جهة، كما أن تربية الإبل، تختلف على الكثير من المواشي، فهي ثروة حيوانية تدخل ضمن المواشي، غير أن تربيتها تقتضي الفسحة، والرعي المفتوح، هذا ما يجعل عملية المتابعة من الصعب القيام بها، فكانت وسيلة الوسم أفضل أسلوب يضمن سير العملية الرعوية بسلاسة ومرونة. وهذه الظاهرة ليست حكْرا على سكان وادي سوف، بل نجدها متواجدة في مناطق عديدة من ربوع العالم الفسيح. فالوسم في وادي سوف له خصوصياته، وهذه الخصوصيات يتبع فيها ضوابط يتعارف عليها السكان، ومع هذا فإن تطور تربية الإبل، كان يتم وفق نمو تراوح بين الزيادة والنقصان، حسب الظروف الطبيعية المؤثرة في هذه الثروة، مع العلم أن هذه الحيوانات، ترعى في مساحات واسعة، مما يفرض تركها ترعى بحرية، وهي لا تربى في إسطبلات محدودة المجال، ذلك يفرض على القبائل والعروش بوادي سوف اعتماد الطابع على أفخاذها، فنجد في الجمل الواحد أكثر من شكل، حيث يخصص رمز للعرش، ثم القبيلة، وآخر للعائلة المالكة، ذلك ما يوضحه أحمد نجاح[1136].

والوسم أسلوب تعايش تعارف عليه المجتمع بوادي سوف، ليضمن لملاك هذه الثروة أحقيتهم من ناحية، ومن ناحية أخرى هو ضمان حقوقهم، كما تقوم هذه الوسيلة على وسم الفخذ الأيمن للجمل أو الناقة على السواء، ذلك بتخصيص طابع خاص لكل عرش، في حين نجد أن العرش الواحد قد يتخذ له عدة أشكال تضاف للطابع الأصلي لكل قبيلة. وفي القبيلة الواحدة عدة عائلات، وهي تحافظ على طابع العرش، لكن تتمايز في إحداث تغيير يعرف بالعزل على مستوى الأذن، وذلك على أربع حالات هي :

الشرك : وهو شرك الأذن من الأسفل، دون فصل الجزء المشروك، وإبقاء الجزء عالق بالأذن اليمنى.

[1136] Ahmed Nadjah : op. cit, p p 151 - 155.

القطف : هو قطف جزء من أعلى الأذن، حيث يكون جزءا صغيرا جدا.

الصبع : وهو نزع قطعة من الأذن على شكل إصبع رجل عاد.

شطب الرقبة : وهو تعليم الرقبة بشطبة، أو شطبتين تعلم بملقط من الحديد، ذلك بوضعه على النار.

وفي حال ما إذا لم تف هذه الوسائل في الفصل، والتمييز بين قطعان الإبل، يلجأ إلى استعمال الفخذ الأيسر، ذلك كله من أجل الفصل بين عناصر القطعان[1137]. باعتبار الوسم، وما تبعه من وسائل تمييز بطاقة هوية، كما تعد وسيلة ناجعة في الحفاظ على ثروة الملاك، واستعمالها أمر تلح عليه الضرورة. إنطلاقا من طبيعة حركة الإبل، التي تجوب البراري في مسافات، تتعدى في اليوم الواحد أكثر من 50 كم، بالإضافة إلى كون تربية الإبل تتطلب البراح الواسعة، فهي لا يمكن أن تربى في الإسطبلات. ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن نظام الوسم (الطابع)، وسيلة توضح مدى التنظيم، الذي وصل إليه المجتمع بوادي سوف، حتى يستطيع تطوير آليات التعايش على مستوى كل الميادين، والوسم عاملا أساسيا، للحفاظ على العلاقة القائمة بين فئات المجتمع بوادي سوف، بجميع فئاتهم بما فيهم السكان اليهود، ذلك لم يسمح للإدارة الاستعمارية بالتدخل في توجيه تلك الثروة، باعتبارها موردا هاما للمجتمع بالمنطقة، كما أن الوظيفة الأساسية، التي تقوم بها هذه الثروة، هي استعمالها الواسع في عملية المبادلات التجارية، بالإضافة إلى استغلالها في الغذاء. وتلك الثروة الحيوانية من غنم وماعز، وإبل هي ممتلكات خاصة حاول أصحابها التمسك بها لما تمثله من خصوصية اجتماعية، واقتصادية تضمن للفرد مكانة اجتماعية في الوسط الاجتماعي بوادي سوف، مما يجعلها ركيزة تستحق الرعاية الواجب توفرها، لكن رغم التسهيلات، التي أبدتها الإدارة الاستعمارية، قصد التظاهر بملمح التحضر تجاه هذه الثروة، كالمساعدات المالية المقدمة، خاصة

[1137] **حوار** مع السيد خليفة الريغي، مرجع سابق.

لتطوير وتنمية عدد الإبل من نوع المهاري، لاستغلالها للمراقبة. خصوصا مراقبة الحدود الممتدة من الحدود التونسية والليبية، التي كانت تمثل متنفسا اقتصاديا للسكان بوادي سوف.

ومما سبق يتبين لنا أن حجم التأثير الذي أبدته سياسة التغلغل الاستعماري كان محصورا جدا في بعض المساعدات، لما كانت عليه حرفت الرعي التي اعتمدت أسلوب الترحال نتيجة احتياجها للمراعي الواسعة لكل من الإبل والماشية لافتقار الإقليم للمراعي المعشوشبة من ناحية، بالإضافة إلى الطابع المناخي القاسي من ناحية ثانية، كل ذلك حال دون تدخل الإدارة الاستعمارية المباشر في ضبط سيرورة الرعي، وإدخال التقنيات الحديثة، إضافة إلى انعدام الاستثمار الكولونيالي بالإقليم نتيجة الصعوبات التي يواجهها الرعاة من الساكنة بخلاف ما سيواجه المستثمرين الكلون، ومن هنا كان حجم تأثير التغلغل الاستعماري ضامر نتيجة الصعوبات التي تكتنف حرفة الرعي، كما أن مردود الرعي في الأقاليم الصحراوية يظل محدود المردودية أمام ما يحتاجه الرعي من دعم مادي ومعنوي، لذلك ظل الرعي غير مرغوب فيه من قبل الإدارة الاستعمارة مقارنة بما قدمته إبل المهاري بالإقليم من دعم لمراقبة الحدود بين الجزائر وليبيا والجزائر وتونس.

ثانيا – الـــــــــــــــزراعـــــــــــــــــــــــة :

الـــــــــزراعة نـــشاط اعتاد عليه الإنسان منذ القدم، لما تمـــــثله من أهمية اقتـــصادية، حيث توفر الحاجيات الأســـاسية للفرد والمجتمع، كما أن الزراعة حرفة متوارثة، لا يخلو مجتمع من الانشغال بهـــــــــا، حيث تعد الزراعة النشاط الاقتـــــصادي الأكثـــــــر ممارسة بـــــــــــوادي سوف، بحـــــكم عزلة المنطقة وافتـــــــــــــقارها لموارد أخـــرى، واستـــــــــفادة المنطقة بـــــــطبقة مياه تحت رمال العـــرق الشرقي في الطبقة المعروفة باسم (Albien)[1138]، وهي الطبقة المائية الجوفية الارتوازية الساخنة، كما يتمتع وادي سوف بوجود الطبقة الدوتروية، مما يبقي على استمرارية حياة ونمو النخيل، لوجود نهر جوفي متحرك؛ لأن المياه الراكدة

[1138] J. Scelles Millie : op. cit, p 17.

تقتل الأشجار، التي تعيش عليها[1139]، فبعث الروح في هذه المنطقة القاحلة، والمتواجدة وسط محيط من الكثبان الرملية، ما يخيل للزائر من الوهلة الأولى، أنه من المستحيل توفر حياة، ونشاط بشري داخلها، ليكتشف فيما بعد " أرخبيلا " من واحات النخيل، تمتد لحوالي 60 كلم من الشمال إلى الجنوب وهي غيطان وادي سوف.

وكانت النخلة أهم شاهد على الازدهار الزراعي، وعلى مدى كفاح المجتمع بوادي سوف، لمجابهة الطبيعة القاسية، فكان ذلك تحديا للعنصر الأوروبي، الذي عجز في بعث الزراعة في مثل هذه العوائق، والباعث على تطوير النشاط الزراعي في مطلع القرن 20م، لكن عدم تطور الإمكانيات، والوسائل المستعملة، حال دون اتساع الملكية الزراعية الكولونيالية، التي انحصرت في 14 شجرة، تم زرعها سنة 1925[1140]، كما تواجد معمر حاول الاستثمار في زراعة النخيل سنة 1931 في منطقة "ميه صالح"[1141]، غير أنه تخلى عن مشروعه نتيجة انخفاض مستوى الماء[1142]، وصار من الصعب استغلاله، بخلاف التوغل الواسع للرأسمال الأوربي، والفرنسي في الزراعة الجزائرية[1143]، التي برزت من خلال المستثمرات الفلاحية الرأسمالية[1144]، والتقنيات والتجهيزات الزراعية الحديثة[1145] بالمناطق الخصبة، والصالحة للزراعة بالشمال، كما يوجد في وادي سوف زراعات أخرى، مثل التبغ الذي لم تعرف زراعته إلا في أواخر القرن 19م، مسقدما من القطر التونسي، والزراعات المعاشية. ومنه يلاحظ الدور الهام لها في المجتمع بالإقليم، لما تمثله من أهمية في حياة الفرد والمجتمع. وهي التي جعلت

[1139] جورج غيرستر : **الصحراء الكبرى**، تعريب خيري حمادي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961، ص 101.

[1140] Bataillon Belvatte : **Renseignements sur la propriété (les cultures, le crédit et la situation commerciale) dans l'annexe d'El-oued**, 5 Novembre 1929, dans A. M. M. El, EL-oued, p 5.

[1141] قرية تبعد عن الوادي بمسافة 31كلم بالشمال الغربي.

[1142] Claude Bataillon : op. cit, p 89.

[1143] عميراوي احميدة وآخرون : **آثار السياسة**، المرجع السابق، ص 58.

[1144] عميراوي احميدة وآخرون : نفس المرجع، ص ص 58-60.

[1145] نفسه، ص ص 62، 63.

من الفلاح بوادي سوف يتكيف مع بيئته الصحراوية الصعبة الميراس، ومحاولة توظيفها وفق آليات متعددة، والزراعة الهامة في وادي سوف هي :

1 - زراعة النخيل :

إن زراعة النخيل قديمة بقدم الحضارات[1146]، لما تمثله النخلة من خلال منتوجها، كزراعة أساسية، تدخل ضمن دائرة الغذاء الأساسي للفرد. وزراعة النخيل تتطلب من الفلاح بالمنطقة القيام بخطوات أساسية، مثل عملية إنجاز الغوط، ثم الغراسة، التي تتميز بكثير من التعقيدات والصعوبات، مما يجعل الكثير من الفلاحين يحبذون الهجرة إلى وادي ريغ والزاب، لسهولة زراعة النخيل بهذين الإقليمين، هذه الخطوات التي تساعد في إنجاز كل من الغواطين، وغرس النخيل يمكن حصرها في :

أ - عملية إنجاز الغواطين، وغرس النخيل :

إن إنجاز الغواطين، وغرس النخيل عملية مستمرة عرفها المجتمع بوادي سوف منذ ازل بعيد، ذلك لما للغوط، وغرس النخيل من قيم حضارية، تنعكس إيجابا على الفرد والمجتمع، كل بحسب احتياجاته الاجتماعية والاقتصادية. وإنجاز الغوط، وغرس النخلة كلاهما يحتاج لآليات يكون الإنسان العنصر الأساس في اقامتها، ذلك ما سنقف عليه من خلال الآتي :

١ - *عملية إنجاز الغواطين* : الغوط هو إنجاز حضاري يستحق الاهتمام به، لما يمثله من غرابة وانبهار، رغم الطابع التقليدي، الذي تميز به، إلا أن إنجازه عمل يحتاج إلى جهد بشري عظيم، وقد نلمس عظمة الغواطين، حينما نمر بمنطقة " ميه باهي "، حيث يتوسط الطريق مجموعة من الغواطين، وهي تبدو كالوديان والمنحدرات بالطرق الجبلية، لأن عمق الغوط قد يزيد عن 15 متر. وكلمة الغوط جاءت في لسان العرب قال أَبو حنيفة : « من بواطن الأَرض المُنْبِتةِ، الغِيطان، الواحد منها غائط وغوط، وكلُّ ما انْحَدَرَ في

[1146] محمد العدواني : المصدر السابق، ص ص 280، 281.

الأَرض فقد غاط[1147]». والغواطين مفردها غوط، كما يجمع بلفظ غيطان، وهو عادة ما يطلق على الجر أو منطقة الرمال الدقيقة[1148]، ويطلق عليها "بالأهواد"[1149] التي مفردها هود ويكون في الأرض الحصوية أو الصحن[1150].

والغواطين عبارة عن أحواض، ذات امتدادات واسعة، تبلغ مئات الأمتار طولا وعرضا، وتصل أعماقها إلى 16 متر، غير أن إنجازها يتطلب الصبر والذكاء، مرورا بعملية رفع الرملة[1151]، التي تتم عن طريق تشارك مجموعة من الفلاحين، حيث لا يمكن لفلاح واحد أن ينجز غوط لوحده، لما يتطلبه من جهد عضلي كبير[1152]. وعند بداية إنجاز الغيطان، أو مزرعة النخيل في وادي سوف، يتم حفر حوض كبير من خلال رفع كميات هائلة من الرمال للاقتراب أكثر من طبقة الماء بحوالي 1.5 متر إلى 2 متر، وتكون البداية عن طريق رفع الكثيب الشمالي وتثبيته نهائيا[1153]، حتى يصبح غير مهدد للغوط من خلال زحف رماله في اتجاه الغوط، ويتم رفع رمالها على ظهورهم، أو دوابهم، أو بالاستعانة بما يعرف بالرمالة[1154]، ويلقون بها بجوانب الغوط على مسافة 200 و320 قدما[1155]، ذلك حتى يؤمن خطرها على الغوط، كما يحاط الغوط بأكثر من سياج، يعرف بالزرب

[1147] ابن منظور : **لسان العرب**، ج 9، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر، (د. ت)، ص 239.

[1148] علي غنابزية : " أهمية الغوط وأبعاده الاقتصادية في تراث وادي سوف "، من كتاب **التراث الثقافي حفظ المعالم والقطاعات المحفوظة**، ط1، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2008، ص 70.

[1149] أحمد زغب : **التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف**، رسالة ماجستير، مخ، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2000، ص 63.

[1150] علي غنابزية : " أهمية الغوط "، المرجع السابق، ص 70.

[1151] André Voisin : édition 2004, op. cit; p 199.

[1152] ذلك لانعدام الوسائل الحديثة التي بإمكانها أن تخفف العبء على الفلاح، وحفر غوط يستغرق عشرات السنين تبعا لزراعة النخيل التي تمتد على أطراف الغوط، مما يضطر الفلاح إلى رفع الرمال إلى خارج الغوط، وهكذا تستمر العملية إلى أن يتسع الغوط الواحد لأكثر من نصف هكتار أو يزيد إذا ما كانت المنطقة أقل كثافة من تواجد الرمال.

[1153] G. H. Bousquet : **Du droit coutumier,** op. cit, p 81.

[1154] وهم عمال يشتغلون بالأجرة في رفع الرمال من الغيطان.

[1155] محمد الساسي بن الحاج : المصدر السابق، ص 337.

المحدث من خوص النخيل، ويكون أحدهم مفتوحا فتحة محدودة باتجاه الغرب، والآخر باتجاه الجنوب. هذا حتى تستطيع الرياح الشمالية تحريك بعض الرمال من القاع، لترمي بها إلى الأعلى من فتحة الجنوب. والرياح الشرقية تحرك بعض الرمال من القاع، لترمي بها إلى الأعلى من فتحة الغرب. وتختلف أعماق هذه الغواطين، ما بين شمال وادي سوف وجنوبها، ففي المناطق الجنوبية يصل عمق الغوط في عميش مثلا 17 متر، وفي الوادي المركزي 13 متر، وفي المناطق الشمالية كالرقيبة مابين 4 أمتار إلى 7 أمتار. وبقمار وسيدي عون والسويهلة، والذكار والبهيمة، والدبيلة وحاسي خليفة إلى أقل من ذلك[1156]. علما أن هذه المناطق الأخيرة يغلب عليها قلة الرمال، مما يتعذر علينا رؤية كثيب واحد، كما تكثر بها الترشة[1157].

٢ - *غـــــــــــــراسة النخيـــــــــــل* : إن عملية غرس النخيل قديمة قدم الحضارات الغابرة، حيث يقر العدواني بأن غراسة النخيل تعود لهابل بن آدم (عليه السلام)[1158]. أما زراعة النخيل بوادي سوف فقد بدأ منذ زمن غابر[1159]، لكن الاهتمام بغراسة النخيل حديثا، كان من خلال حث سيدي مسطور، لأبنائه بغرس النخيل بوادي سوف، لكنهم لم يمتثلوا لذلك، إلا بعد موته، ذلك حينما رأى أحد أحفاده، وهو مسطور بن الهادي بن سيدي مسطور، أن جده سيدي مسطور يحفر بالقرب من زاويته، فسأله عن ذلك، فلم يجبه، ففهم منه أنه غاضب عليهم، فتلطف به، حتى أفصح له، بأنه سيغرس النخل، فاستيقظ مرعوبا ليتوجه إلى الجريد، ليجلب غرسات صغار، ليغرسها بالقرب من الزاوية، مشكلا بها غوطا، عرف بغوط سيدي مسطور، وعندما شاهده الناس، صاروا يقلدونه في ذلك، لتمتد غراسة النخيل إلى الجهة الجنوبية، ثم تواجد النخيل بالجهة القِبلِيَّة، وصار

[1156] André Voisin : op. cit, p 201.

[1157] الترشة هي حجارة صغيرة ذات رؤوس مدببة وعديدة، وهي غير صلبة يمكن فركها باليد.

[1158] محمد العدواني : المصدر السابق، ص 281.

[1159] والدليل على ذلك مسميات التمور التي تأخذ كلمات أمازيغية، **بالإضافة** إلى مسميات بعض أجزاء النخلة كالليف والتيق...إلخ.

عميشا. أما الاهتمام الفعلي بغرس النخيل حديثا، فكان مع سيدي مسطور الأول[1160] واعدا إياه بغرس النخيل زمنا، ليتم فيما بعد تحضير فسيل النخيل لغرسها، ويستخدم لذلك ما يعرف بالحشان، وأفضله ما يجلب من المناطق ذات التربة المالحة، كوادي ريغ وورقلة[1161]، كما يمكن الغرس باستخدام ما يعرف " بالرُكّاب "[1162]، أو نواة التمر، لكن مدة نموها بطيئة جدا[1163]، غير أن ما ينتج عن النواة يكون في الغالب ذكارا[1164] فالحشان المحضر للغرس، يجب أن يعد بعناية، حيث يوضع الحشان المراد غرسه في حوض من الرمل، ثم يسقى، حتى ينبت جذورا جديدة. وعندما يحين موعد الغرس يتم تحضير الحفرة، التي ستغرس فيها الحشانة، وتكون أعماقها على الأكثر من 0.8 متر إلى 1 متر عن مستوى طبقة الماء[1165]. ويتم غرس النخيل في فترة مارس أفريل، لغاية ماي من كل عام، كما أنه بالإمكان أن تغرس أيضا ما بين 15 سبتمبر و15 أكتوبر[1166]، من كل عام، ثم يتم سقي الغراسة من 8 إلى 15 يوما، لتسهيل استرجاعها للنمو، ويتم فيما بعد ترك جذورها لتتمكن من امتصاص الماء من باطن الأرض[1167]. أما تغذيتها، فتتم عن طريق العزق، ذلك بتزويدها بالمواد العضوية، التي تتمثل في الأساس في فضلات الإبل، التي يطلق عليها بالجلة، وتجمع من طرف بعض الأفراد قصد بيعها، وقد يكون من هؤلاء رعاة الإبل، حيث تباع بالغرارة[1168]. وعملية العزق تتم بحفر حفرة، تمثل نصف دائرة تحيط بالنخلة، وتبعد عنها بمسافة أربع إلى خمس أقدام. وعمق الحفرة 1 متر إلى 1.5 متر، وعرضها يتراوح بين أربع وخمس أقدام، ليضع فيها بين أربعة وسبعة حمول من الجلة، الحمل

[1160] غير أن هذا غير ثابت. إبراهيم بن عامر : **الصروف في تاريخ سوف**، ج2، (مخ)، نسخة مكتبة سيدي سالم، بخط الشيخ سيدي مصطفى سالمي، ص ص 190، 191.

[1161] C. Cauvet : " La culture de la palmier au souf ", **Revue Africaine**, 1er trimestre, 1914, p 36.

[1162] وينمو بجذع النخلة حيث يستخدم بعد انتزاعه في غرس النخيل.

[1163] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 208

[1164] وهي النخلة التي يستغل منتوجها حبوب طلع لتلقيح النخيل، فهي لا تثمر.

[1165] Daviault : op. cit, p p 19, 20.

[1166] C.Cauvet : **Culture**, op. cit, p p38, 39.

[1167]. Daviault : op. cit, p 20.

[1168] الغرارة كيس منسوج من وبر الإبل الممزوج بشعر الماعز وهو يحمل على الإبل لأن طولها لا يسمح بحملها على الدواب الأخرى.

به غرارتين، والغرارة تحمل ما قيمته 1 قنطار من التمر أو القمح، لكن حمل الجل أقل لكثافة الجلة الخفيفة، هذه العملية لا تعاد إلا بعد سنوات، ذلك تبعا للحمول المستعملة في العزق، حيث أن أربعة حمول تكفي لخمس سنوات على الأكثر، وكل ما زادت الحمول، كلما استطاعت النخلة الاستغناء عن عملية العزق لمدة أطول، كما أن الكمية المستعملة لتغذية النخلة، يتوقف على القدرة المالية للفلاح، أو المالك. وتتم هذه العملية بإشراك أربع نخلات مرة واحدة، وتسمى بالرباعي. أما المرة الثانية للعزق فتكون للنخيل المجاورة للسابقة[1169].

والعزق من بين الأعمال، التي تحتاجها النخلة، بالإضافة إلى عملية التذكير (التأبير)، وتكون في موسم التلقيح، الذي يكون أواخر الشتاء والشهر الأول والثاني من فصل الربيع، ذلك بأخذ بعض الأعراف من الذكار، ووضعها وسط العرجون مع ربطه بسعفة، ربطا خفيفا، حتى يستطيع العرجون فك الرباط، عندما تتم عملية التلقيح، وهي عملية تنفصل عن العزق، كما توجد عملية تشفيف النخلة، ذلك بإزاحة الجريد الميت بطريقة تضمن لمتسلق النخلة، أن يتسلقها بسلاسة، حتى تبدو النخلة ذات مظهر جميل ولائق، كما يمكن خلال هذه العملية، تنظيف النخلة من الليف؛ أي اللحاء المتواجد بين الجريد، ذلك للحفاظ على النخلة من الأمراض، لأن الليف عبارة عن لحاء من النبات الخشن، الذي تعلق به الكثير من العوالق، التي تشكل أضرارا للنخلة. والنخيل ذو مردود هام بالنسبة للمجتمع، حيث يعد الركيزة الاقتصادية الهامة، كما أنها تمثل المورد، الذي يحمي المنطقة

[1169] **حوار** مع السيد علي بن عمارة أحد ملاك النخيل بوادي الترك يوم 24 جمادي الثانية 1430هـ/18 جوان 2009 مساء.بمسجد صهيب الرومي بحي النور الشمالي بالوادي.

من المجاعات، التي تصيب السكان الجزائريين في حالات الجدب[1170]، والجفاف. وقد شهد نخيل وادي سوف توسعا كبيرا، خلال النصف الأول من القرن 20م، وأصبح امتداده من الشمال إلى الجنوب من 50 إلى 60 كلم ومن الشرق إلى الغرب من 15 إلى 20 كلم[1171]، كما شهد بروز منافسة محدودة من طرف المعمرين، ذلك لما تشكله زراعة النخيل من صعوبة، خاصة في المناطق كثيفة الرمال، بخلاف المناطق الشمالية، والشمالية الغربية. وقد عرفت غراسة النخيل منذ الاحتلال تزايدا مستمرا، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي :

جدول تطور زراعة النخيل من 1860 إلى 1945.

السنة	1860	1883	1887	1900	1909	1914	1915
تعداد النخيل	60000	154000[1172]	160000[1173]	202300[1174]	365198[1175]	298415	298675[1176]
السنة	1921	1925	1926	1927	1930	1936	1945

[1170] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 115.

[1171] L'annex d'El-oued : **Note sur la situation économique,** op. cit, p8.

[1172] C. Cauvet : **Notes**, p 97

[1173] C. Cauvet : **Culture**, op. cit, p p38, 39..

[1174] M. CH. Lutaud : **Situation générale en l'année 1910**, op. cit, 1911, p 82.

[1175] ريمون فيرون : **الصحراء الكبرى**، ترجمة د. جمال الدناصوري، مراجعة شكري نصر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967، ص 105.

[1176] M. CH. Lutaud : **Situation générale en les année 1914 et 1915**, op. Cit, p 55.

تعداد النخيل	319095	320031	324463	334447	336120[1177]	350000[1178]	345534[1179]

الاهتمام بغراس النخيل يعود إلى أهمية تصدير التمور، باعتبارها موردا زراعيا وفيرا خاصة "دقلة نور[1180]"، التي كانت لها الأهمية البالغة، والتي تُصدَّر إلى فرنسا، كما تحتل دقلة نور المرتبة الأولى من حيث النوعية بين نخيل الجزائر بأسرها[1181]، إضافة إلى الغرس، هو المصدر الأهم عند السكان، لما يمثله من قيمة غذائية معتبرة من جهة، ومدى تحمله للمؤثرات الطبيعية، خاصة إذا ما خبئ بطريقة ملائمة، هذا ما يجعله المحصول الأكثر أهمية، فهو يستغل في فترات عديدة، حيث نجده في الشهر الثاني من الصيف يظهر في شكل "البسر" المعروف في اللغة بالرطب، فهو بهذا الشكل نجده المحصول الأكثر أهمية لدى السكان للقيمة الغذائية، باعتباره العولة الأساسية الدائمة لهم. أما دقلة نور، فهي غلة تستغل للتصدير، لاقتنائها من طرف الأسواق الخارجية، سواء بالجزائر، أو حتى خارجها، كما نجد الدقلة البيضاء المستغلة من طرف سكان تقوات والطوارق، ذلك لطبيعتها الجافة، حيث تتصدق وتحمل على شكل مادة مطحونة (سفوف). ومن خلال هذه الأهمية، فإن تطور زراعة النخيل، كانت مبنية على الزيادة السكانية في الإقليم من ناحية، وتعاظم حاجة السوق للتمور.

[1177] C. Mariaud : op. cit

[1178] Daviault : op. cit, p 25.

[1179] C. Ferry : **Rapport sommaire** (1930-1945), op. cit, p 1.

[1180] إن دقلة نور وادي سوف كانت أرقى من جميع صنفها في الجزائر، لكون الوسائل المستحدثة كتغطية العرجون بكيس من الابلاستك لم يكن متبعا، إضافة للعناية التي كانت تحضى بها نخلة دقلة نور لحسسيتها المفرطة للأمراض والأوساخ، فكان ذلك كافيا لجعلها محل اهتمام من قبل الفلاح، لكونها التمر المصدر بالدرجة الأولى للأسواق الداخلية في الشمال وإلى أوربا، **إضافة** إلى أن النخيل بعلي فقيمته الغذائية عالية على نخيل وادي ريغ والزيبان.

[1181] Pierre Munier : **Le palmier Dattier**, GP, Maison neuvre, Paris, 1973, p 51.

2 – زراعة التبغ :

زراعة التبغ زراعة حديثة بوادي سوف، لم يكن سكان الإقليم يألفونها، غير أن المعروف عن التبغ، هو عشب طبيعي. والتبغ نبات طبيعي يستغل في استعمالات الطب الشعبي، يعرفه السكان بالدخان، حيث يعرِّفه العوامر بالطابا والتابغة، وهو غالبا ما يستعمل لمداواة العين[1182]. وهو من بين المزروعات، التي جاء بها بعض المهاجرين من تونس إلى وادي سوف، وأول منطقة بدأت زراعته بالإقليم، هي قمار. وكان ذلك نهاية القرن 19م[1183]. والتبغ يعد المنتوج الزراعي الثاني لدى المجتمع بوادي سوف بعد النخيل[1184]، وذو الأهمية الاقتصادية، لكون زراعته تدخل ضمن الزراعات النقدية المفعلة لحركة التجارة، حيث جلبت بذوره من نواحي باجة التونسية[1185]، ليتعدى حدود وادي سوف في أواخر القرن 19م؛ أي منذ 1885. يذكر " شارل فيرو " (Charles Feraud) : « أن تبغ وادي سوف قوي، ومطلوب في كل الصحراء، وينتج مرتين في السنة حتى كانت قمار لزمن طويل مهد زراعته والمنتج الوحيد له.[1186]»، وفي إحصائية تبين قوة علاقة المزارعين بوادي سوف مع المحتكرين التونسيين، هذا ما تؤكده وثائق الإدارة الاستعمارية، حيث كانت ترصد كل التطورات المتعلقة بهذا المنتوج الزراعي الدخيل على المنطقة. والجدول الآتي

[1182] إبراهيم العوامر : **الصروف في تاريخ سوف**، ج1، (مخ)، نسخة مكتبة سيدي سالم، نسخ سيدي مصطفى سالمي، الوادي، ص 34.

[1183] André Voisin : op. cit, p 230.

[1184] Ahmed Nedjah : op. cit, p 74.

[1185] **صوت وادي سوف**، جريدة تصدر باللغتين (الفرنسية – العربية) عن المكتب الفرنسي الخامس، بالوادي، عدد سنة 1958، مخ بستانسيل، ص 10.

[1186] علي بوصبيع العايش : " النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة أهل سوف "، **مدونة الندوة الفكرية الثامنة الأمين العمودي**، دار الثقافة الوادي أيام 28 – 30 ماي، 1995، ص 16.

يوضح تطور قيم التبغ المصدر من طرف التونسيين :

جدول يوضح كمية استيراد التبغ من طرف التونسيين خلال سنوات (1906 – 1910)[1187].

السنة	1906	1907	1908	1909	1910
القيمة المصدرة	50869	60424	106535	105344	83992

(الوحدة كيلوغرام)

إن تتبع القيم المصدرة والمبينة في الجدول أعلاه، يدل على أهمية التبغ، حيث قدر الإنتاج سنة 1910 بـ 150 ألف كغ[1188]. وزراعته عرفت تطورا مستمرا نتيجة الجودة، التي كان يحضى بها. ويعد وادي سوف المركز الرئيسي، لإنتاج التبغ في الجنوب، وهو تبغ غني بالنيكوتين ومطلوب بكثرة[1189]، وإنتاجه السنوي يتأرجح ما بين 500 و800 قنطار[1190]، ويوجد في ثلاث مناطق هي قمار والمقرن[1191]، والرقيبة[1192] خصوصا[1193]. وكان يتم تصديره للمناطق التلية، وكذا تونس، هذه الأخيرة التي ساهمت بقوة مع بداية القرن 20م بالتوسع الكبير لزراعته بوادي سوف بفضل ما تستورده من كميات معتبرة، حتى أنها قامت سنة 1906 ببناء برج في قمار موجه لتخزين المنتوج لنقله إلى

[1187] Lutaud : **Situation générale,** année 1910, op. cit, p 84.

[1188] Ibid, p 84.

[1189] Ibid, p 83.

[1190] Claude Bataillon : op. cit, p 93.

[1191] قرية تبعد عن الوادي المركزي بـ30 كلم من الشرق.

[1192] قرية تبعد عن الوادي بـ 35 كلم من الشمال الغربي.

[1193] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 230.

تونس[1194]. لكن منذ نجاح زراعة التبغ في منطقة قابس التونسية سنة 1910م بدأت المشتريات التونسية من تبغ وادي سوف تتراجع، لتتوقف المشتريات نهائيا سنة 1914[1195]، مما تسبب في كارثة حقيقية لزراعة التبغ بالإقليم، حيث انخفض تعداد المزارعين سنة 1914 بأكثر من خمسي(2/5) العدد، مما جعل الكميات المنتجة تنخفض بـــثلثين (2/3) من الإنتاج السابق، فحصل تكدس كبير للإنتاج في العام نفسه، فانعكس ذلك على موسم 1915، الذي انخفض فيه تعداد المزارعين، وتراجـــــــع الإنتـــــــاج إلى 541 قنـــــــطارا[1196]. فـــــــمنذ تراجع زراعـــــــة التـــــــبغ عام 1914 بســـــــبب إحجام المحتـــــــكرين التونسيين عـــــــلى اقتنائه، أثر ســـــــلبا على زراعته، فظـــــــلت هذه الزراعة تعـــــــاني التـــــــذبذب إلى غـــــــاية 1923، حـــــــيث لم تســـــــتطع الإدارة الفرنســـــــية، وضـــــــع تقنين ينـــــــظم زراعـــــــة التبغ، وذلك من أجـــــــل محـــــــاربة عمـــــــليات التـــــــهريب لكـــــــميات معـــــــتبرة نحـــــــو تونس، وشمـــــــال الجـــــــزائر، لذا أقـــــــرت الإدارة الاستـــــــعمارية على إنـــــــشاء ســـــــوق للتـــــــبغ بقمار في 1 أوت 1924، يفتح

[1194] Leonard Roger (Gouverneur général de l'Algérie) : **Les territoire du sud d'Algérie(compte rendu de l'œuvre accomplie de 1947-1952)**, Imprimerie Officielle, Alger, 1945, p96.

[1195] Ibid, p96.

[1196] Lutaud : **Situation générale,** op. cit, années (1914 -1915), p 84.

مرتين في الشهر من جانفي إلى ماي من كل عام، ومن أوت إلى ديسمبر تحت مراقبة السكرتير المدني لملحقة الوادي[1197].

ومنذ ذلك القرار دخلت زراعة، وتصريف التبغ ضمن عملية المراقبة، وكذلك حراسة حركة المهربين من طرف مكتب شؤون السكان المسلمين المسلمين الجزائريين ، و لم يتوقف الأمر عند هذا، بل دعمت هذه الإجراءات بتأسيس ثكنة جمارك بالوادي نهاية 1935، كما أنشأت لجنة لخدمات زراعة التبغ، كان مقرها بسكرة في سبتمبر 1936، من مهامها متابعة، ومراقبة زراعة التبغ بوادي سوف. وفي نفس السنة، تمت الموافقة على تأسيس الجمعية التعاونية، التي كانت تقدم قروضا، وتسبيقات، ما قبل الموسم لمزارعي التبغ، وقد وصل مجموعها إلى 99950 فرنكا سنة 1936، وزيادة على ذلك كان يتم اللجوء، لتمديد سداد القروض، حينما يكون الموسم سيئا، مثل القرض المذكور آنفا، حيث تمَّ تأجيل سداده لغاية ديسمبر 1938[1198]. ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية كان تصريف إنتاج التبغ بوادي سوف نحو المناطق التلية بالجزائر.

أما تنظيم المهنة فقد أصبح ضروريا، بالنظر لتقلبات الأسعار، التي أثرت على زراعة التبغ، وتعداد المزارعين، فتقرر سنة 1940 تأسيس جمعية تعاونية لمزارعي التبغ " تعاونية تبغ سوف " (Coopérative de tabac du Souf)، التي لم يبدأ العمل بها رسميا إلا في مارس 1941[1199]. فكان دور هذه التعاونية القيام بالتفاوض مع المنتجين حفاظا على قيمة

[1197] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit, p p 36, 37.

[1198] Ibid, p 47.

[1199] Leonard : op. cit, p 96.

أسعار التبغ، لصالح معظم المصدرين الصغار[1200]، ذلك قصد حصر عملية البيع، والتحكم فيها، كما تأسست نقابة مستقلة لصغار الفلاحين، تنافس تعاونية مزارعي التبغ سنة 1940، لكنها لم تكن تضم إلا مستثمرين صغارا[1201].

ومن مهام تعاونية وادي سوف للتبغ أيضا الدفاع عن المزارعين من خلال الحفاظ على أسعار ملائمة ضد جشع استثمارات بعض أصحاب المصانع[1202]، واستطاعت التعاونية العمل، رغم المشاكل، التي حدثت من طرف الذين يناوئونها[1203]، هذا قصد التضييق عليهم، وجعلهم لا يبدون أي مقاومة للاقتصاد الكولونيالي، ذلك ما حذا بكثير من المزارعين إلى ترك زراعة التبغ، خاصة بعد ارتفاع نفقات العيش منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، رغم ارتفاع الأسعار، هذا ما جعلهم يسعون إلى تصريف جزء من الإنتاج عن طريق التهريب. وأمام هذا الوضع المزري حاولت تعاونية وادي سوف للتبغ بقمار، تقديم منحة من الحبوب على كل كيلو غرام من التبغ[1204]، فساعد ذلك على انتعاش هذه الزراعة من خلال عودة المزارعين للاشتغال بها.

ومما يلاحظ أنه رغم وجود تنظيمات للرقابة، فجزء من المحصول كان يباع خارج نطاق القانون؛ أي عن طريق التهريب، ويوجه خصوصا

[1200] A.N.A : Boite 759, Dossier : **Rapports (1943-1947)**, R.T.S.A.

[1201] A.N.A : Boite 371 , **Rapport Annuel 1938**, op.cit , p p 36, 37.

[1202] Ibid, p47.

[1203] Leonard : op.cit, p 96.

[1204] Cap. Ferry : **Rapport sommaire**, op. cit, p4.

نحـــــــــــــــو تونـــــــــــــــــــــــــس[1205]،
وباعـــــــــــــــــــــتراف التـــــــــــــــــــقارير
الفرنســـــــــــــــــــــــية فالتهـــــــــــــــــــريب خـــــــــــــــارج
الأطـــــــــــــــــر القـــــــــــانونية، كـــــــــــــــــــان قـــــــــــــــويا، ولا
يمـــــــــــــــكن قـــــــــــــهـــــــــــــــره، أو الانتـــــــــــــــــصار
عـــــــــــليه، لشـــــــــــــــــــساعة مســـــــــــــــــــاحة
ملحـــــــــــــــــــــقة وادي ســـــــــــــــــــوف،
وقـــــــــــــــلة زيـــــــــــــــــــارات أعـــــــــــــــــــوان
الرقـــــــــــــــــــابة، حـــــــــــــــيث لم تتـــــــــــــــــــعد
زيـــــــــــــــــــاراتهم مرتـــــــــــــــــــين أو
الـــــــــــــثـــــــــــــــــلاث خـــــــــــــــــــــلال العام،
ممـــــــــــــــــــا يجـــــــــــــــعلها غـــــــــــــــــــير كافية[1206]، لكن رغم هذه
الأوضاع المتردية، إلا أن تعداد المزارعين، ظل يتزايد، ذلك للحاجة الملحة لكسب العيش، وهو ما يبينه الجدول الآتي :

جدول يوضح تطور تعداد مزارعي التبغ بوادي سوف (1929 – 1947) : (الوحدة مزارعا)

السنة	1929	1936	1940	1946	1947
تعداد	646 [1207]	914	1183 [1208]	1067	1264 [1209]

[1205] Leonard : op. cit, p 97.

[1206] L'administrateur (Annexe d'El-oued) : **Monographie**, 24 janvier 1953, dans A. D. M. EL, El-oued, p 11.

[1207] Cap. Ferry : **Rapport sommaire**, op. cit, p 11

[1208] Belvatte : op. cit, p 4.

[1209] Daviault : op. cit, p 29.

المزارعين					

ما يلاحظ على الجدول، هو التزايد المستمر، لتعداد المزارعين، الذي يعود في الأساس، للتنظيم الذي تتمتع به هذه الزراعة مع طبيعة المحصول الموجه للبيع، مما يغري الكثير قصد الاشتغال في مثل هذه الزراعة، مقارنة بزراعة النخيل. وبالرغم من الأحوال المتردية، إلا أن زراعة التبغ عرفت انتعاشا جديدا منذ الثلاثينات من القرن 20م، نتيجة اهتمام المعمرين، وظهور مستثمرين بهذا القطاع الزراعي، كالمعمر "شيكة" (Chika)، ذلك قصد تصدير التبغ نحو الأسواق الأوروبية، وهو ما دفع بالمنتجين من الفلاحين الجزائريين إلى تشكيل نقابة عمالية ببرج الدخان بقمار[1210]، ليتحول الأمر إلى أشبه بالمقاومة، التي كان المزارعون يبدونها تجاه سياسة الاحتكار، التي كان يمارسها بعض المعمرين، ليستمر انتاج التبغ، رغم الوضع السيء، الذي عرفته هذه الزراعة. والجدول الآتي يبين تطور زراعة التبغ خلال الفترة الممتدة ما بين 1930 و1947.

جدول تطور الإنتاج الزراعي للتبغ بالقنطار بوادي سوف خلال سنوات (1930 – 1947) :

السنة	1930	1931	1932	1933	1934	1935	1936	1937	1938
الكمية	375	510	775	740	647	819	590	837	999
السنة	1939	1940	1941	1942	1943	1944	1945 [1211]	1947 [1212]	
الكمية	1333	1480	1980	272	678	908	430	643.9	

[1210] أبو القاسم سعد الله : **أراء وأبحاث في تاريخ الجزائر**،مج 2، ج 3، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص ص 100، 111.

[1211] C. Ferry op. cit, p 3.

[1212] A.N.A : Boite 759, Dossier , **Rapports (1943-1947)**, R.T.S.A.

إن القراءة التحليلية، لتذبذب كمية الإنتاج من التبغ، يمكن إرجاعها لأسباب طبيعية، وأخرى بشرية، فالطبيعية هي الحرارة العالية لسنة 1930، مما أثر سلبا على المحصول، إضافة إلى تخلي العديد من المزارعين عن زراعة التبغ، خاصة سنة 1929[1213]. أما التراجع الكبير لسنة 1942، فيمكن أن نرجعه للأوضاع، التي تأثرت بمجريات الحرب العالمية الثانية، والتطورات، التي جعلت من المغرب العربي مسرحا لها، بخلاف السنوات الأولى للحرب منذ 1939 حتى 1941، التي شهد خلالها انتاج التبغ الذروة، نتيجة خفة حدة المراقبة، والمتابعة على جميع الأصعدة، وقد يكون ذلك داخل الاستراتيجية، التي عملت بها الإدارة الاستعمارية في اطار تحويل المناطق البعيدة عن الحرب، ورشات عمل مكثف، لتعويض النقص بميادين القتال. وقد يرجع الأمر إلى العودة الكثيفة للعمالة بمناجم الفوسفات، نتيجة الغلق للمناجم بسبب خطورة الوضع من ناحية أخرى. وفي عام 1943 كان الإنتاج متوسطا بسبب هبوب رياح السيروكو "الشهيلي" الحارة، التي أصابت المحصول[1214]، أدى إلى تدهور كمية الإنتاج سنة 1945، وزاد الطين بلة الحرارة المرتفعة جدا، والرياح الساخنة، التي شهدتها المنطقة. زيادة إلى تأخر منح المساعدات المالية للمزارعين؛ أي قروض ما قبل موسم 1945، مما قلص المساحة المزروعة، يضاف إلى ذلك الأوضاع المتردية، التي شهدها العالم جراء الحرب العالمية الثانية، مما أثر على مسار التنمية الزراعية المرتبطة بالزراعة الكولونيالية. أما تواضع الإنتاج سنة 1947، فتفسيره يعود في الأساس إلى هلاك التبغ المزروع في فيفري بفعل الجفاف، مما فرض إعادة شتل جديدة، إضافة لتأثير الشهيلي، والعاصفة الرملية، التي عرفتها وادي سوف من

[1213] A.N.A : Boite 508, Dossier 1, **Rapports (1925-1930)**, R.T.S.A.

[1214] A.N.A : Boite 499, Dossier 4, R.T.S.A.

يوم 2 حتى يوم 4 ماي 1947، التي خلفت خسائر وأضرارا كبيرة على الشتل الجديدة[1215]، لكن رغم ذلك عرفت زراعة التبغ اهتماما معتبرا، لما يدره التبغ من أرباح، نتيجة رواج تجارته، لارتباطها بحركة التجارة الكولونيالية. انطلاقا من احتكار المعمرين الفرنسيين، وغير الفرنسيين كالإيطاليين، مما شكل ملمحا اقتصاديا متميزا، جعل مزارعي وادي سوف يسعون جاهدين للمحافظة على مكاسبهم، ذلك من خلال إبداء مواقف صلبة تجاه السياسة الاستعمارية، كالضرائب المتزايدة، والتضييق على الفلاحين من خلال إجبارهم بشكل مباشر، أو غير مباشر، ما جعل الفلاحين أمام أمر واقع، وهو التعامل مع أطراف لها علاقة بالاقتصاد الفرنسي. فكانت مواقف الفلاحين بوادي سوف، تنم على الوعي النقابي المكتسب من خلال المؤثرات، التي صاحبت بعض العمال المهاجرين، والمشتغلين بمناجم الفوسفات بالقطر التونسي، عند عودتهم الموسمية، ذلك تبعا للحيوية، التي كان عليها الفرد من مجتمع وادي سوف في تلك المناطق، هذا بدوره رفع من وتيرة المقاومة الاقتصادية، لكن مع ذلك فإن سياسة الإدارة الاستعمارية، جعلت الكثير من فلاحي الإقليم، يبدون تأقلما، ولو بشكل ظاهري مصطنع، نتيجة عدم الصمود في وجه هذه السلطة الاستعمارية.

أ -مناطق زراعة التبغ، ومراحل إنتاجه :

عرفت زراعة التبغ بوادي سوف تطورا معتبرا، مما انعكس على توسع مناطق الزراعة من ناحية، وعلى مراحل انتاجه من ناحية أخرى، وهذا ما سيتم الوقوف عليه من خلال :

١ -المناطق : إن مناطق زراعة التبغ محددة تبعا لطبيعة التربة الخاصة، لهذا المحصول الزراعي، حيث أن طبيعة هذه التربة ليست من التربة الخصبة والغنية بالمواد العضوية من جهة، كما أن الخصائص الطبيعية لهذه التربة، هي في غالب الأحيان تربة أكثر مسامية، تتواجد بها الترشة، كما أنها تربة غير مؤهلة، وأكثر جاهزية لأي زراعة، غير التبغ، وهذه المناطق محدودة التواجد، حيث تنحصر في المراكز الخمسة الرئيسية لزراعة التبغ بوادي سوف، والمناطق هي :

[1215] Ibid.

قمار وغمرة، والهود[1216] وميه خليفة[1217]، وجديدة قمار[1218]، إضافة إلى الرقيبة، رغم كونها مستثمرة صغيرة، مع وجود استثمارات محدودة في حاسي خليفة والدريميني[1219] والمقرن[1220]، وبشكل عام تزرع في المناطق الشمالية الشرقية، لقرب طبقة الماء على أساس احتياج التبغ لكميات كبيرة من المياه، مما فرض على المزارعين ضرورة التكيف مع آليات الزراعة الحديثة، التي تحاول التأقلم مع البيئة الصحراوية، ذات المناخ الحار والجاف. أما تطور مساحة زراعة التبغ، فهي الأخرى شهدت تباينا في المساحات المزروعة، ففي سنة 1935 بلغت المساحة المزروعة 40 هكتارا[1221]، لترتفع إلى 70 هكتارا سنة 1936[1222]. أما في سنة 1940، فقد بلغت 89.2 هكتارا[1223]، لتتراجع إلى 46.2 هكتارا، ذلك لما شهده الإنتاج من تذبذب، نتيجة العوامل الطبيعية والبشرية، لتنتعش المساحة المزروعة نسبيا، حيث بلغت 50.1 هكتارا سنة 1947[1224].

٢ - ***تطور زراعة التبغ*** : إن زراعة التبغ شهدت تطورا تبعا، لما عرفه هذا المحصول الزراعي المستحدث في المنطقة، حيث بدأت زراعته تتم في مربعات صغيرة مساحتها من 1 متر على 0.55 متر إلى 1.4 متر على 0.6 متر في عملية البذر[1225]، ويكون ذلك من منتصف شهر أكتوبر إلى منتصف شهر ديسمبر[1226]، والسماد المستخدم، هو السماد البشري ذو المواد العضوية الكثيفة والسريعة

[1216] الهود : قرية تبعد عن الوادي المركزي بـــ22كلم في الشمال الغربي.

[1217] ميه خليفة : قرية تبعد عن الوادي المركزي بـــ22 كلم في الشمال.

[1218] الدريميني : قرية تبعد عن الوادي المركزي بـــ28 كلم في الشمال.

[1219] المقرن : قرية تبعد عن الوادي بـــ25 كلم في الشمال الشرقي.

[1220] Claude. Bataillon : op. cit, p 95.

[1221] André Voisin : op. cit, p 230.

[1222] Daviault : op.cit, p 29.

[1223] Belvatte : op. cit, p 4.

[1224] Leonard : op. cit, p 97.

[1225] Daviault : op. cit, p 29.

[1226] André Voisin : op. cit, p 232.

التحلل[1227]، ذلك بوضع ما قيمته 150 إلى 200 كلغ للآر الواحد. وفترة الإنبات هذه تدوم من 6 إلى 20 يوما، والنباتات الفتية يتم حمايتها من البرد بالجريد، أو الحلفاء. وعندما تصل إلى طول 10 سم تنقل لمكانها النهائي، حيث تنمو وتزدهر[1228]، هذه العملية عملية إعداد شتلات التبغ التي سوف تستغل في الزراعة بأماكن أخرى.

أما متطلبات زراعة التبغ تقوم في الأساس على السقي الكثيف، حيث يتوجب أن يكون مرة في اليوم، أو مرة كل يومين، ذلك فيما بين شهري فيفري ومارس. ومرتين في اليوم بالموسم الجاف والحار فيما بين شهري أفريل إلى أوت[1229]. وتتم عملية السقي إما باستخدام الجهد العضلي عن طريق الخُطّارة[1230]، أو "بالسّانية" بالنسبة للمزارعين، الذين يملكون مساحة تبغ تفوق 150000 قدم[1231]. أما عملية جنيه فتبدأ في أول جويلية، ويكون ذو أوراق خضراء اللون لامعة، لكنها سرعان ما تتلون، وتصبح صفراء، ويستمر الجني إلى غاية سبتمبر[1232]، ويوضع للتجفيف في الظل[1233]. مع العلم أن أجود التبغ هو التبغ ذو الأوراق الذهبية. أما عمليات التجفيف، فتتم حسب إمكانيات كل فلاح، علما أن أرقى هذه العمليات، هو التجفيف في مستودعات واسعة، حتى لا تفقد أوراق التبغ نكهتها، والإبقاء على خصائصها ما أمكن ذلك، لهذا جاءت فكرة إنشاء مرفق خاص للمزارعين بقمار، عرف هذا الأخير ببرج الدخان، إضافة إلى ما قام به المزارعون في منطقة الرقيبة من إنشاء مستودعات شاسعة، لتجفيف الدخان، ذلك كله يدخل ضمن أساليب المقاومة، تجاه

[1227] Claude.Bataillon : op. cit, p 92.

[1228] Daviault : op. cit, p 29.

[1229] Ibid, p 29.

[1230] C. Cauvet : **Culture**, op.cit , p 72.

[1231] وهي بئر مزود بحبل ينتهي بدلو يجره حيوان ويكون الدلو من الجلد بإمكانه أن يسع من 100 إلى 200 لتر، وتكون البئر من الحجم الكبير، وهذا النمـــط خاص يوجد في غمرة والهود وقمار ويوجد منه تقريا إلا 30 سانية. – ينظر : Claude Bataillon op.cit , p94.

[1232] Ibid, p 92.

[1233] Daviault : op. cit, p 29.

السياسة الكلونيالية، التي مارسها بعض المعمرين الاحتكاريين، قصد مضايقة المزارعين، الذين استطاعوا التكيف مع تلك السياسة، التي ما فتئوا يقاومونها من حين لآخر، كما أن التبغ يعد محصولا زراعيا أقل عناء، إذا ما قورن بزراعة النخيل ماديا من خلال الأموال المغدقة عليه، والجهد المبذول، رغم عملية السقي الدائمة والمستمرة، إلا أن ذلك يعد أقل عناء، مقابل ما يقدمه المزارع للنخيل. يضاف إلى ذلك قلة الأمراض بالنسبة للتبغ، والمؤثرات التي تعترض النخيل.

3 - المحاصيل المبكرة (الموسمية) :

ويقصد بها المحاصيل الغذائية اليومية أو الموسمية، وهي قليلة لا تزيد عن حاجة السكان المحليين، ذلك يرجع إلى طبيعة الأرض غير الملائمة، مما دفع بالسلطات الاستعمارية بالقيام بمشاريع لانجاز أبار ارتوازية، قصد استغلال الطبقة المائية الجوفية، التي تقر الدراسات الجغرافية والجيولوجية بأن هذه المياه تعود في الأساس إلى أحواض العصور القديمة التي تدعى " بحر أو بحيرة تريتون "[1234]، كما انطلقت المشاريع الأولى بالتنقيب عن مثل هذه الآبار في مطلع القرن 20م[1235]. وعلى هذا الأساس كان الفلاحون يقومون باستصلاح أماكن قرب النخيل، تدعى الحرث. أو الفلاحة، أو الجنان، أو الحسي، وهي مساحات تتراوح ما بين 50 إلى 80 م²، فيكون في ناحية من الغوط ويسيج بزرب (سياج) من الجريد[1236]، وهذه المساحة ينبغي أن تتوفر على عدة متطلبات ضرورية، لخدمة وتسهيل الزراعة وهي : البئر، والخطارة، والماجن، والسواقي، والميزاب. فكانت زراعة المحاصيل المبكرة تزرع في مختلف فصول السنة، ففي فصل الشتاء ينتج اللفت، والجزر، والخردل، وبعض المحاصيل الموسمية المختلفة،

[1234] يحي بوعزيز : " اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء "، **مجلة الثقافة**، السنة العاشرة، العدد 58، الجزائر، شعبان رمضان 1400هـ/يوليو آب 1980، ص ص 53-54.

[1235] ريمون فيرون : المصدر السابق، 104.

[1236] André Voisin , op. cit, p 222.

والبصل[1237]. أما في فصل الربيع فيزرع الباذنجان والفول، وفي فصل الصيف تنمو الطماطم واليقطين (الكابو) بأنواعه، والكرم والماعدنوس، والبرطلاق، والفقوس[1238]، والفلفل والبطيخ والدلاع.

والملاحظ عن هذه الزراعة، هو أن فصل الصيف، يكون أشق فصل للفلاح، وأكثر تعبا، نتيجة عملية السقي الدائمة، والمتكررة في اليوم الواحد للحرارة الشديدة، التي يعرفها الطقس. أما في فصل الشتاء فالفلاح، لا يبذل عناء كبيرا. أما فصل الخريف، فهو فصل الاهتمام بجني التمور، مما يتطلب من الفلاح وقتا دائما في عمليات جني التمور[1239]. لكن ذلك لا يمنع البتة من زراعة بعض الخضروات، من منتصف شهر سبتمبر إلى منتصف شهر نوفمبر[1240]. هكذا يستطيع الفلاح بوادي سوف، رغم ما تتطلبه الغواطين والاهواد، والحرث من رعاية وسقي وتوضيب. إلا أن توفير احتياجاته الضرورية من غذاء يتطلب منه بذل ذلك كله يوميا، حيث يتم جني الخضر الطازجة الجيدة، لتستعمل في حينها، ولا تنقطع هذه الخضر من الحرث، وكل موسم له محاصيله الخاصة، وبهذا يكون للعائلة السوفية اكتفاء ذاتيا من الخضر الموسمية. والزراعة كنمط من أنماط المعيشة، لم تستطع الانتعاش، إلا من خلال السياسة الاستعمارية، التي اعتمدت على نظام الآبار الارتوازية، التي توفر المياه للزراعات المسقية، حيث قدرت هذه المساحات بـــــــــــــ 3600 هكتارا بمنسوب مائي 260 لتر / ثا[1241]، مما شجع على بروز تأقلم نسبي بين المعمرين والسكان المسلمين الجزائريين. أما القمح والشعير، فإن المنطقة عاجزة عن زراعتهما، ذلك ما جعل عملية استيرادهما أمرا أساسيا، حيث نجد إحصائية من 1930 إلى 1939، تتحدث عن كميات استيراد القمح والشعير، وفقا للجدول الآتي :

[1237] علي بوصبيع العايش العايش : النخيل ثقافيا واقتصاديا، ص 17.

[1238] صوت وادي سوف : المرجع السابق، ص 11.

[1239] صوت وادي سوف : نفس المرجع، ص 11.

[1240] André Voisin : op. cit; p 222.

[1241] احميدة عميراوي : **أثار السياسة الاستعماري**، مرجع سابق، ص ص 108، 109.

جدول يبين كمية القمح والشعير المستوردة خلال الفترة ما بين (1930 – 1939)[1242] :

السنة	1930	1932	1935	**1937**	**1939**
كمية القمح بالقنطار	17000	12000	8500	6000	19000
كمية الشعير بالقنطار	15000	13500	12000	10000	10000

هذه الإحصائيات تدل على مدى احتياج السكان بوادي سوف، لكل من القمح والشعير، مما يوضح مدى مساهمة هذه المواد في تنشيط العلاقات التجارية بالمنطقة، بالإضافة إلى استيراد العديد من المواد الغذائية، كالشاي والسكر من غدامس عن طريق تجارة القوافل، التي كانت محاصرة من قبل السلطات الاستعمارية، وعليه كانت تسوق في البياضة بعميش بشكل غير قانوني، فكان ذلك كله تعبيرا عن رفض سياسة التضييق ضد السكان المسلمين الجزائريين[1243].

المبحث الثاني - تأثير الاحتلال على الصناعة والحرف بوادي سوف منذ 1882 إلى 1947:

إن طبيعة الوضع الذي يتميز به إقليم وادي سوف، يغلب عليه طابع البداوة، مما يجعل من ملامح الصناعة يطغى عليها الطابع الحرفي، ذلك لأن البيئة الجغرافية، ذات مؤثرات بيئية صحراوية، فهي

[1242] C. Ferry : **Rapport sommaire**, op. cit; p 01.

[1243] **حوار** مع السيد الهادي بوغزالة حمد، مرجع سابق.

لها أثر كبير في الشكل الحضاري، الذي يتطلع الإنسان إلى تحقيقه بالإقليم، غير أن الظروف الطبيعية التي تحيط به لها بالغ الأثر في حفز همته إلى بذل جهد من أجل العمل والابتكار، أو في تثبيط عزمه، وحرمانه من كل تطلع جديد، رغم أن العامل الطبيعي، لم يعد من بين المبررات، التي يمكن الاعتماد عليها في تبرير التقدم والتخلف[1244]، وإنما الطابع الحضاري المتردي، الذي تميزت به المنطقة، يكون بلا شك العامل المؤثر في بدائية الصناعة، مما يجعلها أشبه بالحرف من الصناعة، لكنها مع ذلك حاولت أن تلبي احتياجات السكان، وبمرور الزمن، فإن هذه الحرف أخذت تتطور، وتستفيد من الخبرات المكتسبة لتتعدى حدود الإقليم، رغم بساطة هذه الحرف، وما ينتج عنها، غير أن ما كانت تقدمه الصناعة وتؤثر به في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كان ذا دور هام. وأمام هذه التحديات حاول المحتل إبداء بعض المحاولات، وذلك منذ العشرية الثانية من القرن 20م، غير أن غالبية هذه المحاولات، كانت تراعي احتياجات سوق العمالة، لخدمة الاقتصاد الكولونيالي الفرنسي، تماشيا مع ما كانت تتطلبه الثورة الصناعية في القرن 20م، قصد التغلب على بعض المصاعب، التي واجهت التصنيع في مراحله الأولى، حيث كان اكتشاف الكهرباء، التي تعد مصدرا للطاقة المولدة من الريح أو الماء[1245]، الاكتشاف الحضاري الذي يزيد من حدة التباهي، والتعالي، التي يتغنى بها المحتل، فكان ذلك من بين معالم التجاسر، التي كان المحتل يتفاضل بها على السكان المسلمين الجزائريين في كل ربوع الجزائر المحتلة، رغم إبداء بعض ملامح تطوير المهارات العمالية، لترقية مستوى الأداء، لدى كل فرد من السكان، ذلك بفتح مراكز التكوين المهني، خاصة بالجنوب. ومن هذا المنطلق الكولونيالي نجد أن الصناعة لم تحظ بتطور، نتيجة عزوف غالبية السكان المسلمين الجزائريين على الاحتكاك بكل ما هو فرنسي، لأن فرنسا بلد محتل. وعليه فإن الصناعة لم تتعد

[1244] حسين مؤنس : **الحضارة (دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها.)**، عالم المعرفة، كتاب رقم 01، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987، ص 27.

[1245] كافين رايلي : **الغرب والعالم (تاريخ الحضارة من خلال موضوعات.)**، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري وهدى عبد السميع حجازي، مراجعة فؤاد زكرياء، القسم 02، كتاب رقم 97، عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1986، ص 125.

كونها حرف. والحرف لا يمكن أن تتجاوز القدرات المحلية المعتمدة على الحياة البيئية، التي لم ترق إلى الحيابيئية[1246] والرأسمالية المثلى[1247] والحيابيئية والرأسمالية الحديثة[1248]، فكانت تلك الحرف متعددة. انطلاقا من المنسج التقليدي، الذي يعد رمز الصناعة النسيجية، لأنها أساس الألبسة، والأدوات المختلفة، التي يكون الفرد في حاجة إليها، خلال حياته اليومية بالمنطقة. والمواد الأولية، التي يعتمد عليها في هذا الميدان، هي في الأساس تتمثل في صوف الغنم وشعر الماعز، ووبر الإبل، التي من خلالها يتم نسيج الملابس والأفرشة، وإعداد الخيام والأكياس، وغيرها من الأدوات، التي يكون في حاجة ماسة إليها. لنقف عند أجزاء وعناصر النخلة، التي توفر الاحتياجات الضرورية من أدوات، ومعدات مختلفة، يحتاجها الفرد بوادي سوف في نشاطاته المختلفة، فمن خوص النخيل تصنع مختلف الأواني المنزلية، وبعض الأدوات، التي تعد بمثابة الآلات، ومواد البناء، كما يتم دبغ الجلود، حتى تجهز للاستغلال في مختلف الصناعات الجلدية. أما الحجارة الباطنية (التافزة)، فهي أساس الجبس، الذي يعتبر المادة الأساسية لتشييد المباني، والمنشآت العمرانية.

أولا - صناعة النسيج :

هي صناعة تعود إلى قرون عديدة، وهي في حقيقة الأمر حرفة أكثر منها صناعة، لكون الأخيرة في حاجة كبيرة للوسائل والمعدات المتطورة، بخلاف ما يكتسبه الفرد بوادي سوف خصوصا،

[1246] الحيابيئية ويقصد بها الحياة ذات التأثيرات العالية المستوى انطلاقا من البيئة ذات الموارد الأولية النافذة أو المتجددة.

[1247] كافين رايلي : نفس المرجع، ص ص 130-134.

[1248] نفسه، ص ص 134، 135.

وبالجزائر عموما. والنسيج من أهم الحرف الأساسية، التي تقوم عليها الحضارات البشرية، لما للباس من أهمية، ذات دلالات هامة، كما أن الحاجة للباس والنسيج ضرورية، وعليه فالنسيج حرفة اجتماعية، يقوم بها كل من النساء والرجال، ذلك بحجم ونوع المنسوج. وقد تؤدى هذه الحرفة، أداء فرديا، كأن يكون في كل بيت أداة نسيج، تعرف بالمنسج، أو أن تكون هذه الحرفة في شكل تعاونيات مقننة، أو غير مقننة كأن يلتقي مجموعة من الحرفيين، ويشكلون شبه تعاونية، لكن رغم ذلك استطاع السكان بإقليم وادي سوف الاستفادة من الطبيعة المحيطة بهم، لما توفره لهم من حياة مريحة من الطعام وزينة اللباس، فكان الاشتغال بهذه الصنعة للنساء والرجال على السواء، وقد توفر لهذه الصناعات أماكن تتأقلم والفصول، حيث يبحث الصانع على الشمس للتدفئة، وعلى الظل للتهوية، وقد يرافق فترات العمل شيء من الترويح على النفس في شكل تنكيت وغناء، وأهازيج وقصص، وحكايات، قد تنسيهم تعب العمل ومشقته[1249]. وتلك الصناعات تعتمد أساسا على صوف الغنم. لهذا فإن سكان المنطقة في حاجة ماسة إلى أصواف ماشيتهم، بل يلجأون إلى استيراد بعض منها، كما يستغلون وبر الإبل، وشعر الماعز، ذلك كله يتأتى بعد معالجة هذه المواد، وتوضيبها، حتى تصبح جاهزة للنسيج، إضافة إلى إعداد وسائل النسيج، التي يعتمد فيها المنسج على أجزاء من النخلة، وبعدها تبدأ عملية النسيج، حيث لا يخلو بيت من منسج، فهو جزء من أدوات، وأواني المنزل بوادي سوف. أما طبيعة ونوعية النسيج، فيغلب عليه الخشونة في الملمس، نتيجة الوسائل التقليدية المستعملة، التي لا ترقى إلى مستوى المنافسة، مع المنتوجات الأوربية، وغير الأوربية المستوردة، ورغم هذا كله، إلا أن هناك بعض الحرفيين، لهم مهارة عالية في حياكة بعض المنسوجات والألبسة، مما يجعلها محل اهتمام، حيث تجد لها رواجا كبيرا في الأسواق الخارجية، خاصة البلدان المجاورة للإقليم. وهذه الحرفة يمكن الوقوف عليها من خلال أنواع المصنوعات النسيجية، والتي تتمثل في الآتي :

1249 Ahmed Nadjah : op. cit, p 82.

1-نسـج الـزرابـي :

إن نسيج الزرابي، حرفة دخيلة على المنطقة، هذا حسب تقارير فرنسية، فهي صناعة حديثة، ظهرت في أواخر القرن 19م[1250]، وقد قدمت من تونس[1251]، حيث كانت صناعتها محصورة، لدى عائلات قليلة، تتعمد السرية في صناعتها[1252]. وهناك من يطرح فكرة أن الأتراك، هم الذين افتتحوا أول مدرسة للنسيج بقمار منذ بداية القرن 19م، في حين نجد رأي آخر يقول بأن الزربية دخلت حوالي 1890 إلى زاوية قمار التجانية، التي كانت تمون بالزرابي من النمامشة، وللحاجة الماسة لها، فكرت الزاوية التجانية في استحداث نسيجها عن طريق جلب حرفيين تقليديين، لنسيجها بالزاوية نفسها[1253]. أما الرأي الثالث،هو الأكثر رجحانا، أن نسيج الزرابي استقدم من طرف شخص يدعى " بن غريب "[1254]، حيث قدم للاستقرار بقمار، أين واصل ممارسة حرفته، وأصبحت هذه الأسرة مع الوقت تتوارث من الأب إلى الابن أسرار الحرفة، وكانت عائلة بن غريب من أصول تونسية، حيث نسجت الزرابي، وفق التقاليد التونسية، وسكان قمار تعلموا هذه التقنية الجديدة، و بدأوا في حياكتها محليا[1255]. وما أن حلت سنة 1908 فكرت الإدارة الفرنسية في استحداث فرع للتمهين، ذلك من خلال الاتفاق، الذي تم بين رئيس ملحقة الوادي الضابط " ميترات " " Metrate "، ومدير مدرسة الأهالي بالوادي السيد " باكي " " Paquet " من أجل الحفاظ على هذه الصناعة، والزيادة من رفع مستوى الإنتاج. ومن أجل استيعاب عدد أكبر من الشباب العاطل، والمسرح من المدرسة

[1250] Territoire Militaire de Touggourt annexe d'El-Oued : **Industrie des tapies au souf**, Juillet 1919, A. D. M. El, El-Oued, p 01.

[1251] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 174.

[1252] M. CH. Lutaud : **Situation générale de territoire de sue de l'Algérie pendant les années 1909,** Op. cit, p 60.

[1253] André Voisin : édition 2004, op.cit ,p p 247, 248.

[1254] Cap. Mars : **Industrie de Tapis au souf**, 18 Aout 1919, A. D. M. El, El-Oued, p1.

[1255] André Voisin : édition 2004, op.cit, p248.

من جهة، وضمان يد عاملة تلبي احتياجات المعمرين من جهة ثانية، فتحت الإدارة الاستعمارية فصلين للنسيج ملحقين بمدرستي السكان المسلمين الجزائريين بالوادي وقمار[1256]. وكان الممتهنون بهاتين الملحقتين يتعلمون الحرفة لمدة ثلاث سنوات، وعند إتمام مدة التمهين يمنحون " المنسج "، وهو جهاز النسيج كجائزة، وكان الغرض من هذا كله تطوير الحرفة من خلال البحث على كل النماذج القديمة في ميدان النسيج، والكشف عن أفضل التقنيات، وتكوين عمالة في ميدان النسيج، لتصير قاعدة صناعية في المستقبل[1257] باستطاعتها تلبية احتياجات بعض المعمرين، والسياح الأجانب. ومع مرور الوقت، أخذت حرفة نسج الزرابي في الانتشار بين سكان الإقليم بكثرة أواخر العشرينات من القرن 20م؛ خاصة مع بروز حركة سياحة متواضعة في وادي سوف، ذلك منذ استخدام السيارة في النقل. وفي بداية الحرب العالمية الثانية افتتح مشغل الأخوات البيض، الذي بدوره ساهم في تشغيل 26 عاملة من النساء والفتيات، ذلك بهدف تكوين يد عاملة نسوية في الصناعة الحرفية من بينهن16 ممتهنة، تعملن يوميا في أشغال النسيج، وقد نال المركز 8 جوائز و5 شهادات عن أحسن يد عاملة حرفية جزائرية منحت لعاملات المشغل[1258]، كما ساهم في هيكلة الحرفة بتأسيس الجمعية الفلاحية لتعاونية صناعة الزرابي الخاصة بالصوف، التي شغلت مع نهاية الحرب العالمية الثانية 21 حرفيا من بينهم 5 حرفيين مستقرين بقمار، ووصل عددهم سنة 1948 إلى 28 حرفيا أنتجوا 985,59 م^2 من الزرابي[1259].

هكذا ظل نسيج الزرابي بوادي سوف يشهد نموا وتطورا من خلال الأعمال، التي تنجز في ملحقتي مدرسة الوادي وقمار، حيث تملك كل منهما ورشة صناعة نسيج، لكن يبدو أن سكان المنطقة غير منجذبين لهذا النوع من العمل، الذي يتطلب منهم الوقت، والصبر لإنجازه. فالزرابي قلما نجدها

[1256] Cap. Mars : op. cit, p 1.

[1257] Ibid : p 1.

[1258] Ibid , p 9.

[1259] Leonard : op.cit, p p 197, 198.

خارج حدود المدارس، حتى القلة، الذين ينسجونها عادة ما يكون ذلك بطلب مسبق، فصناعة الزرابي ذات الصوف الرفيع، لا تلقى رواجا تجاريا كبيرا، لكونها حرفة مستنفذة للوقت، وباهظة التكاليف. وسكان وادي سوف في حاجة ماسة، لتحقيق الربح والحصول على النقود، لتعويض ما يدفعونه للاستثمار في هذا الميدان، لأن نسج الزرابي، ليس بإمكانه أن يشكل مصدر دخل، إلا بانتعاش حركة السياحة[1260]، التي تقوم على الإمكانيات المادية الضخمة. خاصة في العقود الأولى من القرن 20م، حيث كانت التنمية محدودة المستوى، نتيجة عدم اهتمام الإدارة الاستعمارية بالإقليم.

أ ـ المواد الخام المستخدمة في نسيج الزرابي، ومعالجتها :

إن المواد المستخدمة في حياكة الزرابي بوادي سوف، هي في الأساس مواد خام محلية في غالبها، ذلك لوفرة الثروة الحيوانية في بداية الأمر، حينما كان نسيج الزرابي محدودا لحداثة الحرفة بالإقليم، هذه المواد تتمثل في : الصوف، والوبر، وشعر الماعز، والقيام[1261]، والطعمة[1262]. وهي المواد الخام

[1260] L'annexe d' El-oued : **Le souf**, op.cit , p p 14, 15.

[1261] وهي الخيوط التي تستخدم في النسيج، بحيث تغزل من الصوف بمغزل اليقام، وهو عبارة عن أداة بسيطة تتكون من قضيب خشبي وقطعة خشب مسقولة في شكل اسطوانة محدبة الرأس شيئا ما منتهية بسلك معدني معكوف يشبه صنارة الصيد عادة ما يحزز الرأس الخشبي بخطوط ملونة بالأحمر والأخضر في مقدمة الثلث الأخير من السلك المعدني أعلى تلك الاسطوانة الخشبية.

[1262] وهي غالبا ما تكون من خيوط القطن المستوردة من القطر التونسي، وقد تكون من الصوف المنشوف والمغزول بمغزل الصوف الذي يختلف عن مغزل القيام، وهو يتشكل من قضيب خشبي تتخلله اسطوانة خشبية مثقوبة في الوسط يمر من خلالها الجزء الرفيع

الأساسية في نسج الزرابي. ويحتل صوف الأغنام الصحراوية الأولوية أمام الأنواع الأخرى من الصوف لدى النساجين - لكون المراعي الصحراوية لا تؤثر في نقاوة صوف القطيع، لطبيعة التربة النقية، والصافية من العوالق المختلفة، بخلاف مراعي السهوب والمناطق التلية - هذا بحكم أن المظهر المركزي، لزربية وادي سوف يجب أن يكون أبيضا ناصعا، وعندما لم تعد أغنام سوف قادرة على توفير حاجيات صناعة النسيج المحلية، أصبحت تجلب من المناطق الشمالية، في حين أن التموين بوبر الإبل سهل، فالقبائل البدوية للربايع والفرجان يمونون معظم الطلبات[1263]. وتقوم النساء بتنظيف، ونتف، وغزل كل من: الصوف، والوبر، والشعر مقابل أجرة[1264]، ويكون معدل العمل في اليوم من الصوف 20 كلغ، حيث أن 7 كلغ من الصوف الخام تعطي بعد الغسل حوالي 3.5 كلغ صوف نظيف[1265]. ولنسج زربية وادي سوف يتم مزج 2/3 من وبر الإبل مع 1/3 من الصوف، لأجل نسج زربية قاتمة، و50% من كل منهما إذا ما أردنا الحصول على زربية فاتحة[1266]، كما يتم خلط شعر الماعز مع وبر الإبل، لتنسج منه الخيام، لكي تكون أكثر حماية من المطر، حيث تنزلق عليها المياه المتهاطلة، ولا تنفذ منها. وقد كانت زربية وادي سوف ذات شكل طبيعي دون صباغة في بداية الأمر[1267]، و لم يتم البدء بإدخال وبر الإبل في نسجها، إلا

من القضيب الخشبي الذي يزداد سماكة في جزئه المتبقي، هذا ما يجعل الاسطوانة تستقر وتثبت، وبذلك يصبح المغزل جاهز الاستعمال وهو أيضا يستورد من تونس كما يمكن تشكيله محليا، غير أنه أقل جودة من المستورد.

[1263] André Voisin : édition 2004, op. cit, p250.

[1264] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 84.

[1265] Ahmed Nadjah : op. cit, p 84.

[1266] André Voisin : édition 2004, op. cit, p250.

[1267] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 85.

عـــــــــام 1927، والفكرة كانت من السيد " لا كروا " " La croix "، الذي كان يشغل مدير مدرسة الوادي[1268]، وإلى غاية 1925، فـــالنســـــيج لا ينســـــــج إلا بالـــصـــــــــوف المصـــــــــبوغ بالنـــــــــباتات، كالحـــــــــنة وقشـــــــــور الرمـــــــــان، ولحـــــــــاء شـــــــــجر الجوز[1269].

ب -مراحل إنجاز الزربية بوادي سوف :

إن مراحل إنجاز الزربية تتـــــطلب خطوات أساسية، لا يمكن تخطيها، لما لها من أهمية، هذه المراحل تتمثل في :

١ -المرحلة الأولى : وهي المرحلة، التي من خلالها يتم إعداد المواد الخام الضرورية لنسج الزربية من "قيام" و" طعمة "، قطنية (بازار) كانت، أوصوفية.

٢ -المرحلة الثانية : وهي مرحـــلة التسدية، ذلك من خلال نصب قضبان حديدية عادة ما تكون ثلاثة قضبان ترشق في الأرض بالطول، الذي تستوجبه الزربية المراد نسجها، ويلف حولها خيوط القيـــــام، ذلك حســـــــب عرض الزربـــــــية. فـــقد يتم لف الخـــــــــيوط أكثر من ألـــــف لفة، ويكون هذا من خلال شخـــــــــصين يسهـــــران على معـــــــــاكسة الخـــــــيـــــــوط المـــلفـــــــوفة عند القـــضـــــــــيب الذي يتوســـــــــط القضيبين الآخرين، الذي يوضع في موضع محسوب المسافة، لأن من خلاله ستضبط عملية النسيج بكاملها.

[1268] André Voisin : édition 2004, op. cit, p248.

[1269] Ibid, p 248.

٣ -*المرحلة الثالثة* : وهي مرحلة إقامة المنسج، ذلك يتم بتركيب المنسج، الذي يتكون من "القوايم"[1270]، و" الطوّاي "[1271] تعلوه " النيرة[1272] " التي من خلالها يضبط القيام، وتشد النيرة بحبلين أحدهما في الأعلى ويمسك بحبل من شعر الماعز ويدعى " الرَّفاع "، والآخر يمسك بحبل من الأسفل ويدعى "العفّاس" ويتم وضع القيام حسب طول وعرض الزربية، التي ستنسج، عندئذ يبدأ في العمل، ويكون ذلك يوميا ما عدا الجمعة[1273]، وتكون حركة النسيج بإدخال أجزاء الطعمة داخل الخيوط يسارا ويمينا، مستعملين السكين لقص الطعمة المستعملة، ثم تدق بآلة حديدية تدعى " الخلالة "، وتستمر العملية، حتى يتم نسجها[1274]،.وإنجاز الزربية يأخذ أحيانا شهرا، خاصة التي طولها 2 متر على 3 أمتار، وبعد إنهائها تسلم إلى جمعية الحرف التقليدية للزربية، ويتم بيع هذا المنتوج دوما بسرعة[1275].

ج -*خصائص زربية وادي سوف، وأهميتها الاجتماعية والاقتصادية* :

إن الأهمية الاجتماعية والاقتصادية، التي تكتسيها عملية نسج الزربية بوادي سوف، هي في حد ذاتها تعود إلى طبيعة المواد الخام المستغلة في النسيج، بالإضافة إلى كون زربية وادي سوف مميزة، وهي من الصوف الخالص الرفيع بنقاط معقودة، والنسيج يتضمن 250 نقطة في

[1270] وهي الركائز التي يقوم عليها المنسج، وتتركب من جريد النخيل وتدفن في الرمال ويكون البعد بين القائمتين حوالي مترين.

[1271] وهي عصا مجردة من سعفها ، ملساء السطح تظفر حولها خيوط تدعى " النّيرة ".

[1272] النيرة هي قصبة طويلة تتعدى المترين عادة ما تكون من نبات الديس ذات سمك 2 ستمتر كحد أدنى ، ولا يزيد عن 3 سنتمتر.

[1273] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 85.

[1274] علي غنابزية : " أهمية الغوط "، المرجع السابق ، ص 72

[1275] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 85.

الدسمتر المربع، والسلسلة قطن مبروم (مفتول) ومشدود بالترام[1276]، والطعمةخليط من الصوف ووبر الإبل. مما يسمح بالحصول على تشكيلة من الأبيض والأسود، وأحيانا إلى الرمادي والأسمر والأشهب. أمـــا الأســـود فيستخدم له شعر الماعز الصحراوي[1277]، وشكلها الهـــــندسي عـــــبارة عن أشـــرطة على العـــــرض والطول، وفي الوســـط شكل هنـــــدسي بهيئة صـــليب ويعرف بصليب سوف[1278] (le croix de Souf)، وتكون بصوف مصبوغ بالأزرق والأحمر، فالزربية بها في المتوسط 22500 نقطة، وتزن من 4 إلى 6 كلغ في المتر^2، وحبكة النسيج من القطن[1279]. إن الشكل التقليدي لزربية وادي سوف بعد الحرب العالمية الأولى، ذو نمط كلاسيكي، بعمق أحمر يتضمن شكل مركزي محاط بإطار من الشرائط المزينة، والمفصولة بأشرطة حمراء، وتصنع الزربية بعمق أزرق، والشكل المركزي إذا أحمر، وفي المجموع ذا لونين من الداخل؛أحمر وأزرق وثلاثة ألوان ثانوية الأصفر والأسود والأبيض، وهذان اللونان الأخيران يستخدمان خصوصا، لأجل ترصيع وإبراز الرسومات[1280]. تنسج الزرابي في وادي ســـوف بمخـــتلف المقاسات، فالعـــــرض من 0.5 إلى 4 أمتار والطول من 1 متر إلى 6 أمتار، والأشـــكال الأكثـــــر طلبـــــا هـــي (2 متر على 3 متر)، و(0.8 متر على 1.4متر) وسمـــك الزربـــية في العـــادة ما بين 2 إلى 3 سم[1281]. والـــــزرابي يتـــــــــم بيعـــــــها بوساطة مع مدرستي الأهالي بالوادي أوقمار، فنسَّاجو الزرابي في معظمهم من قدماء تلاميذ المدرستين[1282]، ومعظم السلع يشتريها السياح.

[1276] وهي العصا التي ترفع النّيرة أثناء عملية النسج.

[1277] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 250.

[1278] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 86.

[1279] Cap. Mars : op. cit, p 3.

[1280] Daviault : op. cit, p 11.

[1281] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 250.

[1282] Daviault : op. cit, p 11.

أما سكان وادي سوف فإقبالهم على شرائها قليل، ذلك راجع إلى انعدام القدرة الشرائية من جهة، واعتبار مثل تلك المقتنيات تدخل ضمن الكماليات، وشراؤها يكون، إما لإعادة بيعها، أو لإهدائها[1283]، ويمكن تفسير ذلك لغلاء أسعارها واعتبارها من الترف، مع محدودية مداخيل الأسرة بوادي سوف، هذا ما يؤكد الأهمية، التي تلعبها الزربية في وادي سوف، حيث استطاعت الإدارة الاستعمارية من توجيه النسيج في مثل هذا الجانب، خدمة للاقتصاد الكولونيالي، ذلك من خلال فتح مدرسة للتكوين والتمهين منذ العشرية الثانية من القرن 20م بالوادي، هذا ما يؤكد سياسة التوجيه، لخدمة الاقتصاد الاستعماري على حساب السكان المسلمين الجزائريين ، وهي سياسة موجهة قصد تلبية حاجة اليد العاملة من السكان بالإقليم، دون تمكينهم من مواصلة مسيرة التعليم، ليظل المحتل السيد المسيطر، فوق كل اعتبار. والجدول الآتي يوضح :

تطور أسعار الزربية بالمتر المربع الواحد بوادي سوف (1937 – 1946)[1284] :

السنوات	1937	1938	1940	1946
أسعار الزربية	140 فرنك	185 فرنك	225 فرنك	2500 فرنك

الملاحظ من خلال هذه الأسعار، أنها في تزايد مستمر، لتصل إلى مستوى فاق العشر مرات سنة 1946. أما تصريف المنتوج، يتم كالآتي : ثلثي الزرابي تصدَّر نحو الجزائر وفرنسا، والثلث الباقي نحو سويسرا وبلجيكا وأمريكا[1285]، وكانت زربية وادي سوف، قد شاركت في المعرض الجهوي للصناعات التقليدية بتقرت سنة 1937 بـــــــــــ 19 زربية[1286]. أما من الناحية الاجتماعية

[1283] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 86.

[1284] Daviault : op. cit, p 11.

[1285] Leonard : op. cit, p 198.

[1286] Syndicat d'initiative de Touggourt : **Lettre au chef d'annexe d'El-oued**, 22 Février 1937, A. D. M. El, El-Oued.

فيمكن القول بأن هناك حوالي 100 عامل بالبيوت يعيشون من عمل الزربية[1287]، و12 ورشة توظف حوالي 40 عاملا، مع العلم أن جميع أفراد عائلة العامل تساهم في هذه العملية، فالنساء يحضرن الخيوط، والرجال يقومون بالنسيج، حيث ينسجون حوالي 1000 متر^2 تقريبا في العام، لكن الأسعار المعروضة على الحرفيين تظل غير مشجعة بالنظر للعمل الكبير[1288]. وأحيانا كانت صناعة الزربية، والنسيج في وادي سوف تعرف أزمات، نتيجة لنقص المواد الخام كالصوف مثل ما وقع في أفريل 1942، وأوت 1944[1289]. ومن هنا يتأكد لنا حاجة الحرفيين، لتطوير هذه الصناعة من حيث الوسائل المستعملة من جهة، وأجورهم المستحقة تبعا لأسعار المبيعات، ذلك ما يؤكد من ناحية أخرى الابتزاز الممارس في حق العمال الجزائريين، الذين ظلوا يدا عاملة في خدمة الاقتصاد الكولونيالي، كما كانت تلك الصناعة صورة شاهدة على حجم التأقلم من خلال العمل على تثبيت الصليب[1290] كرمز دال على قوة التأثير، لسياسة المحتل. أما المقاومة فتبرز من خلال عدم الاكتراث، لما قد يتركه البعد الديني من خلال الصليب، الذي يعتبره الحرفيون أمرا لا يهمهم، ولا يعد أمرا ذو بال. يضاف إلى ذلك الاستفادة من الإعانات، التي يمكن تلقيها من خلال مركز التمهين.

2 -نســـــــــج الحـــــــــايـــــــك :

إن المميزات الحضارية، لكل مجتمع، تجعله يتميز بخصائص اجتماعية، كان من بينها ارتداء الحايك، خاصة لدى الرجال باعتباره يضفي على مرتديه سمتا، لا يمكن تقديره، إلا ما يمكن أن يشعر به الشخص المرتدي للحايك. ومن هنا يتبين أن هذا المنسوج ذو أهمية بالغة، لدى العديد من أفراد المجتمع بوادي سوف. ونسيج الحايك بالمنطقة لها أهمية بالغة نتيجة الرواج الكبير لهذه الحرفة، خاصة بكوينين، حيث ظلت مدة كبيرة تلقى رواجا واسعا، ذلك للحاجة الملحة لاقتنائه من طرف الرجال

[1287] L'annexe d'El-oued : **Note sur l'habitat**, op. cit, p 3.

[1288] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 251.

[1289] A.N.A : Boite 49, Dossier 4.

[1290] تثبيت الصليب في الشكل الكبير الذي يحتل مساحة كبيرة من الزربية، لم يكن مستعملا إلا حينما بدأت الاهتمامات بتطوير نسج الزربية من قبل إدارة المدارس الأهلية مدرسة التكوين المهني بالوادي..

والنساء معا، رغم الاختلافات المتباينة بين الحايك الرجالي، والحايك النسائي، فهو الرداء الأساسي الذي يكون كل من الفئتين في أمس الحاجة له، لما يمثله من قيمة اجتماعية، وحضارية في الوسط الاجتماعي بوادي سوف، كما نجد صناعة الحايك، وهو " الحُولي " بنوعيه، إما الحولي الخشن، وهو كله من الصوف، وهو من ألبسة الرجال، ومنها نوع للنساء عوضا على الملحفة، أو الملاءة، وهي من الصوف[1291]. أما النوع الثاني فهو الحولي القطني؛ وهو من الصوف المعلم بالقطن للجنسين، غير أن النساء يصبغنها بالسواد أو الحمرة[1292]. وأهم الحواضر التي اشتهرت بنسجه، هي كل من كوينين وورماس، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، لكن رغم ذلك فهناك منافسة شديدة لهذا المنسوج، وهو حايك الشرق؛ أي الحايك المستورد من تونس. وقد بلغ عدد الحياك المنسوجة بوادي سوف 2776 حايكا شهر أوت 1942، ذلك بحسب التقرير الفرنسي لمناطق الجنوب[1293]، مما يؤكد ضخامة إنتاجه محليا في المنطقة.

3 - *نسيج الألبسة :*

إن الحياة الممارسة من قبل المجتمعات البشرية تلح باستمرار على الإنسان السعي من أجل البحث عن ما هو أليق، لممارسة العيش، دون اضطراب يمكن أن يعيق استمرارية التواصل من جهة، والضوابط والقيم الأخلاقية، التي يسعى المجتمع إلى تكريسها، والمجتمع الجزائري من المجتمعات، التي تعتبر اللباس من أهم الضوابط أخلاقيا. لذلك كان اللباس من أهم الانشغالات، التي أهتم بها الإنسان

[1291] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، مرجع سابق، ص 74.

[1292] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، نفس المرجع، ص 74.

[1293] A.N.A : Boite 49, Dossier 4.

كفرد، أو جماعات، وعلى هذا الأساس كان اللباس من أبرز المنتوجات، التي لم يتخل عنها المجتمع بوادي سوف. واللباس منتوج متعـــــــــــدد ومتنوع، هذا بحسب الحاجة له، ومنســـــــــوجات الألبسة متنوعة ومتعددة، وهـــــي كالآتي :

أ -نســـــــــج البـــــــــــــرنوس :

البرنوس لباس خاص بالرجال، كما يعد من أهم المنسوجات، حيث لا يمكن الاستغناء عنه للقيمة الاجتماعية، التي يعيرها هذا الرداء الصوفي، أو الوبري، وهو من أهم المصنوعات النسيجية محليا وخارجيا، ويصنع من الصوف عند البدو والحضر من أهل وادي سوف[1294]، كما يمكن أن ينسج من الوبر، غير أنه خشن الملمس. ويقوم بنسجه النساء فقط، حيث يشتغلن في إنجازه آلاف النسوة[1295]، ومن أنواعه الرفيع والمتوسط والوضيع[1296].

ب -نســـــــــــــج القنـــــــــــــــدورة :

وتعرف بالقدوارة، وهي صناعة منتشرة عند أهالي الحضر في بيوتهم، أو البدو في خيامهم[1297]، وهي لباس خاص بالرجال. وتنسج من الصوف وحده، أو تكون معلمة بالوبر أو الحرير، أو كلها من الحرير[1298].

ج -نســـــــــــــــــج القشبـــــــــــــــية :

[1294] M. CH. Lutaud : en 1909, op. cit, p 56.

[1295] صوت وادي سوف : المرجع السابق، ص 23.

[1296] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 86.

[1297] André Voisin : op. cit, p 251.

[1298] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 82.

وهي شبيهة بالقندورة[1299]، إلا أنها ذات طربوش وكمين، وهي في الغالب من الصوف[1300]، كما توجد منسوجات أخرى كحياكة العراقية، والعفان، حيث يمثل الحذاء لحماية الأرجل من حر الصيف، أوبرد الشتاء، بالإضافة إلى صناعة مستلزمات الخيمة، ومنسوجات متنوعة، ومنها الغرارة[1301]، والقطيفة[1302]، والمحزمة[1303]، والمخلاة[1304]، وغيرها كثير[1305].

ثانيا – الصناعة والحـــــــــرف اليدوية بوادي سوف :

تعد الصناعات بوادي سوف في غالبها حرفا، نتيجة الفاقة والعوز للآلة، التي من خلالها تزدهر الصناعة، وعليه فإن هذه النشاطات يمكن حصرها في :

1 – الحـــــــــرف المعتـــــــــمدة على النخـــــــــلة ومكوناتها :

الصناعة بوادي سوف، هي في حقيقة الأمر حرف تقليدية، ذلك لطبيعة المصنوعات المعتمدة على النخلة لأن دورها، لا ينتهي عند المساهمة في الغذاء الأساسي للمجتمع بواي سوف، بل أن أجزاءها المعتمدة في الحـــــــــرف، ساهمت في تـــــــــنوع المنتـــــــــوجات العديـــــــــدة، كـــــــــما كان الفرد بوادي سوف في احتـــــــــياج يـــــــــومي لهـــــــــا. وعـــــــــلى هـــــــــذا فـــــــــإن جمـــــــــيع أجـــــــــزاء النـــــــــخلة،

[1299] بل توجد القندورة من الصوف، خاصة البيضاء.

[1300] إبراهيم العوامر : نفس المصدر، ص 87.

[1301] الغرارة : كيس من الوبروالشعر والصوف ذا حجم كبير، وتستغل الغرارة في نقل العديد من المحاصيل وغيرها.

[1302] القطيفة : وهي أفرشة منسوجة من الشعر المخلوط بالصوف والوبر.

[1303] المحزمة : وهي حزام للرجال تنسج من الصوف والشعر، وتمتاز بالمتانة والقوة.

[1304] المخلاة : وهي عبارة عن كيس صغير غالبا مايأخذ شكل مستطيل تستعمل لأغراض عديدة.

[1305] André Voisin : op. cit, p p 251, 252.

يستغل دون أن يهمل، وهذه المصنوعات هي :

أ -المنتوجات السعفية[1306] :

إن المنتوجات السعفية تقوم في الأساس على جمع السعف في مرحلة السلال، وهو عادة ما يكون قريبا من قلب النخلة، ليجفف بتعريضه إلى الشمس، فلما ييبس يدخل إلى الظل، ثم يغمس في الماء حتى يلين لمدة، ويصبح مطاوعا للعمل، وبعدها تصبح المادة طيعة للصناعة، فينتج من خلالها العديد من الأواني والأوعية المتفاوتة الأحجام، وأدوات أخرى. ومن أهمها : الزنبيل والقفة والملاية[1307] والشارية[1308]، والزمور[1309] ولعلاقة[1310]، بالإضافة إلى المظلة[1311] والمنشة[1312] اللتان تستعملان في مقاومة الحرارة بالمنطقة[1313].

ب -المنتوجات السعفية مع التيق[1314] :

[1306] السعف : هو خوص النخيل وهو من نوع جيد قريب من قلب النخلة " جمارها " ويسمى السلال.

[1307] الملاية : هي أكبر من القفة وذات شكل دائري اسطواني تستعمل في البناء ولرعاية النخيل داخل الغوط بالخصوص.

[1308] الشارية : مثل القفة وهي أكبر منها.

[1309] الزمور : وهو اكبر من القفة، وذو شكل دائري اسطواني، وبه غطاء متصل به. ويستعمل لحفظ كثير من محتويات المنطقة.

[1310] لعلاقة : وهي آنية صغيرة يحفظ بها البسر (المنقر) في الخريف – أي الرطب –.

[1311] المظلة : وهي تصنع من السعف الجيد (السلال) لتقي الرأس من أشعة الشمس.

[1312] المنشة : وتصنع من السلال وهي لتهوية الجو في أوقات الحر.

[1313] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 24.

[1314] التيق : مفرده تيقة وهي ساق العرجون المنزوع منه شماريخ التمر يغمس في الماء حتى يلين.

تتم بتفتيت التيقة إلى ألياف مع أخذ سمك معين منها، لتلف بالسلال، فيصنع منها العديد من الأواني مثل : الطبق والكسكاس، والمثرد[1315] والقنينة[1316].

ج - مصنوعات الليف[1317] :

الليف هو اللحاء النباتي المتشكل بين ركاب[1318] النخلة، ويجمع بطريقة يراعى فيها الدقة والتروي، ويستعمل الليف بعد تغميس الجيد منه في الماء، ثم يفكك ليصنع منه الحبال المستغلة في أشغال عديدة كحفر الآبار[1319]، كما يستخدم منها العراوي للقفـــاف والملايات والعلائق[1320]، كما يستغل لتصفية السوائل، لمساميته.

د - مصنوعات عصي الجريد :

يقصد بالجريد الخوص، وواحدته خوصة. وعند نزع أجزاء الخوصة (الجريدة) يتبقى منها العصا، فيستغلها الفرد بوادي سوف في عدة استعمالات يومية، وأخرى موسمية، وبعضها حسب الحاجة الملحة للاستعمال، وهي عديدة ومتنوعة منها : قوائم المنسج (النول)[1321]، وعصا النيرة[1322]،

[1315] المثرد إناء ذو قاعدة ثخينة تجعله يرتفع عن الأرض.

[1316] القنينة : آنية مختلفة الأشكال تستعمل عادة لشرب الماء.

[1317] الليف : وهو الياف بنية تغطي جذع النخلة كما يمكن أن نطلق عليها باللحاء. وهي مابين الكرناف المنزوع عند قطع الخوص (الجريد) في فصل الخريف.

[1318] الركاب وهو الكرناف المشفف تشفيفا منظم، مما يكون سلم بجذع النخلة يستغل لتسلق النخلة.

[1319] C. Cauvet : " La culture ",op. cit, p 70.

[1320] علي بوصبيع العايش : النخيل ثقافيا واقتصاديا، ص 25.

[1321] النول : وهي ثلاث أواربع عصي تصفف وتمسك بحبل، أو تثقب وتشد بأعواد من الشجر المتين.

[1322] عصا النيرة : هي عصا ملساء تكون إحدى أجزاء المنسج.

والحمارة[1323]، والسدة [1324]، والدوح[1325]، والشكمبو[1326]، كما يمكن أن تستغل في العديد من الوسائل، التي يستعملها الفرد في حياته اليومية.

هـ - استغلالات الكرناف :

الكرناف، هو الجزء الواقع بين جذع النخلة، ونهاية ساق الخوصة، فيستعمل من الساق الملتصق بالكرنافة قوس يلعب به لعبة كرة الشعر، كما يقطع جزء من الكرنافة في حجم اليد المضمومة من مؤخرة الخوصة، ليستعمل لحك المنسوجات، والأقمشة الصوفية، كي تصبح ملساء، وتسمى "الحكاكة"[1327]، كما يراعى عند تشفيف جذع النخلة أن يترك جزء من الكرناف، حتى يشكل ركابة، لوضع الرجل عند التسلق، للتأبير أو الجني. أما الكميات الزائدة من الكرناف تستعمل كوقود في الطهي، أو التدفئة في المواقد أثناء فصل الشتاء.

و - مصنوعات جذع النخلة :

النخلة الكبيرة بتعاظم طولها، فيصعب تسلقها، مما يضطر الفلاح إلى تعويضها، فيقتلعها في غالب الأحيان بعد استغلال عصيرها " لاقمي "، الذي يستخرج منه الخل أو النبيذ، كما يستفاد من جذوعها، حيث أنها ذات أطوال مختلفة قد يصل بعضها إلى أكثر من 10 أمتار[1328]. ومن أهم

[1323] الحمارة : وهي ثلاث عصي مشدودة إلى بعضها من الأعلى بحلقات من الحديد تستعمل لحمل قربة الماء.

[1324] السدة : وهي سرير من العصي الذي تشكله عصي خوص النخيل المثقوب والمشدود مع بعضه البعض في الطرف العلوي والسفلي بحبل من السعف ممددة.

[1325] الدوح : مهد يصنع من عصي الخوص، وهو للأطفال الصغار.

[1326] الشكمبو أداة شبيهة بالزنبيل، غير أنه يصنع من العصي حيث تتقابل في القاع أما في الأعلى فتشد بشكل دائري من خلال سيقة العرجون ويوضع على ظهر الدابة بالتوازي من خلال شد الجزئين بحبل ويستعمل لحمل الحجارة أو الصلاجة.

[1327] C. Cauvet : " La culture ",op. cit, p 69.

[1328] Pierre Munier : op. cit, p 27.

استعمالاتها قوائم الخطارة، وتسقيف المباني[1329]، والركيزة التي يبلغ إرتفاعها ما بين 50 إلى 60 سنتمتر، بالإضافة إلى بعض الاستعمالات الأخرى. أما المتبقي منها فيستغل لاعداد الجبس، أو يستعمل للمواقد للتدفئة في الشتاء والطهي[1330].

2 - *الصناعة الجلدية :*

الصناعة الجلدية حرفة قديمة توارثها البشر، نتيجة الحاجة الأساسية الملحة للاستفادة من الجلود المستخلصة من الحيوانات الأليفة المستغلة، التي ظل الإنسان يمارسها باستخدام أدوات بسيطة. أما المادة الأولية المستغلة الجلد المجمع من الحيوانات الأليفة، خاصة الإبل، والضأن والماعز، وتعالج بعد شطف الشحوم العالقة من الجلد ، ثم يقوم بدبغه باستعمال نبات الأثل (الأبهل)، ويقطع الجلد وتصنع منه السيور، والأكياس[1331]، والقرب للمياه والركوة لخض الحليب لاستخراج الزبدة، والرقعة (البردعة) التي توضع على ظهر الداب، والعمورة التي على شكل كيس تستغل لحمل بعض الأغراض، بالإضافة إلى مصنوعات أخرى عديدة الاستعمالات[1332].

3 - *الحرف الصناعية الأخرى :*

الوضع الصحراوي، الذي تميز به إقليم وادي سوف، جعله من الأقاليم الصعبة العيش، ذلك لندرة المواد الخام والبعد عن مواطنها، مما أخّر في مسيرة التطور الحرفي، إلا في أواخر النصف الثاني من القرن 19م، حينما تزايد عدد المهاجرين، خاصة مهاجري المواسم، فعند عودتهم ينقلون معهم بعض الحرف الجديدة، غير المعروفة بالمنطقة، ذلك يعود في الأساس إلى حيوية الفرد بوادي سوف، وسرعة المقدرة في اكتساب المهارة، حتى أن بعض الحرفيين في المناطق

[1329] C. Cauvet : La culture, p 69.

[1330] علي بوصبيع العايش : النخيل ثقافيا واقتصاديا، ص ص 25، 26.

[1331] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 253.

[1332] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص ص 88، 89.

المجـــــــــاورة يتذرعـــــون بأسبـــــــاب تعيـــــــق الفرد من وادي ســـــوف في اكتســـــــــاب تلك المهـــــــــــــارة، ومع ذلك فإن الفـــرد لا يـــــكلُّ من الســـــــعي، لاكتســـــاب تلك الحـــــــــــرفة، فكان ذلك كافيـــــــــا في جعـــــــــــل الكثـــــــــــير يعـــــــــودون إلى الإقليم، لارتبـــــــــــاطهم الوثيق بممتلكاتهم من النخيل، وعلى هذا الأساس ظهرت حرف كثيرة كانت شبه معدومة بالمنطقة، وهذه الحرف يمكن حصرها في :

أ ـ حـــــــــرفة الحـــــــــــدادة :

التطور الحاصل على مستوى الاحتياجات الأساسية للفرد الجزائري، جعله يكيف احتياجاته وفقا للمتطلبات الضرورية، ومن هذه المتطلبات الأدوات الحديدية المستعملة في شتى الميادين، فرض على كل المناطق ببلاد الجزائر العمل على تطوير حرفة الحدادة، حيث أصبحت تعد حرفة، لها أهمية بارزة في مختلف الأنشطة الاقتصادية للمجتمع الجزائري، من بينها مجتمع بوادي سوف، وكانت الحدادة في المنطقة ترتبط بعائلات معينة، وغالبا ما كان الحداد ينقل أسرار المهنة لأبنائه، فتتوارثها العائلة[1333].

أما المـــــــــواد الأوليـــــــــــة المستخـــــــــدمة في الحـــــــــــدادة، فهي عبـــــــارة عن بقـــــــــــايا حديـــــــــديـــــــــة، يتـــــــــم تفصيلها لأجـــــــــــل صنـــــــــاعة بعـــــــــــض الوســـــــــائل المختلفـــــــــة، أو تصليـــــــــــح قطع حديـــــــــــدية قديمـــــــــة، خاصة مع تعذر إمكانيـــــــــة استيراد وجلب الحديـــــــــــد إلى الإقليم قبـــــــــــل استغلال الشاحنـــــــــات، هـــــــذا ما لم يتحقـــــــــــق إلا في العقـــــــــدين الرابـــــــــع

[1333] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 90.

والخامس من القرن 20م. علما أن الوسائل المستخدمة في حرفة الحدادة بسيطة، وهي تتمثل في "الكير"، والسندان، ومجموعة من المطارق، ذات احجام مختلفة، وبعض الأدوات الحادة المبتكرة محليا، ومنشار حديدي، وأدوات قطع، وهي الأخرى في غالب الأحيان مبتكرة يدويا، مع ضرورة وجود مساعد للحداد، ومن أهم مصنوعات الحداد في وادي سوف نجد :

الفأس والمسحة، والقدوم والمطرقة بمختلف أشكالها وحجومها، والسكين والمنجل، والجِلَم[1334] وكُلاّب الضُّروس ويعرف في الإقليم " بكُلاّب الرّخ "[1335]، والشّكيمة[1336] واللجام، والمنقاش والملقط، ومِخيط السّعف ومِشط الصّوف، والحمارة والمسمار ذو الاستعمالات المختلفة، والخلالة والمناديف (المصائد الحديدية) بأنواعها.وغيرها من الأدوات العديدة والمتنوعة...الخ. وأسعار هذه المنتوجات يحدد حسب الجهد الذي يبذله الحرفي، وهذه الحرفة تتطلب التنقل والتجوال بين الأسواق في قرى وادي سوف وخارجها، حيث كان الحدادون يجلبون من تونس والتل أشياء مصنوعة ويبيعونها، والموسم الأكثر نشاطا في الحدادة هو فصل الخريف موسم جني التمور، ويتناقص النشاط باقي فصول السنة[1337]. وما يمكن الوقوف عليه هو أن غالبية الحرفيين الأوائل لحرفة الحدادة، قد هاجروا إلى القطر التونسي والمدن العريقة بالبلاد، ومكثوا مدة مكنتهم من اكتساب هذه الحرفة.

ب -حرفة النحاس :

[1334] الجلم هو مقص كبير لجز صوف الغنم أو وبر الإبل.

[1335] وهو احد الحدادين المعروفين بالوادي المركزي.

[1336] الشكيمة هي لجام للحمار عوض اللجام للحصان.

[1337] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق،ص 91.

حرفة يشوبها النقص، لكون المنشغلين بها غير مؤهلين تأهيلا حرفيا كاملا، لأنهم يعتمدون على الأواني النحاسية القديمة، فيكتفون فقط بإعادة تفصيلها، أو إصلاح ولحم المعطوب منها، ومن بين ما يصنعون نجد : أواني الطهي والأواني الكبيرة لتخزين الماء في المساجد، وأواني الفَوّالة[1338] وقدور الطهي، والكساكيس وقدور تسخين مياه الحمامات والمساجد، و"الشَكشاكة" وأدوات الحجامة، ومصباح الضوء والفوانيس التي تضاء بالزيت. وبتطور النقل خلال الأربعينات من القرن 20م بدأ في جلب واستيراد النحاس كمادة خام من قسنطينة. مما دعا إلى بروز ملامح الاحترافية، وكل الأعمال، كانت تتم يدويا، ومعظم منتوجات النُّحاس تباع محليا، خاصة لعرب الصحراء الذين لا يطهون إلا في أواني النُّحاس[1339]، كما يمكن أن تستهوي بعض السياح فيقتنوا البعض منها.

ج - حرفـــــــــة النجـــــــــارة :

الحياة البسيطة بوادي سوف انعكست على متطلبات الشخص، وفقا لمستواه المعيشي، ذلك ما برز على مستوى الوسائل الخشبية المتواجدة بالمنزل، حيث كانت تلك الوضعية انعكاسا حقيقيا لمحدودية حرفة النجارة في الإقليم، التي كان يبدو عليها البساطة[1340]، كما كانت المنتوجات متواضعة. أما المادة الخام التي يعتمد عليها، هي خشب الصناديق الحاوية للبضائع المستوردة، التي يتم استخدامها في تفصيل أبواب من قطعتين، كما يتم صنع " الرّبعات "[1341] للنساء، والوسائل المستخدمة في النجارة بسيطة جدا كاللكّانة[1342] والقِيدومة[1343] والمنشار، وهي مقتناة من الجريد

[1338] الفوالة مفرده فوال بائع الفول المطهي بمرقه، وهو يشبه الحمامصي في مناطق عديدة من الجزائر.

[1339] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 91.

[1340] André Voisin : op. cit, p 253.

[1341] وهي صناديق تستخدمها النساء خاصة العرائس في سوف لتخبئة الملابس. و صندوق مستطيل بطوله 60 سم، وعرضه وارتفاعه 40 سم، ويلبّس من الداخل بالورق المورد، ويلصق بســـائل يستخدم كغراء يحضر من مزج الفرينة بالمـــاء. -ينظر عثمان زقب : المرجع السابق، ص 92.

[1342] وهي آلة تستخدم من طرف النجارين لترطيب الخشب لكي يصبح أملسا.

[1343] وهي مطرقة تقليدية يستخدمها سكان المنطقة.

التونسي، حتى المسامير المستخدمة، فهي تنتزع من الصناديق الحاوية للبضاعة المستوردة[1344]، ويعاد إصلاحها. وهذه الحرفة كغيرها من الحرفة التي ظلت زمنا غير متطورة، يحاول المختصون تحسين أدائها من خلال سياسة الترغيب المتباطئة السير، بالإضافة إلى المجهودات المبذولة من قبل الإدارة الاستعمارية، لتوسيع دائرة التأقلم من خلال مدارس التمهين، ومن أجل توسيع حجم اللعمالة المشتغلة بها.

د - صياغة الفضة والحلي :

بداوة المنطقة، لم تؤهل بعض السكان بوادي سوف من الاشتغال بصياغة الفضة، غير أن هذه الحرفة كان يمارسها اليهود بقوة، لسيطرتهم عليها رغم أنهم منحوا، لبعض السكان المسلمين أسرار هذه الحرفة، ومما يلاحظ أن معظم الجواهر الصحراوية من الفضة، يتحصلون عليها من إذابة النقود القديمة، وسكبها في قوالب خاصة، تكون ذات أشكال مختلفة، وغالبا ما يجتمع الصياغ في حي واحد[1345].

أما الصيغة والحلي التي تتخذها النسوة بوادي سوف هي : حلق الأذنين، والفلايك والخواتم. والخُلة وتُلبس على الصدر ويتكون من خُمستين تعلقان على الكتفين ومنتصف الخُلة يكون على صدر المرأة. السْخاب ويعرف بـ " المعرقة " يصنع من البخور والعطور، ويشكل منه حصيات هرمية يتوسطها مشابك (السخاب) نحاسية أو فضية، ويتوسط العقد دولارة من معدن نفيس، ويوضع كالعقد الطويل على الصدر، والخلخال وهي أساور للأقدام وبها نقوش دقيقة تلبس في الأرجل. المقواس : أو المقياس وهو نوع من الأساور التي توضع في المعصم، وينقش عليها شكل

[1344] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 91.

[1345] André Voisin : op. cit, p 253.

هندسي يمثل المعيّن، بالإضافة إلى شكل الدوائر الملونة، والخُمسة، التي توضع فوق الجبهة، وهي في اعتقادهم تطرد العين والحسد. المشرّف وهو حلقات توضع في الأذن يبلغ قطرها 14 سم.

ثالثا - صناعة مواد البناء المحلية :

البناء آلية أساسية يهتدي إليها الفرد من أجل التمتع بالحياة من ناحية، ومواصلة العيش، وفق ضوابط حضارية من ناحية ثانية. والبناء في المناطق الصحراوية، يختلف عنها في الأقاليم التلية، ذلك تبعا للاختلافات، التي تتميز بها كل منطقة عن غيرها. انطلاقا من العوامل البيئية، والإمكانيات المتاحة بالإقليم. ومن هذه المنطلقات كان لزاما على الفرد بوادي سوف أن يبحث عن المواد اللازمة للبناء، وفقا للمقومات المتاحة من حجر التافزة والصلاجة، واللوسة، بالإضافة إلى الجريد وجذوع النخيل، وحطب الصحراء المستعملان في تحضير الجبس من حجر التافزة. وكل هذه المواد يضاف إليها بعض المستلزمات التي تجلب من خارج الإقليم، كالقطر التونسي والمدن الداخلية، ذلك تلبية للاحتياجات الأساسية للبناء بالإقليم.

1 - مواد البناء المستخدمة وتوزيعها :

أرض وادي سوف صحراوية، تنعدم فيها الغابات، والخشب الوحيد الموجود بكثرة، يتمثل في جذوع النخيل المحطمة[1346]، التي دخلت كمادة أولية، ولو نسبيا في البناءات المختلفة، خاصة السقوف، كما يوجد تحت أرض المناطق الشمالية خصوصا طبقة صخرية تسمى " دَبدابة " أو تافزة سمكها من 0.5 متر إلى 2 متر، وتصل إلى 3 أمتار، التي يتم تحويلها فيما بعد إلى الجبس[1347]، بالإضافة لصخور أخرى تعرف باللّوس، وتستخدم كحجارة للبناء، ويتم إلصاقها بالجبس المحضّر[1348]. وفي بداية الأمر كان السكان بالإقليم يستخدمون حجارة صغيرة تسمى " التِرشة " تنتزع من تحت

[1346] L'annexe d'El-oued : **Le souf,** op. cit, p 14.

[1347] Daviault : op. cit, p 5.

[1348] Ahmed Nadjah : op. cit, p84.

النخيل، وتخلط مع بعضها، وتكون قوالب تبنى بها الجدران، فقالب التّرشة، والجبس سمكه من 10 سم إلى 12 سم (4 أصابع). وفي وقت ما كانت هناك حجارة تجلب من تكسبت توجد في الماء، حيث يتم نزعها وتجفيفها، لكن مهمة استخراجها صعبة، قد تؤدي أحيانا لهلاك العمال، لذا تخلوا عن استخراجها[1349].

إن عملية نقل هذه المواد الأولية من مناطق بعيدة، خاصة إلى جنوب الإقليم بالوادي وعميش، تعد مشقة حقيقية، سواء كانت حجارة، أو لوسا...الخ. خاصة مع ضعف استخدام الشاحنات في النقل سـابقا، لكن مع تطور استخدام الشاحنات فترة الأربعينات والخمسينات بدأت الوضعية تتحسن[1350]. والأمر يحتاج لشهر كامل لتحضير مواد البناء الضرورية، لأجل بناء حائط، حتى أن الأمر تطلب تحضير حجارة وجبس لمدة 3 أشهر، لكي يبدأ العمل في بناء المحكمة الشرعية بالوادي سنتي (1933 – 1934)[1351]. مع أن نقل هذه المواد من مناطق بعيدة، سواء كان ذلك حجارة أو جبسا، ساهم في توفير العيش لعدد كبير من اليد العاملة بالإقليم[1352].

2 - *طرق تحضير الجبس واستخدامه :*

الجبس مادة أساسية في البناء، ولاستحضاره يتطلب تحويل حجر التافزة[1353]، ذلك بالقيام بما يعرف "بالحَروق"؛ بمعنى حرق حجر التافزة في أفران كبيرة، تبنى من الجبس على جانب كثيب رملي[1354]. والأفـــــــــــران عبارة عن اسطوانات مبنية قرب مناطق استخراج التافزة[1355]، ويتم وضع حجارة التافزة في أعلى الفرن، و"كوشة الجبس"؛ أي الفرن لها سعة 70 زِمبيل قيمتها 7000 فرنك

[1349] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 93.

[1350] Ahmed Nadjah : op.cit , p85.

[1351] André Voisin : op. cit, p 253.

[1352] Daviault : op. cit, p 5.

[1353] التافزة طبقة صخرية تتشكل نتيجة تبخر المياه الساخنة، وتوجد في شكل طبقات تمتد لمسافات طويلة تحت مستويات معينة من التراب، وتواجدها بمناطق يمكن التعرف عليها من خلال تراكم الرمال مشكلة للكهوف.

[1354] André Voisin : op. cit, p 254.

[1355] Daviault : op. cit , p 5.

سنتي (1946-1947)، والزمبيل بـــــــــــ 100فرنك، كما يجلبونه على الدواب من تكسبت وكوينين، وقمار والدبيلة[1356]. وكان لهـــــــــذه الأفـــران فتحة في الأسفل لإدخـــــــــال الخشب، الذي سيـــــــــــكون نارا لهذا الفرن[1357]، والخشب المستخدم في عملية الحرق، هي جذوع النخيـــل، وبعـــض الأشـــجار الدهنية بطيـــــئة الاستهلاك أثـــناء الحرق مثل : "شجـــرة الزّيتا"، حيث كان البنـــزين الغـــــابي الوحـــيد المتـــوفر، وأفـــران الجـــبس الأكثـــــــر أهـــمية، توجد في نـــهايات الطريق القديم للـــنخيل (تكسبت وغمرة). وبعد الانتـــــــــــــــــهاء من عـــــــــــــــــملية "الحرقان" يتم دقّ الحجارة المحروقة، فتتحول إلى مســـــــــــــــــحوق أبيـــــــــــــــــض به قطع ســـــــــــــــــوداء من بقايا الفحم المستخدم في الحرق، مشكّلة الجبس المتـــــــــــــــــحصل عليه[1358]، يستـــــــــــــــــخدم كرابـــــــــــــــــطـــة لحجارة اللوس والصـــــــــــــــــلاجة، والجـــــــــــــــــبس الجيد يظل صالحا لعشرات السنين.

وخلاصة القول أن حجم التأقلم في الصناعة والحرف كان أقل مما يمكن تصوره نتيجة الوضع المزري الذي كان يحياه الحرفيون من ناحية، وطبيعة المنطقة التي لم تساعد في استجلاب التقانة الحديثة التي شهدتها الصناعات والحرف في المدن الساحلية والداخلية بالجزائر.

المبحث الثالث ـ أثر سياسة الاحتلال على الخدمات العامة والتجارة، وطرق المواصلات بوادي سوف :

[1356] Ahmed Nadjah : op.cit, p p 85, 86.

[1357] Ibid, p 164.

[1358] صوت وادي سوف، ص 19.

الخدمات العامة ملمح من أهم صور التمدن، التي من خلالها يمكن الوقوف على مستوى التطور، الذي بلغته المدينة، ومن أهم آليات الخدمات، النقل وشبكة المواصلات، هذا ما يقره علماء الاجتماع في كون أن أهمية النقل والاتصالات، تدخل ضمن إحداث التفاعل البشري، الذي يساهم في تطور وازدهار المدينة. والسبب الرئيسي لنمو المدينة واتساعها وامتدادها، ينحصر أساسا في مستوى النقل والاتصالات القائمة بين أفراد المجتمع، وفي سهولة الانتقال النسبي من مكان لآخر. بل يقرون بأن هيكل الاتصال أفضل الأسس لتقييم ثقافة المدينة[1359]، إضافة إلى التجارة، باعتبارها نشاطا اقتصاديا هاما تحتاجه المجتمعات لتلبية حاجياتها، وأهم ما يمثل التجارة السوق، باعتباره أهم مراكز التنشيط للعمليات التجارية. فالأسواق المنتشرة في الإقليم، هي في الأساس منشأ الحواضر، ذلك لكون مراكز التبادل التجاري، كانت تقوم عند ملتقى طرق التجارة. والأسواق مراكز النشاط التجاري بصوره ومراحله المختلفة، التي انعكست مباشرة على نمطية الأسواق وأنواعها[1360].

أما ما استحدثته الإدارة الاستعمارية على مستوى هذا القطاع، فيتمثل أساسا في البريد والفندقة، وهذان القطاعان يعدان من القطاعات المتأخرة في البروز، نتيجة الوضع العام، الذي كان يتميز بغياب الرغبة في تطوير الإقليم من طرف الإدارة الاستعمارية، ذلك تبعا لعدم نجاعة مثل هذه المشاريع الخدماتية من جهة، وانعدام الرغبة لدى السكان المسلمين الجزائريين من جهة ثانية. بل أن نظرة غالبية سكان الإقليم، لمثل هذه الخدمات يدخل ضمن المحرمات كالفندقة، التي تستوعب السياح العابرين من الجزائر نحو القطر التونسي، بخلاف التلغراف والهاتف، اللذان ظلا زمنا طويلا يعتبران ترفا، لا ينبغي السعي وراءه، رغم الوضع المهتز، إلا أن قطاع الخدمات شهد تطورا ملحوظا، رغم الابتزاز، الذي ظلت السلطة تمارسه للضغط على السكان المسلمين الجزائريين تارة،

[1359] حسين رشوان : **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، المكتب الجامع الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 89.

[1360] محمد عبد الستار عثمان : **المدينة الإسلامية**، سلسلة المعرفة، الكتاب رقم 128، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 1988، ص 227.

وورقة مواءمة، ينبغي العمل على إنجاح كل ما يدخل، ضمن هذا القطاع، لربط اقتصاد الإقليم بالاقتصاد الكولونيالي الممارس، عبر تراب البلاد المحتلة قاطبة.

أولا – تأثير المحتل على البريد والاتصالات :

شساعة إقليم وادي سوف، وموقعه الحدودي الرابط بين الجزائر وتونس، من خلال منطقة الجريد والجزائر وليبيا، من خلال غدامس الليبية، مما فرض على الإدارة الاستعمارية الإسراع في العمل على وضع آليات إتصال لملحقة الوادي، لاعتبارها ضرورة تفرض الاهتمام بتطوير هذا الميدان، والقصد من ذلك، لا يعود أساسا لخدمة السكان فقط، بقدر ما هي احتياجات ملحة لترسيخ الاستيطان، ومصالح القوات الفرنسية في المنطقة، خاصة أن الإقليم متاخم للحدود مع تونس وليبيا، ليسهل مراقبته، رغم أن تطوير البريد والمواصلات أخذ وقتا كبيرا، فلم تنشط خدماتها بشكل فعلي، إلا في الأربعينات من القرن 20م، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية[1361]. وكانت هذه الخدمات تتضمن البريد، والتلغراف، والهاتف.

1 – البـــــــريـــــــــــــــــــد :

افتتحت أول قباضة بريدية بوادي سوف بعد وصول الفرنسيين للمنطقة بفترة قليلة[1362]، ذلك حوال 1890[1363]. أما الفرع البريدي بقمار فقد افتتح في 1909، وفرع كوينين 1924[1364]، ثم فرع الزقم عام 1926[1365]. ومنذ 1 أوت 1933 أصبحت القابضة البريدية بالوادي تقدم خدمة البرقيات والبريد، والحوالات التلغرافية. وفي سنة 1938 كان بها قابض مساعد فرنسي، وأربعة مساعدين، وموزع

[1361] Document Algérien : **La situation politique dans les territoires du sud, Réalisation dans l'annexe d'El-oued**, Série politique, N 21, 15 décembre 1948, p p 76, 77.

[1362] Ibid, p 74.

[1363] André Voisin : op. cit, p 280.

[1364] Document Algérien : **La situation politique**, op. cit, p76.

[1365] Gouverneur Générale de l'Algérie : **Commissariat** : op. cit, p 421.

بريد من السكان. أما فرع قمار فكان به ساع قابض من السكان، ونفس الشيء بكوينين. أما الزقم فبها ساع ملحق من السكان المسلمين الجزائريين[1366]، وفي أكتوبر 1947 أقيم فرع بريدي بالبهيمة، ثم شرعت الإدارة الفرنسية في إنجاز فروع بريدية في كل من المقرن، والذي بدأ العمل به في 1 جانفي 1948. وكذا في الزقم، حيث بدأ العمل في فرع بريدي جديد سنة 1948، بالإضافة إلى إعادة تهيئة وتوسيع بريد الوادي المركزي[1367]، وتجدر الإشارة هنا أن خدمات البريد بين كل من : الوادي – الزقم – نفطة كانت مسندة إلى سيارات المسافرين المنتظمة "الإخوة دوقليون - دوسي[1368]"، ونفس المؤسسة كانت تضمن خدمات البريد في اتجاه كل من : الوادي-كوينين-قمار-بسكرة[1369]. والجدول الآتي يوضح تطور مداخيل قابض البريد بوادي سوف كانعكاس لهذا التوسع، والرغبة المتزايدة لدى السكان في الاستفادة من مثل هذه الخدمات :

جدول تطور مداخيل القابض البريدي بوادي سوف بالفرنك خلال (1926-1947) :

السنة	1926	1928 [1370]	1945	1946	1947 [1371]
المداخيل فرنك ف	81095	84927	940488,50	1393316,77	5881833,43

[1366] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit, p19.

[1367] Cap. Ferry : **Travaux dans l'annexes d'El-oued**, op. cit.

[1368] وهي عبارة عن شركة نقل تعود في الأساس إلى معمرين من أصول إيطالية.

[1369] A.N.A : Boite 371, R**apport Annuel 1938**, op. cit, p 19.

[1370] Gouverneur Générale de l'Algérie : **Commissariat**, op. cit, p p 428, 429.

[1371] Document Algérien : **La situation politique,** op. cit, p 77.

الجدول يوضح لنا تزايد مداخيل القابض البريدي بوادي سوف، ذلك بفضل تزايد عدد مقرات البريد، خاصة مع نهاية الحرب العالمية الثانية، يضاف إليها تزايد حركة التجارة، وتحويلات المهاجرين المالية نحو وادي سوف، دون تجاهل المحاولات المتعثرة، التي حاولت الإدارة الاستعمارية التظاهر من خلالها، أمام الرأي العام الدولي، والداعية لتحسين أوضاع السكان الجزائريين، خاصة منذ صعود الحكومة الشعبية لسدة الحكم بفرنسا، ذلك منذ الثلاثينات من القرن 20م، يضاف إلى كل ذلك التحولات الاجتماعية المتمثلة في توسع نطاق الهجرة، خاصة نحو فرنسا، التي زادت من رقعة المهاجرين، مما أمْلَى ضرورة رفع مستوى الخدمات البريدية، دون تجاهل العوامل المختلفة، التي سرَّعت من زيادة حجم هذه الخدمات.

2 – التلغراف :

اتساع الرقعة الجغرافية لإقليم وادي سوف، وما كان يشكله من تهديدات بالنسبة للمقاومة من خلال الإمداد بالبارود، عن طريق الشعانبة، وإيواء وادي سوف لبعض المقاومين التونسيين، ذلك ما جعل السلطة المحتلة تنشئ خط تلغراف، بين حاميتها بالدبيلة، والحامية الفرنسية بتوزر، ذلك منذ 1882، رغم محدودية الاستفادة المحصورة على الميدان العسكري، لكن ما إن حلَّ القرن 20م أصبحت وادي سوف تمتلك منذ 31 ديسمبر 1904 إلى 31 ديسمبر 1928 ثلاثة خطوط تلغرافية بالمراعاة لأطوالها وهي :

1 - خط بسكرة - المغير – تقرت – الوادي بطول 305.17 كلم.

2 - خط الوادي- نفطة - توزر إلى غاية حدود المنطقة بطول 91.36 كلم.

3 - خط الوادي- قمار بطول 14.63 كلم[1372].

لتستمر هذه الوضعية لغاية عام 1938، حيث أنشأت الإدارة الفرنسية خطين تلغرافيين بالملحقة أحدها يربط الوادي بنفطة، وقد يكون تتمة للخط الذي كان يربط الدبيلة بتوزر، والآخر الوادي بجامعة، مرورا بقمار مع الانحراف صوب تقرت للجنوب، ثم بسكرة شمالا، بالإضافة لمركزين للراديو التلغرافي العسكري في سيف فاطمة[1373]. وقد عرفت مداخيل رسوم التلغراف، والهاتف استقرارا في الفترة الممتدة ما بين سنتي (1926 – 1928)، فمن 21506 فرنكا فرنسيا خلال سنة 1926 إلى 23668 فرنكا فرنسيا سنة 1927، لتتراجع المداخيل نسبيا، وقد بلغت 22858 فرنكا فرنسيا في سنة 1928[1374]، لكن ما يلاحظ على التلغراف، أنه أخذ بالتناقص، نتيجة استخدام الهاتف، الذي يعد أكثر استحسانا، لما يقدم من خدمة تجعل الناس أكثر استعمالا له، ذلك من خلال التحاور على طريق الصوت المتبادل بين المتحدثين.

3 – الهـــــــــــــاتـــــــــــــف :

مُدَّ أول خط هاتفي بوادي سوف سنة 1928، وكان يربط الوادي- نفطة – توزر، حيث يربط الاتصال مع تونس[1375]، ثم بدأ العمل في الخط " جامعة – الوادي "، كما تمَّ في سنة 1931 ربط الدورة التليفونية "جامعة – الوادي"، مما دفعها للتوسع نحو نفطة لأجل ربط الجنوب الجزائري بتونس[1376]، وبعد الحرب العالمية الثانية شهد الهاتف في وادي سوف توسعا كبيرا بافتتاح العديد من الغرف التلفونية، من بينها ما أقيـــــــــم بحـــــــــاسي خليفة عـــــــــــــام 1947، والدبيـــــــــــــلة والرقيـــــــــــــبة وسيـــــــــــــدي عـــــــــــــون، وفي 1948

[1372] Gouverneur Générale de l'Alg : **Commissariat**, op. cit, p p 428, 429.

[1373] A.N.A : Boite 371**, Rapport annuel 1938**,op. cit, p 21.

[1374] Gouverneur Générale de l'Algérie : **Commissariat**, op. cit, p 432.

[1375] Ibid, p 77.

[1376] Cap. Mariaud : **Conférence consultative**, op. cit, p 4.

افتتحت الغرف التلفونية بورماس والبياضة، وكان لهذه الإنجازات الجديدة دور في رفع عدد المشتركين بالهاتف في إقليم وادي سوف، حتى أن عددهم قفز سنة 1947 من 53 مشتركا إلى 160 مشتركا[1377].

هذا ما ساهم في رفع عدد الاتصالات التلفونية من 264 اتصالا سنة 1946 إلى 6681 اتصالا سنة 1948[1378]. وكان قطاع الهاتف في وادي سوف يعرف الكثير من الصعوبات، حيث أن توزيع التجهيزات على المكاتب تتم في ظروف صعبة، والغرفة مجبرة على التنقل بتجهيزات التخييم[1379]، مع العلم أن الوادي كان مسؤولا على صيانة الخط الهاتفي " الوادي - شوشان " وهي نصف مسافة الخط الوادي – نفطة، حتى أن العون المكلف بإصلاح التعطيلات، كان مجبرا على استغلال بغل، وكم كانت العملية صعبة لمعرفة نقاط الأعطاب[1380]، لذا طرحت ضرورة تأمين سيارة، لإصلاح الأعطاب، وتنقلات الأعوان للتركيب الخارجي[1381]، كما أن الحاجة الملحة للهاتف صارت تلح على الإدارة الاستعمارية تطوير آليات هذه الوسيلة، التي أخذت في التطور، بالإضافة إلى توسع نطاق استعماله من طرف السكان بالإقليم.

ثانيا – طرق المواصلات والسياحة :

[1377] Document Algérien : **La situation politique,** op. cit, p 77.

[1378] P.T.T (Région du souf) : **Document Algériens**, N°59, 20 Mars 1949 ,p p 118, 119.

[1379] Ibid, p p 118, 119.

[1380] عثمان زقب : المرجع السابق، ص 124.

[1381] P.T.T (Région du souf) : op. cit, p 119.

وسائل الاتصال بوادي سوف، كانت بسيطة، إلا أنه بعد العشرينات أدخلت، وسائل حديثة كالسيارات والشاحنات. أما فيما قبل فقد كانت الوسيلة المستعملة، هي الإبل والسير بها يتم وفق قوافل تجمع أزيد من ثلاثة جمال أو أكثر، ويدعى أصحاب هذه المهنة بالمنطقة بالحمارة (الجمالة)، ووظيفتهم نقل البضائع المحلية، وجلب أخرى مستوردة للاستهلاك. كما أن الموقع الجغرافي الذي تميز بهإقليم وادي سوف ساهم في رفع وتيرة الخدمات السياحية فكانت المنطقة من أهم المناطق الجاذبة للسواح، خاصة في فصل الشتاء ذو البرودة المعتدلة مقارنة بالمناطق الأوربية.

1 -طرق المواصلات :

ووادي سوف ذو الموقع الحدودي، جعله يتميز بتعدد طرق المواصلات، وتشابك خطوطها وكثرة تفرعاتها، حيث تقع في الفضاء الجنوبي الرابط بينها وبين بلاد الجريد التونسي وغدامس الليبية، والهقار، بل أبعد من ذلك إلى بلاد السودان. والطرق هي نوعان :

أ -وادي سوف منطقة عبور القوافل :

هناك طريقان هامان يتخذان من وادي سوف، كمعبر أساسي لمواصلة السير، نحو إتمام مقاصد سيرهم، وهذان الطريقان هما :

١ - طريق نفطة وغدامس عبر وادي سوف : ويبدأ من تقرت، ثم يتجه نحو الشمال ليمر ببلاد الزاب، فينظم إلى القافلة تجار بسكرة، لمواصلة الاتجاه صوب الجنوب، حتى يصل كوينين بوادي سوف، عندها يأخذ اتجاهين :

- أحدها نحو نفطة شمالا مباشرة.

- ثانيهما نحو الجنوب إلى غدامس الليبية[1382].

٢ - طريق سكيكدة إلى السودان وغدامس مرورا بوادي سوف : يبدأ من سكيكدة، فيتجه نحو قسنطينة، ثم باتنة، ثم بسكرة وتقرت إلى الهقار، ومنها إلى تمبكتو ببلاد السودان، ولهذا الطريق فرع يبدأ من بسكرة يتجه نحو وادي سوف، ومنها إلى غدامس أو غات ببلاد السودان[1383].

ب - الطرق الرابطة بين وادي سوف، والبلدان المتعامل معها :

إن النشاط الحيوي للتجارة بإقليم وادي سوف، جعله يقوي علاقاته ببلدان عديدة، عبر سبل ومسالك متنوعة يمكن تحديدها فيمايلي :

١ - طريق وادي سوف تقرت : يربط الإقليم بتقرت عن طريق الطيبات القبلية، وقد شيد الفرنسيون به عدة أبراج وقمايز (علامات)، وهو يمر ببئر المقيتلة، ثم بئر مويت فرجان، وبئر مويت القايد، وورماس ومنه يصل إلى كوينين، ثم أخيرا إلى الوادي[1384].

٢ - طريق وادي سوف بسكرة : وهو الطريق الرسمي، الذي تشكله القوافل الدورية، والطوابير العسكرية الفرنسية، يمر عبر وادي ريغ وتقرت، لكنه طويل مرورا بالدبيلة، لكن هذا الطريق استبدل بطريق آخر عبر شط ملغيغ. انطلاقا من بلدة سيدي عون إلى غاية الشقة، وهو أقل بكثير لمدة السير بالطريق السابق[1385].

[1382] محمد العربي الزبيري : التجارة الخارجية، ص 156.

[1383] يحي بوعزيز : ثورات الجزائر، ص ص 271 – 272.

[1384] Isabelle Eberhardt : **Mes journaliers**, op. cit, p p 64 – 66.

[1385] D. Escard : op. cit, p p 45, 46.

فكان سكان وادي سوف يتخذون هذا الطريق تقريبا، لكنه من جهة قمار، ويصلون بسكرة في غضون ستة أيام أو سبعة[1386]، فيعبرون من الشقة قدوما من بسكرة، ثم المغير مرورا بالحمراية إلى سيف المنادي، ومنها إلى قرى وادي سوف، قمار وتغزوت، ثم كوينين، وأخيرا إلى الوادي[1387]. فكان هذا الطريق المتعمد من طرف الفرنسيين، حيث تنطلق قوافلهم من الوادي، نحو كوينين، ثم تغزوت وقمار مرورا ببير بوشحمة إلى سيف المنادي، ثم شط بوجلود، ثم شط ملغيغ قاطعا الحمراية إلى الشقة، وأخيرا بسكرة[1388].

٣ - طريق وادي سوف خنشلة : ويكون الانطلاق من الدبيلة إلى بئر العرب، ثم بئر النازية، ومويت التاجر، ثم عقلة الباجة، إلى زريبة حامد، وخنقة سيدي ناجي، وزريبة الوادي، وعين الناقة، ثم بسكرة حتى خنشلة[1389].

٤ - طريق وادي سوف تبسة : يعبر ببرج الحاج قدور، وبئر العرف، وشوشة الحم، وبئر العسلوجي، وواحات نقرين[1390].

٥ - طريق وادي سوف نحو بلاد الجريد : يمكن حصرها في طريق قفصة ونفطة، يبدأ من مدينة الوادي فيسير شمالا نحو قمار، ويخرج منه فرع يتجه مباشرة إلى نفطة، ويواصل الأصل نحو الشمال الشرقي إلى قرية فرن[1391]، ليصل إلى قفصة. أما الطريق الآخر فيخرج من الوادي إلى البهيمة، ثم الدبيلة منها إلى بئر الحاج قدور، لتتصل بطريق تبسة، فيتجه فرع منه نحو الشرق إلى بئر العادل، حيث البرج، ثم بئر شوشة لهودي بالقرب

[1386] Ibid, p 45.

[1387] قصيدة الشيخ إبراهيم العوامر من الشعر الشعبي جسد فيها مراحل طريق رحلته إلى بسكرة وهي بتاريخ 1902.

[1388] Isabelle Eberhardt : op. cit, p p 128 – 131.

[1389] C.Cauvet : **Notes**, p 79.

[1390] Ibid, p 80.

[1391] قرية فرن تقع في الطريق الرابط بين وادي سوف وتبسة.

من الحدود التونسية، وقد أقيم به برج الأمير، ويستمر الطريق إلى نفطة وتوزر[1392].

كما نجد طريق آخر يتجه نحو قِبلي، مقر إقليم نفزاوة، أو صوب الواحات الأخرى، لهذه المنطقة، ومنها تستمر القوافل في سيرها إلى قابس[1393]. أما المنطقة الأخرى المرتاد سلكها من السكان المسلمين الجزائريين، هي قريبة من الطريق السابق، وتبدأ من توزر إلى نفطة، والذراع وأمير السلطان، ثم بئر العسلي مرورا ببئر الخيمة والخوازم والبرج، ثم بئر بوخيال وعرق لحويذق، والعضل، ثم بوشوشة إلى الدبيلة والبهيمة، ثم وصولا إلى الوادي[1394].

٦ - **الطريق من وادي سوف نحو غدامس** : ينطلق هذا الطريق من الوادي إلى بئر الجديد، ثم بئر الصف و مويت عيسى[1395] إلى بئر الغرافة المنجز من طرف الفرنسيين عام 1890 إلى غدامس، حيث يتم الدخول إليها من منطقة كوينين[1396].

٧ - **طريق وادي سوف غات**[1397] : ويبدأ من وادي سوف باتجاه الجنوب متخطيا الصحراء عبر العرق الشرقي الكبير، فيمر بغات، ومنها نحو الجنوب إلى كانو، وإلى تمبكتو عبر محطات عديدة[1398].

من خلال تتبعنا لمسالك الطرق يتبين لنا مشاق ووعورة الدروب، لكن هذا لم يثن من عزائم الرجال. بل زادهم رغبة في معرفة واكتشاف غيرها، حتى تظل التجارة قائمة، وبالفعل فإن هذا يدل

[1392] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 88.

[1393] C. Cauvet : **Notes**, p 79.

[1394] غادة بن صالح بن زغب : قصيدة ملحونة مجسد فيها معا لم هذا الطريق، ديوان مخطوط للشاعر من مواليد 1855.

[1395] Capitaine Reger Leselle : " Les noirs du souf au bulletin ", **de liaison saharienne**, SD, p 08.

[1396] C. Cauvet : **Notes**, p p 80,81. - Capitaine Reger Leselle : op. cit, p p 9 - 27.

[1397] غات : واحة ليبية جنوب غرب فزان، وهي على الحدود الليبية الجزائرية متاخمة للتاسيلي و هي سوق للتوارق، كما أنه سوق يجتمع بها تجار من مختلف أنحاء إفريقيا.

[1398] محمد العربي الزبيري : **التجارة الخارجية**، ص 164.

على حيوية المنطقة، وموقعها المتوسط لإرجاء عديدة مع متاخمتها للحدود التونسية والليبية، فكان هذا كافيا لاحتلالها هذه المكانة. أما دور المحتل في تطوير الطرق، لم يكن ذا بال لصعوبة المناطق، التي تمر بها هذه الطرق من جهة، ومن ناحية أخرى تريث المستعمر في الزج بإمكانياته وقدراته المادية، ذلك لانعدام القدرات الكافية في ضبط الأمن، مما يعود أساسا إلى شساعة المنطقة، يضاف إلى ذلك صعوبة البيئة انطلاقا من التضاريس، وصولا إلى المناخ الصحراوي، والمداري الحارين.

2 – خط سكة الحديد :

استخدام سكة الحديد جاء كخيار استراتيجي، نتيجة ما تقدمه من خدمات، بالإضافة إلى استخدامه حتى تقررت. وبما أن خط سكة الحديد يمر بسطيل، فكان لزاما على الإدارة الفرنسية أن تفكر في مده نحو وادي سوف. وكان ذلك بقرار من الحاكم العام الفرنسي "إيف شتاينيو" (Yves Chataigneau) في 04 فيفري 1946، لتتم عمليات الحفر في 25 جويلية 1946، ثم شرع العمل في وضع خط الحديد بمعدل 3 كلم يوميا. وفي أواخر أوت 1946 تحرك أول قطار فوق خط السكة بين سطيل والوادي، ليدرج الخط ضمن الاستثمار الكولونيالي في أكتوبر 1946، ليدشن في 07 نوفمبر من قبل الحاكم العام " إيف شتاينيو

"[1399]. وكان وصول أول قطار إلى الوادي نهار يوم الجمعة 06 ديسمبر 1946. وتكمن أهمية هذا المشروع في تنشيط التنمية المحلية المرتبطة بالاقتصاد الكولونيالي. وقد بلغت قدرة نقل خط سكة الحديد 20000 طن سنويا[1400]، غير أن المشروع لم ينجح ليتوقف سنة 1954[1401]. ومن هنا يتبين لنا مدى حجم التأقلم، الذي أبداه هذا المشروع، الذي حاولت الإدارة الفرنسية المسارعة في انجازه قصد الاستفادة من خيرات الإقليم مع شعور السكان بنوع من الارتياح والتقبل.

3 ـ السياحة والفندقة بوادي سوف :

إن التحولات الصناعية التي عرفها العالم كان لها أثر في فك العزلة عن الكثير من المناطق الأقاليم من خلال شبكة المواصلات، إضافة إلى التكنولوجيا المستحدثة، مما ساهم في صناعة وسائل مواصلات تستطيع شق الرمال، فكان ذلك سبيلا كافيا لاستغلال الأقاليم الصحراوية، ووادي سوف من بين المناطق الأكثر جاهزية لذلك، حيث بات من الأكيد اعتبار وادي سوف إقليما سياحيا لما يمتلكه من مقومات طبيعية جاذبة، فكان ذلك أمرا مشجعا على توسيع السياحة والخدمات السياحية.

أ ـ السياحة :

تذكر التقارير الفرنسية أن السياحة كانت معدومة النشاط لصعوبة مسالك السير، خاصة منها الرملية، لكن هناك محاولة تمثلت في مهمة سيارة من نوع " ستروان "، التي لم تكن ناجحة سنة 1921[1402]، لكن سيارات " رونو " استطاعت السير بمجموعة من السياح سنة 1923[1403]. فامتلاك وادي

[1399] Documents Algériens : " Construction de la ligne de chemin de fer Stil-El-oued ", **Séries Economique**, N°20, Alger, 7 Novembre 1946, p p 1-3.

[1400] عثمان زقب : المرجع السابق، ص 121.

[1401] André Voisin : op. cit, p 168.

[1402] L'annexe d'El-oued : **Le souf**, op. cit, p 12.

[1403] Ibid, p 12.

سـوف لمعالم سياحية خلابة. انطلاقا من طبيعتها الصحراوية، وكثبانها الرملية، وصفاء سمائها، وما تشكله من ألواح رائعة كغروب الشمس في الأصيل، ولمعان نجومها ليلا على السماء في سواد الصحراء، يضاف إلى ذلك كله توزع الواحات، التي هي أشبه بأرخبيل من الجزر، بين ربوع الرمال، بالإضافة إلى الصناعة التقليدية النشطة والمشهورة، والمطلوبة في نفس الوقت، من طرف السياح الأجانب، خاصة الزرابي. غير أن هذه الإمكانيات السياحية لم توظَّف وتطوَّر، كموارد سياحية إلا نسبيا، هذا بعد أن تمكنت السيارة من الدخول إلى المنطقة. أما عن قدوم السياح إلى وادي سوف قبل 1922، فهو أشبه بالمغامرة، والهواية التي تجعل بعض السياح يحلون بوادي سوف عن طريق قوافل الجمال، نتيجة عزلة المنطقة مثل "إيزابيل أبرهارد "، التي سجلت روائع عن زيارتها الأولى في أوت 1899[1404]، والثانية في أوت 1900، لتدون ذكرياتها في وادي سوف[1405]، وغيرها من السياح المغامرين إلى غاية 1923، ظل عدد السيَّاح الذين حلوا بوادي سوف قليلا جدا[1406]. وفي جانفي 1926 أقدم سائح على عبور الوادي بسيارته انطلاقا من نفطة وصولا إلى تقرت[1407]، ومنذ ذلك بدأ استخدام إقليم وادي سوف في الدورات السياحية. انطلاقا من الجنوب التونسي مرورا بالوادي نحو وادي ريغ، على أن تكون الوادي نقطة عبور يتوقف عندها السياح لمدة يوم[1408]، وكان للإقليم دورتان سياحيتان الأولى تنطلق من بسكرة إلى توزر عبر الوادي، ثم الرجوع،

[1404] إيزابيل إبرهاردت : **عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف**، ترجمة عبد القادر ميهي، الوليد للطباعة، الوادي، 2006، ص 12. (هامش رقم : 02.)

[1405] Eberhardt Isabelle : **Mes journaliers**, op. cit, p 130.

[1406] L'annexe d'El-oued : **le souf,** op. cit, p12.

[1407] A.N.A : Boite 132, Dossier **transport dans le T.S.A.**

[1408] L'annexe d'El-oued : **le souf**, op. cit, p12.

والثـــــــــــانية الـــــــــــوادي – توزر، ثم الرجـــــــــــــــوع، فـــــــــــــــكان ذلك مبـــــــــــــــررا يوجب إنشاء فنادق أو نزل.

ب –الخدمات الفندقية :

أمـــام الـــــوضـــع الذي شهده إقليم وادي سوف من خلال تمكن وسائل النقل الحديثة من بلوغ نطاق الإقليم الصحراوي، وتوافد السياح شـــــرع المحتل في إنشـــاء نـــزل "تـــرانز أتلنتيك" (Trans Atlantic)[1409]، الذي فتحت أبـــــوابـــــه سنـــة 1926[1410]، وكان بـــــه ثماني عشـــــــــرة حـــــجـــــرة[1411]، وقـــــــــــــــاعتين إحداهما للإطـــعـــام، والأخرى للجـــلوس[1412] يقابله نزل الرمال، الذي يُسيَّر من طرف السيد "لوكاس" (Lucas) وبه ست حجر[1413]، ومطعم وحانة ودكان للمواد الغذائية[1414]، وكان يجذب أكثر الزبائن والسياح القادمين لوادي سوف[1415]، وقد قدر عدد السيِّاح سنة 1926 بـــــــــــــــ 228 سائحا، ليرتفع العدد إلى 335 سائحا سنة 1937، وكانوا من عدة جنسيات معظمهم فرنسيـــــــــــــون. وأما سنة 1938 فـــــــــــكان تعدادهم كالآتي : 206 ســـــــــــــــائحا فرنسيـــــــــــــا و18 سائـــــــــــــــحا سويسريا، و33 ســـــــــــــــــائحا انجليزيا و24 ســـــــــــــــــائحا بلجيكيا، و12 ســـــــــــــائحا أمريـــــــــــــــكيا و11 ســـــــــــــــائحا هولنـــــــــــــــديا، و05 سواح سويديين و04 سواح ألمان،

[1409] نـــــزل تـــــــــابع لشـــــــــركة فنادق عـــــــــالمية تمتلك بواخر وسيارات وتعرف برمز C.G.T.A. ينظر عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 124.

[1410].A.N.A : Boite 371, R**apport Annuel 1938**, op. cit, p 31.

[1411] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 190.

[1412] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 125.

[1413] André Voisin : édition 2004, op. cit, p 190.

[1414] عثمان زقب : **الأوضاع**، المرجع السابق، ص 125.

[1415] A.N.A , Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit,p31.

و03 سواح إيطاليين و03 سواح تشيكوسلوفاكيين، وسائحين بولونيين، وسائحين هنغاريين، وسائح نمساوي وسائح فنلندي[1416].

غير أن حركة السياح قد تعطلت أثناء الحرب العالمية الثانية في وادي سوف بسبب ظروف الحرب واستغلال الجيش الفرنسي لنزل " ترانز أتلنتيك " لأغراض عسكرية.بموافقة من إدارة النزل في مدينة الجزائر[1417]، لكن بعد نجاح هذه الزيارات جاء الاهتمام بالسياحة، خاصة في فصل الشتاء، الذي يمثل أروع فصل، فما كان على السلطات الفرنسية إلا التشجيع، حيث سمحت للديوان العام للسياحة ببناء نزل للسياح سنة 1926[1418]، ثم بدأ الاهتمام بالطرق ومحاولة ترصيفها، حتى يستطيع السياح السير دون عناء مع إقامة حماية أمنية، غير أن هذه السياحة، لا تدر على السكان المسلمين الجزائريين شيئا، مما جعل اهتمامهم غير ذي بال؛ لأن السياح لا يقتنون من أسواق وادي سوف، إلا بعض المواد التذكارية، وذلك لم يشجع على رفع مستويات الاهتمام من طرف السكان المسلمين الجزائريين.

[1416] Ibid , p31.

[1417] **رسالة** مؤرخة في 25 ماي 1943 موجهة من المقر الفرعي لشركة الرحلات وفنادق شمال إفريقيا بالجزائر إلى المكلف بتسيير نزل ترانز اتلنتيك بالوادي جيلاني طريبيشة يعلمه بضرورة تقديم تسهيلات للجيش الفرنسي في استغلال النزل ولدينا نسخة من الرسالة بمكتبة الاستاذ عثمان زقب.

[1418] L'annexe d'El-oued **: Le souf,** op. cit, p 12.

ثالثا - التجارة والضرائب والمصارف :

حيوية المجتمعات تستلزم حراكا دءوبا يضمن تلبية الحاجيات الضرورية والكمالية، هذا يتم عن طريق التجارة، التي بدورها تساهم في سيرورة التنمية. علما أن ذلك كله يتم في نطاق النشاط الاقتصادي المرتبط بالاقتصاد الكولونيالي، الذي ما فتئ أن يستنزف خيرات الشعوب المحتلة، خاصة في نطاق الضرائب، والمصارف التي لا تقل مكرا في تنفيذ المخططات الامبريالية، ولو بنسب محدودة، تبعا لحيوية كل من التجارة والضرائب بإقليم وادي سوف الصحراوي.

1 -التجـــــــــــــــارة :

تعد التجارة نشاطا هاما بالنسبة للفرد بوادي سوف، حيث نجده يمارسها في أبسط أشكالها؛ لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بحياته الاقتصادية والاجتماعية، رغم التراجع الذي عرفه النشاط التجاري في الجنوب الجزائري،[1419]. لكن ذلك لم يمنع من اكتساب خبرات فاعلة ساهمت في تنشيط الحركة التجارية، إذا ما نظرنا إلى الموقع الحدودي لوادي سوف، هذا بدءا من الفلاح، الذي يحمل من الغيطان بعض منتوجاته الموسمية واليومية، كالتمور والتبغ، والمزروعات المعاشية الزائدة على احتياجاته إلى السوق، كما يحمل الفرد بوادي سوف من بيته المنسوجات المنتجة من طرف نسوته، فكانت هذه الأشياء تلقى رواجا كبيرا في الأسواق المحلية والخارجية. والحركة التجارية بوادي سوف نوعان :

أ -تجـــــــــــــــارة محليـــــــــــــــة :

التجارة المحلية رائجة ونشطة، تبعا للتنوع في طلب الحاجيات الأساسية، كالمواد الأولية التي تدخل في الحرف اليدوية، ذلك ما تؤكده التقارير التي ترصد باستمرار من طرف الإدارة الاستعمارية،

[1419] فوزي سعد الله : **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ج1، ط2، دار قرطبة، الجزائر، 1426هـ/2005م، ص ص93-106.

حيث جاء في الكثير منها أن الحركة التجارية نشيطة ودائمة، فسوق المواشي يعقد طوال أيام الأسبوع[1420]، وهو ما يدل على الحيوية الهامة، التي كانت تمثلها وادي سوف، فهي تعد أكبر سوق تجاري يؤمه التجار من مختلف الواحات والبلدان[1421]. أما البضائع الأكثر رواجا في الأسواق، خاصة في سوق الوادي المركزي نجد : التمور وهي عادة ما تكثر في فصل الخريف، غير أن أسعارها تتحكم فيها الظروف في كل عام[1422]، تبعا للوفرة والقلة، التي تحدثه مجموعة من الأسباب، كالحرارة المفرطة، خاصة في الأشهر الأخيرة من جنيه، أو أن تصاب الغلة بمرض التفروين، أو أن تأتي الغلة صيش، ومن أهم منتوجاته نجد " دقلة نور ".

أما الدهان (السمن)، فهو معتبر في الاستهلاك، حيث ينتج محليا من خلال ثروة الحيوانات المتمثلة في الماشية. واللحوم متنوعة، حيث يباع لحم الغنم والماعز والإبل، كما يباع الصوف المستخلص من الماشية، التي تربى بالمنطقة، غير أنها لا تحقق الاكتفاء الذاتي[1423]. أما الحايك (الحولي) فيباع في سوق كوينين، غير أنه أخذ في التراجع نتيجة تفضيل السكان المسلمين الجزائريين للألبسة الأخرى، من بينها السورية (الغربية)، بالإضافة إلى المنافسة بسبب رواج صناعته في كل من تونس وفرنسا[1424]. ويباع من البرنوس ما يقدر بـــــــــــ 15 ألف برنوسا[1425]، كما نجد الجلة والحطب، والجلة يلتقطها البدو بالقرب من الآبار، أو من طرق القوافل، فتباع الجلة في الغرارات أوالشواري[1426]، ويقدر سعر حمل الجلة ما بين ثلاثة إلى أربعة فرنكات سنة 1903[1427].

[1420] M. CH. Lutaud : Année 1913, op. cit, p 61.

[1421] محمد العربي الزبيري : **التجارة الخارجية**، المرجع السابق، ص 154.

[1422] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 79.

[1423] C.Cauvet : **Notes**, p 83.

[1424] M.CH. Lutaud : **Situation générale de territoire de sue de l'Algérie pendant les années1907 et 1908,** Edition Jordan, **1909**, p 58.

[1425] Ibid, p 11.

[1426] André Voisin : op. cit, p p 149, 159. – C.Cauvet : **Notes**, p 85.

[1427] أبو القاسم سعد الله : " مهمة موتيلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903 "، **مجلة الثقافة**، العدد 107 – 108، الجزائر، مارس – أفريل 1995، ص 104. - C. Cauvet : **La culture**, p 43.

أما الحطب فيباع على شكل حمول[1428]. وإلى جانب هذا كله تباع الحيوانات بمختلف أنواعها. أما الخضر والفواكه، فهي محلية ذات استهلاك يومي[1429]، غير أنها قليلة لا تزيد على الاكتفاء الذاتي، وأهمها : الدلاع والبطيخ، والقرعة والباذنجان، والبصل واللفت، والجزر والطماطم، والفلفل، وغيرها من المنتوجات[1430]، وهكذا كانت السوق مركزا حيويا تجلب إليه البضائع المختلفة من أجل الاستهلاك المحلي أو قصد التصدير إلى الخارج.

ب - التجارة الخارجية :

التجارة الخارجية بوادي سوف ذات نشاط، حيث عرفت تنوعا منها تجارة مقننة تنظمها الإدارة الاستعمارية، وأخرى عن طريق التهريب، وهي تنشط بمنطقة عميش، وسوقها بالبياضة[1431]، ومن أهم المواد المجلوبة، نجد السكر، الذي يستهلك منه النوع الشفاف البلوري العادي[1432]، ويسوق في

[1428] Claude. Bataillon : op. cit, p 98.

[1429] M. CH. Lutaud : Les années 1908 et 1909, op. cit, p 92.

[1430] Ahmed Nadjah : op. cit, p 79.

[1431] **حوار** مع المجاهد الهادي بوغزالة حمد، مرجع سابق.

[1432] André Voisin : op. cit, p 244.

قوالب. أما الشاي، فهو مادة حديثة الاستهلاك، حيث انتشرت عند التجار منذ 1890، في حين كانت القهوة رائجة منذ زمن بعيد، لكن استهلاكها محدود[1433].

أما التجارة المنظمة، فتتمثل في الحبوب التي تستورد من الشمال بواسطة القوافل، وتتم عن طريق المقايضة مع تمر الغرس، أو المنسوجات[1434]، كما أنها تباع من طرف احتكاريين معمرين[1435]. ويعد القمح العنصر الأساسي من مشتريات السوق، لأنه من الأغذية الأساسية بالمنطقة[1436]، كما نجد الزيت، حيث كان النوع المفضل من الزيوت، هو زيت الزيتون، وقد وصل متوسط استهلاك الفرد منه 5 لترات للشخص بالحضر، ونصف لتر عند البدو[1437]، كما يستورد الكتان، ويباع على شكل حزم. أما الحرير فكان يباع بالأوقية والرطل، وله أنواع عديدة وأرقام مختلفة[1438]، كما تستورد بعض الاحتياجات، ما قيمتها 20 قنطارا من الصوف من الخارج[1439]، وهو يستعمل لصناعة البرنوس. أما الزرابي فهي مشهورة في وادي سوف، وقد أعدت للتصدير، حيث أن زبائنها في المنطقة، هم السياح وضباط الشؤون الأهلية[1440]، كما يباع التبغ الذي يترتب ثانيا بعد التمر، من حيث الأهمية الاقتصادية[1441]، وهو ذو رواج عال في خارج نطاق الإقليم، ويوجد إلى جانب هذه المواد الأواني الخزفيـــة، وهي مستوردة من الجريد التونسي[1442]، كما تصدر دقلة نور إلى الشمال، والخارج خاصة فرنسا[1443].

[1433] Claude Bataillon : op. cit, p 99.

[1434] André Voisin : op. cit, p 243.

[1435] C. Ferry : **Rapport sommaire,** op. cit, p 1.

[1436] Claude. Bataillon : **Le souf,** op. cit, p 98.

[1437] André Voisin : op. cit, 245.

[1438] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص 81.

[1439] L'annexe d'El-oued : **Le souf**, op. cit, p 11.

[1440] Territoire Militaire de Tougourt annexe d'El-oued : **Industrie des tapies au souf**, op. cit, p 01.

[1441] Ahmed Nadjah : op. cit, p 74.

[1442] Ibid, p 74.

[1443] Ahmed Nadjah : op. cit, p 60.

2 -الضرائب المفروضة بوادي سوف :

إن السياسة الاستيطانية الفرنسية لم تلبث أن سارعت إلى دمج معا لم الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الكولونيالي على مستوى واسع، ذلك من خلال إصدار العديد من القوانين، والمراسيم المنظمة لسير الوضع الاقتصادي، قصد التحكم المطلق في كل الميادين، ومنها الضرائب التي برزت منذ بداية الاحتلال. وكان ذلك بارزا من خلال المرسوم الصادر في 17 جانفي 1845، الذي حدد مجموعة من الضرائب، لتحدث الإدارة الاستعمارية ضريبة أخرى، عرفت بضريبة اللازمة، التي فرضت على أساس جهوي، حيث خصت ناحية قسنطينة، والقبائل والجنوب، وطبقت على النخيل، كما أقرت الإدارة الاستعمارية ضريبة أخرى، ذلك منذ 13 جويلية 1874 يدفعها الجزائريون، وهي الضريبة العربية، إضافة إلى الضريبة الفرنسية المباشرة[1444]. وهذه الضرائب تؤدى على مستوى ربوع الجزائر، دون التمييز بين المناطق الشمالية والجنوبية الصحراوية، إلا ما خصته القوانين. والصحراء مبعث اهتمام، لما تمثله من محاذير كثيرة للمحتل، ووادي سوف إقليم صحراوي، له أهمية في مخطط الاستيطان، مما جعل المنطقة من بين الأقاليم الواجب الاهتمام بها، ذلك لم يستثن الإقليم من هذه السياسة الاستيطانية الداعية، لاستغلال ما أمكن من الموارد الاقتصادية، فكانت الضرائب، وهي متنوعة تباعا لتعدد الأنشطة الاقتصادية المتختلفة، بالإضافة للزكاة على الماشية؛ كالأغنام والإبل، ولكل منها قيمة، أو رسم محدد، وكانت تشهد تغيرا وتزايدا باستمرار[1445].

ومن أهم هذه الضرائب نجد :

[1444] عميراوي احميدة : **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص ص 56، 57.

[1445] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit, p p 22, 23.

أ - ضريبة اللزمة :

هي ضريبة مستحدثة بموجب المرسوم الصادر 17 جانفي 1845، ليظل العمل سار بها، إلا في دائرة تقـــــــرت بما فيها ملحقة وادي سوف[1446]. وظلت فرنسا تطبقها على النخيل، وفقا لمرسوم 20 ديسمبر 1922[1447]، ومرسوم 8 جوان 1930[1448]. وقد أخذت تتطور من حيث ارتفاع قيمتها من خلال أصناف النخيـــل، ففي سنة 1922 كانت اللـــزمة على الأصنـــاف الآتيـــــــة :

- نخـــيل الصنف الأول (تـــــمور التصـــدير الوحيـــدة دقلة نـــــور) يدفع على النخـــلة الواحـــدة 1.80 فرنكا فرنسيا.

-نخيـــل الصنف الثاني (تمور رخـــوة للاستهلاك المحلي الجيدة)، فاللـــزمة على النخلة الواحدة 0.95 فرنكا فرنسيا.

-نخيـــــــــــل الصـــــــنـــف الثـــالث (تمور جـــافة من النوعية الرديئـــة) يدفـــع عـــلى النخلة الواحدة 0.85 فرنكا فرنسيا[1449].

أما اللزمة الواجب أداؤها سنة 1930، فكانت بالترتيب الموالي :

- الصنف الأول يدفع على النخلة الواحدة 3 فرنكا فرنسيا.

- الصنف الثاني يدفع على النخلة الواحدة 1.25 فرنكا فرنسيا.

- الصنف الثالث فقيمة الضريبة على النخلة 0.85 فرنكا فرنسيا[1450].

[1446] René Valet : **Le Sahara Algérien**, Etude de l'organisation Administrative, Financière et judiciaire des territoires du sud, imprimerie la Typo-Litho, Alger, 1927, p 134.

[1447] Ibid, p 139.

[1448] A.N.A : Boite 051,**Contribution Direct Imports, Impôts Arabe (1906-1945),** Mémoire du Conseil du G. G.d'Alger.

[1449] Valet : **Le Sahara Algérien** : op. cit, p 139.

[1450] A.N.A : Boite 051,**contribution**, op. cit.

زيادة اللزمة تكشف مدى التعسف المضر بالمزارعين، وما سينعكس على المستهلكين، نتيجة لهذا الارتفاع الكبير، خاصة في الصنف الأول، ونسبيا في الصنف الثاني، لدرجة أن ذلك القرار في الزيادة، قد تسبب في ارتفاع أسعار التمور بشكل كبير، ومعظم الأسواق الأجنبية أغلقت. أما عن الاستقرار في الصنف الثالث لم تستفيد به منطقة وادي سوف، وبحكم أن الصنف الثاني يمثل الغرس الذي يسيطر على 90٪ من نخيل المنطقة، ودقلة نور لا تمثل سوى 8٪ من نخيلها، ولقد شهدت اللّزمة أواخر الثلاثينات وبداية الحرب العالمية الثانية تغيرا في رسومها، وكذا من حيث تصنيف التمور، وفق الجدول الآتي :

جدول تطور اللّزمة في وادي سوف (1936 - 1941) :

أنواع النخيل المصنفة	مرســـوم 19 أوت 1936	مرسوم 1938	مرسوم 31 ديسمبر 1941
نخيل الصنف الأول (دقلة نور) المستوى الأول	3 فرنكا فرنسيا	2.50 فرنكا فرنسيا	4 فرنكا فرنسيا
نخيل الصنف الأول (دقلة نور) المستوى الثاني	1.75 فرنكا فرنسيا	1.50 فرنكا فرنسيا	1.90 فرنكا فرنسيا
نخيل الصنف الثاني(تمور أخرى) المستوى الأول	1.50 فرنكا فرنسيا	1 فرنكا فرنسيا	1.65 فرنكا فرنسيا
نخيل الصنف الثاني(تمور أخرى) المستوى الثاني	0.50 فرنكا فرنسيا[1451]	0.30 فرنكا فرنسيا[1452]	0.40 فرنكا فرنسيا[1453]

الجدول يبرز استمرار تزايد ضريبة اللّزمة، رغم الاستثناء الذي ميز سنة 1938، فممّا يجب معرفته، هو أن مرسوم 19 أوت 1936، الذي أحدث زيادات في رسوم اللّزمة على نخيل وادي سوف، لم يطبق عمليا إلا في 1 جانفي 1940، حيث جرى تمديده بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية، لسكان المنطقة، خاصة مزارعي النخيل[1454]، هذا ما يفسر إقرار الإدارة الفرنسية بتخفيضات رسوم اللّزمة على ملحقة الوادي، للتخفيف من آثار الأزمة الاقتصادية العالمية، التي أثرت نسبيا على المزارعين

[1451] A.N.A : Boite 051, **Contribution direct (1906 – 1945)**, op. cit, Rapport du Cap. Thiriet (chef d'annexe d'El-oued), 12 Avril1940.

[1452] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit, p 22.

[1453] A.N.A : Boite 051, **contribution**, decret 31 dec 1941, PH. Petain, op. cit.

[1454] A.N.A : Boite 051, **Contribution**, mémoire Milliot 5 Dec 1939, op. cit,.

في تصريف منتجاتهم، وتلك الوضعية تدهورت أكثر بسبب تأثر فرنسا بالحرب العالمية الثانية، التي انعكست من خلال صعوبات فعلية في تصريف محصول التمور بوادي سوف، فذلك الاستثناء في تمديد تطبيق مرسوم 19 أوت 1936 كان يخص منطقة تقرت بمفردها[1455]. وعملية إحصاء لزمة النخيل في وادي سوف، هي مسؤولية شيوخ العروش، الذين يملكون دفاتر تدون فيها كل البيانات، كما يجني الشيوخ نسبة مالية في كل عام، وتحصيل الضرائب كان يتم دفعه للبريد، لكونه الوحيد المسؤول عن التعاملات النقدية ما بين الإدارة، والسكان في وادي سوف، حتى أن قابض الضرائب يمثله قابض البريد[1456]. وقد بلغت قيمة مداخيل اللّزمة في المنطقة سنة 1937 ما قيمته 371536 فرنكا فرنسيا، لتنخفض نسبيا سنة 1938 إلى 371007.20 فرنكا فرنسيا، ويمكن إرجاع ذلك الانخفاض الطفيف إلى تقلص نسبي لتعداد النخيل المحصاة، بالإضافة لانتقال عدد من النخيل في الإقليم من الصنف الأول إلى الصنف الثاني عام 1938[1457].

ب -الضريبة على الماشية :

هي الضريبة التي فرضتها الإدارة الاستعمارية، وسمتها بزكاة الماشية. علما أن الزكاة هي ما يدفع لمستحقيه، كما أن المخول بجمعها هو بيت المال أو الحاكم المسلم، أو من يخوله الحاكم، لكن ما قامت به فرنسا، فهي ضريبة الماشية. وهذه الضريبة تشمل كل من الإبل والأغنام والماعز، وقد شهدت بدورها تطورا واضحا، ذلك ما يلمس وفقا لمعطيات الجدول الموالي :

[1455] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit, p 22.

[1456] عثمان زقب : **الأوضاع**،المرجع السابق، ص 129.

[1457] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit, p 23.

جدول تطور ضرائب الماشية في وادي سوف، وفق مرسومي 22 ديسمبر 1922[1458] و31 ديسمبر 1941[1459] :

نوع الماشية	الإبل	الماعز	الأغنام
الضريبة المفروضة 22 /12/ 1922	4 فرنكا فرنسيا	0.25 فرنكا فرنسيا	0.50 فرنكا فرنسيا
الضريبة المفروضة 31 /12/ 1931	5 فرنكا فرنسيا	1.5 فرنكا فرنسيا	2.5 فرنكا فرنسيا

الجدول يبين التزايد الكبير في الضرائب على الماشية، خاصة في الماعز والأغنام، مما يعد مشكلة كبيرة للموالين بوادي سوف، لكون الزيادة تزامنت مع فترة جفاف طويلة أهلكت المراعي في الإقليم. وقد شملت المدة الممتدة من 1938 إلى نهاية 1947. مما انعكس على تعداد الماشية بالتراجع، وعليه تأثرت الصناعات النسيجية في وادي سوف، لاعتمادها في المادة الخام على القطيع المحلي بنسبة معتبرة، فأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار الصوف، وشعر الماعز لاحقا[1460]. أما فيما يخص الإبل، فالزيادة كانت طفيفة لأهميتها في النقل، كما أن فرنسا كانت تشجع هذا النوع، رغبة منها في دعم فرقها العسكرية الصحراوية، التي تراقب المنطقة والحدود مع تونس وليبيا. وقد بلغت حصيلة الضرائب على الماشية في الإقليم 121742.25 فرنكا فرنسيا سنة 1937، لتتناقص سنة 1938 إلى 97511 فرنكا فرنسيا بسبب الجفاف، وهلاك العديد من الماشية[1461].

ج -الضريبة العربية :

[1458] Valet : **Le Sahara Algérie**, op. cit, p135

[1459] A.N.A : Boite 051, **Contribution**, décembre 1941, op. cit.

[1460] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, op. cit,p 23.

[1461] Ibid, p 23.

هي الضريبة الثالثة من أنواع الضرائب المفروضة على سكان وادي سوف، حيث يمكن استعراض حصيلتها الإجمالية في ملحقة الوادي للسنوات الممتدة ما بين 1937 و1944 وفقا للجدول الآتي :

جدول تطور الضرائب العربية في ملحقة وادي سوف خلال الفترة الممتدة بين (1937-1944) :

السنوات	القيمة الإجمالية للضرائب
1937	510217.79 فرنكا فرنسيا
1938	554273.24[1462] فرنكا فرنسيا
1942	678084.00 فرنكا فرنسيا
1944	2955112.00 فرنكا فرنسيا[1463]

[1462] Ibid, p 23.

[1463] A.N.A : Boite 051, **Contribution direct**, Op. cit, 1926-1945.

الجدول يوضح التزايد المستمر للضرائب، ليتضاعف في سنة 1944، وقد يعود إلى الحاجة الزائدة للمحتل، نتيجة الخسائر المادية، التي لحقت بفرنسا جراء الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك فإن هناك امتيازات في شكل تخفيضات في جمع الضرائب بوادي سوف منحتها الإدارة الفرنسية في بعض الأوقات، لبعض أعيان السكان وأعوان القيادة العسكرية في ملحقة الوادي، وعلى سبيل المثال نجد : شيخ الزاوية التيجانية في قمار خفض له في المبلغ الأساسي من الضرائب بحذف الجزء الذي يرجع لأعيان السكان على أساس أن لا يتعدى المبلغ الكلي للمساعدة 1000 فرنك فرنسي، وطبق نفس الإجراء مع شيخ الزاوية الرحمانية بالوادي، حيث تم تخفيض المبلغ الأساسي للضرائب على النخيل، التي يملكها في ملحقة الوادي بـــ 165فرنكا فرنسيا، في حين نجد أن مثل هذا التعامل تم رفضه بالنسبة لشيخ الزاوية القادرية بسبب مواقفه المعادية للاستعمار في جميع أشكاله[1464]، بحسب ما جاء في التقرير الفرنسي، وبشكل عام فتحصيل الضرائب في ملحقة الوادي كان يتم بشكل عادي[1465].

3 -المصـــــــــــــــــــــــــــارف :

المصارف بوادي سوف كانت معدومة، وغير موجودة، مما سمح للربويين، خاصة اليهود السيطرة على ميدان الاقتراض، هذا بدوره ساهم في افقار السكان المسلمين الجزائريين ، كما شجع المبتزين على استغلال الوضع، فحاولت السلطات الفرنسية تقديم دراسة قصد استجلاب بنوك دون فائدة[1466] خاصة بالنسبة للفلاحين الذين يعرفون هذه الانواع من الابتزازات، لكن محاولات السلطة الفرنسية، لم تكن جادة، مما جعل الوضع يزداد تعفنا، ويثقل كاهل السكان المسلمين الجزائريين.

وخلاصة القول أن المحتل منذ محاولاته الأولى للتوسع بالجنوب، تظاهر بمظهر المكتشف الذي يود تقديم خدمات للمناطق الصحراوية، لكن حقيقة ذلك تظهر في ثلاثة أبعاد يمكن رصدها كالآتي :

[1464] A.N.A : Boite 371, **Rapport Annuel 1938**, Op. cit, p 26.

[1465] A.N.A : Boite 051, **Contribution**, Op. cit, 8 juin 1930 .

[1466] Ibid, p 16.

البعد الأول : إن الغزو والتوسع الاستعماري، الذي تعودوا على تسميته " بالاستكشافات "، والتطلـــع على هذا المجال المحيط من الكثبان الرملية، التي تتخللها الواحات الخضراء المنتشرة هنا وهناك[1467]، هذا كله من أجل التطلع على موارد الصحراء الاقتصادية، والبشرية لاستثمارها، والاستفادة منها مع استكشاف الطبيعة الجغرافية من تضاريس ومناخ، وطبوغرافيا، بالإضافة إلى الموارد المائية الجوفية المخزنة بباطن الأرض، كما ارتبط هذا الغزو الاستعماري بدراسة عادات وتقاليد، والتاريخ السياسي والحضاري للمجموعات السكانية، ناهيك عن دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية لهذه التكتلات البشرية[1468].

البعد الثاني : يظهـــر على مستوى وضع شبكة من طرق المواصلات البرية والحديدية[1469]، وأسلاك الهاتف من أجل تنقل القوات العسكرية في ظروف آمنة، والمستكشفون المغامرون بين أرجاء الصحراء المترامية. وعليه قاموا بدراسة المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية، والمناخية لرصد المناطق الأكثر صلاحية، لمد هذه الخطوط الحديدية، وشق الطرق البرية، مع تقديم دراسة حول محاسن، وصعوبات عمليات الإنجاز، وإيجاد الحلول والاقتراحات[1470]. فكان للمستكشفين والدارسين المتخصصين، والمغامرين محاولات استغلوا من خلالها طرق القوافل الصحراوية، للاستفادة منها في الغزو الاستعماري، كما فتحوا الطريق للتجارة الفرنسية لاختراق قلب القارة الإفريقية، هذا بالاستفادة أيضا من كتب الرحالة العرب، وكبار المؤرخين. فكانت طرابلس أكبر محظوظ من دراستهم الاقتصادية، واستطاعوا أن يتعرفوا على شبكة الطرق الصحراوية. فوضعوا لها رسوما، وخرائط عديدة ومتنوعة[1471].

[1467] يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر**، ص 64.

[1468] يحي بوعزيز : نفس المرجع، ص 64.

[1469] G. Desire vuillemin : op. cit, p 107.

[1470] يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر**، ص 64.

[1471] يحي بوعزيز : نفس المرجع، ص ص 64 – 65.

البعد الثالث : محاولة إحداث بحر داخلي بالصحراء[1472]، قصد إحداث تغيير كلي للظروف الطبيعية، والمناخية القاسية للصحراء، فاتجهت أنظارهم نحو أحواض الجريد التونسي، ووادي سوف، وأحواض بسكرة، لاتخاذها مجال البحر الداخلي الصحراوي، الذي سيربط بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق شط فجيج إلى خليج قابس، هذا بدوره كلف المحتل وقتا، ودورا هامين في الاستكشاف، مع محاولات الخوض في قبول الفكرة أو رفضها، وبروز مؤيدين ومعارضين[1473].

فمن خلال المحاور السابقة يتضح لنا أن وادي سوف إقليم من مجموع الاقاليم الصحراوية الجزائرية الشاسعة، والإفريقية، بالإضافة إلى متاخمته لنقاط اتصال حدودية، مع كل من جنوب تونس عن طريق شط الجريد، وليبيا عن طريق غدامس. فكان ذلك سببا من الأسباب التي جعلت المحتل يهتم أيما اهتمام بهذه الأقاليم الصحراوية، ذلك من خلال رحلات عديدة منها رحلة "قويمان" (Quwiman) لدراسة المنطقة الممتدة من وادي سوف إلى غدامس سنة 1857[1474]، قصد الوصول إلى مناطق التوارق من أجل إقامة اتفاقيات بين قادتهم وفرنسا، حتى يتمكن الفرنسيون من الدخول إلى عمق الصحراء[1475]، فعقد اتفاق مع الشيخ الحاج إيخنوخن يوم 26 نوفمبر 1862 بمدينة غدامس [1476]، كما نلمس هذا الاهتمام الممزوج بسياسة الترغيب والترهيب، التي يحاول المحتل ممارستها، قصد الضغط وإحكام سيطرته الاستعمارية، هذا من خلال رسالة الجنرال ديفو في مراسلته إلى سكان وادي سوف سنة 1858[1477]. ومنذ الاستقرار النهائي لفرنسا بالدبيلة بوادي سوف، شرعت الإدارة الاستعمارية في إجراء دراسات ميدانية على المستوى الاقتصادي، والاجتماعي، قصد الاستفادة منها، والتظاهر بمظهر التحضر أمام السكان المسلمين الجزائريين،

[1472] Jaque Valette : op. cit, p p 255 – 258.

[1473] يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر**، ص 65.

[1474] عميراوي احميدة : **من ملتقيات التاريخ الجزائري**، ص 163.

[1475] يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر**، ص ص 67 – 69.

[1476] يحي بوعزيز : نفس المرجع، ص ص 123، 124.

[1477] عميراوي احميدة : **بحوث تاريخية**، ص ص 150، 151.

هذا حسب كل ميدان. فعلى المستوى الاقتصادي شرع المستعمر في صيانة وتشييد طرق المواصلات، لفك العزلة بين الوادي والمناطق المجاورة لها، حيث تذكر المصادر أنه لم يكن هناك طرق صالحة للاستغلال، إلا طريق وادي سوف جامعة عن طريق قمار[1478]، حيث كان الاتصال في بداية الاحتلال بمدينة الوادي من بسكرة، أو من تقرت يكون عن طريق استعمال الأحصنة أو الجمال، فكانت تلك المعابر، هي الطرق التي أقام على إثرها المحتل آبارا، وشيد بها أبراجا، قصد الاستعانة بها[1479]، كما تذكر المصادر الفرنسية، أن أول محاولة كانت لمغامر بسيارة سيتروان، غير أن المحاولة بـــاءت بالفشل[1480]، لتعاد الكرة بسيارة من نوع رونو، مجهزة للسير في الصحراء، فنجحت في العبـــور. وعلى إثرها تمكنت السلطات الاستعمارية من تشجيع السياحة، خاصة للسياح الأنجلو-سكسون المارين من تقرت إلى توزر، حيث أقام الديوان السياحي العام الفرنسي، آنذاك نزلا سنة 1926[1481]، فكان ذلك انفتاحا كبيرا لوادي سوف على الأرجاء الأخرى من المناطق المجاورة لها. واستمرت المساعي الجادة لإنجاز الطرق المعبدة، وتحسينها، حتى أصبحت طرقا صالحة للاستعمال من قبل الشاحنات، ذات الوزن الثقيل، ثم أحدث خطا للحافلات، يعمل بانتظام بين مدينتي الوادي وبسكرة، وكانت قمار المكان المناسب من أجل صيانة، وتلبية احتياجات مستلزمات الطريق، من تزويد العجلات بالهواء، ومراقبة المحركات، والمبردات قبل قطع الجزء المتبقي من الطريق[1482]، إضافة إلى استحداث خط السكة الحديدية سنة 1946.

أما البريد والمواصلات، فقد شهدا اهتماما كبيرا، حيث سعى القادة العسكريون إلى إقامة خط هاتفي، بين الوادي وتوزر، هذا ما جعل وادي سوف تحضى بوكالة بريدية، ثم تلت بعدها وكالة

[1478] L.C.P Godefroy : **Programme des chemins de fer dans les territoires du sud**, Imprimerie Libraire de terre, Alger, 1911, p 184.

[1479] عبد القادر فكاير : الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوادي بعد الحرب العالمية الثانية من خلال نشرة " وثائق جزائرية " لعام 1948، ندوة العدواني، الزقم، الوادي، مارس 2002.

[1480] L'annexe d'El-oued : **Rapport sur le souf**, op. cit, p 12.

[1481] Ibid, p 12.

[1482] عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص 4.

قمار سنة 1909[1483]، ثم كوينين سنة 1924[1484]، هذا من أجل ربط جميع أرجاء البلاد ببعضها حتى يسهل على المحتل متابعة الأحداث عن كثب. أما على المستوى الاقتصادي، فقد عمد المحتل على إحصاء الإمكانيات الاقتصادية، حيث أحصى عدد النخيل منذ احتلاله للمنطقة، مع تطوير وسائل التصدير، خاصة دقلة نور إلى فرنسا، والتبغ إلى تونس مع إحصاء الماشية من ماعز وغنم وإبل، بالإضافة إلى الإحصائيات المتعددة للمصنوعات، مثل تقرير 1926 و1931، الذي يقدر كل منهما عدد البرانيس المصدرة إلى الخارج، بـ 15 ألف برنوس، وقيمة 25 ألف قنطار من التمر[1485]، مع السماح للمعمر بإقامة مؤسسات احتكارية، حتى نجد أحد الاحتكاريين تصادم مع عبد العزيز الشريف "ملك التمور" وشيخ الزاوية القادرية باعميش يدعى "باوو" (Baou)، مما جعل عبد العزيز يضايق مضايقة شديدة، ليفتح الطريق أما المحتكر المعمر[1486]. هكذا تواصل الجهات الاستعمارية إبداء ملمح الاهتمام بالشؤون الاقتصادية، لكن في حقيقة الأمر، كان ذلك تلبية رغباتها الاستعمارية، مما جعل السكان المسلمين الجزائريين يبدون دوما روح الرفض، والمقاومة من خلال اقتناء الحاجيات الأساسية المستوردة من تونس، هذا قد يعود إلى انخفاض اسعارها مقابل السلع الأوروبية[1487].

كما حاولت السلطات الاستعمارية التظاهر بملامح التعاطف مع الفلاحين الخاضعين، للقروض الربوية، خاصة من طرف اليهود، هذا ما جعل العديد من السكان المسلمين الجزائريين يخسرون ممتلكاتهم، مقابل جشع الربويين، فحاولت السلطة دعوة بعض البنوك للاستثمار في وادي سوف

[1483] عبد القادر فكاير : نفس المرجع، ص 4.

[1484] نفسه، ص 5.

[1485] L'annexe d'El-oued : **Rapport sur le souf**, op. cit, p 11.

[1486] إبراهيم مياسي : **قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 332.

[1487] **حوار** مع الشيخ العيد غوري، مرجع سابق.

عن طريق القروض ذات الفوائد الخفيفة، لكن هذه المحاولات لم تلق صدى لدى هذه البنوك، مما جعل الاحتكار الربوي يزيد من حين إلى آخر، مما أدى بدوره إلى إضعاف كاهل السكان المسلمين الجزائريين[1488]. ومن خلال هذه الملامح المزرية للوضع الاقتصادي، كان على السكان المسلمين الجزائريين الخضوع والخنوع للإدارة الاستعمارية، ذلك من خلال دفع الضرائب للحفاظ على ممتلكاتهم العينية والمنقولة، مما جعل هذا الوضع يعبر عن ملامح تأقلم، كما أن تشكيل التعاونيات كتعاونية الدخان بقمار، وتقدم الرعاة والفلاحون للاستفادة من بعض الخدمات الرعوية والزراعية، يشكل صور تأقلم، ولو بأشكال محدودة مقارنة بالحجم الضئيل للمستثمرين من المعمرين، بالإضافة إلى حجم وعدد المعمرين بالإدارة الاستعمارية. بل حتى الهجرة إلى المناطق المنجمية بالقطر التونسي، لم تعد تمثل حالة من المقاومة، لأن تزايد العمالة الجزائرية، خاصة من وادي سوف كان في سياسة فرق تسد، ذلك في إطار ضرب العمالة التونسية للتخفيف من حدة المطالب المتزايدة، لدى فئة العمال التونسيين، ومن هنا يتأكد لدينا مشاركة العمالة الجزائرية في تحقيق السياسة الاستعمارية بصورة مباشرة أو غير مباشرة لاستغلال خيرات الشعوب المحتلة، يضاف إلى ذلك المواد الغذائية التي أصبحت في حاجة ماسة، لدعم الهيئات الاستعمارية المتخصصة، مما جعل الأسواق المحلية في ارتباط دائم بالإدارة الاستعمارية، ذلك ما يؤكده الكاتب " شاميليه " (Chamilyat) موضحا هذا البعد الاستعماري في كتابه " **عناصر الاقتصاد الاستعماري** " بقوله : « إن الاستعمار يعني استغلال بلد أجنبي خاضع لاستعمار من خلال الضغط السياسي مما يجب

[1488] L'annexe d'El-oued : **Rapport sur le souf**, op. cit, p 09.

عليه خدمة الاستعمار وهذا بتحقيق مصالحه الحربية وتمكينه من الاستغلال والاستنزاف الاقتصادي للمستعمرة[1489]. ». ومن ذلك يتأكد لنا مدى رغبة المحتل في تغريب المجتمع الجزائري برمته، ذلك يكمن في السياسة الكولونيالية، قصد استغلال ما أمكن استغلاله على صعيد كل الميادين، بما فيها الميدان الثقافي الذي يعد أخصب الميادين، حيث يحاول المحتل المراهنة على الطاقة البشرية، باعتبارها موردا أساسيا في خدمة السياسة الاستعمارية، وربطها بالرأسمالية الامبريالية، هذا ما يمكن الوقوف عليه من خلال السياسة التغريبية الممارسة في حق السكان المسلمين الجزائريين.

الفصل الخامس :

أثر سياسة التغريب على الوضع الثقافي بوادي سوف خلال (1854 – 1947).

المبحث الأول – الوضع الثقافي بالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي بين التغريب والتحدي.

[1489] محمد حسنين : مرجع سابق، ص 29.

المبحث الثاني ـ التعليـــم العربي بوادي سوف ومستويات التحدي.

المبحث الثالث ـ التعليم الفرنسي بوادي سوف بين الرفض والقبول.

الاحتلال حتمية، فرضته تحولات الثورة الصناعية بالغرب الأوروبي. ذلك من أجل إحداث هيمنة الدول الأوروبية، ذات المستعمرات القديمة على أخرى جديدة، من خلال القضاء على الدول العظمى، التي كانت منذ القرن 12م تشكل عائقا أمام التنفذ الأوروبي الحديث، رغم ما كانت عليه أوروبا من تخلف، لكن منذ القرن 16م، برزت تغيرات على جميع الميادين، اجتماعيا واقتصاديا، وثقافيا وسياسيا، أحدثت قلقا حضاريا لدى الساسة، والنخب الأوروبية، التي تفطنت لحقيقة العامل المخلص من التخلف، فكان التعليم، هو السبيل الأنجع للخروج من ذلك الوضع المتردي، فجاءت الكتابات المتمثلة في المذكرات، التي كان يقوم برصدها القناصلة والأسرى، وجموع الرحالة العابرين لأراض العالم الإسلامي، ورجال الدين المسيحي. فكان أول ما يشد انتباههم

التعليم، ومدارسه بربوع العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه. ومن بين هذه الأقطار الجزائر، التي كانت نقطة التقاء للعديد من الثقافات، باعتبار الجزائر العثمانية نقطة عبور بين أوربا ودول الساحل الإفريقي.

المبحث الأول - الوضع الثقافي بالـــجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي بين التغريب والتحدي :

إن الوضع الثقافي للجزائر أثناء الاحتلال، لم يختلف عن باقي الأقطار العربية الأخرى، مما ترك أثارا بالغة على مستوى التعليم، باعتباره المؤثر الأساسي في الميدان الثقافي. وقد برز ذلك منذ أواخر القرن 18م، حيث بدأت ملامح الضعف لدى العالم الإسلامي تظهر بوضوح، نتيجة الوضع السياسي المضطرب، الذي بدوره انعكس سلبا على الحياة العامة، للبلدان الإسلامية، ومن بين هذه البلدان نجد الجزائر التركية، التي كانت في حالة احتضار حضاري، نتيجة الصراعات السياسية غير المنتهية، لكن رغم ذلك كان أصحاب الكتابات الغربية منبهرين بالمستوى الثقافي، الذي كانت تحفل به الجزائر المنعكس إيجابا على مكانة المعلم الاجتماعية، بل يتعدى ذلك إلى أن يطول العائلة بكاملها، هذا ما يمكنها من الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة، كما أن الأوقاف والحبوس، كانت تلعب دورا كبيرا في ترقية التعليم، وتحسين مستوى أدائه العملي والعلمي[1490]،وذلك انطلاقا من السهر على تأمين المستلزمات المادية، والمعنوية للدورة التعليمية، لكن ما يلاحظ على التعليم كونه تعليم شرعي تقليدي، في حين نجد العلوم الأخرى غائبة، وإن وجدت، فهي لا ترقى إلى المستوى الحضاري المطلوب، وقد يعود ذلك إلى الاعتقاد السائد بأن هذه العلوم من علوم الكفاية، لكن ذلك لم يمنع المجتمع الجزائري من المحافظة على المقومات الحضارية من خلال العمل التضامني، النابع

[1490] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط1، دار الغرب، مرجع سابق، ص ص 227 – 245. – أحمد مريوش وآخرون : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، (د. ت)، ص ص 28 – 59. – محمد البشير ميغلي : " التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي "، **المصادر**، العدد 6، الجزائر، محرم 1423هـــ/مارس 2002، ص ص 155 – 185.

من الشعور بالواجب الديني المقدس، والمتمثل في قدسية التعليم. هذا ما تؤكده الكلمات الأولى من الوحي المنزل على سيد الخلق محمد بن عبد الله (ﷺ) وهو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [1491]﴾، لذلك كان المجتمع الجزائري، كغيره من مجتمعات العالم الإسلامي، يوقف ويحبس ممتلكات عقارية، ونقدية للتعليم، كصدقة جارية تعود على صاحبها بالأجر الأخروي، والنفع المادي على أطراف العملية التعليمية من معلم ومتعلم، ومن يخدمه لأن هذه المهمة، هي مهمة الرسل والأنبياء والصالحين. فكان ذلك عاملا مشجعا على ضرورة السعي وراء تنظيم التعليم، وجعله من مستلزمات الحياة. كما أن أقدس الواجبات الدينية الصلاة، التي لا تتم إلا من خلال حفظ شيء من القرآن، الذي بات عاملا مشجعا على التعلم من خلال الكتابة والحفظ.

وظل القائمون على تسيير الأوقاف والحبوس، يراهنون على استمرارية التعليم، ذلك كله كان قائما على العلاقة المعنوية والثقافية، والفكرية التي تجمع بين جميع أفراد المجتمع الجزائري، التي توفرها أسس الحضارة الإسلامية، هذا من خلال: الدين، التقاليد والعادات، الثقافة، القوانين والأحكام[1492]، مما يؤكد ازدهار التعليم، الذي يتكون من المستويات الثلاثة المعروفة اليوم بـــ: الابتدائي، والثانوي، والعالي. فكان الثانوي والعالي مجانا، والابتدائي، فبأجر زهيد. أما الإطار المتمثل في المعلمين، فكانوا أحرارا لا يخضعون لأي رقابة، وشهرتهم هي التي تدل عليهم. كما أن رواتبهم تدفع من مصادر الأوقاف والحبوس، ومداخيل المساجد، فالجزائر العاصمة كان يتوفر بها ستة زوايا للعلم والتعليم، وهي تتوزع كالآتي: اثنتان لأهل الشرق، وثلاثة لأهل الغرب، وواحدة لأهل المدينة. كما كان بها حوالي 100 مدرسة[1493]. أما قسنطينة فكان بها 90 مدرسة ابتدائية (كُتَّاب)، يرتادها ما بين 1300 إلى 1400 تلميذا، يضاف إليها دروس المساجد الموجهة للوعظ، وعددها

[1491] **سورة العلق**: الآيات 1-2-3-4-5.

[1492] محمد الميلي: **الجزائر في مرآة التاريخ**، ط1، مكتبة البعث، قسنطية، 1965، ص 155.

[1493] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ط1، المرجع السابق، ص ص 22، 23.

35 مسجدا. أما المدارس الثانوية فعددها سبع، وتضم المدارس الثانوية والعليا بين 600 إلى 700 تلميذا[1494]. أما بالنسبة لمنطقة القبائل كان كل فرد يعرف الكتابة، والقراءة. وللسكان المسلمين الجزائريين مدارس عامة. وهم ذوو اعتزاز قوي بمقوماتهم الحضارية. ويبرز ذلك من خلال دعهم للمدارس، إذ يرون في ذلك واجبا دينيا، ونخوة خاصة. ولغة التدريس، هي اللغة العربية، والمواد المدرسة غالبها تنحصر في العلوم الشرعية[1495]، وأخرى مساعدة لفهمها، هذا ما يؤكده قول " دي توكفيل " (De Tocqueville) : « إننا جئنا لإضاءة الشموع فأطفأنا الموجود منها[1496]». ويقصد هنا المدارس، ونفس الشيء بالنسبة لمنطقة ميزاب، فكانت تتبع نفس المنهج بحماس كبير. ومن الناحية الثقافية كان المجتمع الجزائري متعلما، والدليل على ذلك أن التوقيعات، كانت بالكتابة، وليست بالأختام، لكن ما يمكن ملاحظته، هو أن غياب الإشراف المباشر للسلطة التركية على التعليم أفقده سماته الأساسية. ذلك من خلال غياب المرجعية الأساسية إذا ما قارناه بما كان قائما بكل من تونس والمغرب الأقصى من خلال الزيتونة وجامع القرويين.

أولا - السياسة الاستعمارية تجاه الوضع الثقافي بالجزائر أثناء الاحتلال :

إن السياسة الفرنسية، وما قامت به، تجاه الوضع الثقافي القائم منذ الاحتلال، عملت على طمس الهوية الوطنية الجزائرية، وإتباع سياسة تجهيل المجتمع الجزائري، حيث قامت بإغلاق المدارس والكتاتيب والزوايا. خاصة الزوايا التي تبنت فكرة المقاومة، وأخذت زمام المبادرة في مسيرة النضال لأجل استرجاع الحرية، وأهم الإجراءات المتخذة من قبل الاحتلال الفرنسي هدم وتحويل جميع مراكز التعليم، والثقافة العربية الرسمية والشعبية مثل :

[1494] أبو القاسم سعد الله : نفس المرجع، ص 26.

[1495] نفسه، ص 27.

[1496] نفسه، ص 27.

1 - هدم مدرسة جامع خير الدين (جامع الشواش)، قرب مدخل الجنينة، حيث هدم معها قصر الجنينة عام 1831.

2 - هدم مدرسة جامع ستي مريم (جامع ابن نيقرو) عام 1838.

3 - هدم مدرسة جامع الرحبة القديمة، حيث كان الجامع يستعمل مدرسة قرآنية، وضمت إلى إحدى الدور عام 1840.

4 - هدم مدرسة بجوار جامع الرحبة القديمة، لتمنح فيما بعد لمعمر أوربي عام 1941.

5 - هدم مدرسة تابعة لجامع سباط الحوت (جامع البطحاء)، بشارع القناصل، وكان ذلك عام 1854.

6 - هدم جامع سوق الكتان بشارع الباب الجديد، ليحول للاستعمال من قبل المصالح العسكرية. ثم أعيد استعماله كمدرسة فرنسية (ودادية)، ثم هدم.

7 - هدم مدرسة جامع الشيخ الثعالبي[1497] بشارع " لاشارت " (Lachaart)، وذلك عام 1859[1498].

كما أحرقت المؤلفات والمخطوطات، والوثائق التاريخية على يد الجنرال دي بورمون (De Bourmont) عند دخول الجيش الفرنسي الجزائر. خاصة القصبة، كما أكد الكاتب الفرنسي " بربروجر " (Berburger) : « بأن الجنود الفرنسيين قاموا ببعث العديد من الوثائق المكتوبة بالعربية إلى أهلهم كذكريات[1499] ». يضاف إلى ذلك محاربة اللغة العربية، باعتبارها مقوما أساسيا من مقومات الشخصية العربية

[1497] وهي ليست الزاوية حاليا.

[1498] أبو القاسم سعد الله:مرجع سابق، ج3، ص 38.

[1499] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 89.

والإسلامية الجزائرية، وإحلال اللغة الفرنسية محلها في جميع المعاملات الإدارية، والسياسية، والعسكرية[1500]، كما فتحت مدارس فرنسية مختلطة بغرض التأثير على المجتمع، وتوجيه جيل من الجزائريين نحو الفرنسية، وإبعاده عن مقوماته الحضارية[1501]، كما قامت الإدارة الاستعمارية بإدخال تغييرات على المحيط بالجزائر العاصمة. ذلك من خلال إعادة تسمية شوارع وساحات بأسماء شخصيات، وقادة فرنسيين تخليدا لذكراهم، والافتخار بهم من جهة، وإذلال الجزائريين من جهة أخرى. يضاف إليها أعمال القتل والتهجير للمعلمين والعلماء، واستمالة بعض الزوايا بالمال مثل زاوية طولقة، التي أعلن شيخها طاعته للمحتل منذ عام 1844[1502].

كما مارست سياسة التمييز بين الجزائريين، والمعمرين في التعليم، وبهذا الصدد كتب بعض القادة، والمعمرين الفرنسيين بأن يترك التعليم للفرنسيين. أما الفأس والمحراث فيمنح للجزائريين[1503]. أما بالنسبة للتنصير والتبشير، فقد كان قائما منذ أن وطأت أقدام المحتل أرض الجزائر المسلمة، حيث أقرت العديد من التصريحات، لكثير من القادة والمسؤولين السياسيين، والعسكريين مبدأ تنصير وتمسيح الجزائر، لذلك كانت السياسة الاستعمارية، تجاه الإسلام وأهله، ومقدساته سوى أحقاد دفينة منذ الحروب الصليبية، رغم الوعود التي قطعتها فرنسا على نفسها من خلال معاهدة الاستسلام المبرمة مع الداي، وذلك من خلال طمس معالم الإسلام الأساسية. لذلك تتضح تلك السياسة العدائية من خلال بعض الجرائم المرتكبة ضد الإسلام، نذكر منها :

أ- اعتبار التنصير والتبشير من الأسباب الرئيسة للاحتلال الفرنسي للجزائر. ذلك من خلال اعتبار الجنود الذين ماتوا في الجزائر شهداء المسيحية، والبحث على الآثار المسيحية، مثل تعرية قواعد

[1500] محمد الصالح الصديق : **كيف ننسى وهذه جرائمهم؟**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 43.

[1501] أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ط1، المرجع السابق، ص ص284، 285.

[1502] يحي بو عزيز : **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د. ت)، ص126.

[1503] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ط1، المرجع السابق، ص 286.

الجامع الأعظم زعما منهم أنه مبني على هيكل ديني مسيحي قديم. وتغيير بعض المساجد إلى كنائس مثل :

- جامع القصبة، الذي حول إلى كنيسة الصليب المقدس.

- جامع بتشين، الذي حول إلى كنيسة سيدة النصر.

- جامع كتشاوة، حول إلى كاتدرائية الجزائر[1504].

٢- هدم المساجد مثل :

جامع السيدة الذي كان من أجمل مساجد العاصمة، الذي حسنه حسن باشا سنة 1794 برخام أبيض عالي الجودة جلبه من ايطاليا، فقد هدم منذ 1830 بدافع الحقد والتعصب، وكان الهدم قد استمر أياما، لتبقى صومعته قائمة مدة سنتين، حتى أعجزت المخربين لها، و لم تسقط إلا عام 1832 قطعة واحدة.

كما حول " بواييه " (Boyer) جامع خنق النطاح في وهران إلى مستشفى عسكري سنة 1831، كمـــــا حول كلا من : " دار مانـــدي " (Dar Mandi) و" دو زيـــــــــــر " (De Zire) جامع سيدي أبي مروان في عنابة إلى أغراض عسكرية. يضاف إلى ذلك تخريب مقابر المسلمين، مثل ما فعل الدوق " دو روفيقو " (De Rovico) قائد جيش الاحتلال عام 1832، مع المقبرة الإسلامية، بدعوى مد الطريق بين قلعة بوليلة (الامبراطور)، وباب عزون[1505].

أما الحدث الأبرز في تاريخ التنصير في الجزائر، فهو وصول الأب " لافيجري " (Lavigerie) الجزائر سنة 1867، حيث وجد 83 كنيسة، و140 أبا وكاهنا. إضافة إلى 04 جمعيات دينية للنساء. وكذلك المدرسة الاكليركية الصغرى بسانت أوجين ببو لوغين، والمدرسة الاكليركية الكبرى

[1504] أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، 83.

[1505] نفسه، ص 86.

بالقبة، بالإضافة إلى ذلك كاتدرائية السيدة الإفريقية. فأولى لافيجري اهتماما بالغا بمسألة بناء وتشييد الهياكل الدينية المسيحية بالجزائر، بغية إزالة الصبغة الإسلامية عن الجزائر، وطمس معالمها الحضارية، حيث قام خلال الفترة الممتدة (1867 - 1878) بإنشاء رفقة كل من " انطوان ديبيش " (Antoine dépêche) و" لويس انطوان بافي " (Louis Antoine Buffy) 49 كنيسة أبرزها :

- كنيسة سان جوزيف بباب الواد.

- كنيسة سان شارل (Sain Charl) بآغا.

وكان هدف الأب لافيجري الرئيسي، تعميم النشاط التبشيري على مستوى المدن والقرى، حتى المداشر الجزائرية[1506]. ومما سبق يتبين مدى رغبة فرنسا في طمس المعالم الحضارية للجزائر. ذلك من خلال انتهاج سياسة التودد للسكان، واستغلال فقرهم وعوزهم، خاصة بعد نجاح سياسة تفيك البنية الاجتماعية، للمجتمع الجزائري، من خلال سياسة الإبادة، التي كانت تتعرض لها القبائل في إطار الأرض المحروقة، لذلك كانت فرنسا تعمل جاهدة على إنجاح كل المساعي، خاصة المسعى الديني، لما له من أهمية كبرى في التأثير على الجزائريين. كما أن سياسة الأرض المحروقة ساهمت في زيادة حدة الجوع، لدى العديد من شرائح المجتمع الجزائري. هذا ساعد في جعل الكثير من السكان يلجأون إلى مد اليد للرهبان والقساوسة، من خلال المؤسسات الدينية، التي قامت في أغلبها على أنقاض المساجد، لهذا كانت السياسة الاستعمارية، سياسة تقوم على الأحقاد الصليبية.

ثانيا - التعليم بالجزائر بين الأصالة والتغريب :

إن سياسة الاستيطان، التي اتبعتها فرنسا بالجزائر، فرضت وضعا بات من المؤكد ينبئ ببروز ملامح التمييز العنصري، بين السكان المسلمين الجزائريين، والكولون على مستوى التعليم. ذلك منذ قدوم

[1506] سعيدي مزيان : **النشاط التنصيري للكردينال لافيجري في الجزائر 1867 - 1892**، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 81.

الجنرال " بيجو "، هذا ما يؤكد انقلاب الموازين بالجزائر رأسا على عقب، منذ الاحتلال الفرنسي، فكان التعليم العربي أول ضحية تصلب بمقصلة الثورة الفرنسية، التي نادت إلى حرية العقل، وتمكين الفرد من حقوقه، وعلى رأسها حق التعليم، لكن أفكار الثورة ومبادئها : المؤاخاة المساواة العدالة، شعار من أجل الفرد الفرنسي، والفرنسي فقط، هذا ما أكدته الحقائق التاريخية، منذ أن وطأت أقدام المحتل أرض الجزائر، دون أن ننسى الوعود الكاذبة، التي جاءت في معاهدة الاستسلام. لأن المحتل كان يسعى منذ وجوده، إلى محو كل ماله صلة بالانتماء الحضاري، والامتداد التراثي للإسلام، حيث كانت الجزائر قبل 1830، كما كانت الثقافة في الجزائر منتعشة، والدليل على ذلك كثـــرة المعاهد العلمية، والمؤسسات الثقافية، التي كانت متواجدة عبر البلاد، لنشر العلم والمعرفة بين ربوع الجزائريين في القرن 19م[1507]. لكن بمجرد دخول فرنسا تراب الجزائر سنة 1830 قضت على معظم تلك المعاهد والمؤسسات، هذا بشهادة أبنائها، حيث يذكر المؤرخ "هنري كلين" (Henri Klein) في كتابه " **تاريخ الجزائر** " قائمة طويلة للمؤسسات الدينية الجزائرية، التي صادرها الاحتلال الفرنسي، واضعا يده عليها في بداية وجوده، في حين يذكر السيد "دوفال" (Duval) عدد المؤسسات بالجزائر العاصمة، التي وصلت إلى 176 مؤسسة دينية سنة 1830، لتتراجع في عددها، حيث وصلت سنة 1862 إلى 67 مؤسسة، تعمل منها سوى 21 مؤسسة. أما الباقي فهي معطلة لا تعمل وليست لها أية وظيفة[1508]، كما يذكر الكاتب الفرنســـــي " مـــارسيل آجريتو " (Marcel Agretaud) أن وضع الثقافة كان مزدهرا نسبيا، قبل دخول الفرنسيين للجزائر منذ 1830، لكن رغم التخلف العربـــي في المجال الحضاري[1509]، كان الميل إلى العلم والمعرفة متأصلا في النفوس، كما كان في الجزائر عدد كبير من رجال الأدب، ذوي السمعة العالية لدى المجتمع، هذا بدوره

[1507] تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية**، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت)، ص 90.

[1508] عمار هلال : " الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916 "، **مجلة الثقافة**، عدد 79، الجزائر، يناير – فبراير، 1984، ص 128.

[1509] المقصود هنا الجانب العلمي الذي أصبحت تشهده أوروبا منذ النهضة، والتي ظهرت من خلال التطورات التي شهدتها أوربا وكان آخرها الثورة الصناعية منذ المنتصف الثاني من القرن 18م.

شجع على انتشار العلم والمعرفة بين الجزائريين، وقضى على نسبة كبيرة من الأمية بين السكان، فكان ذلك مؤكدا من خلال ملاحظات مؤرخين فرنسيين، وبعض الرحالة الأوروبيين، الذين زاروا الجزائر قبل الاحتلال وبعده، فدونوها في كتبهم، منهم الجنرال " ولسن إستر هازي " (Wilson Esther Hazy) و"توماس إسماعيل أوربان" (Thomas Ysmayl Urbain) من أن الجزائريين الذين يعرفون القراءة والكتابة في ذلك العهد أكثر عددا من الفرنسيين، حيث كانت نسبة الفرنسيين الذين لا يحسنون الكتابة والقراءة 45%، وقد إحتل الجزائر جنود أميين حسب نظرة المؤرخين، ليواصلا الاعتراف، بأن من الموضوعية أن نعترف بأن المسلمين في إفريقيا الشمالية، رغم انخفاض مستوى العلوم، وقلة الكتب، كانوا يهتمون بمسائل التربية والتعليم، ويولونها أهمية بالغة[1510]، لكن السياسة الاستعمارية الممارسة على السكان المسلمين الجزائريين منذ الاحتلال ضيقت على الدين الإسلامي. انطلاقا من تحديد عدد الكتاتيب، ومراقبة الزوايا، والمساجد، وعدم منح رخص الحج إلاّ لأفراد قلائل[1511]. ذلك كان له وقع أليم على الوضع الثقافي بالجزائر، لكن رغم الانتعاش السياسي، الذي تميزت به فترة الجمهورية الفرنسية الثالثة، كان حظّ التعليم سيئا، حيث قامت فرنسا خلال 1870 بإغلاق المدارس الإبتدائية، وقد بلغت 36 مدرسة، وعدد من الإكماليات، بحيث لم يمنع من هذه الإجراءات، سوى 16 مدرسة في سنة 1882[1512]، وفي عهد "جول فيري" (Jules Ferry)، وزير التربية العمومية والفنون عرف التشريع المدرسي الجديد السعي لإنشاء مدارس لتعليم الجزائريين، مع جعله إجباريا، فلقي هذا التشريع ردود فعل مناهضة في الوسط الكولونيالي بالجزائر عندما حان أوان تطبيقه، حيث عبرت البلديات عن رفضها لإنجاز هذا المشروع الباهظ في التكاليف، والخطير في أهدافه[1513]، لكن

[1510] تركي رابح : نفس المرجع، ص 91.

[1511] عبد الحميد زوزو : **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1997، ص 73.

[1512] عبد الحميد زوزو : نفس المرجع، ص 73.

[1513] عبد الحميد زوزو : نفس المرجع، ص 73.

كيف يمكن لهذا التعليم أن يحقق هذه الأهداف؟ حيث نجد أن عدد الأطفال المزاولين للتعليم في سنة 1890 قد بلغ حوالي 10 آلاف طفلا؛ أي ما نسبة 1.9% من مجموع الأطفال، الذين كانوا في سن التعليم[1514].

إن التعليم في العهد الاستعماري، كان من حظ أبناء العائلات الكبيرة فقط، مع العلم أن هؤلاء قد يضطرون للهجرة إلى فرنسا، لإتمام دراساتهم العليا، سواء على حساب السلطة، أو كاهلهم، خاصة الذين يختارون مهنة الطب، فهذا الوضع المزري، الذي حاول المحتل تكريسه، لم يكن حائلا أمام رغبة الجزائريين في الحصول على مستويات علمية، خاصة من المعاهد الإسلامية، باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ عن الوطن العربي. وأمام هذه الحالة المزرية بالجزائر، كان العالم العربي يعيش نهضة فكرية يديرها عدد كبير من العلماء، بعد ركود طويل، نتيجة السياسة الاستبدادية الممارسة من طرف الدولة العثمانية في إطار سياسة " التتريك "، حيث كانت سياسة الاتراك بالمشرق، نتيجة طبيعية، لكون حكامهم ماهرين في الحرب دون الإدارة والسياسة[1515]، هذا حمل في نفوس الكثير من العلماء التأثر بأحوال أوروبا، وتطوراتها، نتيجة الانقلاب الحضاري، الذي عرفته مصر خلال فترة حكم " محمد علي باشا "، ومحاولاته لبعث الدولة العربية الإسلامية[1516]. وبناءً على هذه الظروف المتردية، كانت أعناق جموع المفكرين المسلمين تشرئب إلى التطور الحاصل بأوروبا، من أجل محاولة الاستفادة من التطورات الحضارية المادية، وكيفية إقامة إصلاحات مناسبة بالبيئة العربية، هذا ما رأته جماعة تيار الجامعة الإسلامية، التي ظهرت كنتيجة للعجز، الذي أعلنته الأقطار الإسلامية أمام الاعتداءات الاستعمارية، عسكريا وثقافيا، والمساواة السائدة الفارضة للإخاء، فكان ذهولهم قوي من خلال المقاومات العديدة في كل من ليبيا من طرف السنوسيين في برقة،

[1514] عمار هلال : " الطلبة الجزائريون "، المرجع السابق، ص 127.

[1515] أحمد أمين : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، 1990، ص 05.

[1516] أحمد صادق سعد : **تاريخ العرب الاجتماعي (تحول التكوين المصري من النمط الآسيوي إلى النمط الرأسمالي)**، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981، ص ص 231 – 270.

والمسلمين القوقازيين في القوقاز[1517]، وعليه نجدهم قد سعوا إلى توحيد المسلمين، فكان منطلق هؤلاء، هو الإسلام الذي يعد عاملا صالحا، لنهضة المسلمين مع إلزامية تقليد الغرب، والأخذ عنهم في مجالات التقدم المادي[1518]، لكن تيار الجامعة ضعف بعد وفاة " جمال الدين الأفغاني "، وتنحية السلطان " عبد الحميد الثاني " سنة 1909[1519]، غير أن ذلك لم يكن نهاية الفكرة، بل نجـــد الجامعة كانت بمثابة الداعم إلى إحياء شعور الإيمان بالوحدة والتضامن، حيث كانت مصدرا للعديد من الحركات الدينية، والسياسية، التي ظهرت في القرن 20م، لكن سرعان ما تحولت هذه النهضة إلى توجه سياسي، يحاول من خلاله المفكرين العرب زعزعة أركان الاستعمار، وإبطال مزاعمه، حيث كان فاتحة هذا العمل جمال الدين الأفغاني، الذي هزّ أركان الاستبداد هزاً عنيفا، وحطم قيود العبودية راسما طريق الحرية والاستقلال، ثم تبعه الإمام " محمد عبده "، الذي نحا منحا دينيا حاملا راية الحركة الإصلاحية.

أما في المغرب العربي، فإن الأمير " عبد القادر " يعد رائدا إصلاحيا من خلال سعيه لإثارة الضمير الشعبي الجزائري، عن طريق التأكيد على إقامة مجلس الحل والعقد، الذي يقوم أساسا على المكتبة المتنقلة، فكان ذلك إعلان عن أهمية العلم والعلماء. كما نجد الأمير قد بذر بذورا بقيت تنمو في القلوب. ذلك على المستوى السياسي، حيث انه أضاف إليها ثورة فكرية، تتمثل في تلك الأبحاث الدينية والتاريخية، والفلسفية[1520] الكلامية[1521] والصوفية[1522]، لتستمر عطاءات الأمير، حتى في منفاه، حيث كان ساطعا بأفكاره مناديا إلى التغيير، ومناهضة التخلف. ويتجسد ذلك في دعواه إلى

[1517] محمد قنانش: **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د – ت)، ص 13.

[1518] محمد قنانش: نفس المرجع، 14.

[1519] محمد قنانش: المرجع السابق، ص 14.

[1520] **أثار ابن باديس**، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، ط 1، ج 1، دار اليقظة العربية، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر، 1388هـــ - 1968م ،ص 16.

[1521] " **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل** " ألفه الأمير سنة 1281هـــ طبع للمرة الأولى بدمشق (د – ت) حوا 132 صفحة.

[1522] **أثار ابن باديس**، إعداد وتصنيف أ. عمار الطالبي، ج 1، ص 16.

مناهضة التقليد مؤكدا على استعمال النظر فقال : «. .. والمتبوعون من الناس على قسمين : قسم عالم مسعد لنفسه، ومسعد لغيره، وهو الذي عرف الحق بالدليل لا بالتقليد، ودعا الناس إلى معرفة الحق بالدليل لا بأن يقلدوه، وقسم مهلك لنفسه ومهلك لغيره، وهو الذي قلد آباءه وأجداده في ما يعتقدون ويستحسنون، وترك النظر بعقله، ودعا الناس لتقليده، والأعمى لا يصلح أن يقود العميان، وإذا كان تقليد الرجال مذموما غير مرضي في الاعتقادات، فتقليد الكتب أولى وأحرى بالذمِّ وأن بهيمة تقاد أفضل من مقلد ينقاد، وأن أقوال العلماء والمتدينين متضادة متخالفة في الأكثر واختيار واحد منها وإتباعه بلا دليل باطل، لأنه ترجيح بلا مرجح فيكون معارضا بمثله[1523].»، فكان الأمير داعيا إلى النهوض ونابذا للتخلف، الذي يقوم في الأساس على التعليم بمختلف مستوياته، حتى يستطيع العرب، والمسلمون مواكبة التطورات الحاصلة بأوروبا، هـــذا ما قد دعا إليه "خير الدين باشا " التونسي من خلال كتابه " **أقوم المسالك** "[1524]، حينما أفصح عن أسباب تأليفه، لهذا الكتاب الذي حاول فيه محاكاة الغرب. انطلاقا من نبذ المعاداة المطلقة، ومحاولة المحافظة على المبادئ الأخلاقية. هكذا كان العقد الأخير من القرن 19م، والعقد الأول من القرن 20م، فترة مخاض للسعي لإيجاد نهضة إسلامية حديثة، قصد مناهضة براثن الاحتلال، فجاءت زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903، حيث كان له لقاءات مع أعلام جزائريين، وقد اختلفت اتجاهات أولئك الأعلام، فشملت كل المنتمين إلى الطرق الصوفية والإصلاحيين، وغير المتدينين مثل : "حسين بن بريهمات" و" ابن التهامي "[1525]. فما كان على ردود الفعل للزيارة إلاّ التباين بين معجب ومتشائم، كما أقرت زيارته على أساس أنها أمر إطلاعي كلف به الشيخ من طرف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وعند إتمامه لزيارة الجزائر انطلق إلى تونس من قسنطينة على طريق القطار، ليصرح

[1523] الأمير عبد القادر : **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**، ص 1، طبعة دمشق، سوريا، (د – ت)، ص ص 6، 7.

[1524] خير الدين التونسي : **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 23 – 40.

[1525] أحمد صاري : " الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد 2، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، محرم 1424هـــ - مارس 2003م، ص 18.

الشيخ محمد عبده على ارتياحه، لمّا رآه في الجزائر وتونس، خاصة اتجاه السلطة الفرنسية، حيث عدت عليه نقيصة من طرف مصطفى كامل مدير جريدة **اللواء** المصرية[1526].

والتواصل بين أعضاء الحركة الإصلاحية بالعالم الإسلامي، كانت مجسدة من خلال وصول جريدة "**المنار**" ومن قبلها " **العروة الوثقى** "، التي كان الطلبة والشيوخ يتلهفون للحصول عليها، ويتداولونها فيما بينهم، لتوسيع رقعة الاطلاع عليها، ففي الجنوب الجزائري كانت العروة الوثقى تصل الشيخ "علي بن ناجي"، والسيد " علي بن العابد السنوسي الزاهري " بالزاب، وغيرهم من الطلبة في عهد صدورها بباريس[1527]، وإقليم الزاب مجاور لوادي سوف من جهة، كما أن غالبية العدول بالمحاكم الشرعية بوادي سوف من إقليم الزاب من جهة ثانية. ذلك بدوره ساهم في توسيع رقعة الإصلاح بوادي سوف. واستمرت محاولات الإصلاح بالجـــزائر، حيث مثلت في شخـــــصيات أهمها : الشـــــــيخ "بن مهنا" والشيخ " عبد القادر المجاوي "، بوصفهما بطلين في الصراع الذي بدأ ضد المرابطين والخرافات[1528] أولا، ثم مجابهة الاستعمار ثانيا، كما نجد الشيخ بن سماية مؤلف كتاب " **فلسفة الإسلام** "، حيث قرأ الفصل الأول منه في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر، الذي انعقـــــــــد في الجزائر سنة 1905، وحـــــــضره " عبد العـــــــــــــزيز جـــــــــاويش " و" محمـــــــــــد بن أبي شنـــــــب "، والمستـــــــــشرق الألمـــــــــــــاني "كـــارل فـــــورلس" (Carl Vorles)[1529]، والشيـــخ " محـــــمد بن مصطفى بن الخوجة " الداعي إلى عدم التعصب الديني. فكان لهؤلاء الفضل في إبراز الهوية الحضارية للأمة الجزائرية من خلال تحمل عبئ الصراع الفكري بين الإصلاح والاستعمار، حيث حاول هذا الأخير جذب القوى الواعية في البلاد بأي وسيلة

[1526] أحمد صاري : نفس المرجع، ص ص 20 -21.

[1527] **ابن باديس حياته وأثاره**، المصدر السابق، ص ص 25-27.

[1528] مالك بن نبي : **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، ط 3، دار الفكر، الجزائر، 1408هـــ - 1988م، ص ص 14، 15.

[1529] **ابن باديس حياته وآثاره**، ج1، المصدر السابق، ص 32.

ممكنة[1530]، قصد إبقاء الجـــزائر على حال التخلف دون بروز ملامح لتطور المسلمين الجزائريين، حتى يبقي المحتل قبضته عليهم. والصراع الذي أعلنه كل من الشيوخ بن مهنا والشيخ عبد القادر المجاوي، وعبد الحليم بن سماية ومحمد بن مصطفى بن الخوجة، يبرز من خلال أن الأول كانت له مناجاة للضمير، كادت توقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898، فعملت الحكومة الاستعمارية على إبعاده، وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن[1531]، والشيخ عبد القادر المجاوي صاحب التآليف الكثيرة من الكتب المـــدرسية والتربوية، مما يـــدل على اهتماماته البالغة بالتربية، حيث يعتبر أن الإصلاح، لا يتم إلا بها، وله مؤلفات عديدة منها : " **إرشاد المتعلمين** "[1532]، و" **المرصاد في مسائل الاقتصاد** "[1533]، وشرح منظومة في إنكار الفساد الاجتماعي[1534]، فكان هذا الأخير علما إصلاحيا اثّر في الكثير من شخصيات بارزة في القطر الجزائري. أما بن سماية فكانت مواجهاته بارزة لاعتبار الاستعمار السبب الرئيسي في تخلف المسلمين الجزائريين ، حيث نجده اعتذر عن الحضور لمأدبة الغداء على شرف ملك المغرب عبد العزيز، حين زار الجزائر سنة 1319هـــ/ 1902م. ذلك حتى لا يحسب على السلطة الفرنسية، فلا يعد عليه ذلك موقفا مساندا لها. علما أنه كان مدرسا بالجامع الجديد، وأستاذا بالمدرسة الثعالبية[1535]. أما محمد بن مصطفى بن الخوجة، فهو أكثر الأساتذة اطلاعا على كل ما يرد من المشرق من كتابات، خاصة كتب محمد عبده، وعلى إثر هذه العلاقة الوطيدة، عزل من منصبه، لكن هذا العزل لم يثن من عزمه، بل أخذ يلقي الدروس في جامع بلكور، كما كانت له اهتمامات بالغة بالحياة الاجتماعية والأخلاقية، وبوضع المرأة المسلمة الجزائرية، فألف

[1530] مالك بن نبي : **شروط النهضة ومشكلات الحضارة**، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، مطبعة دار الجهاد، القاهرة، مصر، 1967، ص 15.

[1531] مالك بن نبي : نفس المرجع، ص 22.

[1532] طبع بمصر - ينظر **أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس**، ج 1، ص 20. (الهامش رقم 01).

[1533] طبع بمطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر - ينظر **أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس**، ج 1، ص 20. (الهامش رقم 02).

[1534] منظومة في إنكار البدع ألفها الشيخ المولود بن الموهوب وشرحها المجاوي بشرح اسماه " **اللّمع على نظم البدع** ". – ينظر **أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس**، ج 1، ص 20. (الهامش رقم 03).

[1535] نفس المصدر، ص 32.

العديد من الكتب منها : كتاب " **الاكتراث في حقوق الإناث**[1536] "، وكتاب " **اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب**[1537] "، وكتاب " **إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام**[1538] "، كما أنه عمل على نشر مخطوط نادر للشيخ السيوطي بعنوان " **الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض** "، هذا يبرز نزعة ابن خوجة الاجتهادية ومعارضة التقليد الجامد، وما يؤكد ذلك تأليفه " **مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة** "، وهو عبارة عن عمل كتبه لملك المغرب في شكل ترجمة للتراتيب الإدارية، والعسكرية الفرنسية بطلب منه، كما نجد له مقدمة في الشريعة، وملاءمتها لكل زمان ومكان، حيث يدعو فيها إلى الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى[1539].

هذا ما يؤكد أن غالبية المحاولات، كانت تدعو إلى مواكبة التطور الحاصل على مستوى النهضة العلمية، التي تركز على التعليم كأساس للنهوض، ومن بين المهتمين بالتعليم من الجزائريين محمد برحال، الذي أبدى ارتياحا من التعليم باللغة الفرنسية، الذي أقرته الإدارة الفرنسية سنة 1883[1540]، حيث كان من بين المثقفين المزدوجي اللغة، ومن الأعيان المدنيين أمثال : سي أحمد بن يوسف في البليدة، سي علاوي بن يحي في مستغانم، أحمد برهمات في مدينة الجزائر، لكن محمد برحال كان أكثر تمايزا، عن غيره لرؤيته المتميزة، التي تقر مبدأ " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها "، حيث نجده قد خالف مواقف " بن خلفات[1541] "، الذي كان يرى أن الاندماج ينبغي أن يكون

[1536] طبع سنة 1313هـ/1895م. – ينظر **ابن باديس حياته وآثاره**، ج1، نفس المصدر، ص 35. (الهامش رقم 3.)

[1537] طبع سنة 1325هـ/1907م في الجزائر بمطبعة فونتانا. – ينظر **ابن باديس حياته وآثاره**، ج1، نفس المصدر، ص 35. (الهامش رقم4.)

[1538] سنة 1319هـ/1902م في الجزائر بمطبعة فونتانا. – ينظر **ابن باديس حياته وآثاره**، ج1، نفس المصدر، ص 35. (الهامش رقم 5.)

[1539] نفسه، ص 36.

[1540] مرسوم 13 فبراير 1883 الذي يخص التعليم الابتدائي وبموجبه أنشئ نوعين من المدارس أحدهما خاص بأبناء الكولون، وآخر خاص بأبناء الجزائريين وجعل التعليم بهما بالفرنسية. بوعمران الشيخ : " المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة "، **مجلة الأصالة**، العدد 6، الجزائر، 1972، ص 119.

[1541] أستاذ بثانوية قسنطينة. – ينظر عبد القادر جغلول : **تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص 111.

متبادلا من خلال إرسال الطفل العربي إلى المدرسة، مع إبعاد هذه الناشئة عن السكان المسلمين الجهلاء والمتعصبين، والعاجزين عن فهم فوائد التعليم والحضارة الفرنسية، فبالتعليم نستطيع تحويل العربي إنسانا مستنيرا أخلاقيا، وفرنسيا بشكل خاص[1542]، هذا ما يؤكد النضج البالغ الأهمية لدى كل من الاتجاهين، الذي ينمُّ على الوعي. هكذا استمرت محاولات الدعوة للنهوض بالعالم العربي، غير أن البعض من المسلمين المنطوين على أنفسهم، خاصة المحافظين الجامدين، والطرقيين لم يكونوا مقدرين للنهضة من باب الخلط بينها، وبين الدول الغربية، التي مارست الاستعمار، الذي غزا بلدانهم، فهم بذلك أنكروا تلك النهضة الحديثة، لكنهم لو واكبوها، لما كان حالهم كالذي صاروا إليه[1543]، لكن مع هذا يتبين أن الحركة الإصلاحية في مطلع القرن 20م بالجزائر، كانت تعيش حياة طبيعية، تتواجد بها كامل الأطياف المناوئة منها، والمساندة للسياسة الاستعمارية الداعية للنهوض على الشكل الأوروبي، في جو ملؤه التشنج والتصادم تارة، والتلاؤم والتوافق في مواقع أخرى، خاصة التي تخدم المسلمين الجزائريين، دون الإخلال بأحوالهم الشخصية. وأمام هذا الوضع المزري، الذي كان حالة تردي الأمة الإسلامية قاطبة، حاولت الجامعة الإسلامية أن تشد من مساعيها، وتصحح بعض المفاهيم الحضارية الواجب التحلي بها، فاستغلت الحرب العالمية الأولى، التي اكتشفت من خلالها حقيقة المحتل ومؤامراته، فكان ذلك دافعا قويا، مما جعل الحركة الإصلاحية قد بدأت تدبُّ في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، دافعة فيه القوة والعزم[1544]، فما كان على الجامعة الإسلامية، إلاّ البحث عن السبل والطرق الأكثر جاهزية، لنشر أفكارها التحررية، التي تقوم في الأساس على تنوير العقل المسلم، لمجابهة التخلف، فما كان على الجامعة والحركات الإصلاحية، إلاّ اتخاذ الصحف والجرائد كوسيلة اتصال بينها، وبين الجماهير

[1542] عبد القادر جغلول : نفس المرجع، ص ص 110، 111.

[1543] أحمد أمين : **فيض الخاطر**، ج 9، ط 2، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، مصر، 1962، ص 202.

[1544] لوثروب ستودارد : **حاضرة العالم الإسلامي**، نقله إلى العربية عجاج نويهض، ج 1، مج 1، ط 4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1973، ص 325.

في كافة العالم الإسلامي، هذا ما تؤكده الإحصائية، التي تقرُّ تزايد عدد الصحف، والجرائد في العالم الإسلامي والعربي، ففي سنة 1900 لم يكن في العالم الإسلامي أكثر من مائتي صحيفة دعوية، لتصل سنة 1906 إلى خمسمائة صحيفة، وارتفع العدد سنة 1914 إلى ألف صحيفة[1545]، لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف كانت تلك الصحف والجـــرائد تصل إلى كافة أقطار الوطن العربي والإسلامي آنذاك؟ إن الإجابة عن هذا السؤال كامنة في حقيقة الاتصالات، التي كانت تربط العالم الإسلامي ببعضه البعض. ذلك عن طريق السعاه والحجيج، والسُيَّاح والتجار، والبرد[1546]. وبالفعل كان هذا هو الوضع الذي شهدته الجزائر من خلال ارتفاع عدد الصحف والجرائد العربية، ذات الميل الإصلاحي، حيث نلحظ التزايد المستمر لصدور صحف وجرائد عديدة في مناطق مختلفة من القطر. وقد يتضح هذا الدور جليا من خلال آراء ومواقف الجزائريين من دور الصحف، حيث قيل في الصحافة على لسان " أحمد بن محمد السبع المليانى " في ماي من عام 1903 : « غير خاف أن الجرائد أصبحت في عصرنا من متممات إن لم نقل من مقدمات السعادة والنجاح، والفوز والفلاح، فعلى صحائف وجنتها تدور رحى السياسة وعلى أعمدتها يتوكأ أهل الكياسة، وهي الخطيب على رؤوس الأشهاد الواعظ الناصح في كل واد[1547]. »، ليقر آخر الأهمية العظمى للصحافة : « ومهما تكن فإن الصحافة قادرة على صنع الأعاجيب، ففي يدها سلاح رهيب لا يفل، لا سيما إذا كانت تعيش في ظل نظام ديمقراطي يتمتع بالحرية، ولها ظهر لا ينثني ورأس لا ينحني، وطاقة جبارة على الدأب في تحقيق الغاية التي رسمتها لنفسها، وقضاؤها في الأفراد والهيئات، والشعوب والحكومات هو قضاء يوشك أن لا يرد ... ومن أجل ذلك أطلق عليها لقب " **السلطة الرابعة** " غير أن هذا اللقب قد يكون صحيحا بالنسبة إلى السياسة وشؤون الحكم، ولكنه يغدو مقتصرا بالنسبة إلى شؤون أهم من السياسة وأخلد من الحكم، منها اللغة والأدب، والأخلاق والعادات، وتقويم المجتمعات واستئصال الفساد، وأخيرا توجيه الشعوب وقيادة نضالها ومقاومة الشرور،

[1545] لوثروب ستودارد : نفس المصدر، ص ص 322، 323.

[1546] نفسه، ص 323.

[1547] الزبير سيف الإسلام : **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 ، ص 157.

والظلم والاستعمار، وبعث الإصلاح في شتى مرافق الحياة[1548].». وجاء في افتتاحية جريدة " **صدى الصحراء** "بالعدد 2 : « الجرائد أثر من أثار الرقي وعنوان من عناوين الحضارة والعمران. ونشوؤها في العالم يرجع إلى عهد غير قريب. بيد أنه لم تكن عناية الأمم بها هي عنايتهم اليوم. ولقد أصبحت الصحف من مقومات الحياة البشرية ولا مصدى عنها لأمة تريد أن تحيا حياة كاملة تزاحم غيرها من الأمم بمناكبها في معترك الحياة.

ومن طلائع جيوش الاستعمار وأفتك سلاحها بالأمم المستضعفة الجرائد فهل يجمل بنا ونحن أبناء أساتذة الغرب قديما أن نزهد في هذه القوة يستحيل أن توجد الحياة الكاملة في هذا العصر بدونها[1549].»، هذه الحركة الصحفية في الجزائر تعود إلى عوامل عديدة منها فترة حكم " شارل جونار" (Charles Jonnart)،حيث تميزت بنوع من الرخاء، الذي سمح للصحافة العربية بالانتشار في شكل واسع. ذلك لم يمنع وصول الجرائد العربية الأخرى كالجرائد التونسية، حيث يصرح أحد الزوار التونسيين، وهو الشاعر التونسي " سعيد أبو بكر[1550] "، في رحلة قام بها إلى الجزائر بجريدة "**لسان الشعب**" سنة 1927[1551] مشبِّها لرواج الصحف التونسية وانتشارها بالمدن المتاخمة للحدود التونسية مثل : قسنطينة تبسة، ووادي سوف ووادي ميزاب، وبسكرة وغيرها[1552]، حيث كانت بمثل انتشارها في تونس، رغم ما كان يمثله هذا الرواج من تحد واضح للاحتلال، الذي كان يسعى

[1548] الزبير سيف الإسلام : نفس المرجع، ج4، ص 91.

[1549] **صدى الصحراء** : العدد 2 السنة الأولى، 13 جمادي الثانية 1344هـ/30 نفامبر 1925.

[1550] من مواليد بلدة المكنين بالساحل التونسي يوم 28 أكتوبر 1899 وهو شاعر عصامي التكوين، حيث لم يتجاوز تعليمه المرحلة الابتدائية كما يعد من أبرز الكتاب في الصحافة التونسية، وقد قام برحلة إلى الجزائر والمغرب بين سنتي 1927 و1929 نشرها في " **لسان الشعب** " ارتسامات عن رحلته في حلقات متسلسلة بعنوان " عشرون يوما في عمالة قسنطينة ". – ينظر أحمدخالد : **شخصيات وتيارات**، ط2، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ماي 1976، ص ص 65- 69.

[1551] محمد الصالح الجابري : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 35. (الهامش رقم 01).

[1552] محمد الصالح الجابري : نفس المرجع، ص 34.

جاهدا على بتر الصلة بين الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس[1553]، لما كانت تتمتع به تونس آنذاك من نشاط علمي وسياسي[1554]. ومن بين أهم الجرائد التي كانت تصل إلى وادي سوف من تونس نجد : جريدة **الزهرة**[1555] و**النهضة**[1556]، و**المرآة**[1557] وغيرها، هذا ما يدل على مدى التواصل بين الحركات الإصلاحية، والحركات الوطنية في الوطن العربي، لما كانت تلعبه الصحافة من دور هام في تقريب المفاهيم، والأفكار مع محاولة نشرها بشكل واسع. هكذا ظلت العلاقات القائمة بالعالم الإسلامي، هي الكفيل الأوحد إلى رفع مستويات التحدي لمجابهة الاحتلال بشتى الأساليب. انطلاقا من عامل التوعية القائم على البعد الإصلاحي، الذي لم يتوقف عند مجال التعليم، بل نجد أنه طرق مجالات عدة من اقتصاد واجتماع، وسياسة، نتيجة الوضع العام المزري، الذي بات هو الصفة الطاغية، لكل مجتمعات العالم الإسلامي. ومن ذلك يتضح أن الحركة الإصلاحية في الجزائر، لم تنطلق منذ نشأة جمعية العلماء المسلمين، بل تعود نشأتها إلى العقد الثاني من القرن 20م[1558]، هذا من خلال مجهودات جبارة قام بها علماء عدة، لكن الصدى الأكبر يعود في الأساس إلى جمعية العلماء، التي كانت ذات طابع مميز عن غيرها من حيث التنظيم، والتواجد عبر ربوع البلاد من خلال مدارس الجمعية، والمدارس الحرة. بالفعل كان ذلك هو الوضع الذي شهدته الجزائر من خلال ارتفاع عدد الصحف والجرائد، ذات الميل الإصلاحي، حيث نلحظ التزايد المستمر لصدور صحف وجرائد

[1553] **حوار** مع الباحث محمد المولدي سيشي يوم 24 جمادي الثانية 1424هـ - 22 أوت 2003م صباحا ببيته.

[1554] نفسه، ص 35.

[1555] جريدة يومية سياسية إخبارية وهي مدرجة ضمن الصحف والجرائد الناطقة بالعربية في الأرشيف الوطني التونسي وفقا للرقم التسلسلي ج 55

[1556] جريدة يومية سياسية إخبارية اقتصادية، وهي مدرجة ضمن الصحف والجرائد الناطقة بالعربية في الأرشيف الوطني التونسي وفقا للرقم التسلسلي ج 144.

[1557] صحيفة يومية سياسية مصورة، وهي مدرجة ضمن الصحف والجرائد الناطقة بالعربية في الأرشيف الوطني التونسي وفقا للرقم التسلسلي ج 120.

[1558] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، مرجع سابق، ص ص 32، 33.

عديدة في مناطق مختلفة من القطر. وقد يتضح هذا الدور جليا من خلال آراء ومواقف الجزائريين من دور الصحف والجرائد التي صارت تلعبه في توعية الرأي العام على مستوى جميع الأصعدة والميادين، حيث أصبحت هذه الأدوات تجسد بعد الفردانية[1559]، لما أصبحت تشكله من مؤسسات قائمة بذاتها تحاول شق غبار الاضطهاد والاستكبار الغربي، لدى غالبية رموز الإصلاح. وعلى هذا الأساس دبت الحياة في كثير من مناطق البلاد، وصارت الجرائد والصحف متنفس الكثير من فئات المجتمع الجزائري، هذا يعود في الأساس إلى طبيعة الوضع، الذي بات يفرض على الجميع إيجاد ذواتهم فرادى، أو جماعات قصد مناهضة المحتل. انطلاقا من التباين الحضاري، والتمايز السياسي، والاقتصادي والاجتماعي. ذلك منذ أن قررت السلطات الاستعمارية تنفيذ سياسة الاستيطان مع الجنرال بيجو خلال توليه قيادة الجيش الفرنسي المتواجد بالجزائر المحتلة سنة 1841.

المبحث الثاني - التعليـــم العربي بوادي سوف ومستويات التحدي :

التعليم حلقة من حلقات الحياة العلمية، والقضايا الفكرية في المجتمع العربي الإسلامي. ذلك لما له من دلالات معتبرة في نطاق الصراع مع القوى الاستعمارية المحتلة، حيث يعد أقوى آليات المواجهة، للحفاظ على المقومات الحضارية للأمة العربية الإسلامية من الذوبان، والانصهار في بوتقة الحضارة الغربية. وطبيعة المجتمع بوادي سوف، لا يختلف عن المجتمعات العربية الإسلامية، حيث نجد أن المجتمع بوادي سوف كباق مجتمع الجزائر تواقا دوما إلى تحسين المستوى التعليمي والثقافي، لهذا نجد الدور الذي لعبته الطرق الصوفية بخلاف أرجاء البلاد الأخرى[1560] من القطر الجزائري، والنخبة من المحافظين والإصلاحيين، حيث سعت كل الفئات جاهدة إلى توسيع رقعة التعليم، لتشمل عددا

[1559] الفردانية مفهوم مستحدث ظهر مع بروز النهضة الأوروبية الحديثة من خلال التطور الذي شهده الفكر انطلاقا من خاصيتي نمو روح النقد ونمو روح الفرد، والفردانية، وهي تعني العمل المؤسسساتي باعتبار الأعمال لا يمكن أن تحقق نجاحات إلا في ضل المؤسسة التي بدورها تسعى للحفاظ على الاستمرارية في أداء دورها لخدمة الآخر. حيث يقول علي أسعد وطفة : «وبقيت الفردانية على الرغم من كل شيء إعلانا إنسانيا ضد التسلط والإكراه والظلم ورمزا لانتصار الإنسان ضد مختلف التحديات التي تقف في وجه نموه ونطوره وصيرورته الإنسانية. » - ينظر علي أسعد وطفة : " الاغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية المغامرة الفكرة لمفهوم الفردانية في الثقافة الغربية، مقال، (مخ)، كلية التربية، جامعة الكويت، ص2.

[1560] فاني كولونا : " مثقفون في الأطراف "، من كتاب **الأنتلجانسيا في المغرب العربي**، إشراف عبد القادر جغلول، ط 1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص ص 280، 281.

كبيرا من فئات المجتمع، لكن بحضور المحتل، الذي أبدى هو الأخر محاولة، برزت من خلال فتح مدرسة أهلية، حتى يستطيع التظاهر بملمح التحضر. ذلك في محاولة إدخال التعليم المنظم، وعليه نجد أن التعليم بوادي سوف شهد ثلاثة أنواع هي :

أولا – التعليم القرآني :

التعليم القرآني، هو التعليم الأساسي، الذي يتلقاه أبناء وفتيات المجتمع الجزائري، وبالأخص مجتمع الأطراف جنوب الأطلس الصحراوي، خصوصا المجتمع بوادي سوف، لكون القرآن أداة أساسية لأداء الصلاة، وبقية الشعائر التعبدية والمعاملات، كما يعد الخطوة الأولى في مسار تكوين الفرد المسلم، من خلال تمكينه من القراءة والكتابة، ثم ما يلبث أن يلقن مبادئ اللغة العربية، من نحو وصرف منتقى من القرآن عن طريق تحفيظه متون الرسم القرآني، الذي يستوجب معرفة اللغة وخباياها، كما يعتبر التعليم الأكثر انتشارا في كامل أنحاء القطر الجزائري خلال القرن 19م[1561]، خاصة بوادي سوف، حيث انتشر وراج بفضل المؤدبين بكتاتيب المساجد والزوايا[1562]، وبيوت بعض العائلات لتعليم بناتهن[1563]. ذلك حسب ما عبرت عليه الكاتبة الفرنسية "سيللي ميللي" (Scelles Millie) بقولها : « ...ليس من الغريب أن نجد واحدا مقابل عشرة يحفظ القرآن كله في وادي سوف، بينما في باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة محصورة في الطلبة وبعض الخواص بنسبة واحد من الألف[1564]... ». هذا ما يؤكد على كثرة تواجد هذا التعليم من خلال كثرة المدارس والكتاتيب، حيث لا يخلو حي من مدرسة قرآنية على الأقل، وهي في تدريسها مشابهة لباقي البلدان الإسلامية الأخرى[1565]، قد تكون هذه المدارس تابعة للمساجد أو منفصلة عنها[1566].

كما ظل التعليم الأصلي يقوم على قواعد دينية، حيث أن البرامج الدراسية تتركز أساسا في التعليم القرآني، لكون الفرد المسلم لا يستطيع تخطي المراحل الأولى من تعلمه، دون الوقوف على حفظه،

[1561] محمد العربي الزبيري : **التجارة الخارجية**، ص 48

[1562] أحمد توفيق المدني : **كتاب الجزائر**، ص 226.

[1563] وهي طريقة يحاول من خلالها السكان المسلمين تمكين البنات من حفظ القرآن وبعض مبادئ اللغة العربية في مسكن خاص لبنات العائلة في إطار منع الاختلاط واختيار مؤدب مسن أو ضرير وهذا الأنسب، وكانت هذه الوسيلة أنسب طريقة لتعليم الفتيات ومنتشرة بكثرة في القرى النائية . – **لقاء** مع السيدة عائشة عوين، مرجع سابق.

[1564] J. Scelles Millie : Op. cit, p 24.

[1565] C. Cauvet : op. cit, p 106.

[1566] Ahmed Nadjah : op. cit, p 108.

باعتباره صمام أمان للحفاظ على مقومات الهوية الحضارية. وقد تنبه لهذه الظاهرة رواد فكرة علمنة التعليم في فرنسا[1567]، الذين راهنوا على عدم نجاح العملية التعليمية، لكون الاعتقاد السائد لدى المسلمين، أنه ليس هناك نور معرفي، إلا ما يصدر من القرآن وتفسيره[1568]، هذا بدوره شجع على ضرورة التعليم. انطلاقا من القرآن، لهذا نجد العديد من العائلات، وبعض الجماعات سارعت إلى تشييد مدارس قرآنية، تبعا للثراء المادي لتلك الأسر خاصة، مثل مدرسة القروي بالجهة الشمالية من حي الأعشاش، وقد أسست في حدود 1890 من طرف رجل فلاح، وتاجر يدعى "محمد القروي بن علي[1569]"، كما أسست مدرسة سعدودي بحي المصاعبة بالوادي حوالي سنة 1901، ومدرسة الجبيرات بحي الأعشاش حوالي سنة 1904[1570].

وما شجع على توسيع نطاق فتح المدارس يعود في الأساس إلى طبيعة تأثيث هذه المدارس، الذي يعد تأثيثا بسيطا، لا يكلف قدرا ماليا باهظا، هذا ما أكد عليه الأستاذ " محمد برحال " الندرومي في تشخيص الحالة الواجب مراعاتها في تعميم التعليم[1571]، لو كان تعليما مزدوجا، لهذا كانت المدرسة تتكون في الأساس من حصائر، أو أفرشة محدودة الامتداد في فصل الشتاء. أما في الصيف فيفترش الرمل، ويتوجب أن يتوفر لكل طالب لوح من الخشب[1572]، يوفره متطوع، أو يقتنى على طريق مصادر الأوقاف، التي تحبس لهذه المدارس[1573]، بالإضافة إلى الطين الذي يمحى به اللوح بعد حفظ ما به من قرآن، ويخصص لمحوي الألواح حوض صغير على جانب الكُتَّاب، وماؤه إما يستغل لسقي نبتة، أو يغور في التراب، لأنه ماء القرآن الممحو، لكي لا تدوسه الاقدام لقداسة القرآن

[1567] عبد القادر حلوش : " الدور الاستعماري للمدرسة الفرنسية في الجزائر (أثناء الاحتلال) "، مجلة **الذاكرة**، العدد 5، الجزائر، ربيع الثاني 1419هـ/أوت 1998م، ص ص 77- 86.

[1568] الطاهر عمري : " مراكز الثقافة العربية بين المقاومة والتكيف (1830-1900)"، مجلة **دراسات أدبية وإنسانية**، العدد 1، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، صفر 1425هـ/أفريل 2004م، ص 94.

[1569] **حوار** مع الشيخ محمود القروي بن محمد القروي من علي، بمنزله مساء يوم 04 جمادى الثاني 1424 / 02 أوت 2003.

[1570] علي غنابزية : " الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري في مدرسة النجاح بقمار "، من مدونة **العلامة محمد الطاهر التليلي 1910- 2003 قراءات في سيرته وفكره وآثاره**، تصدير أبو القاسم سعد الله، إصدارات الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور، قمار، الوادي، 2005، ص 113.

[1571] عبد القادر جغلول : تاريخ الجزائر، مرجع سابق، 86.

[1572] Ahmed Nadjah : op. cit, p 108.

[1573] في ما يخص دور الحبس في تفعيل حركة التعليم. – ينظر أبو القاسم سعدالله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص ص 227- 262.

الكريم. أما أدوات الكتابة، فهي بسيطة تحضر محليا، هذه المواد هي الصمغ المحروق المطحون، ثم توضع كمية منه في قاع دواة مع شيء من الصوف، والماء فيصير مدادا للكتابة، ويوضع لذلك قلما مثقفا من القصب، عادة ما يكون قصب الديس، كما يفرض على كل طالب امتلاك نسخة من المصحف تحفظ كلها في "مخلاة" صغيرة الحجم تصنع من الصوف أو الكتان.

أما المؤدب، أو المعلم فيدعى " الطالب " أو " نعم سيدي "، وهو من خريجي الزوايا، أو الكتاتيب. وهو شخص متواضع لا يتميز عن غيره من الناس بارتداء خاص يميزه عن غيره[1574]، وللمعلم سلطة تفوق المكان، الذي يدرس به، حيث يضمن له مكانة اجتماعية، لا تحدد له أجرة راتبة، إلاّ ما يقدمه الأطفال، أو آباؤهم عند مناسبات مرتبطة بالتعليم ومراحله هي :

- " **الفتوح** " عادة يكون من التمر، أو الطعام، الذي يحمل إلى الكتّاب عند أول دخول الطفل.

- " **الختمة** " هي ختمة جزء من القرآن، أو حزبا منه. وجعلت لها صورة ثابتة.

- " **الحَضور** " هو كمية من الحطب يحضرها كل صبي في الشتاء، لتجفيف الألواح الممحوة، أو للتدفئة، أو قد يحملها المؤدب إلى بيته للاستفادة منها في الكثير من الشؤون الخاصة بالبيت.

- " **الأربعية** " هي قيمة مالية يقدمها الصبيان كل يوم أربعاء من كل أسبوع يختلف مقدارها حسب المستوى الاجتماعي لكل صبي.

- " **اللعبار واللحمة** " هما شيء من القمح واللحم يقدم للمؤدب في عيد رجب أو شعبان، أو ليلة القدر أو عاشورا، أو المولد النبوي. وفي عيد الفطر تمنح له بعض الألبسة. أما في عيد الأضحى يمنح كسوة وقندورة، وشاش[1575].

أما المعلم فيقضي يومه بين تدريس الصبية. ذلك منذ بزوغ الفجر، وبعد أداء صلاة الصبح يذهب مباشرة للكتّاب للقاء الأولاد، فيجتمع حوله الصبية لكتابة ألواحهم على طريق رفع الأولاد أصواتهم. ذلك من خلال قراءة كل واحد منهم عند نهاية ما توقف عليه، مع العلم أن الأولاد يختلفون في سورهم، هذا ما يدل على براعة حفظ المعلم، كما أن بعض المكفوفين يحفظون ألواحهم من خلال السماع لعملية الإملاء، من طرف المعلم والصبية. وعند نهاية الإملاء يتقدم التلميذ للمعلم،

[1574] مصطفى زايد : " من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة الكتاب : دراسة سوسيو انتروبولوجية "، مجلة **الثقافة**، العدد 93، الجزائر، شعبان - رمضان 1406هـ/ماي - جوان 1986م، ص 120.

[1575] علي غنابزية : مجتمع وادي سوف، ص 150.

لتصحيح لوحه كتابة ونطقا، كما يحاول بعض المعلمين تقديم نصائح، ومعلومات حول بعض الكلمات، ذات الخصائص الكتابية للرسم القرآني، كما أن بعضهم يفرض على تلاميذه حفظ بعض المتون، كمتون الرسم القرآني أو الفقه، وحتى بعض المتون اللغوية، هذا بحسب ثقافة المعلم ومستواه التكويني. وعند بزوغ الشمس يقوم المعلم بمنح التلاميذ فسحة تدوم إلى الظهيرة. وهنا فإن المعلم يستغل كل الوقت في رعاية حرثه، الموجود بأحد الغواطين أو الأهواد. ذلك من خلال قيامه بزراعة بعض المحاصيل الموسمية، والمبكرة لتغطية احتياجاته الغذائية، هذا للمؤدبين المتواجدين بالمناطق الريفية، في حين نجد مؤدبي الوادي المركزي يشتغلون ببعض الأشغال، كنسيج الزرابي وغيرها، أو حتى التجارة، بالإضافة إلى الزراعة الموسمية، والبعض منهم يتكسب من خلال نسخ القرآن أو بعض الكتب الدينية والعلمية. أما المعلم الذي يفرض على التلميذ أجرة معينة، فالفسحة التي يمنحها للتلاميذ تكون محدودة، ليعودوا إلى الكتَّاب في الساعة التاسعة، أو التاسعة والنصف لدراسة بعض المواد المكملة، كاللغة العربية وبعض الحساب. أما في الظهيرة فيعود الأولاد إلى الكتَّاب لحفظ ألواحهم، وعرضها على المعلم. ومن لم يحفظ يعرَّض للعقاب. ذلك على طريق ضربه بالفلاقة، حيث يطلب من تلميذين مسك طرفي الفلاقة، وإدخال رجل المعاقب، ولفها بحبل وضربه بالعصا، التي دوما في يد المعلم. ومن غرائب الأمور هي أن التلاميذ، حينما يريدون الترويح على المعاقب، فيقولون له المكان المضروب يدخل الجنة. فيكون ذلك الكلام كالبلسم الذي يبرئ الجرح، كما أن الأولياء قد يعاتبون أبناءهم، كلما عوقبوا من قبل المعلم، فيكون ذلك بمثابة التأنيب، مما يحمل

الطالب على عدم الشكوى والتذمر، وبذلك تستمر العلاقة بين المعلم والمتعلم، ملؤها الحميمية، باعتبار المؤدب الأب الروحي للمتعلم، بل في كثير من الأحيان يأخذ مكانة الأب، هذا ما يجعل المؤدب يستغل الاطفال في الكثير من الاحتياجات، والمدهش في ذلك تنافس الأطفال في التسابق

نحو القيام بذلك لنيل رضا " نعم سيدي[1576] "، كما أن احترام المؤدب أمر مقدس لا يتجاوزه الطالب، ولو صار كبيرا، أو رب بيت. ذلك راجع للقيم الاجتماعية المراعاة بين أطراف المجتمع بمختلف أطيافهم، وفقا لشبكة العلاقات الاجتماعية، التي يقوم عليها المجتمع العربي المسلم[1577]، التي من خلالها تؤسس لتربية اجتماعية بناء على مقولة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. [1578]»، ومن هذه المنطلقات الاجتماعية كانت علاقة المؤدب بتلاميذه علاقة اجتماعية ذات رباط متين، لا يمكن تعديه من قبل عناصر المجتمع من ناحية، ولا يمكن تجاهله من طرف الطلبة أنفسهم. فكانت تلك العلاقة تجسد صورة اجتماعية، ذات دلالة لدى المحتل والمعمر معا، رغم تظاهرهم بنوع من الازدراء والتهكم.

وما يلاحظ على المؤدبين، أنهم في غالب الأمر يشتغلون بالفلاحة، أو النسخ لبعض المصاحف لجودة خطوطهم. إلا أن هذا الأمر مقتصر على فئة قليلة جدا، بالمقارنة للمشتغلين بالفلاحة. ولا يستطيعون امتهان التجارة، للوقت الذي تستغرقه، كما أن الإدارة الفرنسية، لا تولي لهؤلاء أي اهتمام، بل تحاول ازدراءهم، دون أن تقوم تجاههم بأي التفاتة تذكر. ومع ذلك لم تتوان هذه الفئة على القيام بدورها تجاه أبناء السكان المسلمين الجزائريين. أما في فصل الخريف، فيقدم للمؤدب شيء من التمر بعد جني الغلة[1579]. كعربون اعتراف للجهد المبذول من طرفه تجاه أبناء المجتمع. وقد كان لهذا التعليم قواعد وأسس تعارف عليها المؤدبون جيلا بعد جيل، وفق ما يقتضيه الوقت[1580]، هذا بدوره ساهم في تحريك عجلة التعليم القرآني، مما جعل دائرة المتعلمين واسعة النطاق، ذلك للبساطة التي

[1576] نعم سيدي، أو نعم السيد.

[1577] مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع الجزء الأول شبكة العلاقات الاجتماعية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، مراجعة عمر مسقاوي، اصدار ندوة مالك بن نبي، طرابلس، لبنان، 1405هـ/1975م، ص ص 69، 70.

[1578] عنوان مقال خص به الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مجلة " الأخوة الإسلامية " العدد 1، 21 نوفمبر 1952، ثم نقلته البصائر العدد 218، السنة الخامسة، 20 فيفري 1953. – ينظر **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع وتقديم نجاه أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص ص 93 - 95.

[1579] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 49. – C. Cauvet : Notes, p 14.

[1580] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص ص 151، 152.

كان عليها التعليم نتيجة الوسائل والأدوات المستعملة، التي لا تكلف جهدا ماديا ومعنويا، هذا ما جعل الكثير من مفكري الاحتلال يتحاملون على هذا التعليم، الذي يعد عائقا أمام أي محاولة، الغرض منها، تعميم التعليم الفرنسي، لمحاصرة التعليم القرآني، لكن ذلك لم يثن من عزيمة السكان المسلمين الجزائريين على دعم التعليم من خلال تشجيع، وتوسيع رقعة التعليم القرآني.

ثانيا : التعـــــــــــليم العـــــــــــربي الإســـــــــــلامي :

إن تعدد مهام العلماء بوادي سوف خلال مطلع القرن 20م، لم يمنعهم من تعليم كبار السن المبادئ الدينية، وأصول العلوم الشرعية واللغوية، هذا من خلال المساجد والزوايا. إضافة إلى بيوتهم، حيث كانت مقصدا لطلب العلم. وقد عملت بهذا الأسلوب بعض الطرق الصـــوفية من خلال زواياها، كالزاوية القادرية بعميش، التي فتح فيها الشيخ محمد الهاشمي الشريف مدرسة محاكاة لزاوية سيدي " المولدي بوعرقية " بتوزر، حيث استقدم إليها علماء المنطقة، لتتطور في عهد ابنه وخليفته الشيخ عبد العزيز. وقد كانت في تلك الأثناء ثلاث حواضر علمية هي : قمار والزقم، والوادي، حيث ضمت هذه الحواضر ثلة من العلماء البارزين بالمنطقة، ومن بين هؤلاء العلماء نجد :

الشيخ " محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى موساوي " المولود سنة 1290هـــ / 1873م[1581]، وهو عالم زاهد، كانت له إسهامات معتبرة في التعليم بكل من وادي سوف وتقرت، وقد توفي في 17 ذي الحجة 1322هـــ / 1904م[1582]. والشيخ " عبد الرحمان العمودي "، هو عالم زاهد اشتغل بالقضاء، وهو متصوف[1583]، غير انه اشتهر بالتجوال والتنقل، فتولى القضاء بالمحكمة الشرعية بكونين، كما كانت بينه وبين الشيخ " المكي بن عزوز " مراســـلات تدور حول قضايا عديدة من أمور الدين والحياة، هذا للرابطة القوية بينهما، وقد توفي الشيخ عبد الرحمن سنة 1327هـــ / 1910م بوادي سوف[1584].

والشيخ " علي بن صابر "، هو عالم اتسم بالورع والصلاح، وقد ذكره الشيخ محمد المكـــي بن عزوز في قائـــمة من أجـــازه من العلـــماء الجزائريين، وأنه اخذ عليه " **صلوات ابن ملوكة**

[1581] علي غنابزية : نفس المرجع، ص ص 152، 153.

[1582] الشيخ مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص

[1583] إبراهيم العوامر : البحر الطافح، ص 36.

[1584] الشيخ مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص

التونسي "[1585]، وهو كثير الترحال بين الجـــريد التونسي ووادي سوف، ليهاجر إلى المدينة المنورة قبل الحرب العالمية الأولى وهناك وافته المنية. وهؤلاء يحسبون على حاضرة الوادي. أما بحاضرة قمار، التي تعد أكبر حاضرة من الحواضر، التي حوت بين أطرافها عددا لا يستهان به، يمكننا الوقوف على شخصيات عديدة أهمها : الشيخ " أحمد دغمان "[1586]، هو أحمد بن محمد دغمان المولود بقمار انتقل إلى الجريد التونسي، وقد يكون درس في زاوية نفطة الرحمانية، ليواصل دراسته بجامع الزيتونة. ذلك أوائل الاحتلال الفرنسي لوادي سوف سنة 1854، ليمكث مدة معلما بالكاف التونسي، ثم عاد إلى قمار، وفيها تولى القضاء، ثم تفرغ للتعليم بالزاوية التجانية هناك، حيث بقي أربع عشرة سنة، ليتولى بعدها القضاء بالوادي خلال الفترة الممتدة بين 1293 - 1295هـــ، وتوفي الشيخ أحمد دغمان سنة 1308هـــ / 1890م[1587]، له عدة مساهمات علمية مختلفة المشارب دينية وأدبية من أهمها : " **الإجابة بحسم خلاف أسوأ السوأى في الكتابة** "[1588]. وقد تتلمذ على يده جيل من الطلبة. والشيخ " أحمد سالم "، هو الملقب بالقاية، ولد حوالي 1257هـــ / 1842م، كان له دور هام في تعليم القرآن والفقه، وقد تتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة، هذا لتعليمه مبادئ العلوم العربية في قمار، وقد توفي سنة 1927[1589]. أما بحاضرة الزقم، فنجد بها الشيخ " إبراهيم بن السّلمي "، هو شيخ ذو شهرة داخل الصحراء، وبلاد التل، لكونه فطن، وذو غزارة في العلم، كما كان له دور في تعليم الناشئة بالزقم، ليتوفى سنة 1333ه/1914م.

هكذا كانت وادي سوف تزخر بكم هائل من العلماء، الذين قاموا بدور التعليم والتدريس، الذي يعد تعليمهم بتعليم الفترة المستنيرة (1880 – 1914م)[1590]، بالإضافة إلى الوعظ والإرشاد دون أن ينسوا أدوارهم الأساسية المتمثلة في غالب الأحيان في الاشتغال بأحـــد الوظائف الإدارية منها، كالقضاء بالمحاكم الشرعية، أو الإمامة بالمساجد، أو أصحاب حرف، كالزراعة والنسخ، وبعض

[1585] علي رضا الحسنسي : المرجع السابق، ص 40.

[1586] عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ط 1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص 27.

[1587] محمد الطاهر التليلي : من تاريخ وادي سوف، ص 77. - أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص ص 498 -499.

[1588] عادل نويهض : المرجع السابق، ص 27.

[1589] الشيخ محمد الطاهر التليلي : من تاريخ وادي سوف، ص 97.

[1590] أبو القاسم سعد الله : " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي (1830 –1954م) (دراسة مركزة على الجزائر) "، **مجلة الثقافة**، العدد 79، الجزائر، يناير – فبراير 1984، ص ص 71 – 77.

الحرف التقليدية، أو النسخ للتكسب منها، دون إهمال دور التعليم، وتخصيص فترة أو أكثر في اليوم للمتعلمين الصغار منهم أو الكبار. انطلاقا من قوله ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه[1591]. »، ليبرز فيما بعد جيل من الشيوخ، الذين تتلمذوا على تلك الفئة، حيث أصبحوا يمثلون المدرسة الإصلاحية، نتيجة التحاق الكثير منهم بجامع الزيتونة، الذي ترك فيهم الأثر الفاعل، رغم بقاء بعضهم محافظا على توجهه الطرقي الصوفي، لكنه توجه أكثر تهذبا، مع رفع مستويات تعليمهم، الذي أصبح فارضا لنفسه بالقوة[1592].

أما أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان لهم دور كبير في حركة التعليم من أجل رفع الجهل، لمحاربة الآفات الاجتماعية المتراكمة. ذلك من خلال توسيع دائرة التعليم، ومن خلال المساهمة في توفير المرافق الضرورية، للتعليم من غير المساجد والكتاتيب، وقد برزت هذه الحركة من حاضرة قمار. ذلك من خلال دور الشيخ " عمار بن الأزعر " منذ العقد الثاني من القرن 20م، حيث نجد الشيخ عمار بن الأزعر المجاهر بضرورة التصدي للجهل، الذي يسعى الاحتلال إلى تكريسه بصور غير مباشرة ، لهذا كان الشيخ يتنقل عبر مساجد عديدة من مساجد بلدة قمار، معلنا مواقفه صراحة، وضرورة رفع راية التعليم، للخروج من مثلث الجهل والتخلف، والفاقة، هذا ما كلفه المضايقة، والمحاصرة الدائمة فاضطر إلى اختيار الهجرة إلى البقاع المقدسة قبل قدوم، وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في زيارته لوادي سوف[1593]. فقد كان الشيخ عمار بن الأزعر محاربا للبدع والضلالات، والمفاسد الأخلاقية السائدة بالمجتمع، والأفكار الطرقية المنحرفة، والسياسة الاستعمارية المستبدة، هذا ما جعله يترك في نفوس العديد من أهل قمار الأثر البالغ، بل حتى مناطق أخرى من وادي سوف، وقد كانت هجرته نحو المدينة المنورة سنة 1937، لكن بمجرد

[1591] الحديث رقم 5027 من كتاب فضائل القرآن. – ينظر محمد بن اسماعيل البخاري : **صحيح البخاري**، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 1423ه/2002م، ص ص 1283، 1284.

[1592] عبد العزيز الثعالبي : **تونس الشهيدة**، تعريب حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 69.

[1593] موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية**، المرجع السابق، ص 175.

إعلان الشيخ عبد العزيز الشريف انضمامه إلى جمعية العلماء، تغير الوضع بوادي سوف عامة[1594]، وقد كان لهذا الموقف تأثيرا بالغا بوادي سوف، وأطراف الإقليم برمته، حيث برزت حركة تعليمية من خلال الأعضاء المؤسسين لشعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ذلك منذ الانقلاب الإصلاحي، الذي أقره الشيخ عبد العزيز الشريف، وعلى إثر هذا الموقف، وجدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نفسها بوادي سـوف تنتشر انتشارا واسعا، نتيجة السعي المكثف من طرف الشيخ عبد العزيز الشريف، الذي تمثل في تحويل جزء من زاويـة عميش إلى مدرسة عصرية على طراز مدارس جمعية العلماء المسلمين[1595]، وانتدب لها الشيخين عبـد القـادر الياجوري والشيخ علي بن سعد خـرن[1596]، كما قـام الشيخ عبد العزيز الشريف بفتح مدرسة بالوادي، وكان ذلك يوم 21 ذي الحجة 1356هـ في احتفالية كبيرة حضرها قرابة 4000 شخصية، بما فيهم أعضاء الشعب الثمانية لوادي سوف[1597]، واسند إدارتها للشيخ علي بن سعد خران صاحب جريدة " **الليالي** "، علما أن الشيخ عبد العزيز الشريف كان في ببسكرة للعلاج من مرض ألم به، وبعد الاحتفال انفرد رؤساء الشعب بقاعة من الزاوية، ثم قرروا في اجتماعهم تكوين معهد[1598]. ووُضع له طاقم إداري مكون من المشائخ الآتية أسماؤهم : الشيخ لخضر شبرو - رئيس شعبة الوادي –رئيسا. – الشيخ عبد القادر الياجوري – رئيس شعبة قمار- نائبا للرئيس. – الخضر بن الإمام ابن عم الشيخ عبد العزيز – أمين مال. – السيد عبد الحفيظ صالحي – رئيس شعبة تكسبت – نائب لأمين المال. – السيد عبد الرحمان معمري - رئيس شعبة الزقم – كاتبا عاما. – السيد الطاهر النزلي - رئيس شعبة

[1594] موسى بن موسى : نفس المرجع ، ص 175.

[1595] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 326 - 328.

[1596] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 328 – 329. – محمد الصالح بكوش : " الشيخ علي بن سعد خيران القماري "، **الندوة الفكـرية الثالثة للشيـخ عبد القـادر اليـاجوري**، الجمعيـة الثقافية للمركز الثقافي بقمار، الوادي، أيام 04 -05 – 06 جوان 2002، ص 02.

[1597] وهي شعب كل من : الوادي – تكسبت – قمار – الزقم – عميش – الطريفاوي – حاسي خليفة – الرقيبة.

[1598] جاء في البصائر العدد102 لفظ جامعة. – ينظر البصائر : العدد 102، السنة الثالثة، 1 محرم 1356هـ الموافق 5 مارس 1937.

كوينين – نائبا للكاتب العام[1599]. وقد كان الصرح التعليمي يتوفر على الشروط الضرورية، وعلى إثر هذه المساعي التعليمية طالبت الإدارة الفرنسية من الشيخ عبد العزيز الشريف رخصة التعليم فرد عليها الشيخ بأن الزاوية تقوم بدور التعليم من قديم الزمان دون رخصة، هذا ما أقره الشيخ عبد الحميد بن باديس في أحد مقالاته بجريدة **البصائر**، حيث يقول: « دعا الحاكم الشيخ عبد العزيز الشريف في شأن التعليم وطلب الرخصة وردَّ الشيخ بأن الزوايا من قديم الزمان تعلم دون رخصة، وتكررت الدعوة وتكرر الأخذ والرد في الأمر، وفهم أن الإدارة مستثقلة لتلك الحركة العلمية[1600]... ».

وأمام هذا الموقف نجد أن الشيخ عبد العزيز جمع قرابة عشرة آلاف شخصا بمقر الزاوية القادرية بوادي سوف، للاحتجاج على كل ما يسيئ لشخصيتهم من قريب أو بعيد، حيث يعدون ذلك مساسا بإسلامهم، الذي التزمت فرنسا بحمايته، بما في ذلك التعليم العربي الحر[1601]. ذلك من خلال الرد على قرار 8 مارس 1938 ومنع الرخص للتعليم الإسلامي العربي. و لم يتوقف دور الشيخ عبد العزيز الشريف في دعم الحركة الإصلاحية، بل استمر إلى ابعد من هذا، لأن موقفه من الإصلاح، لم يكن من قبيل الصدفة، أو التموقع في ريادة سادة أعيان المنطقـــة، بل من حرصه على القيام بالواجب تجاه السكان المسلمين الجزائريين، الذين أصبحوا ينظرون إليه بنظرة القائد المسؤول عليهم والخروج بهم إلى برِّ النجاة. وأمام هذا الوضع سارعت شعب جمعية العلماء بوادي سوف إلى تنفيذ مخطط جمعية العلماء تجاه محاربة الجهل، فنجد شعبة الزقم تقر برنامج تعليم منذ تأسيسها. ذلك بتكليف كل من : الشيخ عبد الرحمان معمري رئيسا يقوم بتدريس التفسير. أما الفقه فأسند لكل من الشيخ عبد الرحمان معمري، والشيخ مسعود بن محمد بن سا لم أمين مال الشعبة. والنحو اسند إلى كل من الشيخ محمد حامد الكاتب العام للشعبة، ونائبه الشيخ العروسي حمودة. وتعليم الصبيان

[1599] البصائر : العدد 102، نفس المصدر.

[1600] **البصائر** : عدد 123، مصدر سابق.

[1601] وقد أرسلت نسخ من الاحتجاج إلى كل من رئيس الوزراء شوطان وإلى وزير الداخلية سارو وإلى الوزير السابق فيوليت. – ينظر **البصائر** : العدد 105، السنة الثالثة، 23 محرم 1357 الموافق 25 مارس 1938.

القرآن ومبادئ العربية، والأدب والتوحيد كلف به كل من الشيخ عبد الرحمان معمري والشيخ محمد حامد محضي نائب أمين مال الشعبة[1602]. أما أعضاء شعبة قمار فتعرض كل من الشيخ عبد الرحمن بن فطوم والشيخ الحفناوي بن الاخضر هالي، والشيخ محمد الطاهر تليلي للتضييق، والمتابعة من طرف قايد قمار، بالإضافة إلى غلق المدرسة القرآنية التي عرفت فيما بعد بمدرسة النجاح، وتوقيف التدريس بمساجد قمار قاطبة[1603]، هذا التفاعل جاء بعد زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين خلال الأيام الممتدة من 26 إلى 29 شوال 1356هـ الموافق أيام 29 إلى 31 ديسمبر 1937، و1 جانفي 1938[1604]، التي كانت بمثابة أيام تكوينية من خلال الدروس والمواعظ، التي قدمت من طرف شيوخ الوفد خاصة الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ مبارك الميلي، والشيخ العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين، بالإضافة إلى مداخلات الشيخ عبد العزيز الشريف. وزيارة الشيخ الفضيل الورتلاني في 23 ذي القعدة 1356ه/25 جانفي 1938م[1605]، التي جاءت كرد فعل على زيارة الشيخ " محمد الحافظ " (الأزهري) التجاني الطريقة، قصد إلقاء دروس بمنطقة وادي سوف بدعوة من شيوخ الطريقة التجانية، التي جاءت كرد فعل على زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للمنطقة. وقد جاءت الزيارة التي قام بها الشيخ الورتلاني بعد زيارته لبسكرة، ليمكث بوادي سوف يومين في ضيافة الشيخ عبد العزيز الشريف[1606]، وكانت جريدة" **الدفاع** " (**La Défense**) قد نوهت بهذه الزيارة، كما اثنت على الشيخ الورتلاني[1607]. وقد كان لهذه الزيارة وقع عظيم الأثر، لما قدمه الأستاذ الورتلاني من توضيحات، وإفصاحات على مواقفه تجاه السياسة الاستعمارية، لمحاربة التعليم

[1602] **البصائر** : العدد 99، السنة الثالثة، 10 ذي الحجة 1356هـ الموافق 11 فيفري 1938م.

[1603] **البصائر** : العدد 116، السنة الثالثة، 4ربيع الأول 1357هـ الموافق 3 ماي 1938م.

[1604] وذلك وفق المكاتبات التي ارسل بها إلى جريدة البصائر السيد حمزة بكوشة. - ينظر **البصائر** : العدد 93، السنة الثالثة، 28 شوال 1356هـ الموافق 31 ديسمبر 1937م. - **البصائر** : العدد 94، السنة الثالثة، 5 ذي القعدة 1356هـ الموافق 8 جانفي 1938م. - **البصائر** : العدد 95، السنة الثالثة، 12 ذي القعدة 1356هـ الموافق 14 جانفي 1938م. - **البصائر** : العدد 96، السنة الثالثة، 19 ذي القعدة 1356هـ الموافق 21 جانفي 1938م.

[1605] موسى بن موسى : **الحركة الاصلاحية**، المرجع السابق، ص 182.

[1606] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 569.

[1607] **La Défense** : N°176, 02 Février 1938.

الإسلامي العربي الحر، فكانت لقاءاته بالعديد من الشخصيات بوادي سوف، بالإضافة إلى اللقاءات الجماهرية التي كان يسهر على تنظيمها الشيخ عبد العزيز الشريف، بالتعاون مع شعب الجمعية بوادي سوف، خلال يومي الزيارة، ليغادر الأستاذ الفضيل الورتلاني وادي سوف عائدا إلى بسكرة[1608].

ومن خلال ما سبق يتبين أن دور شعب جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، كان بالغ الأهمية، مقارنة بالدور الذي لعبته الطرق الصوفية، باستثناء القادرية التي كان يترأسها الشيخ عبد العزيز الشريف الهاشمي. ذلك خلال الثلاثينات من القرن 20م، ليشهد وادي سوف ركود نسبي نتيجة الأوضاع التي آل إليها الإقليم، إثر أحداث 12 أفريل 1938، ونشوب الحرب العالمية الثانية، وما أفرزته من وضع طال القطر الجزائري برمته، ليستأنف النشاط بعد 1946. ومنذ إصدار الإدارة الاستعمارية مجموعة إصلاحات، كان أهما قانون 20 سبتمبر 1947، الذي أعلن من خلاله إنهاء العمل بالمناطق العسكرية، وإحلال العمل بنظام البلديات المختلطة بأقاليم الجنوب، وعلى إثر ذلك شهد التعليم حركة فاعلة من خلال فتح مدارس عربية حرة كمدرسة البياضة التي لم تتمكن من الفتح لسفر الشيخ الصادق بالي[1609] إلى الحمامات، ومدرسة النجاح بقمار تحت إشراف الشيخ محمد الطاهر التليلي، التي حاولت مجارات التعليم الفرنسي من خلال رصد منهاج تعليمي، يساير المنهاج الفرنسي، لكن من منظور إسلامي عربي مع التركيز على المناهج الحديثة، دون إبداء أي معارضة، لما أصبح عليه الوضع العالمي من تطور في المناهج والطرق، والأساليب التعليمية، هذا ما أقره الأستاذ محمد برحال في مطلع القرن 20م حينما قدم مشروع أصلاح للمنظومة التعليمية، لأبناء

[1608] **البصائر** : العدد 102، مصدر سابق.

[1609] الشيخ صادق بالي من مواليد الرباح أصيب بالعماء في صغر عمره، وحفظ القرآن في عمر لم يتجاوز سن العشرة التحق بجامع الزيتونة في أوائل الأربعينات من القرن 20م، ليتخرج منه بحصوله على شهادة العالمية. وفقدانه للبصر لم يمنعه من مشاركة أقرانه من طلبة الزيتونة في تفعيل الأوضاع المحلية خاصة في فترة العطلة الصيفية من كل سنة. درست عليه متن ابن عاشر في الثمانينات من القرن العشرين رفقة الطبيب الجراح محمد بوقنة، والأستاذ عبد الكريم حاقة، والإمام ياسين رزاق هبلة بمسجد سيدي المسعود بالوادي.

المسلمين الجزائريين. ومن هنا يتبين مدى تأثر غالبية المعلمين في المدارس الإسلامية العربية الحرة المنتمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أو غير المنتمية مباشرة، لما للمناهج التربوية الحديثة من مقومات، ومؤهلات تجعل من المتعلم يواكب مسار التطور العلمي المنشود. للرفع من مستويات التحدي، ومجابهة المحتل بنفس السلاح الذي يتحد به أبناء غالبية المستعمرات.

المبحث الثالث : التعليم الفرنسي بوادي سوف بين الرفض والقبول :

إن التعليم الفرنسي، هو محاولة استيعابية أكثر منها عملا تثقيفيا للسكان الجزائريين، هذا ما وصفه العديد من الإصلاحيين من بينهم الشيخ " عبد العزيز الثعالبي "، الذي حاول تشخيص حالة التعليم الفرنسي بتونس[1610]، رغم الحالة الأكثر انتعاشا، باعتبار التواجد الفرنسي، هو حماية، وليس احتلالا محضا، حيث اعتبر الشيخ عبد العزيز الثعالبي، التعليم أخطر التحديات[1611]، التي حاول الغازي منذ تواجده بالبلدان العربية المراهنة عليه، قصد التحكم في طبيعة، ومستوى التعليم. إضافة إلى جعل هذه البلدان بمثابة المطمور، الذي يمده بالعمالة، حيث لا يتطلب في تحضيرها الجهد الكبير، بل تتطلب مستوى متواضعا.

أولا – المدارس الأهلية بوادي سوف، ومستويات الـــتأثير :

إنشاء المدارس الأهلية بوادي سوف، جاء بعد مخاض عسير عاشته الإدارة الاستعمارية على مستوى البلاد قاطبة، نتيجة انعدام بروز رؤية واضحة حول طبيعة التعليم المراد اعتماده، ونظرة الكولون للسكان المسلمين الجزائريين، هذا ما تؤكده المحاولات العديدة للمحتل في إصدار مجموعة من القوانين، والمراسيم، لتجسد السياسة الاستعمارية، للهيمنة الثقافية على المجتمع الجزائري من خلال ضرب المقومات الحضارية، فكانت هذه القوانين والمراسيم تصدر تباعا، لإقرار وإتمام الإستراتيجية المعدة، وتنفيذها وفق رزنامة جاءت كالآتي :

- المرسوم المؤرخ في 14 جويلية 1850، القاضي بإنشاء 40 مدرسة.

- المرسوم المؤرخ في 30سبتمبر 1850، القاضي بإنشاء المدارس الحكومية الثلاث، التي تعد ثلاثة معاهد،في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان، التي عرفت بالمدرسة، وهي بمثابة معاهد لتخريج

[1610] أنور الجندي : **عبد العـــزيز الثعـــالبي رائد النهضة الإسلامية (1879 – 1944م)**، ط 1، دار الغـــرب الإســـلامي، بيروت، 1404هـــ / 1984م، ص ص 46 – 49.

[1611] Ahmed Nadjah : op cit, p 109.

العدول وباش عدول، والوكلاء بالمحاكم الشرعية، وكان لوادي سوف نصيب في تخريج مجموعة من أبنائها، كان أهمهم " الأمين العمودي "، و" لخصر شبرو " الذي وقفت على بعض وثائقه التعليمية بالمدرسة، كأوراق إمتحان، وكراس به بعض المواد المُدَرَّسة. هذه المدارس هي محاولة للسيطرة من خلال المحاكم الشرعية.

- قرار 1879، القاضي بتأسيس المدارس الدينية، التي أكدت عليها الحملات التبشيرية، بدءا بالأب "لافيجري"، لتظهر الحملة الاستعمارية على الجزائر في صورتها الحقيقية، التي كانت في جوهرها صليبية الدافع والهدف[1612].

- المرسوم المؤرخ في 13فيفري 1883، والمتعلق بإجبارية، وعمومية التعليم.

ومن خلال هذا القرار الأخير، استطاعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية بوادي سوف، الاعتماد عليها كركيزة أساسية لإنشاء مدرسة الأهالي بالوادي، التي بدأ التدريس بها يوم 02 نوفمبر 1886، تحت إشراف السيد " قري تيودور سيلا " " Gry Théodor Sylla " الفرنسي الجنسية، وبُدئ في بنائها سنة 1884 بأربعة أقسام، وثلاث سكنات[1613]. واستقبلت أول فوج خلال الموسم الدراسي 1886 - 1887[1614]. أما أول معلم جزائري درس بها، هو " عبد القادر بن طالب السعيد " من تقرت، حيث كان مؤهله الدراسي، الشهادة الابتدائية، وكان توظيفه يوم 09 مارس 1900، لكنه أقصي جبريا قبل إتمام الموسم الدراسي. ذلك يوم 31 أكتوبر 1900، لأسباب لم تفصح عليها السجلات المدرسية[1615].

واستمرت الإدارة الفرنسية في توسيع دائرة التعليم الفرنسي بوادي سوف، فاتجهت شمالا إلى كوينين، وأنشأت مدرسة بها، تتكون من قسم واحد، ومسكن غير مريح سنة 1888[1616]، هذا التاريخ فيه إعادة نظر، لان المعروف والمتداول بالتواتر في كل المنطقة، خاصة كوينين، هو أن

[1612] مصطفى شريك : المرجع سابق، ص 364.

[1613] Document Algérien : **La scolarisation dans les territoires**, op. cit, p 08.

[1614] Ecole d'indigènes d'EL-oued : **Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à1904** ,Archives de L'école du chahid Mihi Mohammed Bel Hadj, EL-oued.

[1615] Ibid.

[1616] Document Algérien : **La scolarisation dans les territoires**, op. cit, p79.

المدرسة أنشأت سنة 1893 بطلب من القايد " سي بلقاسم بن علي بن أحمد " المتوفي سنة 1910[1617]، كما أن "أندريه روجيه فوازان " (André Roger Voisin[1618]) في كتابه " **Le Souf** "، أثبت هذا التاريخ. أما "كلود بطايون"(Clode Bataillon) في كتابه " **Etude de la géographie humaine du souf** [1619]"، فيقول بأنها مدرسة صغيرة أنشأت في بداية الحرب العالمية الأولى بين 1914 – 1918، هذا الكلام يتناسب مع تاريخ إنشاء مدرسة كوينين المتداول. والمثبت في التقرير السابق، بل هو تاريخ إنشاء القسم الثاني[1620] بالمدرسة المذكورة الواقعة في حي " القوايد "، التي أصبحت دارا للضيافة في وقتنا الراهن. والثابت في إنشاء المدرسة هو سنة 1893، ثم أضيف لها قسم ثان في الفترة مابين 1914 - 1918. أما التاريخ المذكور في التقرير على أنه سنة 1888 أسست مدرسة كوينين، يمكننا نفيه من خلال الرواية المتداولة لدى عائلة القايد " سي بلقاسم بن علي بن أحمد "، التي أصبحت تحمل اللقب "زبيدي"، وهي العائلة التي تحتفظ بالكثير من تاريخ منطقة كوينين، بحكم المكانة المرموقة التي تحتلها في حاضرة، هذا بحسب ما أقره القايد " سي الحسين[1621] ". أما ثالث مدرسة بمنطقة وادي سوف، هي المدرسة الأهالية الابتدائية للذكور بقمار، التي أنطلق في إنشائها سنة 1904، وباشرت التدريس في أكتوبر 1907. وإذا ما حاولنا الوقوف على مجريات الأحداث، التي شهدتها هذه المدارس الثلاثة، نجد كل من مدرسة الوادي وقمار، قد حافظتا على سجلاتهما. أما مدرسة كوينين فقد أتلفت سجلات ما قبل سجل سنة 1921، ومن هنا سينصب الاهتمام على مدرسة الوادي وقمار من خلال السجلات المدرسية. هذا ما توضحه الجداول الآتية :

جـــدول التـــلاميذ الثمـــانية للمـــوســـم الـــدراســـي 1886 – 1887 لمـــدرسة الأهالي بالوادي[1622] **:**

[1617] محمد حناي : **المدرسة الأهلية بقمار بين نشر التعليم وسياسة التغريب (1907 – 1962م)**، (مخ)، الوادي، 2010، ص46.

[1618] مدرس فرنسي سابق بمنطقة سوف في الفترة مابين 1958 1964 .

[1619] Claude Bataillon : **Le souf, Étude de la géographie humaine**, Éditions Institut de recherches Sahariennes, Alger, 1955, p78.

[1620] محمد حناي : المدرسة الأهلية، مرجع سابق، ص 46.

[1621] **حوار** مع أحمد خراز مرجع سابق.

[1622] Ecole d'indigènes d'El-oued **: Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à 1904 N° 01,** Archives de l'école du Chahid Mihi Mohamed Belhadj, El-oued.

الرقم	اسم التلميذ	تاريخ الميلاد	اسم الأب أو الولي	سنة الدخول إلى المدرسة
01	الشريف بن أحمد	1874	أحمد بن عمر	1887
02	لمين بن يوسف	1876	يوسف بن العمودي	1886
03	علي بن حسن	1878	حسن بن محمد	1887
04	ربيع بن أحمد حسن	1880	حسن بن محمد	1887
05	محمد بن حمه	1879	حمه بن محمد	1887
06	يعقوب بن بكري	1874	بكري	1886
07	بشير بن بلقاسم	1879	بلقاسم بن موسى[1623]	1889
08	دافيد بن ميخائيل	1878	ميخائيل بن يودي	1887

ومن خلال التدقيق في الجدول نلحظ عدم الانسجام بين التلاميذ من خلال تواريخ الميلاد، حيث نجد التلميذ " ربيع بن أحمد " كان عمره أقل من سبع سنوات، هذا بخلاف التلميذين " الشريف بن أحمد " و" يعقوب بن بكري "، حيث بلغا سن الثالثة عشرة، كما يلاحظ تواجد أبناء اليهود في القائمة من خلال التلميذين " يعقوب بن بكري " و" دافيد بن ميخائيل "، ومن هذا التواجد نلحظ أن رغبة اليهود كانت أكبر، هذا مقارنة بتعدادهم، الذي لم يتعد بعض المئات، وكانت نسبة أبنائهم المتمدرسين 25 %، في حين تعداد السكان المسلمين الجزائريين يفوق الآلاف، هذا يعود إلى عدم رغبة السكان الجزائريين في التمدرس بالمدارس الفرنسية، نتيجة الموقف المعادي للمحتل، لاعتبار السياسة الاستعمارية، التي غاياتها كسر الروابط الثقافية العربية الإسلامية، للسيطرة على السكان الجزائريين، لكن ما لوحظ على عدد المتمدرسين، هو التزايد المحدود بحسب المواسم الدراسية، ففي الموسم الأول بلغ العدد ثمانية متمدرسين، جل آبائهم يشتغلون بالإدارة الفرنسية، ليزيد عددهم بعد أربعة مواسم دراسية – الموسم الدراسي (1889 – 1890) – إلى أثني عشر تلميذا[1624]. أما في سنة 1900، وصل عدد المتمدرسين 278 تلميذا، حيث تتراوح أعمارهم بين الخمس إلى الست عشرة سنة، وأغلب هؤلاء التلاميذ تتراوح أعمارهم ما بين التسع إلى الإثنى عشرة سنة، وفي حالات استثنائية محدودة، حيث أدخل

[1623] أحد أبناء عائلتي.

[1624] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص ص 155، 156.

المعـــــــــلم ابنـــه للمدرسة الأهلية مثـــــــــل ما حـــــــــدث مع التلميـــــــــــذ " ديونان جيورج " (Dionan Georg)، حيث التحق بالمدرسة يوم 01 فيفري 1894، و لم يتجاوز سن الرابعة[1625]، هذا قد يعود إلى عدم قدرة وليه بإلحاقه بأحد مدارس المعمرين، لأن ابنه لم يصل السن القانونية للتمدرس. أما إذا ما نظرنا للعدد الإجمالي للمتمدرسين خلال السنوات الممتدة بين (1886 – 1907) فقد بلغ 760 تلـــــــــميذا، ومن هـــــنا نلحظ التذبذب الذي يغلب عليه التزايد. ذلك يرجع إلى مؤثرات عديدة أهمها :

- تحسن مستوى المعيشة للمتمدرسين، ولا سيما الحاصلين على شهادة الابتدائي.

- الزّج بالمتعلمين في سوق العمل، مما رفع من مستوى الدخل الفردي في وقت كان الفقر، هو الملمح الطاغي على السكان المسلمين الجزائريين.

- التأقلم النسبي للمتعلم بالوسط المدرسي، الذي احتك به من خلال التأثر بالمدرسين الأوروبيين، من خلال التفكير والهندام، هذا بدوره انعكس على مستواهم الاجتماعي.

- تأثير الأحداث المحلية والعالمية على السكان الجزائريين، كالحرب العالمية الأولى والثانية.

وإذا ما عدنا للنظر في هوية المتمدرسين خلال الفترة الممتدة بين 1886 – 1907، لوجدنا التركيبة الآتية : المصدر السجلات المدرسية للتلاميذ[1626] :

جدول توزع التلاميذ على مستوى هوية السكان بوادي سوف خلال 1886 – 1907 :

تلاميذ من أصول جزائرية	676 تلميذا
تلاميذ من أصول يهودية	69 تلميذا
تلاميذ من أصول أوروبية	15 تلميذا

والملاحظ على التلاميذ الجزائريين، هو أن غالبية آبائهم، وأولياء أمورهم عاملين أو ذوي صلة بالإدارة الفرنسية، ويقدر عددهم بما يربو على 400 تلميذا، لكن هذا العدد إذا ما قورن بتعداد السكان الجزائريين، نجده يشكل نسبة ضئيلة لا تفوق 1.62% إذا ما اعتبرنا أن عدد السكان

[1625] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 156.

[1626] Ecole d'indigènes d'El-oued **: Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à 1904 N° 01,** Op.cit. - Ecole principale d'indigènes d'El-oued **: Registre des personnels enseignant N° 02,** 1901 – 1920.

الجزائريين سنة 1907 حوالي 41600 نسمة[1627]، في حين نسبة المتمدرسين من اليهود 19.50%. علما أن تعداد اليهود لا يتعد 350 يهديا. أما طاقم التدريس على مدى العشرين سنة الأولى منذ تأسيس مدرسة الأهالي بالوادي، فقد بلغ 15 مدرسا. هذا الجدول يبين أسماءهم، وهي مأخوذة من سجلات القيد بالمدرسة رقم : 1 – 2 :

جدول المعلمين الأوائل بالمدرسة الأهلية بالوادي ما بين 1886 – 1907[1628] :

اسم المعلم	تاريخ الميلاد	تاريخ التعيين	الصفة
قري تيدور سيلا Gry Téodor sylla	1857/09/17	1886/11/02	مرسم
دونا ليو جزاف Donain Léon Joseph	1863/05/24	1891/09/22	/
ليونار أنجيل (Léonair Angèle)M^me	1865/10/16	1891/09	ممرنة
لاباتيت برنارد La batut Bernard [1629]	1866/07/17	1896/10/08	مرسم
هوفرين جزفين M^me Labatut (Houvrine [1630] Josephine)	1865/09/25	08/10/1896	مرسمة
عبد القادر بن الطيب السعيد	02/1870	09/03/1900	ممرن
شاتلا لويس امانيال Chatlain Luis Emanuel [1631]	1875/05/18	21/01/1901	متربص
بالانتين ج - Ballentine J – B	1856/02/29	09/1901	مدير/ مرسم
زوجة السيد بالانتينM^me Ballentine	en 1860	09/1901	تمربصة
لاولت ن M^r Loulot N	en 1877	09/1901	متربص
دفي ليون M^r Deville Léon	en 1885	09/1903	متربص
دوماس رلبارت Dumas Rlebert	08/07/1884	09/1905	مرسم
روجت ألبرت M^r Rouget Albert	03/10/1885	08/1905	متربص

[1627] Ecole principale d'indigènes d'El-oued : **Registre des personnels enseignant N° 02,** op. cit.

[1628] Ecole d'indigènes d'El-oued : **Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à 1904 N° 01,** op.cit. - Ecole principale d'indigènes d'El-oued **: Registre des personnels enseignant N° 02**, op. cit.

[1629] حاصل على شهادة الكفاءة التربوية، وعين أول مرة سنة 1885، درس قسم السنة الثالثة سنة 1899. - ينظر Ecole d'indigènes d'El-oued :**, Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à 1904 N° 01,** op.cit.

[1630] حاصلة على شهادة الكفاءة التربوية، وكان أول تعيين لها سنة 1884، استفادت من عطلة مرضية منذ 1900/11/20. - ينظر Ibid.

[1631] حاصل على شهادة الكفاءة التربوية، وله شهادة في التربية البدنية، وكان أول تعيين له سنة 1894. – ينظر Ibid.

فرون M[r] Feron	07/12/1885	08/1906	متربص
دوماس M[r] Dumas	08/07/1884	07/1907	مرسم

الملاحظ من الجدول قلة مشاركة الجزائريين في التدريس. ذلك يَكْمن في طبيعة التعليم الموجه لأبناء الجزائريين، هذا ما يؤكده تصريح أحد الفرنسيين " فيلمان (Fellman) حول غاية المدرسة الفرنسية من تعليم السكان المسلمين الجزائريين بقوله : « إن الهدف المنشود ليس تكوين موظفين خاصين ولا تحضير مدرسين للتعليم العمومي، وإنما رجال بتأثيرهم على إخوانهم يساعدوننا على تحويل المجتمع العربي وفق متطلبات حضارتنا[1632].»، هذا ما يؤكد الغايات التربوية المرجوة من هذا التعليم. ومن هذه المواقف يتبين رسوخ فكرة التعليم من أجل إعداد قاعدة واسعة من العمالة، التي ينبغي المراهنة عليها، قصد ضمان استمرارية التنمية الاستيطانية على حساب السكان الأصليين للمستوطنات، هذا ما يؤكد الآتي، الذي يوضح حرص المدرسة على متابعة مسار التلاميذ، حتى تستطيع المدرسة الوقوف على مدى نجاح السياسة الاستيطانية في تحقيق أهدافها المعلنة والخفية تجاه السكان الجزائريين :

جدول يوضح متابعة إدارة المدرسة الأهلية للتلاميذ وفق سجل القيد المدرسي رقم : 01[1633]:

ر ت[1634]	الاسم	تاريخ الميلاد	تاريخ الالتحاق	ملاحظات
03	علي بن حسن	1878	1887	واصل دراسته بثانوية قسنطينة
05	محمد بن حمه	1879	1887	ذهب إلى بسكرة واستقر هناك
07	بشير بن بلقاسم	1879	1886	خباز بالوادي
12	علي بن عبد القادر	1879	؟	مدرس بالوادي
21	نصيب بن بلقاسم	1881	1890/01/06	طباخ بقسنطينة
35	بشير بن دريدي	1875	1891/01	خياط
49	الصادق بن العربي	1886	1891/10/01	عامل يومي
63	أحمد بن العيد	1869	1892/04/23	هاجر إلى تونس

[1632] عبد القادر حلوش : المرجع السابق، ص 80.

[1633] Ecole d'indigènes d'El-oued : **Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à 1904 N° 01,** op. cit.

[1634] يقصد بـــ " ر " رقم، وبـــ " ت " التسجيل

200	محمد بن بلقاسم	1882	1895/10/01	صبايحي[1635]
264	عثمان بن محمد	1888	؟	توفي (دون ذكر السبب)
275	ساييني ريمون	189/08/22 4	1894/09/07	متوفي بميدان القتال ببلجيكا سنة 1915 خلال الحرب العالمية الأولى
289	العيد بن الساسي هقي	1892	1900/05/19	عين مساعد مدرس بنقوسة، ثم تبسبست، ثم قمار
447	بدادي بن عمر بن بدادي	1896	1904	انتقل إلى الجزائر العاصمة للدراسة بالمدرسة المهنية للصباغة سنة 1913

من خلال الجدول يتبين الحرص الفائق لإدارة المدرسة، للوقوف على مسار نجاح المدرسة الأهلية في متابعة التطورات الحاصلة للتلاميذ، مع مدى نجاحها في توجيههم، لسوق العمل، باستثناء القلة القليلة، التي واصلت الدراسة، يضاف إلى ذلك المتابعات الحريصة للتلاميذ من خلال الغياب. ذلك بتخصيص إشعار بالغياب (Bulletin D'absence)، ولو كان الغياب مرة واحدة، مما ساهم في إبراز مستويات عديدة من خلال الردود، التي كان يبديها الأولياء، كما بينت الوضع العام للسكان الجزائريين من خلال المستوى المعيشي. أما تواجد البنات بفصول الدراسة، فكان محدودا، هذا للوضع المحافظ، غير أنه لم يمنع تسجيل بعض الحالات، نذكر من بينها :

جدول يوضح البنات الأوائل الملتحقات بمدرسة الأهالي بالوادي :

ر — ت	الاسم	الأب أو الولي	تاريخ الميلاد	تاريخ الالتحاق
02/885	منة هقي	محمد العيد بن الساسي بن الطاهر هقي		1927/12/17[1636]

[1635] صباحي عضو في فرقة الصبايحية التي شكلت من طرف الداي خلال العهد العثماني، والتي كانت فرقة مشاة، ثم تحولت إلى خيالة. وأثناء الاحتلال الفرنسي صدر مرسوم بتاريخ 1841/12/07، يقضي بتحول هذه الفرقة إلى فرقة منظمة بقيادة الجنرال " بوسكران " = = (Bousekrane). - ينظر صالح فركوس : **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2005، ص 261.

[1636] Ecole primaire des garçons d'El-oued : **Personnel enseignant, Registre additif au registre matricule. Feuillet supplémentaire N° 03,** 1923 – 1928.

02/980	الزهرة نونة	محمد نونة	1923	1930/10/01[1637]
03/1706	يمينة زلاسي	عبد المجيد بن لخضر زلاسي	1937/11/10	1947/11/15[1638]

هذا الوضع يكشف على طبيعة المجتمع المحافظ، مما جعل فتح مدرسة للبنات يأتي متأخرا. ذلك سنة 1948، حيث أقيمت جنوب مدرسة الأهالي. أما النظام السائد للتدريس، فيقوم على أسس من أهمها رفض التلاميذ الذين تتجاوز أعمارهم أربع عشرة سنة، لكن إدارة المدرسة وتشجيعا منها تنازلت عن هذا المبدأ، ووضعت نظاما خاصا فأدمجت القسم التحضيري الأول والثاني في صف واحد، والابتدائي الأول والثاني في قسم واحد، والمتوسط الأول والثاني في صف واحد. وبذلك تكون مدة الدراسة ثلاث سنوات، يتقدم بعدها التلاميذ لاجتياز الشهادة الابتدائية[1639]، هذه الشهادة كانت تمنح لصاحبها مكانة اجتماعية، سواء واصل الدراسة، أو شغل منصب في مهنة معينة. وأول دورة تم إجراؤها كانت سنة 1899، وقد تحصل التلميذ " بشير بن يوسف " على الشهادة الابتدائية[1640]. كما نجد العديد من الشخصيات، التي تحصلت على تلك الشهادة ، مما أهلت البعض من مواصلة الدراسة، كالتلميذ الأمين بن يوسف العمودي ورقم تسجيله 01/370، وقد تحصل على الشهادة خلال دورة 1905[1641]، ليواصل دراسته بالمدرسة بقسنطينة، ليتخرج وكيل قضائي.

ومن هنا يتبين لنا مدى تأثير المدرسة في حياة التلاميذ، مما جعل الإقبال عليها يتزايد من سنة لأخرى، رغم المواقف المعادية للتعليم الفرنسي، لكن هذه المواقف تباينت، خاصة في النصف الثاني من عقد الثلاثينات من القرن 20م. ذلك لما أضافته المدرسة من ثقافة بيئية، واجتماعية خصوصا، حيث كان المعلم الفرنسي يراقب التلاميذ على مستوى الحياة العامة. ذلك بإكساب التلاميذ مهارات عديدة يستطيع من خلالها تفادي العديد من المشاكل، كمهارة التمريض من خلال الدورات العادية والاستثنائية خلال انتشار الأوبئة، كمرض التيفويد خلال الفترة الممتدة ما بين

[1637] Ecole primaire des garçons d'El-oued **: Personnel enseignant, Registre additif au registre matricule. Feuillet supplémentaire, N° 05,** 1945 – 1954.

[1638] Ibid.

[1639] حفناوي قصير : **الأمين العمودي حياته ونشاطه الثقافي**، (د. دار نشر)، (د. ب)، (د. ت)، ص 10.

[1640] Ecole d'indigènes d'El-oued**, Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à 1904 N° 01,**.op. cit.

[1641] Ecole principale d'indigènes d'El-oued : **Registre des personnels enseignant (Registre additif au registre matricule). Feuillet supplémentaire** N° 02, 1901 – 1920.

1939 و1941، حيث يذكر لي الشيخ " العيد غوري " : « أن الدراسة توقفت خلال الحرب العالمية الثانية واضطررنا إلى ممارسة تعلم الإسعافات الأولية للمرضى، وكنت من حين إلى آخر أسأل المدير عن عودتنا لصفوف الدراسة، فكان المدير يتهرب من الإجابة، إلا أنه في إحدى المرات، قال لي إن فرنسا ليست في حاجة لأمثالكم، فعليك أن تبرع في التمريض، حتى تكتسب حرفة تعيش منها. فمن تلك اللحظة تأكد لدي أن التعليم القائم تعليم محدود. الغاية منه إعداد يد عاملة ماهرة، وعليه غادرت المدرسة واندمجت في حرفة والدي، التي تمثلت في تجارة أدوات النسيج كالقرادش والمغازل وغيرها[1642].».

هكذا استمرت الإدارة الاستعمارية في توسيع نطاق التعليم في كل من كوينين وقمار. ففي قمار صودق على قرار بناء المدرسة سنة 1903، وقد شمل هذا القرار على بناء قسمين وثلاثة مساكن، وقد رصد لبناء المدرسة مبلغا قدره ثلاثة وعشرين ألف فرنكا فرنسيا قديما، وانطلق في تشييدها سنة 1904، وتم إنجازها سنة 1907[1643]، لتفتتح أبوابها للدراسة خلال شهر أكتوبر من نفس سنة الانجاز، حيث سجل 122 تلميذا[1644]، قسموا على صفين، فكان هذا العدد كبيرا فاق التسجيلات في كل من المدرسة الأهلية بالوادي، ومدرسة كوينين، فهذا العدد لم يكن مساعدا على التدريس، مما يجعله يؤثر على مستوى التحصيل الدراسي، كما يوضحه الجدول الآتي :

جدول يبين التلاميذ المسجلين خلال المواسم الدراسية المحصورة بين الفترة الممتدة (1907 – 1920) من سجلات القيد المدرسي لمدرسة قمار الأهلية [1645] :

السنة	1907	1910	1913	1917	1920
عدد المسجلين	122 تلميذا	43 تلميذا	30 تلميذا	36 تلميذا	13 تلميذا

ما يلاحظ هو العدد الكثيف للمسجلين، مما أعاق التحصيل، حيث أن عدد الحاصلين على شهادة

[1642] **حوار** مع العيد غوري، مرجع سابق.

[1643] محمد حناي : المرجع السابق، ص ص 50- 54.

[1644] École d'indigènes de Guèmar : **Registre matricules des élèves**, N°01, 1907 - 1909, Archives de l'école du Chahid Rida hohou Guèmar.

1645 Ibid. - École d'indigènes de Guèmar : **Registre matricules des élèves**, N°02, 1907 - 1913, Archives de l'école Du Chahid Rida hohou, Guèmar. - École d'indigènes de Guèmar : **Registre matricules des élèves,** N°03, 1913 - 1940, Archives de l'école du Chahid Rida hohou, Guèmar.

الابتدائي قليل جدا، فنجد ناجحا واحدا سنة 1912، هو التلميذ "أحمد بن معمر زردومي"، والحامل رقم تسجيل 02/217[1646]. وما يلاحظ على سجلات القيد المدرسي، هو توقف التدريس سنتي 1915م و1916 بسبب تفاعل الحرب العالمية الأولى، هذا ما أثر في وتيرة التسجيل المتباين خاصة سنة 1920، وقد بلغ مجمل التلاميذ المسجلين خلال هذه الفترة 448 تلميذا، وتعود كثافة التسجيل للوضع المحلي المتميز بطابعه الزراعي، الذي يحث على الاستقرار بخلاف الوادي المركزي، الذي يغلب عليه الطابع التجاري. ويضاف إلى ذلك رغبة السكان المسلمين للتعلم، خاصة أن التعليم الذي أبدته الزاوية التجانية كان محدودا، مما شجع الكثير من السكان المسلمين بقمار في الإقبال على التعلم، ولو كان من قبل المعمر، خاصة السكان الجزائريين، غير المنتمين للطرق الصوفية، وعلى رأسها الطريقة التجانية، هذا ما جعل الإدارة الفرنسية تتعامل بسياسة التماطل، تجاه أبناء السكان المسلمين بقمار، بخلاف ما كان قائما بالوادي، حيث كانت المرافق متوفرة مقابل الإقبال المحدود لأبناء المنطقة. أما تواجد الفتيات، فقد شهدت مدرسة الأهالي بقمار مشاركة محدودة، لكن بالمقارنة بمدرسة الأهالي بالوادي، فتواجدهن كان سابقا لمدرسة الأهالي بالوادي. ذلك راجع للوضع الاجتماعي العام بمنطقة قمار، حيث كان للمرأة حرية أكبر، مما عليه في ربوع وادي سوف، حيث كان خروج المرأة، ومشاركتها في الحياة العامة يكاد يكون محدودا، نتيجة الوضع المحافظ، الذي يتمسك بمبدأ نظرية الحريم. وأمام هذا الوضع تأخر انجاز مدارس مخصصة للفتيات، حيث أصدرت الإدارة الاستعمارية قرار انجاز مدرستين للفتيات في كل من الوادي وقمار، وقد تم افتتاح المدرستين سنة 1948، وسميتا بـــ " Ecole primaire des filles "، هذا لوجود العنصر النسوي الراغب في التعلم، حيث نجد أنّ حاضرة قمار كانت سبّاقة في الدفع باتجاه تعلم المرأة منذ سنة 1919، هذا ما تبينه سجلات القيد المدرسي، التي وجد بها أول فتاة سجلت بالمدرسة الأهالي بقمار التلميذة " الزهرة بنت العيد بن الساسي هقي " وأختيها " تبر وفاطمة " والجدول الآتي يوضح بياناتهن.

جدول بيانات أوائل التلميذات المسجلات بمدرسة الأهالي بقمار[1647] :

الاسم	الأب	تاريخ الازدياد ومكانه	تاريخ الالتحاق بالمدرسة	رقم التسجيل	ملاحظات

1646 École d' indigènes de Guèmar : **Registre matricules des élèves**, N°02, 1907 - 1913, Op. cit.

[1647] Ecole D'indigènes de Guèmar : **Registre Matricules Des élèves**, N°03, Tom / A, 1913 - 1922, Archives de l'école du Chahid Rida hohou, Guèmar.

الزهرة	العيـــــد بن الســـــــــاسي هقي	1908/09/15 بالوادي	1919/10/01	**A**/03/408	خرجت 1922
فاطمة	العيـــــــد بن الســـــــاسي هقي	1910/09/30 بالوادي	1919/10/01	**A**/03/409	خرجت 1924
تبر	العيد بن الساسي هقي	1911/10/24 بالوادي	1919/10/01	**A**/03/410	خرجت 1927 لأجل الزواج

وظلت عملية تسجيل الفتيات متواصلة، فالتحقت بالمجموعة السابقة أختهم المسماة "مامه"، وهذه بيناتها[1648] : وهي مـــامه بنـــت العيد بن الساسي هقي المولـــــودة 1918/05/09 بالوادي، وكان التـــــــــحاقهابالمدرسة 1925/10/03، تحت رقم تسجيل A/03/581، وخرجت 1927، وذهبت للوادي. أما أول الفتـــيات المســـجلات من حاضرة قمار أصلا، هن الآتية أسماءهن، حسب ما يوضحه الجدول الآتي :

جدول أوائل الفتيات المسجلات من حاضرة قمار أصلا[1649] :

الاسم	الأب	تاريخ الازدياد ومكانه	تاريخ الالتحاق بالمدرسة	رقم التسجيل	ملاحظات
وريدة	الحاج العربي	خلال 1913	1924/10/01	**B**/03/597	خرجت أكتوبر 1925
مباركة	الحاج العربي	خلال 1916	1924/10/01	**B**/03/598	حولت لفرع الزربية
فاطمة	السايح	خلال 1923	1933/10/01	**C**/03/391[1650]	خرجت أكتوبر 1935

[1648] Ecole D'indigènes de Guèmar : **Registre Matricules Des élèves**, N°03, Tom / B, 1922 - 1926, Archives de l'école du Chahid Rida hohou, Guèmar.

[1649] Ibid.

[1650] Ecole D'indigènes de Guèmar : **Registre Matricules Des élèves** ,N°03, Tom / C, 1926 - 1940, de l'école du Chahid Rida hohou, Guèmar.

أما الطائفة اليهودية، فقد كان لها نصيب في تعليم البنات، وأول فتاة سجلت بالمدرسة هي التلمذة " جوليات "، هذا جدول بيانات أول فتاة يهودية بالمدرسة الأهلية بقمار[1651] :

الاسم	الأب	تاريخ الازدياد ومكانه	تاريخ الالتحاق بالمدرسة	رقم التسجيل	ملاحظات
جليات	قحطان بن سليمان	خلال 1926	1933/10/01	C/03/463	

من خلال هذه البيانات والمعلومات، يتضح لنا جليا أن حاضرة قمار، كانت نشطة في حركة التعليم، وكانت لا تستثني أحدا من الجنسين، لكن عوامل أخرى كانت تتحكم في عدم الدفع بقوة لتعليم الفتاة، كالخوف على الإناث من أي مكروه، وعادات وتقاليد المجتمع، التي كانت تضيق على حركة تعليمهن في تلك الفترة، وبمرور الزمن واتساع حركة التعليم، أصبح لزاما على الحاضرة أن تدفع باتجاه تعليم الفتيات، هذا ما نجم سنة 1948، حيث تم فتح مدرسة خاصة بالبنات، وسجل بها في الموسم الدراسي 1948 – 1949 30 بنتا[1652]، ومما سبق الوقوف عليه نلاحظ أن كل الظروف المحيطة بالمدرستين في حاضرتي الوادي وقمار، كانت تدفع باتجاه تطوير هذه المنشأة والزيادة في عدد حجراتها، وطاقمها التعليمي، لاستقبال العدد المتعاظم[1653]. خاصة بحاضرة قمار في حين أن الإدارة الاستعمارية ظلت تتعامل مع هذه الزيادة بنوع من الاستهانة، لان مضيها في فتح أكمالية التعليم العام : " Cours Complémentaire d'enseignement général (C C E G) "، هذا ما جعل العملية التعليمية تكشف على السياسة الاستعمارية الهادفة إلى العمل على إعداد شريحة

[1651] Ibid.

[1652] Ecole primaire des filles Guèmar : **Registre Matricules des élèves**, N°01, 1948 – 1952, Archives de l'école du elKhansa, Guèmar.

[1653] محمد الهادي محمودي: **تاريخ وأرقام**، مدرسة قمار مئة سنة من العطاء، اللجنة التحضيرية لمئوية مدرسة قمار، مطبعة الوليد، كوينين، الوادي، ط2007، ص 11.

واسعة من العمالة، ذات مؤهلات من أهمها التمكن من اللغة الفرنسية، التي بدورها ترفع من مستوى الثقافة الفرنسية، وتجسيد المشروع الفرنسي من خلال هذا التعليم المحدود، وما يقر هذا الكلام ما صرح به أحد زعماء هذه النظرية الفرنسية حيث قال : « إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا وجعلهم أكثر ولاء وأخلص في خدمتهم لمشاريعنا هو أن تقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدنا فالمقصود إذا، وباختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تُكيّف فيها عقولهم حسب ما نريد[1654] ». أما البرنامج التعليمي الذي اعتمد في تدريس أبناء السكان الجزائريين، كان تعليما ينقصه الانتظام والفاعلية، رغم عامل الانتعاش، الذي شهده بموجب مرسوم 1883[1655]، لتظل البرامج التعليمية ذات طابع فرنسي قلبا وقالبا، حيث كانت تسعى إلى تلقين التلاميذ دروسا تؤثر في شخصيتهم العربية الإسلامية، وتبرز قوة فرنسا وعظمتها في أذهان أبناء الجزائريين، لكن في نهاية القرن 19م شهدت نداءات تدعو إلى إصلاح المنظومة التربوية، وإعادة النظر في البرنامج التعليمي، الذي يعتمد أساسا على المبادئ الأولية، التي ترتكز عليها اللغة الفرنسية. وقد نُشر البرنامج في عام 1890، الذي لم يراع الإصلاح بمفهومه الشامل، بعيدا عن الموضوعية من جانب التكوين الصحيح والعلمي، لكنه يهدف إلى خدمة الأغراض والأهداف الاستعمارية، ويراعي أحوال المعمرين الأوروبيين عامة. والجدير بالذكر أن هذا البرنامج لم يكن عادلا في توزيع عدد ساعات المواد التعليمية، فقد احتلت اللغة الفرنسية المرتبة الأولى، لأهميتها في السياسة الاستعمارية، دون إغفال اللغة العربية، فبرنامج 1898 حدد توزيع عدد الساعات والدروس في كل مادة وفق الجدول الآتي :

جدول يوضح توزيع عدد الساعات والمواد المدرسة بحسب برنامج 1898[1656] :

المواد	التربية الخلقية	اللغة الفرنسية	الحساب	الرسم	العمل اليدوي	اللغة العربية	استراحة

[1654] عبد القادر حلوش : **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط 01، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص 154.

[1655] عبد القادر حلوش : نفس المرجع، ص 163 .

[1656] عبد القادر حلوش : نفس المرجع، ص 163 .

المدة الزمنية	1 سا	11سا و30د	5 سا	2سا و30د	2 سا و30د	2 سا 60 د	5 سا
عدد الحصص	2	23	10	5	5	5	10

يتضح من خلال الجدول أن اللغة الفرنسية أخذت النصيب الأوفر من التوقيت الزمني الأسبوعي بـــ 23 حصة مقابل اللغة العربية بـــ 5 حصص، إذا فالسياسة الفرنسية، واضحة في خطتها من أجل القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية. وتجسدت تلك البرامج في مدرسة الأهالي بكل من الوادي وكوينين وقمار. والبرنامج الأسبوعي للمدرسة كانت تتخلله نشاطات مختلفة، إلى جانب المواد التعليمية التربوية، ونشاطات ثقافية ورياضية، وبعض النشاطات الأخرى كالخرجات العلمية أو الترفيهية. وتعددت المواد التعليمية، التي قدمت للتلاميذ، وهي كما يلي :

اللغة الفرنسية، وهي المادة التي احتلت حصة الأسد في دراسة كل المواد، والغاية من ذلك هو تغريب السكان المسلمين الجزائريين بمرور الزمن، والنأي بهم عن لغتهم وثقافتهم العربية الإسلامية، واستبدالها باللغة والثقافة الفرنسية[1657]، وقد صرح السيد " دوماس "(Doumas) [1658] قائلا : «...بإمكاننا البدء حاليا جديا على الأقل في المدن بالغزو الأخلاقي عن طريق التربية والتعليم،والحاجز القائم بيننا وبينهم ليس صعب الاختراق، وسيتقلص يوما بعد يوم ليزول في نهاية المطاف عندما تتكلم الأجيال القادمة اللغة معنا[1659]. »، ومن خلال هذا القول يتبين أن هذا الأخير أراد إبراز دور اللغة الفرنسية في الغزو الأخلاقي والثقافي، وكان السيد " كولين " (Coline) [1660] قد قال : « إن تعلم الفرنسية سيكون الدعامة الأساسية لسيطرتنا وأمننا السياسي لأنه سيؤدي بالأهالي إلى تحويل أنظارهم نحو فرنسا عوضا عن مصر وتركيا...[1661] »، ومن هذه التصريحات نكتشف السياسة التغريبية، التي مورست ضد المجتمع الجزائري بكل وسائلها، وقد اعتبرت الإدارة الفرنسية أن اللغة الفرنسية، هي حامل الأفكار والأحاسيس، وأنها العامل الأقوى لتقريب الأرواح والقلوب،

[1657] رابح تركي :مرجع سابق ، ص 106 .

[1658] اسكندر دوماس (1804 - 870م):أديب فرنسي.

1659 عبد القادر حلوش : **سياسة فرنسا**، مرجع سابق، ص 179 .

1660 من قادة و مسؤولي الإدارة الفرنسية بالولاية العامة .

[1661] عبد القادر حلوش : **سياسة فرنسا**، المرجع السابق، ص 181

ويكون تدريسها الشغل الشاغل للمدرسين والمدرسات كونهم يستقبلون في أغلب الأحيان أطفالا أميين[1662]. وكانت طريقة تعليم اللغة الفرنسية تقتصر على الأمور الآتية :

- تمارين يومية في القراءة والكتابة. – الإملاء. - محادثات شفوية (تعبير) لتزويد التلاميذ بالكلمات الجديدة ومعانيها. - تعلم الحساب.

أما في السنة الرابعة فتدخل مواد أخر كالإنشاء، والتاريخ، والجغرافيا والعلوم الطبيعية، خاصة جسم الإنسان، وتكون لغة التخاطب الوحيدة مع المعلم وفي كل النشاطات، هي اللغة الفرنسية فقط، حتى يجتهد التلاميذ في تعلمها. ذلك من خلال البحث عن الكلمات، وفهم معانيها والتخاطب بها، لأنه لا يسمح الحديث إلا باللغة الفرنسية[1663]. أما اللغة العربية، فكان تدريسها يخضع لسياسة تعتمد عليها الإدارة الاستعمارية، حيث تختار المدرسين المتشبعين بالثقافة الفرنسية، والذين يُكنّون لفرنسا كل الولاء، وبذلك تضمن قدرا أكبر لتحقيق الأهداف، والأغراض المسطرة لذلك، فكان نصيب اللغة العربية منعدما إلى غاية برنامج 1898، حيث خُصِّصت ساعتين ونصف للغة العربية في التعليم الابتدائي، رغم معارضة الأوروبيين لذلك[1664]، لأن الاحتلال يعرف جيدا أنه بواسطة اللغة يتوصل الفرد إلى قضاء مآربه المادية والمعنوية، وهي أداة إنتاج كسائر الأدوات المستعملة في الحياة الاقتصادية[1665]، واستعمالها لأغراض إدارية بحتة. ولقد تعمدت السياسة التعليمية الفرنسية تهميش اللغة العربية الفصحى، والدفع باتجاه تقوية اللغة العامية، وإنزالها المكانة الأهم، حتى يتم القضاء على العربية الفصحى المنافس الحقيقي للفرنسية، التي يراد لها تثبيت القدم، هذا ما ظهر في امتحانات 1912 في أسئلة مادة اللغة العربية، حيث طرحت الأسئلة بالتركيبة اللغوية الآتية :

[1662] **Bulletin scolaire**, département de Constantine, N°10, année 1912, p 87.

[1663] محمد حناي : المرجع السابق، ص ص 70، 71.

[1664] عبد القادر حلوش: **سياسة فرنسا**، مرجع سابق ، ص 202 .

[1665] حنفي بن عيسى : " من أجل نظرية في الأنتاج الفكري "، **مجلة الثقافة** ،العدد12، مجلة تصدرها وزارة الإعلام و الثقافة بالجزائر، السنة الثانية، جانفي 1973، ص35 .

1-كيف تحب تركّب المشينة آش تعمل؟

2-آش تعمل كيف تحب تبعث الدراهم لواحد؟

3-كيفاش الناس يضيووا بيوتهم؟

4-علاش عندنا العسكر؟[1666]

هذا ما يؤكد سياسة التغريب، التي تعرض لها المجتمع الجزائري من قبل الإدارة الاستعمارية. أما التربية الخلقية، فهي تربية خلقية تنتقى من القيم الفرنسية، وهي إحدى مواد التربية في المدرسة. كما ذكرنا في برنامج 1898، الذي خصص لها حصتان، ثم صارت كل يوم تقدم صباحا في بداية الدوام في حدود عشر دقائق[1667]، ومن الملاحظ أن التربية الخلقية بقيت ملازمة لبرنامج المدرسة. ذلك حتى يتسنى للمعلمين القيام بدور فعال من خلالها، كمادة أساسية في التدريس، ومن خلال تطبيق هذه المادة على شكل سلوكيات تمارس كل يوم في إطار العلاقات العامة، لإحداث علاقات وروابط وطيدة بالمجتمع، هذا ما أقره أحد التقرير الفرنسية، حيث يقول : «...يدرك المعلمون أن دورهم لم يكن للتعليم فقط بل كان لهم أيضا دور اجتماعي يتمثل بإقامة علاقات وطيدة مع العائلات ليكونوا محبوبين من طرف الأنديجان (الأهالي)، لقد كانوا بهذا يسهلون بإقامة علاقات جيدة مع رعايانا المسلمين[1668]. ». ويواصل التقرير وصفه لعمل المدرسين العظيم في سبيل تثبيت السياسة الفرنسية، وحضارتها من وجهة نظره إلى أن يقول : «...قام هؤلاء المعلمين بالدور المناط بهم بشرف[1669].»، هذا ما يبرر أهمية الدور الذي كانت تلعبه المدارس الأهلية، ممثلة في معلميها من ناحية التأثير على السكان المسلمين الجزائريين في إظهار صورة المحتل على أنه صاحب رسالة حضارية، لممارسة سياسة

[1666] **Bulletin scolaire**, département de Constantine, N°10, Op. cit, p p 316, 317.

[1667] محمد حناي : المرجع السابق، ص 73.

[1668] Gouvernement General de l'Algérie : **Expose de la situation Générale des Territoires du sud de l'Algérie**, l'année 1907, p 130.

[1669] Ibid, p 130.

التغريب على أكبر عدد ممكن من المسلمين الجزائريين ، وأهم المحاور التي كانت تدرَّس هي العائلة والنظافة، والنزاهة والاحترام. وكانت البرامج خالية من التربية الإسلامية، لأن فرنسا تخشى شيئا اسمه الإسلام والثقافة الإسلامية، لهذا أقصيت تماما من أي برنامج.

أما مادة التاريخ فقد كانت المادة الأكثر تأثيرا على شخصية المتمدرسين، وربطهم بالماضي لأجل إصلاح أحوالهم، ومحاولة بعث المجد التاريخي، فهم من خلال دراسة سير وتراجم شخصيات خلدها التاريخ قد يكتسبون قيم أخلاقية وحضارية، هذا ما جعل الإدارة الفرنسية تركز على إصدار برامج ذات ملامح غربية. ذلك منذ تأسيسها للمدارس الأهلية، حيث عملت على تمجيد تاريخها من خلال ذكر مفاخرها كشخصية "نابليون بونابرت " (Napoléon Bonaparte) ، وما فعله في مصر مقابل حرمان الجزائريين من التعرف على تاريخهم المجيد المليء بالمفاخر والبطولات. كما ركزت السياسة التعليمية على إبراز أصول الجزائريين وربطهم عرقيا ببلاد الغال (gauloise) لجنوب فرنسا، وليس بالعالم العربي الإسلامي، ويهدف هذا الإجراء إلى بثّ فكرة الإدماج مع فرنسا والقبول بها، باعتبارهم من جنس واحد، حتى أن المؤرخين الفرنسيين ركزوا في أبحاثهم حول تاريخ الجزائر في العهدين الروماني قبل الإسلام، والفرنسي إبان الاحتلال، مهملين تاريخ الجزائر العربي الإسلامي، من أجل ربط الجزائريين بالرومان وفرنسا، وليمحوا من ذاكرتهم أنهم عرب مسلمون[1670]، واعتبروا أن الفتوحات الإسلامية، هي غزو استعماري عربي للجزائر، وأن فرنسا هي التي حررت الجزائر من هذا الاستعمار، بل امتدت أيدي الإدارة الفرنسية إلى المدارس الحرة والزوايا، لمنعها من تدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها -كجزء تابع للأمة العربية الإسلامية، لا جغرافيا كتضاريس ومقدرات- من منهج الدراسة[1671]. في حين أن مادة الجغرافيا، هي المادة المكملة لمادة التاريخ في تكوين الشخصية الجزائرية، وإحداث صلة الترابط العضوي بين الأرض وأفراد الشعب الذين يقطنوها، وعليه نجد أن فرنسا قد أولتها أهمية من ناحية تدريسها مبكرا في البرامج،

[1670] رابح تركي : مرجع سابق ، ص 316.

[1671] رابح تركي : نفس المرجع ، ص 317.

فكان تدريسها من السنة الرابعة فما فوق بمحتوى يثبت مفهوم الجزائر الفرنسية التابعة إلى جغرافية فرنسا، التي هي جزء لا يتجزأ منها، وهي مقاطعة فرنسية.

أما مادة الحساب (الرياضيات)، فهي مادة أساسية مثلها مثل المواد الأخرى، بحيث يتلقى التلاميذ عدة دروس، ويتعلمون الأرقام إلى غاية 1000، وجدول الضرب والعمليات الأربع، حيث نجد تقريرا فرنسيا يشير إلى هذا الجزء فيقول : «...لقد باتوا يقومون بعمليات الجمع والطرح على مجموع رقمين وأكثر[1672]. ». وكذلك تعلم الأعداد العشرية، والحساب الذهني، ويدرسون الوحدات المختلفة المتر، اللتر، الكيلو غرام، والعملة وأجزائها، الفرنك والسنتيم، وحساب باقي البيع (الصرف)[1673]، ولقد اهتمت الإدارة الفرنسية بهذا الجانب؛ أي عمليات البيع والشراء، والفائدة والباقي، فكان مقدار ما يشكل المنظومة التربوية في نشاط الحساب من هذا الجزء 95%، لأنها كانت تريد إعداد فرد يستطيع التعامل بجدية، لكسب عمالة تتعامل بمهارة في هذا الجانب، جانب الحسابات والمعاملات الصرفية، حتى يتسنى استخدام هذه القدرات والمعارف في إطارها الضيق والمحدود لا غير، وتسخره فرنسا كيفما تريد. أما العلوم الهندسية، فتنحصر في نشاط الهندسة، الذي لا يتعدى عدد دروسه 6 دروس فقط، هذا للمستوى الدراسي، الذي لا يتجاوب مع أكثر من ذلك، وإعطاء المتمدرسين معارف مجتزأة، لا تفي بتطلعاتهم، ويظلون بذلك أسرى معارف للسياسة الفرنسية. في حين اعتمدت مادة الرسم على استنطاق المحيط والطبيعة الموجودة، مع تعلم المبادئ الأولية له. كرسم خطوط مختلفة كالخطوط المستقيمة والمنحنية والمنكسرة، والأشكال الهندسية كالمثلثات والمربعات وغيرها، كذلك محاولة رسم أشياء من الطبيعة، كأوراق الأشجار والأزهار، وشجرة كاملة مع مطالبة التلاميذ بنقل هذا الشكل، أو ذاك أو مجموعة أشكال على كراريس الرسم، وفي بعض الأحيان يلجأ المدرسون إلى ترك فسحة للتلاميذ، حتى يعبروا عما يختلج في صدورهم، ويرسمون ما يريدون، وهنا تبرز المهارات والتعبير عن الخلجات، والارتباط بالأرض

[1672] Chataigneau Yves, : **Exposé de la situation générale de l'Algérie en 1945**, Imprimerie Officielle Alger, (1946-1947), p 128.

[1673] **Bulletin scolaire,** département de Constantine, N 10, année 1922, p 65.

والمنطقة، فنجد أن إبن وادي سوف تخط يداه النخل أو بعض الكثبان الرملية، ومشهد سقي البستان والنخيل، أو يعبر عن رغبة يريدها كملامسة كرة القدم، حيث أسس فريق كرة القدم بمدرسة قمار بسبب رسم لتلميذ، جسد فيه مشهدا لطفل، وهو يلعب كرة القدم في ساحة المدرسة[1674]، فلبيت الرغبة من خلال هذا الرسم، هذه نقطة قوة للإدارة، لأنها كانت تتابع ما يدور في أذهان تلاميذها، وتحاول تلبية بعضه، حتى تقف على تفاعلهم الدائم مع التطورات، وتستغله لمصلحتها. أما مادة الأشغال اليدوية فكان البرنامج يوليها اهتماما بالغا، لما تمثله من أهمية في إعداد التلميذ مهاريا، حتى يستغل كعمالة، حيث يجعل لهذه المادة وقتا مخصصا. كما يشرف عليها المعلم، أو معلما متخصصا لها، وقد كان التلاميذ يقومون بأشغال ورقية لتعلم ضوابط النسيج، مثل تشكيل زربية بالورق، بإتباع الخطوات التي يوضحها المعلم، وقد بدأ هذا النشاط حيث أنشئت ورشة لنسج الزربية مبكرا بمدرسة قمار، عين على رأسها السيد "غريب القماري"، الذي أوكلت له إدارة هذه الورشة، وهو وقتها قدم من قسنطينة، وتتلمذ على يده مجموعة من التلاميذ، ممن أصبحوا لاحقا من عباقرة نسج الزربية. كما برع فتيان و فتيات المدارس الأهلية، خاصة مدرسة قمار في هاته الصناعة مع وضع إشارة خاصة بها تسمى " **صليب سوف**" (**la croix de souf**)، مع شدَة فوقه تميز الزربيه على أنها من قمار، ثم تعرض في المعارض الكبرى في الجزائر، وغيرها من المدن الأخرى، وتباع هناك. وإشارة الصليب هي محاولة تريد من خلالها الإدارة الفرنسية بالإقليم، جعل الحرفيين أكثر تأقلما مع الثقافة الغربية. كما اهتمت الأشغال اليدوية ببعث الصناعة الحرفية، وأولتها أهمية كبيرة، حيث نجد أن إدارة المدرسة أنشأت ورشة نجارة بأدوات بسيطة أشرف عليها المدرس " شالار " (Chalar)، وتخرج على يده الكثير من الحرفيين المدربين. وما يثبت ذلك هو أن الإدارة الفرنسية اهتمت بإعداد عمالة محترفة في عدة مجالات، يوظفون في سوق العمالة، التي تراها الإدارة أصوب، هذا ما صورته أحد التقارير حيث يقول : « في دروس التعلم هذه كانت تصنع أدوات

[1674] محمد حناي : المرجع السابق، ص 73.

لصيانة وتجديد الأثاث المدرسي وللخواص، وهاته الورشات كانت مهمتها إعطاء المساعدة والعون لهذه المناطق لعدم توفر مثل هذه العمالة، واستعمالهم عند الحاجة.[1675] ». ومن هناك أصبح لهذه الأعمال اليدوية قيمة مهنية عالية، حيث بدأ التعليم المهني بقمار بصورة مثبتة من طرف أكاديمية الجزائر في 1 جانفي 1931. ذلك بتكليف مدير قائم على كل الورشات[1676]، وكان هذا المدير يساهم في هذا العمل، حيث يأتي خصيصا لتعليم التلاميذ أصول العمل المهني. كما أن الوادي شهدت افتتاح مدرسة مهنية منذ سنة 1908[1677]، لتتحول سنة 1947 إلى أكمالية التعليم المهني. أما الفلاحة فهي مهنة وهواية متأصلة في أهل حاضرة قمار وكوينين، فنجد أن الإدارة الاستعمارية قد ركزت على هذا الجانب عن طريق تكوين مساحة لإنشاء حديقة للمعلمين، وأخرى لتعليم الزراعة[1678]، كزراعة نوع من الخضر غير موجودة عند أهل كوينين، وبالخصوص أهل قمار، حتى يتسنى من خلالها القيام بتجارب فلاحية، وإعطاء دروس في الزراعة تحت إشراف المعلمين، مما زاد في اهتمام التلاميذ إنشاء حدائق خاصة بهم في الأماكن والساحات القريبة من المدرسة، وكانوا يزرعون فيها البذور والشجيرات التي يأتون بها من المدرسة[1679]. ذلك لتقليد المعمرين في إنتاج الأزهار ومحاولة تزيين المحيط. أما عند نزول المطر يخرج التلاميذ إلى الساحة للعب بالثرى[1680]، ورسم بعض الأشكال تحت مراقبة المعلم. كما ينحت التلاميذ أشياء بالرمل القاسي[1681]. أما حصة الأناشيد فكان كل معلم يلقن تلاميذه مجموعة من الأناشيد الملحنة، ففي مدرسة الأهالي بالوادي نجد أنشودة "**ضوء القمر**" (**le rayon de lune**)، كذلك أنشودة حول جسر " **أفنيون** "(**Sur le pontd'Avignon**)، هذا ما يؤكد ربط التلاميذ بفرنسا من خلال التطلع لزيارتها، كما

[1675] Chataigneau Yves : op. cit, p128.

[1676] Registre matricul N°3 (TOM/C), (1926 1940), p03.

[1677] محمد قروي : المرجع السابق، ص 10

[1678] Document Algérien : **La scolarisation dans les territoires du sud,** op. cit, p80.

[1679] Chataigneau Yves : op. cit, p129.

[1680] التراب الكثيف البلل.

[1681] محمد حناي : المرجع السابق، ص.75

نجد أنشودة "**الصرصور والنملة**" (**la cigale et la fourmi**)، وأنشودة "**الغراب والثعلب**" (**le corbeau et le renard**)، وأنشودة "**الذئب واللقلق**" (**le loup et la cigogne**)، وغيرها من الأناشيد التي تحمل في باطنها عدة معاني كالمكر والخديعة، والترصد وتحين الفرص للانقضاض على الآخر. وإن كان ظاهرها لأجل التسلية والترفيه[1682].

ثانيا - التطبيق الميداني للبرنامج التعليمي :

أما التطبيق الميداني للبرنامج التعليمي فيقوم على عدة محاور يمكن حصرها في :

1 - الدوام الأسبوعي للمدرسة ونظام العطل والواجبات :

إن السير الحسن للعمل يتطلب ضبط الوقت انطلاقا من تحديد رزنامة الدوام الأسبوعي، ليكفل دواما سنويا. ذلك كله وفق نظام عطل وواجبات.

أ - الدوام الأسبوعي :

الدوام الأسبوع للمدارس الأهلية بوادي سوف، هو النظام الذي يزاول التلاميذ من خلاله نشاطهم الدراسي، حيث قُسِّم يوم التدريس إلى فترتين متساويتين، إحداهما في الصباح والأخرى في المساء، وتدوم كل فترة ثلاثة ساعات في الصباح من الثامنة إلى الساعة الحادية عشر، يتناول فيها التلاميذ لمجة إن وجدت، وفي الغالب لا توجد، واستعملت إدارة المدرسة لإعلان بداية الدوام "الناقوس"، الذي يدق على الساعة الثامنة معلنا بداية الدراسة، وعند العاشرة معلنا على الراحة. هكذا حتى خروج التلاميذ من المدرسة في الفترة الصباحية، وبنفس الطريقة في الفترة المسائية، وكان التلاميذ يتنافسون فيما بينهم للظفر بدق الناقوس، لكن هذه المنافسة موجودة بين النجباء الذين ترشحهم إدارة المدرسة لهذا الفعل، هذا حتى تدفع الإدارة بالتلاميذ قدما إلى الدراسة بجد واجتهاد[1683].

ب - نظام العطل :

[1682] ملحق الأناشيد. - ينظر, Ammar ZAIZ : **Mémoire D' une Génération Ecole de Garçons de Guèmar**, (Manuscrit).

[1683] محمد حناي : المرجع السابق، ص 75

العطل استراحات تمنح للعاملين والمتمدرسين في نهاية كل موسم، ومن هنا كان لكل عمل نظام عطل يزيل الإرهاق عن المنتسبين إليه، ويجدد عزائمهم بين الفينة والأخرى، ليستطيعوا مواصلة المشوار الدراسي، هذا ما وقع مع معلمي وتلاميذ المدارس الأهالية بالوادي وكونين، وقمار، حيث وضع نظام عطل تسير عليه المدارس وهو كالآتي :

١ - ***العطل الأسبوعية*** : كانت العطل يوم الجمعة بأكمله - تماشيا مع يوم العبادة للمسلمين، وكذلك وجود السوق الأسبوعية بالوادي وقمار - ومساء يوم الثلاثاء. أما باقي الأيام فهي أيام عمل[1684].

٢ - ***العطلة الفصلية*** : تكون هذه العطلة عقب الامتحان الأول والامتحان الثاني، مدتها 15 يوما في كل فصل؛ أي في فصل الشتاء وفي فصل الربيع[1685].

٣ - ***العطلة الصيفية*** : هي عطلة آخر السنة بعد الامتحان الأخير وإعلان النتائج، تبدأ من يوم 31 ماي إلى غاية 01 أكتوبر من كل موسم دراسي. ذلك بسبب ارتفاع درجة الحرارة خلال الصيف بمنطقة وادي سوف، وترك فرصة للأوروبيين للذهاب إلى مناطق الشمال أو فرنسا[1686].

ج - نظام الواجبات :

الواجبات هي مجموعة الأسئلة، التي يقدمها المدرسون للتلاميذ من أجل التمرن على فهم الدروس المنقضية، أو هي بمثابة أعمال للتمرن على ما هو آت، وعادة ما تمنح هذه الواجبات في العطل من أجل ملء الفراغ من جهة، والإعداد للمرحلة القادمة من جهة ثانية. كما كانت العطلة للعمل الإضافي والاستزادة، بحيث يبقى معلم تختاره إدارة المدرسة من بين طاقم التدريس يأتي قبل شهر ونصف أو شهرين من نهاية العطلة، ويقدم دروسا مجانية تتناول البرنامج الذي سيدرس في السنة المقبلة، وتنظم في هذا البرنامج الصيفي مسابقات، وتصحح وتحتسب نقاطها للتلاميذ المجتهدين على أن يضعوا على رأس القائمة في ترتيب التلاميذ المؤهلين للنجاح ونيل الشهادات[1687]. كما كان

[1684] وفي الموسم الدراسي 57/56 تغير العمل بنظام العطلة من مساء يوم الثلاثاء والجمعة بأكمله إلى يوم السبت مساء ويوم الأحد بأكمله لأنه يوم عبادة للمسيحيين لأجل أداء الصلاة في الكنيسة.- ينظر محمد حناي : نفس المرجع، ص 78.

[1685] **حوار** مع أحمد خراز، مرجع سابق.

[1686] Ecole des filles d'El-oued : **Registre scolaire**, les années (1948 – 1960), p p 7, 8.

[1687] محمد حناي : المرجع السابق، ص 77.

بعض المعلمين يضعون كتب المطالعة لدى تلميذ في بيته، ليستعيرها التلاميذ. ذلك وفق استعارة كتاب كل أسبوع مع تسجيل الاستعارات، حتى لا تضيع الكتب. يقرأ ذلك الكتاب أو يلخص، ثم يبعث التلخيص وفقا للنموذج المحدد من طرف المعلم كالآتي : - عنوان الكتاب. - عدد صفحاته. -الموضوع الذي يعالجه. - ملخص ما فهمه التلميذ. ثم يرسل العمل المنجز للمعلم في عنوانه الشخصي الذي تركه للتلاميذ، فيقوم المعلم بالتصحيح ويرجع للتلاميذ ما بعثوه، ومعه التقييم والنقطة.

كما كان بعض المعلمين يمنحون واجبات لمدة 3 أشهر، تشتمل على 12 واجبا تتناول مادتي الرياضيات، وقواعد اللغة الفرنسية مع الإنشاء، ثم يوزعون على تلاميذهم 12 ظرفا بريديا معنونا، ويرتب الامتحانات بحسب ما يراه المعلم مناسبا، ويأمرهم بالمراجعة وإنجاز الواجبات والقيام، بإرسالها على العنوان الموجود على الأظرفة، وبعد مدة تعود هذه الأظرفة محملة بالملاحظات والعلامات، ومن كان له نقاط عالية تحسب له، ويؤخذ بعين الاعتبار مجهوده عند التقدم للشهادة[1688]، هذه المجهودات كلها من أجل التأثير في نفوس التلاميذ، وجعلهم يتأثرون بالأخلاق الأوربية، التي ما تزال مضرب مثل عن التفاني في العمل، هذا بدوره ترك في نفوس العديد من التلاميذ أثرا بالغا، حتى أن الغالبية ممن يتمكن من مواصلة دراسته والحصول على منصب مدرس، كان يسعى إلى تقليد مدرسيه الفرنسيين والمعمرين في أغلب أعماله وتعامله مع تلاميذه. فكان ذلك مظهرا من مظاهر التأقلم الذي ساد المنطقة.

2 -النشـــــــــــاط الصحـــــــــــــــــــي والاطعام المدرسي :

حاولت إدارة المدرسة فرض سياسية تنظيمية الغاية منها احداث تلاؤم بين الإمكانيات المحدودة والمتمدرسين المتزايدين وفقا، لما تقتضيه الوضعية العامة للمدارس الأهلية، وعليه فإن المدرسة وفقا لطاقمها المسير تعاملة مع الصحة والإطعام كالآتي :

أ -الصحة المدرسية :

عملت إدارة المدارس الأهلية منذ تأسيسها على إحداث برنامجا صحيا يهتم بصحة التلاميذ، لأنها كانت تؤمن بأن سلامة العقل من سلامة الجسد، فثبتت قاعدة المراقبة الصباحية للنظافة من طرف المعلم يوميا، حتى أصبحت عادة، بحيث يراقب المعلم أيادي التلاميذ، ومن وجد يده متسخة يأمره بغسلها بواسطة الماء، وحكها بالتراب. أما الأظافر فتقلم بالمقص إن وجدت طويلة، لأنها حمّالة للأمراض. وفي هذا الجانب كان المعلمون متشددين، بحيث يصل بهم الأمر إلى ضرب التلميذ إن

[1688] محمد حناي : نفس المرجع، ص 77.

كرر نسيانه، وترك أظافره طويلة. وإذا مرض أحد التلاميذ يسجل في كراس خاص، ويرسل رفقة أحد العاملين بالمدرسة إلى الوحدة الصحية بالحاضرة، وعند الانتهاء من الفحص يحدد مرضه، ليسجل في سجل الترقيم التسلسلي للتلميذ في خانة خاصة بذلك.

أما في الأيام التي تنتشر بها الأوبئة، كانت المدرسة تفرض على التلاميذ حمام يومي عند منتصف النهار. أما الثياب فكان يرش عليها ببعض الأدوية والمواد الكيماوية لمحاربة الأوبئة، والحد من انتشارها[1689]. أما بحاضرة قمار فإن زيارات المتابعة الصحية كانت تجرى في العيادة، التي فتحت أبوابها سنة 1943[1690]، حيث يذهب التلاميذ برفقة معلمهم لإجراء الفحوصات، وتجرى هذه الفحوصات للتلاميذ عندما يكثر مرض الرمد الحبيبي، فيقومون بحك قلم من التوتياء على الجفون داخليا، أو بعض القطرات من الدواء إن وجدت. والذي كان يقوم بهذا العمل الطبيب الفاحص، والممرض "غريب" وهو من حاضرة قمار[1691]. أما بالوادي فأسس داخل المدرسة فرع صحي يشرف عليه أحد الممرضين، ومنذ 1947 أشرفت عليه الممرضة " أوجي " (Augie) زوجة الطبيب " أنطوان[1692] " (Antoine).

ب -الإطعـــــــــــام المدرســـــــــــي :

إن الإطعام وسيلة من أهم الوسائل المؤثرة على نفوس البشر، لما للطعام من تأثير. ذلك لحاجة الإنسان الماسة له. والإطعام هو الوسيلة الأكثر اعتمادا عليها، خاصة في حملات التبشير والتنصير في وسط المجتمعات الأكثر فقرا واحتياجا للطعام. والمطعم المدرسي من المرافق الهامة للمدرسة، حيث كانت المدارس الأهلية في كل من الوادي وكوينين، وقمار تقدم وجبات ساخنة، وباردة لتلاميذها، لأن الإطعام وسيلة فعالة لجلب أطفال السكان الجزائريين، وربطهم بالمدرسة، وقد تمثلت الوجبات الغذائية في الخبز معه بعض المعلبات، التي كان يقال عنها أن أهم مكون لها اللحم قبل سنة 1945. أما بعدها فقد تنوعت الوجبات، التي كانت تعطى نجد من بينها الأرز والعجين المشكل من : مقرونة،سباقيتي،محمصة، هذا في السنوات المتأخرة، كذلك مرق البطاطا ومرق

[1689] بن سالم الشايع والبشير مقدود وخالد حنة : **التعليم الفرنسي في وادي سوف (مدرسة الأهالي بالوادي نموذجا) (1886-1962)**، (مخ)، الوادي، 2008-2009، ص 53.

[1690] Document Algérien : **La scolarisation dans les territoires du sud**, op. cit, p 80.

[1691] محمد حناي : المرجع السابق، ص 76.

[1692] بن سالم الشايع والبشير مقدود وخالد حنة : المرجع السابق، ص 53.

الخضار، وغيرها. أما الجبن فكان يقدم مرة في الأسبوع مستقدما من مدينة بسكرة، لفقدانه تماما بالوادي. والأطفال المعنيون بالإطعام هم الأشد فقرا واحتياجا، وليس لكل التلاميذ المتمدرسين بالمدارس الأهلية، والبقية من التلاميذ ينتظرون في الخارج لأخذ قسط من الطعام من رفاقهم. أما عن طبخ الطعام في المطعم فقد أشرف عليه العـــــــــــديد من الأشخاص مع الإشارة إلى أن تناول الوجبات كان يتم في وسط

الساحة، وليس داخل المطعم، لأن المطعم للطهو فقط[1693].

3 - سلوكات الانضباط والامتحانات المدرسية :

إن سيرورة العمل المدرسي تقتضي الانضباط والعمل لمكافأة التلميذ من ناحية إذا ما التزم بالسلوكات الحميدة، والعقاب عند تخطي الضوابط، هذا ما سنقف عليه من خلال :

أ -تـــــحيـــــــــة العـــــــــــلـــــــــــم :

المستعمرات بلدان فاقدة لسيادتها، والدول المحتلة، هي الفارضة لسيادتها، والجزائر مستعمرة استيطانية، لإن السيادة بها مسلوبة من طرف فرنسا، ومن هنا اعتبرت فرنسا أن الجزائر مقاطعة فرنسية، وعليه فكل مؤسسة إدارية أو اجتماعية، أو ثقافية أو عسكرية لا بد وأن تجد فوق أعاليها العلم الفرنسي، كعلامة دالة على السيادة المطلقة، ومن بين هذه المؤسسات نجد المدارس الأهلية في كل من الوادي وكوينين، وقمار، التي كان تلاميذها يحيون العلم الفرنسي مرتين في الأسبوع مرة في بداية الأسبوع الدراسي، وأخرى في نهايته، حيث يصطف التلاميذ أمام سارية العلم في وسط ساحة المدرسة مع الوقوف باحترام وخشوع. وأداء النشيد الوطني الفرنسي بإتقان، ما أمكن ذلك، ومن يتحدث ولا يستعد يعاقب بالسجن في القبو، ويحرم من الذهاب للمنزل بعد العاشرة والنصف، هذا كله قبل الحرب العالمية الثانية. أما بعد اندلاعها أصبح العلم الفرنسي يرفع يوميا مرة ولا يقوم التلاميذ بإنزاله[1694]، فلا ينزله احد إلا الإدارة، وفي صباح اليوم الموالي يرفع مرة أخرى، وهكذا حتى يرسخ في ذهن التلاميذ أن العلم الفرنسي دائما مرفوع ولا ينزل، هذا حتى يغرسوا في أذهانهم الشعور القومي الفرنسي بالانتماء إلى هذا البلد، مع محاولة القضاء على البعد الأصيل المتجذر الذي يتمثل في الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، والأمة الجزائرية[1695].

[1693] محمد حناي : المرجع السابق، ص 76.

[1694] محمد حناي : نفس المرجع، ص 76.

[1695] **حوار** مع أحمد خراز، مرجع سابق.

ب -تـــــنظيم الامتحـــــــــــــانات :

إن الامتحانات وسيلة تعليمية هامة لمراقبة المتمدرسين، والوقوف عند مستويات التحصيل لكل تلميذ. والعملية التعليمية التي كانت تعتمد عليها المدراس الأهلية في كل من الوادي وكونين، وقمار، هي الامتحانات الكتابية والشفوية، حسب طبيعة كل مادة، وتكون مع نهاية كل فصل، وتجرى ثلاثة مرات في السنة، فيكتب المعلم الأسئلة على السبورة، ويترك الإجابة للتلاميذ على الكراس، هذا في الامتحانات الكتابية. أما الشفوية كالمحادثة والحوار، فتقدم لهم أسئلة، أو يعبرون عن بعض الصور، أو يركِّبون جملا بصيغ معينة، حسب طريقة المعلم في إجراء الامتحان، ومع نهاية كل امتحان فصلي تعطى لكل تلميذ رتبته، حسب مجموع النقاط المتحصل عليها[1696].

4 -النشاطات الرياضية والترفيهية والأعمل التطبيقية :

إن نجاح المدرسة والعملية التربوية مرتبط بالبحث الدائم لمتطلبات التلاميذ، قصد ترسيخ المعارف المكتسبة وفقا لأهداف مسطرة، ومن هنا فإن نجاعة التعليم الفرنسي، تقوم على الدمج بين الجانب المعرفي، والاحتياجات المهارية، التي تسعى الإدارة الاستعمارية لربط أفاق الناشئة، بما يتلاءم والمتطلبات العامة، وعليه فكان تفكير إدارة المدرسة مرهونا بالترفيه عن التلميذ، وفقا لما يقتضيه التعليم الحديث.

أ -الألعـــــــــــاب والنشاطات الرياضية :

تعد الرياضة مادة مكملة، غير أنها تكتسي أهمية بالغة في إعداد جيل حيوي، وسليم البنية الجسدية، التي بدورها تنعكس إيجابا عن العقل والتفكير، هذا ما جعلها من صميم اهتمامات الحضارات السالفة وفقا لإمكانيات كل منها، وقد اهتمت بها كل المناهج التعليمية، وجعلتها من أولويات برامجها، هذا ما قامت به المدارس الأهالية بكل من الوادي وكوينين، قمار، حيث كان تلاميذها يمارسون بعضا من الألعاب والنشاطات الرياضية، الفردية والجماعية ككرة القدم، ورغم الطبيعة الرملية للمدارس فإن المعلم بمعية التلاميذ يقوم بتخطيط ملعب بواسطة الحجارة الصغيرة، حتى تتضح معالمه بمساحة محددة، وتمارس اللعبة بعد القيام بعمليات التسخين اللازمة عن طريق الجري حول الملعب 3 دورات، مع رفع اليد مرات عديدة وتدويرها، وكذلك الأرجل مع تحريك الخاصرة...إلخ[1697]، وأهم الرياضات، التي مورست هي ألعاب القوى (القفز، رمي الجلة،

[1696] محمد حناي : نفس المرجع، ص 77.

[1697] محمد حناي : نفس المرجع، ص 88.

التسلق،...إلخ.)، لكون هذه الرياضات هي مادة الامتحان في الشهادة الابتدائية [1698]، وقد دخلت هاته الرياضات إلى ساحة الرياضات المدرسية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وهي رياضات في أصولها عسكرية، مما يدل على أن المدرسة هي مجال حيوي، لتثبيت الفكر الاستعماري الاستيطاني من خلال الرياضة.

ب -السينما والحفلات المدرسية :

1 -السينما : وهي أداة ترفيهية ظهرت بالعالم الغربي بعد الحرب العالمية الأول. ذلك بعد بروز أدوات التصوير، التي استعانت بها الدول في الدعاية، والدعاية المضادة، فجاءت السينما كوسيلة للترفيه، غير أنها ظلت مدة غير مرغوب بها في المجتمعات الشرقية، لما تحوي عليه من مادة تصويرية، غير مستساغة كظهور المرأة غير متحجبة، فعد ذلك من السفور، وأخذت هذه الأداة تتطور إلى أن أصبحت وسيلة ترفيهية تسعى المجتمعات الغربية إلى الاستمتاع بها. وأمام هذا التقدم والانتشار، كان على الإدارة الفرنسية إدخال عدة فنون وبرامج تتعارض في جوهرها مع عادات وتقاليد مجتمعنا الإسلامي عن طريق السياسة التعليمية، حيث نجدها قد أقحمت السينما كمادة في ظاهرها للترفيه لأجل التثقيف والتنوير العلمي. أما باطنها فهو الغزو الثقافي والفكري عن طريق الإعلام الموجه، الذي يمكن من خلاله توجيه أنظار الرأي العام أيَّ وجهة تريدها[1699]. فقد خصصت مدراس الأهالي بالوادي وقمار فترة زمنية محددة داخل الأسبوع الدراسي، وهي أمسية الاثنين المقابلة ليوم العطلة الأسبوعي لرؤية شريط سينمائي يحمل أفلام كوميدية صامتة، أو ما يعرف عند أهلنا بـ "شارلو" (Charles Chapline)، فيجد التلاميذ في هذه المشاهد متعة كبيرة، لكنها كانت تحمل في طياتها محاذر عديدة. ذلك من خلال ما يظهر فيها من لقطات مخلة بالحياء، وكان الهدف هو تعويد التلاميذ على أن هذا الأمر عادي، ومنه يُغرس هذا السلوك المنافي لأخلاق السكان المسلمين الجزائريين وحضارتهم الإسلامية، فكان ذلك بداية

[1698] محمد بوقطاية : **أولمي الوادي و الواحات** ، ط01، مطبعة مزوار ، الجزائر ، 2009 ، ص 225 .

[1699] مصطفى الشقيري : **الإعلام وعلم الاجتماع** ، ط01 ، دار الفكر ، لبنان ، 1984 ،ص 396.

لجعل جيل واسع يتقبل السينما وسيلة للترفيه والإقبال عنها، بالرغم من معارضتها لدى شريحة واسعة من المجتمع[1700].

ومن هنا يتبين مدى حرص الإدارة المدرسية في تمكين، وسيطرة برنامج سينمائي داخل المؤسسات التعليمية، للتأثير على الناشئة، فالإعلام سلاح فتاك يتسرب إلى الأذهان والعقول والبيوت بدون إذن، وهو السلاح الفعال في الغزو الثقافي والفكري، وإبعاد المجتمع وسلخه من مقوماته الشخصية، ولاسيما عروبته وإسلامه، هذا كله ضمن مشروع تمدين وتحضير المجتمعات الإفريقية.

٢ - ***الحفلات المدرسية*** : تُعِد المدرسة في آخر كل موسم دراسي حفلا ختاميا يحضره كل أفرادها، إدارة وعمالا ومعلمين وتلاميذ، وبعض الأولياء، ويتخلل برنامجه عدة نشاطات وتدخلات من طرف مدير المدرسة، ومعلم التكوين (رئيس المعلمين)، وبعض المسؤولين المدعوين للحفل، وتتمثل النشاطات في الأناشيد، التي يقدمها التلاميذ باللغة الفرنسية، وبعض الألعاب البهلوانية، وعرض " إسكتشات " ومسرحيات من طرف التلاميذ أنفسهم، وتختم بتوزيع الجوائز على المتفوقين وتشجيعهم على الاجتهاد في المواسم القادمة.

أما بالنسبة للحفلات التي كانت تنظم نهاية كل فصل دراسي، فكانت مشابهة للحفل الختامي لآخر السنة، لكنها تختلف عنه من ناحية التكريم، فالمكرَمون في نهاية الفصل الدراسي يكون عددهم كبيرا، حيث يختارون دائما الخمسة الأوائل من كل قسم. أما في نهاية السنة فيختارون الأول والثاني فقط[1701].

ج - ***الدروس التطبيقية والخرجات الميدانية*** :

[1700] **حوار** مع أحمد خراز، مرجع سابق.

[1701] محمد حناي : المرجع السابق، ص ص 79، 80.

كانت المدرسة تولي اهتماما كبيرا للدروس التطبيقية والخرجات الميدانية ، حيث تواكب الدروس النظرية بإعداد برنامج عملي تطبيقي يتوافق وطبيعة كل موضوع، سواء كان ثقافيا أو تاريخيا، أو اقتصاديا أو اجتماعيا، ويشرف عليه معلم أو مدير المدرسة (خاصة عند الخرجات).

١ ـ ***الدروس التطبيقية*** : هي عادة ما تكون حول نشاط حرفي أو عملي، هذا ما يجسده التلاميذ على أرض الواقع المدرسي، فأحد التلاميذ يقول : « قمنا بإعداد وجبة من الكسكس في القسم بمعية معلمنا، حيث أتى احد الزملاء بحب الكسكس، وهو معد في البيت سلفا. فقمنا بطهيه عن طريق القدر، والماء الموجود فيه بواسطة البخار المتصاعد، وأعددنا مرق الكسكس. كما تعده الأم في البيت بل ألذ، وتناولناه في القسم جماعيا[1702]. » هذا أمر يدخل في إطار إعداد طباخين.

أما التلميذ الثاني فيحدثنا عن إعدادهم لقدر وطاجين من الطين. ذلك بسحق حجارة الطين وإضافة الماء إليها، ثم القيام بعملية التمليس - أي تشكيل الآنية - ووضعها في النار، حتى تصبح صلبة لا تنكسر، ووضعت في المتحف[1703]. كما أن غالبية التطبيقات يراعى فيها الجانب الحرفي، حتى المواضيع الصحية، تجرى كتطبيقات ميدانية مراهنة على تعليم المهارات البسيطة، لأن المشوار التعليمي لهذه الناشئة بالجنوب محدود جدا، يسعى لاعداد العمالة المحدودة القدرات.

٢ ـ ***الخرجات الميدانية*** : فالخرجات الميدانية كانت تتم في فصول معينة، كجني التمر في الخريف، أو تلقيح النخيل في بدايات فصل الربيع، أو عند جني الخضر في نهاية فصل الربيع، أو متابعة نبتة الدخان من الغرس، حتى الجني. وتعد لهذه الخرجات أسئلة محددة يسألها التلاميذ للفلاحين، وعند الانتهاء من ذلك يحرر كل واحد منهم تقريرا يذكر فيه المعلومات، التي استفاد منها، هذا كعمل

[1702] محمد حناي : نفس المرجع ، ص 80.

[1703] نفسه ، ص 80.

يدل على حيوية البرنامج، وحرص إدارة المدرسة الأهلية على إنجاحه، ومنافسة التعليم العربي الحر ،الذي لا يستطيع مجارات المدرسة الأهلية، لانعدام الإمكانيات من ناحية، وضآلة المدة الزمنية، التي تتوفر للمدارس العربية الحرة، التي جاءت لمزاحمة التعليم الفرنسي من ناحية ثانية، مع نقص التأطير العلمي لمعلمي تلك المـــــــدارس الحـــــــــــرة من ناحية ثالثة. ومن خـــــــــلال ماسبـــــق يتبن ثقل التعليم ورصانته في الجانب العلمي والتقني للمدرسة الفرنسية على أنها الأفضل، لأنها تقدم المعرفة بطريقة حيوية أكثر فعالية، وبمنهجية حديثة تبهر التلاميذ. ذلك من خلال ما ينقله التلاميذ من معارف إلى الوسط الاجتماعي. ومن هناك يكمن الفارق بين المؤسستين مؤسسة مدعمة من قبل سياسة دولة، ومدرسة تسيّر بجهود يغلب عليها الطابع التطوعي والخيري القائم على حجم المساهمات، التي يقدمها أصحاب العطاءات المحدودة.

ثالثا - التنظيم المدرسي ونتائجه على المتمدرسين والمجتمع بوادي سوف :

وضعت الإدارة الاستعمارية أهدافا كبرى على مستوى الميادين المختلفة، خاصة الميدان الثقافي منذ الإقرار على إنشاء المدارس الأهلية، بموجب المرسوم المؤرخ في 13فيفري 1883، والمتعلق بإجبارية وعمومية التعليم، لتمكين الاستيطان من خلال سياسة التغريب، لطمس ملامح الهوية والشخصية الجزائرية العربية المسلمة، حتى تتمكن من ذلك راهنت أشد المراهنة على التعليم، لتحقق الأهداف المرجوة، فراحت تنشئ المدارس، وفق إمكانياتها وفي الأماكن، التي تريدها وبالحجم، الذي تقدره الإدارة الاستعمارية، وفق سياسة التعليم الموجه، والمتمثل في التعليم الابتدائي، لتأهيل عمالة من السكان الجزائريين ذات ثقافة محدودة.

فكان لزاما على الإدارة الاستعمارية أن تبحث عن تنظيم مدرسي تطبق من خلاله نظامها التعليمي، وتحقق به النتائج، التي ترسمها لسكان الحواضر، التي فتحت بها مدارس أهلية، كحاضرة الوادي، وكونين، وقمار، وفق القدرات، التي تحددها لهذا المجتمع، وتضعه كله في خدمتها وخدمة أهدافها.

1 -المـــــــــستويات الدراسية بالمدارس الأهلية :

نظمت الإدارة الفرنسية منظومتها التعليمية بالنسبة للمرحلة الأولى ب 6 أقسام رئيسية، وقسم خاص، وكانت فترة الدراسة تدوم ست سنوات في الحالات العادية، وهي مقسمة كالآتي :

جدول سنوات التدريس المعتمدة في المدارس الأهلية بوادي سوف[1704] :

القسم التحضيري الأول	CP1 Cours Préparatoire 1
لقسم التحضيري الثاني	CP2 Cours Préparatoire
القسم الابتدائي الأول	CE1 Cours élémentaire
القسم الابتدائي الثاني	CE2 Cours élémentaire
القسم المتوسط الأول	CM1 Cours moyen 1
القسم المتوسط الثاني	CM2 Cours Moyen 2
القسم الخاص الثاني	CFE Cours fin d'Etude

لقد كان يُقبَل أي تلميذ من أبناء السكان الجزائريين في الدراسة إنْ سجله والده، لكن الإدارة الفرنسية لا تتركه يواصل، إلا إذا كان أهله لهم علاقة مع الإدارة الاستعمارية، كالقياد والباش عدول والتجار وغيرهم. أما البقية من أبناء السكان من باقي الفئات الأخرى، فيسمح لهم بالتقدم لاجتياز الشهادة الابتدائية[1705]، فقط التي تمنح لصاحبها الشيء الكثير، سواء الحق في متابعة الدراسة، أو حتى الحق في ممارسة مهنة معينة (كاتب، مترجم، مسير...إلخ)، لكن التقدم لهذه الشهادة محفوف بعدة شروط من بينها :

لقد كانت الإدارة الاستعمارية تراعي عامل السن (العمر) كثيرا، حيث كانت تعطي الأولوية للتلاميذ الذين هم في السن القانونية، كي يجتازوا امتحان الشهادة الابتدائية. أما من فاق عمره 14 سنة، فكانت تمنح له فرصة الالتحاق بقسم خاص يسمى" نهاية الدروس الابتدائية " "Cours fin d'étude"، ليتقدم إلى امتحان الشهادة الابتدائية، وإن كان والده من أعيان الحاضرة يسمح له بإجراء امتحان ثان في بداية السنة الدراسية الموالية للالتحاق بالمتوسط، وعند نجاحه لا يدرس السنة

[1704] محمد حناي : نفس المرجع، ص.81.

[1705] نفسه، ص 82.

الأولى متوسط، بل يلتحق بالسنة الثانية متوسط، حتى يعوض ويلتحق بزملائه. أما الذين كانت نتائجهم ضعيفة، فيحولون للتعليم المهني[1706]. وأول دورة جرت في الوادي شارك فيها تلاميذ من حاضرة قمار، هي دورة سنة 1912، التي تقدم إليها التلميذ زردومي أحمد بن معمر، وتحصل منها على الشهادة الابتدائية، وكان رقم تسجيله 02/217، وبعدها واصل دراسته بتبسة بحسب ملاحظات سجل القيد[1707]. عملت الإدارة الفرنسية بهذا النظام التعليمي، حتى تتحكم في إعداد نخبة تخدم مصالحها، وتخرج مهنيين يقضون حوائجها، التي تحتاج إليها في شتى المجالات.

2 - دور المدارس الأهلية في تكريس التأقلم بوادي سوف :

إن إنشاء المدارس الأهلية خطوة من خطوات تكريس هيمنة السياسة الفرنسية، من خلال البعد السياسي، وبسط سياسة التغريب على المستوى الثقافي. وأمام هذه الأهداف نجد أن المدارس الأهلية لم تدخر جهدا في إرساء الأهداف الاستعمارية، لإنجاح الاستيطان من خلال برامجها المتنوعة، وظهر ذلك جليا في مدى التأثير على سكان المنطقة على جميع المستويات الثقافية منها والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فعلى المستوى الثقافي، برزت الأهداف التعليمية من خلال البرامج المختلفة في جميع الأطوار، خاصة التعليم الابتدائي، لأن المنهاج يحاول طمس جوانب من الشخصية الجزائرية في جانبها الثقافي لغويا وفكريا، إذ هو الحصن الحصين في وجه التغريب، ونلمس تأثير المدرسة الأهلية على مستوى هذا الجانب فيما يلي :

1 - تنشئة فئة من السكان المسلمين الجزائريين متأثرة بالثقافة الفرنسية من ناحية، وبأنماط الحياة اليومية للمعمرين الأوربيين، مما جعلها تمثل فئة النخبة. ذلك ما أدى إلى حدوث اهتزازات على مستوى المنظومة الثقافية، والقيم والمبادئ المرتكزة عليها العادات والتقاليد المحلية، وما انجر على ذلك من انحرافات على مسار التوجه الثقافي للمنطقة.

2 - ارتفاع المستوى الثقافي في التعليم الأوروبي. ذلك ما أثر على المنظومة التعليمية المحلية البسيطة والتقليدية، فنتج على ذلك حالة من ازدراء، أو زهد للثقافة والتعليم المحليين، فكانت الوجهة نحو

[1706] محمدحناي : نفس المرجع، ص 82.

[1707] **Registre matricul**, N 2, (1909 1913), Op. cit, p09.

المدرسة الفرنسية. ذلك ما راهن الإصلاحيون محافظون كانوا، أو جدد على مقاومته، والتصدي له بأي شكل من أجل تحصين الناشئة.

3 - إن الجهد الذي قامت به تلك المدارس من خلال إيفادها بعضا من تلامذتها، وإرسالهم لتلقي المزيد من العلوم و المعارف في خارج المنطقة، من خلال الرحلات، التي تقيمها المدرسة لبعض التلاميذ، مثل إرسال لخضر شبرو، والأمين العمودي للمدرسة بقسنطينة، كان له دون شك باعث في أنفس السكان المسلمين، مما رفع من حالة الإعجاب بالثقافة الفرنسية، والمصادر المرتبطة بها، ما قد شجع البعض منهم على الارتماء في أحضان المنظومة الثقافية الفرنسية. وهو المسعى الذي كانت فرنسا تهدف إلى تحقيقه من خلال بعض الجوانب المتعلقة بسياستها التغريبية.

4 - تواجد المدارس الأهلية، كمؤسسات تعليمية في عمق الصحراء، كان له جانب من التأثير على النظرة النمطية إلى فرنسا على أنها فعلا صاحبة رسالة حضارية، مما قد يوحي إلى تعطيل مفهوم المقاومة في وعي السكان المسلمين الجزائريين، الذين استولت عليهم أفكار توحي بصداقة فرنسا وسلوكياتها الإنسانية، ورسالتها الحضارية[1708]. ذلك من خلال الأدوار والخدمات الإنسانية، التي يقدمها المعمرون بجميع أطيافهم، معلمون أو إداريون، أو أطراف فاعلة بالمؤسسة الدينية المسيحية.

أما تأثيرات المنظومة التعليمية الفرنسية على الجانب الاجتماعي والاقتصادي، كان واضحا وجليا، في تمكين المتمدرسين بالمدارس الأهلية من شغل وظائف عمل ساهمت في رفع مستوى الدخل الفردي لكل منهم، مما ساهم في تحسين المستوى المعيشي ولو نسبيا، جعل السكان المسلمين ينظرون، لهذه الفئة نظرة ملؤها الاستحسان، نتيجة ما أصبحت عليه تلك الأسر والعوائل من تحسن على مستوى الحياة بجميع مستوياتها. ذلك بدوره أحدث ارتباكا على مستويات النظر تجاه السياسة الاستعمارية، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، رغم سياسة الاضطهاد والابادة، لكن محاولات كسب رهان البقاء في المستوطنة، جعل الكثير ينبهر بالسياسة التنموية المحتشمة، التي أبدتها الإدارة

[1708] تيران ايفون : المرجع السابق ، ص 12.

الاستعمارية على مستوى مناطق الجنوب، وخصوصا خلال أواخر الأربعينات من القرن 20م. ذلك كله ساهم في تشكل مواقف لين تجاه السياسة الاستعمارية، رغم بقاء النظرة العدائية من قبل فئات المقاومة المتمثل في أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والنخبة السياسية على رأسها أعضاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب)، التي ظلت تناوئ المحتل، نتيجة ما تحمله من مقومات مناعة تجاه كل محاولة، لا تؤدي إلى استرجاع السيادة الوطنية على جميع الأصعدة، على رأسها الصعيد الثقافي، وما يشكل من ممانعة حضارية. وأمام هذه المواقف المتباينة، فإن الإدارة الاستعمارية، ظلت تراهن على تكريس سياسة الاستفادة من الموارد البشرية في مختلف المجالات، والاهتمامات بتنمية النشاطات المهنية بتعليم التلاميذ عددا من الأنشطة والحرف، ومختلف المهن المتاحة بالإقليم، خاصة منها القريبة من الحياة اليومية، كنسج الزربية، أو تلك التي يمكن للتلاميذ الاعتماد عليها، لوفرة موادها الأولية. ومن ذلك ما تعلق بتنمية النشاط الحرفي القائم على النجارة الخشبية منها تحديدا، التي كانت مرتكزة في الغالب على العمـــل اليـــدوي، وما كان متوفرا آنذاك من محدودية في الوسائل، والأدوات البسيطة، إلى جانب شيوع حرفة النقش على الجبس، حيث أن وفرة هاته المادة، التي كان يعتمد عليها في الإنتاج المحلي قد ساعد على أن تلقى مزيدا من الاهتمام، وهو ما تجسد في براعة الإنتاج بشكل عام، هذا ما جعل المدارس الأهلية قد تتجاوز العملية التعليمية إلى مرحلة تكريس ثقافة النشاط المهني، قصد رفع مستوى التأهيل لدى العمالة المحلية. والعمل على رفع مستوى الاهتمام بالثقافة الصحية، ونشر الوعي المرتبط بذلك، من خلال ما كانت تبرزه من سلوكيات، توحي بحرص شديد السعي للمحافظة على سلامة الأبدان، كما كانت تسعى المدارس الأهلية على تأمين سلامة العقول من تدريب التلاميذ على مختلف الرياضات البدنية، ومزاولتها، كنشاط رياضي جماعي، إلى جانب المشي على خشبة معلقة في الهواء والقفز على الحبل[1709]. ذلك ما قد يكون له ارتباط بإعداد التلاميذ، لمرحلة ما تؤهلهم لمباشرة الانخراط في النشاط العسكري، أو على الأقل ما يفشي بينهم نوعا ما قد يشبه التدريبات العسكرية الخاصة، وأن مثل هاته الأنشطة

[1709] **حوار** مع أحمد خراز، المرجع السابق.

كثر الاعتماد عليها خلال فترة الحرب العالمية الثانية[1710]، مما يمنح انطباع، بأن المدارس الأهلية، لم تكن بمعزل عن العمل، لتكريس ثقافة متكاملة، وفق منظومة شاملة قائمة على تحقيق أهداف السلطة الاستعمارية.

5 - يضاف إلى ذلك الأنماط الجديدة، التي أكسبتها المدارس الأهلية لتلاميذها من خلال الثقافات الغذائية المختلفة الدخيلة على السكان المحليين، حيث كانت المدارس قد عملت على تنويع وجباتها الغذائية المقدمة، وغير المعهودة. ومن ذلك على سبيل المثال، لا الحصر استحضار الجبن مرة في الأسبوع المستقدم من مدينة بسكرة، وهو ما يعكس ندرة الجبن على مستوى منطقة وادي سوف[1711] الأمر الذي أكد لنا ما حققته هاته المدارس في هذا المجال، وتعريف التلاميذ على ألوان غذائية تسهل عليهم سلامة التعامل معها، أو تناولها في حال اتصالهم بأوساط مغايرة للوسط المحلي المعاش. والأبعد من ذلك الـــتأثير على لغة تخاطب السكان المحليين، التي مزجت بعض المفردات الفرنسية أثناء التخاطب بين أفراد الأسرة الواحدة، أو بين طبقات المجتمع في العمل والبيع، و الشراء أو المعاملات الإدارية، بحيث أثرت المدرسة من خلال تسرب بعض الكلمات (الألفاظ)، وجعلها معتادة على الألسن. وبذلك عملت على طمس معالم اللغة العربية، خصوصا الألفاظ المتعلقة بالوسط المدرسي مثـــــل :

- كريو – قلـــم رصاص.

- الستيلو – قلم الحبر. -الطبلية – المئزر. - لونكر – الحبر. - الأردواز – اللوحة. - الروت – الطريق المعبد. ليكول أو الكوليج – المدرسة. - الكرطابل – المحفظة. - الطابلة – الطاولة. وألفاظ أخرى قريبة من هذا الوسط مثل :

[1710] **حوار** مع أحمد خراز، نفس المرجع.

[1711] **حوار** مع أحمد خراز، نفس المرجع.

- الطاكسي أو الطونبيل – السيارة. - الكاميو – الشاحنة. - القيزرنة – الثكنة العسكرية. - لامبه – مصباح كهربائي. - كوزينة – مطبخ. - طاس – إناء لشرب الماء. - فريجدان – ثلاجة. - المالبوزة – دقلة نور في شكل معجون وغيرها من الألفاظ كثير.

6 - كما نلمس التأثير الثقافي للمدارس في طبيعة اللباس عند سكان المنطقة، وتغيره. ذلك اللباس الذي كان مكروها أو محرما، أو مرتبطا بلباس الكفار، فصار أمرا عاديا ومألوفا، فاكتساب التلاميذ لثقافة جديدة دفعهم للمطالعة في الكتب والقصص، التي يتيحها لهم المعلمون، والإقبال على قراءة الصحف، أو كتابة مقالات فيها، وإرسال احتجاجات للجهات المختصة باللغة الفرنسية[1712]، رغم ما استطاعت المدارس الأهلية القيام به من إحداث تأثيرات ثقافية على سكان المنطقة، إلا أن الصراع الذي كان بينها، وبين المدارس الإصلاحية، خاصة بعد 1947، وجهود العلماء حافظت المنطقة على مقوماتها الحضارية، رغم ما شابها من انحرافات وانتشار بعض الآفات الأخلاقية، كشرب الخمر في الحانات، وبيوت الدعارة المستحدثة والمرخص لها قانونا[1713].

3 – المدارس الأهلية وتحقيق التعايش النسبي :

إن المدرسة مسرح فسيح، لاستعاب عدد معتبر من التلاميذ، مما يشجعهم على الاحتكاك ببعضهم، هذا ما ساهم في تنوع التركيبة الاجتماعية المشكلة للنسيج المدرسي في المؤسسة التعليمية، مما أوجد نوعا من التمازج بين مجموع العناصر البشرية المشكلة للنسيج

[1712] بن سالم الشايع وآخرون : المرجع السابق، ص 78.

[1713] ما يلاحظ عن النسوة اللاتي يمارسن الدعارة هن لسن من المنطقة في الأصل، لكن ذلك ساعد على تفشي هذه الظاهرة ولوسريا لأن الأمر يتعلق ببشر ينتابهم النقص والضعف أمام هذه الظواهر السلبية. كما أقر بأن مثل هذه الظواهر ليست مرتبطة ارتباط لصيق بأي جهة، لكن السماح وتقنين تعاطيها يحمل الإدارة الاستعمارية العبئ الأكبر، لانها تابعت تلك المحلات متابعة دقيقة، حتى أنها كلفت أطباء المصحات المتوفرة بتراب الإقليم بالقيام بمتابعة النساء الممارسات لهذه المهنة بصورة مستمرة ودقيقة. والمترددون من الرجال على مثل هذه المحال ليسوا بضرورة هم السكان المسلمون الجزائريون بالإقليم. – **حوار** مع السيد أحمد خراز بيته الكائن بحي المصاعبة الوادي في 23 ذي الحجة 1432هـ الموافق 19 نوفمبر 2011، مساء.

الاجتماعي لوادي سوف، فكانت المدرسة الأهلية الوعاء المساعد على إحداث تعايش نسبي، بين العناصر الرئيسية المحلية منها، فضلا عن اليهود وبقية الأوربيين[1714]، وانخراط مجموع التلاميذ المنحدرين من أصل هذا النسيج، مشكلا نوعا من التقارب، والتواصل، الذي تجاوز فئة التلاميذ، ليصل إلى الأسر المنحدرين منها، وتجلى ذلك في تقليص الهوة بين العناصر المتمايزة اجتماعيا عندما انخرط بعض أبناء السكان المحليين في العمل عند الفرنسيين، مما جعل المدرسة الأهلية، تحدث تحولات اجتماعية غيرت من ملامح العلاقات داخل الإطار الاجتماعي. ذلك تبعا لتراجع حدة التنافر المتبادل، وامتداد الجسور، التي لطفت الأجواء، وساعدت بمرور الزمن، في ظل تغيير وجهات النظر، والموقف نحو السلطة الاستعمارية، وهو ما يمكن تلمس بعضا من إرهاصاته، خاصة التحول الذي حصل على مستوى مسارات الهجرة الخارجية، التي كانت في غالبها نحو الشرق، لتتحول أفواجا كانت تتزايد من سنة لأخرى، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية صوب الغرب، خصوصا نحو الأراضي الفرنسية[1715]. هكذا فإن التأثيرات الثقافية، التي تركتها المدارس الأهلية، كانت متفاوتة تبعا للتحولات السياسية، التي شهدتها الجزائر المحتلة، هذا بدوره ينعكس على منطقة وادي سوف، التي كان لها حضور مستمر، لما كانت تلعبه المنطقة من أهمية إستراتيجية. انطلاقا من الأبعاد الحدودية المتجاورة لإقليم الجريد التونسي، وما كان لهذا الإقليم من تأثيرات حضارية، خاصة التعليم، لكون الإقليم يعج بالزوايا والمدارس والمعاهد التابعة لجامع الزيتونة، فكان ذلك في إطار المقاومة الثقافية، رغم الموقع الحدودي، لكن السيطرة الاستعمارية، التي كانت تفرضها الإدارة الاستعمارية، جعل الإقليم ينسجم والمنظومة السياسية، التي حاولت فرنسا تطبيقها على جميع مستعمراتها، قصد فرض هيمنتها دون التساهل. ذلك من اجل إحكام قبضتها عن كامل تراب البلاد قاطبة.

[1714] كتب أحد ضباط المكاتب العربية بمحاولة تطبيق سياسة الإدماج بما يتماشى ومصالح الاستعمار قائلا – إني لا أيأس ....أن يتم جمع اليهود والمغاربة والفرنسيين والإيطاليين والأسبان أمام أستاذ واحد، وفي نفس الحصص الدراسية، ينبغي أن يتم تحضير الإدماج داخل المدارس – ينظر فركوس صالح : المرجع السابق، ص 391.

[1715] زوزو عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 34.

وخلاصة القول فالوضع الثقافي بوادي سوف، كان وضعا مرهفا، مما سمح للإدارة الاستعمارية أن تحقق بعض الأغراض الاستعمارية، من خلال سياسة التغريب الممارسة في حق السكان المسلمين الجزائريين. علما أن اليهود قد استفادوا من قانون كريميو، الذي بموجبه تحصلوا على الجنسية الفرنسية، هذا ما جعلهم يتمتعون بكامل الحقوق. أما الجزائريون من سكان إقليم وادي سوف، فظل وضعهم يسيَّر بقانون " الأنديجان "، والمعروف بقانون الأهالي، فكان على هذه الفئة ذات التعداد الأكبر، أن تعيش الاضطهاد، حتى على المستوى الثقافي، الذي لم يمنع من التمييز. انطلاقا من سياسة التهميش من جهة، والتباطؤ في تسريع تنفيذ القوانين والمراسيم، والقرارات، التي يتوسم منها نسبة من الصلاحية لصالح الفرد الجزائري من ناحية أخرى.

في حين أن حجم المقاومة، لم يكن في صالح الغالبية العظمى من السكان المسلمين الجزائريين. ذلك ينعكس من خلال المستوى التعليمي البدائي؛ الذي يعتمد التعليم القرآني البسيط والمحدود، الذي يرتكز على الحفظ، في حين أن التعليم المستنير، والمتمثل في تعليم المعاهد الإسلامية، كان محدود الانتشار، بل أن تعداد الطلبة لا يفوق تعداد أصابع اليد في كامل حواضر وادي سوف. بخلاف قمار والزقم اللتان كانتا تتميزان بالطابع الزراعي، الذي بدوره ساعد على الاستقرار. إضافة إلى أن حاضرة قمار، كانت بها الزاوية التجانية، التي فتحت أبوابها لتعليم فئة معينة من أبناء قمار، وباقي حواضر وادي سوف. والمدرسة التي افتتحتها الزاوية القادرية باعميش، التي لم تستطع الصمود أمام العراقيل، التي كانت تحدثها الإدارة الاستعمارية، نتيجة العلاقة المتوترة بينها وبين شيوخ الزاوية، خاصة الشيخ محمد الهاشمي الشريف، وخليفته الشيخ عبد العزيز الشريف، لتفتتح المدرسة العصرية من قبل الشيخ عبد العزيز الشريف، التي لم تعمر طويلا، نتيجة أحداث أفريل 1938، هذا ما جعل مستوى المقاومة الثقافية غير مؤثر.

أما التأقلم فقد كان بارزا بحجم الوسائل المتاحة بدءًا من التعليم، الذي كان ينظر إليه بكثير من الريبة والشك، لكن بعد الحرب العالمية الأولى تغيرت النظرة، وأصبح عدد الوافدين على المدارس الأهلية في تزايد، رغم السياسة الاستعمارية التي ظلت تتعامل مع السكان المسلمين تعاملا يشوبه

التمييز، حيث أن حجم التنمية المحلية معدوم. أما المستوى التعليمي المتداول، فهو التعليم الابتدائي، الذي لم يؤهل الكثير من أبناء الإقليم من مواصلة تعليمهم، بل نلمس السياسة الاستعمارية الموجهة، التي تسعى إلى تكوين عمالة أكثر تأهيلا، وبذلك تضمن الإدارة الاستعمارية عمالة ذات مستوى علمي محدود، لكن يضمن الحد الأدنى من المهارة الواجب توفرها، هذا بدوره رفع من عدد الراغبين في التعلم بالمدرسة المهنية، كما تزايد أعداد المتمدرسين، علما أن مستوى التأهيل البسيط يضمن، للمتكون موضعا اجتماعيا مرموقا نسبيا. ومن هنا تبين أن التأقلم لم يكن متناسبا مع حجم الخدمات المتاحة، ومع ذلك فإن التأثر بالمدنيَّة الغربية كان واضحا، مما سمح لشريحة كبيرة أن تستغله في رفع مستويات المواجهة من خلال استغلال الوسائل المشروعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــــــــــاتمـــــــــــــة :

الاحتلال ظاهرة تاريخية، فرضتها الأوضاع، التي آل إليها العالم، مما نتج على إثرها متغيرات جديدة، كان من أهمها : بروز الدولة الحديثة بأوربا الغربية، وظهور الثورة الصناعية بها، هذا ما دفع بكل من

فرنسا وانجلترا إلى توسيع نطاق نفوذهما، للتعويض عما فقداه في العالم الجديد، وذلك خلال القرن 19م. فكان الوطن العربي برمته مسرحا هاما، لتحقيق أغراضهما الاستعمارية، انطلاقا من الموقع الاستراتيجي، والإمكانيات الطبيعية المتنوعة.

والجزائر بموقعها الاستراتيجي بالنسبة للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كانت منذ القرن 16م محل أنظار الدول الغربية، هذا ما جعل فرنسا تراهن على الظفر بمكانة معتبرة، لدى السلطات الجزائرية في العهد العثماني، لكن هذا لم يمنعها من التخطيط للاستحواذ على الجزائر كمستعمرة استيطانية، تعويضا عن ما فقدته في العالم الجديد. وعلى هذا الأساس كان التواجد الفرنسي بالجزائر، تواجدا استيطانيا، مما جعل التفكير في بسط النفوذ على كامل التراب الجزائري أمرا محتوما. وكان من أهم الآليات المستغلة في ذلك التمدن كمظهر أساسي في بسط النفوذ، ذلك بالتأثير على الأجيال الجزائرية المتعاقبة.

والإقليم المدروس، هو إقليم وادي سوف الصحراوي، الذي يقع بالجنوب الشرقي بالجزائر، وهو إقليم حدودي طرفي، يحاذي القطر التونسي من خلال إقليم الجريد، كما يلتقي مع القطر الليبي من خلال منطقة غدامس، بالإضافة إلى الطابع التضاريسي، الذي يتميز بالانفتاح، وطغيان الرمال على سطحه، لأنه جزء من العرق الشرقي الكبير، فهذا الموقع والتميز التضاريسي، جعله منطقة إمداد وتموين مادي، وبشري للمقاومات الشعبية المتعاقبة خلال القرن 19م، رغم الموقف المشوب، الذي قوبلت به القوات الفرنسية عند احتلال الإقليم، ذلك يعود إلى طبيعة الإقليم المفتوحة والمكشوفة، التي لا تسمح بتحويل جزء من الإقليم مصرحا للمجابهة من ناحية، يضاف إلى ذلك كون الإقليم، لم يكن مؤهلا سياسيا، لغياب التمثيل السياسي، مثل ما كانت عليه منطقة الزيبان، ممثلة في بسكرة، ووادي ريغ، ممثلة في تقرت، رغم مشاركة العديد من أبناء إقليم وادي سوف في الكثير من المقاومات، التي حدثت هناك. من هناك نستطيع أن نقف على مستوى المقاومة على أراضي الإقليم، لكن هذا لم يكن ملمحا انهزاميا تام. ذلك لما ظل الإقليم يقدمه للمقاومين من دعم مادي ومعنوي منذ 1854، إلى أن احتُل سنة 1882 بصفة نهائية. ومما سبق يتبين أن المقاومة المسلحة، لم تكن حاضرة في الإقليم بقوة، نتيجة الوضع الانقسامي القبلي، الذي بدوره أعاق غالبية المحاولة، بالإضافة إلى تواجد الطرق الصوفية، التي توزعت بين القادرية والرحمانية والتجانية، حيث كانت الأولى في غالب الأحيان مناوئة للسياسة الاستعمارية، دون أن ننسى مواقف شيوخ زاوية الرباح القادرية المتماشي مع المحتل، وذلك ماثل في حالات من التناغم. أما الطريقة الرحمانية "العزوزية"، فالتزمت الحياد، رغم

الاستفادة من العرض، الذي قدمته الإدارة الاستعمارية عند تهديم منارة مسجد سيدي سالم باستخدام المتفجرات " تينتي " حوالي 1904، الذي قبله الشيخ سيدي محمد الصالح، رغم الرفض الذي أبداه شيخ الزاوية سيدي مصباح، غير أن فطنة الشيخ محمد الصالح جعلته يقبل بمساعدة الإدارة الفرنسية. ذلك للتطور الذي كانت فرنسا تتمتع به، لذلك ظلت العلاقة بين الزاوية العزوزية، والإدارة الاستعمارية علاقة باردة، نتيجة الحياد الذي وقفته الطريقة. أما الطريقة التجانية فكان موقفها الاستسلام لقضاء الله، فكان ذلك لسان حال غالبية المريدين، مما عُدَّ ذلك ملمح من ملامح التأقلم. ومنذ ذلك الحين ظلت العلاقة بين الطريقة التجانية والإدارة الاستعمارية علاقة احترام متبادل، مما جعل الزاوية التجانية تستفيد من مميزات، كإسقاط الضريبة المستحقة على الزاوية بجميع صورها.

أما إداريا فقد عمدت فرنسا منذ الوهلة الأولى من تواجدها في الإقليم على عناصر محلية لتسيير الشؤون العامة، دون جلب عدد غفير من المعمرين، لأداء الغرض. ذلك ما أثر على نسبة تواجد الكولون الضئيلة، التي قللت من استفحال مظهر التأقلم. أما قضائيا حاولت فرنسا منذ تواجدها بالإقليم تفادي التصادم من خلال العمل بنظام المحاكم الشرعية. ذلك في نطاق الأحوال الشخصية، في حين كانت قضايا الإجرام والجنح تنظر على مستوى المحاكم الفرنسية الإقليمية، ومع ذلك لقي القضاء الشرعي استحسانا معتبرا من قبل السكان المسلمين الجزائريين ، حيث بدأ العمل به رسميا منذ سنة 1854، وذلك من خلال آليات الضبط والتسجيل، اللذين كانا غائبين إلا في حالات نادرة، نتيجة غياب السلطة المنظمة، لذلك مثل ما هو الحال بالنسبة للزيبان وتقرت، وبذلك أصبح للمحاكم الشرعية دور كبير في ضبط النظام على مستوى الأحوال الشخصية، كعقود الزواج والطلاق، وعقود البيع والشراء، التي أصبحت ضامنا شرعيا، وإداريا للحقوق العينية والأحوال الشخصية، وكان الإقبال للتعاقد أمرا اعتياديا. ذلك على نطاق الوادي وقمار، وكوينين، التي أنشئت بهم محاكم شرعية. كما أصبح لسجلات المحاكم الشرعية دور في معرفة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، لإقليم وادي سوف، يضاف إلى ذلك سجلات الأحوال المدنية، التي بدأ العمل بها في 1921 بكوينين، وظلت العملية متواصلة حتى 1937، لتشمل الوادي المركزي؛ أي عرش طرود، وقد سارع السكان في الحواضر الكبرى كالوادي وقمار، وكوينين، وما جاورهم من العمل بالأحوال المدنية، التي ساعدت السكان على سلاسة التعامل. كما اعتبرها الغالبية أنها حق من الحقوق، التي لا يمكن الاستغناء عنها.

أما اجتماعيا فإن ملمح المحافظة ظل سائدا بخلاف بعض الاستثناءات، التي عرفها الإقليم دون أن نبرئ المجتمع تبرئة كاملة، هذا ما أقره الأستاذ حمزة بكوشة في أحد زياراته المدونة، التي وصف من خلالها بعض مظاهر التفسخ. كما أن الحانات التي كانت مفتوحة يتردد عليها أبناء الإقليم، باعتبار أن المعمرين كانوا قلة. إضافة إلى مظاهر عديدة، كبيوت الدعارة، التي وإن لقيت استهجانا من البعض، إلا أنها ظلت تعمل دون توقف، إلا في بعض الأوقات. ومن هنا كانت قابلية التعاطي مع مثل هذه الظواهر أمرا فرض نفسه بالإقليم، نتيجة غياب الوعظ، وانحصار دور المساجد في تعليم القرآن الكريم، وأداء الصلاة، دون الاهتمام بالجانب الإصلاحي بصورة واسعة، إلا بعد ظهور الحركة الإصلاحية المتمثلة في جمعية العلماء، دون أن ننسى الجهود الفردية المبذولة من قبل المصلحين المحافظين، كالشيخ عبد الرحمان العمودي وإبراهيم بن عامر وغيرهما.

أما على مستوى التنمية الاجتماعية، فقد استطاعت الأخوات البيض بوازع من المؤسسة الدينية المسيحية من تقديم مساعدات مادية لإشراك المرأة الماكثة في البيت في التنمية من خلال تمكينها من عتاد النسيج، والمادة الأولية لذلك شريطة أن كل ما ينسج يقدم للأخوات مقابل أجور، بحسب كمية الإنتاج، وفرض خصوصية تتمثل في إبراز الصليب على المنسوجات، وقد خصصت الإدارة قسما للنسيج بالمدرسة المهنية فانتشر نسيج الزرابي، التي فرض على النساجين أن يلتزموا بشارة الصليب، التي تتوسط كل زربية، إضافة إلى فتح جناح للفتيات لتعلم النسيج، فكان الإقبال عليه في البداية محتشما، لكن سرعان ما تزايد عدد الراغبات، فكان ذلك إعلانا صريحا، لتأقلم المرأة الشرقية مع المدنية الغربية، التي تسعى لإدماج الجميع في حقل الإنتاج، دون استثناء، رغم تواجد حرفة النسيج بالمجتمع، غير أنها كانت تغطي الاحتياجات الأساسية للبيت بوادي سوف، كباقي الأقاليم في كامل تراب الجزائر، هذا بدوره جعل الأم لا تكتفي بدور ربة بيت، بل صارت تتطلع إلى مشاركة الرجل مشاركة كاملة، غير منقوصة، خاصة في قمار.

أما على المستوى الاقتصادي، فالمنطقة لم تكن من المناطق المغرية، التي تستهوي المعمرين. هذا ما جعل عملية الاستثمار تنعدم على المستوى الزراعي، بخلاف زراعة التبغ، التي شهدت نوعا من الترويض. مما أدى بالفلاحين في قمار إلى تأسيس تعاونية تأسيا بالمحتل في إطار ضمان الحقوق، والتعاون مع أعضاء الحزب الشيوعي، لرفع المظالم، والتشهير بها لدى السلطات المعنية. أما الثروة الحيوانية فقد استفاد السكان المسلمون الجزائريون من بعض المعونات المالية في اطار المحافظة على النوع والسلالات، فكان ذلك من بين الوسائل المغرية نسبيا، مما رفع من حجم الضرائب المدفوعة

من قبل السكان المسلمين الجزائريين، رغم التذمر الواسع لدى الغالبية، فإذا ما نظرنا لحجم الضرائب المتزايدة من سنة إلى أخرى، مقارنة بتعداد القوة العسكرية المحدودة جدا بخلاف المجندين من الجزائريين الصبايحية، هذا ما كان يبدي حالة من التناغم بين سكان الإقليم والاقتصاد الكولونيالي، يضاف إلى ذلك الاعتماد الكامل في الغذاء الأساسي، والمتمثل في القمح والشعير المستورد من الأسواق الأوروبية، كما نلحظ ارتباط النسيج بالاقتصاد الفرنسي خصوصا، والأوروبي عموما. ذلك نتيجة الوضع المتردي، الذي آلت إليه الجزائر قاطبة، مما جعل التأقلم أمرا شبه حتمي. ذلك في ظل الحفاظ على الموارد، التي يتميز بها الإقليم من قبل المحتل، مما رفع حجم الثقة المتبادلة بينه، وبين السكان المسلمين الجزائريين، هذا ليس منا منه، ولا تفضلا، بل هو من باب احترام المبادئ العلمية، التي لا يمكن للمحتل أن يتخطاها، كما نلحظ المحاولات المتكررة لإدخال وسائل الاتصال، التي لقيت استحسانا واسعا، لدى غالبية السكان بجميع أطيافهم، هذا ما دلت عليه مداخيل القباضة البريدية، خاصة الهاتف. كما نجد المحاولات المتكررة لإيجاد وسائل نقل أكثر رفاهية. ذلك محاولة لفك العزلة عن الإقليم، حتى تكون مشاركته في دعم اقتصاد المحتل أكثر، مما جعل الغالبية يسارعون إلى البحث عن سبل تكون أكثر نفعا لهم.

أما الميدان الثقافي، فهو الميدان الذي عرف صراعا محتدما من أجل حماية المقومات الحضارية للأمة، إضافة إلى المستوى البسيط، الذي حاولت الإدارة الاستعمارية التأثير من خلاله، ألا وهي المدارس الأهلية المحصورة في مرحلة الابتدائي، رغم ذلك نجدها قد أثرت في العديد من الذين حاولوا محاكاة المعمرين، كرجال الدين المسيحي من خلال تقديم المعونة الغذائية، والمادية، بل حتى المساعدات الثقافية، وإنشاء مكتبة للمطالعة في مقر الكنيسة الكائنة بالوادي، دون أن ننسى المعلمين الفرنسيين. ذلك من خلال التعليم، وتمكين التلميذ من مكاتبهم المنزلية، مما شجع الكثير منهم من كسر حاجز التنكر، والنفور منهم، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

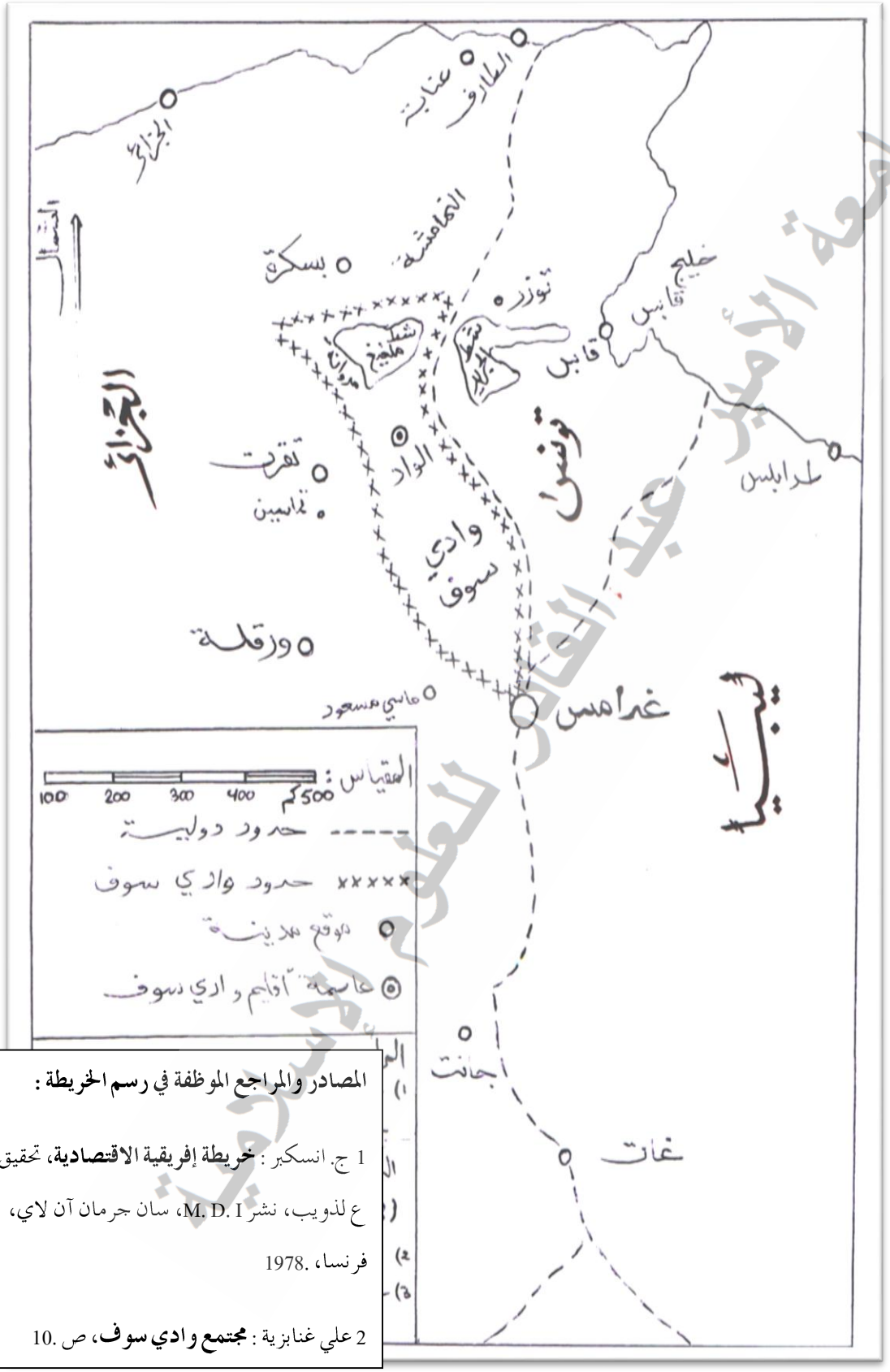
ومن خلال ما سبق، يتبين لنا مستوى التأثر، خاصة في ظل غياب غالبية مؤهلات التمدن، التي يفتقدها الإقليم، ذلك ما جعل عوامل الانبهار في تزايد ملحوظ من حين لآخر، دون تجاهل التعداد البسيط لتواجد المعمرين، بل حتى القوة العسكرية من الفرنسيين محدودة جدا، مما جعل من ملامح التأقلم تنحصر، ويبدو عليها الاستحسان أكثر مقارنة بالمدن، التي كان التواجد البشري للمعمرين كثيفا، ومع ذلك كانت هناك ملامح التأقلم حاضرة، مقارنة بحجم التواجد الأوربي بإقليم وادي سوف. ومن هنا نجد الإشكالية التي تطرح نفسها والتي مفادها إلى ماذا يعود التأقلم الذي برز بوادي

سوف؟ هل يعود إلى انبهار السكان بالمدنية الغربية؟ أم ضرورة التمدن الحضرية؟ إلى جانب إشكاليات عديدة تبحث عن إجابات، مما يستوجب مواصلة البحث في هذا الموضوع البكر والفسيح الجوانب التي ما تزال في طيِّ الكتمان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

الملحق رقم : 01. خـــريطة مـــوقع وحدود وادي سوف.



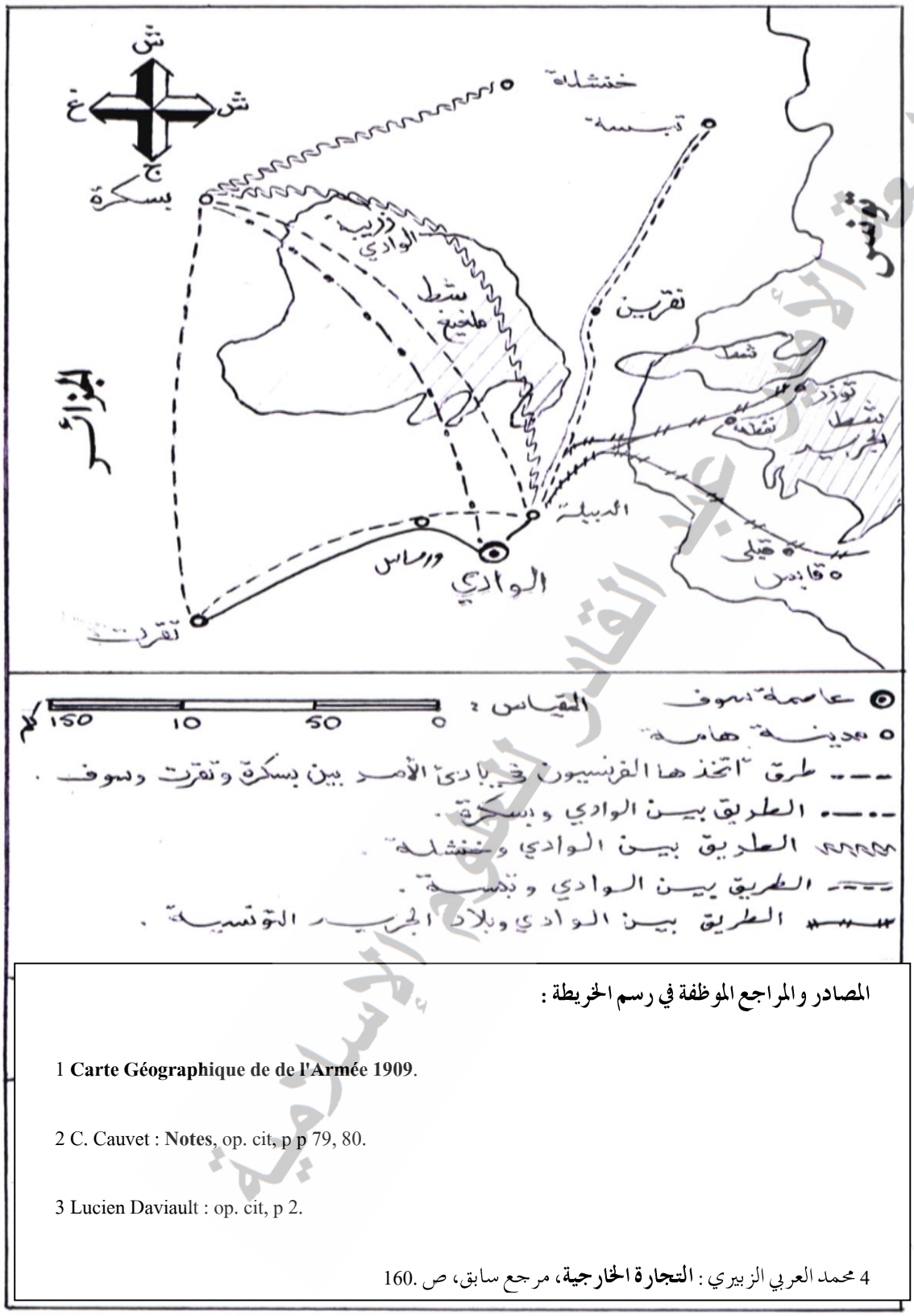
المصادر والمراجع الموظفة في رسم الخريطة :

1 ج. انسكبر : **خريطة إفريقية الاقتصادية**، تحقيق ع لذويب، نشر M. D. I، سان جرمان آن لاي، فرنسا، 1978.

2 علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 10.

الملحق رقم : 02. خـــريطة الطـــرق والمعابر التجارية المارة، والمنطلقة من وادي ســـوف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



المصادر والمراجع الموظفة في رسم الخريطة :

1 **Carte Géographique de de l'Armée 1909**.

2 C. Cauvet : **Notes**, op. cit, p p 79, 80.

3 Lucien Daviault : op. cit, p 2.

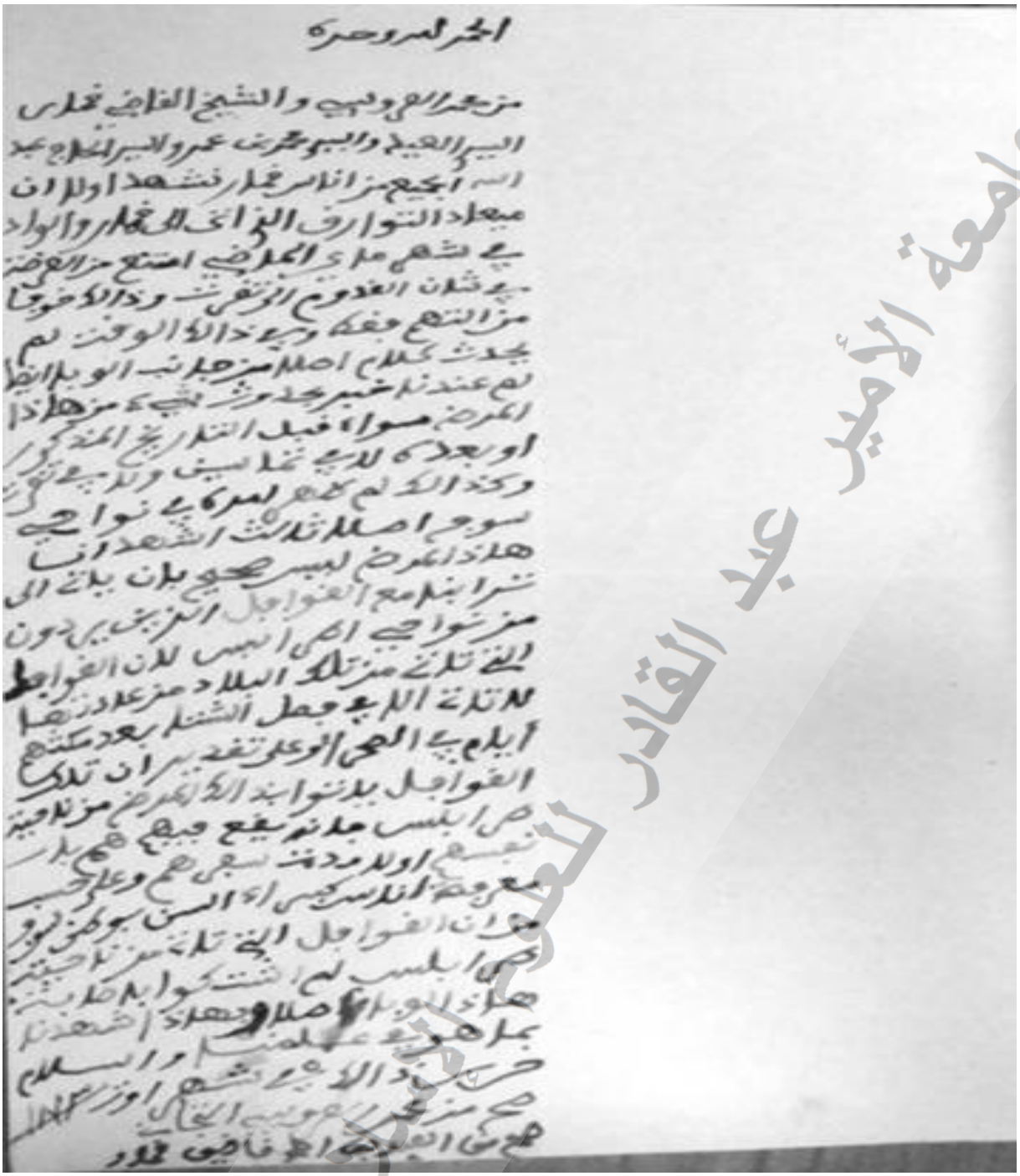
4 محمد العربي الزبيري : **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 160.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم : 03. صـــورة لرسالة بعث بها كل من محمد العروسي[1716] والشيخ القاضي قماري السيد العيد والسيد محمد بن عمر والسيد الحاج عبد الله من أناس قمار يشهدون أن التوارق الذين قدموا لقمار والواد في ماي 1873 ليسوا مسؤولين عن نقل المرض المتـــــــــــــــــــــفشي بالإقـــــــــــــليم، و الرسالة مؤرخة في 5 أوت 1873[1717].

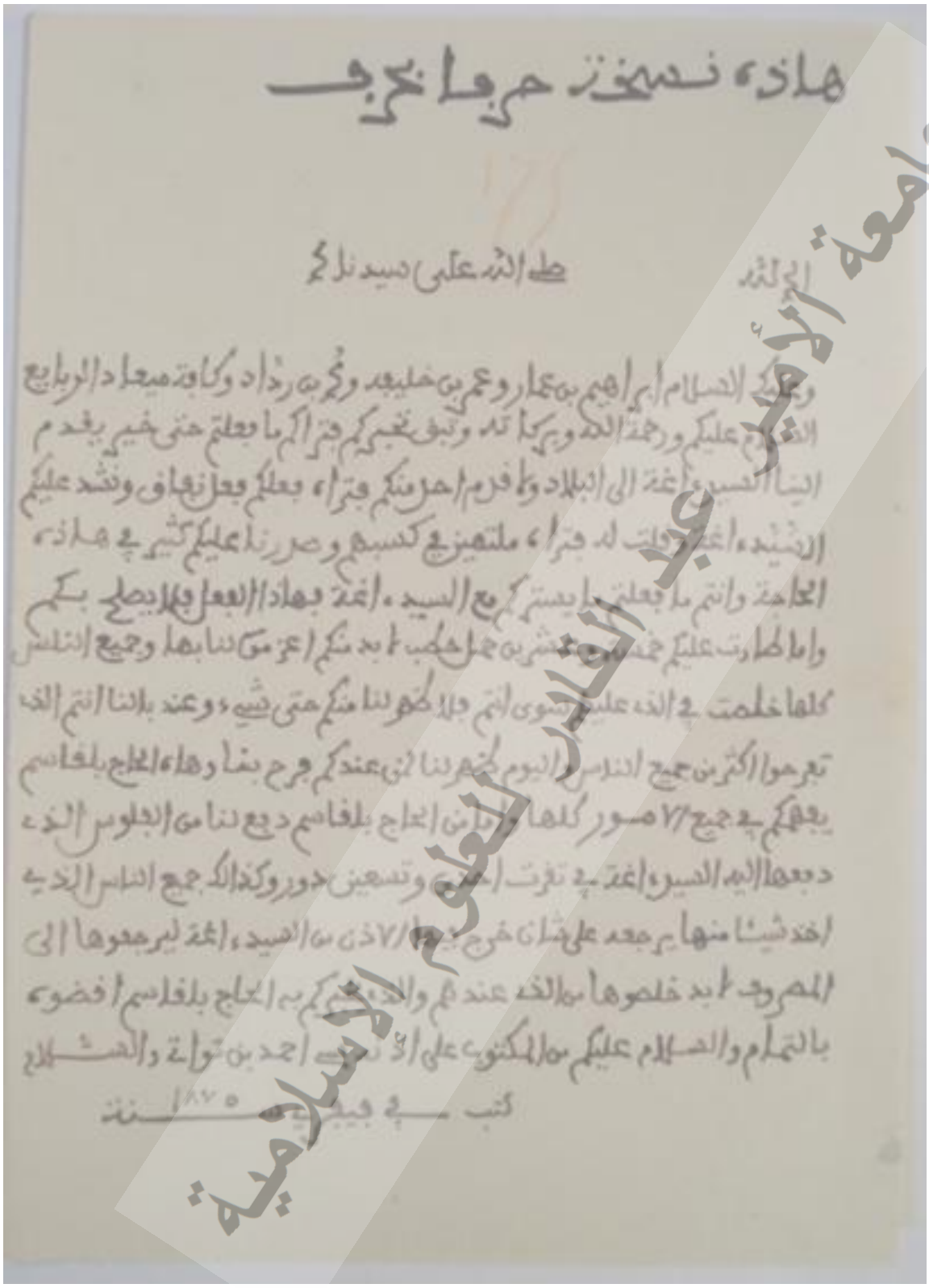
[1716] محمد العروسي شيخ الزاوية التجانية بقمار.

[1717] A. O. M : G. G. A 1 H 85.



الملحق رقم : 04. صورة لرسالة بعث بها القايد أحمد بن تواتي لمجلس ميعاد الربايع يخبره بضرورة دفع الضرائب الملزومة، وهي بتاريخ فيفري 1875[1718].

[1718] A. O. M : 8 H 6.



هاذه نسخة حرفا بحرف

صلى الله على سيدنا محمد

الى الله

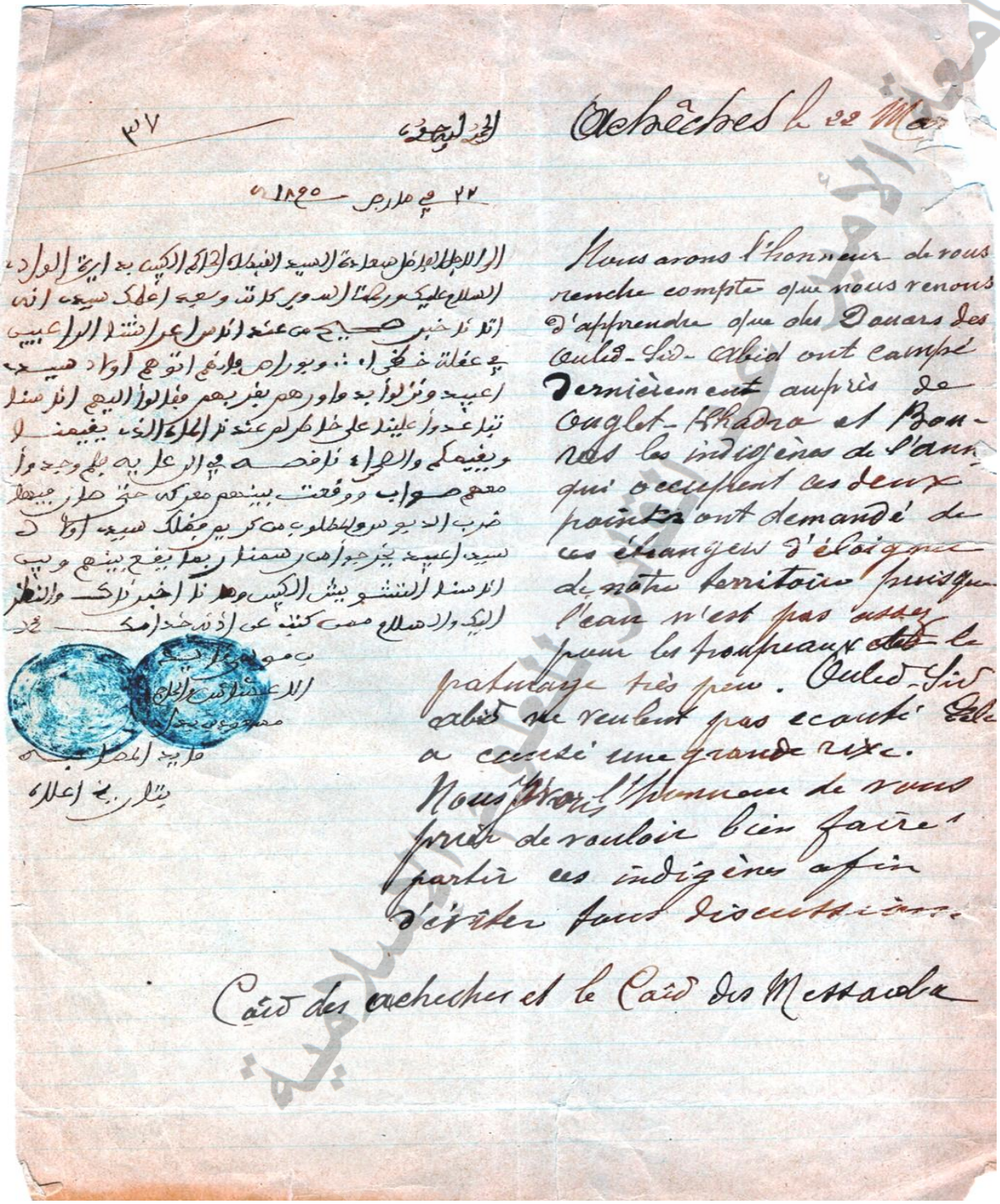
وعليكم السلام ابراهيم بن عمار وعمر بن خليفة ومحمد بن رداد وكافة معاد الربايع
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد نخبركم فتراكم ما بعلم حتى خير يقدم
الينا السيد اغة الى البلاد وما فرم احد منكم فترا، بعلم بعل زعاف ونشد عليكم
السيد اغة دلت له فترا، ملتهين في كسبهم وصررنا عليكم كثير في هاذه
الحاجة وانتم ما بعلتم ما يستركم مع السيد اغة بهاذا الفعل ولا يصلح بكم
واما الحاوت عليكم خمسة عشر بن جمل حلب ابد منكم اعزمتنا بها وجميع الناس
كلها خلصت في الذه عليها سوى انتم ولا لحقونا منكم حتى شيء وعند بالنا انتم الذه
تعرموا اكثر من جميع الناس واليوم لحقونا لي عندكم فرح بنا وهاذا الحاج بلقاسم
يعرفكم في جميع ٧٧ صور كلها واذا ان الحاج بلقاسم دفع لنا من الفلوس الذه
دفعها اليه السيد اغة في نوبة الحج وتسعين دور وكذالك جميع الناس الذه
اخذ شيئا منها يرجعه على شان خرج ٧٧ اذن من السيد اغة ليرجعوها الى
المصروف ابد خلصوها من الذه عندهم والذه يخبركم به الحاج بلقاسم افضوه
بالتمام والسلام عليكم من المكتوب على الله احمد بن توات والسلام

كتب في فيفري سنة ١٨٧٥

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم : 05. صـــورة لرســـالة من قايد الأعشاش وقايد المصاعبة إلى حاكم ملحقة الوادي يبلغانه فيها عن الوضعية التي آلت إليها مراعي رعاياهما بالصحراء، فلجؤوا إلى المناطق التلية فوقع

بينهم وبين ســـكان المناطق التلية مشادات، حتى يقدم لهم الحماية الكافية، وهي مؤرخة في : 22 مارس 1895[1719].



Achaêches le 22 Mars

Nous avons l'honneur de vous rendre compte que nous venons d'apprendre que des Douars des Ouled-Sid-Abid ont campé dernièrement auprès de Ouglet-Khadra et Bou-nes les indigènes de l'aur qui occupent ces deux points ont demandé de ces étrangers d'évacuer de notre territoire puisque l'eau n'est pas assez pour les troupeaux et le pâturage très peu. Ouled-Sid Abid ne veulent pas accepter cette a causé une grande rixe. Nous avons l'honneur de vous prier de vouloir bien faire partir ces indigènes afin d'éviter tout désordre.

Caïd des Achaches et le Caïd des Messaoda

٢٧

٢٢ في مارس ١٨٩٥

[1719] أرشيف ملحقة متحف المجاهد بالوادي.

ملحق رقم : 06. صـــورة لشـــهادة نهاية الدراسة الإبتدائية للتلميذ لخضر بن عمار (شبرو)[1720] المؤرخة في 04 ماي 1905[1721].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1720] شبرو اللقب الذي منح لعائلة الشيخ لخضر عند ضبط سجل الاحوال المدنية للطـــرود بوادي ســـــــوف خلال الفتـــــــــــرة الممتـــــــــدة ما بين (1934 – 1937).

[1721] الوثيقة مأخوذة من خزانة محمد نجل لخضر شبرو بحي الأصنام بالوادي.



ACADÉMIE D'ALGER

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

DÉPARTEMENT DE CONSTANTINE

INSTRUCTION PUBLIQUE

CERTIFICAT D'ÉTUDES PRIMAIRES

L'Inspecteur d'Académie du Département de Constantine,

Vu l'article 6 de la loi du 28 mars 1882,

Vu le décret du 27 juillet 1882,

Vu les arrêtés des 24 juillet 1888, 31 juillet 1897 et 20 septembre 1898,

Vu le procès-verbal de l'examen subi par M. Lakdar ben Ammar

L'ENSEIGNEMENT DES INDIGÈNES,

Vu le certificat en date du 4 Mai 1903, par lequel la Commission cantonale d' El Oued, siégeant pour la session de 1903, atteste que M(1) Lakdar ben Ammar, né en 1887 à El Oued, département de Constantine,

a été jugé digne d'obtenir le Certificat d'Etudes primaires,

Délivre à M. Lakdar ben Ammar le présent CERTIFICAT D'ÉTUDES PRIMAIRES pour servir et valoir ce que de droit.

A Constantine, le 1er juillet 1903.

L'Inspecteur d'Académie,

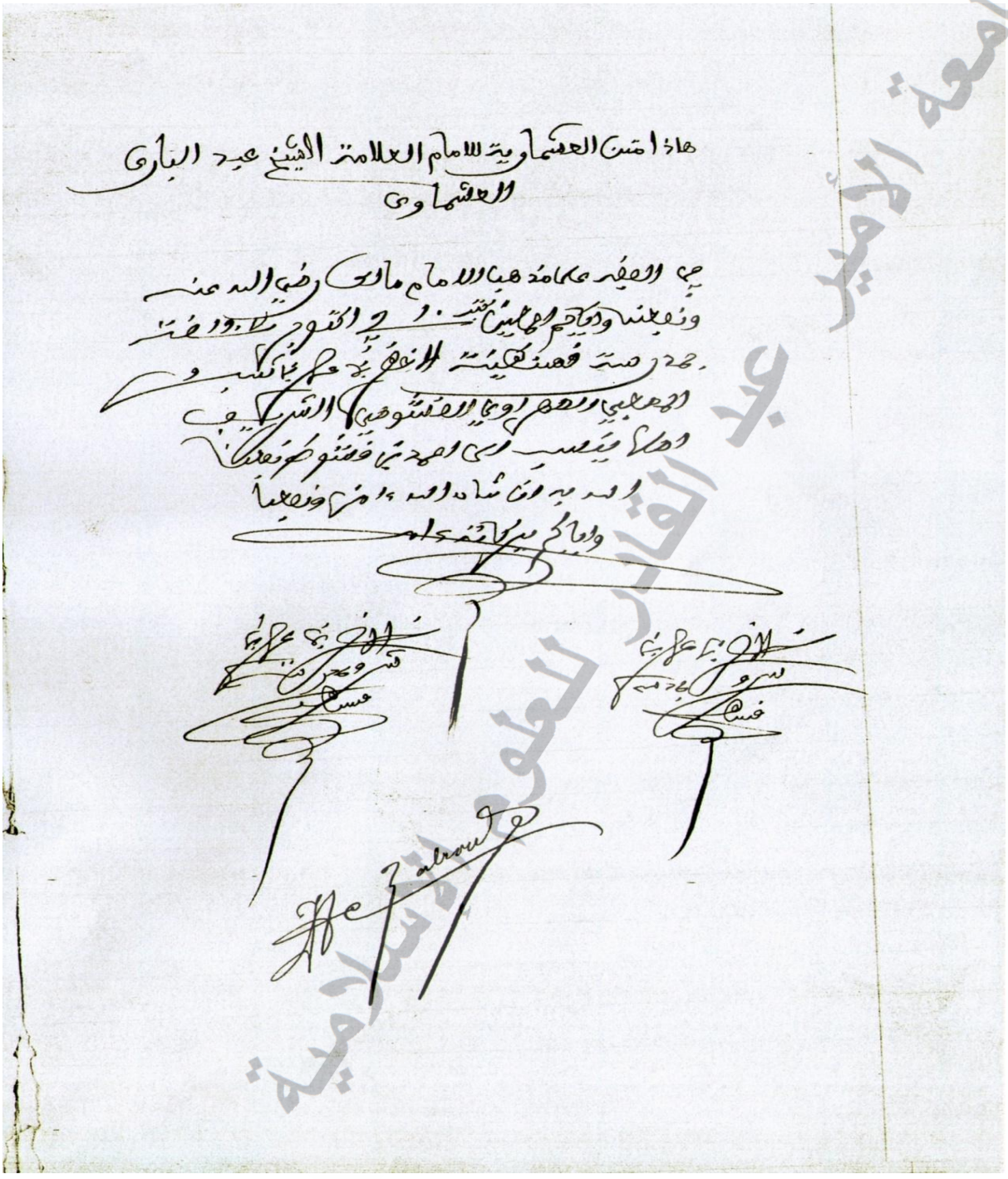
Signature du Titulaire :

Lakdar ben Ammar

(1) Nom et prénoms.

ملحق رقم : 07. صورة للصفحة الثانية من كراس الشيخ لخضر بن عمار (شبرو) وهو طالب بالمدرســـة بقسنطينة به العديد من الكتب بخط يده كمتن العشماوية كتبه في 10 أكتوبر 1907،

ويليه كتاب العروض والقوافي شمل على ثمانية وثلاثين صـــفحة، وهو بخط اليد ومداده الصـــمغ المستعمل في الكُتَّاب[1722].



[1722] مكتبة نجل الشيخ لخضر شبرو بحي الأصنام بالوادي.

الملحق رقم : 08. صورة لورقة الاجابة عن امتحان الفرنسية للطالب لخضر بن عمار (شبرو) للسنة الثالثة بالمدرسة بقسنطينة المؤرخة في : 09 ديسمبر 1908[1723].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1723] مأخوذة من مكتبة محمد نجل الشيخ لخضر بن عمر شبرو.

12

Lakhdar Ben Smaïne — Quelques idées exprimées correctement et forte.

Médersa de Constantine : 9 décembre 1908

3ème Année.

Composition Française

Et c'est être innocent que d'être malheureux.

Dans ce vers la Fontaine nous dit que un coupable malheureux mérite la délivrance c'est-à-dire le prendre comme innocent ; car pourquoi le punir encore alors qu'il est assez puni par son sort rigoureux ? cette idée fut exprimée par le grand fabuliste dans l'élégie aux nymphes de vaux, poésie par laquelle il a demandé la grâce de Nicolas Fouquet. Il le défend parce qu'il est son ami ; Beaucoup d'autres écrivains comme Saint-Evremond, Pellisson, Menage, Madame de Sévigné, ont fait de même, et veulent que Fouquet ne cache culpabilité soit disparue. Leur amitié et leur intérêt les obligent à faire celà, et aussi une reconnaissance qu'ils ont envers Fouquet car lorsqu'il était surintendant, lorsqu'il était puissant, lorsqu'il rivalisait le grand roi, le roi soleil, avait bien protégé les arts et les lettres : Il aimait leurs hommes et s'en entourait ; est-ce pour l'amour des sciences ou simplement pour être chanté par les virgiles du 4ème grand siècle ? Je n'en sais. Mais tout ce que nous pouvons dire c'est que le « bonhomme » a été reconnaissant envers

incorrect

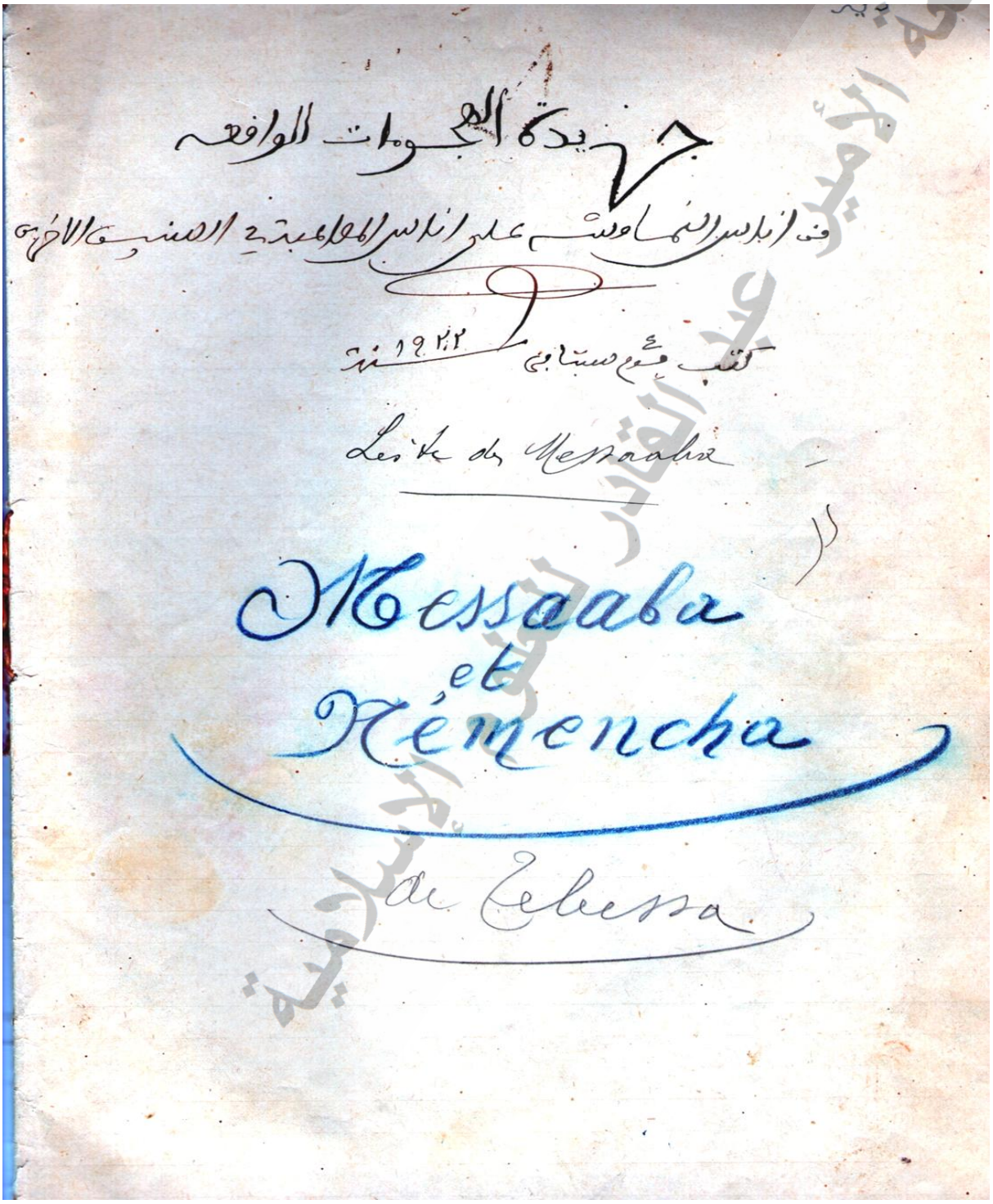
faute de temps

incorrect impropre pourquoi le présent ?

incorrect /is/ rivalisait avec le sujet manque mal dit

Je ne sais ou Je n'en sais rien

الملحق رقم : 09. صـــورة لغلاف جريدة الهجومات الواقعة من أناس النمامشـــة على أناس المصـــاعبة، كتب يوم 04 سبتمبر 1922. وأول حدث مسجل كان بتاريخ فيفري 1888، وانتهت بالحدث الثالث والثلاثين المؤرخ في شهر مارس 1922. كاتِبُها بن عبد العزيز بن اسماعيل[1724].



[1724] أرشيف متحف المجاهد بالوادي، صندوق 1920 – 1930.

الملحق رقم : 10. صـــورة لغلاف حبس الشيخ محمد الهاشمي الشريف المطبوع يوم النصف من رمضان سنة 1343هـــــ بمطبعة جول كربونل بالجزائر، وهو كتاب صغير يحوي اثناني وثلاثين صفحة[1725].

[1725] A. O. M : 16 H 42, op. cit.



الملحق رقم : 11. صورة للصفحة الثالثة من حبس الشيخ محمد الهاشمي الشريف[1726].

[1726] Ibid.

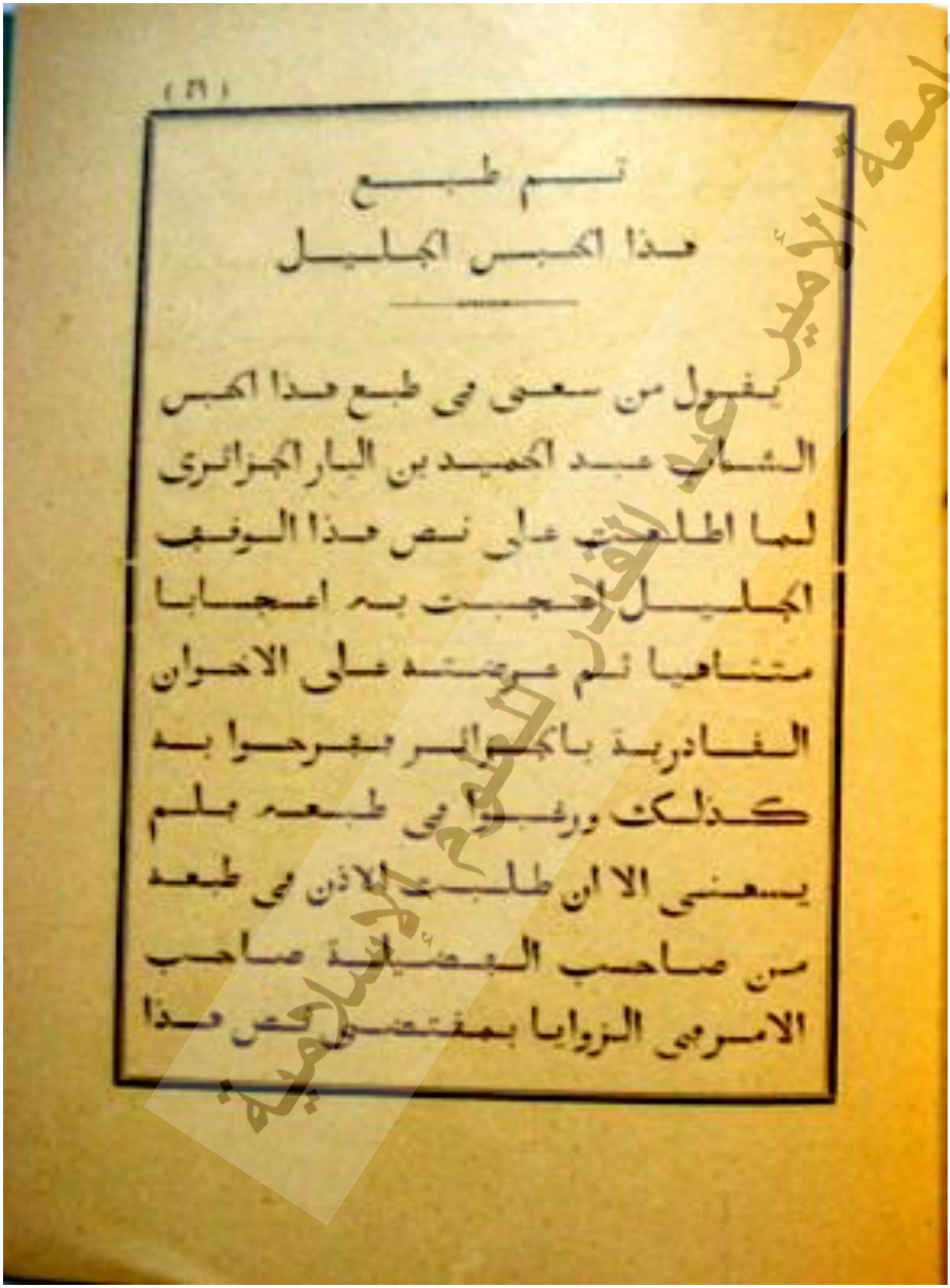
* بسم الله الرحمن الرحيم *

* احمد الله * والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه *

وبعد فان الاستاذ البركة الشيخ سيدى محمد الهاشمى بن الشيخ سيدى ابراهيم ابن احمد الشريف شيخ الفادرية فد اشهد على نفسه فى حال الصحة والجواز انه حبس وابد ووقف جميع املاكه التى بوادى ربغ ووادى سوف ونقطة على زواياه الست التى ستذكر محبس جميع ما استقر على ملكه بنقطة يوم الوقفية على زاويته بنقطة وجميع ملكه بوادى سوف على زاويته بها وجميع ملكه بوادى ربغ على زاويته بتغرت سوى الجنان الكبير بسيدى عمران فانه مستثنى من املاكه بوادى ربغ وقد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم : 12. صورة للصفحة التاسعة والعشرين من حبس الشيخ محمد الهاشمي الشريف[1727].

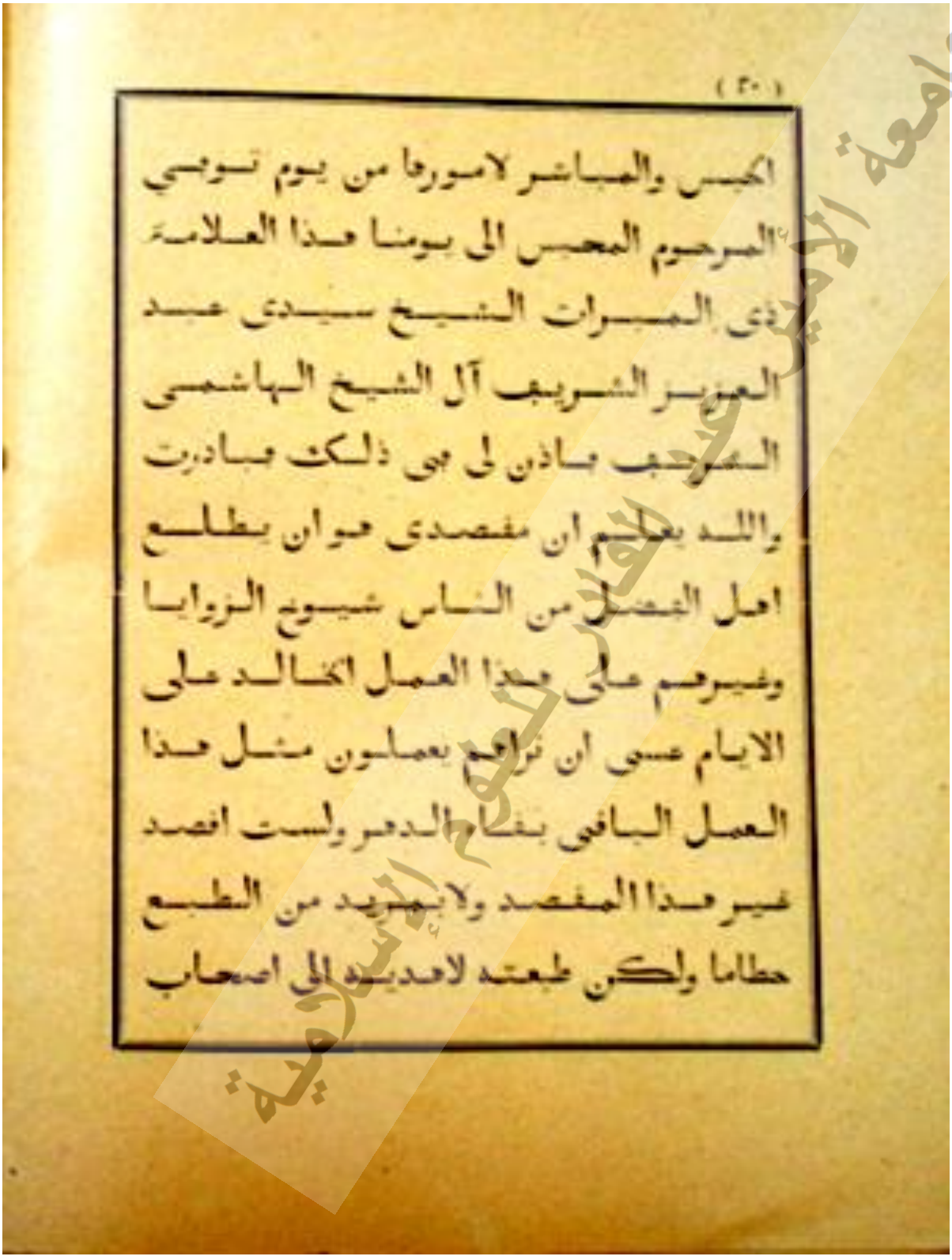


تم طبع
هذا الحبس الجليل

يقول من سعى في طبع هذا الحبس
الشاب عبد الحميد بن البار الجزائري
لما اطلعت على نص هذا الوقف
الجليل اعجبت به اعجابا
متناهيا ثم عرضته على الاخوان
الفادرية بالجزائر ففرحوا به
كذلك وربحوا في طبعه فلم
يسعني الا ان طلبت الاذن في طبعه
من صاحب البضاعة صاحب
الامر في الزوايا بمقتضى نص هذا

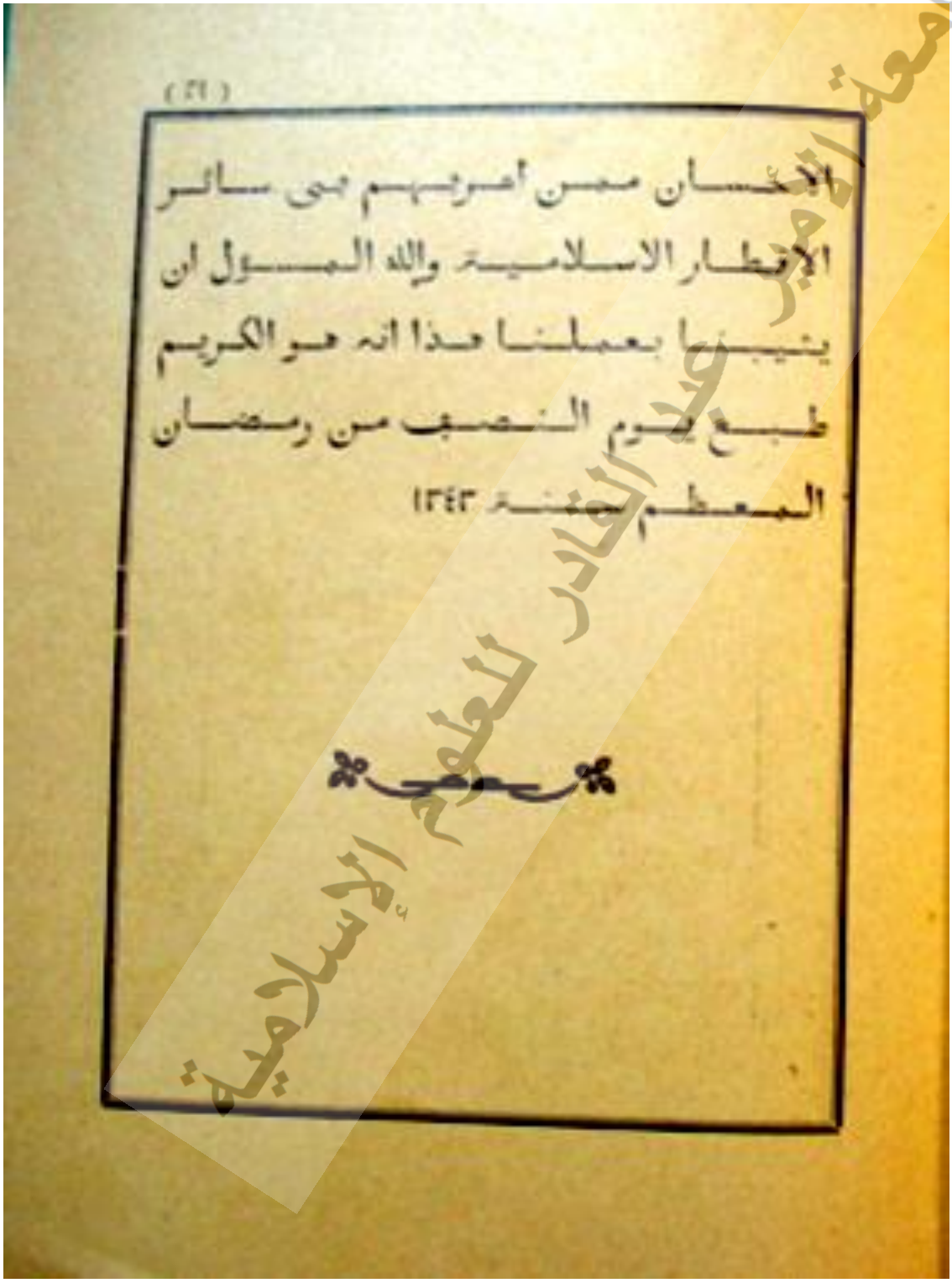
[1727] Ibid.

الملحق رقم : 13. صورة للصفحة الثلاثين من حبس الشيخ محمد الهاشمي الشريف[1728].



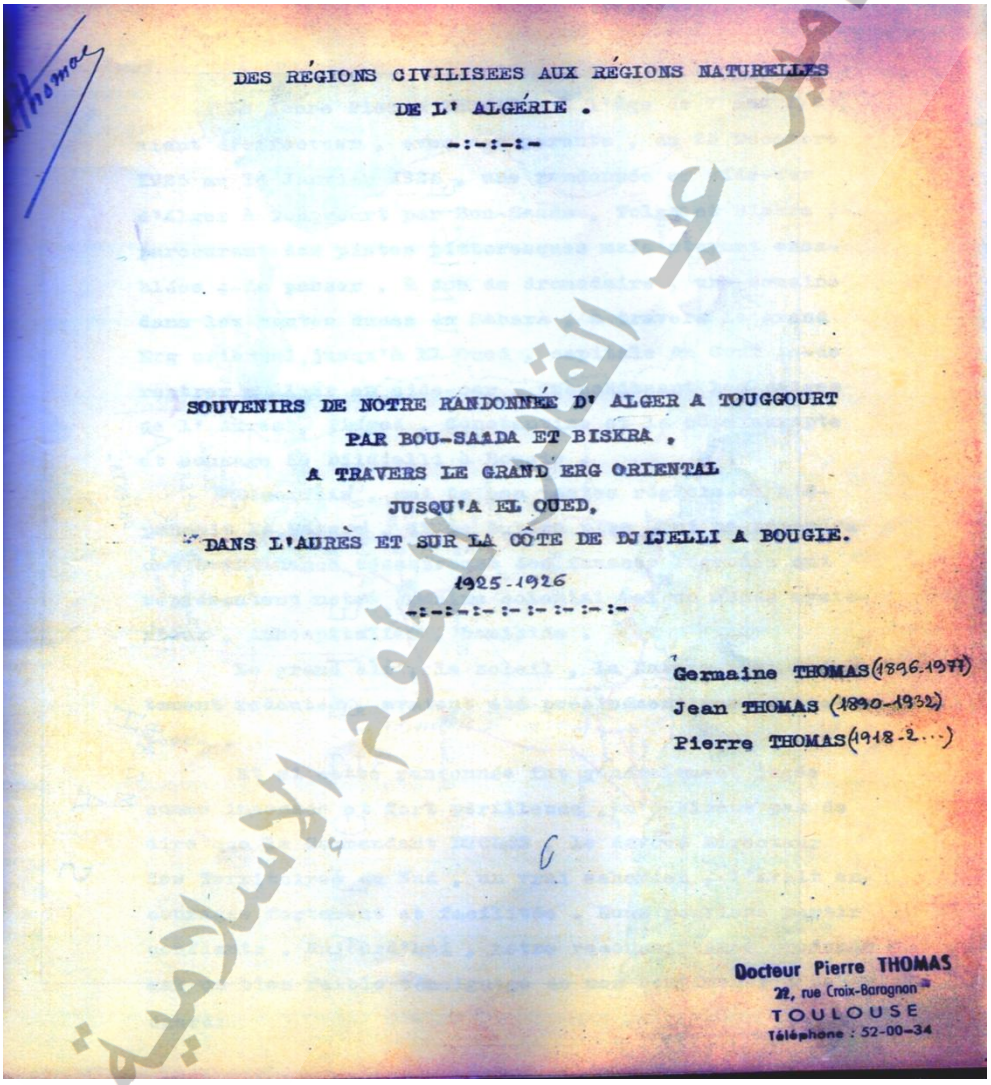
[1728] Ibid.

الملحق رقم : 14. صورة للصفحة الواحدة والثلاثين من حبس الشيخ محمد الهاشمي الشريف[1729].



[1729] Ibid.

الملحق رقم : 15. صورة للصفحة الثانية من الرحلة التي قامت بها السيدة جرمان توماس (Germaine Thomas) برفقة ابنها بيار توماس(Pierre Thomas)، وقد بدأ تصحيفها بعد أربع صفحات. و عدد الصفحات يبلغ ثمانين صفحة دون حساب صفحتين بعد الثمانين، فمجموع الصفحات ستة وثمانين صفحة[1730].



DES RÉGIONS CIVILISEES AUX RÉGIONS NATURELLES
DE L' ALGÉRIE .

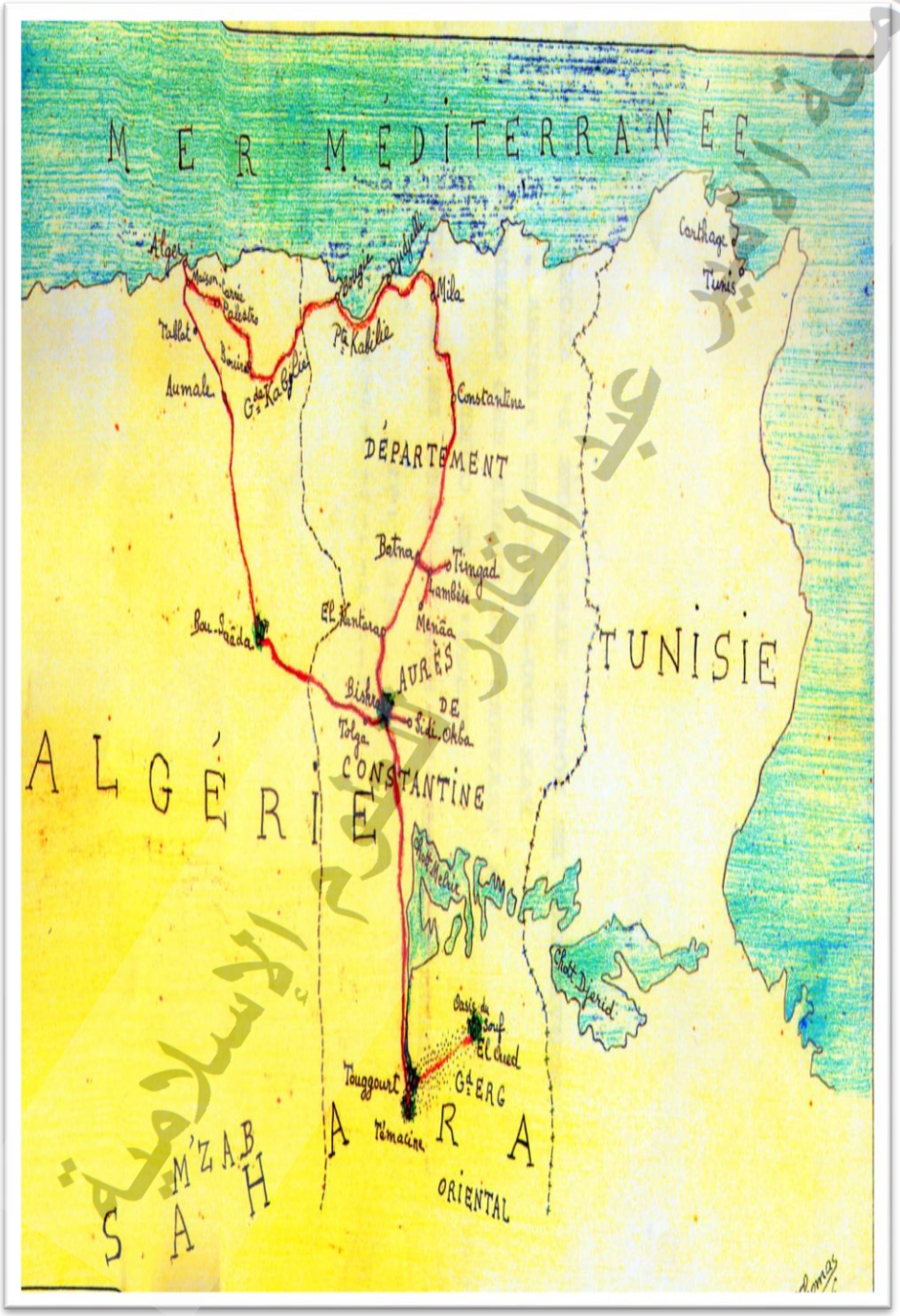
SOUVENIRS DE NOTRE RANDONNÉE D' ALGER A TOUGGOURT
PAR BOU-SAADA ET BISKRA ,
A TRAVERS LE GRAND ERG ORIENTAL
JUSQU'A EL OUED,
DANS L'AURÈS ET SUR LA CÔTE DE DJIJELLI A BOUGIE.
1925-1926

Germaine THOMAS(1896-1977)
Jean THOMAS (1890-1932)
Pierre THOMAS(1918-2...)

Docteur Pierre THOMAS
22, rue Croix-Baragnon
TOULOUSE
Téléphone : 52-00-34

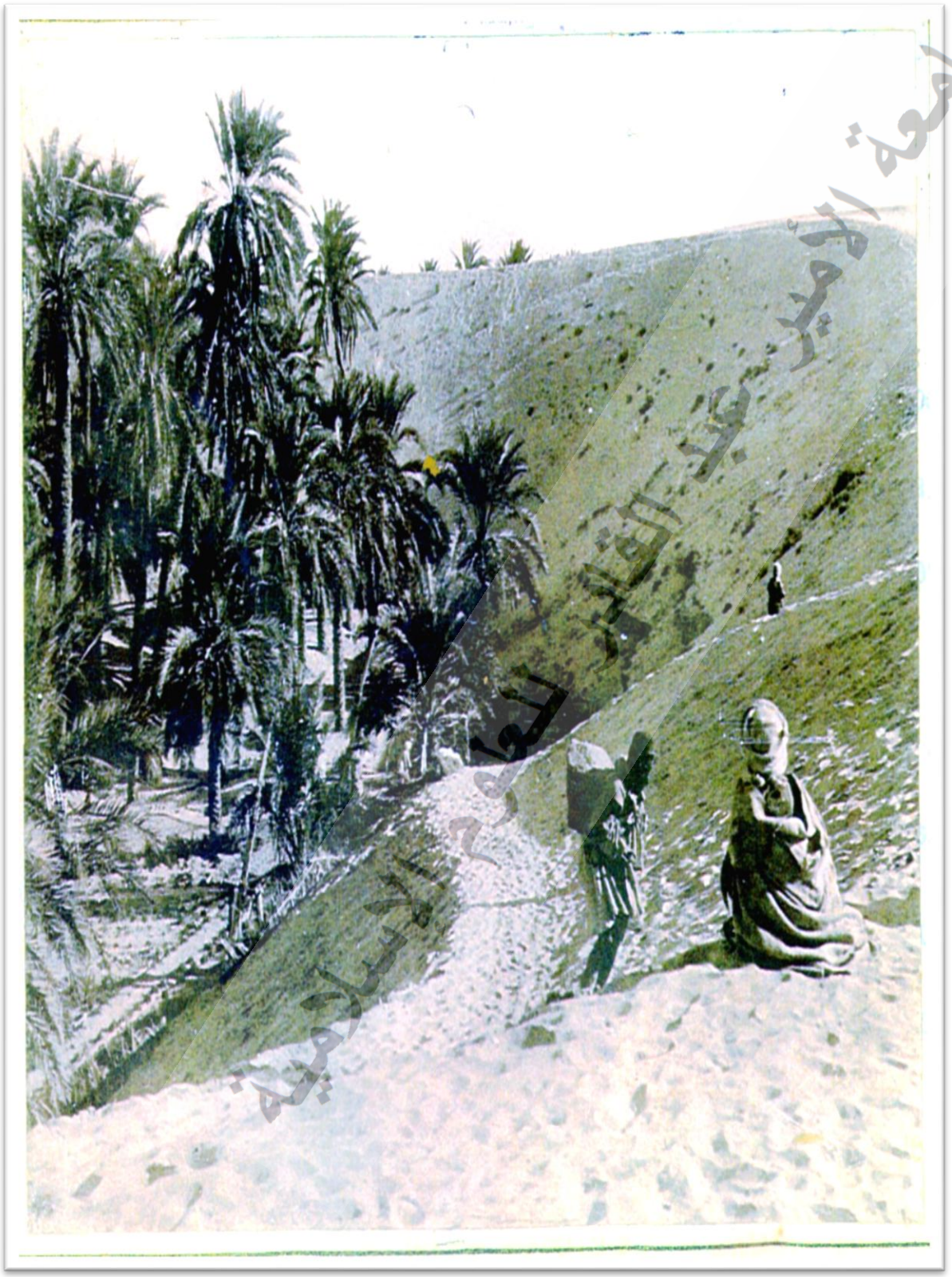
[1730] نسخة من الرحلة مخطوطة في مكتبة سيدي سا لم. – ينظر Thomas, (Germaine et Jean et Pierre) : **Souvenirs de notre randonnée d'Alger a Touggourt par Bou- saada et Biskra, a travers le grand Erg Oriental jusqu'à El oued, dans l'Aurès et sur la côte Dedjijelli a Bougie. (1925 – 1926), (Manuscrit), Alger, 1926.**

الملحق رقم : 16. صورة لخريطة تبين مسار الرحلة التي قامت بها الســـيدة جرمان توماس برفقة ابنها بيار توماس من الجزائر إلى وادي سوف، ثم العودة إلى الجزائر[1731].



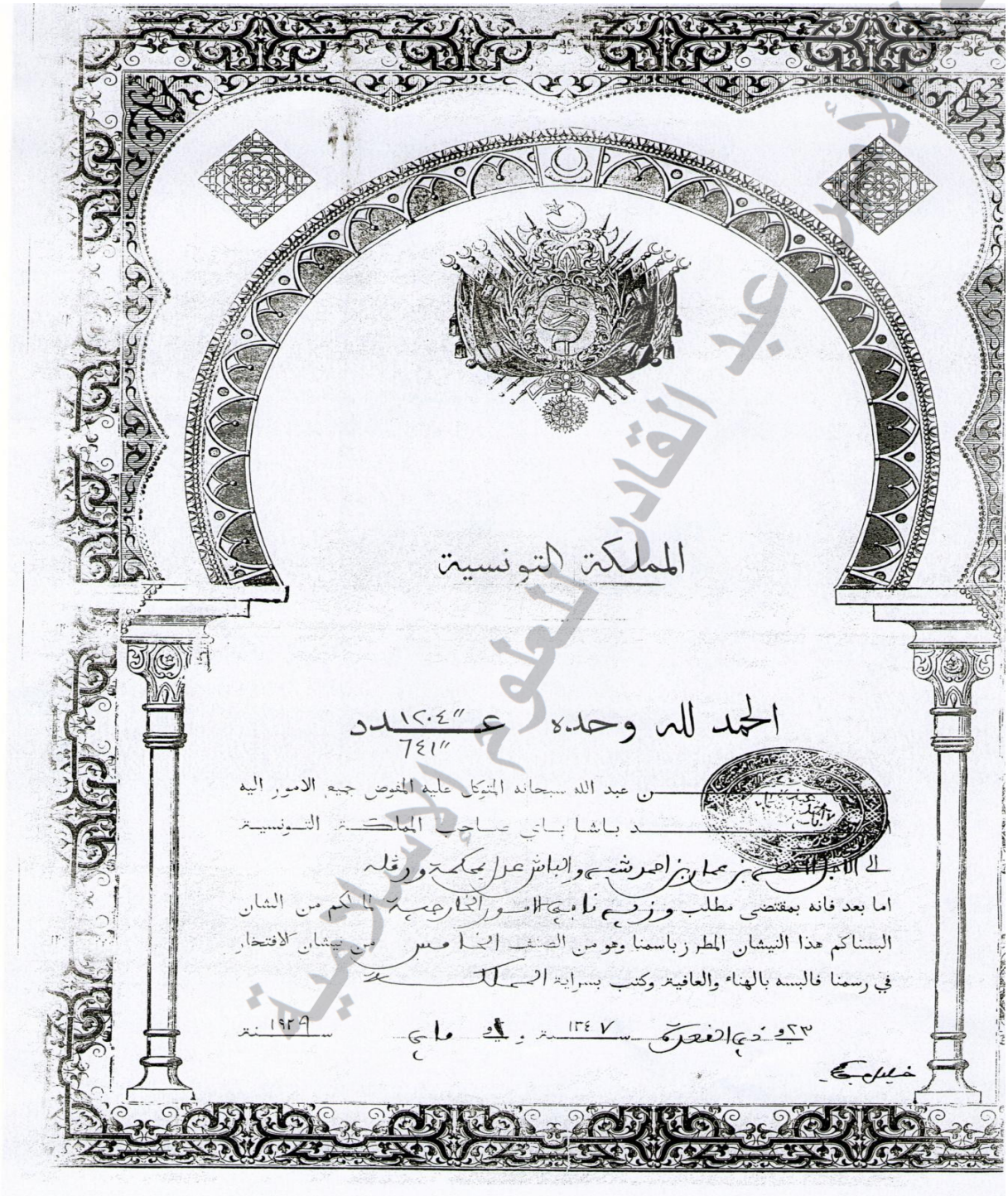
[1731] Ibid, p 2.

الملحق رقم : 17. صورة تبين عملية رفع الرملة بوادي سوف[1732].



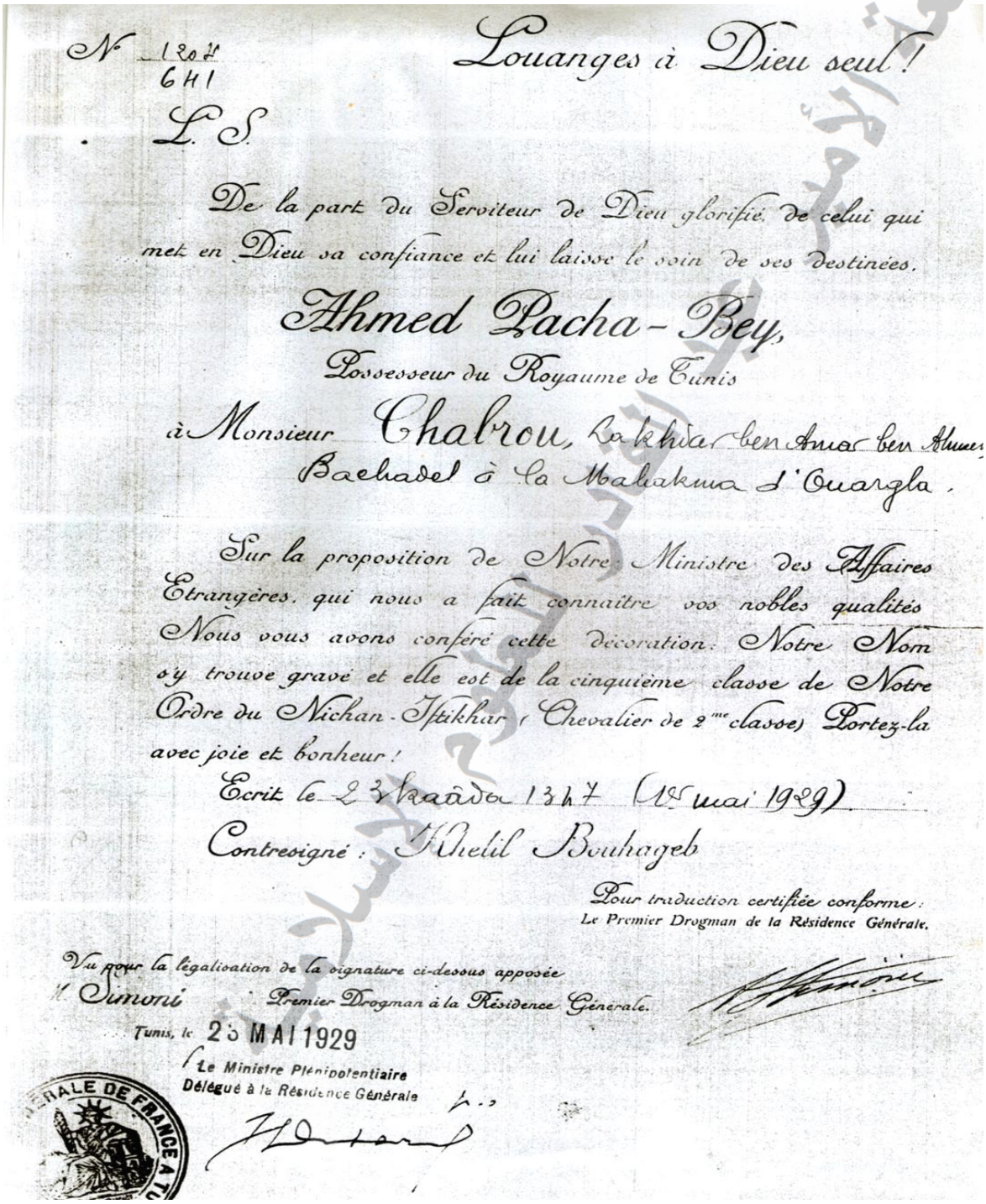
[1732] Ibid, p 46.

الملحق رقم : 18. صـــورة للشهادة التي منحت للباش عدل بمحكمة ورقلة لخضر بن عمار بن أحمد شبرو من قبل باي تونس أحمد باشا باي بتاريخ : 23 ذي القعدة 1347هـــ/01 ماي 1929م، رفقة نيشان من الصنف الخامس، وهي باللغة العربية[1733].



[1733] مكتبة نجل الشيخ لخضر بن عمار، نفس المر جع.

الملحق رقم : 19. صـــورة للشهادة التي منحت للباش عدل بمحكمة ورقلة لخضر بن عمار بن أحمد شبرو من قبل باي تونس أحمد باشا باي بتاريخ : 23 ذي القعدة 1347هـــــ/01 ماي 1929م رفقة نيشان من الصنف الخامس، وهي باللغة الفرنسية[1734].



N 1207
641

Louanges à Dieu seul !

L. S.

De la part du Serviteur de Dieu glorifié, de celui qui met en Dieu sa confiance et lui laisse le soin de ses destinées.

Ahmed Pacha-Bey,

Possesseur du Royaume de Tunis

à Monsieur Chabrou, Lakhdar ben Amar ben Ahmed Bachadel à la Mahakma d'Ouargla.

Sur la proposition de Notre Ministre des Affaires Etrangères, qui nous a fait connaître vos nobles qualités Nous vous avons conféré cette décoration. Notre Nom s'y trouve gravé et elle est de la cinquième classe de Notre Ordre du Nichan-Iftikhar (Chevalier de 2me classe) Portez-la avec joie et bonheur !

Ecrit le 23 Kaada 1347 (1er mai 1929)

Contresigné : Khelil Bouhageb

Pour traduction certifiée conforme :
Le Premier Drogman de la Résidence Générale.

Vu pour la légalisation de la signature ci-dessus apposée
V. Simoni Premier Drogman à la Résidence Générale.
Tunis, le 25 MAI 1929
Le Ministre Plénipotentiaire
Délégué à la Résidence Générale

RALE DE FRANCE A TU

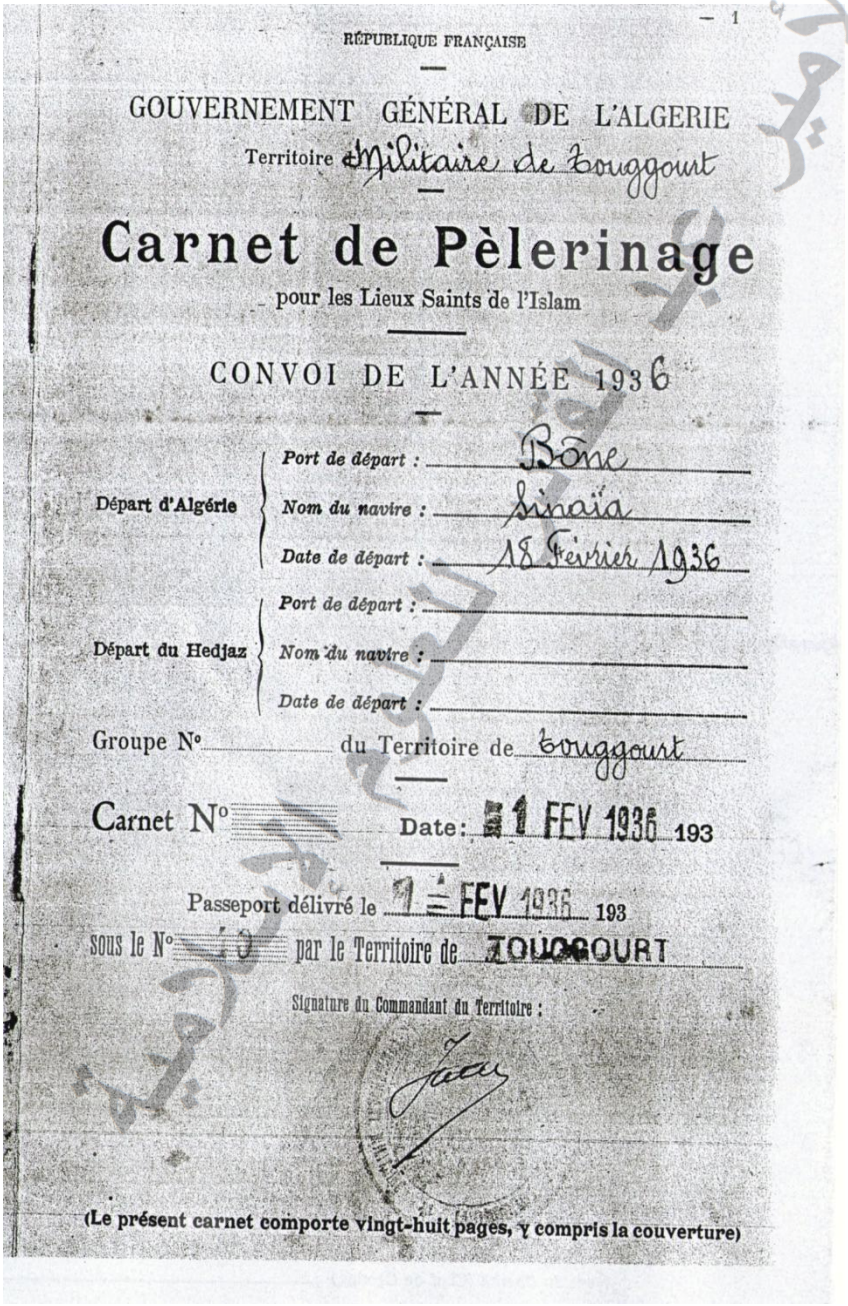
[1734] مكتبة نجل الشيخ لخضر بن عمار، نفس المر جع.

الملحق رقم : 20. صـــورة لبطاقة تعريف الســـيد عبد الكامل بن عبد الله النجعي عندما سجل بسجلات الحالة المدنية تحت رقم 687 وموقعة بتاريخ 05 نوفمبر 1934[1735].


CARTE D'IDENTITÉ
(Sans Spécification. Décret du 22-2-1922)
Enregistré en Mairie à Eloued sous le nº 687
Nom Abdelkamel ben
Prénoms El Hadj Abdallah
Profession Commerçant
Nationalité musulman (sujet français)
Né le Janvier en 1906
à Oued (Territoire militaire de Ouargla)
Domicile Eloued
SIGNALEMENT : Taille 1m64 Cheveux noirs
Bouche moyenne Yeux marron
Visage ovale Teint brun
Signes particuliers :
ALGERIE 10 FRANCS
Pièces justificatives ou Témoins
Bachir El Hadj Mahmoud Khodja
Abdelkrim Hachia propriétaire
Eloued, le 5 Novembre 1934
Le Maire
Cachet de la Mairie
Signature du Titulaire,
Abdel Kamel ben El Hadj Abdallah

[1735] حصلت على صورة من السيد محمد غمام موظف ب متحف المجاهد بالوادي

الملحق رقم : 21. صـــورة للصـــفحة الأولى من جواز سفر للحج للشيخ لخضر بن عمار شبرو مؤرخ في 01 فيفري 1936 تحت رقم 10[1736].



— 1

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGERIE

Territoire Militaire de Touggourt

Carnet de Pèlerinage

pour les Lieux Saints de l'Islam

CONVOI DE L'ANNÉE 1936

Départ d'Algérie
- Port de départ : Bône
- Nom du navire : Sinaïa
- Date de départ : 18 Février 1936

Départ du Hedjaz
- Port de départ :
- Nom du navire :
- Date de départ :

Groupe N° ..... du Territoire de Touggourt

Carnet N° ..... Date: 1 FEV 1936 193

Passeport délivré le 1 FEV 1936 193

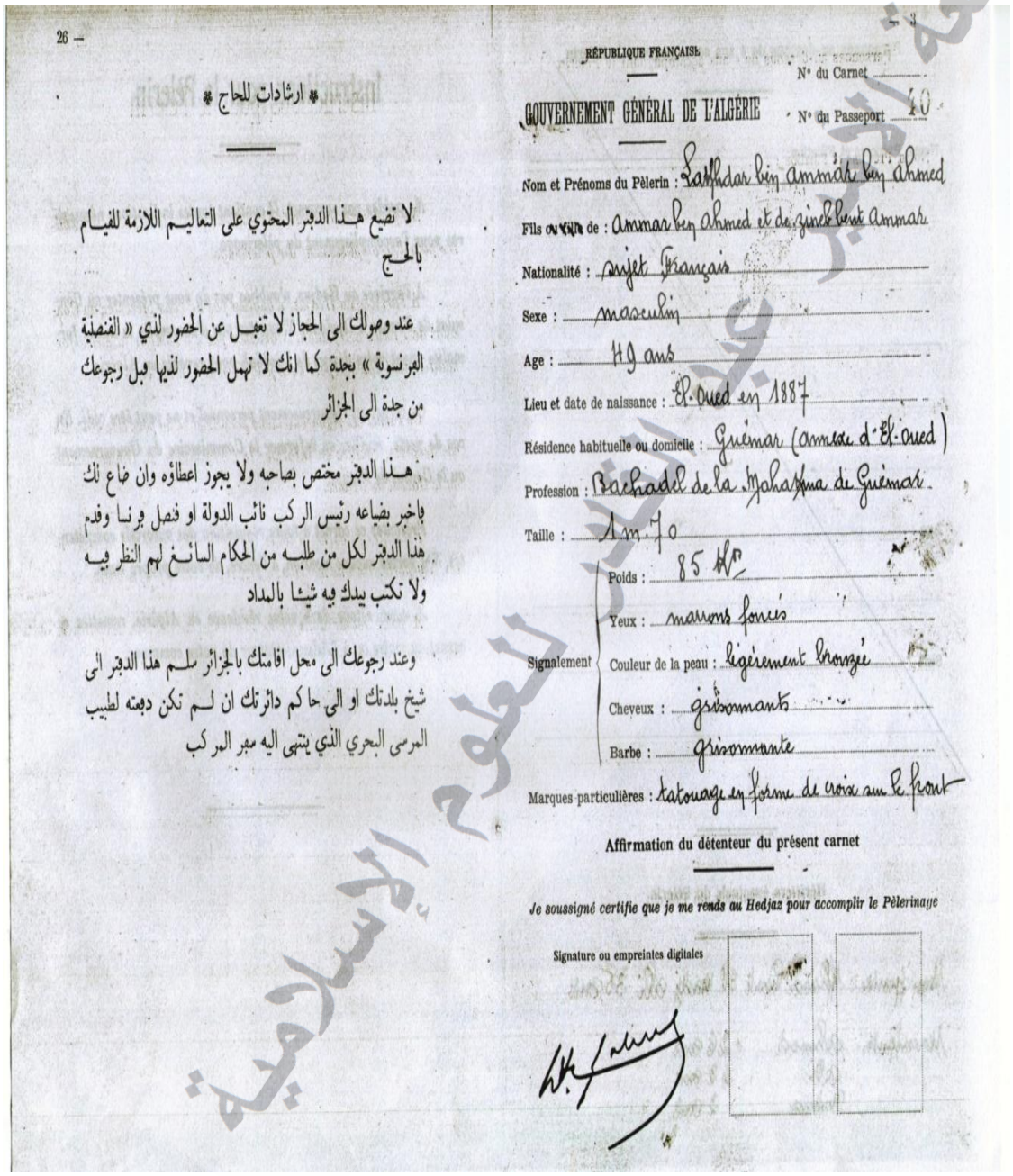
sous le N° 10 par le Territoire de TOUGGOURT

Signature du Commandant du Territoire :

(Le présent carnet comporte vingt-huit pages, y compris la couverture)

[1736] مكتبة نجل الشيخ لخضر بن عمار..

الملحق رقم : 22. صـــورة للصفحة الثالثة والصفحة السادسة والعشرين من جواز سفر للحج للشـــيخ لخضر بن عمار شبرو. سجلت على الأولى المعلومات الخاصة بالحاج بالفرنسية، والثانية إرشادات للحاج بالعربية[1737].



26 —

* ارشادات للحاج *

لا تضيع هـذا الدفتر المحتوي على التعاليـم اللازمة للقيـام بالحـج

عند وصولك الى الحجاز لا تغفـل عن الحضور لدي « القنصلية الفرنسوية » بجدة كما انك لا تهمل الحضور لديها قبل رجوعك من جدة الى الجزائر

هـذا الدفتر مختص بصاحبه ولا يجوز اعطاؤه وان ضاع لك فاخبر بضياعه رئيس الركب نائب الدولة او قنصل فرنسا وقدم هذا الدفتر لكل من طلبـه من الحكام السائـغ لهم النظر فيـه ولا تكتب بيدك فيه شيئا بالمداد

وعند رجوعك الى محل اقامتك بالجزائر سلـم هذا الدفتر الى شيخ بلدتك او الى حاكم دائرتك ان لـم تكن دونه لطبيب المرسى البحري الذي ينتهي اليه سير المركب

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

N° du Carnet

N° du Passeport 10

Nom et Prénoms du Pèlerin : Lakhdar bin ammar ben ahmed

Fils ou fille de : Ammar ben ahmed et de zineb bent Ammar

Nationalité : sujet Français

Sexe : masculin

Age : 49 ans

Lieu et date de naissance : El-Oued en 1887

Résidence habituelle ou domicile : Guémar (annexe d'El-Oued)

Profession : Bachadel de la Mahakma du Guémar

Taille : 1m70

Signalement — Poids : 85 Kg

Yeux : marrons foncés

Couleur de la peau : légèrement bronzée

Cheveux : grisonnants

Barbe : grisonnante

Marques particulières : tatouage en forme de croix au Front

Affirmation du détenteur du présent carnet

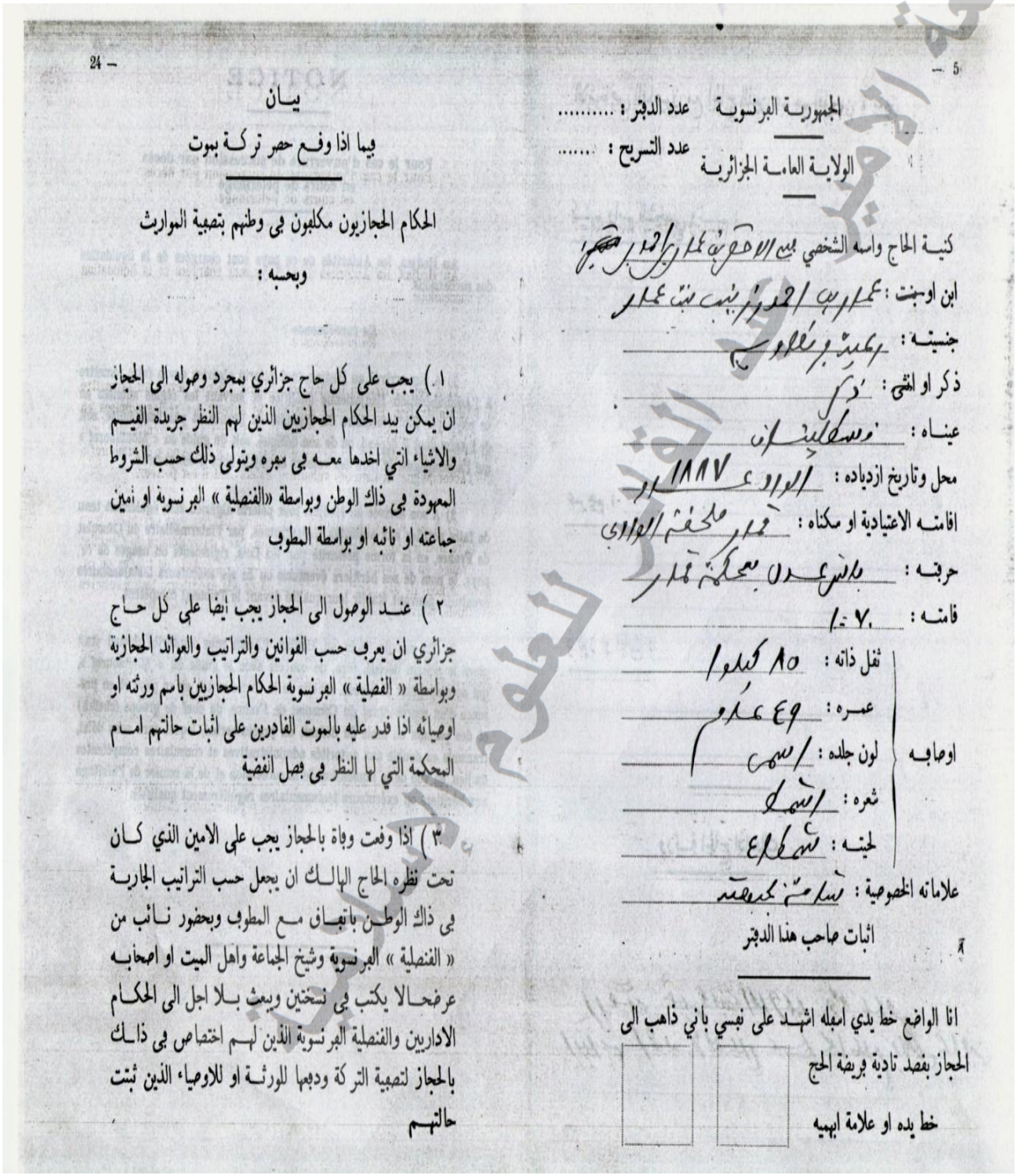
Je soussigné certifie que je me rends au Hedjaz pour accomplir le Pèlerinage

Signature ou empreintes digitales

جمعية التراث للعلوم الإسلامية

[1737] مكتبة نجل الشيخ لخضر بن عمار.

الملحق رقم : 23. صـــورة للصـــفحة الخامسة والصفحة الرابع والعشرين من جواز سفر للحج للشـــيخ لخضر بن عمار شبرو. كتب على الصفحة الخامسة معلومات حول الحاج، وفي الصفة الأخرى بيان فيما إذا وقع حصر تركة بعد موت الحاج[1738].



— 5

الجمهورية الفرنسوية عدد الدفتر : .....

الولاية العامة الجزائرية عدد التسريح : .....

كنية الحاج واسمه الشخصي بن الاخضر عمار بن احمد شبرو

ابن او بنت : عمار بن احمد وزينب بنت عمار

جنسيته : رعية فرنسوية

ذكر او انثى : ذكر

عيناه : وسطيتان

محل وتاريخ ازديداده : الوادي ١٨٨٧

اقامته الاعتيادية او مكناه : عمار ملحقة الوادي

حرفته : بلا شغل بمحكمة عمار

قامته : ١٠٧

اوصافه: ثقل ذاته : ٨٥ كيلو | عمره : ٤٩ عام | لون جلده : اسمر | شعره : اسود | لحيته : شعلاع

علاماته الخصوصية : لا شامة بخده اليمنى

اثبات صاحب هذا الدفتر

انا الواضع خط يدي اسفله اشهد على نفسي باني ذاهب الى الحجاز بقصد تادية فريضة الحج

خط يده او علامة ابهميه

— 24

بيان

فيما اذا وقع حصر تركة بموت

الحكام الحجازيون مكلفون في وطنهم بتصفية المواريث

وبحسبه :

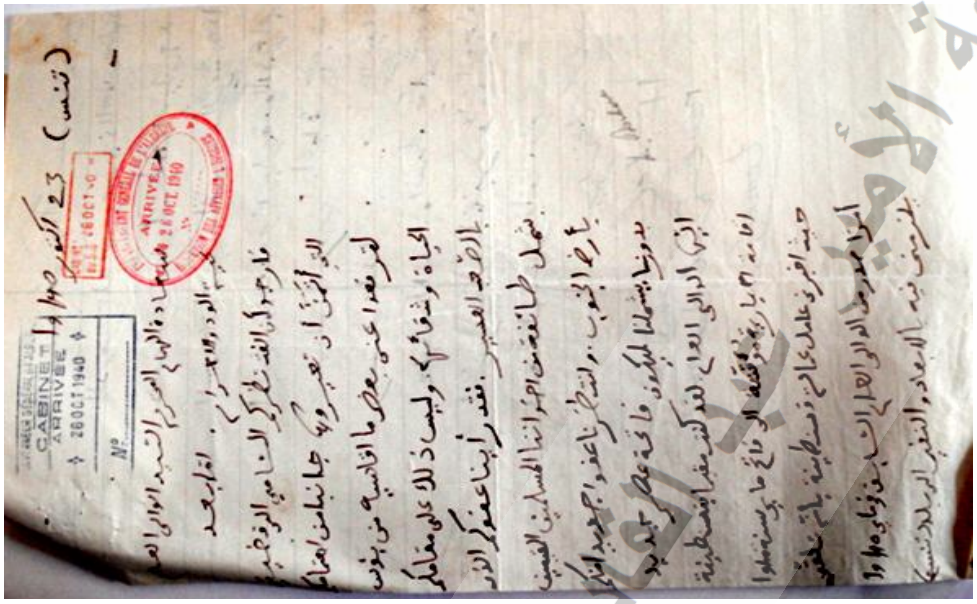
١) يجب على كل حاج جزائري بمجرد وصوله الى الحجاز ان يمكن يد الحكام الحجازيين الذين لهم النظر جريدة الغيم والاشياء التي اخذها معه في سفره ويتولى ذلك حسب الشروط المعهودة في ذلك الوطن وبواسطة «القنصلية» الفرنسوية او امين جماعته او نائبه او بواسطة المطوف

٢) عند الوصول الى الحجاز يجب ايضا على كل حاج جزائري ان يعرف حسب القوانين والتراتيب والعوائد الحجازية وبواسطة « القنصلية » الفرنسوية الحكام الحجازيين باسم ورثته او اوصيائه اذا قدر عليه بالموت القادرين على اثبات حالتهم امام المحكمة التي لها النظر في فصل القضية

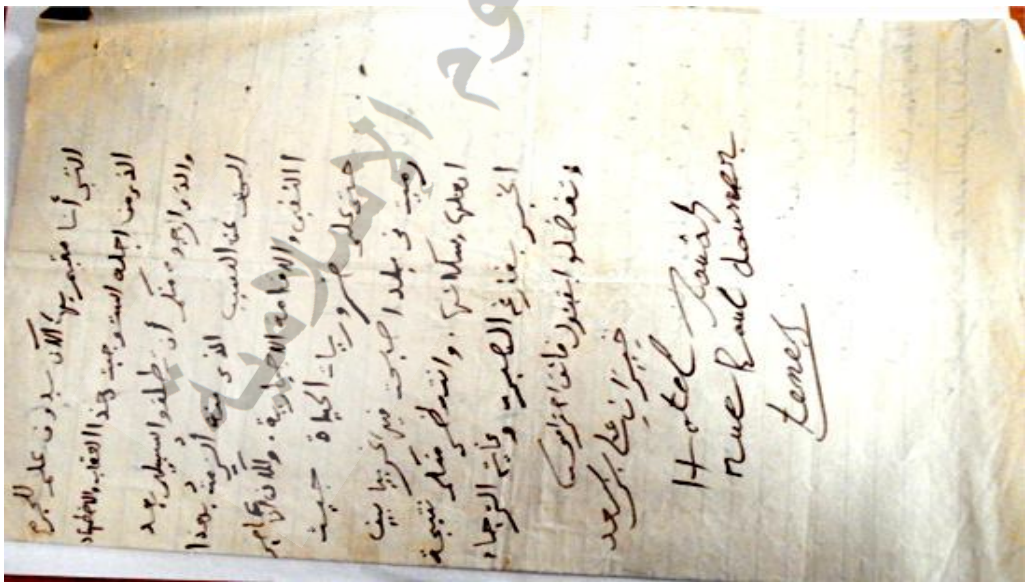
٣) اذا وقعت وفاة بالحجاز يجب على الامين الذي كان تحت نظره الحاج الهالك ان يجعل حسب التراتيب الجارية في ذلك الوطن باتفاق مع المطوف وبحضور نائب من « القنصلية » الفرنسوية وشيخ الجماعة واهل الميت او اصحابه عرضحالا يكتب في نسختين ويبعث بلا اجل الى الحكام الاداريين والقنصلية الفرنسوية الذين لهم اختصاص في ذلك بالحجاز لتصفية التركة ودفعها للورثة او للاوصياء الذين ثبتت حالتهم

[1738] نفسه.

الملحق رقم : 24. صورة لرسالة السيد علي بن سعد خيران إلى حاكم ملحقة الوادي يلتمس منه العفو والسماح له بدخول وادي سوف بعد انهاء مدة حبسه بسجن الكدية بقسنطينة، وهو بتنس. مؤرخة في : 23 أكتوبر 1940، الصفحة الأولى[1739].



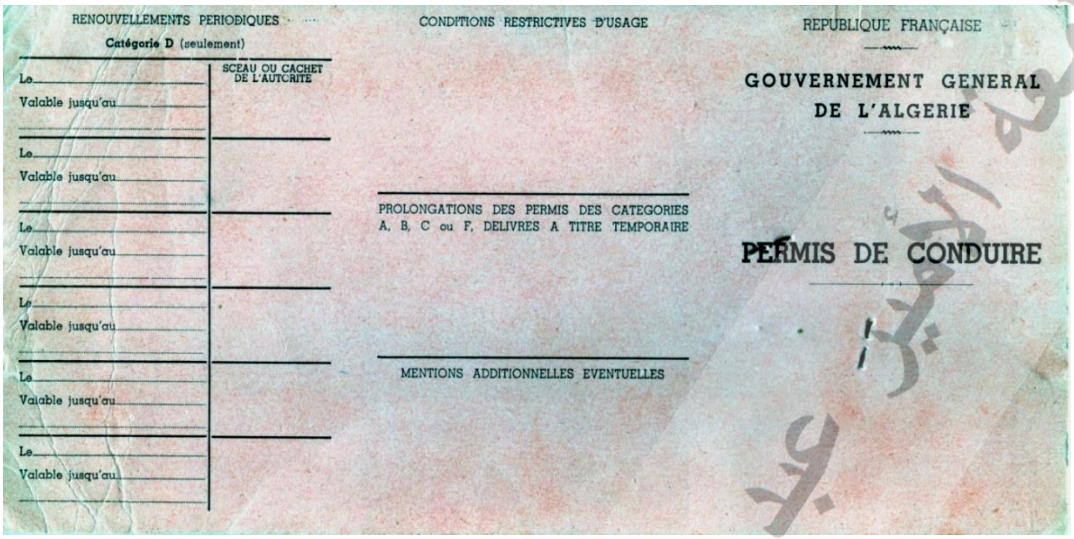
الملحق رقم : 25. صورة الصفحة الثانية من رسالة السيد علي بن سعد خيران إلى حاكم ملحقة الوادي[1740].



[1739] A. O. M : 16 H 46, op. cit.

[1740] Ibid.

الملحق رقم : 26. صورة للوجه الأول من رخصة سياقة لسيد إبراهيم بن الهاشمي شيحاني. تحت رقم 7142، ومؤرخة بتاريخ 30 أكتوبر 1944[1741].


RENOUVELLEMENTS PERIODIQUES
Catégorie D (seulement)
SCEAU OU CACHET DE L'AUTORITE
Le
Valable jusqu'au
CONDITIONS RESTRICTIVES D'USAGE
PROLONGATIONS DES PERMIS DES CATEGORIES A, B, C ou F, DELIVRES A TITRE TEMPORAIRE
MENTIONS ADDITIONNELLES EVENTUELLES
REPUBLIQUE FRANÇAISE
GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE
PERMIS DE CONDUIRE

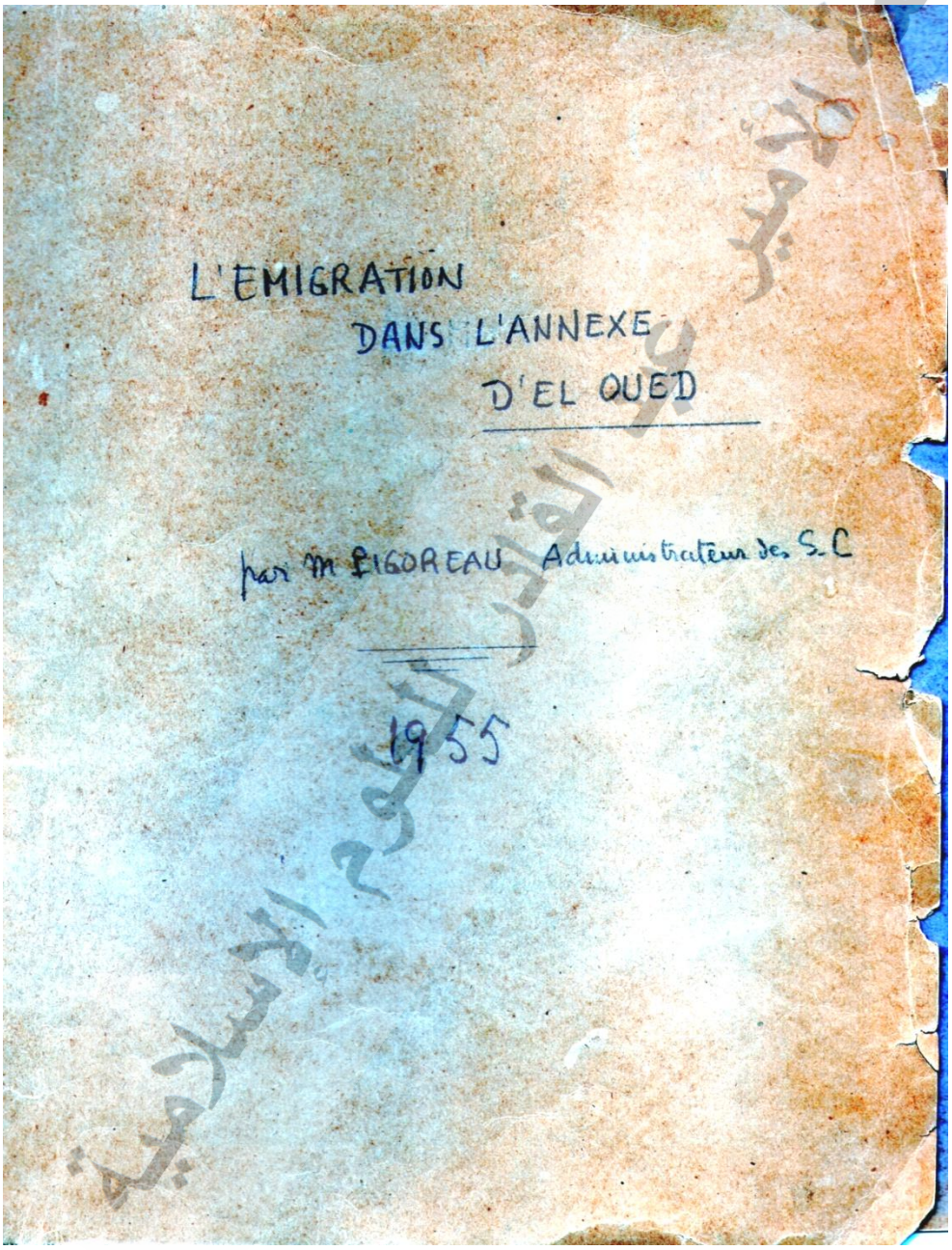
الملحق رقم : 27. صـــورة للوجه الثاني من رخصة سياقة لسيد إبراهيم بن الهاشمي شيحاني تحت رقم 7142، ومؤرخة بتاريخ 30 أكتوبر 1944[1742].


1. Nom CHIHANI
2. Prénoms Bachir ben el Hachemi
3. Date et lieu de naissance 1907 El Oued
4. Domicile El Oued.
Signature du Titulaire
5. Délivré par : TERRITOIRES du SUD
6. ALGER, Gouvt Génl
le
N° 7142
Signature de l'Autorité
Sceau ou cachet de l'autorité
CATEGORIES DE VEHICULES POUR LESQUELS LE PERMIS EST VALABLE
A Motocycles avec ou sans side-car Tricycles à moteur de plus de 125 cm3
B Véhicules de moins de 10 places et d'un poids total en charge n'excédant pas 3.500 kgs
C Véhicules à marchandises de plus de 3.500 kgs
D Véhicules de transport en commun (plus de 9 places)
E Véhicules des catégories B. C. D, attelés d'une remorque de plus de 750 kgs
F Véhicules de la catégorie B spécialement aménagés
Délivré le
EXTENSION
PERMIS DELIVRE A TITRE TEMPORAIRE PERMANENT
SCEAU OU CACHET DE L'AUTORITE
Le 30/10/1944
Valable jusqu'au
PERMANENT
GRATUIT

[1741] أرشيف متحف المجاهد بالوادي.

[1742] نفسه.

الملحق رقم : 28. صـــــــــورة لغـــــــلاف التقـــــــــــــرير المعـــــــــــــنون بالهـــــــــــــــجرة في ملحقـــــــــــــة الواد من قبل حاكم الملحق جون بيقرو (Jean PIGOREAU) والموقع بتاريخ 30 سبتمبر 1955[1743].



[1743] Jean Pigoreau : op. cit.

الملحق رقم : 29. صـــــورة الصفحة الأولى من التقـــــــــــــــرير المعـــــــــــــــنون الهـــــــــــــــجرة في ملحقـــــــــــــــة الواد لحاكمها جون بيقرو.[1744]

MP/

L'EMIGRATION DES MUSULMANS
DE L'ANNEXE D' E L - O U E D .

Introduction

Le vingtième de la population d'ALGERIE travaille en FRANCE et ces travailleurs expatriés permettent à un million et demi de personnes demeurées dans les douars et villes, de vivre dans des conditions acceptables . Ces données essentielles du problème économique et social Algérien sont souvent développées dans des discours officiels.

Si on les ramène à la petite échelle de l'Annexe d'EL-OUED, quelle est leur valeur ? L'émigration ne présente-t-elle pas des caractère particuliers dans une commune-frontière bizarrement formée de la réunion de quelques oasis groupées sous le nom de SOUF et d'immenses paturages sahariens et habité par des populations aux traits physiques si tranchés ?

Nous pourrons sans doute résoudre ces questions après avoir tour à tour étudié l'émigration à son point de départ dans l'Annexe d' EL-OUED , ce qui nous entraînera à examiner les raisons des départs, à fixer approximativement leurs débuts et à déterminer la qualité des partants puis à l'extérieur dans les différents secteurs où se sont fixées les colonies et où nous verrons travailler les émigrants.

C'est alors que nous pourrons examiner les conséquences de ces mouvements pour l'ensemble des populations stables ou instables et dans tous les domaines. Mais sans doute nous faut-il définir immédiatement ce que nous entendons par " émigration Soufiya " .

Liminaire

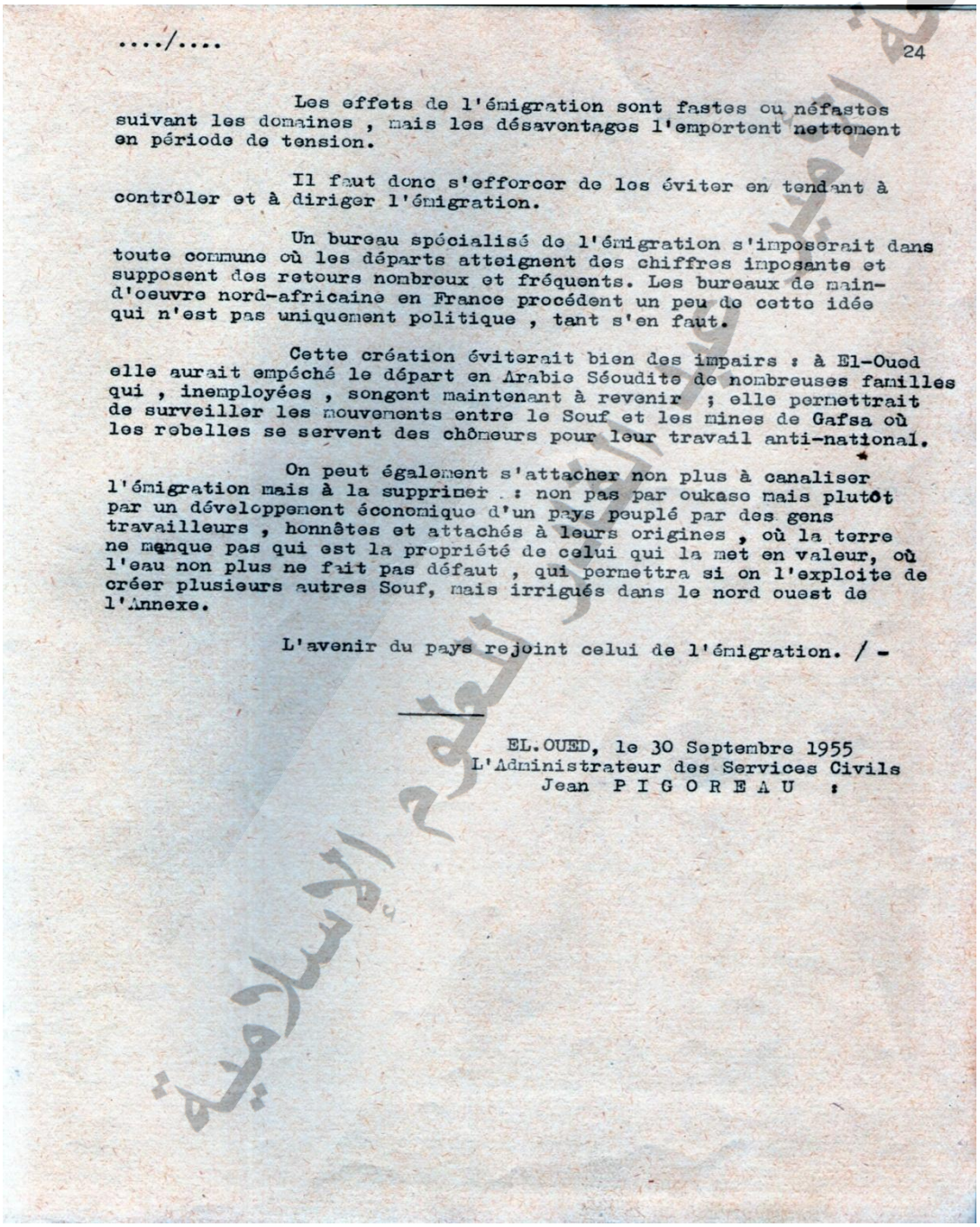
Pour être considéré comme émigrant il n'est pas nécessaire de quitter le pays avec toute sa famille et de liquider tous ses biens, il n'est pas nécessaire non plus d'aller à des centaines de kilomètres, il n'est pas nécessaire enfin de partir sans esprit de retour, il suffit de passer la majeure partie de l'année à l'extérieur (ou la majeure partie de sa vie) ou de tirer ses principales ressources d'un travail effectué hors de l'Annexe.

Ces limites établies, l'émigration revêt chez nos gens les formes principales suivantes :

...../.....

[1744] Jean PIGORAU : op. cit, p1.

الملحق رقم : 30. صـــــــــورة الصفحة الأخيرة[1745] من التقـــــــــــــــــــــــــرير المعـــــــــــــنون بالهـــــــــــــــــجرة في ملحقـــــــــــــــــة الوادي لحاكمها جون بيقرو[1746].



....../....

24

Les effets de l'émigration sont fastes ou néfastes suivant les domaines , mais les désavantages l'emportent nettement en période de tension.

Il faut donc s'efforcer de les éviter en tendant à contrôler et à diriger l'émigration.

Un bureau spécialisé de l'émigration s'imposerait dans toute commune où les départs atteignent des chiffres imposante et supposent des retours nombreux et fréquents. Les bureaux de main-d'oeuvre nord-africaine en France procédent un peu de cette idée qui n'est pas uniquement politique , tant s'en faut.

Cette création éviterait bien des impairs : à El-Oued elle aurait empêché le départ en Arabie Séoudite de nombreuses familles qui , inemployées , songent maintenant à revenir ; elle permettrait de surveiller les mouvements entre le Souf et les mines de Gafsa où les rebelles se servent des chômeurs pour leur travail anti-national.

On peut également s'attacher non plus à canaliser l'émigration mais à la supprimer : non pas par oukase mais plutôt par un développement économique d'un pays peuplé par des gens travailleurs , honnêtes et attachés à leurs origines , où la terre ne manque pas qui est la propriété de celui qui la met en valeur, où l'eau non plus ne fait pas défaut , qui permettra si on l'exploite de créer plusieurs autres Souf, mais irrigués dans le nord ouest de l'Annexe.

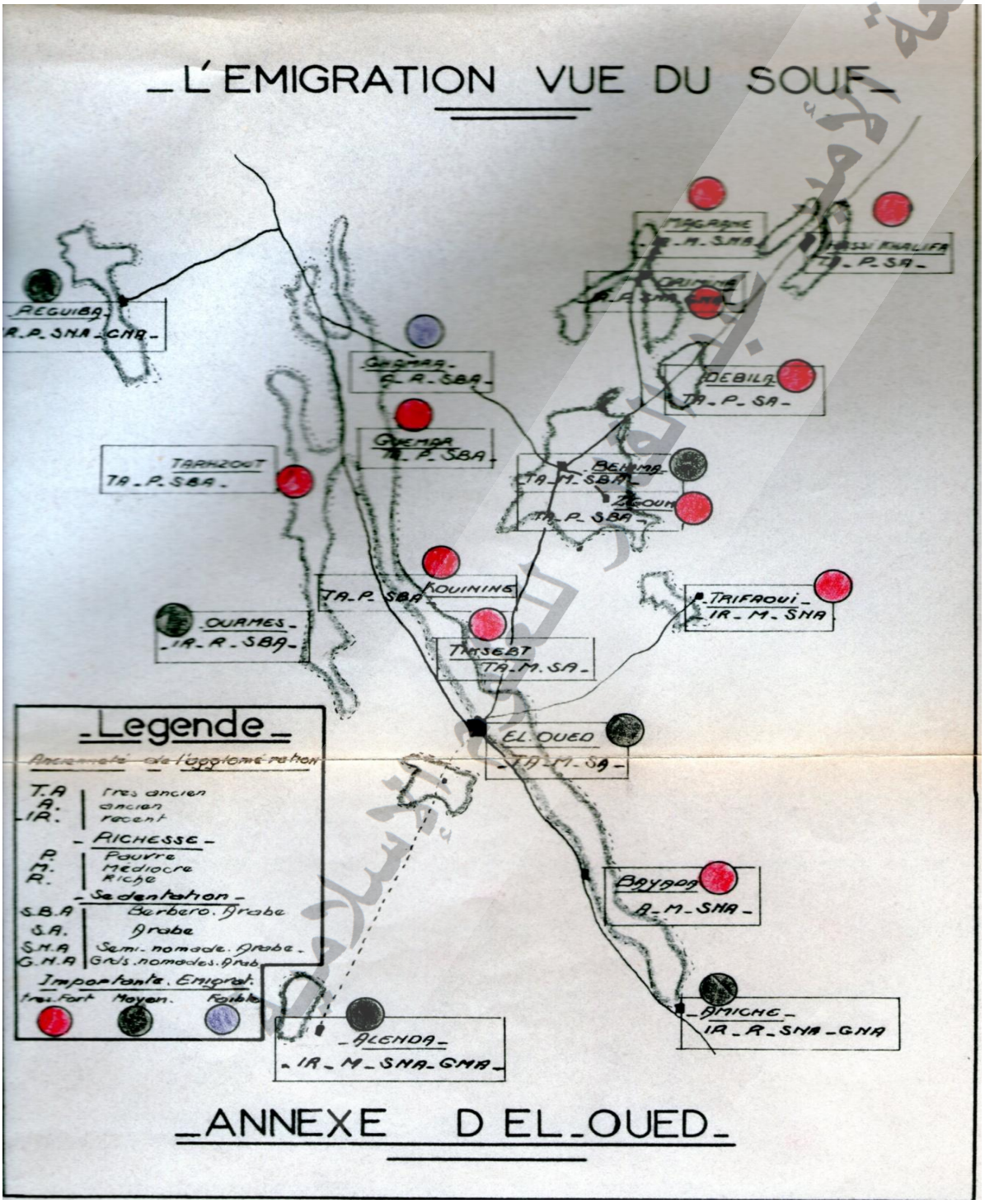
L'avenir du pays rejoint celui de l'émigration. / -

EL.OUED, le 30 Septembre 1955
L'Administrateur des Services Civils
Jean P I G O R E A U :

[1745] التقرير به أربع وعشرين صفحة، وثلاث خرائط.

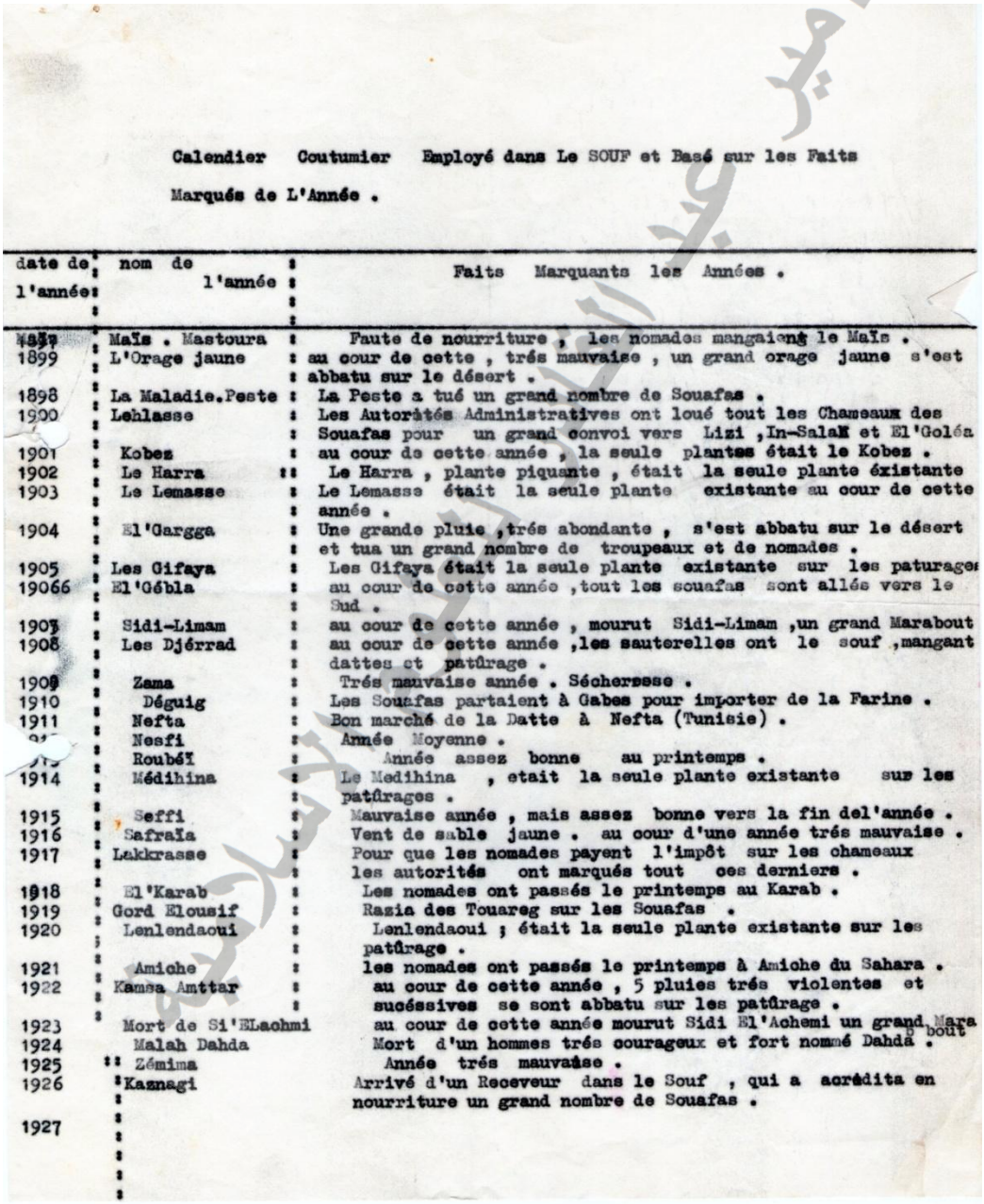
[1746] Jean PIGORAU : op. cit, p 24.

الملحق رقم : 31. صـــــورة لخريطة توضح نسب المهاجرين من مناطق وادي سوف، فالدائرة الحمراء للنســـبة العالية، ثم الدائرة السوداء وهي بالوسط، وتمثل النسبة المتوسطة، لتليها الزرقاء ضعيفة النسبة من التقـــرير المعـــنون الهـــجرة في ملحقة الواد لحاكم الملحق جون بيقرو.[1747]



[1747] Ibid.

ملحق رقم : 32. صورة لجدول يوضح اسماء الأعوام وفقا لأهم حدث فيه، فتبدأ بعام الذرى " المستورة " (Maïs)، لينتهي الجدول بسنة 1958، وهو العام الموافق لعام 1957م، وهو عام الرزية، وفيه غزى التوانسى على قطعان الماشية والإبل التابعة للسوافى[1748].

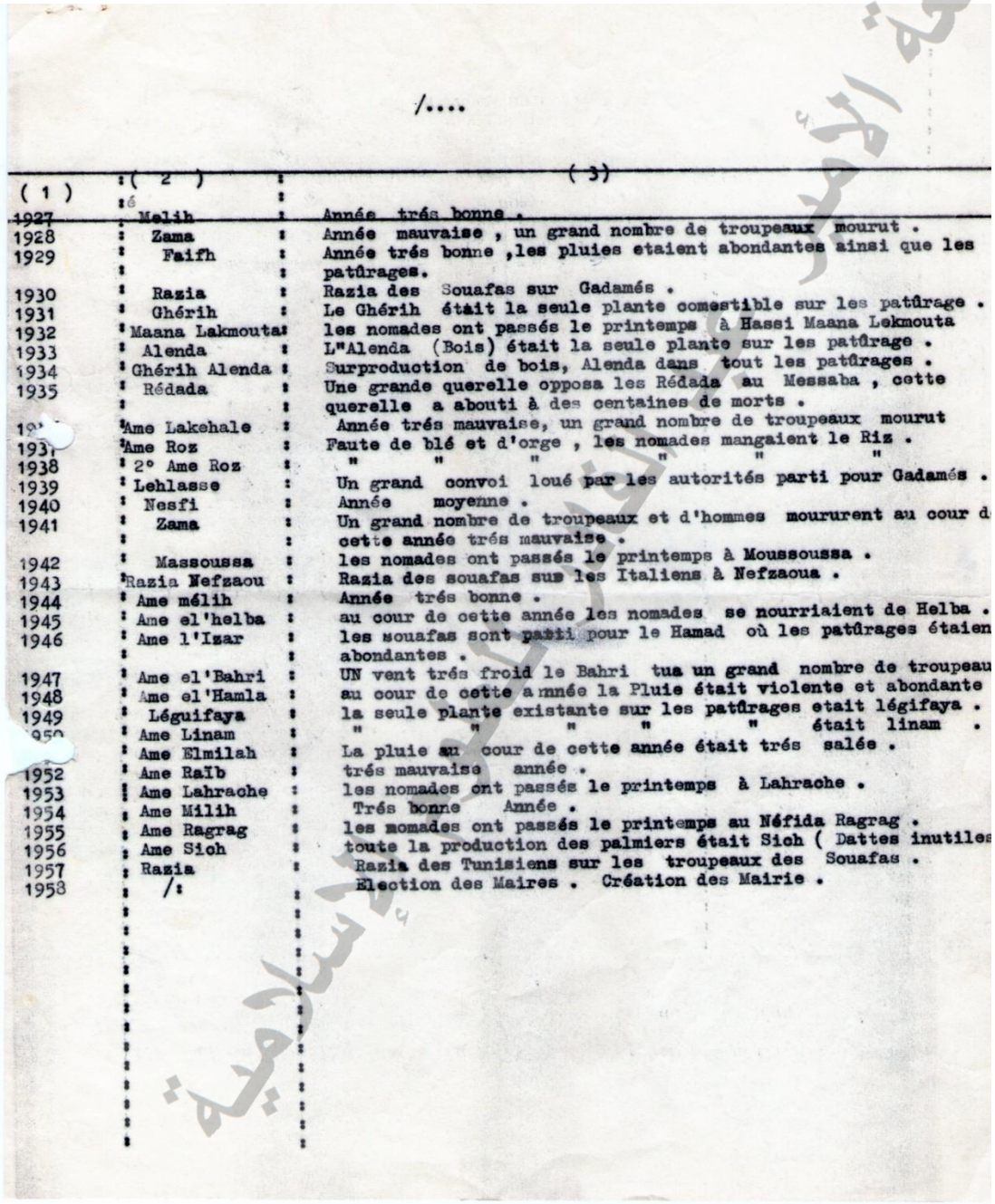


Calendier Coutumier Employé dans Le SOUF et Basé sur les Faits Marqués de L'Année .

date de l'année	nom de l'année	Faits Marquants les Années .
1899	Maïs . Mastoura	Faute de nourriture , les nomades mangaient le Maïs .
	L'Orage jaune	au cour de cette , trés mauvaise , un grand orage jaune s'est abbatu sur le désert .
1898	La Maladie.Peste	La Peste a tué un grand nombre de Souafas .
1900	Lehlasse	Les Autorités Administratives ont loué tout les Chameaux des Souafas pour un grand convoi vers Lizi ,In-Salah et El'Goléa
1901	Kobes	au cour de cette année , la seule plantes était le Kobes .
1902	Le Harra	Le Harra , plante piquante , était la seule plante éxistante
1903	Le Lemasse	Le Lemasse était la seule plante existante au cour de cette année .
1904	El'Gargga	Une grande pluie ,trés abondante , s'est abbatu sur le désert et tua un grand nombre de troupeaux et de nomades .
1905	Les Gifaya	Les Gifaya était la seule plante existante sur les paturages
19066	El'Gébla	au cour de cette année ,tout les souafas sont allés vers le Sud .
1907	Sidi-Limam	au cour de cette année , mourut Sidi-Limam ,un grand Marabout
1908	Les Djérrad	au cour de cette année ,les sauterelles ont le souf ,mangant dattes et patûrage .
1909	Zama	Trés mauvaise année . Sécheresse .
1910	Déguig	Les Souafas partaient à Gabes pour importer de la Farine .
1911	Nefta	Bon marché de la Datte à Nefta (Tunisie) .
	Nesfi	Année Moyenne .
	Roubéï	Année assez bonne au printemps .
1914	Médihina	Le Medihina , etait la seule plante existante sur les patûrages .
1915	Seffi	Mauvaise année , mais assez bonne vers la fin del'année .
1916	Safraïa	Vent de sable jaune . au cour d'une année trés mauvaise .
1917	Lakkrasse	Pour que les nomades payent l'impôt sur les chameaux les autorités ont marqués tout ces derniers .
1918	El'Karab	Les nomades ont passés le printemps au Karab .
1919	Gord Elousif	Razia des Touareg sur les Souafas .
1920	Lenlendaoui	Lenlendaoui ; était la seule plante existante sur les patûrage .
1921	Amiche	les nomades ont passés le printemps à Amiche du Sahara .
1922	Kamsa Amttar	au cour de cette année , 5 pluies trés violentes et sucéssives se sont abbatu sur les patûrage .
1923	Mort de Si'ELachmi	au cour de cette année mourut Sidi El'Achemi un grand Marabout
1924	Malah Dahda	Mort d'un hommes trés courageux et fort nommé Dahda .
1925	Zémima	Année trés mauvaise .
1926	Kaznagi	Arrivé d'un Receveur dans le Souf , qui a acrédita en nourriture un grand nombre de Souafas .
1927		

[1748] أرشيف متحف المجاهد بالوادي : صندوق الوثائق غير المؤرخة.

ملحق رقم : 33. صورة للصفحة الموالية للجدول الذي يـــوضح اسماء الأعوام وفقا لأهم حدث انتهاء بسنة 1958، وهو العام الموافق لعام 1957، وهو عام الرزية وفيه غزى التوانسى على قطعان الماشية والإبل التابعة للسوافى[1749].



/....

(1)	(2)	(3)
1927	Melih	Année trés bonne .
1928	Zama	Année mauvaise , un grand nombre de troupeaux mourut .
1929	Faifh	Année trés bonne ,les pluies etaient abondantes ainsi que les patûrages.
1930	Razia	Razia des Souafas sur Gadamés .
1931	Ghérih	Le Ghérih était la seule plante comestible sur les patûrage .
1932	Maana Lakmouta	les nomades ont passés le printemps à Hassi Maana Lekmouta
1933	Alenda	L"Alenda (Bois) était la seule plante sur les patûrage .
1934	Ghérih Alenda	Surproduction de bois, Alenda dans tout les patûrages .
1935	Rédada	Une grande querelle opposa les Rédada au Messaba , cette querelle a abouti à des centaines de morts .
19..	Ame Lakehale	Année trés mauvaise, un grand nombre de troupeaux mourut
193.	Ame Roz	Faute de blé et d'orge , les nomades mangaient le Riz .
1938	2° Ame Roz	" " " " " "
1939	Lehlasse	Un grand convoi loué par les autorités parti pour Gadamés .
1940	Nesfi	Année moyenne .
1941	Zama	Un grand nombre de troupeaux et d'hommes moururent au cour d cette année trés mauvaise .
1942	Massoussa	les nomades ont passés le printemps à Moussoussa .
1943	Razia Nefzaou	Razia des souafas sur les Italiens à Nefzaoua .
1944	Ame mélih	Année trés bonne .
1945	Ame el'helba	au cour de cette année les nomades se nourriaient de Helba .
1946	Ame l'Izar	les souafas sont pati pour le Hamad où les patûrages étaien abondantes .
1947	Ame el'Bahri	UN vent trés froid le Bahri tua un grand nombre de troupeau
1948	Ame el'Hamla	au cour de cette année la Pluie était violente et abondante
1949	Léguifaya	la seule plante existante sur les patûrages etait légifaya .
195.	Ame Linam	" " " " " était linam .
	Ame Elmilah	La pluie au cour de cette année était trés salée .
1952	Ame Raïb	trés mauvaise année .
1953	Ame Lahrache	les nomades ont passés le printemps à Lahrache .
1954	Ame Milih	Trés bonne Année .
1955	Ame Ragrag	les momades ont passés le printemps au Néfida Ragrag .
1956	Ame Sich	toute la production des palmiers était Sich (Dattes inutiles
1957	Razia	Razia des Tunisiens sur les troupeaux des Souafas .
1958	/:	Election des Maires . Création des Mairie .

[1749] أرشيف متحف المجاهد بالوادي : صندوق الوثائق غير المؤرخة.

الملحق رقم : 34. صورة لجدول يوضح معلومات حول المعمرين الذين أقاموا بكامل إقليم وادي سوف منذ سنة 1902[1750].

COMMUNE MIXTE D'EL.OUED

Etat des Réservistes et Disponibles

FRANCAIS de SOUCHE

Noms et Prénoms	Grade	Classe de Recrutement	Classe de Mobilisation	Arme d'Origine	Bureau de Recrutement	n°Mle ou Recrutement.	Date et Lieu de naissance	Profession	Adresse complète	Observations.
LUGE-CASTEOT Jean	Capitaine (Armée Air)	1902	1907	Infanterie	Blida.(Bataillon de l'Air)		21.4.1902.à Voiron (Isère)	Administrateur des Services Civils.	El.Oued	
BATAILLON Pierre	Lieutenant	1945	1945	Infanterie Coloniale	Reims.1°Région	1024	8.4.1925 à Asbonne	d°	d°	
BOCHICCHIOLI Georges	S/Lt.	1950	1954/1	Armée de l'Air	Ajaccio	149	21.6.30. Trevirh (Cochinchine)	Elève Administrateur des Sces.Civils	d°	
HAIS Marcel	S/Lt.	1950	1953/2	Infanterie	Poitiers	23.943	2.4.1930.à Fouqueure (Charente)	Instituteur	Ouéma	
ROSUSCHI Marcel Jacques	Adjt.Chef	1925	1924	Cavalerie et Méhariste.	Oudna	48	4.6.1905 Chéria	Commerçant	El.Oued	
SCHMITT Joseph Ernest	Adjudant Interprète	1940	1936	Section de Liaison E.M.G.G.	Constantine	1876	6.11.1920 Strasbourg (B.R.)	Secrétaire des Sces. Civils de l'Algérie.	d°	
FRAISIER Robert	M.d.l.Chef	1938	1938	Artillerie	Constantine	466	5.8.1918.	Chef de Gare	d°	
PERROUD Guy Robert	M.d.l.	1948	2°réserve	d°	Lyon ou Constantine	23400	9.4.1928.Civrille (Isère)	Instituteur Ecole Gare	d°	3 enfants
VOISIN Jacques Jean	M.d.l.	1951	1951	d°	Poitiers	15 14696	20.8.31.à Bordeaux	Instituteur	Tiksebt/El.Oued	
BOURGOIN François	Sgt.Chef	1940		Cavalerie	Tarbes		31.12.1920.Champigneulles(M.et M.)	d° CGE.	El.Oued	
MACHENVILLE Guy	Brig.Chef	1946	1946	2ème.Chasseur d'Afrq.	Constantine	161	24.7.1926.	Gérant Contrôle E2O.A.	d°	
JUMEAUD Roger	Cmdp.Chef	1945	1944	Infanterie	d° (Poitiers 498 261691		17.3.1925/ Rue-le-Palestel (Creuse)	Instituteur	2'Oum-El.Oued.	
BUISSON Albert Joseph Henri	Caporal Chef	1946/1	1946/2	Transmissions	1ère.Région	209	8.4.1926.Paris 12°	Instituteur	Kouinine-El.Oued	
BRARGIARD François	d°	1940	1934	Infanterie	Lyon	7094	8.9.1920.Oullins(Rhône)	d°	Ouéma	
FRAISIER Raymond	d°	1935	dernière Classe 2°réserve	Armée Air	Constantine	841	5.12.1915.Maison Carrée	Architecte	C.M. El.Oued	4 enfts.
PALACIO Yvon Pierre	Brigadier	1953	1954/1	Chasseurs Alpins Méhariste	Marseille	05465	1.8.1933 à Gardanne B.du Rhône	Dessinateur	El.Oued	
GRISOT Marcel	1ère.Cl.	1945	1945	Aviation. Blida	Constantine	CIB.648. 312	22.4.1925 à Collo	OPFA. I	G.P.A. El.Oued	
GRISOT Raymond	1ère.Cl.	1947.R.Sud	1947	3ème.Zouave	d°	318	19.4.1927 à Collo	Employé G.P.A.	G.P.A. d°	
BOUCHOT Jacques	d°	1949	1953/2	Artillerie	d°	3092	23.5.1929.Chateauroux (Indre)	Instituteur	Hôtima	
ESPEYE Jacques	d°	1946	1944	Chasseurs Portés	d°	11835	29.4.1926 d°	Moniteur S.A.R.	Annexe El.Oued	
D'ARGILO Amédée	d°	1949/52	1949	3ème.Régt.Zouaves	d°	954	4.10.29.à Oued Rougrada Souk Ahras	Magon	El.Oued	
PEREZ Ernest	2ème.Cl	1932	1933	27ème.Train Alger	Oran	1387	20.1.1912. à Oran	Conducteur Travaux Commune Mixte El.Oued	d°	

.../...

[1750] أرشيف متحف المجاهد بالوادي، صندوق الوثائق غير المؤرخة، مرجع سابق.

الملحق رقم : 35. صـــورة للصـــفحة الموالية للجدول الموضح للمعلومات حول المعمرين الذين أقاموا بكامل إقليم وادي سوف منذ سنة 1902[1751].

COMMUNE MIXTE D'EL.OUED

Etat des Réservistes et Mayonnibles

FRANCAIS de SOUCHE

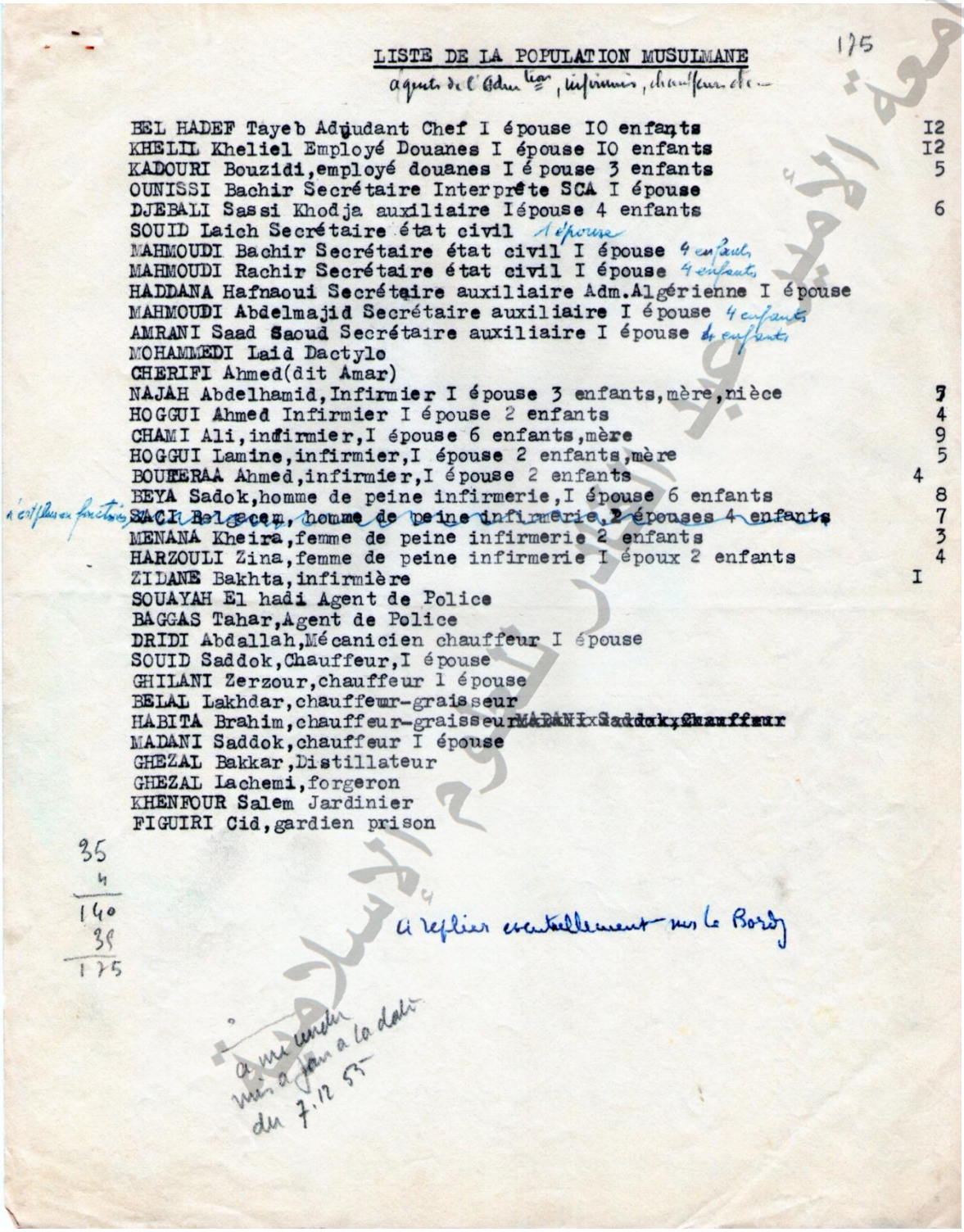
(Suite)

Nom et Prénoms	Grade	Classe de Recrutement	Classe de Mobilisation	Arme d'Origine	Bureau de Recrutement.	N°Matricule Recrutement	Date et Lieu de naissance	Profession	Adresse complète	Observations.
		Disponné			Lyon Constantine	23098	9.8.1928 à Roybon (Isère)	Instituteur	2'Oeum	
LUC Hubert	2ème.Cl.	1955		Intendance	Constantine	55-93-68	20.5.1918. à Mahon	Employé C.F.A.	C.F.A. El.Oued	
PONS Francisco	d°	1944	dernière cl.	Légion Etrangère	d°	281	6.11.1918 à Bolles	d°	d°	
MEBOT Juan			2ème.réserve.							
BOUGHOIS Gilbert	Caporal	1948	1948	1/3°R.E.A.	d°	1431	23.3.1928.à Ouelma	Monniteur.C.C.E.P.	El.Oued	
GARRETIER Roger	2ème.Cl.	1953- 2	1947	Air	Toulouse	23.003	2.7.1927.Villemoure de Rarnago(Ariège)	Instituteur	d°	
MAHU Edmond	d°	1946	1946	2ème.R.G.A.	Constantine	1423	13.4.1926.Constantine	d° C.C.E.P.	d°	
GALISE Georges	d°	1947	1947	Armée de l'Air	Centre Mobilisateur AIR n°225 Alger	244/1947	17.12.1927.Philippeville.Assistant aux laboratoires R.E.P.		d°	
CABARBES Louis Maxime	d°	1946	1948	26°Train Tunis	Constantine	14140	6.2.1926 à LIT A MIXE Pere Blanc		d°	
GOUILARD Armand		1952	Sursit.	-	Tanmee(Morbihan)	5204.AP.R.1	1.12.1932 à Lorient (Morbihan)	Instituteur	d°	
FEVRIER Jean André	2ème.Cl.	1945	1941	-	Constantine	49.47720	1.8.1925. LA LOUPE (Eure et Loire)	d°	d°	
MEURIER Roland Paul François	sans	1949	1945	Service Auxiliaire.	d°	2955°Dossier 1116a"	22.10.1929.CHUBRET (Creuse)	d°	d°	
FEVRIELLI Jean Michel	Matelot	1945	1944	Marine	d°	1201	23.12.1925. Tunis	d°	d°	
CABARBES Bernard	-	1953	Sursit	-	Marseille	01701	27.8.1933.Clermont (Herault)	d°	d°	
HEID Jean	2ème.Cl.	1949	d°	Marine	Besançon	Mission 1935	18.5.1929 Besançon (Doubs)	d°	d°	
JAMET Pierre	d°	1942	1942	Infanterie	Constantine	4.M.1133	4.3.1922.Penjamour (Aude)	d°	d°	
LAURES Pierre	-	1951.Réformé le 3.10.56.		-	Toulouse	-	29.3.1931.Toulouse (Hte-Garonne)	d°	d°	
PERAIS Georges	2ème. Cl.	1944	1940	Infanterie	Constantine	1893	12.9.1924. A Mida	d°	d°	
SEGUERA Roger	-	1953	Sursit	-	Toulouse	9 178	5.6.1933.Montaut(Ariège)	d°	d°	
GAUCHOIS Paul	2ème.Cl.	1935	1927	Artillerie	Rouen	2524	9.12.1915.LE TREPORT (Seine Maritime)	Dessr. Ecole	d°	
PHILIPPE Norbert	-	1947	Disponné de Ser.Actif.	-	Constantine	56126	17.3.27. Mesb (Orne)	Instituteur	Rayon par El.Oued	
BONNISSOL Adrien	2ème.Cl.	1944	1944	Infanterie	d°	3483	18.9.1924.Moroneglia. (Corse)	d°	Béhima	
VERT Jean	d°	1951	1956/1	8ème.S.I.M.	5°Région Mre.1°B.	2191	18.1.1931.St.Flour (Cantal)	d°	d°	
BLONDEL Max Georges	d°	1945	FFI.1944.	-	Valenciennes	501521	14.10.25.Ostenville (Seine et Oise)	d°	Amiche-El.Oued.	

.../...

[1751] أرشيف متحف المجاهد بالوادي، صندوق الوثائق غير المؤرخة.

الملحق رقم :36. صور لقائمة العاملين من السكان الجزائريين المسلمين مع عدد اطفالهم بالإدارة الفرنسية بالوادي المركزي، خاصة الممرضات من السكان الجزائريين بتاريخ 7 / 12 / 1955[1752].



LISTE DE LA POPULATION MUSULMANE

agents de l'Administration, infirmiers, chauffeurs etc...

175

BEL HADEF Tayeb Adjudant Chef I épouse IO enfants	I2
KHELIL Kheliel Employé Douanes I épouse IO enfants	I2
KADOURI Bouzidi,employé douanes I épouse 3 enfants	5
OUNISSI Bachir Secrétaire Interprète SCA I épouse	
DJEBALI Sassi Khodja auxiliaire Iépouse 4 enfants	6
SOUID Laich Secrétaire état civil 1 épouse	
MAHMOUDI Bachir Secrétaire état civil I épouse 4 enfants	
MAHMOUDI Rachir Secrétaire état civil I épouse 4 enfants	
HADDANA Hafnaoui Secrétaire auxiliaire Adm.Algérienne I épouse	
MAHMOUDI Abdelmajid Secrétaire auxiliaire I épouse 4 enfants	
AMRANI Saad Saoud Secrétaire auxiliaire I épouse 4 enfants	
MOHAMMEDI Laid Dactylo	
CHERIFI Ahmed(dit Amar)	
NAJAH Abdelhamid,Infirmier I épouse 3 enfants,mère,nièce	7
HOGGUI Ahmed Infirmier I épouse 2 enfants	4
CHAMI Ali,infirmier,I épouse 6 enfants,mère	9
HOGGUI Lamine,infirmier,I épouse 2 enfants,mère	5
BOUKERAA Ahmed,infirmier,I épouse 2 enfants	4
BEYA Sadok,homme de peine infirmerie,I épouse 6 enfants	8
n'est plus en fonctions SACI Belgacem, homme de peine infirmerie,2 épouses 4 enfants	7
MENANA Kheira,femme de peine infirmerie 2 enfants	3
HARZOULI Zina,femme de peine infirmerie I époux 2 enfants	4
ZIDANE Bakhta,infirmière	I
SOUAYAH El hadi Agent de Police	
BAGGAS Tahar,Agent de Police	
DRIDI Abdallah,Mécanicien chauffeur I épouse	
SOUID Saddok,Chauffeur,I épouse	
GHILANI Zerzour,chauffeur I épouse	
BELAL Lakhdar,chauffeur-graisseur	
HABITA Brahim,chauffeur-graisseur MADANI Saddok,Chauffeur	
MADANI Saddok,chauffeur I épouse	
GHEZAL Bakkar,Distillateur	
GHEZAL Lachemi,forgeron	
KHENFOUR Salem Jardinier	
FIGUIRI Cid,gardien prison	

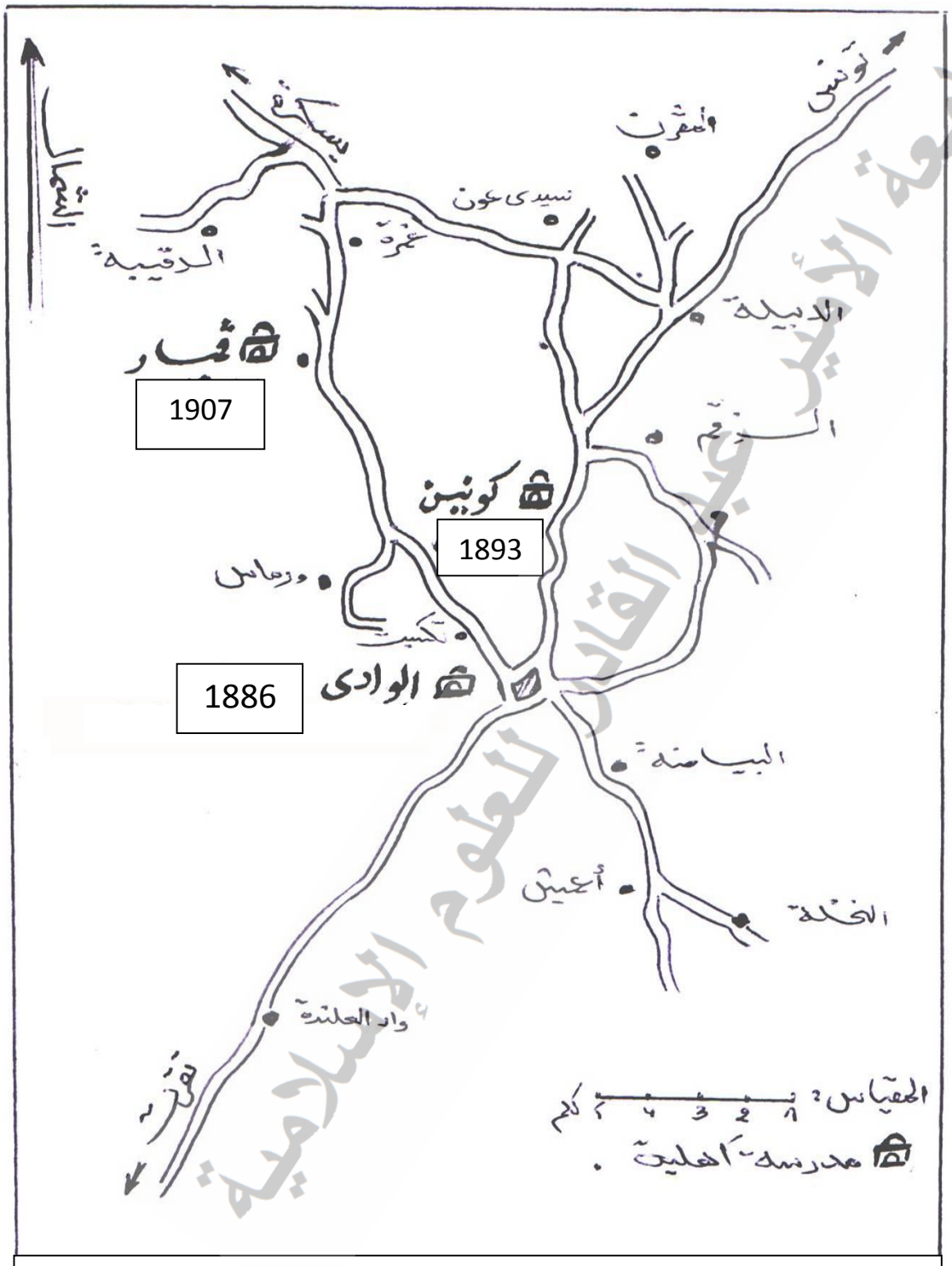
35
4
140
35
175

à replier exactement suivant le Bordj

à me remplir sans faute à la date du 7.12.55

[1752] أرشيف متحف المجاهد بالوادي، صندوق الوثائق غير المؤرخة.

الملحق رقم 37. خريطة المدارس الأهلية بوادي سوف.



المرجع الموظف في رسم الخريطة :

1 André Voisin : op. cit, p 271.

2 موسى بن موسى : **الحركة الاصلاحية**، مرجع سابق، ص 104.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع العربية :

أولا – المصادر :

أ - القرآن الكريم :

1 - **سورة آل عمران** : الآية .97

2 - **سورة النساء** : الآية .59

3 - **سورة العلق** : الآيات 1-2-3-4-5.

ب - كتب السنة والفقه :

4 - ابن الحجاج، مسلم : **صحيح مسلم**، ج 3، ط 1، دار الحديث، بيروت، لبنان، 1412ه/1991م.

5 - البخاري، محمد بن اسماعيل : **صحيح البخاري**، ط 1، داربن كثير، دمشق بيروت، 1423ه/2002م.

6 - الترمذي، محمد بن عيسى : سنن الترمذي، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ت).

7 - الجوزي، ابن القيم : **الطب النبوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، .1957

8 - القيرواني، ابن أبي زيد : **الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، تحقيق الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، مطبعة المنار، تونس، (د - ت).

9 - ( )

_____،

_____) :

متن الرسالة لأبي زيد القيرواني، مكتبة رحاب، الجزائر،(د. ت).

10 - النووي، أبو زكرياء يحي بن شرف : **كتاب الأربعين نووية**، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1423هـ/2002م.

ج – الكتب المخطوطة والمطبوعة :

11- ابن خلدون عبد الرحمن : **المقدمة للعلامة ابن خلدون**، المطبعة الشرفية،مصر،رجب الفرد 1327هـ.

12 - ابن خلدون عبد الرحمن: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 6، دار البيان، (د – ب)، (د – ت).

13 - ابن عامر، إبراهيم : **الصروف في تاريخ سوف**، ج2، (مخ)، نسخة مكتبة سيدي سالم، بخط الشيخ سيدي مصطفى سالمي.

14 - ابن عزوز، محمد : **التعريف بزاوية سيدي سالم**، (مخ)، بمكتبة زاوية سيدي سالم، الوادي.

15 - **أثار ابن باديس**، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، ط 1، ج 1، دار اليقظة العربية، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر، 1388هـ - 1968م.

16 - **أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

17 - **الاستبصار في عجائب الأمصار**، مجهول المؤلف، (ت. ق 6هـ)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الأسكندرية، 1958.

18 - الأمير عبد القادر : **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**، طبعة دمشق، (د – ت).

19 - الأنصاري، عبد الرحمان بن محمد بن الدباغ : **كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب**، تحقيق هـ. ريتر، دار صادر، بيروت، 1959.

20 - بابا حمو أعزام، إبراهيم بن صالح: **غصن البان في تاريخ وارجلان**، (مخ)، غرداية.

21 - بالحاج، عبد الرحمان : **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وبن عزوز**، مطبعة النجاح، قسنطيتة، 13 شوال 1350هـ.

22 - باش تارزي، مصطفى بن عبد الرحمان : **المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية**، دار البعث، قسنطينة، (د. ت).

23 - تشرشل، شارل هنري : **حياة الأمير عبد القادر الجزائري**، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

24 - التليلي، محمد الطاهر : **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، (مخ)، مكتبة النادي السياحي، قمار.

25 - (ــــــ

ـــــ) : **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريقة سيدي محمد الصالح**، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ.

37 – (ـــــــ

48 - **رسالة** مؤرخة في 25 ماي 1943 موجهة من المقر الفرعي لشركة الرحلات وفنادق شمال إفريقيا بالجزائر إلى المكلف بتسيير نزل ترانز اتلنتيك بالوادي جيلاني طرييشة يعلمه بضرورة تقديم تسهيلات للجيش الفرنسي في استغلال النزل ولدينا نسخة من الرسالة بمكتبة استاذ عثمان زقب.

49 – الشريف، إبراهيم : " النور "، **قصيدة**، خطت بالاغواط بتاريخ 1904 منسوخة عن الأصل بزاوية إبنه محمد الطيب الشريف بالرويسات.

50 – العوامر، إبراهيم : " رحلة إلى بسكرة "، **قصيدة** ملحونة، وهي بتاريخ 1902.

51 - القوراري، محمد الخميس : **رسالة** إلى الشيخ الحافظ التجاني المصري حول الحاج علي التماسيني وأبنائه، مرقونة، (نصخة مصورة عنها).

هـ - السجلات والتقارير والقوانين والشهادات:

52 - تقرير الأمانة الولائية للمجاهدين بالوادي : **الملتقى الأول لولايات الحدود**، ولاية الطارف، (د. ت).

53 - **سجل الجمعية الدينية الإسلامية بالوادي (سوف)**، مكتبة سيدي سالم، الوادي.

54 - **سجل المحكمة الشرعية** بالوادي (1851)، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

55 - **سجل المحكمة الشرعية** بكوينين (1873)، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

56 - **سجلات الحالة** المدنية لسنة 1934، بلدية الوادي.

57 - **سجلات الحالة** المدنية لسنة 1937، بلدية الوادي.

58 - الشريف، محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم : " **هذا نص الحبس الذي حبسه الطيب الذكر المبرور الولي الصالح سيدي محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم الشريف على زواياه القادرية بشمال إفريقيا** "، مطبعة جول كربونال، الجزائر، 15 رمضان 1343هـ.

59 - **الشهادة** التي منحت للباش عدل بمحكمة ورقلة لخضر بن عمار بن أحمد شبرو من قبل باي تونس أحمد باشا باي بتاريخ : 23 ذي القعدة 1347هـ/01 ماي 1929م باللغة العربية.

60 - **قـــــــــــرار** الحكم القاضي بحل حبس للشيخ الهاشمي لصالح الشيخ محمد الصالح وأخته زهور. كشف عليه الشيخ أحمد الخراز.

61 - **قوانين دولية مؤرخة في سنة 1859 و1866 وسنة 1867 و1868 وسنة 1870 وتحرير الأصول في الشرع الإسلامي بالإقليم الجزاير وعدة رسائل وأوامر ومسائل متفرقة.**

و – الجرائد والصحف :

62 - **البصائر** : الأعداد : 93 – 94 – 95 – 96 – 99 - 102 – 105 – 109 – 112 – 113 – 116 – 121 – 123 – 164 – 165 – 167 – 168 – 169.

63 - **جريدة خالص صدق مسلمي إفريقيا لأم أوطانهم الأمة الفرنسوية**، جلالة مولاي يـــوسف سلطان المغرب الأقصى، حضرة محمد الناصر باي، الدين النصيحة، 5 محرم 1333هـــ / 10 نوفمبر 1914م.

64 - حسين، محمد الخضر : **السعادة العظمى 1322م**، تحقيق علي الرضا التونسي، الشركة التونسية للتثقيف والترفيه، 1405هـــ/1958م، تونس.

65 - **الشهاب** : العدد 94، السنة الثالثة، 15 صفر 1345هـــ/23 أوت 1926.

66 - **صدى الصحراء** : العدد 2 السنة الأولى، 13 جمادي الثانية 1344هـــ/30 نفامبر 1925.

67 - **صدى الصحراء** : العدد 8، السنة الأولى، 7 رجب الفرد 1344هـــ/25 جانفي 1926م.

68 - **صوت وادي سوف**، جريدة تصدر باللغتين (الفرنسية – العربية) عن المكتب الفرنسي الخامس، بالوادي، عدد سنة 1958، مخ بستانسيل.

69 - **النجاح** : العدد 2134، 3 ربيع الأول 1357ه/4 ماي 1938.

70 - **النجاح** : العدد 2135، 5 ربيع الأول 1357ه/6 ماي 1938.

71 - **الوفاق** : العدد 7، السنة الأولى، الخميس 12 ربيع الأول 1357هـــ/12 ماي 1938م.

ثانيا – المـــــــــــراجع :

أ – الكتب المخطوطة والمطبوعة :

72 - إبراهيم قادي، عبد الحميد : **التعريف بوادي ريغ**، منشورات جمعية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999.

73 - ابن أشنهو، عبد اللطيف: **تكوين التخلف في الجزائر**، ترجمة نخبة من الأساتذة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979

74 - ابن نبي، مالك : **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، ط 3، دار الفكر، الجزائر، 1408هـ/1988م.

75 - (ـــــــ

84 - أمين، أحمد : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، 1990.

85 - أمين، أحمد : **فيض الخاطر**، ج 9، ط 2، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، مصر، 1962.

86 - بالهادف، بن سالم : **سوف تاريخ وثقافة**، (د.ط)، مطبعة الوليد، الوادي، 2008

87 - البحتري، أحمد : **الجديدة في أدب الجريد**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1973.

88 - البسيوني، إبراهيم : **نشأة التصوف الإسلامي**، دار المعارف، مصر، .1969

89 - بغدادي، مولاي ملياني : **المحاماة في الجزائر**، ج 1، المطبعة الجزائرية دحلب، الجزائر، 1993.

90 - بوتفنوشت، مصطفى : **العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة**، ترجمة أحمد دمرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

91 - بوحوش، عمار : **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962** ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، .2005

92 - بوضرساية، بوعزة وآخرون : **الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث،منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

93 - بوعزيز، يحي : **ثـــورات الجـــزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1980.

94 - (ــــــ

98 - التميمي، عبد الجليل : **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر – تونس – المغرب – ليبيا) 1816 –1871**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

99 - الجابري، محمد الصالح : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

100 - (_____)، _____ : **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، الدار العربية للكتاب، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989.

101 - جغلول، عبد القادر : **تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سسيولوجية)**، ترجمة فيصل عباس، مراجعة خليل أحمد خليل، ط 2، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1982.

102 - الجمل، شوقي : **المغرب العربي الكبير**، ط2، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، مصر، 1997.

103 – الجندي، أنور : **عبد العـــزيز الثعـــالبي رائد النهضة الإسلامية (1879 – 1944م)**، ط 1، دار الغـــرب الإســـلامي، بيروت، 1404هـــ / 1984م.

104 - جوليان، شارل أندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978.

105 - الجيلاني، حسان : **ملحمة الشيخ الهاشمي الشريف (1853-1923)**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008

106 - حرب، علي : **نقد النص**، ط3، المركز الثقافي، مصر، 2000.

107 - حسنين، محمد : **الاستعمار الفرنسي**، ط 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

108 - الحسيني، علي الرضا : **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره**، الدار الحسينية، تونس، 1997.

109 - حلوش، عبد القادر : **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط 01، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999.

110 - حمادي، عبد الله : **الإيديولوجيا الفركفونية في الجزائر (من خلفيات الصراع)**، المؤسسة الوطنية للنشر والاستثمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

111 - حناي، محمد : **المدرسة الأهلية بقمار بين نشر التعليم وسياسة التغريب (1907 – 1962م)**، (مخ)، الوادي، 2010.

112 - خالد، أحمد : **شخصيات وتيارات**، ط2، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ماي 1976.

113 - خضر، إدريس : **التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

114 - خلف التميمي، عبد المالك : **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي – فلسطين – الخليج العربي) دراسة تاريخية مقارنة**، سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم71،الكويت، 1983.

115 - دبوز، محمد علي : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 3، المطبعة العربية، الجزائر، 1969.

116 - دوركايم، إميل : **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، تقديم عبد الرحمان بوزيدة، موفم للنشر، الجزائر، 1990.

117 – تركي، رابح : **التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931 – 1956)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائ، 1981.

118 - (_____)، _____) : **الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900 – 1940)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د – ت).

119 - راشدي، سليم وصيد، عبد الحليم : **الأستاذ الصادق بالهادي عالم سيدي عقبة ومدرسها الفذ (1875 – 1939م)**، ط2، مكتبة الطالب، بسكرة، 1419هـ/1998م.

120 - رايلي، كافين : **الغرب والعالم (تاريخ الحضارة من خلال موضوعات.)**، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري وهدى عبد السميع حجازي، مراجعة فؤاد زكرياء، القسم 02، كتاب رقم 97، عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1986.

121 - رشوان، حسين : **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، المكتب الجامع الحديث، الإسكندرية، 1982.

122 - **الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم**، ط3، مطبعة SIB، كوينين، الوادي، 17شوال 1429هـ/17 أكتوبر 2008م.

123 - **الزاوية التجانية بقمار الماضي والحاضر**، ط2، مطبعة SIB، كوينين، الوادي، 17 شوال 1429هـ/17 أكتوبر 2008م.

124 - زبدي، صالح : **رسم القرآن في متشابه من كتاب البيان**، نشر شركة آمال للإعلام الآلي والأعمال المكتبية، الوادي، الجزائر، 1998.

125 - الزبيري، محمد العربي : **التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792 - 1830)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

126 - (ـــــــ

131 - الساحلي، حمادي : **فصول في التاريخ والحضارة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

132 - السايحي، محمد الأخضر عبد القادر : **محمد الأمين العمودي الشخصية متعددة الجوانب**، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

133 - ستودارد، لوثروب : **حاضر العالم الإسلامي**، نقله للعربية أ. عجاج نويهض، ط 4، المجلد الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1973.

134 - سعد الله، أبو القاسم: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

135 - (ـــــــ

140 - (_____)، _____ : **الحركة الوطنية الجزائرية (1930 – 1945)**، ج 3، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

141 - (_____)، _____ : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، ج 3، ج 4، ج 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

142 – (_____)، _____ : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

143 - (_____)، _____ : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**،مج 2، مج 3، مج 5، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

144 - (_____)، _____ : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009.

145 - سعد الله، فوزي : **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ج1، ط2، دار قرطبة، الجزائر، 1426هـ/2005م.

146 - سعد، أحمد صادق : **تاريخ العرب الاجتماعي (تحول التكوين المصري من النمط الآسيوي إلى النمط الرأسمالي)**، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981.

147 – سعداوي، مصطفى : **المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر**، مكتبة الخورزمي، متيجة للطباعة، الجزائر، 2009.

148 - سعيدوني، ناصر الدين : **الجزائر في التاريخ، العهد العثماني في الجزائر**، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

149 - (_____)،

_____) : **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

150 - سلامة، غسان وآخرون : **المجتمع والدولة في الوطن العربي**، منسق الدراسة وحرر الكتاب سعد الدين إبراهيم، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ماي 2005.

151 - سليمان نوار، عبد العزيز وجمال الدين محمود : **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، 1419هـ / 1999م.

152 - السويدي، محمد : **بدو الطوارق بين الاستقرار والتغير « دراسة سوسيو-انثروبولوجية في التغير الإجتماعي»**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

153 -)

_____

_____،

(_____

: **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

154 - سيف الإسلام، الزبير : **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

155 - الشايع، بن سالم ومقدود، البشير وحنة، خالد : **التعليم الفرنسي في وادي سوف (مدرسة الأهالي بالوادي نموذجا) (1886-1962)**، (مخ)، الوادي، 2008 - 2009.

156 - الشقيري، مصطفى : **الإعلام وعلم الاجتماع**، ط01، دار الفكر، لبنان، 1984.

157 - صاري، أحمد : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، المطبعة العربية، غرداية، 2004.

158 - الصديق، محمد الصالح : **كيف ننسى وهذه جرائمهم؟**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

159 - الطوير، محمد امحمد : **مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب**،(1835 ـــ 1858)، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد اللـــيبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988.

160 - عباس، محمد : **ثوار عظماء شهادات 17 شخصية وطنية**، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

161 - عباس، محمد : **فرسان الحرية شهادات تاريخية**، دار هومة، الجزائر، 2003.

العربي، إسماعيل : **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

162 - عثمان، محمد عبد الستار : **المدينة الإسلامية**، سلسلة المعرفة، الكتاب رقم 128، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس .1988

163 - العشعاشي، الحاج مصطفى : **السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية**، تحقيق و تحرير مصطفى يلس شاوش بن الحاج محمد، مطبعة سقال، تلمسان، الجزائر، (د – ت).

164 - عطاء الله الجمل، شوقي وعبد الرزاق إبراهيم، عبد الله : **تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة**، الكتاب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، .2000

165 - العمامرة، سعد والعوامر، الجيلاني : **شهداء حرب التحرير بوادي سوف**، (د.ط)، مطبعة النجلة، الجزائر، (د.س).

166 - عميراوي، احميدة : **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، دار للهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، (د. ت).

167 - (ــــــ

171 - غيرستر، جورج : **الصحراء الكبرى**، تعريب خيري حمادي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961.

172 - فارب، بيتر : **بنو الإنسان**، ترجمة زهير الكرمي، كتاب عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكتاب 67، الكويت، يوليو 1983.

173 - الفاسي، حرازم : **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، ج 1، دار الجيل، بيروت، 1988.

174 - فركوس، صالح : **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2005.

175 - فضلاء، محمد الحسن : **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج 2، دار هومه، الجزائر، 2000.

176 - فيرون، ريمون : **الصحراء الكبرى**، ترجمة د. جمال الدناصوري، مراجعة شكري نصر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967.

177 - فيلالي، مختار الطاهر : **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنـــة، الجزائر، (د. ت).

178 - قداش، محفوظ : **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1 - 2، ترجمة أحمد بن البار، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

179 - قصير، حفناوي : **الأمين العمودي حياته ونشاطه الثقافي**، (د. دار نشر)، (د. ب)، (د. ت).

180 - قنان، جمال : **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1993.

181 - قنانش، محمد : **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د – ت).

182 - كليسترا، نيكو : " تدهور التنظيم القبلي في سوف (القيادات القبلية والجهوية والفرنسية / والطرق الصوفية / والتجار والسياسيون)"، ترجمة أبو القاسم سعد الله، من كتاب **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج 5، ط 2، دار الغرب الإسلامي، 1426هـــ/2005م.

183 – كواتي، مسعود : **تاريخ الجائر المعاصر وقائع ورؤى**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

184 - كوربان، هنري ويحي، عثمان ونصر، حسين : **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، ترجمة نصير بروون وفييمي حسن، ط2، منشورات عويدات، (د. ب)، 1977.

185 - كولونا، فاني : " مثقفون في الاطراف "، من كتاب **الانتلجانسيا في المغرب العربي**، مجموعة بإشراف عبد القادر جغلول، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

186 - لويد، ب. س. : **إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي**، ترجمة شوقي جلال، كتاب عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكتاب 28، الكويت، أبريل 1980.

187 - لويد، دينيس : **فكرة القانون**، تعريب سليم الصويص، مراجعة سليم لسيسو، الكتاب رقم 47، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر، 1981.

188 - محمود، إسماعيل : **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي التطور والازدهار**، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، مصر، 2000.

189 - المدني، أحمد توفيق : **محمد عثمان باشا داي الجزائر1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

190 - مريوش، أحمد وآخرون : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، (د. ت).

191 - مزيان، سعيدي : **النشاط التنصيري للكردينال لافيجري في الجزائر1867 - 1892**، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر، الجزائر، 2009.

192 - مطمر، محمد العيد : **العقيد محمد شعباني و جوانب من الثورة التحريرية الكبرى**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999.

193 - مفتاح، عبد الباقي : **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، مخ، لدى صاحبه.

194 - (ــــــ

ب - الأبحاث الأكاديمية والرسائل الجامعية :

205 - بن موسى، مزسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأة والتطور 1900 – 1939**، ماجستير،اشراف أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، كلية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمود منتوري، قسنطينة، 2005 – 2006.

206 - بوزلماط، طارق : **الصراع بين المعمرين واليهود في أواخر القرن 19م في الجزائر**، رسالة ماجستير، اشراف شاوش حباسي، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2008–2009.

207 - زغب، أحمد : **التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2000.

208 - شلبي، شهرزاد : **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، ماجستير، اشراف علي آجقو، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008 – 2009.

209 - طبابي، حفيظ : **الحركة النقابية بمناجم قفصة (1936-1956)**، شهادة التعمق في البحث، تحت إشراف علي محجوبي، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، السنة الجامعية (1992-1993).

210 - عمراني، معاذ : **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 – 20م**، ماجستير، اشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002 / 2003.

211 - غنابزية، علي : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ / 19 م**، رسالة ماجستير، تحت إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 – 2002.

212 – (ــــــ

213 - الواعر، صبرينة : **محمد برحال دوره السياسي والثقافي (1857 – 1928)**، رسالة ماجستير، إشراف أحمد صاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، 1424هـ - 2003م.

214 – (ــــــ

221 - بن موسى، موسى : "الجمعية الدينية الإسلامية بالوادي (سوف) ودورها الاجتماعي والديني"، **مداخلة**، ندوة مشروع بحث بعنوان الجمعيات الأهلية بالجزائر خلال (1854 – 1945)، نوفمبر 2008، قسم التاريخ بمعهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالمركز الجامعي بالوادي، 2008.

222 - (ــــــ

228 - (ــــــ

235 - (ــــــ

243 - زايد، مصطفى : "من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة الكتاب : دراسة سوسيو انتروبولوجية"، **مجلة الثقافة**، العدد 93، الجزائر، شعبان - رمضان 1406هـ/ماي - جوان 1986م.

244 - السالمي، البشير : "النظام التربوي الإسلامي وصلته بالعلم والتقنية"، مجلة **الثقافة**، السنة العاشرة، العدد 56، الجزائر، ربيع الثاني - جمادي الأولى 1400هـ/مارس – أبريل 1980م.

245 - سعد الله، أبو القاسم : " سليمان الباروني أضواء وملاحظات "، **مجلة الثقافة**، العددان 110 – 111، الجزائر، سبتمبر – ديسمبر، 1995.

246 - (ــــــ

252 - **الشهاب الجديد** : "الشيخ الثائر عبد العزيز بن محمد الهاشمي الشريف"، العدد الأول، ربيع الأول، 1427هـ/أفريل 2006.

253 - الشيخ، بوعمران : " المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة "، **مجلة الأصالة**، العدد 6، الجزائر، 1972.

254 - صاري، أحمد : " الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد 2، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، محرم 1424هـ - مارس 2003م

255 – (ــــــ

262 - العمامرة، سعد : " المجاهد عبد القادر العمودي أحد 22 مفجرّي الثورة التحريرية "، **مجلة القباب**، عدد خاص، الوادي، 2005.

263 - عمري، الطاهر : " مراكز الثقافة العربية بين المقاومة والتكيف (1830-1900)"، مجلة **دراسات أدبية وإنسانية**، العدد 1، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، صفر 1425هـ/أفريل 2004م.

264 - العمودي، عبد القادر : " أهداف الكشافة الإسلامية الجزائرية "، **الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الإسلامية**، الجزائر، 1999.

265 - عميراوي، احميدة : "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب من خلال وثائق نادرة"، **مدونة ملتقى الشريف محمد بن عبد الله بورقلة**، جمعية الانتفاضة الشعبية التاريخية، بورقلة، فبراير، 1998.

266 - (ــــــ

271 - (ــــــ

المتحف الوطني للمجاهد ملحقة ولاية الوادي، 20 ربيع الثاني 1430هـــ- 16 أفريل 2009 على الساعة 9:30 صباحا.

278 – فارح، رشيد: " التنظيم القضائي إبان الاحتلال بين المبدأ العام والتمييز "، **مدونة الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

279 - قاصري، محمد السعيد : " السياسة الاستعمارية في الصحراء الجزائرية "، **مجلة دراسات أدبية وإنسانية**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 01، قسنطينة، صفر 1425هـ / أفريل 2004م.

280 - قعيد، خليفة : " ظروف انبعاث ثورة نوفمبر 1954 بالوادي "، **جريدة النهار**، الجزائر، 1 نوفمبر 1994.

281 - قمعون، عاشوري : "دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية"، **مجلة البحوث والدراسات**، العدد 03، المركز الجامعي بالوادي، جمادي الأولى 1427هـــ/جوان 2006م.

282 - قوراري، عيسى : " دور الطريقة العمامية أو الإيمانية في مقاومة الشيخ بو عمامة "، **الملتقى 11 حول التصوف الإسلامي والتحديات المعاصرة**، جامعة أدرار، أيام 09-11 نوفمبر 2008.

283 - كوثراني، وجيه : " إشكالية المنهج في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة، **مجلة منبر الحوار**، السنة التاسعة، العددان 32-33، بيروت، 1994.

284 - محساس، أحمد : " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية "، **مجلة الثقافة**، العدد 85، الجزائر، يناير – فبراير 1985.

285 - محمودي، محمد الهادي : **تاريخ وأرقام**، مدرسة قمار مئة سنة من العطاء، اللجنة التحضيرية لمئوية مدرسة قمار، مطبعة الوليد، كوينين، الوادي، 2007.

286 - مفتاح، عبد الباقي : " الزاوية التجانية بقمار "، **الندوة الفكرية للشيخ عبد القادر الياجوري الثانية**، قمار، 09 – 11 أكتوبر 2001.

287 - (ــــــ

288 - مغلي، محمد البشير : " التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي "، **المصادر**، العدد 6، الجزائر، محرم 1423هـ/مارس 2002.

289 - ملاخسو، الطاهر : " التوثيق في ظل الاحتلال الفرنسي من سنة 1830 إلى 1962 "، **مدونة الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر،2007.

290 - موسى، سليمان : " المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 7 – 8، تونس، جانفي 1977.

291 - مياسي، إبراهيم : " الاحتلال الفرنسي لوادي سوف "، **جريدة الشعب**، الجزائر، الخميس 15 جانفي 1998.

292 - (ــــــ

الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية"، **مجلة الثقافة**، العدد 88، الجزائر، يوليو – أغسطس 1985.

297 - (ــــــ

306 - بيل، ا : **دائرة المعارف الإسلامية**، مج 1، دار الشرق ،القاهرة، 1933.

307 - حسن، أحمد : **قاموس المذاهب والأديان**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998.

308 - الحفناوي، أبو القاسم : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991.

309 - (ــــــ

321 - A. N. A : Boite 051, **Contribution Direct Imports, Impôts Arabe (1906-1945)** mémoire du conseille du Gouvernement Générale d'Alger.

322 - A. N. A : Boite 132, Dossier **transport dans les T.S.A.**

323 - A. N. A : Boite 371, dossier : **Rapport sur l'Annexe d'El-oued 1938**.

324 - A. N. A : Boite 373, Dossier **(Agricole, élevage, la sécheresse) territoires du sud d'Algérie (1931-1935)**.

325 - A. N. A : Boite 499, Dossier 4, R.T.S.A.

326 - A. N. A : Boite 508, Dossier 1, **Rapports (1925-1930)**, R.T.S.A.

327 - A. N. A : Boite 759, Dossier , **Rapports (1943-1947)**, R.T.S.A.

328 - A. N. A : Boite 49, Dossier 4.

329 - A. N. A : Boite 759, Dossier : **Rapport mai 1947**.

ج - الأرشيف الوطني التونسي :

330 - الأرشيف الوطني التونسي وفقا للرقم التسلسلي ج 120.

331 - الأرشيف الوطني التونسي وفقا للرقم التسلسلي ج 144.

332 - A. N. T : Carton N°0038, Dossier N°0002.

333 - A. N. T : Série : A, Carton N 278, D 14/1.

334 - A. N. T : Série D Carton 178, Dossier 4/34, Document N° 6.

335 - A. N. T : Carton 278, Dossier 07.

336 - A. N. T : série A, Carton 1, Dossier 20/4.

337- A. N. T : Série D Carton 178 ،Dossier 4/34, Document N° 4.

338 - A.N.T : Série E , Carton 509, Douci 252 **(Echabab Essoufi Ezzeitouni).**

د - الأرشيف والوثائق الصادرة عن السلطة المدنية والعسكرية الفرنسية :

339 - **Carte Géographique de de l'Armée,** en 1909.

340 - D. Escard : **Etude médicale et climatologique sur le pays d'El-oued souf**, publiée dans les archives de médecine militaire en 1886.

341 - Gouvernement General de l'Algérie : **Expose de la situation Générale des Territoires du sud de l'Algérie**, l'année 1907.

342 - Gouvernement General de l'Algérie : **Les territoires du Sud de l'Algérie (L'organisation judiciaire)**, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930.

343 - Gouverneur générale de l'Algérie : **Commissariat générale du centenaire les territoires du sud de l'Algérie**, Alger, 1929**.**

344 - Le colonel Nollat : **L'Algérie en 1882**, Librairie Militaire, Paris, 1882.

345 - Territoir Militaire de Tougourt annexe d'El-Oued : **Industrie des tapies au souf.**

هـــ - أرشيف مديرية المجاهدين بالوادي :

346 - Bataillon, Belvatte : **Renseignements sur la propriété (les cultures, le crédit et la situation commerciale) dans l'annexe d'El-oued**, 5 Novembre 1929.

347 - C. Ferry : **Notes sur la situation économique de la population musulmane de la commune Mixte d'El-Oued**, Année 1948.

348 - Cap. Mars : **Industrie de Tapis au souf**, 18 Aout 1919.

349 - Gaid Zobidi, Si Hocine : **Histoire succinct de l'administration du souf dans les deux derniers siècles avant l'arrivée des françaises**, 1952.

350 – L'annexe d'El-oued : **Rapport Nommé Classe Dirigeante**,SD.

351 – L'annexe d'El-oued : **Le Souf,** Rapport Sommaire sur l'évolution de la Situation Economique Commerciale Et touristique d'El-Oued Souf, SD.

352 - L'annexe d'El-oued : **Rubrique 3 Habitat**, SD.

353 - L'annexe de l'El-Oued : **Rapport sur le souf (Ethnographique Situation Economique Moyens D'organisation Touristique)**, Art et Métiers indigènes, en 1926.

354 - L'annexe d'El-oued : **Monographie**, 24 janvier 1953.

355 - Le capitaine Ferry : **Rapport sommaire sur l'évolution du la situation économique que ou point de vue agriculture et élevage dans l'annexe d'El-Oued pour le période en 1930 à 1947**, le 6 Mars 1946**.**

356 - Le capitaine Mariaud : **Tableau de les élevage en 1921 à 1930 de l'annexe d'El-Oued**, le 19 Mars 1931.

357 - Lieutenant. Boulland : **Rapport au sujet de la plantation de palme rie des indigènes de tribu des ouled rechaid a bir Belgardane et à Bounegueur (El-oued),** 21 Novembre 1932.

358 - Syndicat d'initiative de Touggourt : **Lettre au chef d'annexe d'El-oued**, 22 Février 1937d.

و - أرشيف متحف المجاهد بالوادي :

359 - أرشيف متحف المجاهد بالوادي : صندوق الوثائق غير المؤرخة.

360 - أرشيف متحف المجاهد بالوادي، صندوق 1920 – 1930م.

361 - Cap. Ferry : **Rapport sommaire sur l'évolution de la situation économique aux points de vue agricole et élevage dans l'annexe d' El-oued (1930-1945)**, Mars 1946.

362 - **Note sur la situation économique de la population musulmanes de la commune mixte d' El-oued, année 1951.**

ي - أرشيف المدارس الأهلية :

363 - Ecole d'indigènes d'El-Oued **: Registre matricule des élèves admis à l'école de 1886 à 1904 N° 01,** Archives de l'école de Chahid Mihi Mohamed Belhadj, El-Oued.

364 - École d'indigènes de Guémar : **Registre matricules des élèves**, N°01, 1907 - 1909, Archives de l'école de Chahid Rida hohou Guémar.

365 - Ecole d'indigènes de Guémar : **Registre Matricules Des élèves**, N°03, Tom / A, 1913 - 1922, Archives de l école de Chahid Rida hohou, Guémar.

366 - Ecole D'indigènes de Guémar : **Registre Matricules Des élèves**, N°03, Tom / B, 1922 - 1926, Archives de l'école de Chahid Rida hohou, Guémar.

367 - Ecole D'indigènes de Guémar : **Registre Matricules Des élèves** ,N°03, Tom / C, 1926 - 1940, de l'école de Chahid Rida hohou, Guémar.

368 - École d'indigènes de Guémar : **Registre matricules des élèves,** N°03, 1913 - 1940, Archives de l'école de Chahid Rida hohou, Guémar.

369 - Ecole principale d'indigènes d'El-Oued : **Registre des personnels enseignant (Registre additif au registre matricule) Feuillet supplémentaire** N° 02, 1901 – 1920.

370 - Ecole primaire de garçons d'El-Oued : **Personnel enseignant, Registre additif au registre matricule. Feuillet supplémentaire N° 03,** 1923 – 1928.

371 - Ecole primaire de garçons d'El-Oued : **Personnel enseignant, Registre additif au registre matricule. Feuillet supplémentaire, N° 05,** 1945 – 1954.

372 - Ecole des filles d'El-oued : **Registre scolaire**, les années (1948 – 1960).

373 - Ecole primaire des filles Guémar : **Registre Matricules des élèves,** N°01, 1948 – 1952, Archives de l école d' elKhansa, Guémar.

ثانيا - الكتب المخطوطة والمطبوعة:

374 - Bataillon, Claude : **Le souf, Étude de la géographie humaine**, Éditions Institut de recherches Sahariennes, Alger, 1955.

375 - Bousquet, G.H. : **Du droit coutumier et ses rapports avec la vie économique et la techniques agricole dans le souf**, travaux de l'institut de recherches Sahariennes, Tome XII, 2éme trimestre, Université d'Alger, Imprimerie Alger, Alger, 1954.

376 - Eberhardt, Isabelle : **Mes journaliers,** par René Luis, Edition d'Aujourd'hui, Paris, 1985.

377 - Eberhart, Isabelle, Barrucand, Victor : **Dans l'ombre chaude de l'islam**, Imprimer P et A Diary, Paris, 1926.

378 - Féraud, Charles : **Le Sahara de Constantine et de Tunisie,** Paris, 1868.

379 - G. P. J, André : **Confréries Religieuses Musulmanes,** Edition La maison du Livre, Alger, 1956.

380 - Godefroy, L. C .P : **Programme des chemins de fer dans les territoires du sud**, Imprimerie Libraire de terre, Alger, 1911**.**

381 - Gouvion, (Marthe et Edmond) : **Kitab Aayane El Maghariba,** Imprimerie Orientale Fontanot Fréres, Alger, 1920.

382 - J, Thoval: **Dictionnaire de civilisation musulmane,** Larousse, Edition Originale, Paris, 1995.

383 - Julien, Charle André : **Histoire de l'Algérie contemporaine (la conquête et les débuts de la colonisation (1871-1872)**, Alger, Casbah, 2005.

384 - Lutaud, M.CH : **Situation générale de territoire de sud de l'Algérie pendant les années1907 et 1908,** Edition Jordan, 1909**.**

385 - (_____, _____. _____) : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1910**, Edition Jordan, 1911.

386- (_____, _____. _____) : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1913**, Edition Jordan, 1914.

387 - (_____, _____. _____) : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les années 1914-1915**, Edition Jordan, 1916.

388 - (_____, _____. _____) : **Situation général des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1909**, Edition Jordan, 1910.

389 - Millie, J. Scelles : **Contes Sahariens du Souf**, Maisonneuve et La Rose, Paris, 1964.

390 - Munier, Pierre: **Le palmier Dattier**, GP, Maison neuvre, Paris, 1973.

391 - Nadjah, Ahmed : **Le souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971.

392 - Noellat, C. : **L'Algérie en 1882,** Librairie Militaire, Paris, 1882.

393 - Pigoreau, Jean **: L'émigration dans l'Annexe d'El – Oued**, (manuscrit), 1955.

394 - Rinn, Louis : **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie**, Alger, 1891**.**

395 - Roger, Leonard : **Les territoire du sud d'Algérie (compte rendu de l'œuvre accomplie de 1947-1952)**, Imprimerie officielle, Alger, 1954.

396 - Salami, Souad : **Touggourt esquisse historique**, Les imprimeries du sud, Ouargla, 1998.

397 - Thomas, (Germaine et Jean et Pierre) : **Souvenirs de notre randonnée d'Alger a Touggourt par Bou- saada et Biskra, a travers le grand Erg Oriental jusqu'à El oued,**

dans l'Aurès et sur la côte Dedjijelli a Bougie. (1925 – 1926), (Manuscrit), Alger, 1926.

398 - Turin, Yvonne : **Affrontements culturels dans l'Algérie Coloniale écoles, médecines, réligion, 1830 – 1880**, Editions Distrubution Houma, Alger, 2004.

399 - V, Picquet : **Les civilisation de l'Afrique du nord**, A, Colin, Paris, 1909.

400 - Valet, René : **Le Sahara Algérien**, Etude de l'organisation Administrative, Financière et judiciaire des territoires du sud, imprimerie la Typo-Litho, Alger, 1927.

401 - Voisin, André Rogé : **Le souf Monographie**, Lu et révise par Ali Abid, El-walid Editions, El-oued, 2004.

402 - Yves, Chataigneau : **Exposé de la situation générale de l'Algérie en 1945**, imprimerie officielle Alger, (1946-1947).

403 - Zaiz, Ammar : **Mémoire D'une Génération Ecole de Garçons de Guémar**, (Manuscrit).

ثالثا - الأبحاث الأكاديمية والرسائل الجامعية :

404 - Dougui, Noureddine : **Monographie d'une grande entreprise coloniale (La compagnie des phosphates et du chemin de fer de gafsa (1897-1930))**, Thèse de doctorat, Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, 1991.

405 - Jamal, Haggui : **les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque coloniale (1881-1956),(mozabite, Soufis, Ouarglias)**, Mémoire de DEA, Université de Monouba, Tunis, Année Universitaire 2003-2004.

406 - Sarri, Ahmed : **L'Association des Ulama musulmans Algériens et l'administration française en Algérie de 1931 à 1956**, Doctorat de l'Université de Provence, Aix - Marseille I, 1990.

رابعا - الجرائد والدوريات والوثائق :

407 - Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine (Enseignement primaire),** Anne 1912, N° 7 –8 – 9 Juillet – Août – Septembre 1912.

408 - Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine Enseignement primaire),** Anne 1912, ،N° 3, Mars 1912.

410 - **Bulletin de L'Enseignement des indigènes de L'Académie d'Alger**, N°268–269–270–271, Janvier – Décembre 1926, Ancienne Maison Bastide –Jourdan, Alger,1927.

411 - Bulletin de liaison saharienne : **Dix ans de réalisation communal dans l'annexe d'El-Oued**, Immeuble Mauritanie, Alger, 1958.

412 - **Bulletin scolaire,** département de Constantine année 1912.

413 - **Bulletin scolaire,** département de Constantine, N 10, année 1922.

414 - C. Cauvet : **Note sur le souf et les souafas,** Bulletin de la société de géographie d'Algérie, Alger, 1934.

415- Capitaine Leselle, Reger : " Les noirs du souf au bulletin ", **de liaison saharienne**, SD.

416 - Damette Groupe 8 :" Les migrations dans la région minière du sud ", **Revue Tunisienne des sciences sociales, N°** 23, Décembre 1970.

417 - Documents Algériens : " Construction de la ligne de chemin de fer Stil-El-oued ", **Séries Economique**, N°20, Alger, 7 Novembre 1946, p p 1-3.

418 - Document Algérien : **La scolarisation dans les territoires du sud, Réalisation dans la l'annexe d'EL-oued, Situation Générale dans le domaine scolaire**, 15/12/1948.

419 - Document Algérien : **La situation politique dans les territoires du sud, Réalisation dans l'annexe d'El-oued**, Série politique, N 21, 15 décembre 1948.

420 - **El-Mobacher** : N°5236, année 62 Samedi 2 avril 1910.

421 - Féraud—, Charles : " Les descendants d'un personnage des mille et une nuits, à Biskra ", **Revue Africaine**, Volume 19, Alger, 1875.

422 - (——————————————————————————, ———————————————————————————) : " Nots Historique sur la province du Constantine, Les Bendjellab Sultans de touggourt ", **Revue Africaine**, N° 23, Alger, 1879.

423 - **La Défense** : N°176, 02 Février 1938.

424 - Marty, (G) : " Les Algériens à Tunis ", **Revue I.B.L.A**, N°43 et 44, Tunis, 11ème anneé, 3ème et 4ème trimestres, 1948.

425 - Mohamed Elkebir Miadi : **Tableau Chronologique de l'histoire de roi de Touggourt et Oued Righ**, C.N.E.H, Alger, Octobre 1986.

426 - P.T.T (Région du souf) : **Document Algériens**, N°59, 20 Mars 1949.

427 - Régence de Tunis : **Protectorat français**, Direction de l'Intérieur, dénombrement de la population civile Tunisien le 20 avril 1926, Imprimé 1926.

428 - Valette, Jacques : " Les projet de " Mer Intérieur " du colonel ROUDERE et la politique coloniale de la III^{e} république ", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977.

429 - Vuillemin, G. Desire : " Les premiers projets du transsaharien et l'Afrique du nord 1878 –1881", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977.

خامسا - الشهادات والوثائق الشبوتية :

430 - **Carnet de pèlerinage pour les lieux saints de l'Islam convoi de l'année 1936**.

431 - **Carte d'Identité d' Abdelkamel Ben Abdallah Nadji**.

432 - **Certificat d'études primaires de M Lakhdar Ben Ammar en date du 4 Mais 1909 à El-oued et département de Constantine**.

433 - La feuille de réponses sur l'examen de Français de la Medersa du Constantine en 9 décembre 1908.

سادسا – مواقع إلكترونية :

434 - موقع وزان الإلكتروني : http://tahrimustapha.voila.net/index.html

435 - www.delcampen.net.

الحوارات والمراسلات :

436 - **حوار** بين علي غنابزية والسيد العيد ستو أخ الشيخ محمد العربي ستو - الساكن بالمدينة المنورة – بالوادي، سبتمبر 1998، مسجل كتابة.

437 - **حوار** بين محمد حناي ومحمد النذير التجاني، بتاريخ السبت 16محرم 1431هـ/02جانفي 2010م على الساعة11 صباحا ببيت محمد النذير التجاني، (مخ).

438 - **حوار** مع الباحث محمد المولدي سيشي يوم 24 جمادي الثانية 1424هـ - 22 أوت 2003م صباحا ببيته.

439 - **حوار** مع السيد أحمد خراز بيته الكائن بحي المصاعبة الوادي في 23 ذي الحجة 1432هـ الموافق 19 نوفمبر 2011، مساء.

440 - **حوار** مع السيد العربي مصباحي كاتب ضبط بمحكمة الوادي متقاعد. يوم 21 شوال 1424 هـ الموافق لـ 15 ديسمبر .2003

441 - **حوار** مع السيد خليفة الريغي موال بمتحف المجاهد بالوادي يوم السبت 19 رجب 1430هـ/11جويلية 2009 صباحا.

442 - **حوار** مع السيد رشيد حسني، الابن الأكبر للشيخ الهاشمي حسني يوم 12 رجب 1424هـ / 08 سبتمبر 2003 ببيته مساء.

443 - **حوار** مع السيد عبد الرحمان سالمي بزاوية سيدي سالم، من مواليد الثلاثينات من القرن 20م، صبيحة يوم 10 مارس 2007.

444 - **حوار** مع السيد علي بن عمارة أحد ملاك النخيل بوادي الترك يوم 24 جمادي الثانية 1430هـ/18 جوان 2009 مساء بمسجد صهيب الرومي بحي النور الشمالي بالوادي.

445 - **حوار** مع السيد محمد الصالح التومي يوم الخميس 22 شعبان 1430هـ/13 أوت 2009 بعد صلاة الصبح أمام متجر السيد مبارك رمضاني.

446 - **حوار** مع السيد محمد باي من مواليد نهاية القرن 19م بمنزله يوم 10 سبتمبر 2003، والسيد من مواليد 1902.

447 - **حوار** مع السيد مسعود خونة، وهو مسعود لمسقم، تم الحوار بمتحف المجاهد بالوادي صبيحة يوم : الأحد 07 ربيع الأول 1429هـ الموافق 13 أفريل 2008.

448 - **حوار** مع الشيخ أحمد خراز يوم 30 صفر 1429هـــ/10 مارس 2008 ببيته الكائن بحي المصاعبة الوادي.

449 - **حوار** مع الشيخ العيد غوري - من مواليد العشرينات من القرن 20م -.بمسجد الطلبة بقمار يوم : 26 جمادي الثانية 1424هـــ - 24 أوت 2003م.بمسجد الطلبة صباحا.

450 - **حوار** مع الشيخ محمود القروي بن محمد القروي بن علي من مواليد العقد الثاني من القرن 20م،.بمنزله مساء يوم 04 جمادى الثاني 1424 / 02 أوت .2003

451 - **حوار** مع الشيخ محمود القروي بن محمد القروي من علي،.بمنزله مساء يوم 04 جمادى الثاني 1424 / 02 أوت 2003.

452 - **حوار** مع المجاهد الحاج الهادي بوغزالة حمد، يوم 10 أفريل 2010م.بمتحف المجاهد.

453 - **حوار** مع عائشة عوين ببيتي يوم 14 جمادي الثانية 1430هـــ/08 جوان 2009 مساء.

454 - **حوار** مع مجموعة من الأشخاص أهمهم : الشيخ أحمد السايح، علي بن عمارة، إبراهيم بولعراس، وغيرهم يوم 11جمادي الثانية 1430هـــ/05 جوان 2009م، مساء وهم جلوس محتمين بظل بجدار مسجد صهيب الرومي في حي النور الشمالي بالوادي.

455 - **مراسلة** للسيدة سعدية حرم بشير جبالي، وقد تجاوزت سن الثمانين من عمرها. بتاريخ 20 ديسمبر 2004.

الفـــهـــارس :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس الأســـماء

والأعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ابن فرحات بن سعيد : ص 101.

ابن ناصر بن شهرة : ص 104.

ابن ناصر بن شهرة : ص 105.

ابن ناصر بن شهرة : ص 106.

ابن ناصر بن شهرة : ص 99.

أبو بكر : ص 49.

أبو بكر بن أحمد بن عبد الشريف : ص 56.

أبو علي : ص 65.

أبو علي حسن بن محمد بن عمران الحسيني : ص 64.

أبو مدين الاندلسي : ص 55.

أبي العباس : ص 41.

أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ص 209.

أحمد : ص 44.

أحمد التجاني : ص 40 –

أحمد الشابي : ص 170.

أحمد الشابي : ص 23 – 24.

أحمد الشيحي : ص 138.

أحمد العبيدي : ص 54.

أحمد العبيدي : ص 75.

أحمد العبيدي : ص 76.

أحمد القلي : ص 26- 27.

أحمد باي : ص 25 – 26.

أحمد باي : ص 88 – 90 – 92 – 93 – 94 – 96.

أحمد برهمات ص 320.

أحمد بلحاج : ص 90.

أحمد بن الضياف التغزوتي : ص 206.

أحمد بن العبيدي لقبج : ص 138.

أحمد بن العيد : ص 342.

أحمد بن تواتي : ص 112.

أحمد بن خليفة بوراس : ص 138.

أحمد بن ساعي امراح : ص 138.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد بن سالم بن محمد بن عبد الله بن خليفة بن عبد الله قديدة : ص 72.

أحمد بن عبد الله دغمان : ص 72.

أحمد بن عمر : ص 338.

أحمد بن عمر الجلابي : ص 28.

أحمد بن محمد السخري : ص 26.

أحمد بن محمد العروسي : ص 45.

أحمد بن محمد العروسي : ص 47.

أحمد بن محمد العروسي: ص 44.

أحمد بن مخلوف الشابي : ص 67.

أحمد بن معمر زردومي : ص 345 - 365.

أحمد بن يوسف : ص 48 - 320.

أحمد بن يوسف : ص 320.

أحمد دغمان : ص 227 – 331.

أحمد سالم القاية : ص 331.

أحمد سليمان التغزوتي : ص 42.

أحمد عمار : ص 67.

أحمد ميلودي : ص 149 – 150 – 154 – 155 - 156.

أحمد نجاح : ص 244.

الأخضر الامام : ص 146.

الأخضر بن أحمد : ص 43.

أسعد السحراني : ص 35.

اسعود : ص 24.

ألموند تولدكه : ص 35.

الأمير خالد : ص 127.

الأمير عبد القادر : ص 39 – 88 – 90 – 92 - 106 – 157 - 316 -317.

الأمير عبد القادر بن محي الدين : ص 90.

الأمين الحسيني : ص 59

الأمين العمودي : ص 80 – 128 – 129 – 142 – 204 – 337 – 344 - 366.

أندري روجيه فوازان : ص 338

اندريان بربروجار : ص 98.

أنطوان : ص 358.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انطوان ديبيش : ص 312.

أوجي : ص 358.

إيخنوخن : ص 303.

إيزابيل إبرهارد : ص 118 - 292

إيف شتاينيون : ص 292.

ب

بوشوشة : ص 105.

بان : ص 100.

باوو : ص 180 - 305.

الباي صالح : ص 25 – 26.

الباي محمد الصادق : ص 106.

البخاري : ص 192 - 209.

بدادي بن عمر بن بدادي : ص 343.

براكس : ص 98.

بردريو : ص 116.

بروبروجر : ص 311.

البشير الأول : ص 44.

بشير بن البردي : ص 138.

البشير بن البكوش : ص 138.

البشير بن الغربي : ص 138.

البشير بن بردي : ص 153.

البشير بن بكار بن ميدة : ص 138.

بشير بن بلقاسم : ص 338.

بشير بن بلقاسم : ص 342.

بشير بن دريدي : ص 342.

البشير بن عبد القادر : ص 138.

بشير بن محمود : ص 157.

البشير بن موسى : ص 149 – 154 - 156.

بشير بن يوسف : ص 344.

بشير بوزيان : ص 156.

بشير غندير بن بدادة : ص 154.

بكري : ص 338.

بلاشير : ص 114 - 115.

بلاتين ج : ص 341.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بلحاج ميهي : ص 149.

بلقاسم العمودي : ص 150.

بلقاسم بن علي بن حمد : ص 337.

بلقاسم بن محمد بن معمر : ص 72.

بلقاسم بن مسعود الواسع : ص 138.

بلقاسم بن موسى : ص 338.

بلقاسم عدوكة : ص 150.

بن خلفات ص 320.

بن سماية : ص 318.

بن غانية : ص 20.

بن قانة : ص 26 – 27.

بن مهنا : ص 318.

بو جولا : ص 89.

بو زيان : ص 92.

بو شمال بن قوبي آغا : ص 105.

بو طيب بن عمران : ص 106.

بو عزيز بن قانة : ص 90 – 91 - 93.

بو علي النفطي : ص 66.

بو هلال محمد الصادق : ص 152.

بواز : ص 116 – 120 - 121.

بواليفليت : ص 116.

بواييه : ص 312.

بوشوشة : ص 112.

بوعزيز بن قانة : ص 25.

بوعكاز : ص 26 - 112.

بيجار : ص 123

بيجو : ص 109.

بيجو : ص 80 – 89 – 109 – 197 – 224 – 232 - 313 – 323 - 324.

بيري : ص 100.

بيسي : ص 115.

بيليسي : ص 99.

ت

تبر بنت العيد بن الساسي : ص 346.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الترمذي : ص 192.

تري بتودور سيلا : ص 337.

توماس إسماعيل أوربان : ص 314.

ج

جليات بن قحطان : ص 347.

جمال الدين الأفغاني : ص 60 - 316.

جنيه : ص 116.

جول فيري : ص 78 - 315.

جون بيقرو : ص 201.

جيل فيري : ص 198.

ح

الحاج العربي : ص 347.

الحاج بن قانة : ص 27.

الحاج قدور : ص 104.

جانين : ص 108.

حبا : ص 116.

حسن باشا : ص 312.

حسن بن براهمات : ص 317 - 318.

الحسن بن عزوز البرجي : ص 90.

حسن بن محمد : ص 338.

الحسين بن إبراهيم الشريف : ص 56.

الحسين بن الهامل : ص 138.

الحسين زبيدي : ص 146.

الحفناوي بن لخضر هالي : ص 334.

الحفناوي هالي 131

حمزة بوكوشة : ص 73 – 129 - 204.

حميد الجامعي : ص 112.

خ

خليل : ص 42.

خليل : ص 73.

خير الدين باشا : ص 317.

د

دارماندي : ص 312.

دافيد بن مخائيل : ص 338.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دو ليون : ص 341.

دوبريتيل : ص 114.

دوبورمون : ص 89.

دوبوش : ص 89.

دوروفيقو : ص 312.

دوزير : ص 312.

دوسي : ص 285.

دوفول : ص 314.

دوفيليون : ص 285.

دوماس : ص 349.

دوماس رلبات : ص 341.

دومال : ص 91.

دونا ليوجزاف : ص 341.

دي برومون : ص 311.

دي بورتر : ص 56.

دي توفيل : ص 197.

دي توكفيل : ص 310.

دي شوفارييه : ص 98.

ديبروتي : ص 107.

ديفو : ص 99 - 100 – 101 – 102 – 103 – 221 - 303.

دينو : ص 109.

ديونان جيورج : ص 339.

ر

ربيع بن أحمد حسن : ص 338.

رسول الله ﷺ : ص 51 - 181 – 182 – 209 - 332.

رشيد عالي الكيلاني : ص 60.

رقية : ص 16.

روبير : ص 116.

روز : ص 98 - 99.

ريكو : ص 116.

ز

الزهرة بنت العيد بن الساسي : ص 346.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الزهرة نونة : ص 343.

زهور : ص 64.

زوجة السيد بالانتين : ص 341.

س

سالم : ص 49 – 51 – 53 – 55 – 170 – 176.

سالم العايب : ص 49.

سالم بن محمد بن احمد بن نصر بن عطية بن الزاير بن المحجوب : ص 49.

السايح حقي : ص 43.

ساييني ريمون : ص 343.

السراج الطوسي القشيري : ص 35.

السروطي العبسي : ص 152.

سعود : ص 170.

سعيد : ص 33 - 51.

سعيد البيباني : ص 147.

سعيد بوبكر : ص 323.

السعيد الزاهري : ص 59.

سلمان الجلابي : ص 100 – 101 – 106 - 119.

سليمان بن محمد بن قانة : ص 26.

السوسي التونسي : ص 43.

سيللي ميللي : ص 325.

ش

شاتلا لويس : ص 341.

شارل جونار : ص 74 - 322.

شارلو شابلين : ص 361.

الشافعي قدادرة : ص 150.

شالار : ص 353.

شالمون : ص 157.

شامليه : ص 306.

الشريف بن أحمد : ص 338.

الشريف محمد بن عبد الله : ص 99 - 101.

شكيب ارسلان : ص 60.

شيكا : ص 180 - 257.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ص

الصادق التجاني : ص 44.

الصادق بالي : ص 335.

الصادق بن العربي : ص 342.

الصادق بن الهادي : ص 54.

الصادق بو كوشة : ص 138.

صالح باي : ص 28.

الصالح بن أحمد : ص 138.

صالح علوي : ص 156.

الصديق بن عريوة : ص 59.

الصغير : ص 44.

الصغير بن أحمد موسى : ص 138.

ط

الطاهر العبيدي : ص 54 – 75 – 76 - 204.

الطاهر النزلي : ص 138 - 333.

الطاهر بن عبد الصادق القماري : ص 42.

طرود بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان : ص 23 - 169.

الطيب العقبي : ص 63.

الطيب بن أحمد غريسي : ص 138.

الطيب بن الأخضر : ص 45.

الطيب بن حميدة : ص 138.

الطيب بن عمران : ص 103.

ع

العابد بن محمد بن إدريس : ص 112.

عبادي بن عبد القادر بن داحة : ص 138.

عبد الباقي بن أحمد : ص 80.

عبد الحفيظ بن العيد صالحي : ص 138.

عبد الحفيظ صالحي : ص 333.

عبد الحمن بن فطوم : ص 334.

عبد الحميد بن باديس 333

عبد الحميد الثاني : ص 316.

عبد الحميد الثاني : ص 318.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الحميد بن باديس : ص 61 – 62 – 63 – 74 – 76 – 129 – 142 – 204 – 213 - 335.

عبد الرحمان العمودي : ص 54 – 72 – 330 - 375.

عبد الرحمان بدوي : ص 35.

عبد الرحمان معمري : ص 138 – 333 – 334.

عبد الرحمان نوار : ص 138.

عبد الرحمن أحمد بن لخضر : ص 214.

عبد الرحمن باش تارزي : ص 48 - 49.

عبد الرزاق الشريف : ص 59 - 122.

عبد الرؤوف المهري : ص 43.

عبد السلام بن مشيش : ص 49.

عبد العزيز : ص 59 - 60 – 61 – 62 – 63 – 64 – 76 – 122 – 129 – 131 – 132 - 133 – 135 – 136 – 137 – 142 – 143 – 145 – 147 – 305 – 330 – 332 - 334 – 335 - 370.

عبد العزيز الثعالبي : ص 336.

عبد العزيز جاويش : ص 318.

عبد الغني : ص 67.

عبد القادر الجيلالي : ص 35 - 55.

عبد القادر العمودي : ص 149 – 150 – 154 - 156.

عبد القادر المجاوي : ص 318.

عبد القادر الياجوري : ص 131 – 137 – 142 – 204 – 333.

عبد القادر بن الطالب السعيد : ص 337.

عبد القادر بن الطيب : ص 341.

عبد القادر بن داحة : ص 138.

عبد القادر بن سالم : ص 215.

عبد الكامل : ص 137 – 142.

عبد الكامل بن عبد الله النجعي : ص 129 - 136.

عبد الله اخشاتي : ص 147.

عبد الله الشريف : ص 68.

عبد الله اليحياوي التبسي : ص 44.

عبد الله بن أحمد : ص 69.

عبد المجيد بن الأخضر : ص 218.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد المجيد بن حبة : ص 55.

عبد المجيد بن لخضر : ص 343.

عثمان النفطي : ص 44.

عثمان محمد : ص 342.

عدوان بن عمرو بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان : ص 23 - 169.

العدواني : ص 250

العرابي : ص 44.

العربي التبسي : ص 129 – 335.

العربي الغربي : ص 138.

العربي المملوك : ص 112 - 113.

العربي بالغنبازي : ص 49.

العربي بن مهيدي : ص 155.

العربي صالحي : ص 216.

عرفة بن مخلوف الشابي : ص 67.

العروسي النوبلي : ص 156.

العروسي بن عزوز : ص 54.

العروسي حمودة : ص 334.

العروسي ميلودي : ص 156 - 204.

عز الدين القسام : ص 59.

علاوي بن يحي ص 320.

علي التماسيني : ص 41 – 42 – 43 - 45.

علي بالقيم : ص 72.

علي بالقيم القماري : ص 43 - 45.

علي بالليل : ص 49.

علي باي : ص 26 - 101 – 103 – 104 – 105 – 106.

علي باي بن فرحات بن سعيد : ص 102.

علي بن العابد السنوسي الزاهري : ص 318.

علي بن حسن : ص 338 - 342.

علي بن خليفة : ص 138.

علي بن سعد : ص 131 – 136 – 137 – 138 – 142 – 204 – 333.

علي بن سلطان بن بلقاسم : ص 214.

علي بن صابر : ص 72.

علي بن صابر : ص 330

علي بن عبد القادر : ص 342.

علي بن عمر الطولقي : ص 49.

علي بن عمر بن سعيد : ص 103.

علي بن عيسى : ص 48.

علي بن فرحات بن سعيد : ص 112.

علي بن قديري : ص 49.

علي بن ناجي : ص 318.

علي عبادي : ص 156.

عمار بن الأزعر : ص 76 – 211 - 128 - 332.

عمار ميسة : ص 152.

عمر بن الحاج محمد : ص 214.

عمر بن الهاشمي : ص 218.

عون : ص 170.

عون بن صنان : ص 103.

العيد بن الساسي : ص 343 - 346.

العيد بن عبد القادر بن عمر : ص 138.

العيد بن محمد الصغير : ص 46.

العيد بن يامة : ص 146.

العيد غوري : ص 344.

غ

غريب : ص 358.

غريب القماري : ص 353.

غودفروا : ص 89.

غومة : ص 106.

ف

فاطمة بنت السايح : ص 347.

فرحات بن سعيد : ص 90.

فرحات بن سعيد بن أحمد : ص 26.

فرحات بن عمر بن محمد الجلابي : ص 28.

فرحات عباس : ص 153 - 157.

فرون : ص 341.

فري تيدور سيلا : ص 341.

الفضيل الورتلاني : ص 132 – 147 - 335.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فورج : ص 116.

فورني : ص 116.

فورو : ص 123

ق

القايد الحسين : ص 338.

قحطان بن سليمان : ص 347.

قروي عبيدي : ص 156.

قوفي : ص 114.

قويمان : ص 303.

كـــــــــــ

كارلس فولرس : ص 318.

كحول : ص 61.

كرباع : ص 101.

كريميو : ص 29 – 176 - 370.

كوفي : ص 116.

كولين : ص 349.

الكيلاني الأرقط : ص 150.

كيلاني الأرقط : ص 156.

ل

لاباتيت برناند : ص 341.

لافيجري : ص 312 – 313 - 337.

لاكروا : ص 269.

لامي : ص 123

لاولت ن : ص 341.

لحساسنة : ص 147.

لخضر شبرو : ص 146 – 333 – 337 - 366.

لخضر قدوري : ص 153.

لمين بن يوسف : ص 338.

لوكاس : ص 293.

لوماس : ص 91.

لويس السابع : ص 89.

لويس انطوان بافي : ص 312.

لويس فليب : ص 87.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لويس مييليوت : ص 133

لويسياني : ص 199 - 201.

ليونار آنجيل : ص 341.

م

مارتي : ص 215.

مارس : ص 116.

مارسيل آجريتو : ص 314.

الماركيز دي موريس 118

ماريوس قاري : ص 98.

ماسينيون : ص 35.

مامة بنت العيد بن الساسي : ص 346.

ماناماني : ص 176.

المبارك المازق التغزوتي : ص 43.

مبارك الميلي : ص 59.

مبارك الميلي : ص 61 – 129 - 335.

مبارك بن المبارك التغزوتي : ص 45.

مباركة : ص 26 – 27.

مباركة بنت الحاج العربي : ص 347.

محمد ﷺ : ص 46 - 106 – 144 - 309.

محمد أركون : 36.

محمد اسكاليطوا : ص 147.

محمد الأخضر بن الحاج العيد بن محمد بن حاج عثمان : ص 215.

محمد الامام بن ابراهيم الشريف : ص 119

محمد الامين : ص 119

محمد البرية : ص 43 – 44 - 76.

محمد البشير الإبراهيمي : ص 61 – 76 - 319.

محمد البوليسي : ص 138.

محمد التومي بوشوشة : ص 104.

محمد الثاني : ص 93.

محمد الحافظ : ص 335

محمد الخصيري عبد الله : ص 147.

محمد الخضر حسين : ص 54.

محمد الزاهي : ص 147.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد الساسي القماري : ص 41.

محمد الساسي بن الطاهر هقي : ص 343.

محمد السايح اللقاني : ص 44 – 127 - 216.

محمد السائح بن محمد العروسي : ص 45.

محمد السروطي (العبسي) : ص 153.

محمد الشريف : ص 26.

محمد الشريف بن أحمد القلي : ص 27.

محمد الصالح : ص 52 – 64 - 374.

محمد الصالح الشريف : ص 144

محمد الصالح بن سالم : ص 51.

محمد الصالح بن عبد الرحمان الغزال : ص 54.

محمد الصالح بن علي بالخوصة : ص 45.

محمد الصالح ميسة : ص 206.

محمد الصغير : ص 43.

محمد الصغير بن عبد الرحمان : ص 90 - 91.

محمد الصغير بن علي التماسيني : ص 42.

محمد الطاهر التليلي : ص 20 – 141 – 205 - 336.

محمد الطاهر بن محمد الصالح بن سالم : ص 146.

محمد الطيب : ص 43.

العدواني : ص 21 - 32.

محمد العربي : ص 53.

محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى مساوي : ص 72 - 330.

محمد العربي بن مصباح : ص 52.

محمد العربي بن موسى موساوي : ص 54.

محمد العربي ستو : ص 209.

محمد العربي السوفي : ص 209.

محمد العروسي 121 -122

محمد العروسي : ص 44 – 45 – 46 – 47 - 121 – 122 – 123 – 170 – 176 - 374.

محمد العروسي التجاني(حمه العروسي) : ص 43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد العشابي : ص 106.

محمد العيد : ص 42.

محمد العيد الباري : ص 211.

محمد العيد التماسيني : ص 33.

محمد العيد الثاني : ص 44.

محمد العيد هقي : ص 80.

محمد القروي بن علي : ص 326.

محمد الكبير : ص 56 - 57.

محمد المدكالي : ص 59.

محمد الهاشمي : ص 59 – 63 – 64 – 117 – 118 – 119 – 120 – 121 – 122 - 123– 170 – 176 - 330.

محمد الهاشمي الشريف : ص 33 – 46 – 57 - 370.

محمد الهاشمي بن إبراهيم : ص 56.

محمد إمزيان بن الحداد : ص 48.

محمد برحال : ص 71 – 320 – 326 - 336.

محمد بلحاج الميهي : ص 154.

محمد بلوزداد : ص 154.

محمد بن أبي شنب : ص 318.

محمد بن أحمد الصغير : ص 106.

محمد بن أحمد بن عبد الحمان العزاوي الهبري : ص 211.

محمد بن الجنيدي : ص 44.

محمد بن الحاج أحمد الفاسي : ص 214.

محمد بن الطاهر عمارة : ص 44.

محمد بن العيد التجاني : ص 206

محمد بن بلقاسم : ص 342.

محمد بن بلقاسم البوجليلي : ص 48.

محمد بن تواتي : ص 112.

محمد بن جديدي : ص 54.

محمد بن حمة : ص 338 - 342.

محمد بن سويسي : ص 45.

محمد بن عبد الرحمان الأزهري الزواوي الجرجري : ص 48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد بن عبد الرحمن الأزهري : ص 49.

محمد بن عبد الله : ص 100 - 103.

محمد بن عزوز : ص 48 – 49 - 53.

محمد بن عزوز بن محمد الصالح : ص 50 - 51.

محمد بن علي سليمان بن قانة : ص 27.

محمد بن عمارة شوشان الجريدي : ص 44.

محمد بن محمد السبع المليانى : ص 322.

محمد بن محمد الغولي : ص 138.

محمد بن محمد النفطي : ص 54.

محمد بن مصطفى بن خوجة : ص 318.

محمد بن موسى (حم موسى) : ص 111.

محمد بن موسى : ص 112.

محمد بن ناصر النفطي : ص 65.

محمد بو علاق : ص 106.

محمد بو علاق اليعقوبي : ص 103.

محمد بوشوشة : ص 105.

محمد حامد : ص 334.

محمد حامد بدير : ص 138.

محمد حامد محضي : ص 334.

محمد خير الدين : ص 62.

محمد خير الدين : ص 129 – 335.

محمد سلطاني : ص 150.

محمد عبده : ص 60 - 316 - 317.

محمد علي اليوس : ص 147.

محمد كانون : ص 91.

محمد لقماري بن العربي : ص 138.

محمد لمام بن إبراهيم الشريف : ص 56.

محمد نونة : ص 343.

المحمود : ص 44.

محمود قروي : ص 75.

المحمودي : ص 107.

محي الدين بن الأمير عبد القادر : ص 104 - 105.

مخائيل بن يودي : ص 338.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختار الشنقيطي : ص 42.

المداني بن محمد العربي بن موسى مساوي : ص 54.

مرزوق : ص 66.

مرمي : ص 100.

مريو : ص 116

مسطور : ص 250.

مسطور بن الهادي : ص 250.

مسعود الشابي : ص 67.

مسعود بن محمد بن سالم : ص 334

المسعود بن محمد عباسي : ص 138.

مسلم : ص 210.

مصالي الحاج : ص 154.

مصباح : ص 50 - 52.

مصباح بن سالم : ص 49 - 374.

مصطفى بن عزوز : ص 49 - 51.

مصطفى كمال : ص 318.

المصلح بن عتيق : ص 147.

معمر : ص 43.

المقراني : ص 106.

المكي بن عزوز : ص 43 – 54 – 72 - 330.

ملك المغرب عبد العزيز : ص 319.

الملك عبد العزيز بن آل سعود : ص 211.

منة هقي : ص 343.

مهدي عوماري : ص 155.

مورنياك : ص 230.

المولدي بو عرقية : ص 57 – 73 – 214 - 330.

المولدي ونيسي : ص 150 - 154.

مولود ملاين : ص 155.

ميتران : ص 266.

ميسة محمد : ص 152.

ميطرة : ص 115.

مينال : ص 195.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ن

نابليون بونابرت : ص 351.

النسائي : ص 192.

نصيب بن بلقاسم : ص 342.

نعيم النعيمي : ص 204

النعيمي : ص 103.

نيكسون : ص 35.

هـــــــــ

هابل بن آدم : ص 250.

الهاشمي الدراجي : ص 129 – 138 - 204.

الهاشمي بن حميدة : ص 129.

الهاشمي حسني بن حميدة : ص 204.

الهاشمي ونيسي : ص 149 - 153.

هنري بارث : ص 97.

هنري دوفيريه : ص 97.

هنري كلير : ص 314.

هوفرين جزفين : ص 341.

و

وريدة بنت الحاج العربي : ص 347.

ولسن استرهازي : ص 314.

ويلسن : ص 125

يحي بن اسحاق الميورقي : ص 20.

يعقوب بكري : ص 338.

يمينة زلاسي : ص 343.

يوسف النبهاني : ص 79.

يوسف بن العمودي : ص 338.

يوسف بن المكي يلخضر : ص 138.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فـــــــــــهـــــــــــرس الأمـــــــاكن والبلـــــــدان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ

أبو الحسن لسنتي : ص 200.

اتجاه الجنوب : ص 249.

اتجاه الغرب : ص 249

أحواض الجريد : ص 95 – 303.

أحواض بسكرة : ص 303.

أحواض وادي ريغ : ص 95.

أراضي السلطنة العثمانية : ص 200.

الأرجنتين : ص 202.

أرخبيل : ص 247 - 292

الأرض الحصوية : ص 248.

الأزهر : ص 209.

الإسكندرية : ص 209.

الأسواق الأوربية : ص 187 – 257.

الأسواق الخارجية : ص 265 - 394.

الأسواق المحلية 305 – 394.

الاصنام : ص 199.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاعشاش 20 33 – 52 - 73 - 111 – 113 – 115 – 124 – 178 – 239 – 326.

الأغواط : ص 30 - 39 – 45 – 55 -57 – 59 – 99 - 100 – 101 – 117 -

إفريقيا : ص 88 – 96 – 177.

إفريقيا الشمالية : ص 314.

إفريقية : ص 19.

أقاصي الجنوب : ص 88.

الأقاليم الإفريقية : ص 303.

الأقاليم التونسية : ص 107.

أقاليم الجزائر : ص 86 - 233

الأقاليم الجزائرية : ص 20 – 234.

أقاليم الجنوب : ص 130 – 133.

الأقاليم الجنوبية : ص 25 – 108 - 115.

أقاليم الصحراء : ص 114.

الأقاليم الصحراوية : ص 246 – 291 - 303

أقصى الجنوب : ص 154.

الأقطار الاسلامية : ص 157.

أقطار العالم الإسلامي : ص 321.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأقطار العربية : ص 38 — 157.

أقطار الوطن العربي : ص 321.

الإقليم الصحراوي : ص 241 – 292.

الإقليم العسكري : ص 221 — 223.

إقليم صحراوي : ص 234.

أم العرايس : ص 218.

أم الهارب : ص 19.

إمارة بن جلاب : ص 100.

الأمة الإسلامية : ص 321.

الأمة الجزائرية : ص 60 – 164 – 359.

الأمة العربية الاسلامية : ص 352.

أمريكا : ص 271.

انجلترا : ص 373.

الأنظمة العربية : ص 58.

الأوراس : ص 28 – 94.

أوربا : ص 200 – 308 – 316 – 317

أوربا الغربية : ص 373.

أورليان فيل : ص 200.

الأوطان الجنوبية : ص 143.

أولاد أحمد : ص 33 – 34 – 52 – 63 -

اولاد جلال : ص 55 - 91 117 – 204 – 228.

أولاد عمران : ص 52.

إيطاليا : ص 312.

ب

باب عزون : ص 312 – 313.

باتنة : ص 101 – 208 – 228 – 253 - 288

البادية التونسية : ص 23 - 169

باريس : ص 60 – 97 – 136 - 318

بايلك الشرق : ص 25 – 26 – 89 – 93 – 94.

بايلك قسنطينة : ص 24.

بحر / بحيرة ترتيون : ص 261.

البحر الأبيض المتوسط : ص 95 - 303

بحر داخلي : ص 303.

بحر داخلي صحراوي : ص 95.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بر : ص 261.

البرج : ص 289 - 290.

برج الحاج قدور : ص 104 – 289.

برج الدخان : ص 257.

برج الفرجان : ص 104.

برج بو شحمة : ص 104.

برج بوعرريج : ص 208.

برج طولقة : ص 47.

برج مولي القايد : ص 104.

برقة : ص 316.

بروسيا : ص 106

بريطانيا : ص 58 - 96 - 97

بريكة : ص 203 - 207.

بستان الحاكم : ص 139

بسكرة : ص 29 - 45 – 55 – 56 - 58- 86 – 89 – 90 - 91 – 93 -97 – 98 - 105 - 113 – 114 – 117 – 122 – 134 – 135 – 136 – 150 – 203 - 204 – 207 – 208 – 219 – 243 – 255 – 285 – 286 288 – 289 – 304 – 333 – 335 – 358 – 368 – 373.

بشوشة : ص 290.

بطحاء : ص 121.

البقاع المقدس : ص 210.

البقاع المقدسة : ص 209 - 332.

بلاد البلقان : ص 126.

البلاد الجزائرية : ص 99 - 130.

بلاد الزاب : ص 228.

بلاد السودان : ص 287 – 288 .

بلاد الشام : ص 211

بلاد الغال : ص 351.

بلاد المشرق : ص 201 – 210.

بلاد المغرب : ص 18.

بلاد النمامشة : ص 51 – 93 – 181.

بلجيكا : ص 271.

البلدان الاسلامية : ص 58 - 179 – 308.

بلدان الساحل الشرقي : ص 374.

البلدان العربية : ص 74 - 216 – 336.

البلدان الغربية : ص 96.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البلدة : ص 187.

البلديات المختلطة : ص 148 – 335.

بلكور : ص 154.

البليدة : ص 320.

بنغازي : ص 47.

البهيمة : ص 27 – 115 – 170 – 174 – 175 – 208 – 249 – 284 – 489 – 290.

بو رخيص : ص 100.

بو زريعة : ص 154.

بو قدير : ص 200.

بوسعادة : ص 30 - 100 – 101.

بولوغين : ص 313.

البياضة : ص 55 – 117 – 120 – 264 – 286 – 296.

بيت الشعر : ص 65 - 190.

بيت المقدس : ص 209.

بيت محمد بن عوماري : ص 154.

البئر : ص 188.

بئر الحديد : ص 290.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بئر الخيمة : ص 290.

بئر الصف : ص 290.

بئر العادل : ص 289.

بئر العرب : ص 289.

بئر العرف : ص 289.

بئر العسلوجي : ص 289.

بئر العسلي : ص 290.

بئر الغرافة : ص 290.

بئر المقيتلة : ص 288.

بئر النازية : ص 289.

بئر بوخيال : ص 290.

بئر بوشحمة : ص 289.

بئر رومان : ص 239.

بئر شوشة لهودي : ص 289.

بئر مويت العابد : ص 288.

بئر مويت فرجان : ص 288.

ت

تاقدامت : ص 90.

تبسة : ص 104 – 106 – 289 – 323.

التخوم : ص 18.

التراب التونسي : ص 51 – 76 – 102.

تراب الجزائر : ص 132 - 376

تركيا : ص 126.

تغزوت : ص 23 – 45 - 52 - 101 – 113 – 169 – 170 – 174 – 208 – 213 - 289

تقرت : ص 26 – 27 – 28 – 57 – 89 – 95 - 98 – 99 - 101 - 101 – 102 – 104 – 105 – 106 – 108 – 110 - 111 – 112 – 113 – 114- 115 – 118 – 120 - 121 – 122 – 137 – 139 – 180 – 204 – 208 – 222 – 271 – 286 – 288 – 290 – 292 - 297 – 299 - 304 – 330 – 337 – 373 – 374.

تكسبت : ص 136 – 138 – 205 – 210 – 281 – 282 – 333.

التل : ص 71 – 89 – 297 – 331.

تلمسان : ص 211 – 337.

تماسين : ص 30 – 40 – 41 – 44 – 52 – 71.

التماسين 203

تماسين 206

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمبكتو : ص 288 – 290.

تنس : ص 200.

تهارت : ص 18 – 19.

توات : ص 253.

التوارق 97

توزر : ص 54 – 55 – 65 – 71 - 214– 290 – 292 – 304 – 330.

تونس : ص 17 - 34 – 45 –46 – 50 - 51 – 53 – 54 - 56 – 59– 60 – 66 – 67 – 73 - 74 – 75 – 77 – 91 – 93 – 95 – 96 - 102 – 103 – 104 – 106 – 107 – 116 – 118 – 127 – 130 – 135 – 136 – 143 – 147 – 154 – 158 - 186 – 196 – 200 – 202 – 211 – 213 – 214 – 215 – 216 – 218 – 219 – 230 – 232 – 246 – 254 – 255 - 256 – 265 – 273 – 279 – 284 – 286 – 294 – 300 – 305 – 310 – 318 – 323.

ث

ثكنة جمارك بالوادي : ص 255.

ج

جامع الأزهر : ص 53 – 75.

الجامع الأعظم : ص 56 – 75 – 312.

جامع الرحبة القديمة : ص 310.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامع الزيتونة : ص 29 - 43 – 44 – 45 – 56 – 57 – 58 – 59 – 60 – 62 – 70 – 73 – 75 – 76 – 77 – 81 - 128 – 131 – 206 – 214 – 216 – 310 – 331 – 332 – 370.

جامع السيدة : ص 312.

جامع الشيخ الثعالبي : ص 316.

جامع القرويين : ص 310.

جامع القصبة : ص 312.

الجامع الكبير : ص 60

جامع بتشين : ص 312.

جامع بلكور : ص 319.

جامع خنق النطاح : ص 312.

جامع خير الدين(جامع الشواش) : ص 310.

جامع ستي مريم (جامع ابن نيقرو) : ص 310.

جامع سوق الكتان : ص 310.

جامع سيدي أبي مروان : ص 312.

جامع صباط الحوت : ص 310.

جامع كتشاوى : ص 312.

جامعة : ص 207 – 286 – 304.

الجامعة الزيتونية : ص 75.

جانت : ص 180.

جبال جرجرة : ص 205.

جبل الخنفوس : ص 217.

جديدة قمار : ص 259.

الجر : ص 248.

الجردانية : ص 19.

الجريد : ص 17 – 27 - 30 – 34 - 52 – 54 63 – 64 - 65 – 71 – 72 – 74 – 91 – 92 – 97 – 102 – 104 – 107 – 201

الجريد 102 – 214 – 216 – 217 – 280 – 284 – 287 – 297 – 330 – 331 – 373.

الجريد التونسي : ص 168 – 370

الجزائر : ص 17- 29 – 30 - 38 – 40 – 46 - 53 – 54 - 57 – 68 – 69 – 59 - 60 – 62 – 74 77 – 78 – 80 – 81 – 82 – 84 – 86 – 88 – 93 – 95 – 97 – 101 – 107 – 108 – 109 – 118 – 122 – 123 – 124 – 125 – 130 – 133 – 135 – 136 – 140 – 141 – 143 – 144 – 146 – 147 – 148 – 151 – 152 – 154 – 157 – 161 – 163 – 168 – 173 – 179 – 197 – 198 – 200 – 201 – 204 – 207 – 213 – 216 – 220 – 221 – 222 – 223 – 225 – 232 - 233 – 234 – 243 – 246 – 252 – 253 – 255 – 265 – 271 – 278 – 283 – 284 - 293 – 297 – 308 – 309 – 310 311 – 312 – 313 – 314 – 318 -319 – 320 - 321 – 322 - 323 – 325 – 337 – 351 – 352 – 353 – 354 – 359 – 370 – 373 – 376.

الجنان : ص 44.

الجنوب : ص 47 – 73 – 87 – 92 – 93 - 100 – 107 – 108 – 109 – 114 – 120 – 129 – 143 – 156 - 157 – 158 – 238 – 247 – 252 – 254 – 288 – 290 – 297 – 302

جنوب الأطلس التلي : ص 220

جنوب الاطلس الصحراوي : ص 325

الجنوب التونسي

الجنوب التونسي : 29 – 51 - 73 – 77 -216.

الجنوب الجزائري : ص 27 – 28 – 32 - 51 – 60 – 94 - 96 – 98 - 106 - 113– 180 – 286 – 294 – 318 -

جنوب الصحراء : ص 177.

الجنوب الصحراوي : ص 96.

جنوب تونس : ص 303.

جنوب فرنسا : ص 351.

الجهة الجنوبية : ص 102 – 250.

الجهة الشرقية : ص 187 – 189.

الجهة الشرقية الجنوبية : ص 102.

الجهة القبلية : ص 250.

حاسي الناقة : ص 105.

حاسي خليفة : ص 24 – 249 – 259 - 286.

الحجاز : ص 58 – 209 – 216.

الحدود التونسية : ص 158 – 199 – 201 – 211 – 246 – 290 – 323.

الحدود الجزائرية الليبية : ص 228.

الحدود الجنوبية الشرقية : ص 95.

الحدود الشرقية الجنوبية الجزائرية : ص 91.

الحدود الليبية : ص 158 – 199 – 204 – 246 – 290.

الحمراية : ص 289.

حوش سي عبد الغني : ص 66.

الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط: ص 373.

حي 46 شارع زاوية بوكريه : ص 215.

حي 6 طريق صاحب الطابة : ص 215.

حي القوايد : ص 338.

حي طريق حمام الرميمي : ص 215.

خ

الخلوة : ص 47.

خليج قابس : ص 95 – 303.

خنشلة : ص 65 – 289.

خنقة سيدي ناجي : ص 289.

الخوازم : ص 290.

خيام بدو الاعشاش : ص 191.

خيام بدو الشوامس : ص 191.

خيام بدو الفرجان : ص 191.

خيام بدو المصاعبة : ص 191.

د

دار الحضرة : ص 44.

دار الحوش : ص 190.

دار الخزين : ص 188 – 190.

دار السقيفة : ص 188.

دار السلطان : ص 86 – 87 – 93.

دار السوفي : ص 215.

دار الضمان : ص 67.

دار الكاف : ص 189.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دار النوم : ص 188.

دار محمد الصغي : ص 44.

الدبيلة 229

الدبيلة : ص 24 – 27 – 66 – 107 – 108 – 115 – 170 – 174 – 175 – 181 - 194- 249 – 282 - 285 – 286 – 288 – 289 – 290.

درجين : ص 19.

الدريميني : ص 136 – 259.

دكانة : ص 188.

الدن الشمالية 159.

دوار فركان : ص 238.

دول إفريقية : ص 95.

الدول الأوربية : ص 83 – 96 – 308.

الدول الحديثة : ص 373.

دول الساحل الإفريقي : ص 308.

الدول العثمانية : ص 176.

الدول العربية : ص 320.

الدول العظمى 308

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدول الغربية : ص 373.

الدول المحتلةص : ص 359.

الدولة الرستمية : ص 18 - 180

الدولة العثمانية : ص 315.

ذ

الذراع : ص 290.

الذكار : ص 249.

ر

الرباح 117

الرباح : ص 32 – 54 – 117 – 335.

الرحبة : ص 187.

رحبة اليهود : ص 178.

الرديف : ص 138 – 217 - 218.

الرقيبة : ص 24 – 170 - 186– 249 – 259 – 286.

الرون : ص 205.

ز

الزاب : ص 29 – 53 – 248 – 288.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الزاب الشرقي : ص 52.

الزاوية الكحلة : ص 153.

الزريبة : ص 48 – 189.

زريبة الوادي : ص 289.

زريبة حامد : ص 289.

الزعاطشة : ص 97.

الزقم : ص 31 – 48 – 49 – 71 – 76 – 113 – 138 – 169 – 170 – 174 – 214 – 227 – 284 – 330 – 333 – 334 – 370.

زمالة : ص 93.

الزيبان : ص 30 - 34 - 87 – 89 – 90 – 91 – 94 – 95 - 102 – 106 – 190 - 203 – 204 – 206 – 234 – 374.

س

ساحة دودي : ص 121.

الساحل الإفريقي : ص 82.

الساحل التونسي : ص 56.

سجن الكدية : ص 136 – 137 – 144 – 147.

سجن الوادي : ص 140

سجن تقرت : ص 140

سدراتة : ص 19 - 20

سطيل : ص 290 – 291.

السقيفة : ص 188 – 189.

سكيكدة : ص 30 – 45 – 56 – 57 - 122 – 151 – 207 – 288.

السلطة التركية : ص 24 - 25 – 46.

السلطة العثمانية : ص 24.

سلطة بني جلاب : ص 24 – 26.

السودان : ص 47.

سوريا : ص 58 – 106 – 200.

السوق الأسبوعية : ص 356.

سوق البياضة : ص 184.

سوق التبغ : ص 255.

سوق الكتان : ص 311.

سوق الوادي : ص 294.

سوق اهراس : ص 98 – 208.

سوق كوينين : ص 294.

سويسرا : ص 271.

السويهلة 249

سيدي عبد الله : ص 249.

سيدي عكاشة : ص 200.

سيدي عون : ص 57 - 113 – 136 – 170 – 174 – 216 – 227 – 286 – 288.

سيف المنادي : ص 289.

سيف فاطمة : ص 286.

ش

الشابة : ص 65.

شارع الباب الجديد : ص 310.

شارع لاشار : ص 311.

الشرق : ص 92 – 102 – 116 – 252 – 369.

شركة التروماي : ص 205.

شركة الفوسفات 216

ششار : ص 65.

شط الجريد : ص 17 – 303.

شط بوجلود : ص 289.

شط فجيج : ص 303

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شط ملغيغ : ص 288 – 289.

الشقة : ص 288 – 289.

الشلف : ص 200

شمال إفريقيا : ص 56 – 118.

شمال الجزائر : ص 255.

الشمال الجزائري : ص 216.

شوشان : ص 287.

شوشة الحم : ص 289.

ص

صالبي : ص 205.

الصباط : ص 188.

الصحراء : ص 25 – 27 – 41 - 71- 89 – 90 – 91 – 93 – 94 – 95 – 97 - 98- 104 – 110 – 123 – 162 – 171 – 173 – 182 – 183 – 190 – 218 - 235 – 238 – 240 – 281 – 290 – 292 - 302 – 303 – 304 – 331 – 374.

صحراء أبي مسغون : ص 39.

صحراء إفريقيا : ص 97.

الصحراء الإفريقية : ص 97.

صحراء الجزائر : ص 28 – 95.

الصحراء الجزائرية : ص 82 – 97.

الصحراء الجنوبية : ص 105.

الصحراء الشرقية : ص 89 – 91 - 109.

الصحراء الكبرى : ص 20 – 24 – 54.

الصحن : ص 248.

صفاقص : ص 218.

ض

ضواي روحه : ص 18.

طرابلس : ص 95 106 – 118 – 126 – 243 – 302.

طرابلس الغرب : ص 47.

الطرق التجارية : ص 98.

الطرق الصحراوية : ص 302.

الطريفاوي : ص 52.

طولقة : ص 30 – 47 – 48 - 52 – 53 – 311.

الطيبات القبلية : ص 101 – 288.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ع

العالم : ص 244 – 322.

العالم الإسلامي : ص 34 – 35 – 53 – 96 - 308 – 309 – 318 – 323 – 325 – 351 -

العالم الجديد : ص 96 – 373.

العالم الحديث : ص 233.

العالم الشرقي : ص 30.

العالم العربي : ص 96 - 209 – 320 – 321 – 351.

العالم القديم : ص 96.

العرق الشرقي : ص 17.

العرق الشرقي الكبير : ص 17 – 18 – 203 – 290 – 373.

عرق لحويذق : ص 290.

العريش : ص 209.

عصبة الأمم : ص 58.

العضل : ص 290.

العقلة : ص 190.

عقلة الباجة : ص 289.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عميش : ص 24 – 32 – 45 – 52 – 54 – 55 – 57 – 58 - 117 – 118 – 120 – 138 – 170 – 174 – 176 – 190 – 208 – 218 – 281 – 296 – 330 – 333 -

عنابة : ص 151 – 208 – 312.

عين الدفلة : ص 199.

عين الصفراء : ص 115.

عين الناقة : ص 289.

عين صالح : ص 104 - 153.

غ

غات : ص 290.

غدامس : ص 17 – 42 – 97 – 102 – 119 – 123 – 154 – 177 – 201 – 252 - 263 – 284 - 287 – 288 – 290 – 303 – 337 -

الغرب الأوربي : ص 308.

الغرب الجزائري : ص 89.

غرداية: ص 115.

غمرة : ص 115 – 259 – 282.

غوط سيدي مستور : ص 250.

ف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فاس : ص 40.

الفرس : ص 36.

فرنسا : ص 46 – 55 - 76 – 78 – 83 – 84 – 86 – 87 – 88 – 94 – 95 – 96 – 98 – 99 100 – 102 – 106 – 107 – 108 – 110 – 111 – 112 – 118 – 119 – 120 – 121 – 124 – 125 – 126 – 133 – 143 – 147 – 151 – 154 – 157 – 158 – 159 – 173 – 176 – 197 – 199 – 201 – 205 – 211 – 218 – 219 – 230 – 233 – 252 – 271 – 285 - 294 - 297 – 298 – 300 – 303 – 305 – 312 – 313 – 315 – 326 – 348 – 350 – 351 – 352 – 359 – 366 – 373 – 374.

فلسطين : ص 58.

الفيض : ص 98.

ق

قابس : ص 254 – 289.

القارة الإفريقية : ص 302.

القبائل : ص 297.

القبة : ص 313.

قسنطينة : ص 25 – 26 – 29 – 47 – 86 – 90 – 92 – 93 – 94 - 130 – 137 – 140 – 142 – 147 – 149 – 170 – 208 – 216 – 219 – 222 – 223 – 279 – 288 – 309 - 318 – 319 – 323 – 337 – 344 – 353 – 366.

قصر الجنينة : ص 310.

قصور توات : ص 180.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قصور عدوان : ص 21.

القطر التونسي : ص 29 – 30 – 34 – 73 – 77 – 86 - 154 – 174 - 208– 213 – 216 – 217 – 247 – 259 – 279 – 281 – 283 – 305 – 373.

القطر الجزائري : ص 39 – 47 – 200 – 319 – 325 – 335.

القطر الليبي : ص 168 – 208 – 373.

قفصة : ص 209 – 216 – 218 – 289.

القل : ص 206

قلعة بو ليلة (الامبراطور) : ص

قمار : 24 - 27 – 30 – 31 – 32 – 33 – 40 – 41 - 43 – 44 - 45 - 49 – 55 - 65 – 66 – 71 - 78 – 78 – 98 – 104 – 105 – 111 – 115 – 117 – 123 – 127 – 129 – 131 – 136 – 138 – 152 – 167 – 170 – 174 – 175 – 176 – 178 – 205 – 208 – 210 – 214 – 215 – 216 – 227 – 249 – 253 – 254 – 255 – 256 – 257 – 259 – 261 - 266 - 267 – 271 – 282 - 284 – 285 – 289 – 301 – 304 – 305 – 330 - 331 – 332 – 333 – 334 – 336 – 338 – 345 – 346 – 347 – 349 – 353 – 354 – 355 – 356 – 358 – 359 – 360 – 361 – 364 – 365 – 370 – 375 – 376.

القوقاز : ص 316.

القوى الأوربية : ص 96.

القيروان: ص 19 – 48 – 65.

كـــ

كاتدرائية الجزائر : ص 312

كاتدرائية السيدة الإفريقية : ص 313.

الكاف : ص 19.

الكاف التونسي : ص 331.

كانو : ص 290

كريمية : ص 199.

كمبيثة: ص 205.

كنيسة الصليب المقدس : ص 312.

كنيسة سان جوزيف : ص 313.

كنيسة سان شارل : ص

كنيسة سانت أوجين : ص 313.

كنيسة سيدة النصر : ص 312.

كوخ : ص 48

كونين : ص 23 – 27 – 32 – 49 – 64 – 78 – 98 - 101 – 111 – 136 – 138 – 167 – 170 – 174 – 207 - 208 – 215 – 227 – 272 – 273 – 282 – 284 – 285 – 288 – 289 – 290 – 304 – 330 – 333 – 338 – 345 – 349 – 354 – 355 – 359 – 360 – 364 – 375 -

ل

ليبيا : ص 17 96 - 102 – 107 – 118 – 119 – 230 – 232 – 246 – 284 – 300 -303 – 316.

م

مالطا : ص 106.

المانيا : ص 106.

متليلي : ص 104.

مدخل الجنينة : ص 310.

المدن الجزائرية : ص 29.

المدن الجزائرية الشمالية : ص 207.

المدن الداخلية : ص 17 – 34 – 281.

المدن الكبرى: ص 30.

المدية : ص 199.

المدينة : ص 90 - 210 – 211.

المدينة المنورة : ص 332.

مراح جازية : ص 86.

مراعي السهوب : ص 268.

المراعي الصحراوية : ص 268.

مراكش : ص 232.

مستغانم : ص 320.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مسجد الزاوية التجانية : ص 32.

مسجد العدواني : ص 31.

مسجد العمامرة : ص 66.

المسجد القيلاوي : ص 32.

المسجد النبوي : ص 211

مسجد النخلة : ص 34.

مسجد تغزوت: ص 31.

مسجد زاوية محمد لمام : ص 32.

مسجد سيدي سالم : ص 32.

مسجد سيدي سالم : ص 374.

مسجد سيدي سعيد : ص 32.

مسجد سيدي علي : ص 63.

مسجد سيدي مسعود الشابي : ص 31.

المسيلة : ص 90 - 208

المشرق : ص 61 – 197 - 315.

المشرق الإسلامي : ص 208.

المشرق العربي : ص 208 – 209 – 211 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مشغل الأخوات البيض : ص 267.

المصاعبة : ص 33 – 52 – 113 – 115 – 207 – 208 – 239 – 326.

مصر : ص 58 - 147 – 209.

مصنع المشروبات الغازية : ص 154.

المطبخ : ص 188.

مطبعة جول كربونالي : ص 55.

معسكر : ص 89.

المغرب الأقصى : ص 67 – 118 – 127 – 147 – 206 – 243 – 258 – 310 – 316 – 323.

المغير : ص 286 – 289.

المقرن : ص 284.

مكة : 210.

مناء الجزائر : ص 208.

مناجم الفوسفات : ص 258 – 259

مناطق التل : ص 203.

المناطق التلية : ص 218 – 254 – 255 -268.

مناطق التوارق : ص 303.

المناطق التونسية : ص 218.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مناطق الجنوب : ص 108 – 135 – 366.

مناطق الجنوب الجزائري : ص 61 - 99.

المناطق الجنوبية : ص 25 – 97 - 113 – 143 – 147 – 203.

المناطق الجنوبية الصحراوية : ص 297.

المناطق الحدودية : ص 30 – 147.

المناطق الخصبة : ص 247.

المناطق الداخلية : ص 82 – 230.

المناطق الساحلية : ص 207 - 230.

المناطق السهلية : ص 230.

مناطق الشمال : ص 356.

المناطق الشمالية : ص 29 - 175 – 249 – 252 – 268 – 297.

المناطق الشمالية الشرقية : ص 259.

المناطق الشمالية الغربية : ص 252.

مناطق الصحراء : ص 221.

المناطق الصحراوية : ص 109 – 203 – 280 – 302.

المناطق العسكرية : ص 335.

أقاليم الجنوب : ص 335.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المناطق الغربية : ص 175 – 203.

المناطق الكثيفة الرمال : ص 252.

المناطق المحمية : ص 305.

المناطق ذات التربة المالحة : ص 250.

مناطق علوان : ص 238.

منجم الرديف : ص 217.

منجم المتلوي : ص 217.

منجم المظيلة : ص 217.

منجم أم العرايس : ص 217.

المنطقة الإدارية المختلطة لتبسة : ص 238.

المنطقة الإدارية المختلطة لخنشلة : ص 238.

المنطقة الجنوبية : ص 94.

منطقة الرمال : ص 248.

منطقة السهول الخصبة : ص 220.

منطقة السويس : ص 58.

منطقة القبائل : ص 221 – 310.

منطقة القبائل الجبلية : ص 220.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منطقة الهقار : ص 102.

منطقة صحراوية : ص 162 – 222.

منطقة ميزاب : ص 310.

مويت التاجر : ص 289.

مويت عيسى : ص 290.

ميزاب : ص 19 – 89 – 100.

ميه باهي : ص 248.

ميه صالح : ص 247.

ن

نزل الرمال : ص 293.

نزل ترانز تلنتيك : ص 292.

النزلة : ص 187 – 190.

نزلة الحمايدة : ص 32.

نفزاوة : ص 106 – 289.

نفطة : ص 48 - 49 – 51 – 54 – 55 – 56 – 63 – 92 - 104 – 105 – 284 – 286 – 287 – 288 – 289 – 290 – 292 – 331.

نقرين : ص 104 – 107 – 238.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النمامشة : ص 28 – 52 – 228.

هـــــ

الهقار : ص 42 - 120 – 123 – 287 – 288.

الهند : ص 36 – 147.

الهند الصينية : ص 154.

الهود : ص 259.

و

واترلو : ص 232.

الواحات : ص 115 – 173 – 180 – 203 – 292 – 294 – 302.

الواحات التونسية : ص 98.

الواحات الجزائرية : ص 98.

واحات النخيل : ص 247.

واحات غدامس : ص 168.

واحات نقرين : ص 289.

واحة البرج : ص 47.

واحة الزعاطشة : ص 91 – 92.

واحة الصحيرة : ص 93

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الوادي : ص 27 - 31 – 32 - 33 – 47 – 47 - 48 - 49 - 52 - 63 – 65 – 71 - 73 – 74 – 80 – 101 – 107 – 108 - 111 - 113 – 114 115– 120 – 129 – 131 – 136 – 137 – 138 – 139 – 141 – 146 – 158 – 167 – 176 – 178 – 187 – 190 – 194 - 195 – 196 – 201 – 204 – 205 – 210 – 219 – 222 – 227 – 229 – 241 – 246 – 249 – 255 – 266 - 269 – 270 – 271 - 282 – 284 – 285 - 287 – 288 – 289 – 289 – 290 – 291 – 292 - 300 – 301 - 304 – 326 – 330 – 331 – 333 – 341 – 345 – 346 – 347 – 349 – 354 – 355 – 356 – 358 – 359 – 360 – 361 – 364 – 365 – 375 – 377.

وادي الترك : ص 24.

وادي الجردانية : ص 18 – 19.

وادي العلندة : ص 24 - 170.

وادي الفضة : ص 199.

وادي إيغاغار : ص 27.

وادي ريغ : ص 20 - 27 – 29 – 34 - 40 – 51 – 56 – 87 – 92 – 94 – 98 – 99 – 102 -105 – 121 – 154 – 180 – 196 – 203 – 206 – 207 – 234 – 248 – 250 – 288 – 292 – 373.وادي س 205

وادي سوف : ص 16 – 17 - 18 - 19 - 20 – 21 – 23 – 24 - 25 - 27 - 28 - 30 - 31 - 33 - 39 – 40 – 41 - 34 – 44 – 45 – 47 - 51 – 52 – 53 – 54 – 55 – 56 - 62 – 63 – 64 – 65- 66 – 67 – 68 – 70 – 71 - 76 – 77 – 78- 79 – 80 – 81 – 82 – 83- 84 – 86 – 87 – 89 – 90 – 91 - 92 – 93 – 94 – 95 – 96 – 97 – 98 – 99 - 100 – 101 – 102- 103 – 104 – 105 – 106 – 108 – 109 – 110 – 111 – 112 – 113 – 114 – 115 – 116 – 117 – 118 - 119 – 121 – 122 – 123 – 124 – 125 – 127 – 128 – 129 – 130 – 131 – 132 – 136 – 137 – 146 – 147 – 148 – 149 – 151 – 153 – 154 – 156 – 157 – 162 – 163 – 164 – 165 – 166 – 168 – 169 - 170 – 171 – 173 – 174 – 175 - 177 - 180 – 181 – 182 – 185 – 187 – 189 – 191 – 195 – 196 – 199 - 201 – 202 – 203 – 204 – 207 – 208 - 209 - 211 –

234 – 233 – 230 – 229 – – 228 - 227 – 225 – 224 - 223 – 221 – 218 – 216 – 215 - 214 – 213
- 255 - 254 – 253 – 252 – 250 – 249 - 248 - 247 –245 - 244 – 243 – 239 – 238 – 236 – 235 –
– 279 – 278 – 277 – 276 - 273 – 272 - 270 - 269 - 268 – 266 – 265 – 263 - 259 – 258 - 256
– 298 – 297 – 296 – 294 - 293 – 292 - 291 - 290 - 288 - 287 - 286 – 285 – 284 - 281 – 280
– 336 – 335 – 334 – 333 – 332 - 331 – 330 – 325 – 324 – 323 - 318 – 304 – 301 – 300 – 299
337 – 338 – 346 – 355 - 353 – 356 – 368 – 369 – 370 – 373 – 375 – 376 – 377.

وادي ميزاب : ص 99 – 323.

ورجلان : ص 19 – 20 – 180.

ورقلة : ص 89 – 99 - 100 – 103 – 104 – 105 – 106 – 112 – 121 – 154 – 169 – 203 – 243 – 250.

ورماس : ص 23 – 27 - 113 – 170 – 215 – 227 – 273 - 286 – 288.

وزان : ص 67.

الوسط الجزائري : ص 199.

الوطن العربي : ص 323 – 273 -

وهران : ص 84 – 312 – 223.

اليونان : ص 36.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الجداول والأشكال

الرقم	الجداول والأشكال	الصفحة
01	جدول الحكام الذين ترأسوا ملحقة الوادي منذ 1881 حتى 1947.	115 - 116
02	جدول تطور سكان وادي سوف وكثافتهم ما بين 1854 – 1948.	171 -176
03	جدول تطور العلاج الصحي ومصاريفه بوادي سوف 1910 – 1915.	195
04	جدول تطور تعداد الجالية الجزائرية في مدينة تونس 1921- 1939.	212 - 213
05	جدول يوضح اختصاصات القادة العسكريين في توقيع العقوبات.	225
06	جدول تطور عدد رؤوس الماعز والغنم 1915 – 1947.	240
07	جدول تطور عدد رؤوس الإبل 1915 – 1947.	242
08	جدول تطور زراعة النخيل من 1860 إلى 1945.	252
09	جدول يوضح كمية استيراد التبغ من طرف احتكاريين تونسيين خلال سنوات 1906 – 1910.	254
10	جدول يوضح تطور تعداد مزارعي التبغ بوادي سوف 1929 -1947م.	257
11	جدول تطور الإنتاج الزراعي للتبغ بالقنطار بوادي سوف خلال 1930 – 1947	257

12	جدول كمية القمح والشعير المستوردة خلال الفترة ما بين 1930 – 1939.	262
13	جدول تطور أسعار الزربية في وادي سوف 1937 – 1946.	271
14	جدول تطور مداخيل القابض البريدي بوادي سوف بالفرنك خلال 1926 – 1947.	285
15	جدول تطور اللّزمة في وادي سوف 1936 – 1941.	298 — 299
16	جدول تطور ضرائب الماشية في وادي سوف وفق مرسومي 22 ديسمبر 1922 و31 ديسمبر 1941.	300
17	جدول تطور الضرائب العربية في ملحقة الوادي خلال الفترة الممتدة بين 1937-1944	302
18	جدول التلاميذ الثمانية للموسم الدراسي 1886 – 1887 لمدرسة الأهالي بالوادي	339
19	جدول توزع التلاميذ على مستوى هوية السكان بوادي سوف خلال 1886 – 1907	340
20	جدول المعلمين الأوائل بالمدرسة الأهلية بالوادي ما بين 1886 – 1907.	341 — 342
21	جدول يوضح متابعة إدارة المدرسة الأهلية للتلاميذ وفق سجل القيد المدرسي رقم : 01.	342- 343
22	جدول يوضح البنات الأوائل الملتحقات بمدرسة الأهالي بالوادي	343
23	جدول يبين التلاميذ المسجلين خلال المواسم الدراسية المحصورة بين الفترة الممتدة (1907 – 1920) من سجلات القيد المدرسي لمدرسة قمار	345

	الأهلية.	
24	جـــــــدول بيـــــانات أوائل التلميـــــــذات المسجـــــــلات بمدرســـــــة الأهالي بقمار.	346
25	جـــــــدول أول الفتيـــــات المسجـــــلات من حاضرة قمار أصلا.	347
26	جدول بيانات أول فتاة يهودية بالمدرسة الأهلية بقمار.	347
27	جدول يوضح توزيع عـــدد الســـاعات والمـــواد المدرسة بحســـب برنامج 1898.	348
28	جدول ســـنوات الـــتدريس المعتمدة في المدارس الأهلية بوادي سوف.	364

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــــرس المـــــــلاحـــــــــــــــق

الصفحة	المـــــــــــــــــــلاحق
379	**الملحق رقم : 01.** خـــريطة مـــوقع وحدود وادي سوف.
400	**الملحق رقم : 02.** خـــريطة الطـــرق والمعابر التجارية المارة والمنطلقة من وادي ســـوف.
401	**الملحق رقم : 03.** صورة من رسالة بعث بها كل من محمد العروسي والشيخ القاضي قمار.
402	**ملحق رقم : 04.** صورة رسالة بعث بها القايد أحمد بن تواتي لمجلس ميعاد الربايع يخبره بضرورة دفع الضرائب الملزومة، وهي بتاريخ فيفري .1875
403	**ملحق رقم : 05.** رسالة من قايد لعشاش وقايد المصاعبة إلى حاكم ملحقة الوادي.
404	**ملحق رقم : 06.** شهادة نهاية الدراسة الإبتدائية للتلميذ لخضر بن عمار (شبرو).
405	**ملحق رقم 07.** الصفحة الثانية من كراس الشيخ لخضر بن عمار (شبرو).
406	**الملحق رقم 08.** ورقة الاجابة عن امتحان الفرنسية للطالب لخضر بن عمار (شبرو) للسنة الثالثة بالمدرسة بقسنطينة.
407	**الملحق رقم 09.** صورة غلاف جريدة الهجمات الواقعة من أناس النمامشة على أناس المصاعبة.
408	**الملحق رقم : 10.** صورة لغلاف حبس الشيخ الهاشمي الشريف المطبوع يوم النصف من رمضان سنة 1343هـــ.بمطبعة جول كربونل بالجزائر.
409	**الملحق رقم : 11.** الصفحة الثالثة من حبس الشيخ الهاشمي الشريف.
410	**الملحق رقم : 12.** الصفحة التاسعة والعشرون من حبس الشيخ الهاشمي الشريف.
411	**الملحق رقم : 13.** الصفحة الثلاثون من حبس الشيخ محمد الهاشمي الشريف.
412	**الملحق رقم : 14.** الصفحة الواحدة والثلاثون من حبس الشيخ محمد الهاشمي الشريف

الملحق رقم : 15. الصفحـــــة الثانية من الرحلة التي قامت بها الســـيدة جرمان توماس برفقة ابنها بيار توماس.	413
الملحق رقم : 16. خريطة تبين مسار الرحلة التي قامت بها الســـيدة جرمان توماس برفقة ابنها بيار توماس من الجزائر إلى وادي سوف، ثم العودة إلى الجزائر.	414
الملحق رقم : 17.صورة تبين عملية رفع الرملة بوادي سوف.	415
الملحق رقم : 18. الشهادة التي منحت للباش عدل بمحكمة ورقلة لخضر بن عمار بن أحمد شبرو من قبل باي تونس أحمد باشا باي.	416
الملحق رقم : 19. الشهادة التي منحت للباش عدل بمحكمة ورقلة لخضر بن عمار بن أحمد شبرو من قبل باي تونس أحمد باشا باي. وهي باللغة الفرنسية.	417
الملحق رقم : 20. بطاقة تعريف السيد عبد الكامل بن عبد الله النجعي.	418
الملحق رقم : 21. الصفحة الأولى من جواز سفر للحج لخضر بن عمار شبرو.	419
الملحق رقم : 22. صورة للصفحة الثالثة والصفحة ستة وعشرين من جواز سفر للحج لخضر بن عمار شبرو.	420
الملحق رقم : 23. الصفحة الخامسة والصفحة الرابع والعشرون من جواز سفر للحج لخضر بن عمار شبرو.	421
الملحق رقم : 24. رسالة السيد علي بن سعد خيران إلى حاكم ملحقة الوادي. الصفحة الأولى.	422
الملحق رقم : 25. رسالة السيد علي بن سعد خيران إلى حاكم ملحقة الوادي، الصفحة الثانية.	423
الملحق رقم : 26. صورة للوجه الأول من رخصة سياقة لسيد ابراهيم بن الهاشمي شيحاني.	424
الملحق رقم : 27. صورة للوجه الثاني من رخصة سياقة لسيد ابراهيم بن الهاشمي شيحاني.	424

الملحق رقم : 28. صورة لغلاف التقرير المعنون الهجرة في ملحقة الواد لحاكم الملحق جون بيقرو.	425
الملحق رقم : 29. صورة الصفحة الأولى من التقرير المعنون الهجرة في ملحقة الواد لحاكم الملحق جون بيقرو.	426
الملحق رقم : 30. صورة الصفحة الأخيرة من التقرير المعنون الهجرة في ملحقة الواد لحاكم الملحق جون بيقرو..	427
الملحق رقم : 31. صورة لخريطة توضح نسب المهاجرين من مناطق وادي سوف.	428
ملحق رقم : 32. جدول يوضح اسماء الأعوام وفقا لأهم حدث فيه.	429
ملحق رقم : 33. الصفحة الموالية للجدول الذي يوضح اسماء الأعوام وفقا لأهم حدث.	430
الملحق رقم : 34. جدول يوضح معلومات حول المعمرين الذين أقاموا بكامل إقليم وادي سوف منذ سنة 1902.	431
الملحق رقم : 35. جدول يوضح تتمة لمعلومات حول المعمرين الذين أقام بكامل إقليم وادي سوف منذ سنة 1902.	432
الملحق رقم : 36. يوضح قائمة العاملين من السكان الجزائريين المسلمين.	433
الملحق رقم 37. خريطة المدارس الأهلية بوادي سوف.	434

فهـــــــــــــــرس المحتـــــــــــــــــــــــــــــــويات

المحتويات	الصفحة
الاهداء	05
مختصرات	06
مقدمة	07
الفصل الأول: أثر الانقسامية وتجاذب القوى، والبنية الثقافية على مواقف السكان بوادي سوف	16 – 82
المبحث الأول - وادي سوف بين الانقسامية وتجاذب القوى	18
أولا - وادي سوف والانقسامية	20
ثانيا – وادي سوف وقوى التجاذب	24
المبحث الثاني – تأثير البنية الثقافية على مواقف سكان وادي سوف تجاه سياسة التغريب	28
أولا – مساهمة البنية الثقافية في بلورة مواقف السكان بوادي سوف من الاحتلال	30
1 - دور المساجد في الحفاظ على هوية السكان بوادي سوف في ظل التواجد الاستعماري	31
ثانيا – دور الطرق الصوفية وزواياها في التأثير على مواقف السكان بوادي سوف تجاه الاحتلال	34
1- دور الطرق الصوفية الفاعلة في التأثير على السكان وادي سوف	39
أ – دور الطريقة التجانية في التأثير على السكان بوادي سوف	39
ب – دور الطريقة الرحمانية (العزوزية) في التأثير على السكان بوادي سوف	46
ج – دور الطريقة القادرية في التأثير على السكان بوادي سوف	53

2 – دور الطرق الصوفية الفرعية في التأثير على السكان في مجابهة السياسة الاستعمارية	62
أ - الطريقة البوعلية	63
ب - الطريقة المرزوقية	64
ج - الطريقة الشابية	65
د - الطريقة الطيبية	67
ثالثا – دور النخبة في التأثير على مواقف سكان وادي سوف تجاه سياسة التغريب	68
1 - النخبة المحافظة	70
2 - نخبة المعاهد الإسلامية	73
3 - النخبة المفرنسة	78
الفصل الثاني : الوضع السياسي بوادي سوف ومواقف السكان من الاحتلال الفرنسي	159 – 83
المبحث الأول : الوضع السياسي بوادي سوف ومواقف السكان من الاحتلال الفرنسي خلال فترة (1830 - 1854)	84
أولا – الاحتلال الفرنسي بين مشروعية البقاء، وسياسة الاستيطان بالجزائر، وموقف السكان بوادي سوف تجاهه	85
1 - أصدى احتلال الجزائر، ومواقف سكان وادي سوف من الحملة الفرنسية	86
2 – موقف سكان وادي سوف من المقاومة الشعبية، وحجم الدعم خلال مرحلة التردد	88
أ – سكان وادي سوف بين المشاركة الفاعلة، والدعم غير المباشر لمقاومة الأمير عبد القادر (1832 – 1847)	89
ب - موقف سكان وادي سوف من مقاومة الحاج أحمد باي (1830 – 1848)، وطبيعة دعمهم لها	92

ثانيا – وادي سوف بين الاستكشاف والغزو الفرنسي خلال (1837 – 1854)	94
1 - الحملات الاستطلاعية والاستكشافية لوادي سوف	96
2 – الغزو الفرنسي لوادي سوف	99
أ - احتلال وادي سوف وردود فعل السكان	101
ب – موقف سكان وادي سوف، ودورهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي ما بين (1854 – 1882)	102
ج - وادي سوف ومشاركته في مقاومة محمد التومي بوشوشة	104
د – مقاومة محي الدين بن الأمير عبد القادر ودور وادي سوف فيها	105
3 – الاستيطان والسياسة الاستعمارية في منطقة وادي سوف	108
المبحث الثاني – التنظيم الإداري الفرنسي ومواقف سكان وادي سوف منه	109
أولا - نظام التسيير الموكل للسكان المسلمين	110
1 - نظام القياد والخلفاء (1854 – 1873)	110
١ - نظام القياد	110
٢ – نظام الخلفاء	113
2 - نظام الخلفاء والشيوخ (1854 – 1885)	113
3 - نظام القياد منذ 1885	113
ثانيا - تأسيس ملحقة الوادي	114
المبحث الثالث – مواقف السكان تجاه الوضع السياسي بوادي سوف منذ استقرار الاحتلال حتى 1947	116
أولا –مواقف الطرق الصوفية بوادي سوف تجاه سياسة الاحتلال	117
1 – مواقف الطريقة القادرية تجاه الإدارة الاستعمارية	117
2 – مواقف الطريقة التجانية تجاه السياسة الاستعمارية	122
3 – مواقف الطريقة العزوزية الرحمانية تجاه الاحتلال	124

4 – المواقف السياسية للطرق الفرعية	124
ثانيا - الأوضاع السياسية بوادي سوف منذ مطلع القرن 20م حتى سنة 1939	125
1 – أصدى الحركة الوطنية بوادي سوف	125
2 – ظهر ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف	128
3 – أحداث أفريل 1939 بوادي سوف وانعكاساتها على وادي سوف	137
ثالثا - أوضاع وادي سوف السياسية خلال الفترة الممتدة بين (1939 – 1947)	148
1 – نشاط حزب الشعب خلال المرحلة السرية بوادي سوف	149
2 – الحزب الشيوعي بوادي سوف	151
3 – صدى حركة أحباب البيان والحرية	153
4 – أثار وانعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على وادي سوف	153
5 – حركة انتصار الحريات الديمقراطية بوادي سوف	154
6 – المنظمة السرية بوادي سوف	155
الفصل الثالث : الوضع الاجتماعي ومستويات التصدي والتأقلم تجاه سياسة التغلغل الاستعماري بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1854-1947)	230 – 160
المبـــحث الأول – أثار التغلغل الاستعماري على الوضع الاجتماعي بوادي سوف	161
أولا – تأثيرات سياسية التغلغل على البنية الاجتماعية وشبكة العلاقات للسكان بوادي سوف	163
1 - العائلة ومكانة الأطراف المتشاركة بها	164
أ - الجد أو الأب	165
ب – الأم	166
ج – الأبناء	167

2 –التركيبة السكانية بين الانسجامية والانقسامية	168
أ –عرش طرود	169
١ –الأعشاش	169
٢ –المصاعبة	169
ب –عرش عدوان	169
١ –أولاد سعود	169
3 –تطور التركيبة السكانية وتوزعها بين البدو والحضر	170
١ –سكان البدو الرحل	173
٢ –سكان الحواضر والقرى بوادي سوف	174
4 –التركيبة الاجتماعية بحسب الفئات	175
أ –فئة الأعيان والنخبة والمرابطين	175
١ –القياد ومختلف رجال الدين	175
٢ –أفراد المحاكم	176
٣ –المثقفون المستقلون	176
٤ –العاملون بالمساجد٦	176
٥ –المرابطون	176
ب –فئة العامة	177
١ –فئة العمال	177
٢ –فئة الزنوج (الوصفان)	177
ج –اليهود	177
د –المعمرون	180
ثانيا - أثار سياسة التغريب على المستوى المعيشي والصحي بوادي سوف	181
1 –المستوى المعيشي للسكان بوادي سوف	181
أ –الغذاء عند سكان وادي سوف ومؤثرات التغريب عليه	182

١ ـ غذاء الحضر	182
٢ ـ غذاء البدو	183
ب ـ لباس مجتمع وادي سوف والتأثيرات الغربية	185
١ ـ لباس النساء	185
٢ ـ لباس الرجال	185
ج ـ المسكن بوادي سوف	187
١ ـ المسكن عند الحضر (الحوش)	187
ـ السقيفة	188
ـ دار الخزين	188
ـ المطبخ	188
ـ السباط	188
ـ دار النوم	188
ـ البئر	188
٢ ـ مساكن الحضر الريفية	189
٣ ـ المساكن الريفية (مساكن الغيطان)	189
ـ دار الكاف	189
ـ الزريبة	189
ـ دار الخزين	190
٤ ـ مساكن البدو الرحل	190
د ـ مميزات الخيمة حسب العروش	190
ـ خيام بدو الأعشاش	191
ـ خيام بدو المصاعبة	191
ـ خيام بدو الشوامس	191
ـ خيام بدو الربايع	191

ـخيام بدو الفرجان	191
2 – التأثيرات الغربية على الوضع الصحي بوادي سوف	191
1 - الطب الشعبي	191
2 - الطب الحديث	194
المبحث الثاني : - دور الهجرة في التصدي لسياسة التغريب بوادي سوف	196
أولا – دوافع وأسباب الهجرة	197
1 –الدوافع والأسباب العامة للهجرة	198
١ –الدوافع الاقتصادية	198
٢ –الدوافع التعليمية	198
٣ –الدوافع الاجتماعية	198
٤ –الدوافع النفسية	199
٥ –الدوافع النفسية	199
2 –الأسباب الخاصة بالهجرة	199
ثانيا - الهجرة الداخلية	202
1 –الهجرة إلى وادي ريغ والزيبان	206
2 - الهجرة إلى المناطق الداخلية	207
ثالثا – الهجرة الخارجية	208
1 - الهجرة إلى المشرق العربي	208
2 - الهجرة إلى تونس	211
3 –الهجرة إلى فرنسا	218
المبحث الثالث – تأثير السياسة الاستعمارية على القضاء بوادي سوف	219
أولا – التغيرات الحاصلة على القضاء في الجزائر منذ الاحتلال	220
1 - مرحلة التردد (1830 – 1834)	220
2 –مرحلة التنظيم الأولى للفترة ما بين 1834 إلى 1848	220

3 – مرحلة الاستقرار على ازدواجية العدالة بدءا من 1848	221
ثانيا - آليات القضاء الإقليمي بوادي سوف	222
1 - محكمة الصلح	221
2 - المحكمة العسكرية بقسنطينة	223
ثالثا - الهيئات القضائية المحلية لوادي سوف	223
1 - اللجان التأديبية	223
2 – القادة العسكريين والقياد والشيوخ	225
3ـــ - المحاكم الشرعية	226
الفصل الرابع : تأثيرات سياسة التغلغل الاستعماري على الوضع الاقتصادي بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1882 – 1947)	*241
المبحث الأول – الرعي والزراعة وحجم تأثرهما بسياسة التغلغل الاستعماري بوادي سوف	234
أولا – الرعي	234
1 – واجبات وحقوق رعاة الإبل	235
2– واجبات وحقوق رعاة الماشية	236
3 - القواعد العامة للرعي	237
4 – سم الإبل ودوره في حماية الثروة	244
الشرك	245
القطف	245
الصبع	245
شطب الرقبة	245
ثانيا – الزراعة	246

1 – زراعة النخيل	248
أ - عملية إنجاز الغواطين وغرس النخيل	248
١ - عملية إنجاز الغواطين	248
٢ – غراسة النخيل	250
2 – زراعة التبغ	253
أ - مناطق زراعة التبغ ومراحل إنتاجه	259
١ – المناطق	259
٢- تطور زراعة التبغ	260
3 – المحاصيل المبكرة (الموسمية)	261
المبحث الثاني - تأثير الاحتلال على الصناعة والحرف بوادي سوف منذ 1882 إلى 1947	263
أولا - صناعة النسيج	265
1 - نسج الزراب	266
أ - المواد الخام المستخدمة في نسيج الزرابي ومعالجتها	268
ب - مراحل إنجاز الزربية في وادي سوف	269
١ – المرحلة الأولى	269
٢ – المرحلة الثانية	269
٣ – المرحلة الثالثة	269
ج - خصائص زربية وادي سوف وأهميتها الاجتماعية والاقتصادية	270
2 - نسج الحايك	272
3 – نسيج الألبسة	273
أ - نسج البرنوس	273
ب - نسج القندورة	274
ج - نسج القشبية	274

ثانيا – الصناعة والحـــــــــرف اليدوية	274
1 -الحـــــــــرف المعتـــــــــــمدة على النخـــــــلة ومكوناتها	274
أ -المنتوجات السعف	275
ب -المنتوجات السعف مع التيق	275
ج -مصنوعات الليف	275
د -مصنوعات عصي الجريد	276
هـــ -استغلالات الكرناف	276
و -مصنوعات جذع النخلة	277
2 –الصناعة الجلدية	277
3 –الحرف الصناعية الأخرى	277
أ –حرفة الحدادة	278
ب-حرفة النحاس	279
ج -حرفة النجارة	279
د -صياغة الفضة والحلي	280
ثالثا -صناعة مواد البناء المحلية	280
1 -مواد البناء المستخدمة وتوزيعها	281
2 -طرق تحضير الجبس واستخدامه	282
المبحث الثالث – أثر سياسة الاحتلال على الخدمات العامة والتجارة وطرق المواصلات بوادي سوف	283
أولا - البريد والاتصالات السلكية والمواصلات	284
1 –البريد	284
2 –التلغراف	285
3 –الهاتف	286
ثانيا – طرق المواصلات والسياحة	287

1 – طرق المواصلات	287
أ - وادي سوف منطقة عبور القوافل	288
١ – طريق نفطة وغدامس عبر وادي سوف	288
٢ – طريق سكيكدة إلى السودان وغدامس مرورا بوادي سوف	288
ب - الطرق الرابطة بين وادي سوف والبلدان المتعامل معها	288
١ – طريق وادي سوف تقرت	288
٢ – طريق وادي سوف بسكرة	288
٣ – طريق وادي سوف خنشلة	289
٤ – طريق وادي سوف تبسة	289
٥ – طريق وادي سوف نحو بلاد الجريد	289
٦ - الطريق من وادي سوف نحو غدامس	290
٧ – طريق وادي سوف غات	290
2 - خط سكة الحديد	290
3 - السياحة والفنادق المحلية	291
أ – السياحة	291
ب – الخدمات الفندقية	292
ثالثا - التجارة والضرائب والمصارف	294
1 – التجارة	294
أ – تجارة محلية	294
ب – التجارة الخارجية	296
2 - الضرائب المفروضة بوادي سوف	297
أ - ضريبة اللزمة	297

ب ـ الضريبة على الماشية	299
ج ـ الضريبة العربية	299
3 ـ المصارف	301
الفصل الخامس : أثر سياسة التغريب على الوضع الثقافي بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1854 – 1947)	308
المبحث الأول - الوضع الثقافي بالـــجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي بين التغريب والتحدي	308
أولا - السياسة الاستعمارية تجاه الوضع الثقافي بالجزائر أثناء الاحتلال	310
ثانيا - التعليم بالجزائر بين الأصالة والتغريب	313
المبحث الثاني - التعليـــم العربي بوادي سوف ومستويات التحدي	324
أولا - التعليم القرآني	325
ثانيا : التعليم العربي الإسلامي	330
المبحث الثالث : التعليم الفرنسي بين الرفض والقبول بوادي سوف	336
أولا – المدارس الأهلية بوادي سوف ومستويات الـــتأثير	336
ثانيا - التطبيق الميداني للبرنامج التعليمي	355
1 - الدوام الأسبوعي للمدرسة ونظام العطل والواجبات	355
أ ـ الدوام الأسبوعي	355
ب ـ نظام العطل	355
١ ـ العطل الأسبوعية	356
٢ ـ العطلة الفصلية	356
٣ ـ العطلة الصيفية	356
ج ـ نظام الواجبات	356
2 - النشاط الصحي والإطعام المدرسي	357

أ -الصحة المدرسية	357
ب -الإطعام المدرسي	358
3 -سلوكات الانضباط والامتحانات المدرسية	359
أ -تحية العلم	359
ب -تنظيم الامتحانات	359
4 -النشاطات الرياضية والترفيهية والأعمال التطبيقية	360
أ -الألعاب والنشاطات الرياضية	360
ب -السينما والحفلات المدرسية	361
١ -السينما	361
٢ -الحفلات المدرسية	362
ج -الدروس التطبيقية والخرجات الميدانية	362
١ -الدروس التطبيقية	362
٢ -الخرجات الميدانية	363
ثالثا - التنظيم المدرسي ونتائجه على المتمدرسين والمجتمع بوادي سوف	363
1 -المستويات الدراسية بالمدارس الأهلية	364
2 -دور المدارس الأهلية في تكريس التأقلم بوادي سوف	365
3 -المدارس الأهلية وتحقيق التعايش النسبي	369
الخاتمة	377 - 372
الملاحق	391 - 378
قائمة المصادر والمراجع	427 – 393
الفهارس	464 451
فهرس الأسماء والأعلام	463 - 452
فهرس الأماكن والبلدان	478 - 464
فهرس الجداول	480 - 479

فهرس الملاحق	483 - 481
فهرس المحتويات	497 - 484

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص بالعربية :

التغلغل الاستعماري الفرنسي بالجزائر سياسة انتهجت من خلالها الإدارة الفرنسية أساليب عديدة على مستوى كل الميادين السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، جعلت من الأقاليم المختلفة بالجزائر تنظر له بمنظار يتناسب وطبيعة الإقليم، ومن بينها إقليم وادي سوف الذي عرف التواجد الاستعماري إلا في سنة 1854، مما كان لهذا التواجد آثار متعددة ومختلفة شكلت حالة من المقاومة لكل ما هو مناهض للقيم الحضارية للجزائر المحتلة، كما لوحظت بعض حالات التأقلم تبعا لقوة الإدارة الفرنسية والتفوق الحضاري المادي، هذا ساهم في إحداث صور من التأقلم، رغم حالة المقاومة السائدة التي شكلها الإقليم الصحراوي والحدودي، رغم حالة المقاومة السائدة التي شكلها إقليم وادي سوف الصحراوي والحدودي حتى سنة 1947.

ومن هنا جاء عنوان الأطروحة :

التغلغل الاستعماري بوادي سوف

بين المقاومة والتأقلم 1854 - 1947.

وقد جاءت إشكالية الموضوع كالآتي :

حجم مقاومة السكان المسلمين الجزائريين بوادي سوف للاحتلال الفرنسي، ومستوى التأقلم، الذي أبداه السكان بالإقليم من المحتل، هذا بالمقارنة مع حجم السياسة التغريبية، التي مارستها السلطة الفرنسية بالمنطقة.

وحتى نستطيع الإجابة عن الإشكالية لا بد من طرح التساؤلات الموالية :

ما أثر البنية الاجتماعية والثقافية، والقوى المؤثرة على مواقف السكان بوادي سوف؟

ما طبيعة الوضع السياسي بوادي سوف ومواقف السكان من الاحتلال الفرنسي؟

ما حجم مستويات التصدي والتأقلم تجاه سياسة التغلغل الاستعمار الفرنسي على الصعيد الاجتماعي بوادي سوف ما بين (1854 – 1947)؟

ما تأثيرات سياسة تغلغل الاحتلال الفرنسي على الوضع الاقتصادي بوادي سوف خلال الفترة ما بين (1882 – 1947)؟

ما أثر سياسة التغريب على الوضع الثقافي بوادي ما بين (1854 – 1947)؟

والنتائج المتحصل عليها من الدراسة تقر بمبدأ المقاومة ، لكن ذلك لم يمنع من وجود بعض من التأقلم نتيجة المدنية الحضارية التي وصلت إليها فرنسا.

الملخص بالفرنسية :

La pénétration coloniale politique française en Algérie poursuivi par lequel l'administration française plusieurs façons dans le domaine politique, social, économique et culturel, fabriqués à partir des différentes régions en Algérie considérées comme son objectif en rapport avec la nature de la région, y compris le territoire d'Oued Souf, qui sera connue présence coloniale seulement en 1854, qui a eu un effet de plusieurs cas et des formes multiples et différentes de la résistance de tout ce qui est des valeurs anti-civilisées des territoires Algériennes, comme ertains cas d'adaptations en fonction de la force de l'administration française et matériel culturel de l'excellence, ce qui a contribué à la création d'images de face, malgré la résistance de la situation formé par la région du désert et la frontière jusqu'en 1947.

D'où le titre de la thèse :

La pénétration Coloniale à Oued Souf

entre la et la résilience

1854 - 1947.

Ce travail est basé sur le problème suivant :

La taille de résistance de la population d'Oued Souf contre l'occupation française et le niveau de l'adaptation, qui est représentée par la région à partir de la population occupée par rapport à la politique occidentalisation, pratiquée par la puissance française dans la région.

Et enfin que nous puissions répondre aux problèmes doivent être fidèle à poser des questions :

- Quel est l'impact de la structure sociale et culturelle, ainsi que les forces agissantes sur les attitudes de la population à Oued Souf?
- Quelle est la nature de la situation politique et les positions de la population d'Oued Souf contre l'occupation française?
- Quelle est la réponse et l'adaptation en face de la pénétration et la politique coloniale française sur le plan social à Oued Souf entre (1854 - 1947)?
- Quels sont les effets de la pénétration de l'occupation française sur la situation économique et politique d'Oued Souf au cour de la période (1882 - 1947)?
- Quel est l'impact de la politique culturelle occidentalle à Oued Souf entre (1854 - 1947)?

Les résultats obtenus sont dans l'émergence de la résistance à tous les niveaux et domaines, malgré la nette supériorité de la civilisation occidentale, qui a contribué à l'émergence de l'adaptation relative, selon tout le domaine en fonction de leurs situations respectives et les besoins d'une part et le contrôle colonial français d'autre part.

الملخص بالانجليزية :

Penetration of French colonial Algeria policy pursued by which the French administration are several ways in the political, social, economic and cultural field, made from different regions in Algeria consider his lens commensurate with the nature of the region, including the territory of Oued Souf, which will known colonial presence only in 1854, which had a presence effects multiple and different shaped case of resistance of all that is anti-civilized values of Algeria territories, as observed some cases adapt depending on the strength of the French administration and excellence cultural material, this contributed to the creation of images of coping, despite the prevailing situation resistance formed by the desert region and the border until 1947.

Hence the title of the thesis :

Colonial penetration in Oued Souf between

resistance and resilience 1854 - 1947.

This work is based on the following problem :

The size of Oued Souf of the population will resist the French occupation, and level of adaptation, which is shown by the region from the occupied population, compared, with the Westernizing policy practiced by the French power in the region size.

And so that we can answer the problem must be loyal to ask questions :

- What is the impact of social and cultural structure, and the forces acting on the attitudes of the population in Oued Souf?

- What is the nature of the political situation and the positions of Oued Souf will be the population of the French occupation?

- What size to address and adapt to the levels of penetration of the French colonial policy on the social level, of Oued Souf will be between (1854 – 1947)?

- What effects the penetration of the French occupation on the economic situation of Oued Souf of the policy will be during the period between (1882 – 1947)?

- What is the impact on the cultural policy of Westernization situation Oued Souf will be between (1854 – 1947)?

The results obtained are in the emergence of resistance at all levels and fields despite the superiority clear of Western civilization, which contributed to the emergence of adaptation relative, according to all the field, according to their respective circumstances and needs on the one hand, and the French colonial control of the hand.